

Sociology



مجلة العلوم الإجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد 19 جوان 2021



V.R33616
ISSN 2568-6739

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتحية والسياسية والإقتصادية
برلين-ألمانيا

ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

جوان 2021

الـــعــدد التاسع عشر (19)

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

تصدر من ألمانيا- برلين- عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

الهيئة العلمية والاستشارية.

- د.قصي عبد الله محمود إبراهيم، جامعة الإستقلال، فلسطين.
- د.لعريبي نورية، جامعة الجزائر 02، الجزائر
- د.محمد حسين علي السويطي، جامعة واسط، العراق.
- د.مخلص رمضان محمد بليح، جامعة بني سويف، مصر.
- د.مدور ليلى، جامعة باتنة 01، الجزائر
- د.معن قاسم محمد الشياب، جامعة طيبة، المملكة العربية السعودية.
- د.مليكة حجاج، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر
- د.ميلود الرحالي، المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، المغرب
- د.نجيب زاوي، جامعة قفصة، تونس.
- د.طرشان حنان، جامعة باتنة 01، الجزائر.

شروط النشر:

مجلة العلوم الاجتماعية مجلة دولية علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى ويقدم الباحث إقرارا بذلك.
- أن يكون المقال في حدود 30 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.
- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس وإحترام الأمانة العلمية في تهميش المراجع والمصادر.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين،(حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified Arabic 12 للملخص العربي و Times New Roman 12 للملخص باللغة الانجليزية)، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.
- تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 1.15بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون Gras، أما عنوان المقال يكون مقاسه 14.
- هوامش الصفحة أعلى 2 وأسفل 2 وأيمن 2 وأيسر 3 ، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة مخصص(16 23.5X).
- يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.
- بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.
- تتبنى المجلة نظام توثيق الرابطة الأمريكية لعلم النفس.(APA)، ويشار إلى المراجع داخل المتن بذكر الاسم الكامل للمؤلف ثم سنة النشر والصفحة بين قوسين، أو ذكر الإسم الكامل للمؤلف، السنة بين قوسين.
- يشار إلى ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا وفق نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس.
- المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بالرد على المقالات التي لا تستوفي شروط النشر.
- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.
- لا تتحمل المجلة مسؤولية عدم إحترام الباحث الأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي وتتخذ إجراءات صارمة في حق كل من ثبت عدم إحترامه ذلك.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

sciences@democraticac.de

كلمة العدد

تأتي مجلة العلوم الإجتماعية في عددها الجديد التاسع عشر في شكل متجدد من حيث قيمة الأبحاث العلمية التي مست مختلف جوانب تخصصات العلوم الإجتماعية أين حاول الباحثون ترجمة العديد من الرؤى والمستجدات العلمية في معالجات متباينة من حيث المنظور والمنهج وهو ما يؤكد ذلك التنوع والثراء المعرفي في حقل جد هام كحقل العلوم الاجتماعية.

والمجلة اليوم تؤكد ذلك العهد السابق في مسيرتها العلمية أين تخطوا نحو التميز والإبداع في مجال البحث العلمي بهدف تقديم تلك الإضافة العلمية كمرجع أساسي في العلوم الإجتماعية رغم الصعوبات إلا أن التحديات التي يرفعها فريق المجلة يؤكد أن المسيرة لا تزال طويلة لأن البحث العلمي هو معرفة مستمرة ومتراكمة وهو ما نحاول أن نؤسس له.

إن تحقيق الأهداف المنشودة يبقى الأمل الذي نسير وفقه خاصة بتفاني الباحثين الذين ما فتئوا يقدمون لنا النصائح والتوجيهات للرقي بالمجلة، ونحن دوما نرحب بها من أجل تجويد ساحة البحث العلمي.

والعدد الجديد يصدر بفضل الكثير من سواعد الباحثين ناشرين كانوا أو محكمين أو فاعلين في هيئة التحرير ولهم منا كامل التحيات على كل المجهودات المبذولة في سبيل الرقي وتطوير المجلة.

الدكتور بحري صابر

رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية

المركز الديمقراطي العربي، العدد 19 جوان 2021

فهرس المحتويات

صفحة

آفاق سوسيولوجية لدور مجالس المصالحة الوطنية في دعم وحدة النسيج الاجتماعي (المجتمع الليبي أنموذجًا).

أ.د. حسين سالم مرجين، الهيئة الليبية للبحث العلمي، طرابلس-ليبيا

أ. سالمة إبراهيم بن عمران، الهيئة الليبية للبحث العلمي، طرابلس-ليبيا

ملخص: يسعى هذا البحث إلى الكشف عن الدور المأمول لمجالس المصالحة الوطنية في إعادة الاعتبار لمنظومة العلاقات والروابط الاجتماعية في المجتمع الليبي، حيث اعتمد الباحثان على منهجية الأنتروبولوجيا المروية، وعلى المنهج التاريخي والملاحظة السوسيولوجية، والمقابلات المعمقة، إضافة إلى التراكم المعرفي عن المجتمع الليبي، وينطلق هذا البحث من كون المجالس المصالحة الوطنية ساهمت في تجسير التفرقة، والانقسام ما بين أبناء المجتمع الواحد، والمحافظة على وحدة النسيج الاجتماعي، حيث كان لها دور في حلّ بعض الخلافات والصراعات المجتمعية، وكان هدفها الأساس حماية وتأكيد وحدة النسيج الاجتماعي، كما يهدف هذا البحث إلى توضيح أهم الركائز التي يعتمد عليها عمل مجالس المصالحة في المجتمع، وكذلك التعرّف على أهم العراقيل والتحديات التي تُواجه مجالس المصالحة في أداء أهدافها الوطنية، وتحديد أهم السُبل لدعم دور مجالس المصالحة في تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي، ويحاول هذا البحث أيضًا لفت انتباه المسؤولين في الدولة الليبية إلى الحاجة لوجود إرادة سياسية حقيقية لدعم مبادرات تلك المجالس، كما توصل البحث إلى الحاجة لوجود مؤسسات دولة قوية وفاعلة، والبحث عن حلول جذرية لإشكالية انتشار السلاح والجماعات المسلحة، والحاجة أيضًا إلى وجود تشريعات تدعو وتعزّز المصالحة الوطنية، وتفعيل دور وسائط التنشئة الاجتماعية في تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: المصالحة الوطنية، المجتمع الليبي، مجالس المصالحة، النسيج الاجتماعي، آفاق سوسيولوجية.

Sociological prospects for the role of the National Reconciliation Councils in supporting the unity of the social fabric.

(Libyan society as a model)

A.Salma Benomran **Prof.Hussein Mrgin**

Libyan Authority for Scientific Research- Libya, Tripoli

Abstract: This research seeks to uncover the hoped-for role of national reconciliation councils in rehabilitating the system of social relations and ties in Libyan society, as the two researchers relied on the methodology of narrated anthropology, on the historical method, sociological observation, and in-depth interviews, in addition to the accumulation of knowledge about the Libyan society, and this research starts The fact that the national reconciliation councils contributed to bridging the division and division between members of the same community, and preserving the unity of the social fabric, as they had a role in resolving some societal disputes and conflicts, and their primary goal was to protect and confirm the unity of the social fabric, This research also aims to clarify the most important pillars on which the work of reconciliation councils depends in society, as well as to identify the most important obstacles and challenges that reconciliation councils face in the performance of their national goals, and to identify the most important ways to support the role of reconciliation councils in strengthening the unity of the social fabric. This research also tries to draw attention to The attention of Libyan state officials to the need for a real political will to support the initiatives of these councils. The research also concluded the need for strong and effective state institutions, and the search for radical solutions to the problem of arms proliferation and armed groups, and the need for legislation that calls for and promotes national reconciliation, and activates the role of mediators. Socialization in strengthening the unity of the social fabric.

Keywords: National Reconciliation, Libyan society, Reconciliation councils, The social fabric- Sociological prospects.

01- مقدمة

بعد مرور حوالي تسعة سنوات على الحراك المجتمعي في ليبيا-مع بدايات العام 2011م- لا يزال يطفو على سطح المشهد المجتمعي ظاهرة تمزّق النسيج الاجتماعي؛ التي كان لها انعكاسات سلبية على السّلم الأهلي، والعيش المشترك والتسامح بين أبناء المجتمع الواحد، بالرغم من أن تلك الظاهرة لم تكن وليدة ذلك الحراك، إنما ساهمت سنوات حكم النظام السياسي السابق في تأصيل ذلك التمزّق الاجتماعي؛ فالحراك المجتمعي أدى إلى إسقاط النظام السياسي في ليبيا، وكان من

تداعيات ذلك السقوط بروز أزمات عديدة، أهمها انتشار السلاح، وتأسيس عدد من الجماعات المسلحة، مما أسهم في إنتاج واقعًا مجتمعيًا جديداً اتسم بانتشار الصراعات والانشقاقات القبلية والمناطقية، التي أدت إلى زعزعة شبكات العلاقات والروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، فأضعفت هذه التغييرات وحدة النسيج الاجتماعي .

وفي ظل هذه الظروف - الصراعات والانشقاقات - برز دور مجالس المصالحة الوطنية في السعي نحو تجسير التفرقة، والانقسام ما بين أبناء المجتمع الواحد، والمحافظة على وحدة النسيج الاجتماعي، حيث كان لها دور في حلّ بعض الخلافات والصراعات المجتمعية، وظهرت أيضًا العديد من اتفاقيات المصالحة بين القبائل والمناطق الليبية، والتي كان هدفها الأساس حماية وتأكيد وحدة النسيج الاجتماعي، إلا أنه ظهرت أيضًا العديد من العراقيل والتحدّيات الداخلية والخارجية التي حالت دون إنجاح جهود مجالس المصالحة وتنفيذ اتفاقياتها ومبادراتها، بالتالي فالأمر بحاجة إلى البحث والدراسة، بغية فهم طبيعة تلك المجالس، ومعرفة آليات عملها، والبحث عن العراقيل والتحديات التي تواجهها، والكشف عن جوانبها الإيجابية في دعم وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي.

02-إشكالية البحث:

تتركز إشكالية البحث في الانطلاق من فرضية ترى أنه مع سقوط النظام السياسي السابق(القذافي) وانهيار مؤسسات الدولة، أهمها مؤسستي الشرطة والجيش، بدأت تطفو على سطح المجتمع عدد من الصراعات والانشقاقات المجتمعية، جُلّها متعلق بمسألتي تحقيق المكاسب، والاستئثار بالسلطة؛ مما هدّد وحدة النسيج الاجتماعي في المجتمع الليبي، وتزامن ذلك مع خلل أو ضعف وظيفي في نسق السلطة الحاكمة، وعدم مقدرتها على فرض إرادتها على أطراف الصراع، وبشكل خاص القبائل والمناطق المنتصرة، فبرزت الانشقاقات والصراعات المجتمعية، كظاهرة التهجير القسري للقبائل والمناطق المنهزمة، ومع استمرار حالات الصراعات والانشقاقات المجتمعية، وضعف السلطة تارةً، وعجزها تارةً أخرى، تعاظم على السطح المجتمعي مجالس المصالحة الوطنية؛ وهي نتاج البناء الاجتماعي الموجود في المجتمع الليبي المبني على القرابة والنسب؛ - فهما يشكلان الرابطان الأساسيان للنظام الاجتماعي في ليبيا - كما ترى هذه الفرضية أيضًا بأن تلك مجالس المصالحة الوطنية - أمرًا ثابتًا وراسخًا تاريخيًا في المنظومة الاجتماعية في المجتمع الليبي بغض النظر عن طبيعة النظام السياسي الحاكم في ليبيا سواء أكان باشاوي، أم ملكي، أم جمهوري، أم جماهيري، حيث أصبح لهذه المجالس الاجتماعية مع مرور الوقت دينامية تتأقلم مع أيّ تغيير سياسي حاصل في ليبيا، مما يجعلها تعبر عن ثقافة المجتمع التي تحدد من خلالها منطلقات تنظيم المجتمع، ويجعلها في بعض الأحيان تعبر عن ذكراته الجمعية، ونظم مصالحه، وإدارة الشأن العام من مجال صراع والانشقاق إلى مجال المصالحة، كما ترتبط هذه المجالس بالمكّون الديني، ولذلك لقدرة الدين على التأثير في نفوس، وعقول أفراد المجتمع، وبشكل خاص في وقت الأزمات، وبالتالي ستتم الاستعانة بالاقتراب المؤسسي لهذه المجالس وذلك بغية فهم وتحليل طبيعتها.

03-تساؤلات البحث:

عمومًا فأن هذه الورقة تنطلق من تساؤل رئيس وهو:

- لماذا أخفقت جُلّ مجالس المصالحة الوطنية في تنفيذ اتفاقيات المصالحة؛ بالرغم من كون تلك المبادرات قامت بدور مهم في فضّ النزاعات والخلافات القبلية والمناطقية، وحماية وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي بين أبناء المجتمع الواحد؟

كما أن هذا التساؤل يدفعنا بالضرورة للتطرق إلى مجموعة من المواضيع التي نعتقد بأنها قادرة على طرح عدد إضافي من الأسئلة، والتي سوف تجعل موضوع الورقة ذو جديّة، وأن ذلك ربما سيزيل العتمة المضروبة حول عملية الإخفاق في الالتزام بتنفيذ اتفاقيات المصالحة، وأهم تلك التساؤلات هي:

1- ما طبيعة مجالس المصالحة في المجتمع الليبي؟

2- ما العوامل التي أثّرت في طبيعة وتكوين مجالس المصالحة، وشكّلت تصوراتها ورسمت فضاءاتها في المجتمع الليبي؟

3- ما العراقيل والتحديات التي تواجه مجالس المصالحة في تحقيق دعم وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي؟

4- ما السُبل المقترحة للارتقاء بدور مجالس المصالحة في دعم وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي؟

04-أهداف البحث:

بشكل عام فإن هذه الورقة تسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المتمثلة في الآتي:

1- توضيح أهم الركائز التي يعتمد عليها عمل مجالس المصالحة في المجتمع.

2- تحديد طبيعة عمل مجالس المصالحة في نشر قيم التسامح والتعايش السّلمي بين أفراد المجتمع الليبي.

3- تأصيل مبدأ المصالحة في بناء الدولة وبيان فاعليته بين مكونات المجتمع.

4- التعرّف على أهم العراقيل والتحديات التي تُواجه مجالس المصالحة في أداء أهدافها الوطنية.

5- تحديد أهم السُبل لدعم دور مجالس المصالحة في تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي.

05-أهمية البحث :

تبرز أهمية هذه الورقة إلى كونها تبحث عن الدور المأمول لمجالس المصالحة الوطنية في إعادة الاعتبار لمنظومة العلاقات والروابط الاجتماعية في المجتمع الليبي بعد بروز صراعات وانشقاقات القبلية بعد سقوط النظام السياسي 2011م، كما تعد دعوة لمراجعة وتقييم دور مجالس المصالحة دون انتقاص جهد أحد، وتحاول أيضًا لفت انتباه المسؤولين في الدولة الليبية إلى الحاجة لوجود إرادة سياسية حقيقية لدعم مبادرات تلك المجالس، وعلاوةً على ذلك، فإن هذا الجهد البحثي ربما سيُتيح عنه الخروج ببعض المقترحات والمسارات التي تُسهم في تشجيع وتحفيز أدوار مجالس المصالحة والقائمين عليها بما يراعي خصوصية المجتمع الليبي.

06-المنهجية: في ضوء الإشكالية المطروحة كان لزامًا القيام بعدد من الخطوات والإجراءات المنهجية أهمها:

أ- الولوج إلى بعض المحطات التاريخية المهمة لمعرفة دور مجالس المصالحة، ومسألة الصراعات والانشقاقات المجتمعية، وهو ما يفيد في التحليل السوسيولوجي التاريخي.

ب- استخدام مفهوم المصالحة الوطنية للدلالة على نبذ الممارسات التي تتسم بالعنف والقمع والاضطهاد بين أبناء الوطن الواحد، حيث تقوم بها بعض القبائل والمناطق المنتصرة في المجتمع، مما يهدّد وحدة النسيج الاجتماعي، والسعي إلى إحلال مفاهيم الصفح، والتسامح، والعدالة، والقبول بالآخر، والاعتراف بالأخطاء، وعدم تكرارها، وهي بذلك تعني تجاوز مرحلة الصراعات والانشقاقات المجتمعية إلى مرحلة تأصيل الاحساس بالانتماء إلى ليبيا الوطن، وبما يُوقظ علاقة القبائل بمجتمعها، ويحفّزها نحو حماية وتعزيز بناء النسيج الاجتماعي بين أبناء المجتمع الواحد.

ج- الاعتماد على عدد من وثائق واتفاقيات المصالحة الوطنية التي تم إبرامها وتوقيعها خلال مرحلة ما بعد 2011م، إضافةً إلى إجراء عدد من المقابلات مع عدد من مسؤولي المصالحة الوطنية.

د- اعتمد الباحثان على منهجية الأنتروبولوجيا المروية، وعلى المنهج التاريخي والملاحظة السوسيولوجية، والمقابلات المعمقة، إضافة إلى التراكم المعرفي عن المجتمع الليبي.

وكما نودّ التنويه إلى وجود إشكالية واجهت الباحثان؛ وهي شحّ المراجع والأدبيات حول الموضوع، والذي يمكن أن نبرره كونها تأتي ضمن الواقع المسكوت عنه، بالتالي يتجنبها أو يتجاهلها جُلّ البُحاث،

وسيتم تقسيم الورقة العلمية إلى أربعة مباحث رئيسة، سنُحاول من خلالها الولوج إلى إجابات للتساؤلات المطروحة، والمباحث هي:

- المبحث الأول: طبيعة مجالس المصالحة في المجتمع الليبي.
- المبحث الثاني: أهم العوامل التي أثّرت في طبيعة وتكوين مجالس المصالحة، وشكّلت تصوراتها ورسمت فضاءاتها في المجتمع الليبي.
- المبحث الثالث: أهم العراقيل والتحديات التي تواجه مجالس المصالحة في تحقيق دعم وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي.
- المبحث الرابع: أهم السُبل المقترحة للارتقاء بدور مجالس المصالحة في دعم وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي.

07-المبحث الأول: طبيعة مجالس المصالحة في المجتمع الليبي:

شهد المجتمع الليبي حراك مجتمعي العام 2011م، أدى إلى سقوط النظام السياسي، فكشف الحراك المجتمعي بنية المجتمع الليبي وجعله مكشوفًا في العراء، فأصبح هناك صراعات وانشقاقات مجتمعية ما بين قبائل منتصرة وأخرى مهزومة – مؤيدة للنظام السابق – ويري الباحثان بأن تداعيات ذلك الانقسام عزّزها عدد من العوامل أهمها، ضعف الحكومات التي تولت مسؤولية إدارة الدولة وعدم قدرتها على مواجهة القبائل المنتصرة في مرحلة ما بعد 2011م، إضافةً إلى انتشار السلاح، فأدى كل ذلك إلى زعزعة شبكات العلاقات المجتمعية بين أفراد المجتمع الواحد، فأضعفت واهتزت وحدة وبناء النسيج الاجتماعي، فتصدّر المشهد كما وذكرنا سابقًا مجالس المصالحة الوطنية.

إننا نعتقد بأن فهم الكثير من المسائل المرتبطة بمجالس المصالحة الوطنية لا يمكن فهمها بمعزل عن طبيعة المجتمع الليبي، كما أنه لا يمكن فهم طبيعة أيّ مجتمع دون الرجوع إلى تاريخه، فابن خلدون يقول: فهم الحاضر لا يتم إلا في ضوء فهم الماضي، بالتالي فإننا نعتقد بأن اكتشاف الدلائل والمضامين التاريخية سيؤدي إلى فهم أفضل لطبيعة المجتمع، ومن ثم سيُساعد على فهم ميكانيزما عمل مجالس المصالحة الوطنية، وبشكل عام يمكن رصد عدد من المحطات التاريخية ذات العلاقة بدور تلك المجالس في المجتمع الليبي، وهي:

-كان وصول أحمد القرمانلي إلى سُدة الحكم في ليبيا سنة 1711م، بعد مرحلة من الانقسامات والصراعات على الحكم (محمود أحمد أبوصوة، 2012، ص479)، حيث ما كان ليتحقق له ذلك لولا نصرة مجالس المصالحة الوطنية التي لعبت دوراً مهماً في حصوله على المبايعة من قبل الأهالي.

-وفي سنة 1752م تمكّنت مجالس المصالحة الوطنية من ردع مجموعة من المسلحين أرادوا الانقلاب على حكم محمد القرمانلي بعدما قتلوا شيخ البلد، وثلاثة أو أربعة من أعيان مدينة طرابلس، حيث خرجت مجموعات من الأهالي يهتفون باسم الباشا، مما أدى إلى هروب الانقلابيين (إتوري روسي، 1991، ص349- 350).

-وفي سنة 1767م جرت حرب أهلية في ليبيا بين قبائل أولاد سليمان، وقبائل الفرجان الداوون وعندما حاولت الحكومة آنذاك التدخل لإعادة الاستقرار كان النزاع قد فُضّ بسبب تدخل مجالس المصالحة الوطنية، وخلال نفس الفترة قامت قبائل أولاد سليمان بقيادة سيف النصر بمهاجمة معسكر حاكم مصراتة رمضان الأدغم، ولكن بفضل شيوخ المرابطين - أولاد أبوسيف - تمّ الوصول إلى صلح (رودلفو ميكاكي، ب.ت، ص99 ، 103).

-وجرت حرب أهلية أخرى في سنة 1792م، بعد الصراع على السلطة بين أبناء علي القرمانلي في حينها أُرسلت مجالس المصالحة الوطنية بعرائض إلى الدولة العثمانية من أجل مطالبة السلطان العثماني – خليفة المسلمين - بإرسال جنوده لإقرار النظام وإعادة الطمأنينة والأمان للبلاد (رودلفو ميكاكي، ب.ت، ص119).

-في سنة 1827م استعان يوسف القرمانلي بنفوذ شيوخ قبائل أولاد أبوسيف في تهدئة القلاقل الحاصلة في منطقة الجبل الغربي (إتوري روسي،1991، ص399).

-ونتيجة لضعف الدولة القرمانلية في سنة 1831م ظهرت مؤشرات الحرب الأهلية حيث دخلت قبائل أولاد سليمان بقيادة سيف النصر في صراع مع الدولة القرمانلية، وفي حينها تدخلت مجالس المصالحة من قبائل أولاد أبوسيف لعقد صلح بين قبائل أولاد سليمان والحكومة القرمانلية (رودلفو ميكاكي، ب.ت، ص231- 232).

-بعد دخول إيطاليا إلى ليبيا سنة 1911م، وهزيمتها في معركة القرضابية سنة 1915م، بدأت سلسلة من الحروب الأهلية في المجتمع الليبي، بسبب الصراع على الموارد الاقتصادية، والاستئثار بالسلطة وأهمها الحرب الأهلية بين مصراتة وترهونة سنة 1916م (الطاهر الزاوي، 2004، ص249- 250)، وفى سنة 1920م اندلعت حرب أهلية أخرى في منطقة الجبل الغربي، بين الزنتان والرجبان من جهة، وقبائل جادو، ويفرن ونالوت وكاباو من جهة أخرى، حيث

تشكّلت لجان أو مجالس مصالحة وطنية من عدد من القبائل الليبية لنزع فتيل تلك الحروب(الطاهر الزاوي، 2004، ص288- 289).

-وخلال العهد الملكي 1951- 1969م كان لمجالس المصالحة الوطنية دور في الشأن العام، فتمّ تأصيل هذا الدور من خلال استحداث مجلس للشيوخ ضمن السلطة التشريعية، وذلك إلى جانب مجلس النواب، حيث يقوم الملك باختيار أعضاء هذا المجلس من أهم الشخصيات في القبائل المؤثرة في المجتمع، وقام هذا المجلس بدور مهم في العديد من الأحداث والاحتجاجات الحاصلة في المجتمع، مثل: أحداث يناير 1964م، فعندما عجز النظام الملكي آنذاك عن مواجهة تلك الاحتجاجات لجأ إلى مجالس المصالحة الوطنية التي يُمثّلها مجلس الشيوخ لإنهاء الحالة الاحتجاجية وإخماد انتفاضة الطلاب والعمال ضد الحكم الملكي(حسين سالم مرجين، 2018، ص50).

-خلال فترة حكم القذافي 1969-2011م، بالرغم من استخدام النظام السياسي لممارسات اتسمت بدرجة عالية من العنف، إلا أن ذلك لم يمنع النظام من الالتجاء إلى مجالس المصالحة الاجتماعية في معالجة عدد من الأزمات، والمشاكل المجتمعية، باعتبارها إحدى مرتكزات حماية النظام، ووصل الأمر إلى تأسيس مجالس اجتماعية للمصالحة، تحت مُسمّى القيادات الشعبية الاجتماعية، وهي أشبه بشبكات تضامنات اجتماعية، ومارست هذه المجالس الضغوط على بعض القبائل من أجل تأكيد دعمها ومساندتها لرأس السلطة، وذلك لمنع حدوث أي احتجاجات مجتمعية(حسين سالم مرجين، 2018، ص 50)، كما لعبت دورًا مهمًا خلال الحراك المجتمعي في سنة 2011م، حيث طرحت مبادرات تدعو إلى رفض الخروج على السلطة، كما دعتّ القبائل الليبية إلى تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي من خلال لمّ شمل الليبيين تحت مظلة النظام السياسي.

وسنكتفي بهذه المحطات حيث لا نريد أن نحشو هذا المحور بمزيد من الأمثلة والشواهد التاريخية، وبشكل عام فإننا إذا أمعنا التفكير في ملامح تلك المحطات التاريخية، فسوف يتكشّف لنا سريعًا واقع تلك المجالس الاجتماعية – مجالس المصالحة -، ونستطيع من ثم الفهم والإلمام بطبيعتها، ويُمكن تسجيل عدد من الملاحظات أهمها:

-يلوح شبه إجماع حول تلازم مفهوم المصالحة الوطنية مع دخول المجتمع في أيّ حالة حرب سواء أكانت أهلية أم عدوان خارجي، حيث تنطلق أفكار المصالحة من أهمية المحافظة على وحدة النسيج الاجتماعي.

-ساهمت سنوات حكم النظام الملكي، وكذلك حكم نظام القذافي في تأصيل دور مجالس المصالحة في المجتمع الليبي، حيث تمكّنت تلك الأنظمة من توظيف – مجالس المصالحة الوطنية بما يُحافظ، ويحمي، ويُدافع، ويُعزز بقاء واستمرار السلطة.

-وبالتالي فإن مجالس المصالحة الوطنية لا تُشكل أيّ تهديد للسلطة؛ لأنها ليست بديلاً عنها، ولا منافسًا لها، وهذا هو مردّ قبولها لدى الأنظمة السياسية السابقة، فهي دائمًا خاضعة وداعمة، ومساندة لتلك الأنظمة.

-ويمكن اعتبار مجالس المصالحة الوطنية شكل من التضامنات الاجتماعية الآلية البدائية، فهي ليست جديدة على المجتمع الليبي، أو تمّ فرضها من قبل النظم السياسية الحاكمة، وإنما هي نتاج البناء الاجتماعي للمجتمع، القائم على صلات القرابة والنسب.

-إن استمرار وجود مجالس المصالحة الوطنية في المجتمع الليبي عبر حقب تاريخية مختلفة جعلها تُشكل جزء من ثقافته السياسية، وقد ساهمت في طرح عدد من المبادرات التي تدعو إلى نبذ العنف والصراع ونشر قيم التسامح وثقافة الحوار، وبشكل خاص مع بروز الأزمات أو المشكلات الاجتماعية والسياسية التي تهدّد وحدة النسيج الاجتماعي.

وخلاصة ما سبق يمكن اعتبار مجالس المصالحة الوطنية بأنها تُشكل التضامنات الاجتماعية البدائية في المجتمع الليبي، وذلك في حال حصول تمظهرات مجتمعية تهدّد وحدة النسيج الاجتماعي في المجتمع الليبي؛ كالحروب الأهلية، أو العدوان الخارجي، فتعمل الشبكات كتضامنات اجتماعية آلية يلجأ إليها أفراد المجتمع كتمثلات اجتماعية آمنة؛ لحماية اختلال النسيج الاجتماعي؛ نتيجة ضعف وعجز الحكومة، حيث تقوم بإدارة الشأن العام، "وتُتيح للأفراد القدرة على تنظيم وترتيب الإدراكات ليتمكنوا من توجيه تصرفاتهم داخل المحيط، ولها القدرة على وضع الضوابط مع أفراد الجماعة"(شاهيناز بن ملوكة، 2013، ص2)، وهي تُشكل بذلك ما أسماه دوركايم - العقل الجمعي -، والإلزام الأخلاقي نحو توجيه وضبط سلوك أفراد المجتمع نحو نبذ العنف، والخلاف، وقبول التسامح، والمصالحة، والعدالة، وحماية وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي، ومن ناحية أخرى يمكن الاقتراب أكثر من ميكانيزما مفهوم مجالس المصالحة الوطنية كممارسات مجتمعية، من خلال ما يُعرف بالهابيتوس الجمعي، بحسب ما يراها بيير بورديو، حيث يتم استحضار فعّال للتجارب التاريخية، أيّ أنه بمثابة ماضي يُفعل في الحاضر(صلاح الدين لعريني، 2014، ص68)، فهي تُعبر في ميكانيزما عملها عن العقل الجمعي والقيمي لأفراد المجتمع، حيث تقوم تلك المجالس باستدعاء قيم وممارسات مجتمعية سابقة، وتقوم بإعادة إنتاجها، لكي تضطلع بوظائف مرتبطة بحماية وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي.

ومن هنا فإن ثنائية العلاقة بين مجالس المصالحة الوطنية والحفاظ على وحدة النسيج الاجتماعي بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث، كما تبرز الحاجة أيضًا إلى البحث والكشف عن العوامل التي أثّرت في طبيعة عملها ومدى فعاليتها وقدرتها في التأثير واحتواء الانقسامات والانشقاقات ودورها في تحقيق التعايش السلّمي والاستقرار السياسي وهذا ما سيتم تناوله في المبحث التالي.

08-المبحث الثاني: أهم العوامل التي أثّرت في طبيعة وتكوين مجالس المصالحة، وشكّلت تصوراتها ورسمت فضاءاتها في المجتمع الليبي:

بادئ ذي بدء ينبغي التذكير بأن من أهم تداعيات الحراك المجتمعي في ليبيا العام 2011م، هو سقوط النظام السياسي، وانهيار مؤسسات الدولة وبشكل خاص مؤسستي الشرطة والجيش، - حيث يُشكلان منظومة الحماية الأمنية للمجتمع داخليًا وخارجيًا -، وكذلك انقسام المجتمع إلى مجموعتين؛ المجموعة الأولى تضم القبائل والمناطق المنتصرة، والمجموعة الثانية تضم القبائل والمناطق المنهزمة، وإذا أضفنا إلى هذا الانقسام والتشظي مسألة أخرى، وهي انتشار السلاح،

وانتشار الجماعات المسلحة التي أصبحت منتشرة في كل المدن والقرى الليبية، وتعمل وفقًا لتوجهات قبلية ومناطقية، وتأسيسًا على ذلك دخل المجتمع الليبي في عدد من التوترات العنيفة ما بين القبائل والمناطق المنتصرة من جهة، وقبائل ومناطق المنهزمة - المؤيدة للنظام السابق – من جهة أخرى، ووصل ببعض تلك التوترات إلى مرحلة الحروب الأهلية، وبشكل خاص في المنطقة الغربية، والجنوبية، نذكر أهمها على سبيل المثال: الزنتان ضد المشاشية، ونالوت وكاباو ضد الصيعان، وغريان ضد الأصابعة، وككله ضد القواليش، وزواره ضد النوائل، والزاوية ضد ورشفانة، والتبو ضد الطوارق والزويه، وأولاد سليمان ضد القذاذفه، ومصراتة ضد ورفله[1]، ومع استمرار وتيرة تلك التوترات تارةً، وانتقالها إلى مرحلة الحروب الأهلية تارةً أخرى، إضافةً إلى استمرار تفشي تمظهرات الخلل أو الضعف الوظيفي في السلطة الحاكمة – الجديدة - خلال مرحلة ما بعد 2011م، وعدم مقدرتها على مجابهة حالات عدم الاستقرار الأمني، وفرض إرادتها على القبائل والمناطق المنتصرة، - وهذا البعد الأخير غاية في الأهمية - ويري الباحثان بأنه أمام هذا الخلل والضعف للسلطة – الجديدة - أفسح المجال أمام العقل الجمعي للمجتمع لاستدعاء قوانين التاريخ لتبرز التضامنات الاجتماعية البدائية كتمثلات اجتماعية آمنة؛ - كرؤية وممارسة - وتقوم بدورها السوسيوتاريخي، في محاولة للتغلب على حالات الانقسامات، والانشقاقات المجتمعية، وتصدع النسيج الاجتماعي الذي أصاب المجتمع الليبي، فطفت على سطح المجتمع مجالس المصالحة الوطنية كاستجابة لاحتياجات المجتمع إلى العدالة، وقيم التسامح، ونبذ العنف، ولتعالج بذلك حالات اختلال وتصدع وحدة النسيج الاجتماعي، فاستمدت تلك المجالس تصوراتها، ورسمت فضاءاتها من خلال استدعاء بعض القيم الأخلاقية السابقة، وإعادة إنتاج ممارساتها، مما جعلها بذلك تُدير الشأن العام.

إن مكانيزما عمل مجالس المصالحة تتسم بالبساطة الشديدة، وبدائية آليات ممارساتها، حيث تستمد جُلّ ممارساتها من خلال إعادة إنتاج ممارسات مجالس المصالحة والقيم الأخلاقية القديمة، فعند حدوث أيّ توتر عنيف، أو الدخول في مرحلة الحرب الأهلية، عندئذ تبدأ هذه المجالس بالعمل الآلي من خلال الخطوات الأتية(1):

-تواصل بعض الشخصيات القبلية- المؤثرة- فيما بينها من خلال الاجتماع فيما يُسمى "بالمرابيع" في محاولة لمعرفة الأسباب الحقيقية للتوتّر أو الحرب، وهذه العملية تتمّ بمبادرة فردية من قبل أحد تلك الشخصيات، وهذه المبادرة تكون أحيانًا نابعة من الانتماء الوطني بأهمية الحفاظ على السّلم الاجتماعي، كما تكون في بعض الأحيان نابعة من مصالح قبلية أو شخصية.

---

[1] - قبائل الزنتان والمشاشية ونالوت وكاباو والصيعان تقطن في منطقة الجبل الغربي، في حين أن قبائل النوائل والزاوية وزاروة تقطن الساحل الغربي من طرابلس، وقبائل ورفلة والزويه وأولاد سليمان والقذاذفة تقطن المنقطة الوسطى والجنوبية، في حين تقطن قبائل الطوارق والتبو المناطق الجنوبية.

وتحكم العلاقات بين تلك القبائل ما يسمي بالصفوف، وهي تحالفات قبلية قديمة لا تزال قائمة حتى الآن، وهي صف يوسف شداد، وصف البحر، والصف الفوقي في شرق وشمال طرابلس، وصف القبلة وفزان، ولا تزال هذه التحالفات قائمة رغم قِدمها، والصراع والخصومات بين هذه القبائل يأتي في إطار خصام وتحالفات الصفوف المشار إليه والذي تحكمه مصالح تلك القبائل وهي في الحقيقة مصالح بعيدة عن أي رؤية وطنية جامعة.

(1) تمّ صياغة هذه الخطوات بناءً على عدد من المقابلات مع بعض مسؤولي مجالس المصالحة وهم: إ.ل ، م.م ، م.ق، ع.ح، م.ه.

-السعي الحثيث والسريع نحو تشكيل فريق قبلي، يضمّ في عضويته جُلّ القبائل المؤثرة أو الراغبة في المشاركة ضمن الفريق.

-تقوم كل قبيلة بترشيح عدد محدّد من أفرادها، وفي العادة يكونون ممن لديهم سجل تاريخي حافل وتجارب عديدة في عمليات المصالحة، وقد يصل عدد أعضاء القبيلة الواحدة المشاركين في فريق المصالحة من 5 إلى 10 أشخاص، وهذا الأمر متوقف على حجم القبيلة، وتأثيرها على الأطراف المتصارعة.

-قيام فريق المصالحة بعقد ما يُسمى بالميعاد، وهو موعد زمني ومكاني محدّد يتم الاتفاق عليه بين كل الأعضاء المشاركين في فريق المصالحة؛ بغية مناقشة ترتيبات وآليات عمل الفريق، حيث يتم تشكيل مجموعة مصغّرة تُمثّل كل الأعضاء، ويتم تحديد رئيس لها يكون مسؤول أمام كل الأعضاء عن كل مجريات التواصل والحوار مع الأطراف المتصارعة، وصولاً إلى عقد اتفاقيات المصالحة، ويتم اختيار رئيس المجموعة في العادة الأكبر سنًا، والأرفع قدرًا أو الأكثر خبرة ودراية بعمليات المصالحة، كما أنه قد يمتلك الوعي الكافي الذي يُمكّنه من التعامل مع الأحداث الطارئة خلال عمليات التفاوض.

-قيام المجموعة المصغّرة بالاتصال بالأطراف المتنازعة وتوضيح ماهيتها، وتركيبها القبلي، وأهدافها، والحصول على موافقة مبدئية بالدخول في تواصل وحوار مع تلك الأطراف.

-الاتفاق على تحديد ميعاد، وهذه المرة يتم تحديد مكان، وزمان الاجتماع بين المجموعة المصغّرة والأطراف المتصارعة، حيث يتم الاجتماع أو اللقاء بكل طرف على حدة، ويتم خلال – الميعاد - الاستماع إلى أطراف الصراع والتعرّف على الأسباب التي أدّت إلى وجود حالات التوتّر والصراع والتدابير المتخذة بشأنها، بعد ذلك يقوم رئيس المجموعة المصغّرة بعرض وجهة نظر الفريق بالكامل، ويوضّح الأسباب التي دعت القبائل إلى تشكيل فريق المصالحة، كما يُبيّن أهمية الحفاظ على السّلم الأهلي، ووحدة النسيج الاجتماعي، مدعمًا كلمته بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التي تنبذ العنف وتحرّم دمّ المسلم، وتدعو إلى العفو والتسامح، والترغيب فيهما، كما يطلب رئيس المجموعة المصغّرة من أطراف الصراع وقف كل حالات التوتر، أو وقف إطلاق النار في حالات الحرب، بهدف إفساح المجال للتواصل والحوار.

-قد تستغرق فترات التواصل والحوار بين الأطراف المتصارعة عدة أيام، حتى يتم الوصول إلى عقد اتفاقيات المصالحة بين الأطراف المتصارعة، مع ملاحظة أن المجموعة المصغّرة تقوم بإعلام الأعضاء كافةً بمجريات الأمور، ووضعهم في صورة التفاوض الجاري، ويجب أن يكون فريق المصالحة بكل أعضائه في حالة تأهب إذا طلبت المجموعة المصغّرة أيّ دعم أو مساندة.

-بعد الوصول إلى اتفاق بين الأطراف المتصارعة، يتم تحديد ميعاد آخر، وهذه المرة عبارة عن زمان ومكان توقيع اتفاق المصالحة، وبحضور أطراف الصراع، إضافةً إلى حضور أعضاء فريق المصالحة كافةً، كما يتم أحيانًا أخرى توجيه دعوة إلى بعض المسؤولين في الحكومة لحضور مراسم توقيع الاتفاق.

وتأسيساً على ما تقدم فإن السؤال الذي يتبادر للذهن هنا هو: ما هي المعايير الواجب توافرها في أعضاء فريق مجالس المصالحة الوطنية؟

في الحقيقة وبحسب ما توفر لدينا من معلومات سنُحاول رصد عدد من المعايير الواجب توافرها في أعضاء فريق المصالحة، وهي (إبراهيم لياس، مقابلة شخصية، بتاريخ: 2018/11/6م):

- أن يكون عضو المصالحة من المعروفين على المستوى الاجتماعي.
- أن يكون لديه تراكم وخبرة معرفية بعمليات المصالحة.
- أن يكون لديه ثقل اجتماعي في قبيلته.
- أن يكون – بقدر الإمكان- ليس لديه أيّ انتماء حزبي أو سياسي.
- أن يكون على دراية بتاريخ القبائل، والتحالفات القبلية.

كما يقتضي الحديث عن معايير الانتماء إلى مجالس المصالحة الوطنية البحث عن مراحل تطور مجالس المصالحة الوطنية خلال مرحلة ما بعد الحراك المجتمعي 2011م، حيث نعتقد بأن ذلك سوف يُسهم في توضيح المزيد عن طبيعة عمل تلك المجالس إضافةً إلى فهم تكوينها وتشكّل تصوراتها وآليات رسم فضاءاتها في المجتمع الليبي، وتلك المراحل تتمثل في الآتي:

المرحلة الأولى 2011 حتى بدايات 2012م:

بدأت هذه المرحلة بعد سقوط النظام السياسي مباشرة، وانهيار مؤسسات الدولة، حيث بدأت القبائل والمناطق المنتصرة تبحث عن مسألة إعادة توزيع المكاسب، سواء أكانت الاقتصادية، أم السياسية، مما دفع بالقبائل المنتصرة إلى فرض إرادتها على القبائل والمناطق المنهزمة، ووصل الأمر إلى قيامها بمعاقبة كل من يخالفها، في محاولة منها لحماية مكاسبها ومصالحها الجديدة، والمحافظة عليها، فبرزت ظاهرة التهجير القسري لبعض القبائل والمناطق المنهزمة، فأثّر ذلك على وحدة النسيج الاجتماعي في ليبيا، كل ذلك تزامن مع ضعف السلطة – الجديدة – تارةً، وعجزها تارةً أخرى عن القيام بوظائفها خاصةً فيما يتعلق بحماية والدفاع عن وحدة النسيج الاجتماعي لأبناء الوطن، وبشكل عام فأنه يمكن تحديد أهم ملامح هذه المرحلة في النقاط التالية:

-تصدع النسيج الاجتماعي في ليبيا المقترن بتعدد التوترات، والصراعات بين القبائل والمناطق المنتصرة من جهة، والقبائل والمناطق المنهزمة من جهة أخرى، وأهم تلك التوترات والصراعات القبلية هي: الزنتان ضد المشاشية والرياينة، وزوارة ضد النوائل، وغريان ضد الأصابعة، وككله ضد القواليش، ويفرن ضد المشاشية، مصراتة ضد تاورغاء.

-دفعت هذه التوترات والصراعات إلى بروز ظاهرة التهجير القسري للقبائل والمناطق المنهزمة.

-بروز عدد من مجالس المصالحة الوطنية؛ نتيجة للضعف والتدهور الذي أصاب مؤسسات الدولة، حيث أصبحت السلطة عاجزة عن مواجهة القبائل والمناطق المنتصرة.

-بدأت بعض مجالس المصالحة الوطنية بالتسجيل ضمن الجمعيات الأهلية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية، حيث وصل عدد تلك المجالس ذات العلاقة بالمصالحة حوالي خمس مؤسسات أهمها: مجموعة الوفاق الوطنية، وجمعية المصالحة الوطنية والتسامح، وجمعية أجنحة السلام، والتجمع الليبي للتنمية والإصلاح، والجمعية الليبية للسلام وحقوق الإنسان، وتمّ تأسيس جُلّها بمدينة طرابلس، بعد ذلك مدينة الخمس (حاتم الككلي، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2017/6/25م).

ونخلص من كل ما تقدم أنه بالرغم من وجود إطار قانوني ومؤسسي لعمل مجالس المصالحة- والمتمثل في تراخيص أو إذن مزاولة من الحكومة- خلال هذه مرحلة إلا أن آليات عملها الفعلي لم تستطع تجاوز الحدود المرسومة لها في العقل الجمعي للمجتمع، حيث تفتقر ممارساتها الفعلية إلى آليات التفكير والتخطيط المؤسسي، فأصبحت تلك المجالس عبارة عن تجمّع مرخّص له من قبل السلطة يضم في عضويته عدد من أفراد المجتمع، لديهم تواصل اجتماعي مسبق، قد يكون من خلال القرابة، أو المنطقة، أو الصداقة، أو غير ذلك، ويرغبون في القيام بمهام المصالحة الوطنية، انطلاقًا من اعتقادهم بامتلاك الخبرات، والكفايات، أو المكانة الاجتماعية، أو الدينية التي تؤهلهم للقيام بذلك، كما أن منطلقات مشاركتهم مختلفة، فهناك من يرى فيها واجب ديني ووطني، وهناك من يُشارك من أجل تحقيق أهداف قبلية، أو مناطقية، وهناك من يُشارك لأسباب شخصية؛ حيث يرى فيها فرصة لتحقيق الذات وفرض الوجود.

المرحلة الثانية 2012- 2014م:

يري الباحثان بأن هذه المرحلة بدأت مع الانتهاء من انتخابات المؤتمر الوطني 2012م، وانتخاب حكومة جديدة، حيث كشفت هذه المرحلة مدى ضعف السلطة، وانهيار مؤسسات الدولة، وبشكل خاص مؤسستي الجيش والشرطة، الأمر الذي شجّع القبائل والمناطق المنتصرة على الاستمرار في العديد من أعمال العنف ضد القبائل والمناطق المنهزمة، أو المنافسين لهم، ويمكن تحديد أهم سمات هذه المرحلة بالتالي:

-استمرار ممارسة العنف وازدياد حدّته من قبل القبائل والمناطق المنتصرة تجاه القبائل والمناطق المنهزمة، كما فرضت عليها بعض العقوبات مثل التهجير القسري، وتقليل حجم مشاركتها السياسية تارةً، وحرمانها من تلك المشاركة تارةً أخرى.

-بعد اخضاع القبائل المنهزمة، أصبح هناك صراع ما بين القبائل والمناطق المنتصرة فيما بينها، ووصلت حدة هذا الصراع إلى مرحلة الحرب الأهلية سنة 2014م، حيث قادت مصراتة عملية عسكرية عُرفت باسم فجر ليبيا بمشاركة عدد من القبائل والمناطق المؤيدة لها، بهدف إخراج الزنتان من طرابلس، كما بيّنت تلك الحرب استمرار ضعف السلطة وعجزها عن التدخل لإنهاء تلك الحرب.

-نتج عن حرب 2014م عمليات تهجير قسري جديدة، حيث تمّ تهجير سكان قبائل الزنتان والرجبان المقيمون بمدينة طرابلس، بالمقابل تمّ تهجير سكان ككله من منطقة الجبل الغربي.

-شهدت المنطقة الشرقية سنة 2014م حالات حرب أيضًا، حيث نشبت معارك عنيفة في مدينة بنغازي بين قوات تابعة لما يُعرف بعملية الكرامة، وأخرى تابعة لما يُعرف بمجلس شورى ثوار بنغازي، مما أدى إلى بروز حالات التهجير الاضطراري لعدد كبير من سكان مدينة بنغازي نتيجة لتلك الحرب.

-فشلت جهود مجالس المصالحة الوطنية في إخماد الحروب الأهلية أو التقليل من نتائجها، وذلك بالرغم من وجود عدد كبير من مجالس المصالحة الوطنية التي تمّ تأسيسها خلال هذه الفترة، ويرجع ذلك لعدم رغبة الأطراف المتصارعة في الوصول إلى حلّ النزاعات بالطرق السلمية، فتمّ رفض استقبال كل مجالس المصالحة سواء في المنطقة الغربية أو المنطقة الشرقية.

-أصبحت مسألة المصالحة الوطنية أكبر من موضوع فتح حوار وتواصل بين قبلتين، حيث تضمنت موضوعات متعلقة بتوزيع الموارد الاقتصادية، وتوزيع المناصب السياسية، إضافةً إلى ضمانات التوزيع بشكل عادل، وضمان استمرار ما يتم الاتفاق عليه.

-أصبح تأسيس مجالس المصالحة الوطنية يدخل ضمن صلاحيات وزارة الثقافة ومؤسسات المجتمع المدني، حيث تمّ تسجيل عدد كبير من مجالس المصالحة والتي وصل عددها إلى (51) مؤسسة (حاتم الككلي، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2017/6/25م).

-أهم مجالس المصالحة التي تمّ تأسيسها خلال هذه الفترة هي: جمعية الوفاق والمصالحة الوطنية، وهيئة الخدمة الاجتماعية للمصالحة الوطنية والإصلاح، وجمعية الوطن للجميع للمصالحة الوطنية، ومجلس حكماء ليبيا، ومجلس الحكماء والشورى، وجمعية 20 من رمضان للعدالة والمصالحة الوطنية، والمنظمة الوطنية للمصالحة الوطنية والسلم الاجتماعي، ومجلس الحكماء والشورى والإصلاح أولاد أبوسيف، وجمعية رفاق الشهداء لدعم المصالحة الوطنية واللحمة الوطنية، ومجلس أعيان ليبيا للمصالحة الوطنية، ومجلس طرابلس للحكماء والمصالحة (حاتم الككلي، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2017/6/25م).

-لم يعد تأسيس مجالس المصالحة الوطنية مقتصراً على مدينة طرابلس؛ إنما أصبح هناك تنوع في عدد المدن والمناطق، كما أنه بالرغم من زيادة عدد هذه المجالس خلال هذه المرحلة إلا أنه لا تزال آليات عملها تتم وفق ما يُعرف بالتضامنات الاجتماعية البدائية، المتميزة ببساطة أدائها.

المرحلة الثالثة 2015- 2016م:

بدأت هذه المرحلة مع بدايات حصول الانقسام المجتمعي بعد الحرب الأهلية 2014م، فأصبح هناك حكومتان، الأولى في المنطقة الشرقية، والثانية في المنطقة الغربية، كما أصبحت عمليات المصالحة الوطنية مرتبطة إلى حدٍ كبير بالحسابات الدولية، التي تفرضها مصالح الدول الإقليمية والدولية، فعمليات المصالحة الوطنية خلال هذه المرحلة كان يتم فرضها كرهًا تارةً، أو طوعًا تارةً أخرى على الأطراف المتصارعة؛ وذلك حسب مصالح دول وأطراف خارجية، فيما تراجع دور مجالس المصالحة الوطنية إلى الخلف؛ لأسباب أهمها:

-عدم وجود مشروع وطني موحّد للمصالحة الوطنية.

-حدوث انقسامات وانشقاقات في مجالس المصالحة الوطنية، متأثّرة بحالات الانقسام الحاصلة في المجتمع والسلطة.

-استمرار انتشار السلاح، وتأسيس الجماعات المسلحة وما ترتب عليه من زيادة حالات الفوضى وانعدام حالات الاستقرار الأمني التي عمّت جُلّ أنحاء البلاد.

-استمرار عجز وضعف السلطة سواء في المنطقة الشرقية أم المنطقة الغربية، فهيأت تلك الظروف لاستمرار العديد من التوترات والصراعات العنيفة في المجتمع، والتي اتخذت أشكالاً متعددة، منها استمرار الحرب الأهلية في المنطقة الغربية بين الزنتان ومصراتة، والحرب الأهلية بين الطوارق والتبو، وانتشار حالات الاختطاف والقتل على الهوية، ويرى الباحثان بأن كل ذلك أفقد قدرة وإمكانات المجالس– شبكات- المصالحة على التحرك، ومواجهة تلك الانقسامات

والانشقاقات، فاتسع الخرق على الراقع، وتقلّص دور تلك المجالس في عمليات المصالحة الوطنية.
-وإذا أضفنا إلى كل ما سبق حقيقة مهمة، وهي أن تعدّد واتساع حالات الانقسامات، والانشقاقات في المجتمع، وتضمين موضوعات متعلقة بالموارد الاقتصادية، وتوزيع المناصب السياسية ضمن عمليات المصالحة الوطنية خلال هذه المرحلة، جعل عمليات المصالحة الوطنية أكبر من أن يتم استيعابها من خلال مجالس – شبكات- مصالحة وطنية المحدودة القدرات، والموارد، والإمكانات، والتي تعمل وفقًا لممارسات قديمة يتم إعادة انتاجها وحسب، فأصبحت مسألة المصالحة الوطنية مرتبطة إلى حدٍ كبير بالمصالح والحسابات الدولية، ومن ثم جرت عمليات الحوار والتفاوض حول مسالتي الموارد الاقتصادية وتوزيع المناصب السياسية خارج البلاد وبرعاية دولية.
وعمومًا فأنه بالرغم من الظروف سالفة الذكر إلا أن مجالس المصالحة الوطنية نجحت في دفع بعض الأطراف المتصارعة إلى توقيع اتفاقيات مصالحة، وبشكل عام يمكن رصد أهم سمات هذه المرحلة في التالي:
-أصبحت مسألة المصالحة الوطنية مرتبطة خلال هذه المرحلة بحسابات دولية؛ فتمكّنت دولة قطر مثلاً من دفع قبيلتي الطوارق والتبو – طوعًا - إلى توقيع اتفاق مصالحة يُنهي حالات الاقتتال في نوفمبر 2015م، كما قامت الأمم المتحدة برعاية اتفاق مصالحة بين مصراتة وقبائل العبيدات في تونس 19 أغسطس 2016م، وعملت أيضًا دولة قطر برعاية مؤتمر للمصالحة عُقد في الدوحة في شهر مايو 2016م، حيث تضمن المؤتمر مجموعة من النقاط أهمها: أهمية توافق الليبيين على العفو العام، وطي صفحات الماضي، أهمية إصدار قانون للمصالحة الوطنية الشاملة، أهمية إعادة النظر في كل التشريعات المانعة للمصالحة والاستقرار.(بيان مؤتمر المصالحة الدوحة، بتاريخ 3 مايو 2016م)
-كما دفعت الدول الإقليمية والدولية - من خلال الأمم المتحدة - طوعًا وكرهًا أطراف الصراع في ليبيا للحوار في المملكة المغربية، حيث ناقشت أطراف الصراع هذه المرة الموضوعات التي عجزت مجالس المصالحة الوطنية عن طرحها، وهي مسالتي توزيع الموارد الاقتصادية، والمناصب السياسية، فتمخّض عن ذلك الحوار توقيع اتفاق الصخيرات في 17 نوفمبر 2015م، والذي نتج عنه تشكيل حكومة وفاق وطني.
-أصبح هناك انقسام في مجالس المصالحة الوطنية، متأثرة بالانقسام الحاصل في المجتمع والسلطة، حيث أصبح هناك مجالس مصالحة مرتبطة بحكومة المنطقة الغربية، وأخرى مرتبطة بحكومة المنطقة الشرقية.
-بالرغم من تقليص دور مجالس المصالحة خلال هذه المرحلة، إلا أنه يُلاحظ استمرار لتأسيس عدد من مجالس – شبكات- المصالحة الوطنية حيث وصل عددها حوالي (10) مجالس، أهمها الجمعية الليبية للإصلاح الاجتماعي، ومنظمة كنزا للسلم الاجتماعي والمصالحة الوطنية، ومؤسسة مجلس شيوخ ليبيا، ومنظمة السلام الآن للمصالحة، والمنظمة الليبية للعدالة الانتقالية،

ومنظمة سلم للمصالحة والتنمية والإغاثة (حاتم الككلي، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2017/6/25م).

-قيام مجالس المصالحة الوطنية بمساعي حثيثة من أجل عقد مؤتمر وطني للمصالحة الوطنية، فعُقد ملتقى نالوت للمصالحة والوحدة الوطنية في 27 سبتمبر 2017م، والذي أكّد على رفض جميع أشكال التدخل الأجنبي في الشأن الليبي الداخلي، ورفض أية اجتماعات تخص ليبيا تقام خارج حدودها، والتأكيد على الحوار الليبي- الليبي، بالإضافة إلى دعم مؤسسات الدولة المتمثلة في الجيش والشرطة والقضاء تحت شرعية الدولة الليبية، وتشكيل لجان تقوم برسم خارطة طريق للمصالحة الوطنية (بيان ملتقي نالوت للمصالحة، بتاريخ 27 سبتمبر 2016م).

-كما عملت مجالس المصالحة خلال هذه المرحلة على عقد مجموعة من اتفاقيات المصالحة بين القبائل والمناطق الليبية مثل : عقد اتفاق مصالحة بين قبيلتي الزنتان وككله في 6 فبراير 2016م، ولقاء المصالحة بين قبيلتي الزنتان والجرامنة في 27 سبتمبر 2016م، وتوقيع اتفاقية مصالحة بين أولاد سليمان والتبو في 6 أكتوبر 2016م، والاتفاق حول إيقاف القتال بين قبيلتي المشاشية وقنطرار في 12 أكتوبر 2016م، وتوقيع اتفاق مصالحة بين منطقتي ترهونة وورشفانة في أكتوبر 2016م، واتفاقية التعايش السلّمي بين قبيلتي أولاد سليمان والقذاذفة الموقّعة في 4 ديسمبر 2016م (إبراهيم لياس، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2018/11/6م).

المرحلة الرابعة 2017- 2018م:

بدأت هذه المرحلة مع بدايات العام 2017م، حيث شهد المجتمع الليبي تحسنًا نسبيًا في النواحي الأمنية، كما أنه بالرغم من حالات الضعف والتدهور الذي أصاب مجالس – شبكات- المصالحة الوطنية خلال المرحلة السابقة؛ إلا أنها لم تفقد كل ثقلها الاجتماعي، حيث استطاعت هذه المجالس عقد سلسلة من اتفاقيات المصالحة الوطنية بين عدد من القبائل والمدن الليبية، التي تهدف إلى تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي، لعل أهمها:

-اتفاق المصالحة بين قبائل الزنتان والمشاشية والقنطرار في 18 مايو 2017م، بمدينة الأصابعة، حيث أكّد الاتفاق على أن تتولى لجنة المصالحة متابعة ملف الخدمات والصيانة والتعويض عن الأضرار وإزالة مخلفات الحرب في كل المناطق المذكورة لدى الجهات الرسمية المعنية بذلك من خلال لجنة تُشكّل لهذا الغرض (اتفاق بين الزنتان والمشاشية والقنطرار، 2017م).

-اتفاق المصالحة بين قبائل الطوارق والتبو بمدينة أوباري في 26 مايو 2017م.

-اتفاق المصالحة بين أولاد سليمان والتبو في 3 يوليو 2017م.

-اتفاق مصالحة بين الزنتان ومصراتة في 28 مارس 2018م، والذي يعتبر أهم حدث خلال هذه المرحلة حيث أكّدت بنود الاتفاق على " العمل من أجل المصالحة الشاملة وعدم السماح بتقسيم البلاد".(اتفاق المصالحة بين الزنتان ومصراتة، بتاريخ 28 مارس 2018م).

-اتفاق المصالحة بين الزنتان والزاوية الذي وُقع في 18 أبريل 2018م، حيث تمّ الاتفاق على" محاربة الإرهاب وحرمة الدّم الليبي وإصلاح النسيج الاجتماعي الذي مزقته الصراعات المسلحة "(اتفاق المصالحة بين الزنتان والزاوية، بتاريخ 18 أبريل 2018م).

-الاتفاق على إعلان ميثاق شرف بين مدن: الزنتان، وترهونة، ومصراتة في 13 مايو 2018م، حيث نصّت بنوده على" حرمة الدّم الليبي وتحريم وقوع أي تصادم مسلح أو التلويح به بين المدن واللجوء للحوار في أي خلاف، ودعوة كافة الليبيين إلى دعم هذا الاتفاق وإنجاح جهود المصالحة الشاملة في كامل التراب الليبي" (اتفاق على إعلان ميثاق شرف بين مدن: الزنتان، وترهونة، ومصراتة، بتاريخ 13 مايو 2018م).

-كما سعت هذه المجالس – الشبكات- إلى عقد سلسلة من الملتقيات الوطنية التي تهدف إلى تعزيز الانتماء الوطني، فعُقد على سبيل المثال الملتقى التحضيري للمصالحة الوطنية للقبائل الليبية بترهونة في العام 2017م، كما أن استمرار انقسام السلطة وضعفها أفسح المجال واسعًا أمام زيادة التدخل الدولي في مسألة المصالحة الوطنية، فمثلاً تمّ عقد اتفاق مصالحة بين قبيلتي أولاد سليمان، والتبو في إيطاليا في 27 مارس 2017م، كما قامت الأمم المتحدة برعاية لقاء بين قبيلتي التبو والزوية في تونس أسفر عن توقيع اتفاق مصالحة في 23 فبراير2018م بمدينة الكفرة، وبشكل عام يمكن تحديد سمات هذه المرحلة في التالي:

- لا يزال جُلّ أعمال وممارسات مجالس المصالحة – قائمة على شخص رئيس المؤسسة، وعدد محدود من الأعضاء المحيطين به.

- استطاعت الأمم المتحدة خلال هذه المرحلة رعاية عدد من اتفاقيات المصالحة، أهمها إبرام ميثاق للمصالحة بين مدينتي مصراتة وتاورغاء في 4 يونيو 2018م، بعدما عجزت جهود مجالس المصالحة الليبية الولوج لهذا الملف.

- بالرغم من كون عمل مجالس المصالحة الوطنية عمل تطوعي؛ إلا أنه شهد إقبالاً خلال هذه المرحلة، ومردّ ذلك حسب اعتقادنا يرجع إلى حالات الاستقرار الأمني النسبي التي شهدها المجتمع الليبي خلال هذه المرحلة.

- أصبح هناك دور للمرأة في مجالس المصالحة الوطنية فعُقد مثلاً في 7 و8 نوفمبر 2017م، اجتماع نسائي من قبيلتي أولاد سليمان والقذاذفة، حيث تمّ الاتفاق على تعزيز عملية السلام في جنوب ليبيا، وإعطاء دور أقوى للمرأة في عمليات السلام، ودعم إنشاء شبكة نسائية لصنع السلام والمصالحة (بيان من النساء المشاركات في اجتماع حوار أولاد سليمان والقذاذفة في طرابلس 7 و8 نوفمبر 2017م)، كما عُقد في 21 أكتوبر 2018م اجتماع نسائي بين مصراتة وتاورغاء، وذلك بغية تفعيل اتفاق المصالحة الموقع بين الطرفين.

- تمّ خلال هذه المرحلة تأسيس عدد من مجالس المصالحة، حيث بلغ عددها خلال العام 2017م، حوالي (7) مؤسسات، وهي منظمة رؤية واحدة للتنمية المستدامة والسلم الاجتماعي، المجلس الأعلى للمصالحة الوطنية، والمنظمة الليبية لتعزيز تكوين مجلس الشيوخ الليبي، والمنظمة الليبية للحوار والمصالحة، والمنظمة المغاربية للسلم والمصالحة، والمنظمة الليبية للمصالحة والسلام وحقوق الأسرة، حيث تأسست جميعها بمدينة طرابلس (حاتم الككلي، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2017/6/25م).

وأخيرًا فإنه يمكن القول بوجود فروقًا نسبية قد تجلّت أمامنا بين هذه المراحل المختلفة، فمعظم مجالس – شبكات- المصالحة الوطنية تمّ تأسيسها بناءً على قرارات صادرة عن جهات حكومية

رسمية، كما أن الانتماء إلى هذه المجالس – الشبكات- كان يتم في العادة وفقًا لعلاقات اجتماعية مسبقة، كما كانت جُلّ تلك المجالس– الشبكات- تفتقر إلى وجود الإطار المؤسسي سواء على مستوى التفكير، أم التخطيط، أم الممارسة، بالتالي فإن نجاعة مجالس المصالحة أصبح متوقف إلى حدٍ كبير على شخصية من يقود تلك المجالس، كما يمكن ملاحظة أيضًا أن أغلب تلك المجالس تمّ تأسيسها في مدينة طرابلس ربما يعود إلى وجود وزارة الثقافة ومؤسسات المجتمع المدني - الجهة المانحة لإذن المزاولة - بالعاصمة، إضافةً إلى تمتّع طرابلس بثقل سياسي واجتماعي واقتصادي، حيث وصل عدد مجالس المصالحة الوطنية المسجلة لدى وزارة الثقافة ومؤسسات المجتمع المدني حتى العام 2017م، حوالي (68) مؤسسة (حاتم الككلي، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2017/6/25).

وهذا يدفعنا إلى طرح تساؤل مهم عن: أهم العراقيل والتحدّيات التي واجهت مجالس المصالحة في تحقيق وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي في المجتمع الليبي.

09-المبحث الثالث: أهم العراقيل والتحديات التي تواجه مجالس المصالحة في تحقيق دعم وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي:

لا نبتغي من تناول أهم العراقيل والتحدّيات التي تُواجه مجالس المصالحة سوى الاقتراب أكثر من إزالة المزيد من العتمة المضروبة حول طبيعة تلك المجالس، وآليات عملها، وممارساتها الفعلية، كما نودّ أن نصارح القارئ هنا بأن تحليلنا وإجاباتنا لهذا المبحث ستكون من خلال عدد من المقابلات التي تمّ إجراؤها مع بعض مسؤولي مجالس المصالحة الوطنية، والاطلاع على عدد من اتفاقيات المصالحة، إضافةً إلى الزيارات الميدانية التي قام بها الباحثان لبعض مؤسسات المجتمع المدني؛ التي تعمل في مجال المصالحة، حيث يمكن القول بوجود عدد كبير من العراقيل والتحدّيات التي تواجه مجالس المصالحة، خاصةً فيما يتعلق بحماية وتعزيز ودعم وحدة النسيج الاجتماعي، فبدا أن بعضها متشابك، والبعض الآخر يحتاج إلى المزيد من البحث والتوسّع، مما قد يُثقل كاهل هذا المبحث، من ثم سنكتفي في هذا السياق بالتنويه إلى أهم تلك العراقيل والتحدّيات، إضافةً إلى اختصار بعضها، وهي على النحو التالي:

1- بالرغم من وجود عدد كبير من مؤسسات المجتمع المدني التي تعمل في مجال المصالحة الوطنية إلا أنها لم تتمكن من بناء تكتلات وتحالفات قوية، حيث لا تزال عملية الانتساب لهذه المجالس تتحدد وفقًا لعلاقات القرابة والجهوية، والصراعات القبلية والمناطقية.

2- ساهم ضعف الحكومة ومن ثم انقسامها إلى حدوث إضعاف وانتكاسة لجهود المصالحة الوطنية، وبشكل كبير خلال مرحلة 2014م، كما أن انتشار السلاح والجماعات المسلحة عرقل جهود المصالحة في ليبيا (محمد مبشر، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2018/9/30م).

3- الحاجة إلى وجود تشريعات داعمة لجهود المصالحة الوطنية، تتعاطى بشكل جدي وعقلاني مع الحالة الليبية.

4- لا تزال الثقافة المسيطرة على إدارة جُلّ مجالس المصالحة تعمل وفق عقلية – شيخ القبيلة - والذي يُمثله رئيس المؤسسة، فالقيم الفردية التي يُؤمن بها رئيس المؤسسة هي التي تُسيّر عملها، وهذا يعني ببساطة احتكار السلطة الفعلية للمؤسسة في شخص من يقودها.

5- وجود إنشقاقات وانقسامات داخلية في جُلّ مجالس المصالحة، فحين يتم تأسيس مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني تهتم بالمصالحة الوطنية، فأن هذه المؤسسة سرعان ما تتعرض للانقسام والتشتت، بسبب غياب الممارسات المؤسسية والديمقراطية في إدارة مجالس المصالحة، وهيمنة أشخاص معيّنين على إدارة تلك المجالس.

6- قيام البعض بمحاولات استقطاب سياسي لمجالس المصالحة، فأصبحت هذه المجالس خلال مرحلة ما بعد 2014م، مجالاً أيضًا للاستقطاب من قبل بعض الدول الأجنبية، والمنظمات الدولية.

7- لم تهتم الحكومة بشقيها الغربي، والشرقي بمسألة تنمية معارف ومهارات وقدرات مجالس – شبكات- المصالحة الوطنية، كما أنه لم تتلقَ الدعم والتشجيع المطلوب.

8- لم توجه مجالس– شبكات- المصالحة أيّ اهتمام بمسألتي تطوير، وتحسين آليات عملها وممارساتها، وتجديدها بما يواكب العصر.

9- يُعاني بعض أعضاء مجالس- شبكات- المصالحة الوطنية من تدني المستوى التعليمي، إضافةً إلى تواضع القدرات والمهارات، وقد تجلّت مظاهر تواضع القدرات والمهارات في الاستمرار في إعادة إنتاج الممارسات السابقة، إضافةً إلى تشتت جهود المصالحة، وعدم وجود أيّ مشروع وطني للمصالحة.

10- دخول عدد من الأفراد مجال المصالحة الوطنية لأسباب شخصية، حيث يراها البعض فرصة لتحقيق الذات، وفرض الوجود، والرغبة بالظهور، دون الاهتمام بالمخرجات المستهدفة من عمليات المصالحة (محمد مبشر، مقابلة شخصية، طرابلس، بتاريخ: 2018/10/1م).

هذه في عجالة أهم العراقيل والتحدّيات التي تُواجه مجالس المصالحة، كما نودّ التأكيد هنا بأن الهدف من طرحها ليس انتقاص من جهود – الخيرين - من مجالس المصالحة الوطنية، إنما الهدف توضيح العراقيل والتحدّيات التي تواجه آليات عملها وممارساتها الفعلية، والتي لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة، وعمومًا فأن فهم الكثير من المسائل المرتبطة بتحدّيات وعراقيل عمليات المصالحة الوطنية، وبشكل خاص بعد مرحلة 2014م، لا يمكن فهمها بمعزل عن الحسابات الدولية، التي تفرضها مصالح دولية لا تقيم وزنًا لمسألة وحدة النسيج الاجتماعي في ليبيا، وهذه المعلومة ربما تكون مقتضبة؛ ولكنها أقرب للواقع المسكوت عنه، وهذا يدفعنا بالضرورة إلى البحث عن أهم السُبل لتفعيل دور مجالس المصالحة الوطنية لدعم وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي.

10-المبحث الرابع: أهم السُبل المقترحة للارتقاء بدور مجالس المصالحة في دعم وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي:

بادئ ذي بدء يجب الاعتراف بأن التمزّق في النسيج الاجتماعي؛ والذي أصبح قضية أو أزمة يومية حياتية في مرحلة ما بعد 2011م، له انعكاسات سلبية على السّلم الأهلي، وهي نتيجة حتمية للضعف والتدهور اللذين أصابا مؤسسات الدولة والتي سقطت مع سقوط النظام السياسي السابق، كما أن استمرار حالة الانقسام والضعف التي اتسمت به السلطة الجديدة بعد العام 2011م، أوجد قتامة المشهد المجتمعي وعنفه، والتي تجلّت في حالات من عدم الاستقرار الأمني، والفوضى

التي عمّت أنحاء البلاد كافةً، كما أن المتصفح لاتفاقيات المصالحة الوطنية التي أبرمتها القبائل والمناطق الليبية، بجهود مجالس المصالحة الوطنية – الخيّرة- يجد أنها أثبتت سعي القبائل، والمناطق الليبية الحثيث نحو التأكيد على الروابط المجتمعية، وتأصيل وحدة المجتمع الليبي، والعمل على تأكيد قيم التسامح، ونبذ العنف، والحفاظ على وحدة النسيج الاجتماعي، لكنها افتقدت لدور مؤسسات الدولة –القوية والفاعلة- الداعم والمساند لتلك الجهود، كونها تمثل مظلة سيرورتها التاريخية، سواء في العهد القرمانلي، أم في العهد الملكي، أم في العهد الجماهيري، وهذا ما جعل جُلّ ممارسات مجالس المصالحة الوطنية في مرحلة ما بعد 2011م، هي أقرب إلى حالات إطفاء حرائق وحسب، فكانت بحاجة إلى وجود قوة حقيقية وفاعلة – مؤسسات دولة قوية - كفيلة بتنفيذ استحقاقات ما بعد إطفاء الحرائق، أيّ معالجة الأضرار الناتجة عن الحريق والمتمثلة في جبر الضرر وردّ المظالم والتعويضات المادية والمعنوية، كذلك افتقرت تلك الممارسات إلى وجود نظام اكتشاف الحرائق - أيّ التوترات والصراعات - لتقوم بإعطاء إشارات الإنذار إلى الجهات المسؤولة في حال حدوثها.

إن العراقيل والتحدّيات التي واجهت مجالس المصالحة أضعفت من أدائها، وجعلتها عاجزة عن القيام بأية مبادرة وطنية للمصالحة، حيث لم يتجاوز برنامجها وممارساتها الفعلية كما أسلفنا سابقًا حد فضّ نزاع، أو توّتر بين قبلتين أو منطقتين وحسب، كما أن الانسحاب السلبي للنخب من مجالس المصالحة أفقدها ميزة التجديد والتطوير خاصةً فيما يتعلق بآليات عملها وممارساتها، وجعلها تركن إلى إعادة إنتاج لممارسات سابقة، كما جعلها عاجزة في كثير من الأحيان عن طرح أية مبادرة وطنية للمصالحة.

وعلى وجه الإجمال يمكن القول بأن مجالس المصالحة الوطنية بحاجة إلى بيئة داعمة ومساندة لها وهي تكمن في الآتي:

-الحاجة إلى وجود مؤسسات دولة قوية وفاعلة، وهذا يبدأ أولًا بتوحيد الحكومات ومؤسساتها وأجهزتها، واتفاق أطراف الصراع – الحقيقيين - على الجلوس للتفاوض، وتغليب مصلحة الوطن على المصالح الشخصية، والبحث عن حلول جذرية لإشكالية انتشار السلاح والجماعات المسلحة، ونودّ هنا التذكير بمقولة الزعيم بشير السعداوي عندما خسر الانتخابات العام 1952م، نتيجة لحالات التزوير، حيث طلب منه بعض رفاقه عدم الركون لنتائج الانتخابات – المزوّرة - فقال كملته المشهورة "خسرنا السلطة، وكسبنا وطن".

-الحاجة إلى وجود تشريعات تدعو وتعزّز المصالحة الوطنية.

-الحاجة لتفعيل دور وسائط التنشئة الاجتماعية في تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي، فمثلاً:

1- الأسرة من خلال قيامها بوظيفتها التربوية في تعويد أبنائها على العمل بقيم التسامح وثقافة الحوار، واحترام الآخرين وغيرها من القيم بحيث يتم تجسيدها سلوكاً وممارسة في حياتهم.

2- وكذلك فأن المؤسسات التعليمية على مختلف مستوياتها لها دور في تعزيز قيم المصالحة الوطنية من خلال دورها في العمل على تنظيم دورات توعية للتلاميذ والطلبة وأولياء الأمور حول أهمية المصالحة الوطنية، ودورها في تجسير الهوة بين القبائل والمناطق المتنازعة في

المجتمع الليبي، والعمل على نشر ثقافة التسامح والعفو ونبذ العنف، وتأكيد وحدة النسيج الاجتماعي، وذلك بتأصيلها وتضمينها في المناهج الدراسية لمختلف المستويات التعليمية.

3- كما يمكن أن تقوم الجامعات الليبية بتدريس مقرر المجتمع الليبي، والذي يتضمن موضوعات التسامح، ووحدة النسيج الاجتماعي، واعتبارها من ضمن المقررات الإجبارية التي يتوجب على الطلبة دراستها.

4- وبالنسبة للمساجد فإنها تضطلع بدور مهم في تعزيز قيم التسامح والمصالحة بين أبناء المجتمع باعتبارها إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وللمسجد دور توجيهي وإرشادي للأفراد، ويجب أن يستمد دوره من الفهم الصحيح لبعض الآيات القرآنية والأحاديث التي تدعو إلى نبذ العنف ونشر قيم التسامح.

5- أما فيما يتعلق بوسائل الأعلام سواء كانت المرئية، أو المقروءة، أو المسموعة، وأيضاً منصات التواصل الاجتماعي، فإن لها دور كبير في توعية الأسر والمؤسسات بأهمية المصالحة المجتمعية، ووحدة النسيج الاجتماعي من خلال تبني الخطاب الإعلامي القائم على تعزيز قيم التصالح والتعايش السّلمي بين مختلف أبناء المجتمع الليبي.

-أهمية إقحام المرأة والشباب في برامج وأنشطة المصالحة الوطنية.

بعد ذلك تأتي المسارات المقترحة لدعم جهود مجالس المصالحة نحو تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي، وهي:

♦قيام الجهة التشريعية في البلاد بتأسيس- كيان - هيئة وطنية تُعنى بالمصالحة الوطنية وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي، تكون من مهامه العمل على إحداث مصالحة مجتمعية حقيقية بين الليبيين، وعدم ترك المسؤولية – المهمة والخطيرة - إلى مؤسسات ذات - طابع تطوعي - كمؤسسات المجتمع المدني أو مجموعة من الأفراد – الخيّرين - يفتقدون لأية إمكانات أو قدرات لتنفيذ ما يتمّ إنجازه.

♦الحاجة إلى عقد مؤتمر وطني دوري لمجالس المصالحة في ليبيا بإشراف الهيئة العليا للمصالحة الوطنية للقيام بعمليات التقويم الذاتي للتجربة الليبية، والسعي إلى تشبيك جهود المصالحة، نحو تبني رؤية وطنية جديدة للمصالحة الوطنية.

الخاتمة

إن مجالس المصالحة الوطنية في ليبيا قامت بدور مهم في حماية وتعزيز وحدة النسيج الاجتماعي في ليبيا، وهذا ما دفع جُلّ الحكومات ما بعد 2011م، إلى أن تلجأ تارةً، وتدعو تارةً أخرى مجالس المصالحة إلى ضرورة القيام بمهام فضّ النزاعات، والصراعات التي تعجز الحكومة عن حلّها، بل ووصل الأمر ببعض الحكومات إلى تحميل هذه المجالس أكثر من قدراتها وإمكاناتها مما جعلها تعجز عن الاستيفاء بما تمّ الاتفاق عليه مع الأطراف المتنازعة، فخلال أحداث 27 أغسطس 2018م بطرابلس حدّثنا أحد مسؤولي المصالحة من مدينة الزاوية(جمال الزاوي، مقابلة عن طريق الهاتف، بتاريخ: 2018/9/4م)، بأنهم عندما دخلوا إلى العاصمة لم يجدوا أيّ وزير في حكومة الوفاق الوطني، ونعتقد بأن هذه الواقعة ليست بحاجة إلى تعليق!! إن هذا الواقع المسكوت عنه كشفته تلك الأحداث الدامية، وبيّنت مدى الحاجة لوجود تلك المجالس – الشبكات-

في مثل تلك الحالات التي تختفي فيها الحكومة وتعجز عن الظهور وممارسة وظائفها اتجاه المجتمع، خاصةً فيما يتعلق بحماية والدفاع عن وحدة النسيج الاجتماعي.

وعمومًا فإن هذا البحث يوصي بعدد من التوصيات أهمها:

-الحاجة إلى وجود إرادة سياسية حقيقية لدعم مبادرات مجالس المصالحة الوطنية.

-أهمية فتح حوار بين القبائل والمناطق المتخاصمة بغية تقليل النعرات والشكوك فيما بينها.

-الحاجة إلى قيادات تتمتع بالإحساس بالوطنية الجامعة والقادرة على تجاوز المصالح الآنية والمحدودة.

-البحث عن حلول جذرية لإشكالية انتشار السلاح والجماعات المسلحة.

-الحاجة إلى وجود تشريعات تعزّز بيئة المصالحة الوطنية.

-تفعيل دور وسائط التنشئة الاجتماعية في تعزيز وحدة النسيج الاجتماعي.

قائمة المراجع:

1.بيان مؤتمر الدوحة للمصالحة بتاريخ 3 مايو 2016م

2.بيان ملتقى نالوت للمصالحة بتاريخ 27 سبتمبر 2016م .

3.بيان من النساء المشاركات في اجتماع حوار أولاد سليمان والقذاذفة في طرابلس، بتاريخ 7-8 نوفمبر 2017م.

4.نص اتفاق ميثاق شرف بين مدن الزنتان، وترهونة، ومصراتة، بتاريخ 13 مايو 2018م .

5.نص الاتفاق بين الزنتان والمشاشية والقنطرار(2016)، بمدنية الأصابعة، الجبل الغربي .

6.نص اتفاق المصالحة بين الزنتان والزاوية، بتاريخ 18 أبريل 2018م .

7.نص اتفاق المصالحة بين الزنتان ومصراتة، بتاريخ 28 مارس 2018م .

8.إتوري روسي (1991)، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، ترجمة خليفة التليسي، (ط2)، الدار العربية للكتاب .

9.الطاهر الزاوي(2004)، جهاد الأبطال، (ط4)، دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان .

10.رودلفو ميكاكي(ب.ت)، طرابلس الغرب تحت الحكم القرمانلي، ترجمة: طه فوزي، دار الفرجاني– ليبيا.

11.محمود أحمد أبوصوة(2012)، جدلية المجال والهوية– مدخل لتاريخ ليبيا العام-، (ط1)، دار الرّواد، طرابلس– ليبيا .

12.حسين سالم مرجين(2018)، الحركات الاحتجاجية والاجتماعية في ليبيا بين أزمة الدولة والانشقاقات المجتمعية في مجلة بحوث، ع (12)، مركز لندن للبحوث والدراسات والاستشارات، لندن.

13.شاهيناز بن ملوكة(2013)، التمثلات الاجتماعية من الأبعاد النظرية إلى نظرية النواة المركزية. مجلة الحوار الثقافي، م(2)، ع(2)، كلية العلوم الاجتماعية جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم- الجزائر.

14.صلاح الدين لعريني (2014)، مفهوم الهابيتوس عند بيير بورديو، مجلة العلوم الاجتماعية، م(3)، ع (9).

الوسيط والوساطة والمنظومة التربوية المتجددة

د. الحبيب المبروكي، أستاذ مساعد بالمعهد العالي لإطارات الطفولة قرطاج درمش- تونس

ملخص: تعتبر الوساطة من البراديقمات التي بدأت تكتسح المجال السوسيولوجي والبيداغوجي والتربوي نظرا لاتساع دلالاتها ومجال فعلها واقترابها من عديد الحقول المعرفية، إلى جانبقدرتها على استعارة جهاز مفاهيمي ومرجعيات متعددة وثرية، وهو ما دعانا لتناولها بالدرس.تعتبر محاولة تتجه بالأساس الى فهم أدوار هذا الوسيط بما هو فاعل اجتماعي له قدرات ومهارات ومؤهلات تسعفه على تحقيق أهدافه وتمكنه من مجال التدخل في أكثر من مجال (التربوي، البيداغوجي بالأساس، ...) وهي أيضا مقاربة اتصالية في عمقها لها جملة من المفاهيم المجاورة، أردنا أن نحدد الفواصل بينها. تتجدد أهمية هذه الدراسة في علاقتها بالعملية التعليمية والبيداغوجية، وهي تأثيث لمجال اختلفت فيه الرؤى والمقاربات من خلال جملة من المقاربات المتباعدة حينا والمتقاطعة حينا آخر. إن تعدد المرجعيات والمضامين تعطي لهذه الدراسة قراءة وتأويلا قد يثري مضمونها، لأن ما قدمه كل من "فيغوتسكي" وبرنر" و"فارينو" وغيرهم أرضية معرفية ثرية، مدركين بأن الوساطة لها علاقة ما بالوساطة العرفانية في بعدها النفسي أيضا، إلى جانب الخلفية الفنية والتكنولوجية والمعلوماتية، أي أنها تحولت إلى أداة وسيطة للمعرفة والتعلم والترفيه وغيره، مما حولها إلى أحد الرهانات الكبرى التي تسعى العديد من الحقول إلى توظيفها وتفعيلها وامتلاكها وتحويلها إلى مقاربة وسيرورة متكاملة ومتعددة الاتجاهات. تحولت بالتالي إلى مجال إبداعي واعد خاصة في مجال الطفولة والشباب.

الكلمات المفتاحية: الوساطة، الوساطة المعاني المجاورة، الوساطة البيداغوجية، الوساطة العرفانية، الوساطة الفنية، الوساطة الأداتية، الوساطة الالكترونية، الوساطة والابداع، الوساطة والرهانات، البيداغوجيا اللعبية، هامش اللايقين...

The mediator and mediation throw the educational system innovation

Abstract: We can considered mediation as one of the best scientific paradigms, because of its wide dimension that can touching many fields as well as the sociologic, pedagogic and educative. The concept mediation can be original but also new by its different meaning that reached family, pedagogy and the school. For this reason, we try to

explore it and analysis such results realized, not as a concept but as a new field full of meaning.In any way; it's timeto considered this field as one of the best tools that can be used by the academics to go more and more in the exploration of the future knowledge's and complication way of young life's.

This work aims to provide a multidisciplinary approach - pedagogical, socio-political, sociological, and psychological - to understand the general interest of constructive conflict management, and in particular the opportunities related to the method of mediation. This approch reflects the path taken - from deconstruction to reconstruction of the subjectbeginning with a theoretical analysis (origins, specificities, differences with other methods, values and principles) and considering the individual and collective phenomena inherent to each conflict and its management (levels of conflict, management dimensions, individual psychological foundations, opportunities of integrative bargaining, but also the limits and risks associated with the method of mediation).The present work also takes into account the personal evolution of the researcher, her practice as a mediator, exchanges with other professionals on this behalf and her personal findings of feasibility (practical advice, logistical organization, concrete tools for the various phases, and the restitution of the key steps of a practical case).

Key words : Mediation, pedagogic mediation, cognitive mediation, technical mediation, tools of mediation, electronic mediation, mediation and creativity, mediation and gaming, incertitude zone

مقدمة:

إن التحديات التربوية الجديدة التي يعيشها الطفل اليوم وخاصة في مراحله العمرية الأولى تستوجب منا مزيد البحث عن أدوات تربوية وتعلمية وتنشيئية جديدة ملائمة له ولعصره ولاحتياجاته، هذا الواقع الجديد الذي قد نتفق حوله أو نختلف يتصف بأنه غير ثابت ومأزوم لكثرة ظواهره وتعدد وسائله وتنوع مقارباته وافتقارنا للقدرة العلمية والمعرفية للتفرد بأدواتنا أو الاستجابة لطبيعة التحديات والانتظارات المرفوعة من قبل هذا الجيل الجديد من أطفال اليوم المعولم والمنمَّط بشكل عام وفق المنظومة الغالبة والسائدة، لهذا الاعتبار بدى لنا من الضروري أن نبحث عن أفضل السبل المتاحة للتعامل معها ومعالجة الواقع وملاءمته مع أولوياتهم. لذا نعتقد

أن من بين الآليات الجديدة المبتكرة والتي تم إعادة اكتشافها من جديد هي مؤسسة الوساطة، ويمكن أن نعتبرها موضوعا قديما ومتأصلا في المجتمعات البشرية، غير أن هذا الجهاز قد أخذ أكثر من معنى ومن مجال، وقد أعادت المجتمعات الحديثة اكتشافها من جديد نظرا لقيمتها وأثرها وقدرتها على مساعدة المجتمعات عموما والمؤسسات تحديدا على تجاوز الصعوبات وفك التصلب، إلى جانب المفعول الوقائي والعلاجي والتعلّمي وفك النزاعات ومرافقة الوضعيات، كذلك نعتقد أن للطفولة المبكرة حاجة أكيدة لها نظرا لما استحدثته من طرق ووسائل وأدوات قد تتناسب مع طبيعتها وكيفية معالجة مشاكلها وكيفية تدريبها واعدادها للدخول في الحياة بشكل عام. كما أن هذا ما يدعونا إلى مزيد فهمها ودراستها وتسليط الضوء عليها، عساها تكون الدعامة الأساسية التي يمكن أن نبني عليها مقارباتنا التربوية والبيداغوجية المستقبلية في مجال الطفولة عموما والطفولة التونسية المتمدرسة على وجه الخصوص.

الطرح الاشكالي:

من خلال جملة التحديات التي تعيشها المنظومة التربوية اليوم لعله يصبح لزاما أن نبحث عن البدائل والمحامل والرافعات الملائمة لإنقاضها، لذا نقدر أن الوساطة بشكل عام تُعد من المجالات البحثية المستحدثة التي تستوجب مزيدا من الفهم والتحليل، وهي فضاء تعلمي وتأطيري ومعرفي حديث الاكتشاف على عراقته، غير أن جذوره قديمة ويختلف حسب الاختصاصات والمجالات والثقافات والمجتمعات ونقدر أنه وعاء ومحمل بيداغوجي مفيد، لأنه يحمل مقاربة مختلفة في تمشياتها وأساليبها ويعتمد على فاعلين ينظرون الى الأشياء والمواضيع والأشخاص نظرة متفردة ومتميزة، مما يعطيهم سلطة خاصة ويسعفهم بقدرة على تحقيق نتائج مرموقة رغم غياب السلطة الفعلية التي يحضون بها أو يمتلكونها سوى سلطة الوساطة في حد ذاتها. لهذا نقترح تناول الوساطة بما هي مؤسسة اعتماد على طرح مغاير فيه البعد النفسي والبيداغوجي التعلمي وفيه اللعبي وفيه خاصة هامش الفعل والابداع واللايقين الذي سيشتغل عليه الوسيط داخل الفضاء الذي سيحدده وفق رؤيته ومنهجيته الخاصة ومقاربته اللينة والتي لا تحتمل محددات صارمة وقبلية.

الإشكالية التالية: ما هي الوساطة تحديدا؟ وما هي أنواعها؟ وهل يمكن اعتبارها بديلا تربويا وآلية تستجيب لطبيعة المرحلة؟ وهل تتلاءم مع واقع المجتمع التونسي ومؤسساته لمرافقة الطفل وتربيته؟ وماهي الوسائل والمحامل الملائمة لذلك؟

1.الوساطة بما هي نموذجا جديدا للتواصل:

لئن اعتبرنا مفهوم الوساطة من المفاهيم التي بدأت تأخذ طريقها نحو التجذَر والارتباط بالحقل التربوي، غير أنها لم تتمكن من التخلص من تعدد معانيها ودلالاتها polysémique، وإذا أردنا أن نرتب الاستعمالات رهاناتها الحالية فعلينا أن نختزل أبعادها حتى نعرف كيفية التعامل معها، لأن المصطلح شديد الارتباط بمستعمله فالوساطة لا تنفصل على الوسيط، والوسيط فاعل لا يرتجل فعله ولا يتعامل مع الوضعيات بالانسياب المطلق، بل هو مدرك لطبيعة تدخلاته وإطار

الوضعيات والسياق الذي تتنزل فيه. فعملية ادراج الوساطة في المجال التربوي هذا يعني أننا أدركنا أنها آلية جديدة ووسيلة عمل مبتكرة يكون فيها دور الوسيط بما هو طرف ثالث مستقل بذاته ملم بقدراته التقنية والمعرفية، محافظ على نسيجه العلائقيوالشبكي، مبتكر لها ومنتج للحلول الملائمة والمناسبة رغم تشعبها على اعتبارها وضعيات متداخلة ومتعددة، فيها ما هو إداري وبيداغوجي وآخر اجتماعي ونفسي ومعرفي ديدكتيكي تربوي وفيها أيضا ما هو قانوني قضائي، كما يمكن أن تكتسي أيضا بعدا سياسيا على اعتبارها مخرجات ونواتج تترجم اختيارات وتوجهات بعينها.

فقدم هذه الظاهرة وتعدد معانيها وتشكلاتها وقدرتها على اختراق الأزمنة والشعوب والمجتمعات، لم يمنعها من اختزال جذورها فيما رشح إلينا من الحضارات اليونانية من خلال الفلسفة التي كانت جامعة وعاكسة لكل العلوم السائدة آنذاك، إلى جانب البعد الديني الذي عبرت عنه الديانة المسيحية التي كانت تعتبر السيد المسيح وسيطا بين الله والإنسان. هذا يعني أن الوسيط هو من يحتل المكانة الوسطى والذي يتحلى بالقدرة الادراكية للوضعيات الاختلافية وله بعد تسامحي ملؤه الإيثار والقدرة على نسج العلاقات وله أيضا معاني نكران الذات مستعد أن يضع نفسه مكان الآخرين حتى يتفهم وضعياتهم وأسباب انفعالاتهم الباطنية، وهو ما يساعد الوسيط على انجاز مهام تقريب وجهات النظر أو المصالحة وبالتالي الوصول إلى تحقيق نتائج عملية وملموسة.

1.1-الوساطة، مفهوم ومعنى:

أردنا أن نسلط الضوء على بعض المفاهيم النظرية المتعلقة بالوساطة بما تستحقه من مزيد الإلمام والمتابعة والتعميق بما هي مستحدث حضاري لا يزال ينشد تأصيلا وتوطينا للمفهوم في مجالاته المتعددة، والتعرّف على مختلف تطبيقاتها الاجتماعيّة والثقافية والتربوية البيداغوجيّة. يكمن هدفنا هنا في محاولة إيجاد الإمكانيات والترابطات والعلاقات الممكنة بين الوساطة وبين الإبداع. فبعد أن قدمنا الوساطة بما هي مقاربة جديدة ومستحدث واعد، يمكن الاستفادة منها في مجال تربية الناشئة ورعايتها، فإنه يمكن أن نتابع أثرها العميق في التربية وما لها من ارتدادات على الأسرة والعملية التعلمية والتربوية، وسنحاول متابعة الارتباطات الأخرى على المستوى الإبداعي في المجال التربوي.

من خلال دراسة هذا المفهوم تبين لنا أن الوساطة وساطات، أي أنها ترتبط بأكثر من مجال، على اعتبار أن السياقات التي تتعلّق بها عديدة منها، القانوني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والتربوي. إلا أن ما يهمنا في هذا المبحث تلك الوساطة التي يُمكن أن تكون محفّزة للتفكير الإبداعي عند الأطفال خاصّة. فقد رأى "سارساني مدنيك(Mednick,Sarsani. 1999) وهو أحد مُطوّري النظرية الترابطيّة في علم النفس، التي تؤكد على أنّ التمشيّات التي يقوم عليها التفكير الإبداعي تتمثل في: " تشكيل عناصر مترابطة في تركيبة جديدة تلبية لمتطلبات محدّدة، أو تكون مفيدة بشكل أو بآخر، على أن يتفاعل معها المتعلم تلقائيا."-Mednick, S.(1999)

p74). *Exploring promotion of creative thinking among secondary.School students*: London-England. UK

وذكر "ميدنيك" ثلاثة طرق لتحقيق ذلك وهي: السرنديبية*[1] والتماثل والوساطة. (Mednick,S.1999 -p88)هذهالعلاقة بين الوساطة وإكساب الأطفال مهارات التفكير الإبداعي تبقى في اعتقاد "مدنيك" ممكنة، وعليه نقترح تبسيطا لمفهوم الوساطة بما يقرب المعنى ويعرف به بشكل متكامل، (البيداغوجية، العرفانيّة والفنيّة). تعتبر هذه المقاربة التي تخصّ المفهوم الجديد للوساطة قدرتها على توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال لتحقيقها في علاقتها بالإبداع.

2.1-ما الوساطة تحديدا؟

يعود مفهوم الوساطة في أصله اللاتيني إلىmediareوتعني القسمة من الوسط، أو التواجد في الوسط بين موقعين، ومن معانيها أيضا التدخل ومنها يأتي مفهوم الموسَط Médiatrice فموسّط الزاوية، في الهندسة والرياضيات، هو نصف المستقيم الذي يقسم الزاوية إلى نصفين متقايسين، وmédianeأي أوسط الشيء ومتوسطه ومنه متوسط الأضلع ومن ثمة مفهوم médiate أي بواسطة وبشكل غير مباشر وكذلك médiastin أي منصف الشيء، ومن ثمة جاء مفهوم médiateur,trice, (adj) وهو الوسيط والموفق والمصلح، والقيام بهذا يسمى وساطة وتوسط médiation ومنها التوسيط وتوسط ووسط médiatisationوmédiatiser وهو فعل القائم بالوساطة، وهو كما نلاحظ مفهوم ثري ومتعدد الدلالات والمعاني. ومهما تعدّدت المفاهيم والاشتقاقات المرتبطة بالوساطة فإن فكرة التوسّط تبقى محورية فيه. (ادريس سهيل، قاموس المنهل، فرنسي عربي، (1994)، دار الآداب، الطبعة الثالثة عشر، بيروت.) ويعرَف "ميشال قييوم-هوفنانغ".(Guillaume-Hofnung,Michèle.2009- p45) الوساطة على أنها "طريقة بناء وتصرف في الحياة الاجتماعية بفضل ادراج طرف ثالث مستقل ليس له أي سلطة سوى سلطة الوساطة في حد ذاتهاوهو اختزال لهذه السلطة الرمزية الخفية".-Guillaume) Hofnung, M. (2009- p45), *la médiation* :Paris, France, Collection : Que sais-je ?PUF.)

أما "ماكي، مايلز ومارش"Mackie, Miles et March فإنهم يقترحون تعريفا للوساطة الاقتصادية على أنها طريقة وتمشي لحل الاختلافات بالاعتماد على نسق منظم ومهيكل، من خلال السماح لطرف ثالث يتم اقتراحه ولا يتمتع بإصدار قرارات نافذة ومسقطة ومجبرة على الأطراف المختلفة والمتنازعة." (GRAF, K. (2017- P48), *la médiation* : « *une*

*االسرنديبية: Serendipity اكتشاف شيء في الوقت الذي نبحث فيه عن شيء آخر. مثل اكتشاف كولومبس لأمريكا بينما كان يريد الوصول إلى الهند.

approche constructive à la hauteur des conflits de notre temps » : Doctorat en Science politique. Université Panthéon-Assas.)

كما قدم المجمع الاوروبي للقضاة تعريفا آخر للوسيط والوساطة يكمل بقية التعريفات السالفة ولا يختلف كثيرا عنها، إذ يعتبرون أن الوسيط هو "طرف ثالث محايد منصف ونزيه ومشهود له بالكفاءة وليست له سلطة أخذ القرار، غير أنه يمتلك ميزة بارزة تتمثل في حسن الانصات للأطراف المتنازعة الى جانب القدرة على وضع الفرقاء أمام حقيقة وجهات نظرهم اثناء المقابلات مهما كانت متناقضة ومختلفة، وذلك بهدف وضعهم ومساعدتهم على قبول مبدأ التحادث والحوار ثم الجلوس وبناء جسور للتواصل، ومن ثمة دفعهم للوصول بأنفسهم لتوافقات ثنائية متبادلة وهم في حالة قبول ورضاء متبادل أي وضعية ايجابية." (Arnaud, N. et Soucat, B. (2012- p44), *Le Médiateur :* Paris. France, PUF.) وهي تدقيق لمعنى الوساطة بشكل عملي.

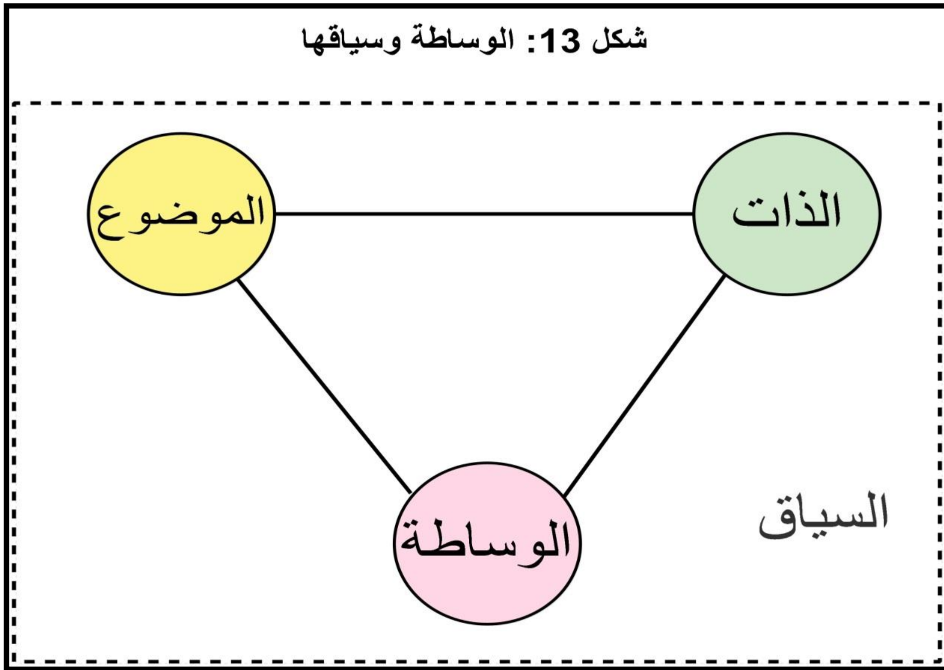
أمّا من الناحية الإجرائية، فالوساطة ارتبطت بالصراعات الناجمة عن تعامل الأفراد والجماعات فيما بينها، فهي تهدف إلى تقريب وجهات النظر المتباعدة، ومساعدة تلك الأطراف على حلّ الإشكاليات المترتبة عن تلك الصراعات دون عنف، وفي أحيان كثيرة دون اللجوء حتّى إلى التقاضي. ومن الناحيّة الاجتماعية تبدو الوساطة أداة تُساعد الأفراد على تقارب تصوّراتهم المشتركة للواقع وتفهّمه في نطاق الحوار، وفي مستوى موضوعيّة الواقع وذاتية التصوّر، يطرح مفهوم الوساطة سؤالا يتعلّق بمعنى ذلك الصراع القائم بين توق الإنسان إلى الحريّة وضرورة الحفاظ على الإرث الاجتماعي.

لعلّ الإجابة عن هذا السؤال يكمن في جوهر التربية في حدّ ذاتها، أليست التربية تختزل في ذلك العمل الواعي أو اللاواعي الذي يقوم به الكهول ازاء الأطفال قصد تعليمهم جملة من المعارف والرموز والقيم المتعارف عليها والمتفق حولها وتمريرها للمساعدة على للاندماج داخل المجتمع، وعلى تمكينه من ترسانة قيمية ومعيارية يمكن بمقتضاها أن يدرك معنى المقبول والمرفوض والمحبذ ما يعززه المجتمع وما ينكره، هذه القيم المعيارية والقيمية يتم استبطانها بشكل تدريجي بشكل يتوافق مع المنظومة الاجتماعية ويرسخ لديه المقبول والمكروه اجتماعيا ليتمكن بالتالي من تحقيق التوافق الاجتماعي المطلوب ويعرف معنى الانتماء الى الجماعة والعيش في كنف منظومتها المتقاسمة والمشتركة مع الشعور بشيء من السلم والرضا الذي يحقق التوافق النفسي والاجتماعي في المستوى الذاتي والموضوعي. فكلّ تربية هي قبل كلّ شيء عملية تمرير للمعارف والقيم والرموز من جيل الكهول إلى جيل الأطفال، بأشكال مختلفة من جيل الى جيل ومن حضارة الى أخرى ومن شعب الى آخر حسب المتوارث والمتداول والمكتسب والمعلوم والممكن. انطلاقا من هذه الوضعية التي تتطلّب من الكهول تمرير المعارف والقيم والرموز إلى الأطفال، تتشكّل وساطة في أوضح معانيها. فكلّ أركانها متوفّرة في هذه الوضعيّة: الطفل كذات والمعارف والقيم والرموز كموضوع وتكمن بينهما تلك العلاقة التي ينشئها ويصوغها الكهول بهدف تمرير تلك المعارف والقيم والرموز. بهذا المعنى فالوساطة كما

يراها " جوزيف ريزو" (Rézeau, Josef. 2012) نظام للضبط الموضوعي للعلاقة بين الذات والموضوع، بحيث تتنزّل هذه العلاقة في سياقها التاريخي والجغرافي والاجتماعي بشكل منهجي (Rézeau, J. (2001- p 225), « *Médiatisation et médiation pédagogique dans un environnement multimédia » :* Thèse de Doctorat. Université . (Victor. Segalen, Bordeaux

3.1-الوساطة ودورها في ضبط العلاقات :

(Rézeau, J. (2001- P 226).



2.1-الوساطة والمفاهيم المجاورة:

يعتبر مفهوم الوساطة غير منفصل على مفهوم التفاوض نظرا للارتباط التعاضدي بين المفهومين وبين العمليتين، غير أنهما ليستا نفسهما في المعنى ولا في المدلول الاجرائي، كما أن الوساطة ليست بصفقة تعقد ولا بعملية تجارية ربحية وليست بعملية توافقية بالمعنى المتداول. كذلك نعتبر أن الوساطة تختلف أيضا عن التحكيم، بما هو دور مقنن ومحكوم بضوابط وقوانين معينة، غير أن الوسيط قد يلعب دور التحكيم لكن بشروط وبمضمون مختلف عن ذلك، بما هو الحكم على طرفين بغرض الفصل بينهما، ويختلف الوسيط والوساطة عن المرافق والمرافقة بالمعنى المباشر للمفهوم، بل هي جزء من العملية وليست حكرا على ذلك، أي أنها أشمل وتسمح بالتعدي لهذا

المعنى واكتماله بالإضافة الشرطية لفعل المرافقة. كما أن الوساطة تختلف أيضا عن التفقد أو الارشاد بالمعنى المتداول في منظومة التربية. لهذا الاعتبار قدرنا أن الوسيط والوساطة من أدق الاختصاصات وأكثرها حساسية وتأثرا،رغم ما يحوم حولها منإجراءات بعضها خاطئ أو بعضها ممارسة غير مهنية وغير محايدة، وقد يتحول هذا المسار الى تعميق للاختلافات والصراعات والعداوات، إذا ما خرج عن السياق الفني والبيداغوجي الذي يعكس إلماما وحرفية ومعرفة واستقلالية. لهذا يعتبر هذا الأخير تخصصا مستحدثا وبالتالي فأن التعامل معهايتسمبالحرجفي مستواه الاجرائي، على اعتبار أن القاعدة الإنسانية في التعاملات تنبني أساسا على مبدأ إمكانية عدم الرضاء أوالاختلاف الحاصل في مكوناتهم ومكتسباتهم وطباعهم ومصالحهم، مما يجعل من عملية التوسط أمرا ليس باليسير، بل في حالات كثيرة قد يقارب أن يكون مستحيلا، وهو ما يجعل هذا الدور موضع تساؤل لدى بعض المجتمعات العربية، خاصة التي لم يتهيكل لديها بعد ثقافة وتراكم لهذه المنظومة الوساطية الجديدة.

3.1-الوساطة البيداغوجيّة

تتنزّل الوساطة البيداغوجيّة في الإطار العام للوساطة، فهي أحد أسّ تلك العلاقة التي تربط الذات المتعلّمة بموضوع التعلّم في سياق وضعيّة بيداغوجيّة. وتشترط هذه الوضعيّة كما أسلفنا وجود العناصر التاليّة:

-الطفل المتعلّم: الذات التي تروم اكتساب المعرفة.

-المعرفة: موضوع التعلّم.

-العلاقة التي تربط الذات المتعلّمة بموضوع المعرفة.

وتُعرّف "انَا ماري" Anne-Marieالوساطة البيداغوجيّة على أنّها الطريقة التي يتوخّاها فرد أكثر خبرة: الكهل بالنسبة للطفل، الخبير بالنسبة للمبتدئ، المعلّم بالنسبة للتلميذ، المربي بالنسبة للطفل لتهيئة بيئة الثاني، أي الفضاء المادي والذهني الذي يتشكّل من الآخر ومن الأشياء الخارجيّة، حتّى تكون هذه العناصر قابلة للفهم، بحيث ينسجم معها ويتلاءم تفكيره فيها والتفاعل معها وبناء هوّيته من خلالها. *[2]

بناء على أن الوساطة في تقديرنا هي تمشٍ إبداعي يتم من خلاله الانتقال من حالة أوليّة إلى حالة نهائيةّ، هذه الحالة تفتح آفاقا مهمّة نحو اعتبار ذلكيتوافق مع فهمنا للأنشطة التعليميّة-التعلّميّة (الديداكتيك) والادراكية وكذلك للوساطة البيداغوجيّة، وذلك على الرغم من اختلاف المجالين.من هذا المنطلق، يرى "راينال" Raynal أن الوساطة هي مجموع المساعدات والمحامل التي يمكن

[2]*«<u>La médiation</u>، c’est la manière dont un individu plus expert qu’un autre – un adulte par rapport à un enfant، un expert par rapport à un novice، un maître par rapport à un élève، organise l’environnement du second، c’est-à-dire l’espace physique et mental، ce qu’il y a entre lui et le monde des choses et des autres, pour le lui rendre intelligible de telle sorte qu’il puisse s’y adapter pour y penser, y agir et y construire son identité».

لشخص أن يقدّمها لشخص آخر بهدف تسهيل وصوله إلى معرفة معيّنة. وبالتالي فإنّ اللّغة والمضامين الثقافيّة والعلاقات والمعايير الاجتماعيّة والخبرة الانفعاليّة يُمكن أن تكون وساطة. كما يُمكن اعتبار القائم بها وسيطا، فالمعلّم والمنشّط المربي والكاتب والمخرج والفنان والإعلامي والإمام والقديس وغيرهم كلهم يلعبون دور الوسيط .(Rézeau,J.(2020-pp 35,36). « *Médiation, médiatisation et instruments d'enseignement : du triangle au* « carré pédagogique ».) ASP En ligne, consulté le 21 décembre 2020.URL :http://journals.openedition.org/asp/1656.)

ويعتقد "أفانزيني" Avanzini بأنّ الوساطة، في مجال التربية، هي مهمّة الذي يعمل على تيسير وتسهيل الوصول إلى الثقافة لشخص فشل في استيعابها، في نطاق وضعيّة تهدف إلى دعم تلك المهمّة الضروريّة لممارسة مهمة التعليم.[3] ويبدو واضحا ممّا ذكره أفانزيني مدى أهميّة الوضعيّة في تلك الوساطة. وعلى اعتبار أن ذلك يجري في مجال التربية فإن تلك الوضعيّة ستكون وضعيّة بيداغوجيّة بامتياز.

3.1- الوساطة والمثلّث البيداغوجي

يرمز جان هوساي (Houssaye, Jean. (1988-p23) إلى الوضعيّة البيداغوجية باستعمال مثلّث يسمّيه المثلّث البيداغوجي. وهو يتكوّن من ثلاثة عناصر: المعرفة والمتعلّم والمعلّم. وتتشكّل بذلك ثلاثة أضلاع تمثّل التمشيّات التالية:

-تمشي التعليم: الضلع معلّم-معرفة.

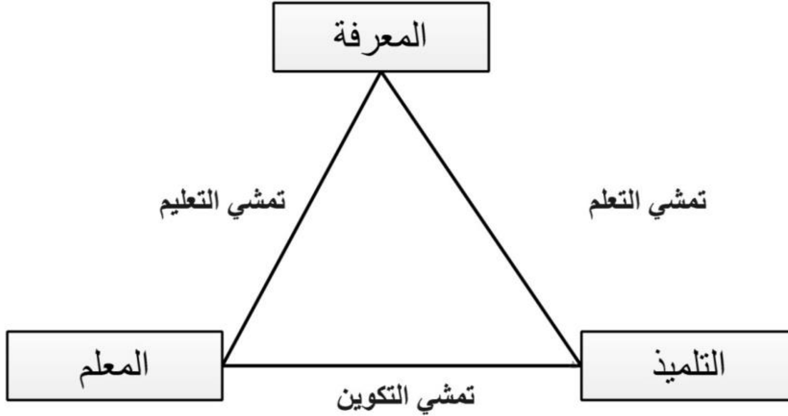
-تمشي التكوين: الضلع معلّم-تلميذ.

-تمشي التعلّم: الضلع تلميذ-معرفة.

ويقول هوساي (Houssaye,J. 2014-P23) في هذا الصدد: «يُمكن للوضعيّة البيداغوجيّة أن تُحدّد كمثلّث يتكوّن من ثلاثة عناصر منضدة بشكل مرتب: المعرفة، الأستاذ والتلاميذ. بحيثيكون عنصران منها فاعلين، بينما يكتفي الثاني بلعب دور الميت، أو دور المجنون (Houssaye, J. (2014- P23), *Le triangle pédagogique, les différentes facettes de la pédagogie* », 2eme éd. Paris, France. EST.)

4.1- مثلث الوضعية البيداغوجية(Houssaye, J. 1988- P 23.)

 «Dans le registre de l'éducation, ce concept [médiation] désigne l'entreprise de celui qui aménage et facilite la mise en rapport de la culture avec un sujet qui a, jusqu'alors, échoué à l'assimiler et à la situation duquel on cherche à remédier est indispensable à l'activité d'apprentissage. »



أما

شكل 14- المثلث البيداغوجي لهوساي / تعريب الباحث

بالنسبة "لهوساي"(Houssaye, J. 2014)، وانطلاقا من اعتماد بيداغوجيا تقليديّة قائمة على المحتوى، يبقى تمشي التعليم (الضلع معرفة-معلّم) بعيدا عن أي نوع من الوساطة. كما يرى أن الوساطة تتحقّق كلّما كانت البيداغوجيا المعتمدة قائمة على الحريّة واللا توجيهيّة. ويظهر ذلك في المثلّث البيداغوجي من خلال تمشي التكوين (الضلع: معلّم-تلميذ)، حيث يكون المعلّم وسيطا. والبيداغوجيا المرتبطة بسيرورة التكوين تجد جذورها في تلك الحركات الفلسفية والتربوية الداعية إلى تبني تربية عصرية ومدرسة نشطة، والتي نجد صداها في أعمال كلّ من جون ديوي John Dewey وكارل روجرز C. Rogers أمّا البيداغوجيا التي تهتمّ بسيرورة التعلّم، (الضلع: تلميذ-معرفة)،فيلعب فيها التلميذ نفسه دور الوسيط. ويرى "ريزو" أنّه يمكن وقتها الحديث عن وساطة ذاتيّة.(Rézeau. F., 2001- P 24)

4.1 -الوساطة والعمليّة-التعلّميّة

نقصد بالعملية-التعلّميّة ماهو مذكور في الأدبيات التربوية والبيداغوجية على أنّه الديداكتيك Didactique بما هي حسب (Joshua & Dupin, 1989) العلم الذييهتمّ بدراسة ظواهر اكتساب المعرفة والشروط الضرورية لنقل الثقافة المتعلّقة بها، وكذلك شروط تعلّمها من طرف المتعلّم بالنسبة لمادة تعليمية محدّدة (Robinault, B.K.(2006- P12), *Introduction à la didactique* : Université de Lyon 2, France Perrin.)

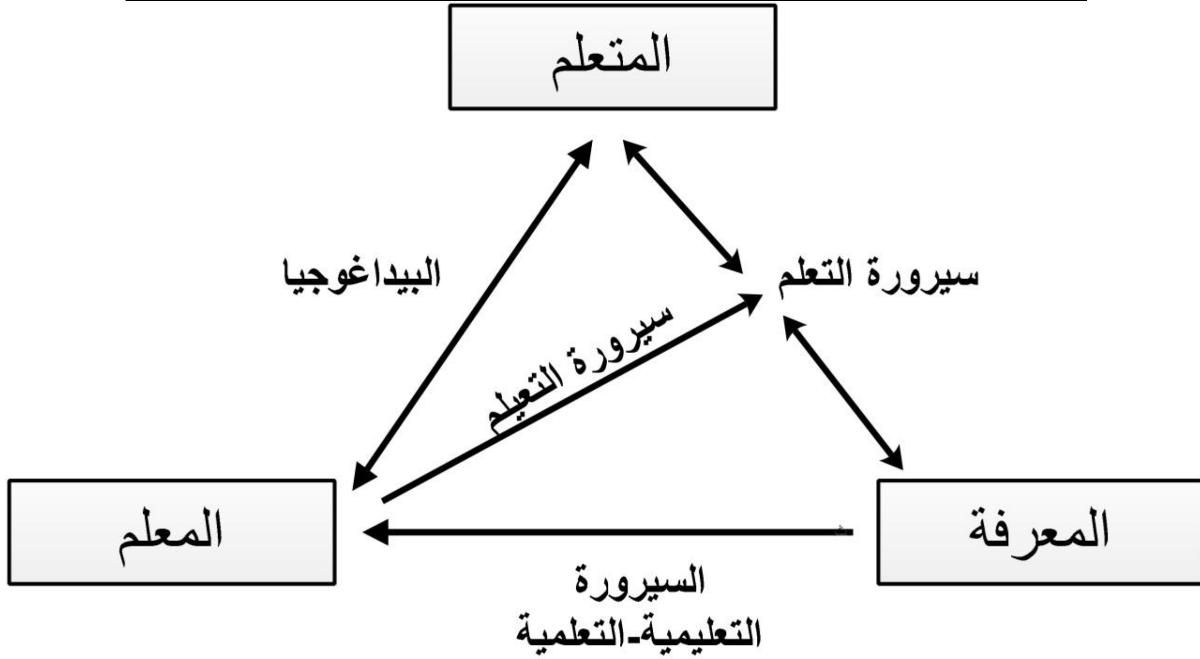
تختلف البيداغوجيا عن التعليميّة في أن الأولى تهتم بالعلاقة التي تجمع المربي بالمربَى في سياق محدّد وبغض النظر عن نشاط التعلّم. والبيداغوجي يهتمّ بما يدور في فضاء النشاط، ويسعى إلى مساعدة الطفل على تجاوز الصعوبات التي تعترضه في مدى زمني محدّد ومرتبط بسياق

معروف (الآن وهنا). أمّا المشتغل بالتعليميّة-التعلّميّة فيركّز عمله على التصرّف في المعلومة عن طريق البحث والتأمل.(Rézeau. F.,2001- P 25.)

ونرى أنّ عمل المربي يستوجب الاطّلاع بالدورين في نفس الوقت، دور البيداغوجي ودور الديداكتيكي. أي ما يتعلّق بالمنجز التطبيقي وما يتعلّق بالجانب التأمّلي والبحثي. إلا أن المثلّث البيداغوجي الذي اقترحه هوساي (شكل 15) ينفي حدوث الوساطة في نطاق سيرورة التربية في الضلع المتعلّق بالمعلّم والمعرفة. ولعلّ ذلك ما جعل "ريزو" Rézeau يقترح إدخال تعديلات على مثلّث هوسّاي البيداغوجي، في اتجاه إبراز مكانة سيرورة التعليم في المثلّث المذكور، باعتبارها مُحصّلة لكلّ من سيرورة التكوين وسيرورة التعلّم. وهومن شأنه أن يجعل من الوساطة كاملة في المثلّث وتامةّ الشروط.

نلاحظ أن سيرورة التعليم تنطلق من المعلّم للوصول إلى سيرورة التعلّم التي تربط بدورها بين المتعلّم والمعرفة. ذلك لأن الوضعيّة البيداغوجية تتطلّب إيصال شيء ما (معرفة) لشخص ما، هذه الحلقات المترابطة والمتكاملة تتأسس على أهداف محددة ننشد تحقيقها وتنجز في سياقها الزمني وعبر مراحل محددة وعبر جملة من الوسائل والأدوات والطرائق والمحامل يمكننا من إيصال هذا المضمون المعرفي في سياق الوضعية البيداغوجية المناسبة. ويمكن أن تعتبر هذه العملية إضافة نوعية تبرز أثر العملية التعليمية بما هي فعل وممارسة وتراكم وسلوك ومنظومة قيمية معرفية تربوية، تقدم في اطارها البيداغوجي وفق تمشيات معينة ضمن سياق زمني ومكاني محدد، يخضع الى جملة من التقييمات التي تبرز أثر فعل هذا على ذاك.

5.1- أثر التعليم على مثلث هوساي البيداغوجي:



شكل 15- المثلث البيداغوجي لهوساي باعتبار الوساطة / تعريب الباحث

(Houssaye, J. 2001- P 23).

كما نلاحظ أنّ محور سيرورة التعليم يمثّل الموسّط العمودي لزاوية المثلّث التي يمثّلها المعلّم، وهو بذلك يتوسّط سيرورة الديداكتيك وسيرورة البيداغوجيا، مما يجعل سيرورة التعليم تتماهى بوظيفة الوساطة. ويعتبر هذا النموذج قد تم تجاوزه خلال المقاربات الديدكتيكية الحديثة التي جعلت من المربي عنصرا من العناصر المشكلة للعملية التعلمية، ولكنه لا يمكن ان يشكل عمودها الفقري لأنها تتجه أكثر فأكثر نحو التعلم الذاتي والاعتماد على الوسيط الآلي والتعلم المتبادل أو التعلم البيني داخل الجماعة، الى جانب التعلم الميداني والتطبيقات المرفقة بتعليمات آلية من قبل الحاسوب بشكل مباشر أو عن بعد. هذه الإضافات وضعت المقاربات القديمة أمام اختبار صعب، نعيش بعض ارهاصاته في المدرسة التونسية بشكل خاص، وتعكسه النتائج التعليمية وما تبديه من مخرجات ليست في مستوى انتظاراتنا لبناء نموذج أفضل وأنسب.

ونشير هنا إلى أنّ الوساطة في الوضعيّة البيداغوجيّة، تلعب دور الموفّق بالنسبة للمعلّم بين دوره البيداغوجي ودوره الديداكتيكي، وتجعل منه وسيطا بين المعرفة والتلميذ. كما يُشير إلى أنّ هذا التعديل الذي طرأ على المثلّث البيداغوجي بهدف إبراز دور الوساطة في الوضعيّة البيداغوجيّة،

لن يكون الأخير حسب رأينا. إن التعديل القادم سيكون عند الحديث عن الوساطة الأداتيّة Médiatisation والحوسبة الإبداعيّة. وهو تعديل سيطال الشكل والوظيفة.

5.1- -الوساطة عند فيغوتسكيVigotski

كثيرا ما ترتبط اسهامات فيغوتسكي في الوساطة بما يصطلح على تسميته بمنطقة النمو الوشيك ZPD[4]* والتي هي الفرق ما بين ما يُمكن أن يتعلّمه الطفل بمفرده، وما يُمكن أن يتعلّمه بواسطة الآخر. وهذا الآخر قد يكون الولي أو المعلّم أو الأقران أو وسائط أخرى. ومفهوم منطقة النمو الوشيك، يضع فرضية بياجي Piaget، القائمة على أنّ نموّ الفرد يسبق تعلّمه، في موضع التساؤل. في حين يرى فيغوتسكي العكس تماما، فالتعلّم يسبق النموّ ويجعله ممكنا في حدود تلك المنطقة، منطقة النموّ الوشيك (Doly, A. M. (1998- P14), *Métacognition et pédagogie* : Paris, France.Puf).ويُطالب بعدم اعتبار مستوى النموّ سقفا للتعلّم، بل حدّا أدنى يجب تجاوزه لحصول التعلّم.وحتّى يكون التعلّم ممكنا، وجب الانطلاق من القدرات المتاحة للنموّ. هذا يعني أنّ على المتعلّم توظيف معارفه لإدراك خصائص الوضعيّة الجديدة، وذلك بدعم من الذي يُنجز فعل الوساطة. وفي هذا الصدد تقول "دولي")(Doly,A. M.1998بأنه " يصبح التعلّم ممكنا عندما يتمكّن الفرد المتعلّم من نسج ارتباطات بين ما يعرفه سابقا وبين ما يجب عليه تعلّمه ". (Kyung-Sook Lee, (2005- P12) *The relationship between children's computer game, usage and creativity in Korea :* Texas.)

تتشكل في منطقة النموّ الوشيك بذور أولى الإبداع عند الطفل حسب فيغوتسكي، وذلك من خلال احتكاكه بالكبار والأقران بتوظيف الخيال للحصول على أفكار جديدة.نعتقد بالتالي أنّ الوساطة التي تحدث في منطقة النموّ الوشيك تُساهم في نموّ التفكير الإبداعي لدى الأطفال. وهي بذلك يُمكن أن تكون منطلقا لتصميم برامج من شأنها أنّ تسعى إلى تحقيق ذلك الهدف، وهي بالنسبة لنا علاقة محتملة بين الوساطة والإبداع.غير أن "فارينو" Varinotقد نبّه إلى أن منطقة النموّ الوشيك تقع بين حدّين اثنين: حدّ أدنى، تحته لا يتعلّم الطفل شيئا جديدا، وحدّ أقصى لا يُمكن للطفل أن يتعلّم بعده شيئا.عندئذيتدخّل من يقوم بعملية الوساطة والدعم وهي عملية استجابة بالأحرى وليست عملية اسقاط. (Varinot,A.(2012-p12)"*Education. Pédagogique au service de la métacognition* ». Retrieved from https://dumas.ccsd.cnrs.fr/dumas-00760968).

وهو ما يُحتّم على المنشّط أو المعلّم الوسيط أن يلعب دورا مضاعفا يتمثّل في إنجاز وساطة بيداغوجيّة فاعلة من شأنها الوصول بالطفل إلى استكشاف منطقة النموّ الوشيك الخاصة به، وفي ذات الوقت مساعدته على تحقيق استقلاليته في اتجاه التعلّم الذاتي. ويجري كلّ ذلك في نطاق من العلاقات الاجتماعيّة المتداخلة والمتفاعلة فيها أخذ وعطاء.

6.1 -الوساطة عند برونر Bruner

[4]*Zone Proximale de Développement. (منطقة النمو الوشيك)

اشتغل "بورنر" Bruner بالتنظير لما أُطلق عليه تسمية التعلّم بالاكتشاف. وساهم بعد فيغوتسكي في التأسيس لمفهوم الوساطة التي كان كثيرا ما يتناولها في أعماله، تحت مفهوم الإسناد وهو ما يقابله في اللسان الفرنسيب(Etayage). والإسناد كما يراه برونر يُحيل إلى الخطوات المتّبعة للتقليل من درجات الحريّة عند إنجاز الطفل لعمل ما، بهدف التركيز على الصعوبة المستهدفة دون غيرها (Rézeau, J. Neil. (1995- P54), *the Guided Construction of Knowledge:* London. UK. Clevedon,)

إن السعي إلى التقليل من درجات الحريّة ليحيلنا مباشرة على مفارقة تتمثّل في ذلك العمل السلبي الذي ينطوي على الحدّ من تلك الحريّة. ولكن الأمر حسب برونر، لا يتعلّق بحريّة الفرد المتعلّم، وإنّما بتركيز تلك الحريّة على الموضوع المستهدف بالوساطة. ويضرب على ذلك مثلا جبيرة الجبس المستعملة مع كسور العظام، فهي تحدّ من حركة العضو بهدف المساعدة على الشفاء.
ويتّفق " برونر" مع فيغوتسكي في وجود منطقة انزياح تتمثّل في الفرق بين اكتساب الطفل للمعرفة منفردا وبين اكتسابه إيّاها بمساعدة الغير، وهو ما يتوافق تماما مع منطقة النمو الوشيك (ZPD) التي كان فيغوتسكي قد اعتبرها خاصيّة ثابتة وملازمة للنموّ الذهني للطفل.على هذا الاعتبار يمكن أن نعتبر إمكانية التدخّل بالنسبة للوسيط الذي يجب أن تكون داخل هذه المنطقة بالذات. (Rézeau,J.(2001-p16)
في مقابل ذلك، يعتقد برونر أنّ على الوسيط التحلّي بدور نشط يرتكز على معايير أبعاد منطقة الانزياح المذكورة في اتجاه تجويد عمليّة الإسناد وتعديلها. يعني التعديل في هذه الحالة، القيام بعمليّة الإسناد حينما تكون ضروريّة والتخلي عنها كلما بدت غير ضرورية. ويعتقد "مارسر" Mercer أن ّعمليّة التعديل تلك هي من أهمّ مقوّمات الإسناد، وهي في ذات الوقت ما يجعل نظرية برونر في الوساطة نظريّة أصيلة.إنّ برونر الذي درس أعمال فيغوتسكي ونقلها إلى اللسان الإنجليزي، يؤمن بدور التفاعل الاجتماعي في حدوث الوساطة، وخاصة عن طريق اللّغة، ولكنّه مع ذلك بقي وفيّا لأستاذه "بياجي" الذي يرى أنّ تشكّل المفاهيم يتمّ عن طريق ترسخها وتمثلها في العقل، عن طريق التفاعل الذاتي أساسا مع موضوع المعرفة. (Saillot, E. (2008- P36), *La médiation pédagogiqueau service de la motivation* : Paris, France. Harmattan.)

2-الوساطة العرفانيّة-

تندرج الوساطة العرفانيّة ضمن التيار العرفاني في علم النفس، وتنهل من البنائية الاجتماعيّة التي أسّس لها فيغوتسكي، وتقوم على مسلّمة مفادها أنّ الصراع الاجتماعي العرفاني sociocognitif الدائر في نطاق الوضعيّة البيداغوجيّة يحتاج إلى وساطة لتجاوزه وحلّه، ويكون المعلّم في مثل هذه الوضعيات وسيطا يسعى إلى تنظيم الصراعات العرفانيّة وإدارتها، وذلك انطلاقا من تصّوره للوضعيات المشكل التي تسمح بظهور تلك الصراعات وتُغذّيها. إلا أنّ تلك الوضعيات يجب أن تكون بالنسبة للطفل، في نطاق منطقة النموّ الوشيك التي أشانا إليها سابقا.

في هذا الإطار، نعتقد أنّ الوساطة العرفانيّة ارتبطت كذلك بتلميذ آخر من تلاميذ" بياجي "وهو "روفنفيرشتاين" ReuvenFeurstein الذي انتبه في أعماله في إطار حركة بناء معرفي، إلى القدرات الكامنة وراء تطوّر البِنى الإجرائيّة لدى المتعلّمين.(Saillot, E. (2008- P37 وذلك بعد أن قام بنفسه بتصميم مجموعة من الاختبارات التي تقيس إمكانات التعلّم قبل وبعد تمكين المتعلّمين من استراتيجيات مساعدة على حلّ المشكلات التي وُضعوا أمامها. وهي مقاربة تنبع من فكرة منطقة النموّ الوشيك، مضافا إليها الإطار النظري لمراحل النمو التي اشتغل عليها مع أستاذه "بياجي". ولعلّ أهمّ ما قدّمه "فيرشتاين" في هذا المجال يتمثّل في برنامج الإثراء الأداتي *(PEI)[5] والذي يقوم على مبدأين اثنين أساسين:

-القوّة الكامنة وراء قابليّة التربية.

-الوساطة المهيكِلة.

وتعتمد هذه الطريقة على أربع أدوات أساسيّة هي: سيناريو البرنامج لكلّ حصّة، والخرائط المعرفية للمتعلّمين، وقائمة الوظائف المعرفيّة ومعايير الوساطة. أمّا الوسائل المستعملة فتتمثّل في سجلاّت مسبقة الإعداد تحتوي على أنشطة في مختلف المجالات المرتبطة بالمعرفة وهيكلة العمليات المنطقية الأساسيّة، بهدف إنماء التفكير الاستنتاجي الاستنباطي لدى المتعلّمين. كلّ ذلك في مناخ يغلب عليه توظيف بنائية بياجي.

كما تعتمد الوساطة العرفانية على مسلّمة النقل الديداكتيكي في مجال التعلّم، بالرجوع إلى نفس المرجعية البنائية البياجستيّة(نسبة الى بياجي)، التي تقول بأن المعرفة تُبنى باتباع سلسلة من الأنشطة المتلاحقة المتمثّلة في التعميم والتجريد، يُنجزها الفرد انطلاقا من تجاربه الذاتيّة. وبالتالي فالنقل الديداكتيكي هو نتيجة لاشتغال العمليات الذهنيّة اشتغالا مستعرضا. إلا أنّ أغلب الدراسات التي أُنجزت حول مسألة النقل الديداكتيكي، وخاصة في مجال حلّ المشكلات الرياضيّة لم تُثبت هذا الأمر.هذا التركيز المفرط على تبنّي بنائية بياجية منطلقا لبرنامج الإثراء الأداتي، جعل منه نقطة ضعف حظيت بالكثير من الانتقادات. فنجد أن "ألان موال"Alain Moal يقول إن نتائج تقييم الطرق العرفانية تظهر تحسّنا محدودا في تصوّر الذات لدى المتعلّمين. أمّا فيما يخصّ نموّ الكفايات التواصليّة، فالنتائج غير حاسمة، ولكنها تكون سلبية عندما يتعلق الأمر بنقل المكتسبات إلى مضامين مثلما أشار إليه "سايو" [6](Saillot).

وقد لا حظنا من خلال محاولة الاطّلاع على جملة من البحوث الخاصة بالوساطة، وتبين لدينا أن هنالك تماهوارتباط بين الوساطة العرفانيّة والوساطة البيداغوجيّة. إلا أنّ البعض من الباحثين يُشيرون بوضوح إلى أن هنالك علاقة لا انفصام لها بين الوساطة البيداغوجيّة والوساطة

[5]* Programme d'Enrichissement Instrumental

[6] «Les résultats des évaluations des méthodes cognitives, qui montrent plus ou moins l'amélioration de l'image de soi et le développement des capacités de communication, sont plus nuancés, voire franchement négatifs, lorsqu'il s'agit d'apprécier le transfert des acquis aux contenus».

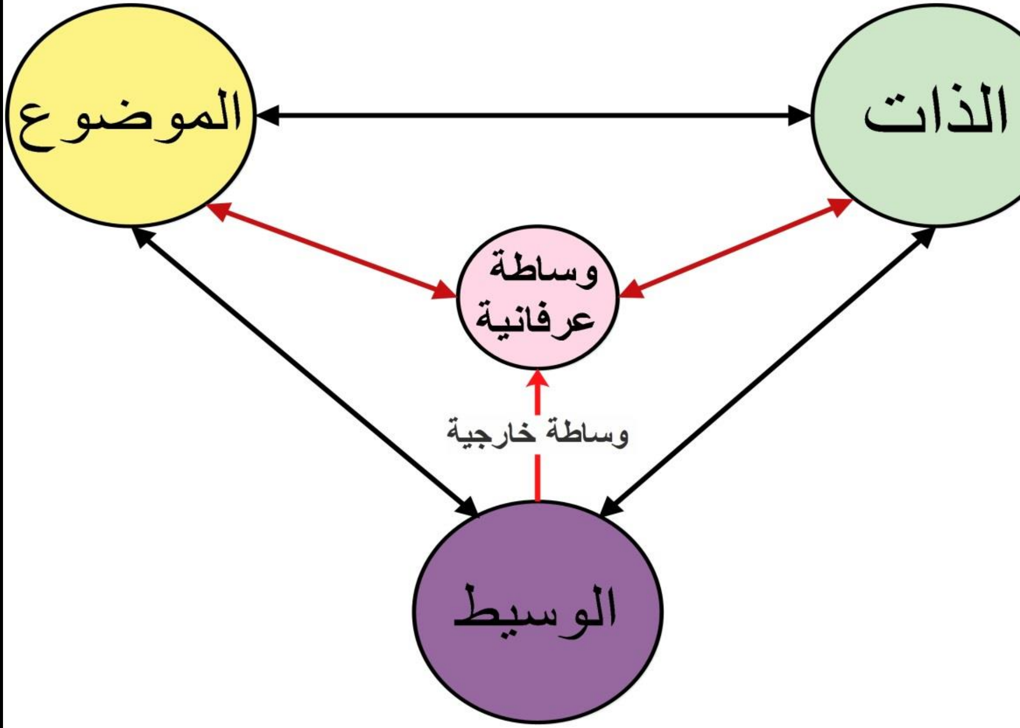
العرفانيّة. لعلنا نذكر من بين هؤلاء "إيف لونوار" Yves Lenoirالذي اقترح التفكير في الوساطة وفق المقاربة التي ترى أنها:

-سيرورة خاصة بالإنسان: وساطة داخليّة، باطنيّة، عرفانيّة.

-سيرورة تتجه نحو الإنسان: وساطة خارجيّة، ظاهرة، تهدف إلى الدعم والعلاج.

سيرورة يُنجزها الإنسان (لاستبطان واستظهار الواقع): وساطة الواقع لضمان تفاعل التعديلات الاجتماعيّة والتربوية والذاتيّة .(Lenoir, Y. (2003- P14), *Médiation et rapport au savoir : la médiation au cœur d'une perspective intégratrice de l'intervention* : In : Le didactique au-delà des didactiques. Débats autour de concepts fédérateurs, Bruxelles. Belgique : De Boeck Université.)

ويُمكن إجمالا اختزال فكرة "لونوار" Lenoir في الشكل التالي:



(Lenoir, Y.(2003- P 15).

1.2-الوساطة الفنيّة

يمكن تعريف الوساطة الفنيّة على أساس أنّها سيرورة تهدف إلى جعل الفن في مدار الفهم الاجتماعي، وإضفاء المعنى على الممارسات الثقافيّة. فمفهوم هذا النوع من الوساطة قائم على وجود فجوة بين المجتمع وبين الفن. فإذا سلّمنا بوجود تلك الفجوة ذات المنشأ الاجتماعي، فإن الوسيط الفني، الذي يملك القدرات الضروريّة والأدوات المناسبة، سيعمل على تضييقها إلى أقصى حدّ ممكن في اتجاه التخلّص منها.لمقاربة الوساطة الفنيّة، نقترح الانطلاق من اعتبارها تندرج ضمن الوساطة بشكل عام. ولأنّ الوساطة تأخذ معناها كما أسلفنا من فكرة التوسّط والتدّخل لفضّ الصراعات بالحسنى، والسعي إلى تقريب وجهات النظر المتباعدة لأطراف النزاع، فمن المحتمل إدراج الوساطة الفنيّة في هذا الباب.

كان دور الوساطة الفنيّة، من وجهة نظرنا، يتمثّل في تسهيل عمليّة استيعاب الفن وتذوّقه من طرف أفراد المجتمع. فقد فهم "بيار بورديو" .Bourdieu P الأعمال الفنيّة على أنّها رسائل تتطلّب معرفة مسبقة بالشفرة التي تُساعد على حلّها أو تفسيرها بشكل واف. ذلك أنّ علماء

الاجتماع يعتقدون أن ليس للقطع الفنيّة قيمة في حدّ ذاتها، وإنّما تكتسب هذه القيمة إضافة إلى الصفة الفنيّة، من خلال التصوّرات التي تحصل لدى الجماعة المهتمّة بالشأن الفنيّ. فالجماعات ذات الخلفيات الثقافية المختلفة، لا تتفق حول تعريف الفنّ وماهيته، أي أنّ قطعة ما قد تصنّف على أنها عمل فني متميّز من طرف جماعة معيّنة، وقد لا تكون كذلك عند جماعة أخرى، وهو ما يفسر أن الفن له بعد فردي وثقافي وحضاري وفلسفي، أي أننا لا نتمثل الفن بمختلف مكوناته بشكل متطابق، وهو ما جعل علماء الاجتماع يتحدثون على ذلك من خلال خلفيات التنشئة الثقافية وما تتركه فينا من معايير وقيم، وتمدنا بآليات الفهم والتأويل، وتصبح بالتالي المرجع الذي نستند إليه في ذلك.

لذا، فالتصنيف الذي ينتج عن تعاريف ما هو فنّ وما هو عكس ذلك، هو على علاقة وطيدة بالصراعات بين الجماعات المختلفة. فكلّ جماعة ستحاول عن قصد أو دون ذلك تعريف الفن والمضامين الثقافيّة الأخرى بما يتلاءم مع الحدّ الأقصى من مصالحها. وبالتالي تصبح عمليّة الوساطة ضرورية لتماسك المجتمع وللحفاظ على هوّية ثقافيّة تُمثّل ذلك المجتمع. ولعلّ أحسن من عبّر عن هذه الفكرة هي الفنّانة التشكيليّة "فرانسوازجيلو" (2001) FrançoiseGilot التي قالت: لا يعدو عمل الفنان إلا أن يكون نوعا من أنواع الوساطة في أحد معانيها بين الذات من جهة وبين الطبيعة والمجتمع من جهة أخرى. (Gilot, F.(2001-p32), *Painter's Perspective in The Origins of Creativity:*London, England. UK).

ومن جهة أخرى، نتساءل عن تلك العلاقة التي تنشأ بين الأفراد أو الجماعات نتيجة للفعل التعبيري الناتج عن الممارسات الثقافيّة، وعن التصوّر الفردي أو الجماعي للواقع وللمعطيات الاجتماعية الملتبسة به. إن تلك العلاقة تستمد معناها من سيرورة جمالية على علاقة بالفن، وتنجز إذا ما توفرت على فضاء معترف به، وساطة بين الذات والآخر وبين الذات والمحيط الاجتماعي. (Caune. J. (2005-p11.), *Pratiques culturelles, médiation artistique et lien social* : Paris, France. Harmattan.)

ولقد ارتبط تاريخ الوساطة الفنيّة بالعلاج النفسي، وخاصة بالعلاج بواسطة الفن. في هذا النوع من العلاج يعتمد المعالج على الوساطة الفنيّة التي يوفّرها الفنّ التشكيلي والرقص والمسرح لمساعدة المريض على تجاوز صعوباته النفسية وذلك بإتاحته فرصة التعبير عنها، وذلك بالبحث عن الارتباطات الممكنة بين مشاعره وأفكاره وبين ممارسته الفنيّة. وقد يحاول أثناء ذلك الوصول إلى آفاق جديدة لذاته عن طريق فهمها ومساءلتها وبالتالي المصالحة معها. وكثيرا ما تُنجز تلك الوساطة الفنية في شكل ورشات، وقد لا تقتصر على المرضى. لكن الهدف منها ليس المنتوج الفني الذي يخرج به المشارك فيها، وإنّما أهمّ شيء فيها هو التمشي الذي أدّى إلى ذلك المنتوج. وقد حاولنا الاشراف على بعض الورشات لفائدة الأطفال المشاركين في التجربة في إطار تربص لفائدة طلبة ماجستير البحث، وحاولنا الالتزام بالمحدّدات التطبيقية للورشة، والاستعانة بما جاءت به تطبيقات الوساطة الفنيّة. ونعتقد أنّ التمشيات المعتمدة لإنتاج المشاريع

الفنيّة بواسطة برمجيّة سكراتش programmation scratch قد تحفّز نموّ مهارات التفكير الإبداعي لدى الأطفال الذين شاركوا في الورشات المذكورة.

2.2-الوساطة الأداتيّة

لابد أن نُشير في هذا المستوى من التحليل أن مفهوم الوساطة على حداثته قد عرف ثراء على المستوى اللغوي، ففي اللغة الفرنسية نجد جملة من المشتقات التي ليس لها بالضرورة نفس المعنى، ذلك أن Médiatisation ليس لها نفس المعنى مع médiation، غير أن المفهومين يعودان الى نفس الفعل médiatiser، وتنحدر من نفس المصدر اللاتيني من الفعلmediareوهو ما يقابله في العربية بالوساطة والوسيط والواسط والتوسيط، وهي مرادفات ومشتقات لها من الثراء والشمولية ما يجعلها تشمل أكثر من مجال وأكثر من معنى، غير أنها تلتقي في المعنى الاجرائي للمفهوم، وتنحدر من فعل توسط وهو فعل غير متعدي بنفسه وهو فعل حركة، وفعل يوحي بمعناه من خلال ما يصل من ايقاعها التلفظي (phonétique).

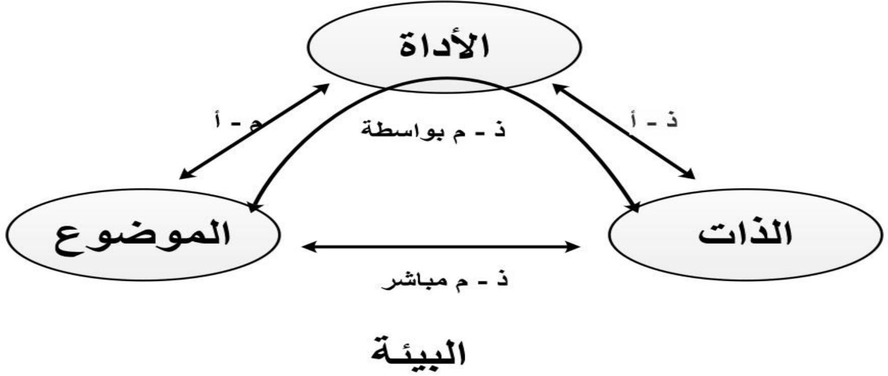
أما إجرائيا، فيمكن أن نعتبر الوساطة الأداتية بأنها وساطة قائمة على استعمال أداة أو محمل، تتمثل في تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وبالتحديد برمجية سكراتش،وهي برمجية مخصّصة لإكساب الأطفال كفايات في مجال البرمجية الحاسوبيّة. يكون الحاسوب في هذا النوع من الوساطةطرفا من أطرافها، وهو ما جعل الأمر يتطلب إعادة النظر في المثلّث البيداغوجي وفي الوضعيّة التعليميّة التعلّميّة،وهي مدخل حقيقي يمكن من خلاله أن نجد تقاطعا بين المنظومتين التعليمية والمنظومة التنشيطية من خلال الوساطة الأداتية التي تعتمد على برمجية سكراتش كمحمل يتضمن بعدا بيداغوجيا (Rabardel, P. (2011- P 45.), *Les hommes et les technologies ; approche cognitive des instruments contemporains* : ALSAS, France, PUF).

إن استعمال الأدوات لتحقيق الوساطة، لا يجعل منها حالة خاصّةإلا إذا استعملنا تلك الأداة مكان الوسيط المشار إليه في الشكل (16). وهذا تماما ما اقترحه "رباربيل"، زاعما أن ذلك سيؤدي إلى مجموعة مهمّة من التفاعلات والتداخلات المتمايزة، والتي لم تكن لتظهر لو اقتصر الأمر على النماذج الكلاسيكية ثنائيّة الأقطاب (ذات – موضوع). ويُمكن اختصار تلك التفاعلات كما يلي:

-التفاعلات بين الذات والأداة.

-التفاعلات بين الأداة والموضوع بشكل يمكّنها من التصرّف فيه.

-التفاعلات بين الذات والموضوع بواسطة الأداة.



Rabardel. Pierre, (2011-P 25).

إن الا **17** سألة الأدوات لا يقتصر على الوساطة، فبالعودة الى الدراسات التي وقع تخصيصها لهذا المفهومتؤكّد جميعها على الرغبة في التعامل مع تعميم فكرة الأداة، أكثر من الإبقاء على صورة مجرّدة لها. وهو ما يُحيلنا إلى مفهوم آخر مستعمل في علم الأنثروبولوجيا، وهو مفهوم الظاهرة الاصطناعيّة. ويعتقد "ربارديل" في جدوى توسيع وجهة النظرة التي ترى أن الأداة يُمكن أن تكون كيانا مختلطا بين الذات والظاهرة المصطنعة. وفي أغلب الحالات تعتبر الظاهرة المصطنعة أداة في حدّ ذاتها قد تكون ماديّة أو تكون نظاما رمزيا.

من خلال دراستنا الحالية، تتمثّل الظاهرة المخلَقة في برمجية حاسوبيّة المتمثلة في برمجيّة سكراتش. هذه البرمجيّات حسب تعريف "رباردیل" تتوفّر على كلّ الشروط التي تجعل منها أداة للوساطة، وذلك لعدّة اعتبارات أهمها احتواؤها على نظام رمزي (البرمجة) وعلى جانب مادي (الحاسوب)، وتوفّرها على شامات Schèmes تضبط طريقة استعمالها. بل أنّه يرى أن البرمجيات الحاسوبيّة تعدّ أداة خاصّة للوساطة ولتفاعل الذات مع ذوات أخرى،وهو ما يسمح بظهور قطب رابع يساعد على تحقيقالنموذج السابق للوساطة الأداتيّة بشكل جديا.

3-رهانات الوساطة:

لقد اشرنا في بداية الدراسة الى أن للوساطة عدة ملامح ومقاربات ليست بالضرورة متجانسة من حيث الموضوع، ولعل أهمها الوساطة التي تنجز داخل واقع وفكر يتسم بالبعد الحقوقي والقانوني وظروف العدالة، وهو ما نسميه اليوم بالطرق الموازية لتسوية الخلافات، هذه المعالجة القانونية التي تتم خارج الأطر الرسمية للعدالة والقضاء، وهي عبارة على سياق مبتكر من المعالجة اللينة متعددة الأبعاد، تتسم بالنعومة على اعتبارها تنفتح على أكثر من تخصص ولا تشتغل على الجانب

التحديدي والصارم الذي تؤمنه المؤسسة القضائية في شكلها التقليدي، فهي تستعين بنظريات الإعلام والتفاوض إلى جانب الإشعار باختصاصات أخرى مثل علوم التمكين والتدبر management)(Ampowerment et والتوافق والشفافية والتشاركية، فهي إذا فعل وممارسة وفكر ومواقف يمكن أن نختزلها في التالي:

هي شكل بناء وتصرف في الحياة الاجتماعية بفضل إدراج طرف ثالث مستقل ومحايد بلا سلطة ما عدى سلطة التأثير الذي يُختزل في الوساطة. في حين تقدم الوساطة في تعريف آخر على أنها طريقة لحل الخلافات التي تعتمد على سياق مهيكل تسمح بمقتضاها لطرف ثالث للوصول إلى قرارات غير ملزمة وغير مسقطة. في كلا الحالتين نلاحظ غيابا لمعنى السلطة المباشرة والمعلنة للوسيط، وهذا يعني أنه يشتغل على مستوى الاستراتيجي والهيكلي والشبكي ويهيئ الوضعيات ويستجلب الظروف والعناصر التي تساعد على حل المشكل دون أن يفرض بواسطة سلطة مباشرة مهما كان نوعها.

1.3-مهمة الوساطة وتطوراتها الهيكلية:

عرفت المجتمعات البشرية على اختلافها في الزمان والمكان حضورا لمعنى الوساطة أو مؤسستها وفي أشكالها التوافقية والعفوية والبنيوية، وشكل هذا الحضور تكريسا لمعنى التقارب وتصريف الأزمات وحل الخلافات والاحتكام بين المتصارعين والمتحاربين. والوسيط في هذا الإطار يمكن أن يكون شخصا أو مجموعة، فالزعيم أو المرجع أو كبير السن شيخا أو عجوزا كانت المنظومة تعطيه مشروعية الوساطة وتوفر لديه آلياتها وأدواتها وتسعفه لتتحول مكانته الاعتبارية واستبطانه للمنظومة واستحضار المصلحة العليا للمجموعة بأن يمارس سلطة رمزية واعتبارية مؤثرة للوصول إلى نتائج وتقريب وجهات النظر وحل المشاكل. كما تحولت مع الوقت إلى هيكل اجتماعي مصنف بصفته الهرمية، على أنه إطار يجمع الوجهاء والعقلاء والسادة وأصحاب المكانة وأصحاب المال والحكمة إلى هيئة كانت تسمى بالميعاد أو المجلس أو "الموقف" وغيرها، وهو عبارة على هيكل تشريعي تنفيذي واستشاري يشارك في تصريف أمور الجماعة في السلم وفي الحرب، في شؤون دنياهم ومعاشهم، المأكل والمشرب والمرعى والزواج والانفصال، الحياة والموت. هذا الهيكل يمارس وظائف الوساطة في كثير من الأحيان سواء بين الأفراد أو الجماعات القبائل أو فروعها بشكل عام.

عرفت المجتمعات الحديثة ظهورا واختراعا للوسيط وللوساطة باعتبارها مؤسسة منذ بداية القرن العشرين، نذكر منها دولة السويد تحت مسمى D’ombudsman وهو الشخص المكلف بالدفاع عن حقوق المواطنين أمام السلطة العمومية. أما الوساطة التربوية فإنها بدأت داخل المنظومة التعليمية وخاصة بين التلميذ والمعرفة وذلك لخلق وضعيات وأحكام واستعدادات تسمح للتلميذ التعبير عن المشاكل والاختلافات النفس اجتماعية والمعرفية الخاصة لكل التعلمات حتى يقدر على تجاوزها.

أما الوظيفة الأخرى للوساطة فإنها تتأسس على إعادة الوساطة المعرفية أو العرفانية، ويتم تطبيقها أساسا في مجال التكوين الخاص بالكهول قبل الدخول في المنظومة التربوية التعليمية. وشيئا فشيئا تطورت الوساطة في هذا الإطار لتصبح موكولة إلى مدرسين وأساتذة قدامى أو إلى فرق تربوية تهتم بالحياة داخل الفصول أو خارجها، مثل العلاقة مع الأسرة أو المحيط المدرسي. في حين أن البعد الآخر لهذه المهمة في الوساطة التربوية فإنها تسند إلى فاعلين شبان يوضعوا على ذمة المؤسسات من قبل الوزارة تحت مسمى الوسطاء التربويون أو البيداغوجيون، وتكون مهامها أساسا في حل المشاكل الوقائية النوعية والتحسيس وتخفيف التوتر الذي يكون بين الشباب والتلاميذ ذوي الأصول العرقية أو الدينية أو الاجتماعية المتعددة والمختلفة، وهي مهمة سلمية وتنشيئية وذلك ببعث أفضية التعبير أو للكلام (des espaces de parole). وهو فضاء تعديلي لا يمكن أن يؤثر على وضعية القسم أي أن يتحولوا إلى مصدر ثقة وأمان وائتمان لأسرارهم ومشاكلهم.

في مستوى آخر، كان لابد من تحليل وظيفة الوسيط التربوي وهو ما اصطلح على تسميته بالمرافق المدرسي، وهو عادة ما يكون موظف عرضي أو متطوع يقوم بعملية الوساطة بين المدرسة والأولياء. على هذا المعنى يمكن القول بأنه ليس فقط وسيط بل هو محطة إبدال un relais يساهم في تمرير المعلومة إلى الأولياء والعكس بالعكس، وهو دور ليس بالهين أن تقوم بالوساطة بين المؤسسة التربوية والأسرة، لأن هذه الأخيرة لطالما بحثت عن محطة إبدال أكثر منه وسيطا، لأنها تريد من الوسيط أن يلعب دورا أكبر في جانبه المعياري حتى لا يكون هذا الدور فقط يتمركز حول الوساطة بين المتعلم والمعرفة، لأن فلسفة الوساطة تبدو حاملة لرؤية ذات ثنائية منفصلة على الواقع، لأن هذه الممارسة يمكن أن تطبق في المجال السياسي والاجتماعي مثلما تطبق في الحقل التربوي، فهي ليست وظائف يتم بعثها هكذا دون تبصر، بل هي إمكانية لبناء علاقات أكثر هيكلة وأقل حدَة في المواجهة وأكثر تعقل وحكمة واقل فجائية.

لذلك يمكن القول بأن الوساطة العصرية تصنف على أنها تدخل حمائي ووقائي بدل أن تكون ممارسة لحل المشاكل. لهذا الاعتبار فإننا نلاحظ أن عمل الوساطة بتراكم التجربة طور قواعد وسلوكيات، كما هذَب الممارسات العفوية والفجائية وغير المعقلنة، وهو الفضاء الزمني الذي تشكل فيه تمثل اجتماعي يتضمن على تحول عميق في مستوى قواعد الممارسة، ومكنها بالتالي من إعادة صياغة جوانبها الرمزية والابتعاد بها عن الاختلافات التي كانت في العادة أحد المجالات التي يفصل فيها القضاء حول الوضعيات الخلافية بطريقة نوعية (Déjudiciarisation des conflits) واللجوء إلى فضاء موازي أكثر إنسانية واقل تكلفة، فيتحول بمقتضاه الوسيط إلى مجمع rassembleur وموفق وعون تحالف معدل مختص في الإنصات كما يسميه "انتوان أدلين" (Adline,Antoine.2008- P 19) بنصف الراهب ونصف المختص النفسي، وهو جنس أو نوع نادر لكن يجب أن يبنى في كل الأحوال. (Adeline, A. (2008- P 19), « *La médiation un nouvel outil de*

résolution de litiges dans le marché de l'assurance » : Paris, France,Harmattan.)

فالوساطة إذن، تنشد دائما معالجة الصراعات من خلال السعي لتقريب وجهات نظر الفرقاء، أي أن تتوصل إلى مقترحات تبدو رابحة للطرفين، وهو ما يترجم اتفاق الطرفين المتخاصمين وهنا يمكن أن نفصل بين الوساطة والعدالة. هذا ما جعل الوساطة تتمأسس في المجتمعات المتطورة وتأخذ بعدين أساسيين، الوسيط كفاعل تضعه المؤسسة على ذمة مستحقيه، وهو وسيط لا يبدو على درجة من الحيادية أو الوسيط المستقل عن المؤسسات والذي يمثل طرفا ثالثا، وهذا التحول في مستوى الوساطة هو عبارة على تحول في عمق علاقات السلطة بين الهيئات أو الأفراد.

2.3-الوساطة كسيرورة:

قبل الشروع في عملية الوساطة لابد من احترام جملة من الشروط العامة قبل وإثناء العملية، وحتى تكون هذه السيرورة عادلة ومنصفة تفترض من القائم بالوساطة أن يضع قائمة في الشروط التي يقدروا أنها هامة، ومن بين الأدوات المقترحة هي عملية اكتشاف أفضل الحلول البديلة من قبل الوسيط بعد أن يقوموا بعملية التفسير والمشاركة لبقية الأطراف المعنية، ويتم الاتفاق على مراحل سيرها وفائدتها المشتركة للجميع.

3.3-مبدأ إدارة الصراع بشكل موازي داخل عملية الوساطة:

إن عملية إدارة الصراع بشكل موازي هي ليست مجرد نماذج ضمنية بل هي جملة مبادئ لابد من تطبيقها خلال السيرورة، لذلك يبدو استحالة بل عبثا أن نعالج الصراعات دون الأخذ بعين الاعتبار الأسس الديونتولوجية والمنهجية، وهذه القيم التي علينا اعتمادها هي الإرادة والقدرة، احترام الخصوصيات الشخصية واحترام الأسرار الخاصة، العدالة والأمان والحرية، والتخلي عن هذه القيم تعرض مسار الوساطة إلى الفشل.

4.3-الإرادة وقدرة التحرك والمساواة والحرية:

هذه الشروط الأساسية التي على الأطراف المعنية أن نلتمسها حتى تشارك في تحليل وإدارة الصراعات، وهذا يعني اطلاع الفاعلين وأخذهم بعين الاعتبار ومعرفتهم سيرورة الوساطة ومعرفة كيفية اشتغالها وما هي أهدافها؟ وبالتالي تحمل مسؤولياتهم وأدوارهم. معنى ذلك أن عليهم أن يكونوا مستعدين لتبادل وجهات النظر حول جملة من الأسئلة والوضعيات بينهم وبين المعنيين بسيرورة الوساطة، كما يفترض على هذه السيرورة ألا تعرَض الوسطاء إلى مشتقات للمؤسسة العدلية.

5.3-احترام أسرار الآخرين إلى جانب الحياة الشخصية ومبدأ الأمان:

إن هذه المبادئ التي تنادي بها الوساطة باعتبارها أحد الشروط الأساسية التي تعتبر ملامح مرتبطة بسيرورة الأطراف المتخاصمة والمتصارعة والمعنية، عليها أن تقرر بالشراكة منذ البدء ما هي الأسئلة التي سيتم معالجتها وفي أي ظروف ستتم هذه المعالجة، معنى ذلك أنها مطالبة بوضع قوانين اللعبة وان تختار الطرف المناسب، والوسيط هنا هو حكم يسعى إلى تطبيق القانون الذي تم الاتفاق عليه إلى جانب التحلي بالسلوك النزيه والعادل.

6.3-الشروط المستوجبة قبل وأثناء الوساطة:

إن سيرورة الوساطة هي حلقات متكاملة ومترابطة، لذا يمكن اعتبار مرحلة الاستعداد هي أهمها وأكثرها حساسية وهشاشة في بناء وإدارة عملية الوساطة، لأن هذه المرحلة تتضمن على تحليل الوضعية والمحادثات الفردية مع الفاعلين ووضع التمشيات الخاصة بكل عملية مصالحة وما تشترطه من تسهيلات، كل هذه الاستعدادات هي من مسؤوليات الوسيط حتى يتمكن من وضع الفرقاء حول طاولة الوساطة كمرحلة أولية. غير أن عملية تحليل الصراع والاستعداد للوساطة قد لا يكفي للوصول إلى تمشيات سليمة ضمن سيرورة الوساطة، بل قد تفاجئنا أثناء ذلك إلى بروز معطيات وحيثيات جديدة قد تؤثر أو تغير سير الوساطة، لأن عدم التوازن أو الانخرام في موازين القوى بين المتخاصمين يربك المسار برمته، لذلك على الوسطاء المحترفين أن ينتبهوا إلى ذلك وان يأخذوا الإجراءات المناسبة للمعالجة والتدخل للتعديل والتصويب وإرجاع التوازن والثقة بين مختلف الأطراف وإعطاء فرص متساوية أمام الجميع.

هذا يعني أن هذه المرحلة ستمكن الجميع وأساسا الوسيط من جمع المعلومات وتقاسمها وتفسير وشرح دلالاتها ومعانيها وتقديم القواعد العامة لسيرورة الوساطة، إلى جانب وضع الشبكات الاجتماعية في أماكنها حتى تساهم في توفير مجالات التواصل وإرساء مناخا للثقة بين الفاعلين والمتنازعين، وهو ما يمكن بالتالي الوسطاء من التمتع بمشروعية في أعين الأطراف المعنية وهو ما يساندهم أيضا على اخذ قرارات تسند حياديتهم.

لقد تم الاتفاق أن يكون الوسيط طرفا ثالثا قادرا على فك التكلس الحاصل بين طرفين في حالة اختلاف، وذلك من خلال الابتعاد عن المشكل الذي تسبب في الاختلاف، وهو شرط أساسي لحلحلة المشكل والتقدم مع الأطراف بشكل تدريجي من خلال تهيئة الأرضية المناسبة لبناء الحوار وبداية الحديث، ومن تقنياته أيضا عزل الأسباب التي تساهم في تعميق الازمة واخذهم نحو النظر والحديث عن الامتيازات بدلا من المواقع التي يحتلها كل طرف من الأطراف المختلفة. كما يساعد الطرفين في مزيد الانتباه والوعي بأن الطريق الأنسب والأربح هو التفاوض والحوار والتوصل الى توافقات بدلا من الدخول في متاهات المحاكم والتقاضي الذي ينهك ويستهلك جهدا وطاقة ومالا ووقتا، وليس بالضرورة التوصل الى الحلول المؤملة والمنتظرة من كلى الطرفين، وهو ما يسميه "أنطوان ادلان" (Adeline, A.(2016-p13)الذي يختزله في القاعدة الذهبية التي يمكن اختزالها كالتالي: Alternative to a Negocieted

أي افضل بديل للوصول الى التفاوضوتحقيق التوافق بين Agreement)[7]BATNA (Best طرفين.(Adeline, A. 2016-P 13)

7.3-الوساطة الالكترونية الموجهة للطفل:

يتم تمرير الثقافة الالكترونية الموجهة للطفل عبر عدة وسائط تتشكل من الرسوم المتحركة وافلام الكرتون والحاسوب والعاب الفيديو والعاب الأنترنت وغير ذلك من الوسائط الجذابة. وتؤثر هذه الأفلام على وجدان الطفل بحيث يتماها مع نماذجها ويتمثل قيمها وتشرب معاييرها، فتلقي مثل هذا المنتوج صورة وصوتا في مراحل متقدمة من حياة الطفل بما تتضمنه من ابعاد حسية وحركية يقوم على إثرها بتخزين تلك الصور لتصبح جزءا من رصيده الوجداني والتربوي واطارا مرجعيا يستحضره في مراحل التنشئة الاجتماعية على اختلاف مكوناتها دون أن تتكون لديه القدرة على الغربلة والتقويم.

يعتبر هذا الوسيط الجديد باعتباره محملا الكترونيا وافتراضيا قادرا أكثر من أي شيء آخر على استمالة الطفل وسحبه دون أن يشعر لدائرة الإدمان عليها، وهنالك سعي بشكل أو بآخر لمحاولة تنميط وتعليب وعي الطفل في نمط ثقافي محدد، يؤمن بقيم الصراع والربح والقوة وتغليب النزوات والدعوة إلى الفردانية كأسلوب عيش يختزل الاعتماد الكلي على الذات كغاية ومنطلقا والقطع مع كل ما يشكل مرجعية تقليدية مثل العائلة أو الجماعة أو الثقافات المحلية المخصوصة.

واعتبارا لهذا الواقع الجديد ونتاجا لهذه الثقافة الجديدة، بدأنا نلحظ لدى الطفل التونسي دوافع نفسية متناقضة بين ما يتلقاه عبر الثقافة الالكترونية والافتراضية الرائجة وبين ما يعيشه في الواقع اليومي في البيت وفي المحيط الاجتماعي، مما يترتب عليه حالة نفسية وبنية ذهنية ممزقة تتجاذب فيها قيم متباينة ومتنافرة في غالب الأحيان، وهو ما يخل بحالة الشعور بالانسجام والتناغم بين البلاغات والمصادر المتعددة المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية في مجالاتها المتعددة، مثل فضاءات التعلم والترفيه والتثقيف، التي لا تحمل جميعها نفس الأهداف ونفس الغايات في عملية بناء شخصية الطفل.

إن هذا العصر بما يحمله من ابهار وسلب للعقول وشل للقدرات المقاومة، وبما يتضمنه من تشعب في التأثير والتنميط، إلا أنه ظل مجهولا بالنسبة لأطفالنا الذين لا يعرفون منه إلا بوابات الألعاب والشبكات الاجتماعية والتطبيقات الجاهزة، والخروج على هذا يعد حالات شاذة وليس وضعا عاما. لذلك وجدت الجهات المنتجة لهذه البرامج والمنظومات الترويج والتسويق لها، مما يوحي بوجود سيرورة ممنهجة لغرس ثقافة جديدة غير مهيأ لها على مستوى بنية المجتمع وقيمه، مما أحدث توقعا بميلاد جيل جديد غريب عنا ولا نقدر التوقع لما يمكن أن يكون عليه في الغد القريب، يعيش ازدواجيات ومفارقات على جميع المستويات، القيمي والسلوكي والمرجعي والثقافي ونمط التفكير وسبل العيش وطيعة العلاقات وردود الأفعال، أي أن هنالك ميلاد لثقافة

.

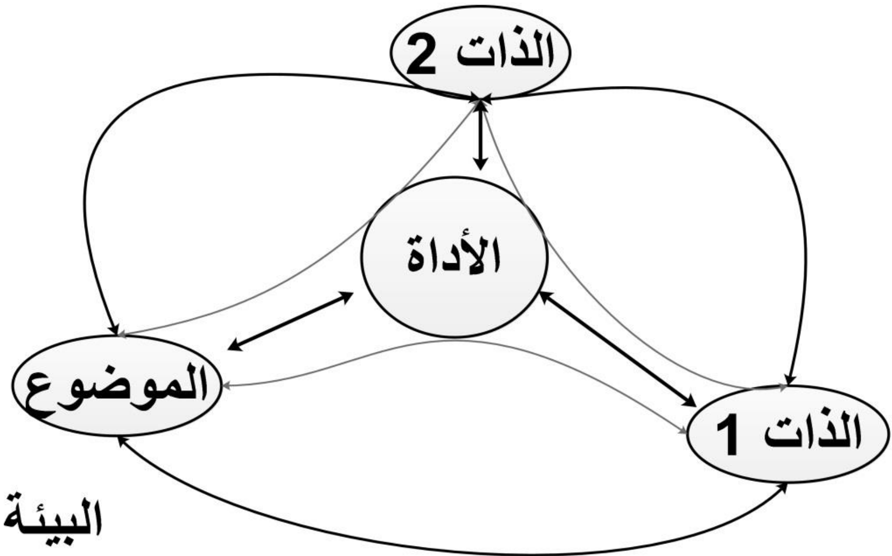
جديدة خاصة به سريعة التطور وبعيدة عن التوقع ولا نحمل حولها تمثلا مشتركا، ولعل المدرسة بدورها أصبحت لا تزيده إلا اغترابا،كما أن المنظومة التربوية السائدة ماهي إلا برهنة على عدم تلاؤمها مع المعهود والموجود الى عهود قريبة داخل المجتمع التونسي، حتى أن الدراسات الجامعية المختصة وبحوث الاكاديميين أصبحت لا تفي بالغرض نظرا لسرعة التحولات والتغيرات التي تحصل على ملامحها وتداعياتها ونواتجها، أو لعلها لا تعتمد ولا تفعل لا في اطارها المعرفي ولا الاجرائي وهي جهد يضل مسجون في الرفوف المكتبية أكثر منه ألية لحل المشكلات الاجتماعية الميدانية والمؤسسية.

8.3-ثقافة الطفل الجديدة بين الوساطة والتسلية وسلب العقول:

تعتبر هذه الثقافة سمة العصر وأحد مظاهره فهي برامج ومضامين للتسلية بامتياز تعتمد على كل شروط التسلية بما هي اثارة ومتعة مشاركة وحركة تبدو ملائمة لمعانقة براءة الأطفال، لكن في باطنها تخفي ترسانة من القيم والسلوكيات والمعايير الجديدة والغريبة عليه، غير أنه لا يدرك من خلالها أنه يتعود ويتمثل معنى الربح ومنطق السوق، لكن دون احترام للكيف والآخر والوسيلة والطريقة والوفاء والاحترام، فهذه الأنشطة قد تخاطب الغرائز وعشق الجسد بما هو منطلق الجمال والقوة، ومن خلال ذلك تغرس لديه منظومة يستبطنها ويتمثلها على أنها جبلة لا يمكن الحياد عنها إلا بجهد كبير يأتي في مستويات عمرية متأخرة.

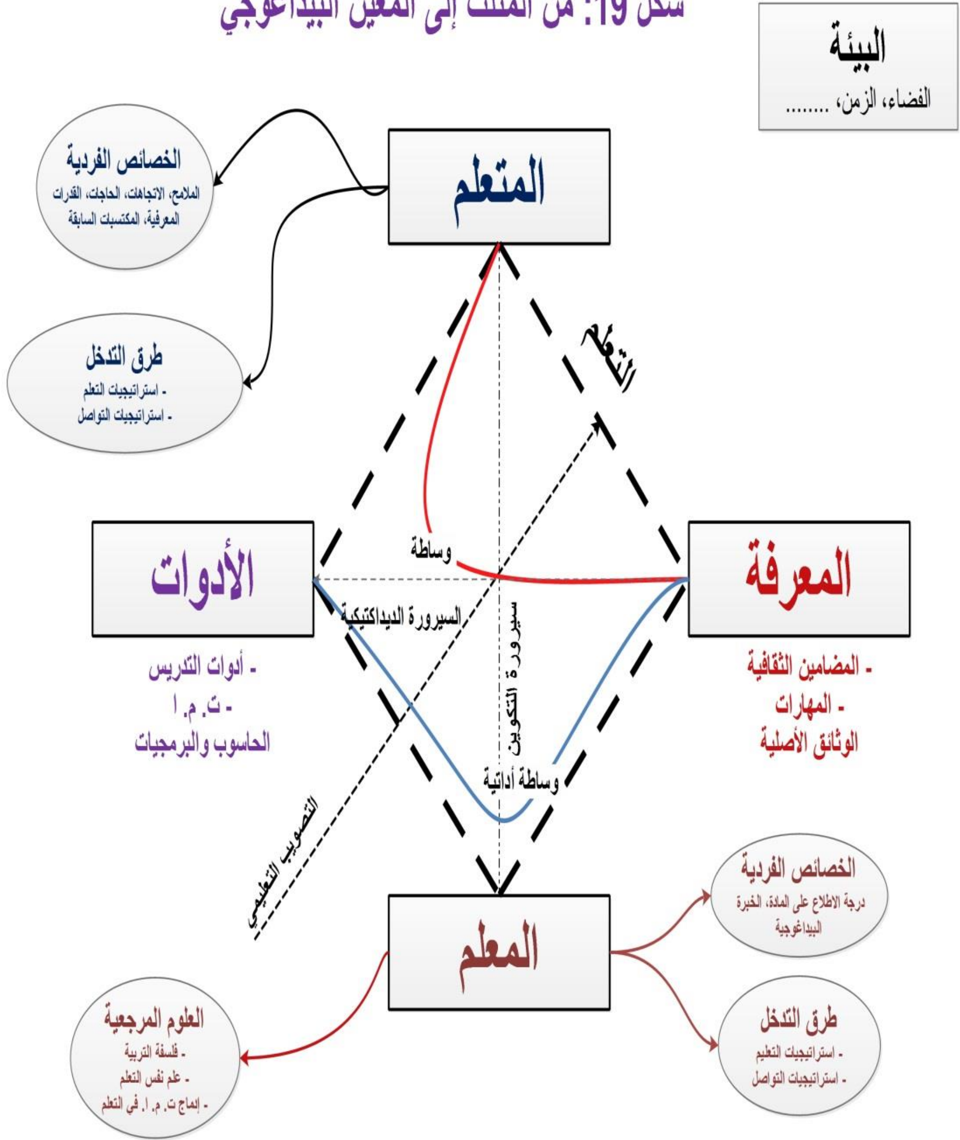
تظل السياسات الوطنية على اجتهاداتها ومختلف مراحلها أنها لم ترتقي الى مستوى انتاج برامج وطنية ونماذج مرجعية تشكل الوعي الجمعي لدى الأطفال، وتساهم بالتالي في خلق بدائل ورهانات تساهم في تحصين الطفل وحمايته من تأثير النماذج المسقطة والمهيمنة والمعولمة، وهذا الفشل الاستراتيجي من لدن الحكومات الوطنية في مجال التنشئة والتربية الموجهة للأطفال. على حد قول المقولة المأثورة " تأبى المصائب أن تأتي فرادة " فأن هذا الخلل كانت له تداعيات أخرى على مستويات مختلفة مثل منظومة التربية والتعليم وقطاع الطفولة والشباب والثقافة، باعتبار أنها القطاعات الأعمدة التي بإمكانها بناء النشأ واعداد أجيال المستقبل والقدرة على حمايتها من حالة التهديد والضياع واليأس وما رافقها من تمظهرات سلوكية واخلاقية وعنفية وتهديمية.

إن البرامج والبدائل الاستراتيجية المتعلقة بثقافة الطفل التونسي لا يمكن أن يكون بالتقوقع والانغلاق ورفض الآخر وفكر المؤامرة وشيطنة المختلف عنا حضاريا وثقافيا ودينيا، بل لابد أن يكون من خلال تحصينه وتدريبه ومرافقته وتعليمه وفق رؤى مدروسة وخطط مضبوطة ومناهج محددة ووسائل منسجمة مع ثقافتنا التونسية المتسامحة والمنفتحة وفق مرجعيتها المخصوصة



وموروثها الضارب في القدم مع الحرص على تمكينه مزيدا من الثقة في النفس والادراك لذاته بعيدا عن مخاطر الانسياق وراء تفكيك وسلب هويته الثقافية على أن لا يبنى على معنى المنع والحرمان بل التحفيز والتوجيه والمرافقة والتعديل والتوجيه وفق آليات علمية ومنهجية وبيداغوجية ملائمة للمراحل العمرية.

ومع أنّنا سنعود للحديث عن الوساطة الأداتيّة المحوسبة، فإنّه يرى أن الوساطة الأداتيّة وساطة تامة الشروط تقوم على استعمال أدوات لتحقيقها، وهو من شأنه إدخال متغيّرات جديدة على الوضعيّة البيداغوجيّة ذات العلاقة بالوساطة. كما تحوّل المثلّث البيداغوجي إلى معيّن بيداغوجي. وهو ما يمكن توضيحه بالاعتماد على الشكل التالي:



Rézeau, J. « *Médiation, médiatisation et instruments d'enseignement : du triangle au « carré pédagogique »* :ASP [En ligne], 35-36 | 2002, mis en ligne le 28 août 2010, consulté le 21 décembre 2020.

URL :http://journals.openedition.org/asp/1656,DOI :https://doi.org/10.4000/asp.1656

4-العلاقة بين الوساطة والإبداع

قبل الحديث عن علاقة محتملة بين الوساطة والإبداع، يُشير الباحث إلى أن هذه الوساطة وبالرغم من تعدّد أشكالها: البيداغوجية والعرفانية والفنيّة، ودون الخوض في ذكر أشكال أخرى لها لا تهمّ الدراسة الحاليّة، تبقى على ارتباط وثيق بالتربية. ولذلك كان الحديث في هذا المبحث عن وضعيّة بيداغوجية ومثلّث بيداغوجي وعن الفروق بين البيداغوجيا والديداكتيك، وعن الدور التربوي للوسيط الذي يُمكن أن يكون كهلا أو مجموعة من الأقران، أو أداة. وفي حالة كان الوسيط أداة يُمكن الحديث وقتها عن وساطة أداتيّة Médiatisation.

وفي صورة كانت الأداة محوسبة، أي في حالة وقع الاعتماد على أحد روافد تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تحقيق الوساطة، يُمكن الحديث وقتها عن أداة خاصة بوجهيها المادي والرمزي. بل نرى أنّ الحديث عن وسيط غائب، هو المبرمج أو مجموعة المبرمجين الذين صمّموا وأنجزوا التطبيقة، يصير ممكنا. فالتفاعل الذي يحدث بين المتعلّم والبرمجية هو تفاعل حقيقي وفي الاتجاهين. فالبرمجية قادرة على التعرّف على النمط العرفاني للمتعلّم، وبالتالي فهي تعدّل من المضامين المقدّمة بحيث تصير مرتبطة بالذات المتعلّمة.

وهو ما يدفعنا لاقتراح مفهوم الوساطة المؤجل، وهي وساطة يُنجزها مبرمج التطبيقة الحاسوبية دون حضور المتعلّم، أثناء الاشتغال عليها. وتتضّح نتائجها من خلال استغلال التطبيقة. إن استعمال البرمجيات والتطبيقات الحاسوبيّة يضعنا أمام وضعيّة خاصة يكون فيها الوسيط غائبا والوساطة مؤجّلة.

أمّا العلاقة بين الوساطة والإبداع، فقد أكدها "مدنيك" على أن الوساطة واحدة من الطرق التي تساهم في تحقيق الإبداع وتساعد على تنمية التفكير الإبداعي. أمّا فيغوتسكي صاحب نظريّة منطقة النموّ الوشيك فقذ ذكر أن الإبداع لدى الأطفال يقوم على الخيال والألعاب الرمزية التي يقومون بها بصفة طبيعيّة. وما على المربيّ أو الوسيط إلا تهيئة الفضاء المناسب لذلك، والعمل على تقوية فرص ظهور محفّزات الخيال، وذلك ممكن حسب فيغوتسكي في حدود منطقة النموّ الوشيك، أي في الحدود التي تكون فيها الوساطة ممكنة.

ولعلّ الشيء نفسه ينطبق على منطقة الفضاء الوسيط التي تحدّث عنها "وينيكوت". فهو يرى أنّ الإبداع يبدأ منذ الولادة، ويتمظهر في إدراك الرضيع للعلاقة بين إحساسه بالجوع وظهور ثدي أمّه في المكان والتوقيت المناسبين لبروز تلك الحاجة لديه. يقول وينيكوت أن ثدي الأمّ هو إبداع الرضيع. علاقة أخرى محتملة بين الوساطة والإبداع تنطلق من فكرة الإسناد لدى "برونر"، فهو يوافق فيغوتسكي في وجود منطقة تتماهى وظيفيا مع منطقة النموّ الوشيك، يُسمّيها هو بمنطقة

الانزياح. وهو يرى أنّ الإسناد الذي يُنجزه الوسيط لفائدة الطفل ضروري لإكسابه معارف ومهارات جديدة، ومنها مهارات التفكير الإبداعي.

ونعتقد من خلال ما تم ذكره من وسائل وتقنيات تنمية الإبداع أنّه جميعها تقوم على الوساطة، بل أن شتيرنبرغ (2007) تحدّث عن اثني عشر مفتاحا لتنمية الإبداع عند الأطفال وهي:

-التشجيع على توليد الأفكار.

-مساءلة وتحليل الفرضيات المقدّمة.

-تشجيع الأطفال على تحديد العراقيل وتجاوزها.

-تشجيع الأطفال على المجاسرة والمغامرة المحسوبة.

-تشجيع الأطفال على التعايش مع الغموض.

-مساعدة الأطفال على التحلّي بتقدير الذات.

-مساعدة الأطفال على إنجاز ما يرغبون في إنجازه.

-تعليم الأطفال مدى أهميّة تأخير الحصول على المكافئة.

-إعداد بيئة مشجّعة على الإبداع ومحفّزة عليه.

لو ألقينا نظرة على الصيغة الصرفية للمفردات التي أُستهلّت بها تلك الجمل المفاتيح لوجدناها مصادر على علاقة بالإسناد الذي تحدّث عنه برونر. وهي في ذات الوقت تنطوي على معنى الوساطة من حيث هي أعمال ينجزها فرد قادر أو جماعة لفائدة فئة من أطفال في حاجة إليها.

الخاتمة

رغم هذه المحاولة في التأسيس لمقاربة جديدة تتحدث عن الوساطة كأحد الرهانات الجديدة في مختلف أبعادها ومجالاتها، ورغم الحقيقة النسبية التي تعبر على أن الوساطة رافقت الحضارات والشعوب على اختلافها، وقدمت لها هياكل مختلفة وتحت مسميات عديدة، غير أنها تعود اليوم باعتبارها حاجة جديدة وتعبيرا على درجة الأزمة التي تمر بها المجتمعات البشرية على اختلاف درجات التحضر والتقدم والتطور الحاصلة لديها، غير أنها جميعها تقر بمبدأ الالتجاء الى هذا الهيكل المستحدث. رغم أن الوساطة وساطات وهي عملية إبداعية ابتكارية، وقمة ما وصلت إليه الاجتهادات الإنسانية في إيجاد الحلول البديلة والموازية بعيدا عن الأطر التقليدية والرسمية المتعارف عليها.

إن الوساطة تعبر عن حالة من الموضوعية والحيادية والمهنية التي لا تشترط بالضرورة الوصول الى نتائج ملموسة والى معطيات مادية، بل تعبر على خطوة نحو الحل وأسلوبا لإعادة اكتشاف المشكل من زاوية مختلفة، والابتعاد بها على مبدأ الربح والخسارة، وعلى مبدأ المواقع والاحجام، لنكتشف زاوية أخرى جديدة للمشكل الى جانب العناصر الأخرى التي قد تكون لها علاقة بالمشكل ولكن ليست المشكل في حد ذاته. كما أنها أسلوب آخر من التعاملات واللقاءات الحوارية والتواصلية التي يبتعد فيها الأطراف المختلفة على الشروط المسبقة وعلى الحسابات القبلية، ويتم التركيز على مبدأ اكتشاف كل طرف لنفسه أولا ثم معرفة الطرف الثاني بعيدا عن الاحكام المسبقة والأفكار النمطية واعتباره آخر مختلف عنا من حيث وجهات نظره، الى جانب فرصة الالمام بطبيعة المشكل بغض النظر عن النتائج الآجلة والمباشرة.

أما في المستوى التربوي والتعلمي، فأن الوساطة تعتبر آخر المكتشفات البيداغوجية والعلمية التي يمكن أن تحدث تغيرا على مستوى جل الرسومات التي تم التوصل اليها من قبل المختصين، وتدرج عنصر هام لا يقل أهمية على دور المربي، وينتقل بنا الى مقاربة تتبني على مبدأ الوسيط الآلي. هذا الأخير يمكن أن يعطينا أبعادا جديدة لطبيعة العلاقة التي كانت سائدة، ويجعلنا نتساءل أيضا عن مآلات هذه المؤسسات الراسخة في العقول، ويحيلنا الى مبدأ الطفل المتعلم ذاتيا، والاكتشاف المعرفي والمعرفة عبر الممارسة وعبر الحركة الموجهة والحرة، ويغير المجال والفضاء ويغير الأدوات والمحامل والتمشيات، ويعطي للمجموعة مكانة هامة في تمرير المعلومة بدلا من المربي، ويرتبط بالتالي الوسيط بمقاربات نظرية تستند أساسا على علم النفس الاجتماعي وعلم النفس التربوي الى جانب علوم التربية وعلم الاجتماع التربوي وغيرها فهو مجال واعد ومبشر بأبعاد تربوية وبيداغوجية ملفتة للانتباه. أي أننا نؤسس الى علم الوساطة بديلا وآلية تؤشر على ميلاد عصر الوساطة في كل المجالات.

قائمة المراجع:

1.ادريس سهيل(1994)، قاموس المنهل، فرنسي عربي، الطبعة الثالثة عشر، بيروت، دار الآداب.

2.إنجلز، ديفيد وهجسون، جون(2007)، ترجمة ليلى الموسوي،سيسيولوجيا الفن، طرق للرؤية، سلسلة عالم المعرفة، عدد 341،الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

3.Adeline, A. (2008), « La médiation un nouvel outil de résolution de litiges dans le marché de l’assurance »: Paris, France,Harmattan.

4.Arnaud,N.,(7 décembre 2015). Article : le médiateur et la médiation : site internet : https://www.natalie-arnaud.médiation.fr/.

5.Caune. J. (2005), Pratiques culturelles, médiation artistique et lien social : Paris, France. Harmattan.

6.Doly, A. M. (1998), Métacognition et pédagogie de la définition par la psychologie à la mise en œuvre à l'école : Thèse de Doctorat, Université Lumières, Lyon.https://hal.archives-ouvertes.fr/hal00835076, submitted on 19 Jun 2013.
7.Groupement Européen des Magistrats pour la Médiation (GEMME),(2006-p20)« Le règlement à l'amiable (des conflits) a la priorité » : (Conseil fédéral, Message relatif au CPC Site :https://www, Jean-Marc Dubois.comm.fr
8.Gilot, F. (2001),A Painter's Perspective in The Origins of Creativity:Edition Oxford, London. University Press. Oxford.
9.Houssaye, J. (2014), Le triangle pédagogique, les différentes facettes de la pédagogie » : 2eme éd. Paris, France. EST.
10.Lenoir, Yves, (2003),Médiation et rapport au savoir : la médiation au cœur d'une perspective intégratrice de l'intervention : In : Le didactique au-delà des didactiques. Débats autour de concepts fédérateurs, Bruxelles. Belgique : De Boeck Université Médiation et rapport au savoir : la médiation au cœur d'une perspective intégratrice de l'intervention, CRIE, Sherbrooke.
11.Guillaume-Hofnung,M. (2009), la médiation : collection que sais-je ?, Paris, France. Éd, PUF
12.Rézeau,J. (2001), Médiatisation et médiation pédagogique dans un environnement multimédia :Thèse de Doctorat, Université Victor Segalen, Bordeaux.
13.Robinault, B.K.(2006), Introduction à la didactique : Université de Lyon 2, France.Perrin.http://icar.univlyon2.fr/equipe2/master/data/cours_A3E/systeme_didactiqe
14.Rabardel, P. (2011), Les hommes et les technologies ; approche cognitive des instruments contemporains : ALSAS, France, PUF.

15.Rézeau,J. « Médiation, médiatisation et instruments d'enseignement : du triangle au carré pédagogique ».ASP [En ligne], 35-36 | 2002, mis en ligne le 28 août 2010, consulté le 21 décembre 2020. URL:http://journals.openedition.org/asp/1656;DOI : https://doi.org/10.4000/asp.1656

16.Mahender Reddy,Sarsani. (1999), these de doctoraten philosophie, Université de l'education de londre,Exploring the promotion of creative thinking among secondary school students in India, Institute of Education: University of, London.submitted,(January *1999)*.

17.Kyung-Sook Lee, (2005), the relationshipbetween children's computer game usage and creativity in Korea:Texas.

18.Kathrin, G. (2017), la médiation : une approche constructive à la hauteur des conflits de notre temps :Doctorat en sciences politique.Université de Paris, Panthéon-Assas.

19.Varinot, A. (2012) "Education. Pédagogique au service de la métacognition » : Retrieved from, https://dumas.ccsd.cnrs.fr/dumas-00760968).

إدمان وسائل التواصل الاجتماعي وسط طلاب الجامعات وأثره على الهوية الثقافية(دراسة ميدانية لعينة من طلاب جامعة ودمدني الأهلية، ولاية الجزيرة، السودان)

د. إخلاص محمد عبد الرحمن حاج موسى، أستاذ علم النفس الصحي المشارك، جامعة ودمدني الأهلية- السودان

ملخص: هدفت هذه الدراسة إلي معرفه مستوي إدمان وسائل التواصل الاجتماعي لدي طلاب جامعة ودمدني الأهلية، وعلاقته بمتغيرات (نوع اللغة المستخدمة في التواصل، والمواد الثقافية المفضلة)، اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، شملت عينه الدراسة عدد (183) من طلاب الجامعة، تم جمع المعلومات باستخدام مقياس الإدمان الالكتروني (للدكتور سيد يوسف)المعدل على البيئة السودانية، تم بعدها استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية(SPSS) لتحليل بيانات الدراسة، أثبتت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوي الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى عينة من طلاب جامعة ود مدني الأهلية تبعا (لنوع اللغة المستخدمة في التواصل، والمواد الثقافية المفضلة)، وقد أوصت الدراسة برفع الوعي الأسرى والمجتمعي تجاه مخاطر الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي، تضمين تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية ضمن المقررات الدراسية بمختلف المراحل، إقامة الدورات التدريبية المتخصصة لرفع وعي طلاب الجامعات بمهارات الاستخدام الأمثل لوسائل التواصل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: إدمان، وسائل التواصل الاجتماعي، الهوية الثقافية.

Social media addiction among university students and its impact on cultural identity(Field study of a sample of wad medani university students ,Gezera state, Sudan)

Dr.Ikhlass Mohammad Abdelrhman Hajmusa, Associate professor of Health psychology Wad medani ahlia university- Sudan

Abstract: The aim of this study is to understand the effect of Social media addiction among university students and its impact on cultural identity ,and its correlations with some variants; (communication language, favorite cultural items) The research relied on analytical descriptive study. The study sample included (183) university students. Data was collected using measurement of the electronic addiction scale for Dr. sayed youssef. and analyzed with SPSS (Statistical Package for

the Social Sciences). The results proved that there were statistical differences in the level of social media addiction in the area of the variants: communication language, favorite cultural items. The study recommended that raise the family and community awareness toward social media addiction, Including the impact of social media on cultural identity in the curriculum at different level, organizing specialized training courses to raise the awareness of university students about the skills for optimal use of social media

Key wards: addiction, Social media, cultural identity.

مقدمة:

تعد عملية التنشئة الاجتماعية التي تتشكل من خلالها سمات الفرد ومهاراته الاجتماعية إحدى أهم عمليات التواصل الفعال، والذي يعتبر أحد المتطلبات الأساسية التي لا غني للإنسان عنها، إذ يتم عبرها التفاعل ونقل وتبادل الأفكار والخبرات في المجالات المختلفة. وتبعاً للتطور التقني والتكنولوجي في عصرنا الحالي فقد تطورت وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي، وأصبحت تمثل حجر الزاوية في تطور ونهضة الشعوب. تقوم فكرة شبكات التواصل الاجتماعي على بناء وتفعيل المجتمعات الحية على الانترنت، حيث يتشارك الناس اهتماماتهم وأنشطتهم من خلال برمجيات تحقق صفة الاجتماعية وتحقق اتصالات تفاعلية باتجاهين، لأن التطبيقات الموجودة عليها تتيح نقل البيانات الالكترونية وتبادلها بسهولة ويُسر وتوفر للمستخدمين إمكانية العثور على آخرين يشتركون معهم في الاهتمامات، وهذا ينتج ما يسمى بالمجتمعات الافتراضية، حيث يستطيع المستخدمون التجمع في كيانات اجتماعية تشبه الكيانات الواقعية(جابر محمد خلف، 2013). وقد سُميت مواقع التواصل الاجتماعي بهذا الاسم لأنها تقوم على المستخدمين وتتيح لهم التواصل فيما بينهم سواء أن كانوا أصدقاء على ارض الواقع، أو تم التعارف بينهم فيما يسمى بالعالم الافتراضي(سمر محمد الدريلمي، 2013، ص27). ويعني التواصل عملية تبادل للأفكار والآراء والمشاعر بين الإفراد في علاقة اجتماعية قائمة بينهم في أطار مجموعة من المعايير والشروط والقواعد من خلال نظام مشترك ومتعارف عليه من العادات والتقاليد عن طريق التفاعل برموز لفظية أو غير لفظية تظهر في الكلام أو الكتابة أو الإشارة، (حسن شحاتة، زينب النجار، 2003، ص17). فشبكات التواصل الاجتماعي هي منظومة من الشبكات الالكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء حساب خاص به ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهوايات والاهتمامات(وائل مبارك خضر، 2010، ص6**)**. في السودان وتبعا لبيانات(الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، 2019) أصبح الانترنت ساحة للتداول وتبادل الآراء والمعلومات في بلد تسيطر فيه الدولة بإحكام على وسائل الإعلام التقليدية إذ يحتل السودان المركز الخامس من بين أكثر الدول العربية استخداما

للانترنت بعد كل من مصر، المملكة العربية السعودية، المغرب، الجزائر، وتعمل على خدمة قطاع الاتصالات في السودان ثلاث شركات هي (شركة زين، وشركة أم تي إن، وشركة سوداني)، ويقدر عدد سكان السودان بحوالي 42 مليون نسمة يستخدم منهم الانترنت نحو 13.2 مليون مستخدم بواقع 28% من السكان، وقد زاد الاهتمام بوسائل التواصل الاجتماعي ووصل عدد مستخدمي فيسبوك 7 مليون مستخدم، بينما يصل عدد مستخدمي تويتر 250 ألف مستخدم. وقد أوردت(social media stats in Sudan, 2019- 2020)، إحصائية بأكثر وسائل التواصل الاجتماعي استخداما في السودان على النحو التالي:



شكل رقم(1) يوضح وسائل التواصل الاجتماعي الأكثر استخداما في السودان.

إشكالية الدراسة:

تتيح مواقع التواصل الاجتماعي لمستخدميها من طلاب الجامعات خدمات جليلة وإمكانات تقنية هائلة للبحث العلمي ورفع الوعي الفكري والثقافي ومتابعة انجازات وخبرات واختراعات وثقافات الشعوب المختلفة، مما يسهم إيجاباً في صقل خبراتهم وتجاربهم ومهاراتهم، ومن جانب أخر يحمل تسارع التطور التقني والتكنولوجي لوسائل التواصل الاجتماعي، في طياته معاول طمس وتشويه للهوية الثقافية للشباب، إذ أن الرسائل والجرعات الإعلامية عبر منصات التواصل الاجتماعي تأتي في معظمها متضاربة وغير متسقة مع منظومة القيم والعادات والتقاليد.وتعتبر الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية المتردية في السودان، وما ترتب عليها من عوائق وصراعات واحباطات بين فئة الشباب، الى جانب الإمكانات الضخمة والأساليب والوسائل الجاذبة التي تنتهجها المجتمعات الغربية للترويج لثقافاتها، مقارنة مع الجمود وعدم المواكبة في وسائل التواصل التقليدية المحلية والتي لم تنجح في إيجاد لغة مشتركة بينها وبين فئة الشباب، كل ذلك جعل الشباب السوداني، وفي ظل افتقاره للنضج والوعي الكافي للتعامل مع الآلة الإعلامية الضخمة، منقاداً بانبهار وإعجاب أعمى للثقافة الوافدة والتي بات الوصول إليها متاحا عبر الهواتف الذكية، والتي يمتلكها تقريباً كل الشباب. فكانت النتيجة انغماس الشباب في محاكاة وتقليد

وتقمص الثقافات الوافدة بحثاً عن المواكبة والتطور، الأمر الذي ألقى بظلاله السالبة على تماسك الهوية الثقافية لديهم وما يترتب على ذلك من أثار نفسية واجتماعية وصحية، فقضاء الساعات الطوال على مواقع التواصل الاجتماعي يقود بدوره لمزيد من العزلة والانطواء والانسحاب النفسي والاجتماعي، والى الضغط النفسي الناجم عن عدم القدرة للإيفاء بالالتزامات الأكاديمية والأسرية والاجتماعية، أضف الى ذلك حالة التمرد على القيم والعادات والتقاليد الموروثة، والتشوه اللغوي الناجم عن استخدامهم في التواصل للغة(فرانكو ارب أو العربيزي) مما قاد بدوره لإضعاف الحصيلة اللغوية الأكاديمية والدارجة السودانية لديهم، إضافة الى التقليل من شان اللغة العربية والزهد في محاولات إجادتها وتطويرها، والانصراف الى اللغة الانجليزية ومحاولة استخدامها والتفاخر بإجادتها باعتبارها لغة العلم والتقنية الحديثة، كل ذلك قاد الى الانغماس في الثقافة الوافدة والعزوف عن متابعة أو التعرف على الإرث الثقافي المحلي مما قاد بدوره الى عدم الرضا عن الذات وهشاشة الأنا المتمثلة في التقليد الاعمي والتقمص لبعض الشخصيات حتى في شكل الملبس أو تصفيف وحلاقة الشعر من هنا تأتي هذه الدراسة لتلقي الضوء على ظاهرة الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي بين طلاب جامعة ود مدني الأهلية وما يترتب عليه تأثير على الهوية الثقافية للطلاب.

فرضيات الدراسة:

-مستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى عينة من طلاب جامعة ودمدني الأهلية مرتفع.

-توجد علاقة دالة بين مستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى عينة من طلاب جامعة ود مدني الأهلية واللغة المستخدمة في التواصل

-توجد علاقة دالة بين مستوي الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى عينة من طلاب جامعة ود مدني الأهلية والمواد الثقافية والإخبارية المفضلة.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

-التعرف على مستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب جامعة ود مدني الأهلية.

-التعرف على الفروق في مستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب جامعة ود مدني الأهلية تبعاً لمتغيرات الدراسة(اللغة المستخدمة في التواصل، المواد الثقافية والإخبارية المفضلة).

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على الدور المتعاظم لوسائل التواصل الاجتماعي وما تتيحه من تسارع تكنولوجي وانفتاح على ثقافات المجتمعات المختلفة، واكتساب للمعارف وتبادل الخبرات، وما لهذا الانفتاح من جانب آخر، من تبعات سالبة على تماسك المنظومة القيمية

والهوية الثقافية المجتمعية للشباب الذي بات يهدر كثير من الوقت والطاقات التي كان يمكن توجيهها لعمليات التنمية والتغيير بالمجتمع. في مجال التوجيه والإرشاد الشبابي والتثقيف الصحي، والتخصصات ذات الصلة تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال الاستفادة من نتائجها لوضع الخطط المستقبلية والبرامج التدخلية التي تهدف لرفع الوعي بين الشباب بالآثار النفسية والاجتماعية والصحية المترتبة على الانغماس في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، كما تأمل الباحثة أن تُسهم هذه الدراسة في مجال الدراسات والبحوث التي تعني برفع الوعي المجتمعي بقضايا التعود الالكتروني وأثاره السالبة في هدر الطاقات النفسية والاجتماعية وطمس الهوية الثقافية للشباب.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتناسبه وموائمته مع طبيعة هذه الدراسة والذي يعتمد على تحليل البيانات ودراسة الواقع أو الظاهرة، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ومن ثم يعبر عنها تعبيراً كمياً.

مصطلحات الدراسة:

مواقع التواصل الاجتماعي: منظومة من الشبكات الالكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات(سمر محمد الدريملي، 2013).

الهوية الثقافية: " تعني التفرد الثقافي بكل ما يتضمنه معني الثقافة من عادات وأنماط وسلوك وقيم ونظرة للحياة(ثائر رحيم كاظم، 2009).

وسائل التواصل الاجتماعي:

تلعب مواقع التواصل الاجتماعي دوراً هاماً في رفع الوعي المجتمعي حيال القضايا المختلفة، فقد كان لها دورها الهام في رفع درجة الوعي المجتمعي حيال الكثير من القضايا الجوهرية، ففي مجال الوعي السياسي، لعبت شبكات التواصل دوراً مقدراً في قيادة ثورات التغيير في عدد من الدول العربية، وتعتبر ثورة ديسمبر 2018- ابريل 2019 في السودان أصدق مثال للدور الفعال الذي يمكن أن تلعبه وسائط التواصل الاجتماعي في تغيير واقع الشعوب، إلى جانب إسهامها في تشكيل وتوجيه الرأي حيال القضايا المصيرية، وإتاحة حرية التعبير، وإدارة النقاشات العلمية والأكاديمية المتخصصة عن بعد، كما أسهمت في إتاحة الفرصة للانخراط في الدورات التدريبية في المجالات المختلفة مما أتاح الفرصة للتواصل وتبادل الأفكار والخبرات للشباب، هذا بجانب كسر الحواجز الجغرافية والإقليمية، ومتابعة ومواكبة التطور العلمي والتقني في العالم، والتعرف على ثقافات الشعوب ولغاتها، بما تمنحه للمستخدم من فرصة لتبني أفكاراً جديدة، وعرض أفكاره على الآخرين في حرية. إلا أن الانجراف وراء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي والانفتاح على الثقافة الوافدة دون توازن يمكن أن يلقي بظلاله السالبة على تماسك الهوية الثقافية بالمجتمعات المتلقية، وهنا أشارت(سامية قطوش، 2013، ص49) أن هذه الوسائط بما تمتلكه من إمكانات تستطيع تكوين قناعات جديدة لدى المستخدم وتفنيد أخرى كانت راسخة، حيث أن تكرار المادة المعروضة عبر هذه الوسائط يعمل على ترسيخ الرسالة او الفكرة المطروحة مما قد يقود

بدوره الى تشكيل أراء واتجاهات المستخدم. يقود انبهار الشباب بالثقافة الوافدة والانقياد اللاواعي لجاذبية الآلة الإعلامية الغربية الى العديد من الإفرازات السالبة والتي أشار إليها كل من (وائل مبارك خضر، 2010، ص24)، (عبد السجاد عبد السادة ويحيي شاهين حمادي الطاهر، 2012، ص233) على النحو التالي :

العزلة الاجتماعية: وتعتبر من أهم الآثار التي قد تشكل خطراً على مستخدمي الشبكة خصوصاً الشباب والمراهقين في قضاء الوقت الطويل أمام الشاشة مما يؤدي لعزلهم عن واقعهم الأسري وعن مشاركتهم في الفعاليات التي يقيمها المجتمع، إذ أن التواصل المباشر بين الأفراد يؤدي إلى تطوير المهارات التي تساعد الشباب وطلاب الجامعات في مجالات الاتصال الإنساني وتنمية الحس بالمسئولية تجاه الآخرين، إلا أن الإدمان يؤدي بهم إلى العزلة وفقد مهارة التواصل المباشر، وهدر الوقت إذ أصبح كل فرد من الأسرة يصنع لنفسه عالماً افتراضياً، ويوجد لنفسه أصدقاء افتراضيين، فيقضي اوقاتاً غير محدودة أمام أجهزة التواصل، وبالمقابل فان هذه الساعات تعني العزلة الاجتماعية عن الأسرة، وتعني الضغط والتوتر النفسي، والخمول الجسمي، مما يقلل فرص التفاعل والنمو الاجتماعي السوي للشباب.

هشاشة العلاقات بين أفراد الأسرة: إذ أصبح لكل فرد من الأسرة عالمه الخاص الذي يعيش فيه وأصبح اجتماع أفراد الأسرة لتبادل أطراف الحديث ومناقشة ما يخص الأسرة ظاهرة أخذه في التلاشي والأفول، ليسود الإحساس بالغربة والاغتراب النفسي داخل الأسر.

اختلاق الشخصيات الوهمية: يحدث أحياناً أن يختلق المستخدم شخصية غير شخصيته الحقيقية بغرض التلاعب أو تمرير قصص وأخبار كاذبة أو ممارسة أعمال منافية للأخلاق أو اتخاذ أراء دينية أو سياسية متطرفة لا يتجرأ على اتخاذها في الواقع .

الآثار الجسدية: وتتمثل في متلازمة النفق الرسغي، وهي مشكلة تحدث في اليدين أو الرسغين بسبب الكتابة الكثيرة والضغط على أوتار الأصابع بسبب الكتابة على الهاتف، إجهاد العين نتيجة التحديق في الشاشة لفترات طويلة، الإرهاق واضطرابات النوم.

الآثار النفسية: وتظهر في انخفاض تقدير الذات، مشاعر الحسد عند النظر إلى حياة الآخرين التي تبدو مثالية علي وسائل التواصل الاجتماعي، عدم الرغبة على الحصول على تفاعلات اجتماعية حقيقية، والسعي وراء الحصول على اكبر عدد من الاعجابات والصداقات في العالم الافتراضي، بجانب القلق والاكتئاب والشعور بالذنب نتيجة فشله في أداء أنشطته الحياتية الأخرى.

تشوه العادات والتقاليد: إذ أن ما يتعلمه الأبناء من عادات وتقاليد خلال التنشئة الاجتماعية قد تخالفه المعلومات التي تنقلها وسائل التواصل الاجتماعي مما يؤدي إلى زعزعة الإيمان بكل ما تعلمه الفرد ويقود إلى انتشار قيم دخيلة على مجتمعنا تؤدي إلى انحلال وتفكك القيم الأصلية، وتحريف وطمس الهوية عبر تشويه اللغة العربية، الغزو الثقافي، والتطرف الفكري والإرهابي.

وقد أوردت(وسام طايل البشابشة، 2013، ص25) أهم خصائص وسائل التواصل الاجتماعي والتي تميزها عن الوسائط الإعلامية التقليدية بالشكل التالي:



شكل رقم(2) يوضح خصائص وسائل التواصل الاجتماعي.

تبعا لعالمة النفس(Kimberly S.Young,2009, p241) فأن إدمان الإنترنت يعد اضطرابا سريريا وغالبا ما يكون غير معترف به وأشارت إلى أن التطبيقات التفاعلية تسبب الإدمان بدرجة اكبر من التطبيقات الأخرى، فضعف القابلية للاتصال مع الآخرين في العالم الواقعي تجعل الفرد يطور من رغبته في التواصل والارتباط ببعض الأفراد، مما يجعله منغمساً حد الإدمان، وخلصت إلى أن إدمان الإنترنت يمكن أن يحطم الصداقات والعلاقات الأسرية، والحياة المهنية. ويظهر مدمن الإنترنت بعض الدلائل؛ كالانشغال بالإنترنت واستخدام الإنترنت لفترات طويلة من الوقت لكي يتحقق الرضا، إلى جانب المحاولات والجهود غير الناجحة في ضبط ومقاومة هذا الاستخدام والسيطرة عليه. وقد أوردت (Kimberly S.Young ،1996,p238) ثمانية معايير لتشخيص الإدمان على الانترنت، إذ تصنف الاستجابة (نعم) على خمسة معايير أو أكثر مؤشراً على الإدمان أو التعود الالكتروني:

شكل رقم(3) يوضح معايير كمبيرلي يونج المشخصة للإدمان الالكتروني.

عرفت(منظمة الصحة العالمية) عبر التنقيح العاشر للتصنيف الدولي للإمراض والمشاكل الصحية متلازمة الاعتماد أو الإدمان بأنها مجموعة من الظواهر الفيزيولوجية والسلوكية والمعرفية يتخذ فيها استعمال مادة ما لدى الفرد أولوية أعلي بكثير من سلوكيات أخرى كان لها فيما مضى قيمة أكبر. عليه فان استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يصبح مشكلة عندما تصبح أداة مهمة لتخفيف التوتر أو الوحدة أو الاكتئاب، إذ يوفر لمستخدميه مكافآت مستمرة لا يتلقاها الفرد في الحياة الواقعية، وينتهي بهم الأمر بالانجراف نحوها أكثر فأكثر، مما يقود إلى مشاكل عديدة مثل تجاهل العلاقات الواقعية، إهمال مسؤوليات العمل والمدرسة. وقد أشارت دراسة لجامعة هارفارد، تبعاً لما أوردته (Jena Hilliard,2020) إلى تأثر منطقة المكافأة في الدماغ ومساراته الكيمائية على القرارات والأحاسيس، عندما يواجه شخص ما شيئا مجزياً أو يستخدم مادة للإدمان، يتم تنشيط الخلايا العصبية في المناطق الرئيسية المنتجة الدوبامين في الدماغ مما يتسبب في ارتفاع مستويات الدوبامين لذلك يتلقى الدماغ مكافأة ويربط النشاط أو المادة المخدرة مع التعزيز الايجابي. وتوفر وسائل التواصل كمية لا حصر لها من المكافآت الفورية في شكل اهتمام من الآخرين مقابل جهد ضئيل نسبياً، لذلك يعيد الدماغ توصيل نفسه من خلال هذا التعزيز

الايجابي مما يجعل الناس يرغبون في الاعجابات والتغريدات وردود الفعل التعبيرية، عامل أخر لإدمان وسائل التواصل هو حقيقة أن مراكز المكافأة في الدماغ تكون أكثر نشاطاً عندما يتحدث الناس عن أنفسهم. ففي الحياة الواقعية يقدر أن الناس يتحدثون عن أنفسهم حوالي 30 إلى 40% من الوقت، ومع ذلك فان وسائل التواصل تدور حول إظهار حياة المرء وانجازاته لذلك يتحدث الناس عن أنفسهم بشكل مذهل بنسبة 80% من الوقت، فعندما ينشر الشخص صورة ويحصل على تعليقات ايجابية فانه يحفز الدماغ على إطلاق الدوبامين، والذي يكافئ هذا السلوك مرة أخرى ويديم عادة التواصل الاجتماعي وقد أشار(John M.Grohol,2020) الى ثلاث مراحل يمر بها الأفراد في استكشافهم للانترنت هي: المرحلة الأولي: وأطلق عليها مرحلة الانبهار أو الافتتان، وتحدث عندما يكون الفرد وافداً جديداً على الانترنت، وهذه المرحلة تمتاز بأنها مسببة للإدمان للإفراد بدرجة كبيرة. المرحلة الثانية: وهي مرحلة التحرر أو الاجتناب وفيها يصبح الأفراد فيها غير مهتمين بالنشاطات التي كانوا يدخلون لها كما كانوا سابقاً، أما المرحلة الثالثة: فهي مرحلة التوازن والاستخدام المعياري للانترنت.

الهوية الثقافية:

تعريف الثقافة: تُعرف(اليونسكو، 2006) الثقافة بأنها مجموعة متنوعة من الخصوصيات الدينية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمع معيين أو مجموعة معينة، لا تشمل الفن والأدب فقط، بل كل أنماط الحياة وطرق العيش المشترك ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات. ولأنه من غير الممكن دائماً قياس تلك المعتقدات والقيم بصورة مباشرة، إلا أنه يمكن في المقابل قياس التصرفات والممارسات المرتبطة بها. ومن هذا المنطلق تُحدد الممارسات الثقافية في ثلاث فئات:

الثقافة داخل المنزل: وتشير إلى الوقت الذي يمضيه الأفراد في مشاهدة التلفاز والاستماع إلى الراديو أو الاستماع للمسجلات الصوتية والمطالعة واستخدام الحاسوب والانترنت.

الثقافة خارج المنزل: تشمل ارتياد الأماكن الثقافية مثل صالات السينما والمسارح والمتاحف والآثار والمواقع التراثية.

بناء الهوية الثقافية: وتشمل الممارسات الثقافية والانتماء إلى جمعيات ثقافية والثقافة الشعبية والثقافة الاثنية وممارسات المجتمع.

إلا أن هذه المنظومة قد اختلت بشكل واضح بالتزامن مع تبني الثقافات الوافدة عبر وسائط التواصل الاجتماعي. ومع التسليم بأن لكل جيل لغته التي تتسق مع تطلعاته وأهدافه وهو الشيء الذي أكد عليه (محمود عرابي، 2006، ص6) في أن من حق الشباب تطوير ثقافتهم الخاصة بهم والتي تتفق مع مراحلهم العمرية، وتطلعاتهم والظروف المجتمعية التي يعايشونها والتي تسهم في تنمية قدراتهم وتلبية احتياجاتهم، إلا أن هذه الثقافة ينبغي أن تلتقي إلى حد كبير في أصولها مع ثقافة المجتمع خاصة فيما يتعلق بالثوابت القيمية والدينية، غير أن التغيرات الثقافية للشباب باتت لا تخضع لمعايير أو قيم أو عادات للمجتمع مما احدث خللاً كبيراً في ثقافة المجتمع وهويته. وقد ارجع(عبد السجاد عبد السادة، ويحيي شاهين حمادي الطاهر، 2012، ص234) هذا الخلل إلى التناقض بين القيم التربوية المتوارثة في المجتمعات وبين القيم المادية للوسائط، فالقنوات

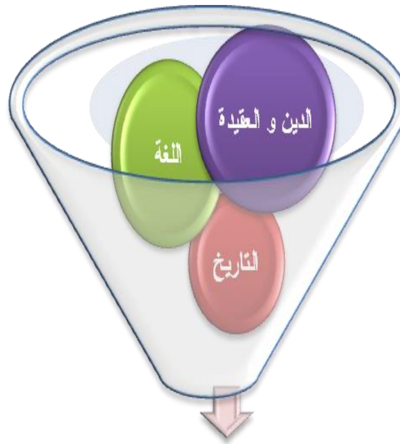
الفضائية ووسائط التواصل الاجتماعي تعمل على خلق وعي بثقافة أو قيم لا تتسق مع النظام الاجتماعي الذي يعيشه الفرد، مما يهدد الهوية الثقافية العربية إذ أن الاختراق الثقافي يضعف الهوية الثقافية الوطنية مقابل الثقافة الوافدة، فتبدأ المجتمعات المخترقة تتخلى عن سماتها الثقافية تدريجياً. وقد أشارت(ثناء هاشم محمد، 2019، ص127)، إلى أن الثقافة من أكثر العناصر التصاقاً بالهوية لأنها المجسد الفعلي لمختلف العناصر المكونة لها عبر التاريخ، وبالتالي تكون الثقافة مرادفة للهوية. ويمكن تعريف الهوية الثقافية بأنها الرمز أو القاسم المشترك الذي يميز فرداً أو مجموعة من الإفراد أو شعباً من الشعوب. أما تعريف الهوية الصادر عن (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1996) فقد عرفها بأنها هي النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية والعامل الذي يحدد السلوك والأفعال الأصلية للفرد والجماعة والعنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة. وذكرت(لؤلؤة عبد الكريم القويفلي، 2018، ص130) بأن الهوية مجموعة من السمات الثقافية التي تتصف بها جماعة من الناس في فترة زمنية معينة والتي تولد لدى الأفراد الإحساس بالانتماء لشعب معين والارتباط بوطن معين والتعبير عن مشاعر الاعتزاز والفخر بالشعب الذي ينتمي إليه هؤلاء الأفراد. وقد أشارت(ثناء هاشم محمد، 2019، ص128) أن للهوية الثقافية ثلاثة مستويات كما في الشكل أدناه هي: الهوية الفردية، وتشير إلى ثقافة كل فرد من أفراد المجتمع بصفته الشخصية، الهوية الجماعية: وترتبط بتأثير مجموعة من الأفراد يمثلون جماعة معينة في الهوية الثقافية السائدة في المجتمع، ثم الهوية الوطنية: والتي تجمع بين الهوية الفردية والهوية الجماعية وتعد المكون الرئيسي للهوية الثقافية .



شكل رقم(4) يوضح مستويات الهوية الثقافية.

أما(ثائر رحيم كاظم، 2009، ص259) فقد أوضح أهمية الدين والعقيدة واللغة والتاريخ باعتبارها مقومات للهوية الثقافية، إذ أن الدين والعقيدة تعد المرجع الأساسي لمنظومة القيم في المجتمع، وتعتبر اللغة وسيلة نقل ثقافة وارث الأمة إلى أجيالها المتعاقبة، أما التاريخ فيعد أهم

مقومات الهوية الثقافية، مبيناً أن التفريط في أي من هذه المكونات يترتب عليه طمس وتشويه لمعالم الهوية الثقافية.



شكل رقم(5) يوضح مقومات الهوية الثقافية.

يعاني السودان كغيره من دول العالم العربي والأفريقي من محاولات طمس وتشويه للهوية الثقافية للشباب إذ أن المحتوى الذي يروج له عبر وسائل التواصل الاجتماعي والذي يحمل في طياته أحياناً الكثير من الأفكار الهدامة والتي تنتشر في المجتمع بسبب انبهاره بالحضارة الوافدة وعدم النضج في التعاطي مع إفرازات الغزو الثقافي. وقد أشار(محمود عرابي، 2006، ص7) إلى أن أساليب نقل ثقافة الأخر ازدادت تقدماً وتنوعت أساليبها لتصبح قادرة على اختراق الحدود الذاتية وإعادة النظر في كل ما هو ثابت أو محرم. ولأن الشباب هم أكثر الفئات قابلية للتغير فقد انعكس اثر هذا الانبهار على سلوكياتهم واتجاهاتهم وقيمهم وأنماطهم، بل امتد الأثر حتى مظهرهم العام ولغتهم المستخدمة في التواصل. ويعتقد(فوزي محمد الهادي شحاتة، 2016، ص106) أن أزمة الهوية العربية ناجمة عن جمود الثقافات لدى الشعوب العربية وفقدان حيويتها وفعاليتها وتجاهل المجتمعات العربية إلى أهمية تجديد أوعيتها الثقافية، ويضاف إلى ذلك أن الثورة المعلوماتية اختصت بمجتمعات معينة لها خصوصيتها الثقافية، إلا انه عند انتقال تأثيرات هذه الثورة إلى المجتمعات العربية انتقلت معها أنماط ثقافية لا تتسق ومنظومة القيم والثقافة العربية مما قاد إلى تبعية ثقافية واقتصادية وسياسية قادت بدورها إلى ابتعاد الشباب العربي عن هويتهم الثقافية العربية الإسلامية بتكالبهم على الثقافة الغربية.

وبالنظر للواقع الثقافي والاقتصادي والسياسي بالسودان: والذي يواجه فيه الشباب الكثير من العقبات والاحباطات الناجمة عن الواقع الاقتصادي والسياسي والأكاديمي، بات الهروب والتشبث بالحضارة الوافدة منفذاً ومتنفساً، الشيء الذي ألقى بظلاله السالبة على الاهتمامات الثقافية، واللغة

العربية بشقيها الأكاديمية والدارجة. وقد أشار(عادل بوديار، 2016) إلى ارتباط اللغة بهوية الأمة، ومن هنا كان من أخطر التحديات التي تحيط بالهوية هي تلك التشوهات التي لحقت باللغة وتعتبر(لغة عربيزي) أو (Franco Arab) من أخطر وأسوأ ما أنتجته ثورة تكنولوجيا المعلومات، فهي لغة هجينة عبارة عن مزيج من مصطلحات انجليزية وأرقام ومصطلحات عربية محلية، تنطق مثل اللغة العربية لكن الحروف المستخدمة للكتابة هي حروف لاتينية ورموز وأرقام، دون التقيد بقواعد اللغة والإملاء. وتظهر هذه اللغة الهجينة في ثلاث أشكال كتابية، الأولى: لغة مركبة تجمع بين الألفاظ العامية ولغة الشارع وكثير من الألفاظ الأجنبية، الثانية: لغة تكتب كلماتها العربية بحروف لاتينية، الثالثة: لغة تكتب كلماتها الأجنبية بحروف عربية. وفي نفس السياق أضاف(عماد محمد فرحان وشافي جمعة الحلبوسين2019، ص481) بأن اللهجات العامية أصبحت تبتعد شيئا فشيئا عن اللغة العربية إلى لغة خاصة يعتقد الشباب أنها تسهل من عملية التواصل فيما بينهم، فباتت اللغة العربية تكتب بطريقة(الفرانكو ارب) كما يطلقون عليها في شكل أحرف وأرقام أجنبية، بالإضافة إلى استبدال بعض الحروف العربية التي لا يوجد لها نظير في اللغة الانجليزية إلى أرقام مثل: (أ، 2)، (3:ع)، (5:خ)، (6:ط)، (7:ح)، (8:غ).

الدراسات السابقة:

دراسة(غالية غضبان، 2018): وتهدف الدراسة الى الكشف عن أثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية، تم إتباع المنهج الوصفي المسحي بالاعتماد على أداة الاستبيان، توصلت الدراسة الى أن أغلب أفراد العينة يستخدمون الفايسبوك منذ 4- 5 سنوات، يدخل اغلب أفراد العينة إلي شبكة التواصل الاجتماعي من الهاتف الذكي، يقضي أفراد العينة من ساعة الى ساعتين في استخدامهم لتطبيق الفايسبوك كما توصلت النتائج الى أن أفراد العينة يدخلون الفايسبوك باسم مستعار، كما أظهرت بأن دوافع الاستخدام هي الاطلاع على الأخبار ومواكبة الأحداث المحلية والوطنية والعالمية، ولم يؤثر استخدامهم الفايسبوك على إقامة شعائرهم الدينية كالصلاة.

دراسة(حباب عبد الحي عثمان، وآخرون، 2018) هدفت الدراسة الى تقصي ظاهرة إدمان الهواتف الذكية لدى طلاب جامعة الخرطوم وعلاقتها ببعض المتغيرات الديمغرافية، تم تطبيق مقياس إدمان الهواتف الذكية العربي على(727) من الطلاب في مستوى البكالوريوس والدراسات العليا، تراوحت أعمارهم من 17- 30 سنة. وكشفت النتائج إن نسبة انتشار إدمان الهواتف الذكية تبلغ (39.2%)، مع وجود فروق في الإدمان تعزى لاختلاف ساعات ومعدلات الاستخدام لصالح من يستخدمون الهاتف أكثر من 4 ساعات يومياً.

دراسة(نبيلة جعفري، 2017) وهدفت هذه الدراسة الميدانية للتعرف على انعكاسات استخدام موقع الفايسبوك من طرف الشباب الجامعي الجزائري على معالم الهوية الثقافية، بالتطبيق على عينة قصديه قوامها(147) من الشباب الجامعي بجامعة أم البواقي، وتم جمع بيانات الدراسة بواسطة الاستبيان، وخلصت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: إن اغلب المبحوثين يفضلون استخدام

اللهجة العامية في موقع الفايسبوك، ويفضلون كتابتها بحروف أجنبية اكتر من الكتابة بحروف عربية، ومحددات الهوية لديهم تتمثل في الإسلام أولاً، ثم الوطن، فاللغة العربية.

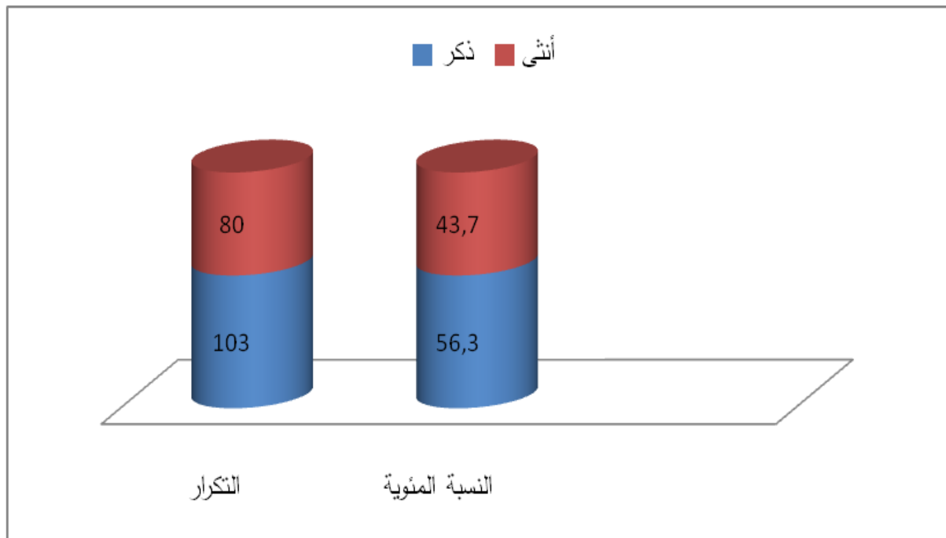
دراسة(رقاد حليمة، 2017) وهدفت لمعرفة أثار استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الممارسة اللغوية للطلبة الجامعيين بجامعة وهران، بلغت عينة الدراسة(382) طالباً وطالبة، تم إتباع المنهج الوصفي المسحي لتحديد خصائص اللغة التي يتداولها الطلاب، تمثلت أدوات الدراسة في الملاحظة العلمية البسيطة واستمارة الاستبيان، وكانت ابرز النتائج: أن الطلاب يستخدمون كلمات مختزلة مواكبة لحركية العصر في الاختزال والسرعة ويعتمدون في ذلك على لغة هجينة تمزج بين كل اللغات وتفتح مجالا اكبر لاستخدام الإيقونات والاختصارات اللغوية، مما يسمح بفك قيود الصرف والنحو، كما يرون أن في استخدام اللغات الأجنبية مظهراً من مظاهر العصرية على العكس من اللغة العربية.

دراسة(بغدادي مريم وبلالي صبرينة، 2015) وهدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في تداول الاختصارات اللغوية وأثرها على اللغة الأكاديمية لدى الطلبة الجامعيين من جامعة خميس مليانة من التخصصات المختلفة، وتفسير ظاهرة التداول الكثيف والمستمر لهذه الاختصارات وكيف أثرت على اللغة الأكاديمية، تم استخدام الاستبيان لجمع المعلومات بالطريقة القصدية، 80 من الذكور والإناث، وقد أظهرت النتائج أن لغة التواصل الأكثر تداولاً هي: لغة الاختصارات اللغوية التي مثلت 32.6%، تليها العامية 28%، ثم الفرنسية 26.6%، كما أوضحت النتائج إلى أن حوالي 60% من أفراد العينة لا يستخدمون اللغة الأكاديمية خلال تواصلهم.

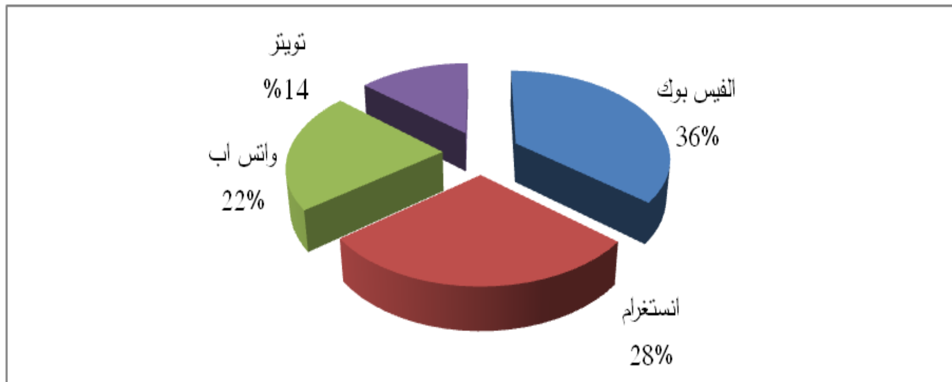
دراسة (انس الطيب الحسين رابح، 2011): هدفت الدراسة الى التعرف على إدمان الانترنت ومن ثم دلالات الفروق في ظل بعض المتغيرات الأخرى. تم استخدام المنهج الوصفي، بلغ حجم عينة الدراسة 150 طالباً وطالبة اختيروا بأسلوب العينة العشوائية المتساوية، تمثلت أدوات الدراسة في مقياس إدمان الانترنت لأماني ضرار، تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية للمعالجة الإحصائية. تمثلت نتائج الدراسة في أن طلاب بعض الجامعات بولاية الخرطوم يتسمون بخاصية إدمان الانترنت، مع وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متغير النوع، وعدم وجودها في متغير العمر.

مجتمع وعينة الدراسة:

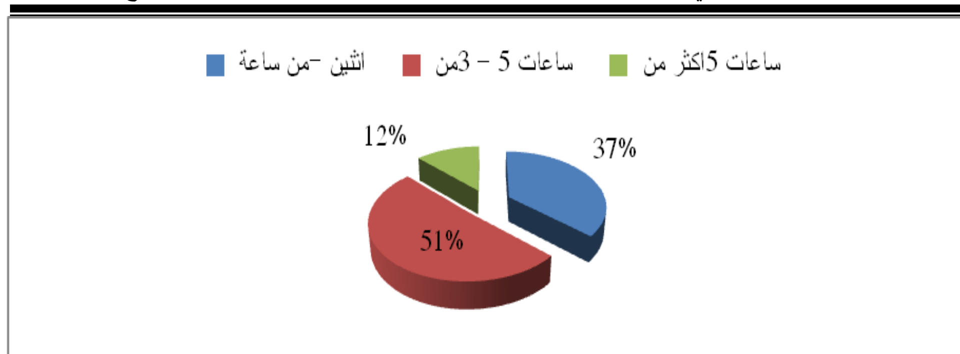
يتكون مجتمع الدراسة من طلاب جامعة ود مدني الأهلية بكل من كليات: علم النفس التطبيقي، الهندسة والعمارة، علوم الحاسوب واللغات الأجنبية، للمستويات من الثاني حتى الرابع للعام الدراسي 2018-2019، إذ أن طلاب المستوى الأول بالكليات المختلفة كانوا في مرحلة إجراءات التسجيل والمعاينة، فلم يُضمنوا لمجتمع الدراسة. بلغ مجتمع الدراسة (540) طالباً وطالبة من الكليات العملية والنظرية. تم بعدها اختيار عينة الدراسة البالغة(183) من الطلاب بالطريقة العشوائية البسيطة عن طريق(جدول الأرقام العشوائية). وتمثل الأشكال التالية أهم ملامح عينة الدراسة:



شكل رقم(6) يوضح توزيع افراد العينة تبعا للنوع، حيث مثل الطلاب نسبة 56.3%، مقابل 43.7% للطالبات.



شكلرقم (7) يوضح انواع الوسائط المفضلة لدى عينة الدراسة، حيث سجل تطبيق الفيس بوك نسبة 36%، يليه انستغرام بنسبة 28%.



شكل رقم(8) يوضح ساعات التصفح اليومية لعينة الردراسة، حيث مثلت الفئة من 3-5 ساعات 51% من جملة المبحوثين.

أدوات الدراسة:

استخدمت الباحثة المقياس النفسي للإدمان على الانترنت، الذي قام بتصميمه الدكتور سيد يوسف، وذلك بعد القيام ببعض التعديلات التي تتسق مع أهداف هذه الدراسة ومن ثم عرضها على لجنة من المحكمين المختصين في هذا المجال للتأكد من صلاحية المقياس لما اعد له. تم بعدها حساب معامل الصدق والثبات لمحاور المقياس كما يلي:

ثبات المقياس:

تم استخدام طريقة التجزئة النصفية لحساب ثبات المقياس، وذلك بحساب الدرجات الزوجية والدرجات الفردية للمقياس بمعامل ارتباط بيرسون حيث بلغ 0.78 و قيمة معامل الثبات 0.85، كما هو مُبين بالجدول التالي:

جدول رقم(1) معامل ثبات مقياس التعود الالكتروني

المقياس	عدد البنود	حجم العينة	معامل ارتباط بيرسون	معامل الارتباط المصحح	الدلالة الإحصائية
التعود الالكتروني	15	183	0.85	0.78	0.03

من خلال ما تم عرضه في الجدول يتضح أن مقياس التعود الالكتروني يتمتع بدرجة جيدة من الثبات، ويمكن الوثوق به واستخدمه كأداة للقياس.

صدق المقياس:

تم حساب صدق المقياس بناء على قيمة الثبات، وذلك باستخراج الجذر التربيعي لمعدل الثبات، كما في الجدول التالي:

جدول رقم(2) الصدق الذاتي لمقياس التعود الالكتروني

طريقة التجزئة النصفية	معامل الثبات	الصدق الذاتي
	0.85	0.92

الجدول رقم(2) يشير إلى أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الصدق.

طريقة تصحيح المقياس:

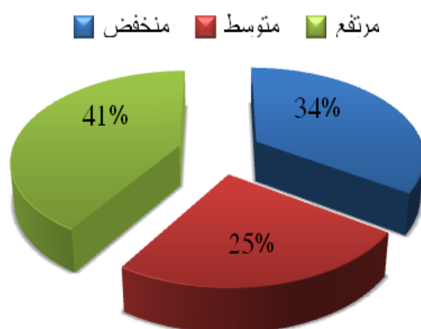
تتم الاستجابة على بنود المقياس وفق ثلاثة خيارات هي(نعم)، (أحياناً)، (لا). تم بعدها تصحيح المقياس وتحويل الاستجابات لدرجات على النحو التالي: الإجابة نعم: درجتان، الإجابة أحيانا: درجة واحدة، الإجابة لا: صفر درجة. وتعتبر الدرجات(23-30) مؤشراً لمستوى مرتفع من التعود الالكتروني والدرجات(15-22) لمستوى متوسط، والدرجات(اقل من 15) مستوى منخفض من التعود الالكتروني.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

النتائج المتعلقة بالفرض الأول الذي ينص على:

(مستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب جامعة ود مدني الأهلية مرتفع).

وللتحقق من هذا الفرض تم استخدام النسبة المئوية كما هو موضح بالشكل:



شكل رقم(9): يوضح النسب المئوية لمستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب جامعة ود مدني الأهلية.

يتضح من الشكل(9) أن النسبة المئوية لمستوى الإدمان(المرتفع) قد بلغت 41%، وهذا يشير إلى تحقق الفرضية لصالح مرتفع. وقد اتفقت هذه النتيجة مع كل من(انس الطيب، 2011) الذي أشار الى أن طلاب بعض الجامعات بولاية الخرطوم يتسمون بخاصية إدمان الانترنت. ودراسة(حباب عبد الحي وآخرون، 2018) والتي جاء ضمن نتائجها أن إدمان الهواتف الذكية تبلغ (39.2%)، مع وجود فروق في الإدمان تعزى لاختلاف ساعات ومعدلات الاستخدام لصالح من يستخدمون الهاتف أكثر من 4 ساعات يومياً. ودراسة(غالية غضبان، 2018) التي أشارت الى أن أغلب أفراد العينة يقضي من ساعة الى ساعتين في استخدامهم الفايسبوك. وبرغم من ما تتيحه مواقع

التواصل الاجتماعي لطلاب الجامعات من إثراء فكري وثقافي، وتبادل للخبرات، وتنمية للمهارات والملكات لدى طالب الجامعة، إذا ما افلح في استخدامها بوعي وذكاء، إلا أن الانغماس اللاواعي في مواجهة شاشات الحواسيب او الهواتف الذكية، يفضي بالمستخدم للمعاناة من مظاهر الإدمان أو التعود الاجتماعية والنفسية والصحية، وربما يعود ارتفاع مستوى التعود او الإدمان بين طلاب الجامعة الى سهولة الوصول الى مواقع التواصل الاجتماعي عبر الهواتف الذكية، والتي يعتبر امتلاكها أسهل مقارنة مع أجهزة الحاسوب، إضافة الى قلة التكلفة المترتبة على خدمات الانترنت لبعض الشركات السودانية للاتصالات، مما يتيح للطلاب الفرصة لقضاء أوقات طويلة وهم حبيسي هذه المواقع الافتراضية، فتنشأ العزلة والانسحاب الاجتماعي والتي تعد من المظاهر المقلقة لأولياء الأمور و المهتمين في هذا المجال. إذ أن الانفصال عن العالم الواقعي يحمل في طياته الكثير من التبعات السلبية، حيث يظهر الجانب النفسي في القلق والتوتر والخوف من عدم الإيفاء بالمتطلبات الأكاديمية، والضيق والصراع النفسي الناجم من مقاومة الطالب لكل محاولات الأسرة او الجامعة او المؤسسات ذات الصلة في إعلاء دور الهوية الثقافية وضرورة التمسك بها، وبين انجذابه للثقافة الوافدة وما يترتب على ذلك من تضارب وتناقض وعدم تناغم بين المكون الثقافي المحلي والوافد مما يخلق حالة من التضارب والتشويش لدى الطالب، وعلى الصعيد الاجتماعي يقود التعود الالكتروني الى تحجيم الدائرة الاجتماعية للشباب، فيصبح غير مكترثاً بما حوله، زاهداً في التواصل الايجابي بينه وإفراد أسرته الصغيرة أو الممتدة، أو الانخراط في الأنشطة الثقافية والرياضية في الأندية أو الصالات الرياضية أو غيرها من الأنشطة التي تتسق مع مرحلته العمرية، وتظهر التبعات الصحية متمثلة في الأرق، والإرهاق، الآلام الظهر، والمفاصل من الجلوس لساعات طويلة، وعدم انتظام الوجبات خاصة لطلاب السكن الداخلي وتبعاً لما حددته(اليونسكو 2006) تتدرج الممارسات الثقافية تحت ثلاث فئات(الثقافة داخل المنزل وتتمثل في مشاهدة التلفاز، الراديو، استخدام الانترنت، والثقافة خارج المنزل مثل السينما والمسارح والمتاحف، الى جانب بناء الهوية الثقافية) إلا أن المتأمل في هذه الفئات الثلاث يجدها قد اختلت بشكل كبير بين أفراد العينة، بالتزامن مع الاجتياح الثقافي عبر وسائط التواصل الاجتماعي، أصبحت الثقافة عند معظم المراهقين والشباب لا تتعدى التصفح الالكتروني والتجول عبر المواقع المختلفة لفترات تتزايد باستمرار خصماً على التنوع الثقافي الذي يتم عبره تناقل الإرث الثقافي المجتمعي من جيل إلى جيل الأمر الذي يعد هدراً لطاقات الشباب وتعطيل لخطط التنمية والتطور والنماء بالمجتمعات .

النتائج المتعلقة بالفرض الثاني الذي ينص على:

(توجد علاقة دالة بين مستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب جامعة ودمدني الأهلية واللغة المستخدمة في التواصل) للتحقق من هذا الفرض تم اختبار تحليل التباين On-WAY ANOVA

جدول(3) يوضح استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي لاختبار الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
اللغة المستخدمة في التواصل	داخل المجموعات	323.112	107.704	3	2.586	0.02
	بين المجموعات	7454.200	41.644	179		
	المجموع	7777.311		182		

نلاحظ من الجدول أعلاه أن قيمة ف(2,586) بدلالة إحصائية اقل من(0.05) عليه توجد علاقة دالة بين مستوي الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى الطلاب واللغة المستخدمة في التواصل، وقد تم استخدام اختبار LSD لمعرفة اقل الفروق في التعود الالكتروني تبعاً للغة المستخدمة في التواصل

جدول رقم (4) يوضح استخدام اختبار متوسط الفروق لمعرفة اقل الفروق في مستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب جامعة ودمدني الأهلية واللغة المستخدمة في التواصل

المتغيرات		الفروق في المتوسطات	الدلالة الإحصائية
اللغة العربية الفصحى	الدارجة السودانية	-2.28095-	0.292
	لغة فرانكو ارب	-4.53205*	0.02
	اللغة الانجليزية	-2.85417-	0.193
الدارجة السودانية	العربية الفصحى	2.28095	0.292
	لغة فرانكو ارب	-2.25110-	0.076
	اللغة الانجليزية	-.57321-	0.717
لغة فرانكو ارب	العربية الفصحى	4.53205*	0.022
	الدراجة السودانية	2.25110	0.076
	اللغة الانجليزية	1.67788	0.200

اللغة الانجليزية	اللغة العربية الفصحى	2.85417	-0.193
	الدارجة السودانية	.57321	0.717
	لغة فرانكو ارب	-1.67788-	0.200

يشير الجدول رقم(4) أن الفروق كانت لصالح لغة(فرانكو ارب).وقد اتفقت هذه النتيجة مع كل من (بغدادي، صبرينة، 2015) والتي أشارت نتائجها الى أن لغة التواصل الأكثر تداولاً هي لغة الاختصارات اللغوية التي مثلت 32.6%، تليها العامية 28%، ثم الفرنسية 26.6%، كما أوضحت النتائج إلى أن حوالي 60% من أفراد العينة لا يستخدمون اللغة الأكاديمية خلال تواصلهم. ودراسة(رقاد حليمة، 2017) التي أوضحت أن أفراد العينة يستخدمون كلمات مختزلة مواكبة لحركية العصر في الاختزال والسرعة، ويعتمدون في ذلك على لغة هجينة تمزج بين كل اللغات وتفتح مجالا اكبر لاستخدام الإيقونات والاختصارات اللغوية. ويعتبر السودان بهويته الإفريقية العربية، ومساحاته الشاسعة، من الأقطار متعددة الثقافات واللهجات. وتعتبر اللغة العربية هي اللغة الرسمية للتعامل في المؤسسات الحكومية وفي التعليم بمراحله المختلفة إضافة الى اللغة الانجليزية في التعليم الجامعي وما فوق الجامعي، أما الدراجة أو العامية السودانية فتعتبر هي لغة التواصل المتداولة في معظم مناطق السودان. وغني عن القول أن الهوية الثقافية تتمتع بالمرونة التي تتيح لكل جيل حقه كاملاً في أن تكون له لغته المشتركة التي تتناغم مع تطلعاته وميوله واهتماماته، فالحفاظ على الهوية والاعتداد بها لا يعني التحجر والجمود، بل تعني التعاطي مع الثقافات الوافدة تحت مظلة منظومة القيم والثقافة السودانية. وبالرجوع لما أورده(ثائر رحيم كاظم، 2009) بان مقومات للهوية الثقافية، تتمثل في الدين والعقيدة، واللغة التي تعتبر وسيلة نقل ثقافة وارث الأمة إلى أجيالها المتعاقبة، والتاريخ بما يحمله من أحداث وثوابت. وأن الإخلال بأي من هذه المكونات يترتب عليه طمس وتشويه لمعالم الهوية الثقافية. نجد أن نتائج هذا الفرض أظهرت أن لغة (الفرانكو ارب او العربيزي) كانت هي الخيار الأفضل في التواصل لدى عينة الدراسة تحت مبرر أنها الأكثر سهولة ومواكبة لإيقاع العصر المتسارع، فأصبحت لغة معتمدة فيما بينهم، وأي محاولة لاستخدام غيرها تعتبر تغريداً خارج السرب. وربما يعزى ذلك الى الانبهار بالثقافة الوافدة التي جعلت إتقان اللغة الانجليزية وممارستها مصدراً للفخر والتباهي، الى جانب انتشار المدارس ورياض الاطفال الأجنبية التي تلقى الدعم والتشجيع من الكثير من التربويين وأولياء الأمور، عكس اللغة العربية التي بدأت تفقد بريقها ومقدرتها على الصمود لدى جيل الشباب، بحجة أنها لا تتماشى مع إيقاع عصر التقنيات والتطور، وبرغم دفوعات الشباب عن لغة الفرانكو ارب أو العربيزي، إلا أنها تظل إحدى الانعكاسات السالبة لوسائل التواصل الاجتماعي على الهوية السودانية لطلاب جامعة ودمدني الأهلية، فهي لا تحمل مقومات اللغة التي يمكن عبرها نقل الإرث الثقافي للأجيال المتتالية، إضافة الى تبعاتها السلبية على اللغة الأكاديمية والتي تمثلت في عزوف الطلاب عن تنمية مهاراتهم وزيادة حصيلتهم

اللغوية مما كان له الأثر الواضح في التردي والركاكة والضعف الواضح الذي بات يهدد اللغة الأكاديمية لطلاب الجامعة.

النتائج المتعلقة بالفرض الثالث الذي ينص على:

(توجد علاقة دالة بين مستوي الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب جامعة ودمدني الأهلية والمواد الثقافية والإخبارية المفضلة).للتحقق من هذا الفرض تم اختبار تحليل التباين On-WAY ANOVA

جدول(5) يوضح استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي لاختبار الفروق في المتوسطات ذات الدلالة الإحصائية.

المتغير	مصدر التباين	مجموع المربعات	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
المواد والمواقع المفضلة	داخل المجموعات	5822.758	2911.379	2	268.117	0.00
	بين المجموعات	1954.554	10.859	180		
	المجموع	7777.311		182		

نلاحظ من الجدول أعلاه أن قيمة ف(268.117) بدلالة إحصائية(0.00)، عليه توجد علاقة دالة بين مستوي التعود الالكتروني والمواد والمواقع الثقافية والفنية والإخبارية المفضلة. وقد تم استخدام اختبار LSD لمعرفة أقل الفروق في التعود الالكتروني تبعاً للمواد والمواقع الثقافية والإخبارية المفضلة.

جدول رقم (6) يوضح استخدام اختبار متوسط الفروق لمعرفة اقل الفروق في مستوى الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعي لدى طلاب جامعة ودمدني الأهلية والمواد التوعوية والثقافية والإخبارية المفضلة

المتغيرات		الفروق في المتوسطات	الدلالة الإحصائية
المحلية	الأجنبية	-10.62561*	0.00
	السودانية والأجنبية	-14.59470*	0.00
الأجنبية	السودانية	10.62561*	0.00
	السودانية والأجنبية	-3.96909*	0.00

المحلية والأجنبية	السودانية	14.59470*	0.00
	الأجنبية	3.96909*	0.00

يشير الجدول رقم(6) يوضح أن الفروق كانت لصالح المواد الثقافية والإخبارية، المحلية والأجنبية معاً. وقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة(غالية غضبان، 2018) بان دوافع الاستخدام الالكتروني هي الاطلاع على الأخبار ومواكبة الأحداث المحلية والوطنية والعالمية. كما جاءت متسقة مع ما أوردته (المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون) بأن الهوية الثقافية هي العنصر المحرك الذي يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة وميزاتها الجماعية واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة. وهي نتيجة توضح الدور الايجابي الذي تلعبه وسائل التواصل الاجتماعي في الانفتاح على الثقافات الأخرى، فالتواصل الايجابي بين الأفراد والمجتمعات هو أصل بناء الحضارات إذ أن الانغلاق والجمود يعني أن تعيش الأمة في عزلة بعيداً عن مواكبة التطور التقني التكنولوجي المتسارع، فالهوية عبارة عن منظومة من القيم والأفكار تؤثر وتتأثر بالثقافات المختلفة، وكما تشير النتائج فقد اظهر أفراد العينة حرصهم على أهمية الجمع بين الثقافة الأجنبية وذلك بالانفتاح (إذا ما أحسن استغلاله) والذي يؤمن بأهمية التعددية الثقافية في الثراء العلمي والفكري والثقافي، وبين الثقافة المحلية السودانية بما تحمله في طياتها من تعاليم دينية ومنظومة من القيم والمعايير الأخلاقية والإرث الثقافي والأخلاقي. فالانفتاح الثقافي والاطلاع على ثقافة الشعوب، تتيح للطلاب الفرصة في تجويد مهارات البحث العلمي والاستزادة من الخبرات العلمية ومواكبة التطور ونهضة الأمم مع إعمال العقل والفطنة والحرص على عدم التفريط في الإرث الديني والثقافي والحضاري للمجتمع ومقاومة كل محاولات تذويب الثقافة المحلية في الثقافات الوافدة .

التوصيات:

على ضوء النتائج المتحصل عليها خلصت الباحثة الى عدة توصيات تتمثل في:



قائمة المراجع:

1.إطار الإحصاءات الثقافية لليونسكو لعام 2009، معهد اليونسكو للإحصاء

2.انس الطيب الحسين رابح(2011)، إدمان الانترنت عند طلاب بعض الجامعات بولاية الخرطوم، مجلة دراسات نفسية، المجلد2، العدد 6، الصفحة 75- 92.

3.المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الخطة الشاملة للثقافة العربية، تونس 1996.

4.الانترنت في العالم العربي في الربع الأول من عام 2019، الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، www.anhri.info

5.بغدادي مريم، بلالي صبرينة(2015)، تأثير استخدام الاختصارات اللغوية في مواقع التواصل الاجتماعي على اللغة الأكاديمية - فيس بوك نموذجا-، دراسة ميدانية لعينة من طلبة جامعة الجيلاني بو نعامة- خميس مليانة، دراسة لنيل درجة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال.

6.ثائر رحيم كاظم(2009)، العولمة والمواطنة والهوية، بحث في تأثير العولمة على الانتماء الوطني والمحلي في المجتمعات، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد (1) المجلد (8)، ص253- 272 .

7.ثناء هاشم محمد (2019)، الهوية الثقافية والتعليم في المجتمع المصري، رؤية نقدية، مجلة كلية التربية، جامعة بني سويف، عدد يناير الجزء الأول، ص 119 -144.

8.حباب عبد الحي عثمان، سلوى صالح محمد الأمين، صلاح الدين فرح عطا الله بخيت (2018)، إدمان الهواتف الذكية لدى طلبة جامعة الخرطوم، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، العدد(4) .

9.حسن شحاتة، زينب النجار(2003)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

10.رقاد حليمة(2017)، أثار استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الممارسة اللغوية للطلبة الجامعيين – الفايسبوك نموذجا- دراسة على عينة من طلبة جامعة وهران، رسالة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة عبد الحميد ابن باديس- مستغانم.

11.سامية قطوش(2013)، دراسة سيوسيولوجية لتأثير استخدام الانترنت في نمط الاتصال الأسري، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، المجلد (1)العدد(1)، ص 49-64، الجزائر.

12.سمر محمد الدريملي(2013)، اثر مواقع التواصل الاجتماعي على المشاركة السياسية للمرأة في فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة.

13.عادل بوديار(2016)، لغة العربيزي او الفرنكواراب- الخطر الذي يهدد اللغة العربية الفصحى، جامعة تبسه، الجزائر، شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات والأبحاث، تم الاسترجاع www.diae.net(2020-6/10

14.عبد السجاد عبد السادة، يحيي شاهين حمادي الطاهر(2012)، قياس مستوى متابعة(الفضائيات- تصفح الانترنت اليومي) لدى طلبة كلية التربية وانعكاساتها على القيم التربوية – دراسة وصفية تحليلية، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية المجلد(37)، العدد(4)، ص 228-256.

15.عماد محمد فرحان، شافي جمعة الحلبوسي(2019)، تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على سلامة اللغة العربية: دراسة تطبيقية على عينة من مستخدمي موقع (فيسبوك)، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية، ص 479- 506 .

16.غالية غضبان(2018)، اثر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية لدى الطلبة الجامعيين الجزائريين في ظل العولمة الإعلامية، رسالة دكتوراه على عينة من مستخدمي الفايسبوك بجامعة باتنة 1، الجزائر.

17.فوزي محمد الهادي شحاتة(2016)، مشكلات الشباب- أزمة الهوية، مجلة كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة الفيوم،، العدد الثالث، ص 95- 134.

18.لؤلؤة عبد الكريم القويفلي(2018)، تعزيز الحرية الثقافية المنضبطة، أبحاث المؤتمر السنوي الدولي الخامس 9-10 مايو 2018، مجلة كلية القانون الكويتية العالمية.

19.محمد جابر خلف الله (2013)، مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي. www.kenanaonline.com

20.محمود عرابي (2003)، تأثير العولمة على ثقافة الشباب، الدار الثقافية للنشر، القاهرة .

21.منظمة الصحة العالمية: متلازمة الاعتماد(بدون تاريخ).

22.موسى ادم عبد الجليل(2011)، كيف ساهمت وسائل التواصل الاجتماعي في إضعاف العادات والتقاليد وتقليص العلاقات الاجتماعية) مؤتمر الدوحة التاسع لحوار الأديان، 24- 26 أكتوبر 2011، الدوحة-قطر.

23.نبيلة جعفري(2017)، انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية للشباب الجامعي الجزائري، شبكة فيس بوك أنموذجا، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص81 – 94.
24.وسام طايل البشابشة(2013)، دوافع استخدام طلبة الجامعات الأردنية لمواقع التواصل الاجتماعي واشباعاتها، فيس بوك وتوتير، دراسة على طلبة الجامعة الأردنية وجامعة البتراء، رسالة ماجستير في الصحافة والإعلام جامعة البتراء، كلية الآداب والعلوم.
25.وائل مبارك خضر(2010)، اثر الفيس بوك على المجتمع، الطبعة الأولى، المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم.

26.Kimberly S.Young(1996),Internet Addiction: The EMERGENCE OF NEW CLINICAL DISORDER, published in Cyberpsychology and Behavior,vol.1 No3,pages 237-244, paper presented at 10th annual meeting of the American psychological Association, Toronto, Canada.
27.Kimberly Young(2009) ,internet Addiction: Diagnosis and Treatment Consideration, Journal of contemporary psychotherapy 39(4):241-246.
28.John M. Grohol (2020),Internet Addiction Guide: Internet Addiction Disorder Symptoms, psychcentral.com
Social Media Addiction, www.AddictionCenter.com,29.Jena Hilliard, April 29 2020
30.Social media stats in sudan,may 2019- may 2020, Gs.statcounter.com

نظرية المعرفة عند ابن تيمية

د. محمود موسى محمود زياد، مديرية التربية والتعليم، جامعة القدس-فلسطين

الملخـــص: اهتم ابن تيمية كغيره بمشكلة المعرفة؛ فهو لم يطرح نظريّة في المعرفة بصورة مستقلة، لكنه تناول القضايا المتعلقة بالمعرفة في بعض كتاباته، وتهدف هذه الدراسة إلى بيان نظريّة المعرفة عنده. ولتحقيق هذا الهدف استخدم الباحث المنهج التحليلي المقارن. وقد تحددت مشكلة الدراسة في مجموعة من الأسئلة حول طبيعة المعرفة عند ابن تيمية، وإمكانها، ومصادرها، وحدودها.وقد تناولت هذه الدراسة دور الحس والعقل في المعرفة، والوجود والمعرفة، والذاتية والموضوعية في المعرفة الإنسانية، وموقف ابن تيمية من المنطق الأرسطي، والماهية والوجود، وكذلك البحث فيما إذا كان ابن تيمية يعتقد بالأفكار الفطرية أم أن الأفكار كلها مكتسبة. وبذلك، خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج.

كلمات مفتاحية: ابن تيمية، نظرية المعرفة، فلسفة إسلامية، الابستيمولوجيا، الوجود.

Ibn Taymiyya`s theory of knowledge

Dr. Mahmoud Mousa Mahmoud Ziad

Supervisor/Directorate of Education/ Ramallah& al Biereh

Professor Assistant /Al Quds University (part time)

ABSTRACT: This study is a discussion of Ibn Taymiyya`s theory of knowledge. Ibn Taymiyya based his theory of knowledge on his ontological and psychological views. The main themes of this study are: The nature of knowledge, its sources, its limits, whether is it possible or not it is and the criterion of truth. The study discusses, according to Ibn Taymiyya, the role of sense and mind in knowledge. The study tackles also whether Ibn Taymiyya believed in innate ideas and whether knowledge according to his views subjective or objective or not. It became obvious to the Author that Ibn Taymiyya's theory of knowledge is quite linked to his ontology; thus, the study concluded with a set of results.

Key words: Ibn Taymiyya, Theory of knowledge, Islamic Philosophy,Epistemology, Existence.

مقدمة:

يتجه البحث في طبيعة المعرفة إلى بيان كيفية العلم بالأشياء، بمعنى كيفية اتصال القوى المدركة لدى الإنسان بموضوعات الإدراك، وعلاقة كل منها بالأخرى. وقد عرف "Ayer" المعرفة بأنها "الاعتقاد الصادق الذي يتوفر لدى المعتقد أساسا لصدقه" (A.J. Ayer, 1957, p35)، فنظرية المعرفة تبحث في طبيعة المعرفة الإنسانية، وإمكانها، وحقيقتها، وطرقها، بالإضافة إلى وسائل تحصيلها وحدودها، ومعيار الحقيقة فيها، والهدف منها. أما فيما يتعلق بطرق المعرفة ووسائل تحصيلها، فتختلف وجهات النظر؛ فالتجريبيون يرون أن الحس هو مصدر المعرفة، في حين أن العقليين يقررون أن المعلومات التي ترد عن طريق الحس ليست يقينية، ولا يمكن الركون إلا إلى العقل كمصدر للمعرفة اليقينية "وما يصدر عن العقل فصدقه ضروري ومحتوم"(زكي نجيب محمود، 1956، ص64) في حين أن أصحاب المذهب النقدي يذهبون إلى أن المعرفة لا تتم إلا بالخبرة الحسية والمبادئ العقلية معا.

منذ نشوء الفكر الفلسفي وحتى الآن، ما زالت الفلسفة تهتم بجملة هذه القضايا، التي تشكل محاور البحث الفلسفي في مجال المعرفة. فأفلاطون أدخل الموضوعات المتعلقة بالمعرفة فيما أطلق عليه اسم الجدل، وضمنها أرسطو في الموضوعات المتعلقة بالميتافيزيقيا، أو ما وراء الطبيعة.

وقد اهتم الفلاسفة المسلمون، كغيرهم من الفلاسفة السابقين لهم، أو اللاحقين عليهم، بمبحث المعرفة اهتماما ملحوظا. وقد بدت أول صيغة فلسفية لقضية المعرفة في الفلسفة العربية- الإسلامية عند "الكندي" أبي يوسف يعقوب بن إسحاق(ت260ه)، وقد رأى أن المعرفة الإنسانية تنطوي على قسمة مزدوجة، تظهر في المعرفة الحسية والعقلية. فالوجود عنده وجودان: واقعي حسي، يتمثل فيما يمكن أن تدركه الحواس، مما تحصله من صور الأشياء الخارجية. ومثالي عقلي، يعبر عنه بالمعقولات، أو مما يدركه العقل من معان كلية.

كما نجد أن الفارابي، اهتم كثيرا بقضية المعرفة، من خلال اهتمامه بمشكلة المنهج وإحصاء العلوم والمنطق، وغيرها من الأمور التي تدخل أو تمهد لنظرية المعرفة. وفيما يتعلق بموضوع المعرفة نجده في محاولته الجمع بين رأيي الحكيمين يقول: "فالمعارف إنما تحصل في النفس بطريق الحس، ولما كانت المعارف إنما حصلت في النفس عن غير قصد أولا فأولا، فلم يتذكر الإنسان، وقد حصل جزءٌجزءٌ منها. فلذلك قد يتوهم أكثر الناس أنها لم تزل في النفس، وأنها تعلم طريقا غير الحس. فإذا حصلت هذه التجارب في النفس صارت النفس عاقلة، إذ العقل ليس هو شيئا غير التجارب. ومهما كانت هذه التجارب أكثر، كانت النفس أتم عقلا" (محمد أبو نصر الفارابي، 1980، ص99).

وبالانتقال إلى شيخ الإسلام أحمد تقي الدين أبو العباس ابن تيمية المولود في حران سنة 661هـ/ 1263 م، والمتوفى سنة 728هـ/ 1328م (إبراهيم عقيلي، 1994، ص9)، موضوع البحث نجد

أنه اهتم بقضية المعرفة، من حيث رده المعرفة إلى الوجود، حيث أكد، بشكل قاطع، ضرورة رجوع المعرفة البشرية إلى مبدأ الوجود الأول، وهو الله تعالى، وبذلك فسر المعرفة برؤيته الوجودية العامة، كما نقد المناهج المعرفية المتمركزة حول الذات البشرية. وحدد موقفه من قضايا نظرية المعرفة ومسائلها الكبرى ضمن أفكاره وانتقاداته العلمية؛ فأكد سعة طرق المعرفة منكرا حصرها في طريق معين؛ مستشعرا عمق المشكلة المعرفية من هذا الباب الذي،ترتب عليه تنازع حاد بين بني آدم. وتتجلى سعة المعرفة عنده في تأكيده أن طرق العلم والمعرفة ثلاثة، وهي: الحس الظاهر والباطن، والعقل، والخبر.

مشكلة الدراسة

تُعدّ نظرية المعرفة من المباحث التأسيسية المهمة، فنظرية المعرفة هي دراسة منهجية نظرية للمعرفة من حيث: ماهيتها وإمكانها وطبيعتها، وحدودها، ومصادرها. أما مسائل المعرفة ومشكلاتها؛ فتدور حول مصادر المعرفة، فتبحث في طرقها، أي الحواس والعقل والعلاقة بينهما، إضافة إلى البحث في طرق أخرى للمعرفة: كالوحي، والإلهام والحدس. والبحث في طبيعة المعرفة غرضه بيان طبيعة العلاقة بين الذات العارفة والشيء المعروف، وحدود المعرفة وإمكانها، ومدى قدرة الإنسان على تحصيل المعرفة، وحدود المعرفة لديه.

لقد حدد ابن تيمية موقفه من المسائل المعرفية ضمن مؤلفاته المختلفة، حيث أشار إلى موقفه من مصادر المعرفة، وكذلك موقفه من طبيعة المعرفة، أي العلاقة بين الذات العارفة والأشياء الخارجية، كما بين موقفه من إمكان المعرفة، فقرر إمكانها بعكس بعض المواقف من ذلك.

وانطلاقا مما سبق، سوف تسعى هذه الدراسة إلى إثارة التساؤلات المتعلقة بنظرية المعرفة عند ابن تيمية محاولة الإجابة عنها، ومن هذه الأسئلة: -هل لابن تيمية نظرية في المعرفة؟

-كيف بنى نظريته في المعرفة؟

-ما طبيعة المعرفة عنده وما إمكانها؟

-ما حدود المعرفة الإنسانية عنده؟

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في أنها تبحث في نظرية المعرفة عند ابن تيمية، كون اسمه يقترن في أذهان الباحثين في التراث بتلك الحرب المزدوجة التي خاضها على جبهتين: جبهة الخصومة لمذهب الأشعرية، انطلاقا من مذهبيته الحنبلية، ولمذاهب المتكلمين بعامة، وجبهة الخصومة للمنطق الأرسطي والفلسفة. حيث يقوم منهج ابن تيمية من حيث الأساس العام، على فكرة أن كل ما ثبت نقله من نصوص الإسلام يجب أن يوافقه العقل لا محالة، فلا تعارض إطلاقا عنده بين أحكام العقل وأحكام الشرع. كما إن ابن تيمية لم يقف موقفا سلبيا مطلقا تجاه المنطق كما فعل غيره ممن

حرم الاشتغال بالمنطق، بل تصدى ابن تيمية في مؤلفاته لمناقشة أسس المنطق الأرسطي وتطبيقاته في مباحث المتكلمين الإسلاميين على اختلاف مذاهبهم. وبالتالي يعتبر هذا مدخلا لدراسة نظريته في المعرفة؛ كونه يتطرق لموضوع الحد والقياس اللذين يعنيان بتنظيم طرق الحصول على العلم، وهذا مما سيتم بحثه.

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة للكشف عن مضمون نظرية المعرفة عند ابن تيمية من خلال إدخال مفاهيم جديدة مثل: العلاقة بين المدرِك والمدرَك، والذاتية والموضوعية في المعرفة الإنسانية. وما يميز هذه الدراسة أنها تعالج موضوع نظرية المعرفة عند ابن تيمية على نحو مختلف وجديد يتمثل في المحتويات التي تعالجها الدراسة مثل: الوجود والمعرفة عند ابن تيمية، نظرته للمعرفة البشرية، المعارف الأولية، نقده للمعرفة الصاعدة، الذاتية والموضوعية في المعرفة، علاقة الماهية بالوجود عند ابن تيمية، موقفه من المنطق الأرسطي.

الدراسات السابقة

بحسب اطلاع الباحث واستقصائه لما كتب حول نظرية المعرفة عند ابن تيمية، فلم يعثر على أي دراسة بهذا المعنى، وفق المفهوم الصارم الدقيق لمفهوم الدراسات السابقة، بيد أن دراسات أكاديمية عامة تناولت موضوع نظرية المعرفة على نحو يختلف من دراسة لأخرى. وفيما يأتي عرض لبعض الدراسات:

ناقش الباحث زكريا (2005) موقف الإنسان الطبيعي من العالم الخارجي، إزاء الفلسفات المثالية التي تنكر وجود العالم الخارجي، أو القول بأنه عالم ذاتي. ويرى الباحث أن الفلسفة بحاجة إلى أن تنظر بفهم وتقدير إلى وجهة نظر الإنسان حتى يمكن إدراك العلاقة بين الفلسفة والموقف الطبيعي للإنسان.

يرى الباحثان آدمسون وتيلور (2004)أن الفلسفة المكتوبة باللغة العربية، وفي العالم الإسلامي تمثل واحدة من تقاليد كبيرة للفلسفة الغربية؛ حيث إنها مستوحاة من الأعمال الفلسفية اليونانية، والأفكار الأصلية للفقه الإسلامي. ويرى الباحثان أن هذه المجموعة من المقالات تقدم مدخلا إلى هذا الميدان عن طريق الفصول المكرسة لبعض من كبار الفلاسفة في الفلسفة العربية على مستوى الأفراد مثل: الفارابي وابن سينا، وابن رشد، أو على مستوى المجموعات لا سيما أثناء الفترة الكلاسيكية من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر.

تكونت دراسة الكردي (2003) من ثلاثة كتب، حسب اصطلاح الباحث، شملت عناصر نظرية المعرفة، وقد تناول الباحث في الكتاب الأول، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، وتركز البحث حول النظرية، وإمكان الحصول على المعرفة بين مذاهب الشك واليقين، وموقف القرآن من

إمكان المعرفة. وتناول الكتاب الثاني، طبيعة المعرفة وفق المنهج المقارن بين القرآن وبعض المدارس الفلسفية، وتناول الكتاب الثالث أصل المعرفة وطرقها وأنواعها.

تناول الباحث عبد المهيمن (2000)، موضوع المعرفة عند اثنين من كبار مفكري الإسلام، وهما ابن رشد وابن عربي؛ وذلك لأنهما يمثلان اتجاهين متميزين في المعرفة بحسب الباحث. وبالتالي فإن دراسة نظرية المعرفة بين ابن رشد وابن عربي تجمع، من وجهة نظره، بين مجالين من أكبر مجالات الفلسفة الإسلامية، وهما: مجال الفلسفة الاسلامية ذات الاستلهام اليوناني، ومجال التصوف الذي يرجع إلى أصول إسلامية.

تناول الباحث الزنيدي(1408 هـ) في دراسته مصادر المعرفة المختلفة. وخلص إلى أن الفكر في إطاره الفلسفي ما يزال يبحث عن قواعد ثابتة تحقق سعادة الإنسان وبخاصة بعد حصوله على معرفة واسعة في مجال العلم التجريبي، وفي مجال معرفة سنن الله في الكون والحياة؛ حيث تحققت أهدافه المادية ونجح في ذلك إلى حد كبير. غير أنه في المجال الفلسفي لم يحقق ذلك نتيجة ابتعاده عن هدى الله حينما ركن إلى العقل البشري وحده في مجالات لم يزود بما يؤهله لبلوغ الحقيقة فيها. ولذلك دعا الباحث إلى تبني مصدرية الوحي الإلهي واعتباره مصدر المعرفة؛ كي يتم تجاوز مرحلة الحيرة والاضطراب الفكري الحاصل.

يفحص الباحث نيتون (1992) واحدة من أكثر الفترات إثارة وديناميكية، وهي فترة العصور الإسلامية المتوسطة، منذ أواخر القرن التاسع وحتى بداية القرن الحادي عشر. وذلك من خلال مجموعة من أبرز المفكرين ومنهم الفارابي المعلم الثاني بعد أرسطو. ويرى الباحث أنه يتم التعامل مع هذه الأفكار من خلال الرجوع إلى الأسئلة الأساسية التي يمكن أن تطلب في نظرية المعرفة. وهذا الكتاب يولي اهتماما خاصا للأبعاد الأخلاقية المعرفية.

أما الدراسات التي تناولت ابن تيمية فمنها:

ناقش سمرين (2017) موقف ابن تيمية من المعرفة القبلية، وبين جذورها في الفلسفة، كما بين المواقف الفلسفية المختلفة من المعرفة القبلية. وقد استنتج الباحث أن موقف ابن تيمية الفلسفي في نظرية المعرفة يندرج تحت إطار الفلسفة المادية، وأنه (ابن تيمية) لا يقول بالمعرفة القبلية، واعتبر سمرين الدراسات التي خالفت ذلك غير صحيحة في عرض موقف ابن تيمية.

حاول الدعجاني (2014) قراءة فكر ابن تيمية من حيث أصوله الكلية النظرية، وكشفها من جهة إجراءاته الاستدلالية الجزئية، من خلال تحليل منهجه المعرفي. فغياب الرؤية المنهجية في قراءة ابن تيمية، من وجهة نظر الباحث، وبسبب تجاهل أو جهل أصول منهجه المعرفي، والقناعة بما تحصل من علمه وفكره، صار غرضا لأفهام مغلوطة، أو ساذجة. ولذلك حاولت هذه الدراسة تفسير مواقف ابن تيمية العلمية، متتبعة جذورها المعرفية شارحة رؤيته المنهجية، محاولة استيعاب أصول منهجه المعرفي. كما حاولت الإجابة عن التساؤلات التالية: كيف بنى نظرياته في المعرفة والمنهج؟ كيف هدّم النظريات الفلسفية والكلامية؟ هل بالإمكان استثمار منهجه وتوظيفه

في حل بعض المشكلات الفلسفية المفتعلة قديما وحديثا كمشكلة الكليات، والسببية، والاستقراء والعلاقة بين النقل والعقل؟

يرى الزعبي (2003) أنه لا يمكن فهم آراء ابن تيمية وفكره وفقهه حق الفهم من كثرة كتبه وفتاواه، حتى يتم الكشف عن طريقة تفكيره في المسائل ومنهجه في النظر فيها. ولذلك حاول الباحث الإجابة عن مجموعة من الأسئلة منها: ما هي عناصر نظرية ابن تيمية في المعرفة والمنهج؟ وما حقيقة موقفه من مسألة النقل والعقل؟ كيف ولماذا اشتهر لدى المؤلفين بنقض المنطق رغم أنه نقض، فقط، المقولات الفاسدة في المنطق الأرسطي، وقدم منطقا بديلا؟ كما حاول الباحث إبراز مفهوم بالغ الأهمية في فكر ابن تيمية وهو مفهوم الواقعية.

تناول الباحث عقيلي (1994) فكر ابن تيمية منهجيا، حيث تناول عصر ابن تيمية علميا واجتماعيا وسياسيا، وبين مظاهر الأزمات الفكرية والثقافية التي بلغت أوجها في ذلك العصر. وتناول حياة ابن تيمية الفكرية والاصلاحية، ثم أفرد لمنهجه في البحث أبوابا ثلاثة؛ أبرز فيها طريقه في الاحتجاج باللغة وشروطه، وطريقه في الاحتجاج بالنقل عن الأصول والاستنباط منها، وطريقه في الاحتكام إلى العقل وحدود الاستدلال به.

تعقيب وتعليق على الدراسات السابقة

لوحظ من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة أن سمرين ركز على المعرفة القبلية عند ابن تيمية وجذورها الفلسفية عنده وعند غيره من الفلاسفة. وقد أفرد الدعجاني دراسته لمنهج ابن تيمية في المعرفة، حيث قارن بينه وبين غيره من الفلاسفة. وقد كان تركيزه في دراسته كيف نقرأ ابن تيمية معرفيا، وأجاب عن ذلك بضرورة تتبع نسق ابن تيمية المعرفي من خلال تحليل مواقفه، والاستفادة من المفاهيم المركزية في خطابه ثم تركيبها وتأليفها. فالدراسة عبارة عن دراسة للمنهج عند ابن تيمية، وليس لنظرية المعرفة عنده، رغم أنه أشار إلى بعض الأفكار المتعلقة بالمعرفة عنده، ولكنه نسب إلى ابن تيمية القول: بالمعرفة القبلية وهذا خطأ سيتم توضيحه في الدراسة.

أما دراسة عقيلي، فكان لها فضل السبق في دراسة فكر ابن تيمية، لكنها كانت ضعيفة من حيث النسق، والمفاهيم والأفكار، حيث إن الباحث لم يستطع أن يبرهن على مفهوم تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، وجاءت العناوين مبعثرة غير متسقة.كما جاءت هذه الدراسة متناقضة مع ما قاله الدعجاني في وصف العقل عند ابن تيمية من حيث أن العقل يكتسب معلوماته من الواقع، فهو لا يحمل معلومات قبلية، وهو لم يفرق بين المعرفة القبلية والضروريات والأوليات العقلية.

حاول الزعبي في دراسته إبراز مفهوم مهم في فكر ابن تيمية، ألا وهو الواقعية، لكن هذه الدراسة قصرت في شرح مفاهيم مهمة، مثل: الفطرة المعرفية والانسجام العلمي أو الوحدة المعرفية. وكذلك وقع الباحث من وجهة نظري في خطأ منهجي في دراسته حين اعتبر أن المعرفة عند ابن تيمية مبنية على منهج شكي ديكارتي.

أما بخصوص الدراسات الأخرى فهي لم تتناول ابن تيمية، وإنما تناولت أفكار متعلقة بنظرية المعرفة بشكل عام، فمثلا دراسة الكردي اهتمت بنظرية المعرفة في القرآن والفلسفة، حيث جاءت تأصيلا لموضوع المعرفة على أسس قرآنية؛ لتأكيد الهوية الإسلامية في مجال المعرفة الإنسانية، ولذلك عرض الباحث أصول نظرية المعرفة القرآنية وقرن بينها وبين النظريات الفلسفية المختلفة وموقف القرآن من هذه الفلسفات. وركز الزنيدي في دراسته على منهج الإسلام في تصنيف مصادر المعرفة، وقيمة ما يصدر عنها، ولذلك اهتم بدراسة مصادر المعرفة ونقدها وفق المعيار الإسلامي. أما زكريا فقد دافع من خلال كتابه عن موقف الإنسان العادي في نظرته إلى العالم الخارجي، في مقابل الموقف المثالي الذي يعارض الموقف الطبيعي للعالم، وقد ابتدأ من العقل كنقطة انطلاق للتفكير في حقيقة العالم.

أما فيما يتعلق بهذه الدراسة، فلا شك أن الباحث استفاد من الدراسات السابقة سواء من ناحية المنهجية، أو بعض الأفكار المتعلقة بنظرية المعرفة، والمعرفة القبلية وغيرها من الأفكار وكذلك المصطلحات، لكن هذه الدراسة تختلف من حيث، أنها تعالج موضوع نظرية المعرفة عند ابن تيمية على نحو مختلف يتمثل في المحتويات التي تعالجها الدراسة مثل: الوجود والمعرفة عند ابن تيمية، نظرته للمعرفة البشرية، المعارف الأولية، نقده للمعرفة الصاعدة، الذاتية والموضوعية في المعرفة، علاقة الماهية بالوجود عند ابن تيمية، موقفه من المنطق الأرسطي.

منهج الدراسة:

لغرض تحقيق أهداف البحث سيتبع الباحث المنهج التحليلي المقارن، حيث سيحاول الباحث تحليل المشكلات المثارة في نظرية المعرفة عند ابن تيمية، كما سيسعى الباحث من جهة أخرى إلى مقارنة هذه القضايا بغيرها عند الفلاسفة الآخرين من يونانيين ومسلمين، ليتبين الباحث مقدار التأثر والتأثير، ويكتشف مواطن الجدة والإبداع عنده.

محتويات الدراسة: تم تقسيم الدراسة إلى الموضوعات التالية: الحس والعقل، والوجود والمعرفة، وموقف ابن تيمية من المعرفة الصاعدة، وموقف ابن تيمية من الذاتية والموضوعية، وموقف ابن تيمية من المنطق الأرسطي، والموقف من الماهية والوجود، والمعرفة القبلية والمعرفة الفطرية، وخاتمة تتضمن أهم نتائج الدراسة.

مصطلحات الدراسة:

نظرية المعرفة (Theory of Knowledge) تختص في البحث في مبادئ المعرفة الإنسانية، وفي إمكانية قيام معرفة ما عن الوجود بمختلف أشكاله ومظاهره. وإذا كانت المعرفة ممكنة فما هي أدواتها وما حدودها وما قيمتها (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 55). ويلاحظ أن هذا المصطلح يستخدم بوصفه معنى مصطلح (الإبستمولوجيا) (Epistemology) نفسه،وهذا ما يراه كثير من الباحثين. ولكن في اللغة الفرنسية، هناك تفرقة واضحة بين ما يطلق عليه (نظرية المعرفة)، وما يطلق عليه (إبستمولوجيا). فالثانية تدل عند بعض الكتاب على فلسفة العلوم التي

هي في جوهرها دراسة نقدية للمبادئ، والفروض والنتائج في مختلف العلوم ابتغاء تحديد أيهما المنطقي لا النفساني، وقيمتها ومداها الموضوعي. وعلى هذا حصل التمييز بين المصطلحين، واعتبروا المصطلح الأول (نظرية المعرفة) ذلك الذي يدل على دراسة العلاقة بين الذات والموضوع في فعل المعرفة؛ بهدف تحديد قيمة معارفنا وحدودها. ولكن تحت تأثير الكلمة الانجليزية، وبالعودة إلى الأصل الاشتقاقي (Episteme) (معرفة) و(Logos) (علم) أصبح المصطلح يدل على نظرية المعرفة بوجه عام، وليس على فلسفة العلوم وحدها، رغم إصرار البعض على تلك التفرقة (عبد الرحمن بدوي، 1975، ص67-69).

الذاتية والموضوعية: تُعبِّر الموضوعية عن إدراك الأشياء على ما هي عليه دون أن يشوبها أهواء أو مصالح أو تحيزات، أي تستند الأحكام في النظر إلى الحقائق على أساس العقل، وبعبارة أخرى تعني الموضوعية الإيمان بأن لموضوعات المعرفة وجودًا ماديًا خارجيًا في الواقع، وأن الذهن يستطيع أن يصل إلى إدراك الحقيقة الواقعية القائمة بذاتها (مستقلة عن النفس المدركة) إدراكًا كاملاً. وعلى الجانب الآخر، كلمة الذاتيّ تعني الفردي، أي ما يخص شخصًا واحدًا، فإن وصف شخص بأن تفكيره ذاتي فهذا يعني أنه اعتاد أن يجعل أحكامه مبنية على شعوره وذوقه، ويُطلق لفظ ذاتيّ توسُّعًا على ما كان مصدره الفكر وليس الواقع.

الأفكار الفطرية: المعرفة الأولية التي لا تأتي عن طريق الحس، وإنما نشأت مع الإنسان منذ الصغر؛ بحيث إذا وجد الإنسان أن طريق الحس لا يوفر له معرفة كاملة؛ فإنه يلجأ إلى هذه المبادئ الأولية. ومن هذه المبادئ الأولية معرفة النفس أن كل ثلاثة فهو عدد فردي، وكل ما هو جزء الشيء فهو أصغر من ذلك الشيء، وكل مقدار مساو لمقدار آخر فالمقداران متساويان.

الأفكار المكتسبة: المعرفة التي تأتي للإنسان عن طريق الخبرة الحسية التي تزوده بها الحواس.

الماهية: هي "ما يجاب به في "ما"(محمد أبو نصر الفارابي، 1970، ص62)، فكل سؤال عما هو الشيء تكون الإجابة عنه بماهية الشيء. ونعني بماهية الشيء "ما به الشيء هو هو، وما دامت ماهية الشيء هي هي، فهي لا موجودة ولا معدومة ولا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام" (الجرجاني، 1985، ص205). فماهية الشيء هي تلك الخصائص التي يدركها العقل، وتبقى على حالها دون أي تغيير يطرأ عليها.

الحس والعقل عند ابن تيمية

يرى ابن تيمية أن الحواس هي وسائل الاتصال بالعالم الخارجي، وبدونها لا يمكن أن نتصور الأشياء المحسوسة، حيث يقول: "فأما أن العقل الذي هو عقل الأمور العامة التي أفرادها موجودة في الخارج، يحصل بغير حس فهذا لا يتصور، وإذا رجع الإنسان إلى نفسه وجد ذلك، رأيته لا يعقل مستغنيا عن الحس الباطن والظاهر لكليات مقدرة في نفسه، مثل الواحد والإثنين والمستقيم والمنحني..."(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص202).

فالحس له، عند ابن تيمية، خاصية العلم بالأشياء الجزئية المعينة في الخارج، أما العقل فله خاصية العلم بها كلية مطلقة. وعليه كيف يحصل العقل على هذا التعميم بحسب ابن تيمية؟إن الكلي هو مثال في الذهن لجزئياته، فما يحكم به على ذلك الكلي، يحكم به على كل جزء من جزئياته. فوظيفة الحس هي العلم بالقضايا الجزئية كما هي في الواقع، أما التعميم عن طريق الاعتبار والقياس فهي وظيفة العقل.

فإذا انفرد الحس أدرك وجود المعينات كما هي في الواقع، وإذا انفرد العقل؛ فإنه يدرك الكليات المقدرة في الذهن، وما يقدره الذهن قد يكون له وجود في الخارج وقد لا يكون، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك بقوله: "فأما العلم بمطابقة ذلك المقدر للموجود في الخارج، والعلم بالحقائق الخارجية، فلا بد فيه من الحس الباطن أو الظاهر، فإذا اجتمع الحس والعقل كاجتماع البصر والعقل، أمكن أن يدرك الحقائق الموجودة المعينة، ويعقل حكمها العام الذي يندرج فيها، أمثالها لا أضدادها، ويعلم الجمع والفرق، وهذا هو اعتبار العقل وقياسه" (تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص ص202-203).

فمن الناحية النظرية، وإن كان ابن تيمية، يفصل بين العقل والحس لوجود تمايز بينهما، من حيث التعامل مع المعلومات وتوظيفها، إلا أنه من الناحية العملية ينظر إليهما متكاملين؛ لأن أحدهما لا يستقل عن الآخر في المعرفة، وتحديدا العقل، الذي يحتاج إلى المعلومات الأولية، التي يستقبلها عن طريق الحس. فالعقل يتلقى معلوماته من الواقع؛ لأنه لا يحمل معلومات قبلية بحسب ابن تيمية.

الوجود والمعرفة عند ابن تيمية:

يرتبط الوجود بالمعرفة وهو سابق عليها، فلا يتوقف وجوده على معرفتنا به، أو إدراكنا إياه، بل هو ثابت سواء أدركناه أم لم ندركه، أما حقيقة المعرفة فإنها نوع من العلاقات الوجودية بين الإنسان العارف الموجود وبين الأشياء والحقائق الموجودة،فالمعرفة تابعة للوجود ونابعة منه (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 53)، حيث يرى أرسطو" أن العلم يقع على الوجود، وبذلك يمكن أن ينظر إليه من ثلاث جهات: من جهة كونه متحركا حساسا، فهذا هو العلم الطبيعي، ومن جهة المقدار والعدد، وهذا العلم الرياضي، ومن جهة الوجود بالإطلاق، وهذا علم ما بعد الطبيعة"(عبد الله الدعجاني، 2014، ص 53، وانظر، يوسف كرم، د. ت، ص118).

تختلف الرؤى في الوجود، وبذلك تختلف المناهج المعرفية؛ فالرؤية التي تحكم الوجود هي الرؤية التي تحكم المعرفة؛ وبالتالي، "ليس هناك من بحث اسمه بحث مجرد، ينطلق من فراغ في المذهب، ليؤسس مذهبا في الوجود على أساس المذهب في المعرفة" (راجح الكردي، 2004، ص 116). فالذين عرفوا في التاريخ الفلسفي بالبحث المجرد مثل أفلاطون وأرسطو لم يفعلوا أكثر من أنهم عملوا على تمرير المذاهب المادية والديانات الشعبية اليونانية السائدة آنذاك،

وأعطوها نوعا من المعقولية، بمعنى أنهم "عقلنوا وثنية الديانات الشعبية"(عبد الله الدعجاني، 2014، ص 54، راجح الكردي، 2004، ص116).

كما إن المذاهب المثالية التي تحاول رد الوجود إلى المعرفة، والانطلاق من المعرفة لتفسير الوجود، هي في حقيقة الأمر مفتقرة إلى الوجود أولا، فأفلاطون أقام نظرية المثل على رؤيته للوجود، وجعل المعرفة متساوقة مع الوجود. أما ديكارت، على سبيل المثال، فاضطر إلى وجود الله؛ لضمان صدق مبدئه "أنا أفكر فإذن أنا موجود" (انظر، عبد الله الدعجاني، 2014، ص 54، رينيه ديكارت، 1961، ص52). في حين أن باركلي صاحب المبدأ القائل: "الوجود هو الإدراك"(نقلا عن، عبد الله الدعجاني، 2014، ص 54، يحيى هويدي، د. ت، ص 142)، يلجأ إلى وجود الإله لتسويغ وجود الأشياء في حالة عدم إدراكه لها.

وإذا ما عدنا إلى ابن تيمية نجد أنه تبنى هذا المعنى حيث رد المعرفة إلى الوجود، وأكد تأكيدا قاطعا ضرورة رجوع المعرفة البشرية إلى مبدأ الوجود الأول، وهو الله تعالى. وفسر المعرفة برؤيته الوجودية العامة، كما نقد المناهج المعرفية المتمركزة حول الذات البشرية (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 55).

فالمعرفة البشرية، عند ابن تيمية، تسير نزولا لا صعودا، بمعنى أن التأسيس الأول للمعرفة لا بدّ أن يبدأ من المعرفة العليا، وهو العلم الإلهي، الذي يتعلق بضرورة وجود الله وربوبيته وألوهيته، ومنها تستمد المعرفة البشرية ضرورتها، وتتفتح على حقائق الوجود والمعرفة. وهذا بخلاف من يجعل النفس البشرية مستندا أوليا للمعرفة البشرية، التي عليها تتأسس ومنها تصعد إلى معرفة الحقائق، حقائق الوجود والمعرفة وعلى رأسها الحقائق الإلهية.

ويرى ابن تيمية، أن من أبرز المسوغات على نزول المعرفة، نزول المعارف البشرية كلها في سيرها الوجودي من الله إلى النفس البشرية، وأول شاهد على هذا المعنى الفطرة النفسية ذاتها، فإن الفطرة المعرفية المركوزة المخلوقة المصنوعة المفطورة دالة على فاطرها، وصانعها وخالقها دلالة ضرورية من خلال مبدأ فطري أولي وهو السببية (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 69-70)، فالله، كما يقول ابن تيمية: "خلق أكرم الأعيان الموجودة عموما وخصوصا وهو الإنسان، وأنه المعلم للعلم عموما وخصوصا للإنسان، وذكر التعليم بالقلم الذي هو آخر المراتب، ليستلزم تعليم القول وتعليم العلم الذي في القلب"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص38، انظر أيضا، عبد الله الدعجاني، 2014، ص 70). وقد بين القرآن الكريم ذلك المعنى بقوله تعالى: "**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾**"(القرآن الكريم، العلق، آية1-5).

فالوجود، بحسب ابن تيمية، يلتقي بالمعرفة في انسجام تام، فكما أن الله تعالى الخالق والموجد الأول، فهو المعلم الأول، وكما أنه أصل لكل شيء موجود، فذكره والعلم به أصل لكل علم (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 70) "لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات، والآخر الذي إليه تصير

الحادثات، فهو الأصل الجامع، فالعلم به أصل كل علم وجامعه، وذكره أصل كل كلام وجامعه، والعمل له أصل كل عمل وجامعه" (تقي الدين بن تيمية، د. ت، ص16).

فابن تيمية يعتبر أن التلازم بين الرؤية الوجودية، والرؤية المعرفية وانسجامهما يقودان إلى أصل المعارف والوجود وهو الله تبارك وتعالى (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 70)، وفي هذا يقول: "العلم به أصل للعلم بكل ما سواه، والعلم بما سواه فرع للعلم به باعتبارات متعددة، فلا يكون الإنسان عالما بغيره على الوجه الذي ينبغي حتى يعلم ما به وجد وتحقق، سواء سمي ذلك مؤثرا أو فاعلا أو علة فاعلة أو صانعا أو رَبّا، حتى ينتهي النظر إلى الله سبحانه وتعالى فحينئذ يقف الطالب"(تقي الدين بن تيمية، 1430هـ، ص ص109-110، انظر الدعجاني، ص 70). فأصول المعرفة العلمية والعملية راجعة إلى الإله الخالق.وهنا يتبادر إلى الأذهان السؤال، هل القول بالمعرفة النازلة يتنافى مع إقرار فاعلية النفس المعرفية؟فلا تعارض بين كون المعرفة نازلة والنفس فاعلة، وإنما التعارض ينشأ عند من دمًر فاعلية النفس كالجبرية، التي أول من قال فيها الجهم بن صفوان، حيث الإنسان في نظره مجبور في أفعاله، فلا قدرة له ولا اختيار، (محمد أبو ريان، 2000، ص229)، وعند من بالغ في فعاليتها حتى جعلها مستقلة عن خالقها كالقدرية، التي يقول أصحابها بالاختيار أي حرية الإرادة فالإنسان في نظرهم، مختار في أفعاله، حر في إرادته، ويذهب المؤرخون إلى أن أسبق الناس قولا بالقدر هو معبد الجهني. (محمد أبو ريان، 2000، ص231)، فإنه لا يلزم من أداء النفس دورها التأسيسي للمعارف أن تكون المنبع الأصيل والمعين الأول للمعارف البشرية (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 71).

موقف ابن تيمية من المعرفة الصاعدة

نقد ابن تيمية نظرية المعرفة الصاعدة، من خلال تحليله للطريقة الفلسفية الكلامية، بحسب وصفه. تلك الطريقة التي تجعل من النفس البشرية مركزا للمعرفة ومبتدأ لها. فهي من وجهة نظره، أشبه ما يكون بالتمركز حول الذات، الذي تتابعت عليه التيارات الفلسفية "الغنوصية" التي تقوم على مبدأ العرفان (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 82)، والعرفان، برأيهم، ليس العلم بوساطة المعاني المجردة والاستدلال، كما هو الحال في المعرفة الفلسفية المنطقية، بل هو عندهم المعرفة الحدسية الحاصلة من اتحاد العارف بموضوع المعرفة. وغاية هذه المعرفة الوصول إلى عرفان الله بكل ما في النفس من قوة حدس وعاطفة وخيال. وفي هذا تعتبر الغنوصية صوفية تزعم أنها المثل الأعلى للمعرفة، وترجع بأصلها إلى وحي أنزله الله منذ البدء وتناقله المريدون سرا. (محمد أبو ريان، 2000، ص63). فابتداء المعرفة من النفس البشرية لا من الله هو ما ميز الطريقة الفلسفية الكلامية كما يقول ابن تيمية: "أما الطريقة الفلسفية الكلامية فإنهم ابتدأوا بنفوسهم، فجعلوها هي الأصل الذي يفرعون عليه، والأساس الذي يبنون عليه، فتكلموا في إدراكهم للعلم: أنه تارة يكون بالحس، وتارة بالعقل، وتارة بهما" (تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص20، وانظر الدعجاني، ص 83).

وبالتالي، فإن البناء المعرفي عند أصحاب المناهج الفلسفية الكلامية، بحسب ابن تيمية، الذي يتأسس على الإدراك العقلي والحسي الضروري، يستهدف ثلاثة أنواع من المعارف: المعارف

الطبيعية، والمعارف الحسابية، والمعارف الخلقية. وهو يرى أن المنهجين الكلامي والفلسفي اتفقا على جعل المعارف الطبيعية والحسابية أصلا معرفيا لسائر العلوم (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 83) "ولهذا يمثلون ذلك في أصول العلم والكلام بأن الواحد نصف الإثنين، وأن الجسم لا يكون في مكانين، وأن الضدين كالسواد والبياض لا يجتمعان"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص ص20-21، انظر الدعجاني، ص 83).

وبناء على ذلك، فإن المنهج التصاعدي الذي يسيرون عليه، بحسب ابن تيمية، يحتم عندهم الابتداء من الضرورات العقلية أو الحسية التي يجعلونها أصل المعارف البشرية، والانتهاء بالعلم الإلهي، أو علم ما بعد الطبيعة (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 83)، ولهذا؛ فإن "أكثر المصنفين في الفلسفة كابن سينا، يبتدئ بالمنطق ثم الطبيعي والرياضي، أولا بذكره، ثم ينتقل إلى ما عنده من العلم الإلهي، وتجد المصنفين في الكلام يبتدئون بمقدماته في الكلام: في النظر والعلم والدليل، وهو من جنس المنطق، ثم ينتقلون إلى حدوث العالم وإثبات محدثه"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص23، انظر الدعجاني، ص 83). وهذا من الأمور السفلية قليلة الفائدة، بحسب وصف ابن تيمية؛ "لأنه فيما اتفقوا عليه وأصلوه من المعارف تضييق للنسق المعرفي، وتهوين لبناء المعرفة"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص23).

فابن تيمية في هذا، يحلل المناهج المعرفية التي تبنّت القول: بأن المعرفة صاعدة لا نازلة؛ حيث يرى أن المنهجين اتفقا على جعل المعارف الطبيعية والحسابية أصلا معرفيا لسائر العلوم؛ ولذلك فهم في هذا المنهج المعرفي التصاعدي يبدأون من الضرورات العقلية أو الحسية، التي هي عندهم أصل المعارف البشرية، وينتهون بالعلم الإلهي أو علم ما بعد الطبيعة (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 83).ولكن رغم اتفاقهم على هذه الرؤية المنهجية المشتركة يختلفون في نوعية البناء والهدف المعرفيين، ففي حالة الصعود المعرفي الاستدلالي من تلك المعارف إلى إثبات القضايا العلوية يتميز المنهج الكلامي عن المنهج الفلسفي.فالمنهج الكلامي، يهدف إلى إثبات صانع للعالم، وصدق النبوة، ويرتبون على ذلك مصدرية الوحي الإلهي للمعرفة، بينما ينطلق المتفلسفة الطبيعيون من المعرفة الطبيعية صعودا إلى إثبات حقائق الأفلاك وأحوالها، وأما المتفلسفة المتألهون فيصعدون بذلك إلى إثبات واجب الوجود والعقول والنفوس. وهذا ما أدى بهم إلى التفكك والتعارض الاستدلالي، وتضييق الأنساق المعرفية (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 83).

موقف ابن تيمية من الذاتية والموضوعية:

يمكن أن تطرح في هذا المقام مجموعة من الأسئلة ومنها: هل المعارف الضرورية ذاتية نابعة من الذات؟ وكيف تكون المعارف الضرورية موضوعية خارج الذات؟ وهل يمكن أن تجمع الضرورات المعرفية بين الذاتية والموضوعية؟ربما يمكن القول: إنه لا تعارض بين ذاتية المعارف الضرورية وبين موضوعيتها؛ لأنها وإن كانت المعارف في بدايتها ذاتية، إلا أنه لا تتناقض مع موضوعيتها؛ وذلك بسبب إمكانية الاشتراك فيها. فالمعارف الضرورية ذاتية؛ لأنها نابعة من الذات، وموضوعية؛ لأنها ممكنة الإدراك. فتوقف تلك الضرورات الحسية والعقلية

والوجدانية على ذواتنا، لا يقتضي نفي موضوعيتها؛ لأن إدراك مثل هذه الضرورات إدراك مشترك إما في عين الشيء كرؤية الشمس، وإما في نوعه كضرورة اللذة والألم والضرورات العقلية، وبعض الضرورات التجريبية (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 184) "فالاشتراك قد يكون في عين المعلوم المدرك، وقد يكون في نوعه فالأول: كاشتراك الناس في رؤية الشمس والقمر وغيرهما، والثاني كاشتراكهم في معرفة الجوع والعطش والري والشبع، واللذة والألم، فإن المعيّن الذي ذاقه هذا الشخص ليس هو المعين الذي ذاقه هذا، إذ كل إنسان يذوق ما في باطنه ولكن يشترك الناس في معرفة جنس ذلك"(تقي الدين بن تيمية، 2005، ص139، انظر الدعجاني، ص 184).

أما ابن تيمية، فيرى عدم التلازم بين ذاتية المعارف، ونفي موضوعيتها في سياق نقده لتفريق المناطقة بين اليقينيات المكونة للبرهان عندهم؛ إذ جعلوا المتواترات والمجربات والحدسيات ذاتية خاصة بمن عَلِمها، ونفوا موضوعيتها؛ ولذلك قرروا عدم الاحتجاج بها على المخالف، بخلاف غيرها من اليقينيات كالأوليات والمحسوسات. أما إذا تم التسليم جدلا بأن المتواترات والمجربات والحدسيات ذاتية خاصة، ولا يصح الاحتجاج بها على المخالف؛ لأنه لا موضوعية لها يشترك فيها الناس؛ فإنه يمكن القول كذلك: إن الحسيات ذاتية، فكل ما يدرك بالحواس يختص بمن أحسه؛ فإذا كانت المتواترات ذاتية خاصة لا يقوم بها برهان، فكذلك الحسيات (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 184-185)."فإن الخبر المتواتر ينقله عدد كثير، فيكثر السامعون له، ويشتركون في سماعه من العدد الكثير، لا سيما إذا كان العدد الكثير مئين وألوفا"(تقي الدين بن تيمية، 2005، ص430)،وإذا كان للمعرفة الحسية واقع موضوعي، والناس يشتركون في إدراك جنسه؛ يصبح للمعرفة المتواترة والمجربة واقع موضوعي يشترك الناس في إدراك جنسه (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 185).والمعرفة التجريبية كذلك، فإن "وجود الشبع والري عقيب الأكل والشرب هو من المجربات، والناس يشتركون في جنسه، وكذلك وجود اللذة بذلك بالإجماع، وغير ذلك بما إذا فعله الإنسان وجد عقيبه أثرا من الآثار، ثم يتكرر ذلك حتى يعلم أن ذاك سبب هذا الأثر فهذا هو التجريبيات"(تقي الدين بن تيمية، 2005، ص430، ينظر كذلك، الدعجاني، ص185).

وبناء على ما سبق، يمكن القول: إن القضايا الحسية والمتواترة والمجربة وسائر اليقينيات كما إنها ذاتية ومختصة بالذات في الأصل، إلا أنها موضوعية يمكن اشتراك الناس في إدراكها "فلا معنى للفرق في الخارج، سواء أدركناها أم لم ندركها، فإن حقائق الأشياء لا تتوقف على علمنا بها (الدعجاني، 2014، ص 185)، بل كما يقول ابن تيمية: "عدم علمنا بالحقائق لا ينفي ثبوتها في أنفسها"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص87)؟ فتوقف العلم بالمتواترات والتجريبيات والحسيات وغيرها من الضرورات على الذات، لا يعني حقائقها الخارجية، بل لها حقائق موضوعية يمكن إدراكها.

موقف ابن تيمية من المنطق الأرسطي

لم يحرم ابن تيمية الاشتغال بالمنطق، كما فعل مثلا،تقي الدين أبو عمر عثمان الشهرزوري المعروف بابن الصلاح(577 هـ -643هـ)المولود بقرية شرخان من أعمال إربل قريبة من شهرزور في شمال العراق، الذي اشتهر بفتواه المعروفة، التي أعلن فيها تحريم الاشتغال بالمنطق والفلسفة (تقي الدين عثمان بن الصلاح، 1986، ص209)، بل تصدى ابن تيمية في مؤلفاته، ومنها: كتاب الرد على المنطقيين، لمناقشة أسس المنطق الأرسطي وتطبيقاته في مباحث المتكلمين الإسلاميين على اختلاف مذاهبهم. وهو يرى أن منطق الأرسطيين مخالف للنصوص الإسلامية؛ ولذلك فالمنطق في منهج ابن تيمية مخالف بالضرورة للعقل الصريح. رغم أنجوناثان بيركي"Jonathan Berkey" ذهب إلى القول: إنه بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس عشر كانت "العلوم العقلية مثل المنطق قد طالها التهميش من طرف ما يمكن أن نسمّيهالاتجاه العام في الفكر السني؛ بسبب المعارضة المتصاعدة لعلماء السنة للعلوم العقلية" (Jonathan Berkey,2003,pp229-230). في حين رأى جورج مقدسي: أن "الاتجاه العام في الفكر الإسلامي يتمثل في علماء الدين التقليديّين خصوم علم الكلام والمنطق، مثل ابن تيميَّة وتلاميذه في القرن الرابع عشر الميلادي"(GeorgeMakdisi, 1962,p50).وقد ذكر ذلك ماجد فخري، حين أشار إلى أن ابن تيميَّة وتلاميذه قد "ضمنوا انتصار الحنبليَّة الجديدة على علم الكلام وعلى الفلسفة"(Majed Fakhry,1983,P223)

وتدور معارضة ابن تيمية لمنطق الأرسطيين والمتكلمين الإسلاميين على محورين رئيسين: الحد والقياس.فالمنطق يُعنى بتنظيم طرق الحصول على نوعين من العلم: العلم التصوري، والعلم التصديقي. والحد جُعل طريقا للعلم التصوري، والقياس جُعل طريقا للعلم التصديقي. وابن تيمية يبطل كون الحد الأرسطي طريقا للأول، والقياس طريقا للثاني، وبالتالي فهو يبطل دعوى الأرسطيين بالقول: فإن "كل هذه الدعوى كذب في النفي والإثبات، فلا ما نفوه من طرق غيرهم كلها باطل، ولا ما أثبتوه من طرق كلها حق على الوجه الذي أدعوا فيه"(جلال الدين السيوطي، 1947، ص288).

ومن الحجج التي يستند إليها ابن تيمية في إبطاله الحد الأرسطي هو ما يتعلق بمذهبه بشأن الماهية والوجود؛ حيث يضع حدا فاصلا بين الماهية والوجود الخارجي، إذ ليس عنده للماهية سوى الوجود الذهني، أما الوجود في الخارج فيختص به الجزئي، أي أفراد الماهية المشخصة بأعيانها، فليس هناك وجود خارجي للماهيات المجردة، كما في نظرية أفلاطون (الماهيات: المثل) كما لا وجود لها مقارنا لوجود الأفراد كما عند أرسطو والأرسطيين الإسلاميين (تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص64)، وهنا يقطع ابن تيمية العلاقة الوجودية بين العام والخاص: الأول لا وجود له إلا في الذهن، أما الثاني فلا وجود له إلا في الخارج.

يلاحظ مما سبق، أن ابن تيمية يبني اعتراضه على فكرة الحد المنطقي الأرسطي، وذلك؛ لأن فكرة الحد مبنية عند الأرسطيين على كون الذاتيات هي المكونة للحد الحقيقي، أي أن الصفات الذاتية للمحدود داخلة في قوام ماهيته، وهذا، من وجهة نظر ابن تيمية، يتطلب أن تكون ماهيات الأشياء، حقائقها، موجودة في الخارج، كما يتطلب أن يكون وجودها الخارجي هذا مغايرا

لوجودها الذهني أولا، وللوجود العيني الذي لأفرادها ثانيا. ويصف ابن تيمية هذه اللوازم المفترضة عنده بأنها "تفريق بين الماهية ووجودها"(تقي الدين بن تيمية، 2012، ص61)، ويقصد وجودها الذهني.

نخلص مما تقدم إلى، أن اعتراض ابن تيمية نابع من موقفه من النتيجة التي يؤدي إليها القول: بوجود ماهيات مجردة ثابتة في عالم ما فوق الطبيعة، أي وجود تعدد الأزلي وفقا للمثل الأفلاطونية، أو النتيجة التي يؤدي إليها القول: بوجود ماهية أزلية للمادة (الهيولى) لها ارتباط وجودي إمكاني سابق بما هو مادة واقعية بالفعل (الصورة)، وبمعنى آخر القول أخيرا: بأزلية العالم المادي، كما تعني نظرية الهيولى والصورة في الفلسفة الأولى الأرسطية.وكلتا النتيجتين مخالفة للعقيدة الإسلامية في مسألتي التوحيد وحدوث العالم بحسب ابن تيمية.

وبناء على ما تقدم، يكون ابن تيمية قد نقد الحد الأرسطي نقدا دينيا قائما على ما هو معروف في منهجه من ضرورة موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وليس نقدا منطقيا صرفا، فهو ليس نقدا لفكرة الحد بذاتها كمسألة منطقية.

أما فيما يتعلق بالمحور الثاني وهو القياس في نقده لمنطق الأرسطيين، فقد خصه ابن تيمية بتفاصيل منها ما يتعلق بالقضايا المكونة للبرهان، ومنها ما يتعلق بطرق الاستدلال المنطقية. حيث يبذل ابن تيمية جهدا كبيرا في مسألة القضايا من أجل إثبات يقينية القضايا التجريبية الخاصة والقضايا الإخبارية المتواترة كوسيلة لإثبات يقينية الحديث، بمعناه الإسلامي، في سبيل دعم مبدئه الأساس، وهو موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، بحيث أنكر على الفلاسفة عدم اعترافهم بالقضايا المتواترة كمصدر للعلم اليقيني، وحصرهم هذا العلم بالقضايا النظرية، أي القضايا التي ينتجها القياس المنطقي العقلاني (تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص ص95-100). وكذلك فإنه، ينكر على الفلاسفة قولهم:بأن العلم اليقيني هو نتاج البرهان العقلي المنطقي، وأن القضايا التي ينتجها البرهان هذا لا تكون إلا كلية. وهو ينكر عليهم ذلك انطلاقا من مذهبه من أن الكليات لا وجود لها إلا في الذهن، وأنه لا وجود في الخارج إلا للأشياء العينية(الجزئيات).

وبناء على ما تقدم، كان البرهان المنطقي، في مذهبه، لا يفيدنا العلم بشيء من الموجودات الخارجية "وأي كمال للنفس في مجرد تصور هذه الأمور العامة الكلية إذا لم تتصور أعيان الموجودات المعينة الجزئية، وأي علم في هذا برب العالمين الذي لا تكمل النفس إلا بمعرفته وعبادته محبة وذلا"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص132)، فالله وجود معين وليس كليا؛ لأن الكلي يتطلب التعدد في أفراده، وهذا يخالف عقيدة التوحيد، وهذا منشأ نقد ابن تيمية للفلاسفة في هذا. ولذلك تطلب من ابن تيمية نفي يقينية العلم الكلي، ونفي أن البرهان المنطقي يفيد علما حقيقيا (تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص129).

الموقف من الماهية والوجود:

لا يفرق ابن تيمية بين ماهية الشيء ووجوده في الخارج، فليس هناك ماهية للإنسان من حيث هو هو كمعنى كلي موجود في الخارج متميز عن أفراده المشخصة، بل ليس في الخارج إلا وجود عمرو وزيد متميزين مستقلين لا يشتركان في معنى كلي موجود حقيقة في الخارج، وإنما يتصفان بصفات متشابهة ومتماثلة أحيانا، وفي هذا يقول ابن تيمية: "فأما العلم بمطابقة ذلك المقدر للموجود في الخارج، والعلم بالحقائق الخارجية، فلا بد فيه من الحس الباطن أو الظاهر، فإذا اجتمع الحس والعقل، كاجتماع البصر والعقل، أمكن أن يدرك الحقائق الموجودة المعينة، ويعقل حكمها العام الذي يدرك فيها أمثالها لا أضدادها ويعلم الجمع والفرق، وهذا هو اعتبار العقل وقياسه"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص ص202-203).

فإذا فرض الذهن معنى عاما يوجد أفراده في الخارج، كتصور معنى الحيوان ومعنى الإنسان العام لأفراده؛ فإن الحكم الثابت للعام ثابت لأفراده، فما في الخارج موافق ومطابق لما في الذهن من هذا الوجه، لكن إذا عرفنا الإنسان بأنه حيوان ناطق حساس وذو إرادة؛ فإن هذا المعنى لا يوجد محققا في الواقع، إذ ليس ثمة ما يشترك فيه الأشخاص كزيد وعمرو من الأمور الموجودة المشتركة بينهما.

وعلى هذا فإن ابن تيمية يخالف ما ادعاه بعض الفلاسفة من وجود ماهيات مجردة عن القيود السلبية والثبوتية متحققة في الخارج، كمن يثبت الوجود من حيث هو هو، أو الإنسان من حيث هو هو، أو السواد من حيث هوهو، ومن هذا الباب فإن المثل الأفلاطونية من حيث وجهة نظر ابن تيمية لا وجود لها في الواقع، وكذلك جميع المجردات لا توجد مجردة من كل القيود في الخارج؛ وإن كان لها وجود فهو في الذهن فقط، وهو ما يقدره الذهن ولا وجود له في الخارج(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص317).

إن الخلط بين الماهية والوجود أدى، في نظر ابن تيمية، إلى توهم وجود ماهية للشيء متميزة عن وجوده، ولذلك يرى أن الماهية لا وجود لها إلا في الذهن، والوجود لا حقيقة له إلا في الخارج. وبناء عليه ينبغي التمييز بين الإمكان الذهني والإمكان الخارجي، حيث يقول ابن تيمية: "ليس كل ما فرضه الذهن أمكن وجوده في الخارج، وليس كل ما حكم به الإنسان على ما يقدره ويفرضه في ذهنه، يكون حكما صحيحا على ما يوجد في الخارج، ولا أمكن تصور الذهن له يكون حكما صحيحا على ما يوجد في الخارج، ولا كل ما أمكن تصور الذهن له يكون وجوده في الخارج، بل الذهن يتصور أشياء ويقدرها مع علمه بامتناعها، ومع علمه بإمكانها في الخارج، ومع علمه بالامتناع الخارجي والإمكان الخارجي، وهذا الذي يسمى الإمكان الذهني"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص318).

وبناء على ما سبق، فإن ابن تيمية يستعمل الإمكان على وجهين: إمكان ذهني، وإمكان خارجي. فالإمكان الذهني "أن يعرض الشيء على الذهن فلا يمنع امتناعه، بل يقول يمكن هذا لا لعلمه بإمكانه بل لعدم علمه بامتناعه، مع أن ذاك الشيء يكون ممتنعا في الخارج"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص318)، وأما الإمكان الخارجي"فأن يعلم إمكان الشيء في الخارج وهذا يكون بأن يعلم

وجوده في الخارج أو وجود نظيره أو وجود ما هو أبعد عن الوجود منه فإذا كان الأبعد عن قبول الوجود موجودا ممكن الوجود، فالأقرب إلى الوجود منه أولى"(تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص318).

فابن تيمية يرى أنه لا تلازم بين الإمكان الذهني والإمكان الخارجي، بمعنى أن ما يبدعه العقل من صور مما لا وجود له في الخارج أن تكون ممكنة في الواقع الخارجي،حتى وإن كانت ممكنة في الذهن. فهناك فرق بين الإمكان الذهني والإمكان الخارجي؛ لأن غاية ما يدل عليه الإمكان الذهني هو إمكانية تصور الشيء ذهنيا، وليس إمكانية وقوعه في الخارج، بينما يدل الإمكان الخارجي على إمكان وقوع الشيء في الخارج.كما إن الإمكان الذهني والإمكان الخارجي لا يلتقيان في طرق التحقق منهما، حيث يتم التحقق من الإمكان الذهني من خلال تصور الشيء وهذا كاف، بينما التحقق من الإمكان الخارجي يتطلب التحقق من وجود الشيء نفسه في الواقع الخارجي والتحقق من نظيره. وهذه الطرق للتحقق ترجع إلى الحس بصورة مباشرة، أو غير مباشرة؛ لأن الحس هو الذي يصحح افتراضات العقل، ويسوغ انتقال الصورة الذهنية إلى الواقع (عبد الله الدعجاني، 2014، ص 450- 451).

المعرفة القبلية والمعرفة الفطرية

يقصد بالمعرفة القبلية "نوع من المعرفة مستقل عن التجربة، وعن جميع الانطباعات الحسية" (إمانويل كانط، 1988، ص45) وقد سميت قبلية باعتبار أن "القبل هنا يقصد به ما قبل التجربة"(عبد الرحمن بدوي، 1997، ص163)أما الفطرة: فتأتي في اللغة بمعنى الخلق والابتداء والاختراع(أبو نصر إسماعيل الجوهري، د.ت، ص781)، وفي غريب الحديث يقول ابن الأثير شارحا معنى الفطرة: الفطر: الابتداء والاختراع، والفطرة: الحالة منه كالجلسة والركبة، والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدين"(مجد الدين بن الأثير، 1421هـ، ص 710).

فالمعرفة في اللغة ضد الإنكار، وتعود إلى معنى السكون والطمأنينة، كما يقرره المعجم اللغوي، وهي في حقيقة أمرها حالة نفسية اضطرارية يتحصل عليها العارف حال إدراكه، فهي أظهر من أن تعرف أو يستدل على إثباتها (أحمد بن فارس، 1366هـ، ص281).

إن معيار العلم، عند ابن تيمية، هو مطابقته للمعلوم، وذلك المعلوم مستغن عن العلم، بل إن علمك تابع له لا العكس. فالحقائق الخارجية المستغنية عنا "لا تكون تابعة لتصوراتنا بل تصوراتنا تابعة لها"(ابن تيمية، د. ت، ص71)عند ابن تيمية، وليس كما يرى البعض، إن تصورنا لشيء ما يلزم عندهم فله وجود غائب عنا، إما قائم بنفسه أو قائم بغيره(تقي الدين بن تيمية، د. ت، ص52).

فإذا كانت المعرفة عند ابن تيمية تنطلق من الحس، بمعنى أنها تبدأ من الواقع الموضوعي المحسوس؛ فإن الإنسان يعرف بالحس الأمور المعينة الجزئية في العالم. فالحس هو النافذة التي تعكس وقائع العالم الموضوعي إلى الذهن، ثم إذا تكرر مرة بعد مرة أدرك العقل القدر المشترك

الكلي بين الأشياء وذلك الكلي ذهني فحسب، لا وجود له في الواقع "فالحس يدرك المعينات أولا، ثم ينتقل منها إلى القضايا العامة" (تقي الدين بن تيمية، د.ت، ص363).فابن تيمية يفصل بين العالم العقلي والواقع الموضوعي حيث إن الواقع الموضوعي عنده يقبل الإحساس به، بخلاف المعارف الذهنية التي لا يمكن الإحساس بها، وهي غير موجودة في الواقع خارج الذهن.

فالمعارف الذهنية قد تكون معيّنة، وقد تكون كلية، فالمعيّنة تكون من الحس يُثبت بها أمرا موجودا في الواقع، أما الكلية فهي تعميم للمعيّنات التي مصدرها العالم الموضوعي، وينقلها الإحساس إلى الذهن (نقلا عن، يوسف سمرين، 2017، ص 29)، وقد بين ابن تيمية ذلك بقوله: "المقولات المحضة هي الأمور الكلية، فإن الإنسان إذا أحس بباطنه أو بظاهره بعض الأمور كإحساسه بجوعه وعطشه ورضاه وغضبه وفرحه وحزنه، ولذته وألمه، وبما يراه ويسمعه بأذنه، فتلك الأمور أمور معينة موجودة، فالعقل يأخذ منها أمرامطلقا كليا، فيعلم جوعا مطلقا، وفرحا مطلقا، وشما مطلقا وألما مطلقا ونحو ذلك. فهذه الكليات معقولات محضة لأنه ليس في الخارج كليات حتى يمكن إحساسها، والإحساس إنما يكون بالأمور الموجودة"(تقي الدين بن تيمية، 1391هـ، ص18).

فالكليات، عند ابن تيمية، تصير كليات في العقل بعد تحقق جزيئياتها في الواقع الموضوعي، وتنطلق المعرفة من جزئيات العالم الموضوعي بوساطة الحس، ثم تصبح كليات عقلية. وبهذا فإن ابن تيمية لا يقول: بالمعرفة القبلية؛ لأنه يجعل المعرفة القبلية أصل المعرفة عن التجربة، بخلاف كانط الذي يرى أن المعرفة القبلية وإن بدأت مع التجربة إلا أنها لا تنشأ من التجربة(إمانويل كانط، 1988، ص57). فعند ابن تيمية، كل كلية مسبوقة بجزئياتها في الوجود، وقبل أن تتكون في العقل، فقد نقل صورتها الحس لتشكل علوما معينة، ثم بالتكرار تشكلت منها الكلية"الكليات في النفس تقع بعد معرفة الجزئيات المعيّنة"(تقي الدين بن تيمية، د. ت، ص368).

وبذلك نخلص إلى، أن العقل لا ينتج تصورات من لا شيء أو من معرفة قبلية؛ لأنه محكوم بما يعكسه الإحساس إليه من الواقع الموضوعي المحسوس؛ وبالتالي، فهو يركب مدخلات الحس "فإن المقدر في الأذهان قد يكون أوسع من الموجود في الأعيان، وهو موجود وثابت في الذهن، وليس في نفس الأمر" (تقي الدين بن تيمية، د. ت، ص368).

أي أن المعرفة، عند ابن تيمية، لكي تبدأ من الواقع الموضوعي المحسوس؛ فإنها تنطلق من الحس، ثم يجردها العقل، ويعمم ويقيس. فعن طريق الحس يعرف الأمور المعيّنة الجزئية في العالم، فهو المرآة التي تعكس وقائع العالم الموضوعي إلى الذهن. فالعالم الموضوعي يقبل الإحساس به، وهذه ميزة الأمور الموجودة خارج الذهن، بخلاف المعارف الذهنية، التي لا يمكن الإحساس بها، وهي غير موجودة في الواقع خارج الذهن.

أما المعارف الذهنية، فقد تكون معيّنة، وقد تكون كلية، فالمعيّنة نابعة من الحس، ويثبت بها أمر موجود في الواقع، أما الكلية فهي تعميم للمعيّنات (الجزئيات)، التي مصدرها العالم الموضوعي،

وينقلها الإحساس إلى الذهن. فالكليات، عند ابن تيمية، تصير كليات في العقل بعد تحقق جزئياتها في الواقع الموضوعي، وتنطلق المعرفة من جزئيات العالم الموضوعي بوساطة الحس، ثم تصبح كليات عقلية.فالتصورات العقلية عنده أصلها الحس، والعقل لا ينتج تصورات من لا شيء، أو من معرفة قبلية، فهو محكوم بما يعكسه الإحساس إليه من الواقع الموضوعي المحسوس بحيث يركب مدخلات الحس (يوسف سمرين، 2017، ص 29-30).

أهم نتائج الدراسة:

-يمكن القول: إن ابن تيمية لم يخصص بحثا مستقلا لموضوع المعرفة، وإنما تناول هذا الموضوع في مجموعة من كتبه، فتناوله كأفكار متفرقة. وبناء عليه يمكن الإشارة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ومنها:

-الحس والعقل متكاملين فالحس يقدم المعلومات الأولية للعقل؛ فالعقل يستمد معلوماته من الواقع فهو لا يحمل معلومات قبلية.

-يرى ابن تيمية، أنه لا بد من رد المعرفة إلى الوجود الأول وهو الله تعالى، ولذلك نقد ابن تيمية المناهج الفلسفية التي تمركزت حول الذات، وانطلقت منها في موضوع المعرفة. فابن تيمية رأى أن المعرفة تسير نزولا لا صعودا، فهي تبدأ من العلم الإلهي، لا من النفس البشرية.

-إن أصل المعرفة، عند ابن تيمية، هو الله تعالى، فهناك انسجام وتلازم بين الرؤية الوجودية والرؤية المعرفية، وعلى ذلك فهو لا ينكر فعالية النفس البشرية المعرفية؛ لأنها، من وجهة نظره، سبب من الأسباب التي يخلق الله بها الإنسان من تعقل وانفعال وتفاعل.

-ينقُد ابن تيمية نظرية المعرفة الصاعدة؛ لأنها تجعل من النفس مركزا للمعرفة، بحيث تصبح المعارف الطبيعية والحسابية أصلا معرفيا لسائر العلوم. وهذا يجعل من موضوع الابتداء بالضرورات العقلية أو الحسية التي هي أصل المعارف البشرية، عند من يعتبر النفس مركز المعرفة، والانتهاء بالعلم الإلهي، أو علم ما بعد الطبيعة أمرا حتميا، وهو ما يعتبره ابن تيمية قليل الفائدة؛ لأن فيه تضييق للنسق المعرفي، وتهوين لبناء المعرفة.

-يرى ابن تيمية، أنه إذا كان للمعرفة الحسية واقعا موضوعيا يشترك الناس في إدراك جنسه، فإن للمعرفة المتواترة والمجربة واقعا موضوعيا يشترك الناس في إدراك جنسه كذلك. فالقضايا الحسية والمتواترة والمجربة، وسائر اليقينيات، كما إنها ذاتية ومختصة بالذات في الأصل، إلا أنها موضوعية يمكن اشتراك الناس في إدراكها، فهي حقائق ثابتة في الخارج سواء أدركناها أم لم ندركها. فحقائق الأشياء لا تتوقف على علمنا بها كما يقول ابن تيمية.

-لم يحرم ابن تيمية الاشتغال بالمنطق، ولكنه تصدى لأسسه؛ لأنها مخالفة للنصوص الإسلامية. وتنبع معارضته للمنطق الأرسطي كونه مبنيا على فكرة الحد والقياس. فابن تيمية يضع حدا بين الماهية والوجود الخارجي، فليس عنده إلا الوجود الذهني للماهية؛ لأن الوجود الخارجي مختص بالجزئي (الأفراد المشخصة بأعيانها). وعليه فهو يقطع العلاقة الوجودية بين العام والخاص، فالعام لا وجود له إلا في الذهن، والخاص لا وجود له إلا في الخارج.

-إن فكرة الحد الأرسطي مبنية على أساس كون الذاتيات هي المكون للحد الحقيقي، بمعنى أن الصفات الذاتية للمحدود داخلة في قوام ماهيته، وهذا ما يختلف معه ابن تيمية؛ لأن ذلك يتطلب أن تكون ماهيات الأشياء(حقائقها) موجودة في الخارج، كما يتطلب أن يكون وجودها الخارجي مغايرا لوجودها الذهني، ولوجودها العيني، وهذا تفريق بين الماهية ووجودها عند ابن تيمية. فهو يعترض على وجود ماهيات مجردة ثابتة في عالم ما فوق الطبيعة؛ لأن ذلك يؤدي إلى القول بأزلية العالم المادي، وهذا مخالف للعقيدة الإسلامية في مسألتي التوحيد وحدوث العالم المادي، وهذا نقد ديني مبني على موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول في مذهب ابن تيمية، وليس نقدا منطقيا صرفا.

-لا يفرق ابن تيمية بين ماهية الشيء ووجوده في الخارج. فالماهية عنده لا وجود لها إلا في الذهن، والوجود لا حقيقة له إلا في الخارج، ولذلك فهو يميز بين الإمكان الذهني والإمكان الخارجي. وهو بذلك يخالف ما ادعاه الفلاسفة من وجود ماهيات مجردة.

-المعرفة القبلية عند ابن تيمية أصل المعرفة عن تجربة؛ ولذلكلا يقر بوجود المعرفة القبلية. فكل كلية عنده مسبوقة بجزئياتها في الوجود، وقبل أن تتكون في العقل، وهي؛ بالتالي، منقولة عن طريق الحس. أما العقل فلا ينتج تصورات من لا شيء، أو من معرفة قبلية؛ لأنه محكوم بما يعكسه الإحساس إليه من الواقع الموضوعي المحسوس، والعقل يركب مدخلات الحس.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم عقيلي (1994)،تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، أمريكا.
2. أبو نصر إسماعيل الجوهري (د. ت)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،ج 2، تعليق، أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي،القاهرة، مصر.
3. أحمد بن فارس (1366هـ)، معجم مقاييس اللغة، ج4، تحقيق، عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، مصر.
4. إمانويل كانط(1988)، نقد العقل المحض، ط2، ترجمة موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
5. إمانويل كانط(2013)، نقد العقل المحض، ترجمة غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
6. تقي الدين بن تيمية(1391ه)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تصحيح، محمد عبد الرحمن بن قاسم،: مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، السعودية.
7. تقي الدين بن تيمية (1430 ه)، شرح الأصبهانية، تحقيق، محمد بن عودة السعوي، مكتبة دار المنهاج،الرياض، السعودية.
8. تقي الدينبن تيمية (2005)، الرد على المنطقيين، تحقيق، عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
9. تقي الدين بن تيمية (2012)، موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، مج1، دار النوادر ،دمشق، سوريا.
10. تقي الدين بن تيمية (د ت)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية،(ج4) جمع وترتيب، عبد الرحمن الحنبلي، مكتبة دار المعارف،الرباط، المغرب.

11. تقي الدينبن تيمية (د.ت)، نقض المنطق، تحقيق، محمد حامد الفقي وآخرون، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، مصر.
12. جلال الدين السيوطي (1947)، صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
13. راجح الكردي (2004)، نظرية المعرفة بين القرآن والسنة، (ط 2) ، ج2،: دار الفرقان، عمان،الأردن.
14. رينيه ديكارت (1961)، تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة، كمال الحاج، منشورات عويدات،بيروت، لبنان.
15. زكي نجيب محمود(1956)، نظرية المعرفة،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر.
16. عبد الرحمن بدوي (1975)، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، الكويت.
17. عبد الرحمن بدوي (1997)، إمانويل كانط، وكالة المطبوعات، الكويت، الكويت.
18. عبد الله الدعجاني (2014)، منهج ابن تيمية المعرفي قراءة تحليلية للنسق المعرفي التيمي، تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية.
19. عثمان تقي الدين بن الصلاح (1986)، فتاوى ابن الصلاح في التفسير والحديث والأصول والفقه، ج1، تحقيق، د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار المعرفة، بيروت، لبنان
20. علي بن محمد الجرجاني (1985)، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
21. مجد الدين ابن الأثير(1421ه)، النهاية في غريب الحديث، تقديم، علي بن حسن الحلبي، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.
22. محمد أبو نصر الفارابي (1970)، كتاب الحروف، تحقيق د. محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان.
23. محمد أبو نصر الفارابي(1980)، كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين، تقديم، ألبير نصري نادر، دار الشرق، بيروت، لبنان.
24. محمدأبو ريان (2000)، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية، مصر.
25. يحيى هويدي(د. ت)، باركلي، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة،مصر
26. يوسف سمرين (2017)، المعرفة القبلية عند ابن تيمية وشيء من آثاره الفلسفية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، فلسطين.
27. يوسف كرم(د. ت)، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار المعارف، القاهرة، مصر.
28. A.J. Ayer (1957), The Problem of Knowledge, Penguin Edition, Middlesex, London.
29. GeorgeMakdisi (1962), "Ash'ari and the Ash'arites in Islamic religious history," StudiaIslamica (17): 37-80.
30. Jonathan Berkey (2003), The Formation of Islam: Religion and Society in the Near East, 600-1800, Cambridge University Press, Cambridge.
31. MajedFakhry (1983), A History of Islamic Philosophy, 2 Ed. New York: Columbia University Press.

محاولة في سوسيولوجيا الذاكرة، قصة حياة الحاج حسن بن عياد الزارعي أنموذجا.

عقيل البكوش، باحث في علم الاجتماع، مخبر التنوير والحداثة بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية- تونس

ملخص: انطلاقا من شهادة المقاوم الحاج حسن بن عياد الزارعي(1935- 2020)، تحاول هذه الورقة أن تفحص الكيفيات التي تعامل بها المجتمع وبعض فاعليه مع هذه الشهادة والكيفيات التي اتبعها الشاهد لفرض تموقعه ضمن المشهد الذاكراتي الرسمي بعد عشرات السنوات من التعتيم على ذاكرته وتهميشها.

وإذ تنطلق الدراسة من براديغم الذاكرة الجمعية ذي المنشأ العلمي الاجتماعي، فإنها تتجاوزه إلى منظور بينتخصصي يتجاوز الحدود الضيقة للتخصصات ليقوم بعملية تجسير بين تخصصات علم الاجتماع و الفلسفة و التاريخ وعلم تحليل الخطاب، سبيلها إلى ذلك تقنية " قصة حياة" Récit de vie التي تفتح أمامنا أبواب الحياة الاجتماعية في الصلات التي تبنيها والصراعات التي تعصف بها والتغييرات التي تؤدي إليها.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة الجماعية، الذاكرة الرسميّة، النسيان، التاريخ الشفوي، قصة حياة.

An Essay on sociology of memory, The life Story of Haj Hassan Ben Ayed Zarii as a model.

Okail Baccouche – Sociological Researcher, Enlightenment and Modernity Laboratory at the High Institute of Human sciences.

Abstract:From the testimony of activist Haj Hassen Ben Ayed Zarai (1935-2020), the ambition of these papers is to examine how society and social actors reacted to this testimony and how our witness behaved to impose his will to position themselves in the official memory landscape after decades of rejection and blackout.

Despite the fact that the collective memory paradigm started exclusively in sociology, we were able to go beyond this unidimensional vision to arrive at a transdisciplinary vision that crosses the barriers between disciplines and unifies sociology with philosophy and history and the science of discourse analysis.We use the "life story" as a technical instrument that open the door to social life in their relationships, the conflicts that arise and the changes that happen.

Keywords: collective memory, official memory, forgetting, oral history, life story.

مقدمة:

شهدت تونس بين 17 ديسمبر 2010 و 14 جانفي 2011 تحركات احتجاجية على السلطة والنظام السياسيين القائمين، انطلقت من ولاية سيدي بوزيد في الوسط التونسي، ثم القصرين المجاورة لها، ثم تدحرجت كرة النار بسرعة من ولاية الى أخرى إلى أن أطاحت برأس السلطة القائمة. كانت التحركات الاحتجاجية تحركات جماهيرية كثيفة وعنيفة في بعض الأحيان، وبدا للجميع أن الفاعلين السياسيين الذين تشكلوا في أحزاب وجمعيات ونقابات وروابط ...الخ قد انتزعوا حقهم في الكلام بعبارة دي سرتو Michel De CERTEAU (Michel de Certeau,1994).

في هذه الأثناء، اهتبل الفاعلون المتضررون من حقبتي الرئيسين السابقين الحبيب بورقيبة (حكم من سنة 1956 إلى سنة 1987) وزين العابدين بن علي بن علي (حكم من سنة 1987 حتى 14 جانفي 2011) فرصة " أخذ الكلمة" لينتجوا خطاب(ات) ذاكرة (ذاكرات)، اعتمد على كتابة المذكرات وسير الحياة والتفتيش في الوثائق لجمعها وترتيبها وإصدارها وتسجيل الشهادات الشفوية والتشكيك في التاريخ الرسمي لتونس المعاصرة وعلى الأخص الفترة الممتدة من بدايات الحرب التحريرية حتى نهاية حكم زين العابدين بن علي في جانفي 2011.

في خضمّ حمّى التذكر التي انفلتت من عقالها بعد 14 جانفي 2011، لاحظنا أنّ عددا من الفاعلين المتذكرين ظلّوا قابعين في منطقة ظلّ السياسات والأفعال التذكرية، فلم يتمكنوا من البوح بمكنون ذاكراتهم رغم محاولاتهم المتكرّرة أخذ الكلمة بل وافتكاكها، هذه الملاحظة دفعتنا إلى التساؤل: كيف يمكن دمقرطة سياسات الذاكرة ؟ وهل تكفي وفرة المشاريع التذكرية المُمَأْسسة منها وغير الممأسسة، لالتقاط وتسجيل والاشتغال على كل الذاكرات التي تكافح ضدّ النسيان ؟

ولمقاربة هذه الاشكالية، ارتأينا أن نؤطر بحثنا تأطيرا نظريا وتاريخيا، متخذين من مقاربة العلوم الاجتماعية والانسانية لتيمة الذاكرة مدخلا، ثم نعرّج على مشروعية ووظيفية أخذ الشهادة الشفوية وتحقيقها واعتماد التقنيات المناسبة لذلك كتقنية " قصة حياة" récit de vie ، التي اعتمدناها في تسجيل شهادة الحاج حسن بن عياد الزارعي، التي افترضنا أنها يمكن أن تكون مثالا حيّا تساعدنا دراسته على اقتراح مقاربة لهذه الاشكالية.

حمّى التذكر:

لم تقتصر حمّى التذكر التي تلت الانتفاضة الاحتجاجية المطلبية (2010- 2011) على الشهادات المكتوبة، بل تجاوزتها الى الشهادات المسجلة تلفزيونيا[1] وإذاعيا[2] وإلى الأشرطة الوثائقية[3]،

[1] على سبيل المثال برنامج " مذكرات سجين سياسي" وبرنامج " شاهد وشواهد" على شاشة التلفزة الوطنية، وبرنامج " اعترافات " على قناة تونسنا، وحلقات وبرامج متفرقة على قناة الزيتونة.

[2] نذكر على سبيل المثال برنامج " ذاكرة الأيام" بإذاعة تطاوين الذي يعده ويقدمه الضاوي موسى.

[3] على سبيل المثال شريط " الفلاقة " (كلمة دارجة تعني المقاومين ضد الاستعمار الفرنسي)، وشريط " صالح بن يوسف، جريمة دولة" وقد بثتهما قناة الجزيرة الوثائقية.

والأفلام[4]ولم تقتصر مضامين هذه البرامج والأشرطة ومختلف أنواع التعبيرات الذاكراتية على الجانب السياسي وإنما شملت الشعر والثقافة والعادات والتقاليد كما شملت حياة البادية وذاكرات القرى والمدن[5]، فقد عمدت وسائل الإعلام، بعد تحرّر الكلمة، إلى الاستجابة لانتظارات الجمهور من أجل كسب أكبر عدد من المشاهدين وتوسيع قاعدة متابعيها، الذين كغيرهم في أوروبا مثلا، يشدهم الاستماع إلى قصص حياة «أناس مهمّين ولكن غير معروفين بالنسبة لهم (Annie OLIVER,2001)ولم يقتصر الحفر في الذاكرة على محاولات فردية أو أفعال حينية طارئة وإنما تجاوز الأمر إلى مشاريع مؤسساتية[6] وأخرى هاوية[7] .

وقد كان واضحا من خلال كل هذه البرامج والإصدارات والأشرطة الوثائقية والأفلام وجود حاجة ماسّة إلى مراجعة الذاكرة الجمعية الرسمية التي فرضتها السلطة السياسية ما بعد الاستعمارية والتي تولت وسائل التنشئة الاجتماعية التي تُمَثِّلُ الجهاز الايديولوجي لهذه السلطة نشرها على نطاق واسع، مما يعني أن تغيرا في موازين القوى السياسية أطلّ برأسه ليبحث عن قصبة أوكسيجين ذاكراتي تمنحه الحياة والقوة لمواجهة واقتلاع جذور ما سُمّيَ " الدولة العميقة" من خلال خلخلة أسسها الذاكراتية، التي بنتها على سردية قيادة مقاومة الاستعمار الفرنسي وتحرير البلاد منه ثم بناء الدولة الوطنية وانجاز التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

المقاربة السوسيولوجية للذاكرة:

انتبه عالم الاجتماع وتلميذ اميل دوركهايم Emile DURKHEIM، موريس الفاكس Maurice HALBWACHS إلى الطبيعة الاجتماعية للذاكرة، ناحتا في سياق الدراسات الذاكراتية مفهوم الذاكرة الجمعية، فبعد أن كانت دراسات الذاكرة منحصرة في التأملات الفلسفية (أفلاطون PLATON (أفلاطون،2000)، أرسطو ARISTOTE (Aristote,1891)، القديس أوغسطينSAINT AUGUSTAIN (بول ريكور، 2009، ص 155-163)، هنري برغسون (Henri BERGSON, 1999) ، وفي زمن معاصر بول ريكور (بول ريكور، 2009) والتحاليل النفسية ابتداء من ايبنغهاوس(Serge NICOLAS,1992) إلى مدرسة علم النفس العرفاني (لورون بوتي، 2012) ، أكّد الفاكس أن الذاكرة الفردية أو ذاكرة الأفراد ماهي إلا تجلٍّ للذاكرة الجماعية، وما « نعتبره ذكريات فردية، ليس في الحقيقة إلا تعبيرا عن حياة جماعية زاخرة كما عشناها في الماضي، لو تأمّلتُ هذه الذكريات لوجدتُ في كلّ زواياها مشاركين لي فيها: تجّارا اشتريت منهم، سائلا طلب مني صدقة، مقهى جلستُ فيه إلى جانب آخرين...الخ» (Maurice HALBWACHS, 1950, P.6.)فذكرياتنا لا تبدو إلا من حيث

---

[4] على سبيل المثال، فيلم " ذاكرة في خطر"، كريم بوزويطة وثامر المكّي (حول ممارسات البوليس السياسي) انتاج 2013.

[5] على سبيل المثال برنامج " ذاكرة مدينة" على التلفزة الوطنية.

[6] سنفرد لها فقرة خاصة.

[7] نذكر على سبيل المثال مشروع مركز البحوث والدراسات بمدينة دوز في الجنوب الغربي التونسي " مربد دوز" حيث تولى مجموعة من المثقفين المنتمين الى سلك التعليم جمع شتات ذاكرة المدينة في مختلف الجوانب وخاصة الجانب السياسي وكل ما يتعلق بمقاومة الاستعمار الفرنسي ووثقوا ذلك في عشرات التسجيلات المصورة التي أمدونا مشكورين بنسخة منها.

الظاهر فردية، أما في حقيقة الأمر فهي ذكريات عشتها مع آخرين أي في مجموعة groupe، قد تكون العائلة أو رفاق الدراسة أو رفاق الحي أو زملاء العمل أو أصدقاء الطفولة والشباب وما شابه، لكن عملية التذكر حسب ألفاكس لا ترتبط بوقوع الحدث وبمعايشته أو المشاركة فيه وإنما ترتبط بتواصل الصلة بمجموعة الانتماء. والنسيان، إذن، يكون بانقطاع الصلة بتلك المجموعة groupe، ويفسّر ألفاكس الفكرة بضرب مثال تبسيطي، يشرح فيه لماذا ينسى الأستاذ طلبته ولا ينسى الطلبة أستاذهم ؟ فيقول أن نسيان أستاذٍ للفصل أو الفصول التي درّسها، سببه انقطاع صلة الاستاذ بطلبة ذلك الفصل، فالفصل الذي درّسه عابر في حياته المهنية، بينما يتذكر الطالب أستاذه وزملاءه، لأن علاقته بمجموعة الطلاّب لم تنقطع، وكانت قد استمرت سنوات من الدراسة، وربما كانوا أيضا ينحدرون من نفس الحي أو الجهة فيوطّد ذلك ذكرياتهم أكثر فأكثر (Maurice HALBWACHS, 1950, P.8-9).

ورغم بداهة فكرة ألفاكس عن الذاكرة الجمعية إلا أنها أثارت جدلا واسعا، فقد اعتبر كلود ليفي ستروس Claude Lévi STRAUSS أن لا وجود لشيء اسمه الذاكرة الجمعية، وأن هدف الفاكس من نحت هذا المفهوم هو إبراز هيمنة الوعي الجمعي على الوعي الفردي وخضوع الفرد للمجتمع (أحمد خواجة، جماعي، 2007، ص83). أما روجي باستيد Roger BASTIDE فقد بين أن «استحضار الذكريات وبناء "الذاكرة الجماعية"... يختلفان باختلاف الأزمنة والأمكنة وتباين مواقع المجموعات البشرية ومصالحها ودوافعها في استخدام واستحضار الذاكرة وهذه الأخيرة تتغير وتتبدل معها الثوابت والمرجعيات المتفق عليها» (نفس المرجع والصحفة).أما بيير نورا Pierre NORA فيميّز بين الذاكرة الجماعية والذاكرة التاريخية، معتبرا أن الأولى هي « ما تبقى من الماضي في معيش الجماعات أو ما يُتمثّلُ بشأنه [...] تظل، أي الذاكرة، إرثا غير قابل للتصرف، وفي الوقت ذاته سهل الاستعمال وأداة نضال وسلطة، بل أيضا رهانا انفعاليا ورمزيا» أما الذاكرة التاريخية فتمتاز ب«الوحدة، فهي ثمرة تقليد معرفي و"علمي" وهي أيضا الذاكرة الجمعية لجماعة المؤرخين» (بيير نورا، جماعي، 2015، ص86). ومن ناحيته اعتبر بول ريكور أن العلاقة بين الذاكرة والتاريخ تتجلى في كون «الذاكرة تقودنا مباشرة إلى التاريخ لأنها هي حاملته الأولى ولولاها لما كان هناك من علم لكتابة التاريخ، إذ أن المصدر الأول لمعلومات المؤرّخ هو الشهادة، شهادة أولئك الذين حضروا الحدث» (بول ريكور، 2009، ص104). ولكن الذاكرة حسب ريكور معرضة لسوء الاستعمال، الذي يأتي من الانحرافات التي يمكن أن تصيبها في حال كانت ذاكرة ممنوعة mémoire empêchée، وهي التي تعبر عن جروح الأفراد ومآسيهم. كما يكون سوء الاستعمال في حال كانت ذاكرة متلاعبًا بها mémoire manipulée وهي التي تبرز خلال السياقات اليومية العملية، ويكون سوء الاستعمال أيضا عندما تكون الذاكرة مُجبرة mémoire obligée ويكون ذلك خلال السياقات السياسية (بول ريكور،2009، ص145). ومن جهته، أبرز ميشال دي سرتو ما يكتنف العلاقة بين الذاكرة والتاريخ من علاقات تبعية وإخضاع وهيمنة، واعتبر أن مرجع هذه العلاقة التنازعية بينهما، هو كون الذاكرة الشعبية باعتبارها عنصرا من عناصر الثقافة الشعبية تتميز بالتغير والتعدد والتنوع

والتناقض وهي تسعى إلى أن «تتوحد مع ثقافة النخبة والصفوة المهيمنة والتي تحظى بالمشروعية» (أحمد خواجه، 2007، ص84).

أما سياسات الذاكرة فتندرج في سياق ما يسمى "الذاكرة المتنازع حولها" (عزيزة البريكي ورشيد توهتو،2014، ص63)، إذ ثمة تنازع بين ذاكرة الضحايا والمهمشين وذاكرة القوى المهيمنة التي تتحوّل إلى تاريخ رسمي يُنقل عبر مؤسّسات التنشئة الاجتماعية. يقوم ذلك التنازع بين ذاكرة تُعتبر تاريخا مؤجّلا وتاريخ واقعي مكتوب ومنشور، وعندما تسقط القوة التي تحمي التاريخ المكتوب "الرسمي"، يسقط معها هذا التاريخ، ليقفز التاريخ المؤجل محمولا عبر الذاكرة: ذاكرة أو ذاكرات الضحايا والمهمشين، ليحتل الموقع الذي طالما تربّص به ليستقرّ في مكانه، إذ «عند المهمشين يؤجل التاريخ في الذاكرة ويقمع في الأفواه بسبب الخوف وانعدام الثقة» (عزيزة البريكي ورشيد توهتو، 2014، ص65).

غير أن التاريخ الشفوي، بما هو تاريخ محمول في ذاكرة الضحايا، يكتنفه ما يكتنف الذاكرة من أعطاب ناتجة عن المرض والنسيان والتأويل والذاتية و« الإجمالية والتداخل واللاحدود وهي بذلك تنبني على اعتقاد قائم على الصدام» (بيير نورا، جماعي، 2015، ص86). وتقوم استراتيجيات التذكر الفردية والجماعية على تلك العملية التذكرية التي تحدث في الحاضر لتعود القهقرى إلى الماضي ثم ترتدّ راجعة إلى حاضرها ومستقبلها في ما يشبه "التصريف المضارع للماضي" (منير السعيداني، د.ت.). وعلى الرغم من هذه الأعطاب « هذا الضرب من المصادر يُميط اللثام عن نواح مهمة غالبا ما يُهملها التاريخ المكتوب أو يُسقطها من حسابه نحو التمثّلات الذهنية والسلوك الفردي والانفعالات والأحاسيس والرؤى والمتخيل والأحلام والمعايير والمسوّغات والنوايا والقيم والمعتقدات والمعيوش والاستراتيجيات الفردية...» (فتحي ليسير، جماعي،2015، ص184)، إذ « ينبغي ألا يغيب عن الذهن هنا أن فعل التذكر هو حالة نفسية وأن رواية الحوادث نشاط اجتماعي مدرج ضمن علاقات اجتماعية» (فتحي ليسير،جماعي،2015،ص184). وبذلك تكون العملية التذكرية محكومة برهانات الحاضر والمستقبل أكثر مما هي محكومة بأحداث التاريخ ذلك أن «التاريخ يُكتب دائما في الحاضر»(Enzo TRAVERSO,2012,P.8).

تاريخ الزمن الراهن والتاريخ الفوري والتاريخ الشفوي:

نتج عن تأثر التاريخ بالعلوم الاجتماعية، واستلهامه مناهجها، والتطرق إلى مواضيعها، فتح حدود الاستغرافيا المغلقة داخل سياج السياسي والحدثي والكرونولوجي، على افاق بحث جديدة، من بينها تاريخ الزمن الراهن والتاريخ الفوري وأيضا الاهتمام بمجال جديد هو التاريخ الشفوي.

فإذا كان التحقيب التاريخي التقليدي، قد اعتمد التقسيم إلى تاريخ قديم وتاريخ وسيط وتاريخ معاصر وتاريخ حديث، فإن مؤرخين آخرين عملوا على تجاوز ذلك التحقيب التقليدي وفتح الباب أمام دراسة وتحليل ومقاربة مراحل زمنية أقرب إلى الحاضر، خاصة وأن فلسفة تاريخية جديدة بدأت تنتشر بين صفوف الجماعة العلمية التأريخية، تجعل من الحاضر والمستقبل، منطلقا وغاية وهدفا للتاريخ، كان القديس أوغسطين قد عبّر عن ذلك ببلاغة لافتة: « إننا لا نعيش إلا في الحاضر، لكن هذا الحاضر يتمتّع بعدّة أبعاد: حاضر الأشياء المنصرمة، وحاضر الأشياء

الحاضرة، وحاضر الأشياء المستقبلية.» (جاك لوغوف،2017، ص29)، وحقيقة الأمر أن المؤرخ وهو يدرس الحدث أو الظاهرة التاريخية، وهو يبحث ويحلل الوثائق والمستندات، يتحرك من داخل حاضره بأفكار ورؤى وايديولوجيات وتمثلات الحاضر، وبآمال وأحلام المستقبل، فهو يدرس الأحقاب التاريخية، متجها إليها من نقطة وجوده في الحاضر، فقراءته للتاريخ، بهذا المعنى، هي قراءة الحاضر للماضي، يقول جان بول سارتر Jean Paul SARTRE: « ما يهمّنا هو زمننا اليوم وماضينا في هذا الزمن.»(الهادي التيمومي،2018، ص26) وفي معنى قريب مما ذكره جان بول سارتر، يؤكد جان كلود شميت Jean Claude SCHMIDT أن « المؤرخ، قبل كل شيء، يسائل الماضي من خلال ما يطرحه عليه مجتمعه من تساؤلات.»(جان كلود شميت، جماعي،2007،ص437) كما يعتبر أنزو ترافرسو Enzo TRAVERSO أن التاريخ «دائما يُكتب في الحاضر.» (Enzo TRAVERSO,2012,P.8)، فتقييم الماضي ذاته أو بعض حقبه، يخضع لتمثلات الحاضر، إذ «يرى بعضهم أن الماضي هو العصر الذهبي، وهو الزمن المثالي للنقاء والفضائل، زمن السلف الصالح، ويرى آخرون، أنه الوحشة والتخلف ووكر الأفكار البالية التي أكل عليها الدهر وشرب، وأنه زمن الأقزام الجسديين والذهنيين، أما الحاضر فهو إما الزمن المغبوط للتقدم والإبداع والحضارة، وإما زمن التجديدات الطائشة الخطر أو زمن الإنحطاط الرّث.» (جاك لوغوف،2017، ص11)

من جهة أخرى، لا تتوقف علاقة التأريخ والمؤرخ، بالحاضر، عند اشتغال المؤرخ بتأريخه، فهو، كغيره، تشكيل من أفكار وايديولوجيات ورؤى وتمثلات حاضره ومن آمال مستقبله، ولكنها تتجاوز ذلك، إلى كون الحاضر نفسه، هو استتباع زمني ونفسي وفكري ومعرفي وحضاري للماضي، وفي هذا الإطار يذكر جاك لوغوف Jacques LEGOFF أن الصليبيين عندما وصلوا إلى القدس تلبّسوا بشخصيات الماضي حتى ظنّوا أنهم يعاقبون جلادي المسيح الحقيقيين.»(جاك لوغوف،2017،ص44)

والحقيقة أن كل عناصر وتفاصيل حياتنا اليومية تدلّ بما لا يدع مجالا للشك، على حضور الماضي في الحاضر وتداخله معه، يتجلى ذلك من خلال اللغات المتداولة والعادات والتقاليد والممارسات والأفكار والرؤى والأديان والايديولوجيات وكل موجهات السلوك، بل في بعض السلوكات كالطقوس والزيارات والاحتفالات والقرابين وغيرها.

نستنتج مما سبق، أن دراسة التاريخ القديم والوسيط، ذاتها لا تصمد أمام سهام النقد التي يمكن أن توُجّه إلى عمل المؤرخ، سواء من حيث المواضيع التي يختارها أو الأحداث التي يبرزها، أو نوعية الأدلّة التي يقدمها، وبالتالي فإن النقد الذي يمكن أن يُوجّه إلى دارسي تاريخ الزمن الراهن والتاريخ الفوري والمهتمّين بالمصادر الشفوية، يقع في المستوى نفسه الذي يُوجّه إلى التاريخ، بمختلف تحقيباته، من مؤاخذات، وهذا ما يجعل من الاهتمام بهذه الحقول الجديدة، مهمّة في اثراء الأبحاث والدراسات التاريخية، فلئن كانت صورة إدراك الماضي ووظيفته في الحاضر، مختلفة من مؤرخ إلى آخر، فإن ذلك لا يؤثر في « أبعاد المنهج التاريخي وفلسفته وطبقاته ومستوياته ومضامينه.» (وجيه كوثراني،2013،ص 138 – 139)

يهتم تاريخ الزمن الراهن « بالخمسين أو الستين سنة الأخيرة، أما التاريخ الفوري، فيُعْنى بمدّة زمنية أحطّ من ذلك، فهي تشمل جيلا أو اقلّ من ذلك.» (فتحي ليسير،2012،ص39) ويؤكد ليسير أن التلاحق المفرط السرعة وغير المنتظر للأحداث أدّى « إلى تغيير عملية التحقيب وأثّر في عملية إدراك الوحدات الزمنية. وينعقد الإجماع اليوم على اعتبار سنة 1989 نقطة النهاية للفترة التي دُعِيتْ على مدى خمسين سنة بالزمن الراهن، وأصبح لزاما على المؤرخين - وعموم الناس – منذ أزيد من عشرين سنة تقريبا، التدرّب والتكيّف مع مقتضيات وضعية جديدة، وضعية ما بعد 1989. انغلق القرن العشرين القصير حسب تعبير إريك هوبزباوم أو فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية عام 1991، وأصبح القرن المذكور جزءًا لا يتجزّأ من الماضي أو جزءًا مكمِّلا له، وانفتحت البشرية على زمن جديد.» (فتحي ليسير،2012،ص41)

يبدو هذا التحقيب الذي نعته ليسير بالمجمع عليه، غير خاضع للزمن الفيزيائي، بقدر خضوعه لقوة تأثير الأحداث في العلاقات الدولية، وفي ثنائية الخضوع والهيمنة في هذا العالم الذي تسارعت أحداثه وتقاربت حدوده وسقطت الجدران التي تفصل بعضه عن بعض (مثل جدار برلين) بفعل التطور التكنولوجي والثورة المعلوماتية والرقمية، وتأثير ذلك في الهيمنة الأحادية القطبية، مما دشّن تاريخا جديدا.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن تاريخ الزمن الراهن والتاريخ الفوري، هو راهن وفوري بالنسبة إلى الحاضر، وبالتالي فإنه كلما تقدمنا في الزمن، تغيّر التحقيب، ليصبح الراهن والفوري أبعد عن الراهنية والفورية، على خلاف التاريخ القديم والوسيط، الثابت على الأقل بالنسبة للمركز الأوروبي، وربما لأمر كهذا قال بيير نورا Pierre NORA، أن تاريخ الزمن الراهن « هو بدون موضوع، وبدون قواعد وبدون تعريف.» (فتحي ليسير،2012، ص42) غير أن فتحي ليسير يضيف أن « تاريخ الزمن الراهن في أهم تعريفاته وأبسطها هو ذلك التاريخ الذي لا يزال فاعلوه وشهوده (بما فيهم الباحث) على قيد الحياة، وإذن فهو تاريخ تحت المراقبة une histoire sous surveillance بمعنى أنه يُكتب تحت مراقبة الفاعلين الاجتماعيين.» (فتحي ليسير،2012،ص44) فهو بالتالي تاريخ لا يمتحُّ نسيجه فقط من الوثائق، وإنما يستنطق ذاكرة الفاعلين، ويحلّل سردياتهم المكتوبة والشفوية، وهو ما يطرح عدّة اشكاليات حول الشهادة الشفوية والذاكرة، وقد انتشر الالتجاء إلى ذاكرة الفاعلين في البحث التاريخي مع نهاية القرن العشرين لدرجة أن نورا عبّر عن ذلك بأن « نهاية القرن العشرين تبدو كأنها " لحظة ذاكرة – moment mémoire "» (فتحي ليسير،2012،ص82)

ويؤكد وجيه كوثراني أن كثيرا من المؤرخين يذهبون إلى أن « التواريخ كلها في العالم بما فيها التاريخ الأوروبي منذ هيرودوت وحتى ميشيليه مرورا بفولتير كانت في أساسها أو أكثرها شفويّة ثم كُتِبتْ، ولم يتمأسس التاريخ المكتوب باعتباره علما أو حقلا معرفيا أكاديميا (Discipline) إلا في القرن التاسع عشر. بل يمكن أن نضيف أن نشأة علم التاريخ عند العرب قد بدأت شفوية عبر الرواية المتناقلة والإسناد المتواتر أو المنقطع. وحتى في مرحلة التدوين والكتابة التاريخية المتنوّعة الأبعاد والحقول والاهتمامات ظلّت الشهادة الشفوية مصدرا مهمّا واساسيا للخبر التاريخي منذ اليعقوبي وحتى الجبرتي مرورا بكتّاب الخطط والرحلات والجغرافيا، ولا سيما عند

كبيرهم المسعودي الذي يُعتَبر " اثنولوجيا" مبكرا، جمع معلوماته وأخباره عن طريق الاستماع والملاحظة والمحاورة والمقابلة.» (وجيه كوثراني،جماعي،2015،ص13)

في الولايات المتحدة، أشرفت السلطات الأمريكية على عمل ضخم حول ذاكرة العبيد السود المسنين، وهو ما اعتُبِر أول تأسيس للتاريخ الشفوي المعتمد على ذاكرة الفاعلين.(عطوف الكبير ،جماعي،2015،ص92)

وفي عام 1948 أنشا أحد الصحفيين القدامى، وهو آلان نيفيس، أول مركز للتاريخ الشفوي بجامعة كولمبيا في نيويورك. وفي بداية سبعينات القرن الماضي، أخذ الباحثون في كندا وانقلترا وايطاليا يهتمون بدورهم بهذا المنهاج الذي عمّ مجموع أوروبا الغربية ابتداء من الثمانينات.)
Aron- Schnapper DOMMINIQUE ,et, Hanet DANIELE,1980, Annales, Vol.35,N°1, P.184.)

ويمكن تفسير نشأة التاريخ الشفوي في الولايات المتحدة الأمريكية بين الحربين العالميتين، وتطوره بشكل خاص، بعد أن اصبح مشروع دولة، بعد الحرب العالمية الثانية بجملة التحولات التي أنتجتها الحرب ذاتها، فقد هدمت الحربان الأولى والثانية المركزية الاوروبية، وخاصة مركزية باريس ولندن، لصالح ما كان من قبل يعتبر هوامش لهذه المركزية، من ناحية اخرى، وأيضا، بفعل أزمة النظام الرأسمالي التي تجلت من خلال انهيار بورصة وول ستريت سنة 1929، لتنهار مركزية الطبقة الرأسمالية لصالح طبقات المهمشين، وبالتالي فليس غريبا ان تنطلق البحوث التاريخية والاجتماعية حول تاريخ السود وبعض الاثنيات الاخرى من الولايات المتحدة الامريكية، ومن جهة ثالثة، لم يعد التأريخ كما المعرفة حكرا على الميسورين، بل أصبح التعليم الذي أُقِرّت مجانيته وعموميته وإجباريته سنة 1881 – 1882 في فرنسا، فيما يعرف بقوانين جيل فيري Jules FERRY، وما نُسِج عليه في معظم دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، مصعدا اجتماعيا مكّن الطبقات المهمشة من انتاج مؤرخين، يُضاف إلى ذلك ما مثَّله الوعي الطبقي الذي تلا انتشار الفكر الاشتراكي وخاصة نسخته الماركسية من أثر في صعود مؤرخين اشتراكيين يحاربون الطبقة الرأسمالية والارستقراطية التي سيطرت على الانتاج التاريخي.

يولي هذا الحقل اليوم، اهتماما مميزا ب " مهمشي التاريخ" كالنساء والكادحين والأقليات الذين نادرا ما يظهرون في النص المكتوب.

التاريخ الشفوي في تونس:

تعود بواكير الاهتمام بالتاريخ الشفوي في تونس إلى المونوغرافي محمد المرزوقي[8] الذي قام منذ ستينات القرن العشرين بعمل جبار لجمع التراث الشفوي التونسي، متنقلا بين المدن والقرى

[8] شاعر وأديب وباحث ولد في مدينة دوز بالجنوب الغربي للبلاد التونسية عام 1916، ودرس بالمدرسة الخلدونية وجامع الزيتونة حيث حصل منه على شهادة الأهلية عام 1935 وشهادة التحصيل في العلوم عام 1944، اشتغل بالصحافة وكتب ونشر في أغلب الصحف، كما تولى رئاسة تحرير جريدة "النهضة" اليومية، وعمل أيضا في الاذاعة الوطنية، وفي سنة 1961 تم تعيينه على رأس مصلحة الأدب الشعبي بوزارة الثقافة، نشر عشرات الكتب في أغراض مختلفة، ينكب نجله الجامعي المتقاعد رياض المرزوقي، منذ وفاة والده سنة 1981، على تحقيق و نشر أعماله الكاملة في عشرة مجلدات، وقد صدر منها إلى حد اليوم، عن دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس، ستة

والأرياف، ومسافرا بين البلدان وخاصة ليبيا ومصر، باحثا عن فاعلين متذكرين، محققا في الوثائق، مستنطقا الروايات والسرديات السياسية ومختلف عناصر المدونة الشعبية التي احتفظت بها الذاكرة الجمعية (بلقاسم بن جابر،2017، ص ص 60 – 76)

ومنذ فيفري 2001 (مؤسسة التميمي، رابط الكتروني رقم 4) ، دشنت مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ما دعته "سيمنار الذاكرة الوطنية وتاريخ الزمن الراهن"،حيث تولت عقد ندوات وتسجيل شهادات شفوية لفاعلين سياسيين واجتماعيين وتربويين وجامعيين ونقابيين وأمنيين وعسكريين من حرس وجيش وديوانة ...الخ. وقد كتب المؤرخ عبد الجليل التميمي أنه لجأ إلى أخذ الشهادات الشفوية عندما يئس من إمكانية سماح السلطة للمؤرخين والباحثين بفتح ودراسة الأرشيف الوطني، فقال: « فإن كل أرشيفات الدولة التونسية مازالت مغلقة وحتى الوثائق الشخصية ضاع جلها وأتلف البعض الآخر خوفا من تداعياتها المباشرة على أصحابها، ولم يبق للمؤرخ غير استكناه أرشيفات صدور بعض الفاعلين السياسيين والاجتماعيين ومختلف مؤسسات المجتمع المدني الذين قبلوا عن طواعية مدنا بشهاداتهم الشخصية على منبر مؤسستنا » (عبد الجليل التميمي، رابط الكتروني رقم 4). وقد ذكر التميمي أنه فكر منذ مطلع 2002 في «تنظيم سلسلة من سيمنارات الذاكرة الوطنية من خلال دعوة رموز الدولة الوطنية الرسميين من وزراء وكتاب دولة ومدراء الحزب ونقابيين وسفراء سابقين ورموز المجتمع المدني بمختلف تياراته وثوابته وقناعاته الأيديولوجية. وقد دعونا أكثر من 130 شخصية تونسية وحيث فتحنا لها منبر المؤسسة دون استثناء أو تعاطف مع أي تيار كان، وطلبنا من الجميع الإدلاء بشهاداتهم الشخصية ومساهماتهم المباشرة في بناء الدولة الوطنية... قصد نشرها تعزيزا لمصادر تاريخ الحركة الوطنية ولتأريخية الدولة الوطنية بفضل ما ترسَّب في ذاكرة مختلف الفاعلين.» (عبد الجليل التميمي، رابط الكتروني رقم 4)

بعقلية المؤرخ المنشغل بتتبع سير الأحداث التاريخية وتسجيل تفاصيلها والتحقق من وقوعها بما يمكِّنه، كما يقول رانكه Léopold Von Ranke من «معرفة الأحداث والأحوال الماضية كما وقعت بالضبط» (فتحي ليسير، 2012، ص19) و«عرضها عرضا أمينا (وهو ما سيؤدي) إلى إعطائنا صورة أمينة عن الماضي» كما يقول لنغلوا- سيبينيوبوس LANGLOIS et Charles Charles-Victor SEIGNOBOS (فتحي ليسير،2012،ص19)، نظّم عبد الجليل التميمي وأدار سيمنار الذاكرة الوطنية وقد جمع كما قال كل من لبّى الدعوة أيًّا كان انتماؤه السياسي، بل وجمع في سيمنار واحد خصوما سياسيين. ووفّرت مؤسسة التميمي بذلك مادة ثرية، غير أن تلك المادة لم تتعرض إلى معالجة تنطلق من أن العملية التذكرية تخضع لآليات بناء واستراتيجيات توظيف، أليست «الذاكرة تنتقي وتنظم وتختزل المدة الزمنية التي استغرقتها الأحداث والوقائع مما يجعل خطاب الراوي نوعا من التطرية (الماكياج) فوق تجاعيد وجه ذاكرة لها زينتها الخاصة» ؟ كما قال ABASTADO Claude. (التهامي حبشي، الرابط الالكتروني رقم 1)

أجزاء، صدر الجزء الأول سنة 2012، فيما تتابع صدور الأجزاء الخمسة التالية خلال بقية السنوات حتى 2020، أما عناوين هذه الأجزاء فكانت كالتالي: 1- معارك وأبطال، 2012، 2- الشعر الشعبي، 2016، 3- الديوان، 2016، 4- المأثورات الشعبية، 2016، 5- شعر وشعراء، 2020، 6- التاريخ الوطنيI، 2020.

من جهة أخرى نشر هادي الغيلوفي بحثا تحت عنوان "التاريخ الشفوي في تونس: تاريخ المهمشين (السجناء السياسيون نموذجا) (هادي الغيلوفي، جماعي 2015، ص248)، استعرض فيه خاصة بعض الشهادات التي نشرتها مؤسسة التميمي وخاصة كتاب "الدور السياسي والثقافي لبرسبيكتيف والبرسبيكتيفيين في تونس المستقلة" لمحاولة إعادة كتابة التاريخ من خلال السير الذاتية متخذا كتاب "ذاكرة تأبى المصادرة، سيرة معارض لحكم بورقيبة من أبناء جيل الاستقلال" لصاحبه عمار العربي الزرمزمي، نموذجا بنى عليه أطروحته، معتبرا أن هذا الكتاب قد صوّر «التجربة بكل تفصيلاتها دون تجميل» (هادي الغيلوفي، جماعي، 2015، ص248)، وهنا نسأل: كيف عرف المؤرخ أن الكتاب صوّر التجربة بكل تفصيلاتها دون تجميل؟ يجيب الغيلوفي بأن الكاتب ظل « ثمان سنوات وهو يجمع ذاكرته المتناثرة يحقق ويدقق كي لا ينسى أحدا من رفاقه وعزّزه بكم هائل من الوثائق المكتوبة» (هادي الغيلوفي، جماعي، 2015، ص248) ، ثم دعا إلى «احترام ضوابط تدوين الشهادة الشفوية المتعارف عليها والمتمثلة في التأكد من صدق صاحبها وتمتعه بالحواس خصوصا مداركه العقلية التي يجب أن تكون جيدة، ومشاركته المباشرة في الحدث، فلا يكون مجرد شخص سمع عن الحادثة» (هادي الغيلوفي، جماعي، 2015، ص248).

ما يُستفاد من الدراسات التي أشرنا إليها يؤكد تعلق المؤرخين بالأحداث والوقائع وتذكرها، باعتبارها أحداثا ماضية، يحاولون التدقيق في صحة وقوعها ويؤكدون على السلامة العقلية وصدق المخبر أو الشاهد، في حين أن المسألة أعقد من ذلك، تتعدى الأحداث كما وقعت فعلا إلى الأحداث كما يسترجعها المتذكر في سياقات تذكرية مخصوصة تقع في الحاضر وليس في الماضي، وكما يقول بول ريكور: « لن تنجح الاسطوغرافيا ذاتها، ولنقل ذلك منذ الآن، في تحويل القناعة الراسخة بأن المرجع النهائي للذاكرة هو الماضي، مهما تكن دلالات ماضوية الماضي.» (Paul RICOEUR,2000,P.7)

في المجلد الثالث من نفس الكتاب، أي التاريخ الشفوي، نشر فتحي ليسير بحثا بعنوان: "محاذير توظيف المصدر الشفوي في كتابة تاريخ الزمن الراهن، شهادات فاعلين في الثورة التونسية" (فتحي ليسير،جماعي،2015،ص 277). واستعرض في البداية التحولات التي شهدها المشهد الاسطوغرافي، ورد الاعتبار للمصدر الشفوي والرواية الشفوية لا باعتبارها «مصدر معلومات إضافي جد ثمين فحسب، بل أداة مقاربة خصوصية للنفاذ إلى أعماق ثقافة ما أو شكل من أشكال الوعي الجماعي» (فتحي ليسير، جماعي، 2015، ص278). كما شرح أسباب تطور التاريخ الشفوي والاعتماد المتزايد على المصدر الشفوي، واعتبر أن وظيفة المؤرخ ذاتها قد تغيرت، إذ كان هذا الأخير يُنقِّب ويفتش عن المصادر ويعاني من قلتها بل وندرتها في كثير من الأحيان، أما اليوم فإنه «بات يواجه تحديات عدّة مردّها كيفية تدبُّر الوفرة المصدرية من ناحية وضرورة الانفتاح على علوم أخرى خارج إطار تخصصه نحو القانون والانتروبولوجيا والاقتصاد من ناحية أخرى.» (فتحي ليسير، جماعي،2015، ص280) ثم تحدث الكاتب عن أهمية الشهود وأصنافهم من شهود كبار ممن غيروا مجرى التاريخ إلى شهود صغار من عامة الناس أو من منسييهم. وغالبا ما تُدرج هذه الشهادات ضمن استراتيجيات اجتماعية أو شخصية محدّدة: الدفاع

عن تاريخ محلِّي أو عن فعل سياسي، بل حتى رهانات عائلية أو هوية أو روحية..الخ» (فتحي ليسير، جماعي، 2015، ص282)

ويرى ليسير أن للشهادة الشفوية مميزات وفوائد بالنسبة للمؤرخ، وضرب لذلك مثلا بالجانب النفساني «هذا البعد الذي لا يُدرك إلا بالشهادة الشفوية " الفورية، الفائرة"، ذلك أن هذا الضرب من المصادر يُميط اللثام عن نواح مهمة غالبا ما يُهملها التاريخ المكتوب أو يُسقطها من حسابه نحو التمثلات الذهنية والسلوك الفردي والانفعالات والأحاسيس والرؤى والمتخيل والأحلام والمعايير والمسوّغات والنوايا والقيم والمعتقدات والمعيوش والاستراتيجيات الفردية...» (فتحي ليسير، جماعي، 2015، ص284). وينقل عن المختار الهراس قوله في كتاب " منهج السيرة في السوسيولوجيا" قوله إن الشهادة مفيدة في «معرفة الممارسات التي انحرفت عن المعايير السائدة وشكلت الهامش في مجتمعها أو رفعت لواء العصيان في أي شكل من أشكاله كما تفيد في التعرف إلى النزاعات التي لم يُفسح لها المجال لتتحوّل إلى صراعات مكشوفة...» (فتحي ليسير، جماعي، 2015، ص ص284 - 285)

في ضوء هذه الاعتبارات، أنجز المؤرخ عمله في مدن وقرى من الوسط التونسي وهي المدن والقرى التي شهدت بداية "الحراك الثوري" منذ ديسمبر 2011، فأجرى حوارات مع فاعلين من شريحة الشباب الذين شاركوا في ذلك الحراك في مدن سيدي بوزيد والقصرين ومنزل بوزيان وسيدي علي بن عون، وهي طريقة مكنته من الوقوف على الطابع المعقد لشهادة الفاعل. وأهم ما لاحظه فتحي ليسير خلال المرحلة الثانية من البحث والتي عمد فيها إلى استجواب نفس الأشخاص، التغيرات والتبدلات التي أحاطت بطريقة حديثهم عن نفس الحدث الذي كانوا تحدثوا عنه إلى نفس المستجوب قبل خمسة عشر شهرا، حيث تحولت جزالتهم في الحديث إلى شحٍّ، وغبطتهم بما أنجزوه إلى إحباط وتشنج، وإحساسهم بالفخر إلى إحساس بأنه تم توظيفهم، كما « يشتد العناد والإصرار على صدقية الرواية الشفوية المصرّح بها، لهذا أو لذاك، حيث يحتدُّ اللغط وتتطور الحال في بعض الأحيان إلى حدّ تبادل الاتهامات بالكذب والمبالغة أو "إسقاط بعض البيانات وحتى نفي وجود المتحدث على عين المكان ساعة وقوع المواجهة، حيث أصبح من العسير علينا أن نميز بين من كان فاعلا حقيقيا وبين من كان مجرد شاهد أو متابع "سلبي"» (فتحي ليسير، جماعي، 2015، ص295)

لقد بين العمل الميداني للمؤرخ «صعوبة الاطمئنان الكامل لما جاء على ألسنة الرواة من بيانات ومعطيات، وفتحت المقابلات معهم عيوننا واسعة على الطابع المعقّد لشهادات الفاعلين وحزمة المحاذير اللازمة لكل تعاط مع الشفوي» (فتحي ليسير، جماعي، 2015، ص297). ويخلص ليسير إلى استنتاج مفاده أن ظرفية السرد كيّفت «عملية التذكر والاستحضار وأطّرتها...وينبغي ألا يغيب عن الذهن هنا أن فعل التذكر هو حالة نفسية وأن رواية الحوادث نشاط اجتماعي مدرج ضمن علاقات اجتماعية» (فتحي ليسير، جماعي، 2015، ص297). لقد وضعنا فتحي ليسير، في نهاية بحثه، في قلب السؤال السوسيولوجي حول الشروط السوسيولوجية لإنتاج الذاكرة.

من تحرير الذاكرة إلى مأسستها:

ناقش المجلس الوطني التأسيسي، وهو مؤسسة سياسية منتخبة كانت تمثل السلطة الأعلى في البلاد في ما بعد سقوط نظام زين العابدين بن علي (2014-2011)، مسألة العدالة الانتقالية، فتمَّ إدراج فصل في الدستور نصُّه:« تلتزم الدولة بتطبيق منظومة العدالة الانتقالية في جميع مجالاتها والمدة الزمنية المحددة بالتشريع المتعلق بها، ولا يقبل في هذا السياق الدفع بعدم رجعية القوانين أو بوجود عفو سابق أو بحجية اتصال القضاء أو بسقوط الجريمة أو العقاب بمرور الزمن.» (الرابط الالكتروني رقم 5)

وبناء على ذلك صدر القانون الأساسي عدد 53 لسنة 2013، الذي يتعلق بإرساء العدالة الانتقالية وتنظيمها والذي تم بموجبه انشاء هيأة رسمية تُسمى "هيأة الحقيقة والكرامة" تتولى حسب الفصل الأول من هذا القانون: «فهم ومعالجة ماضي انتهاكات حقوق الانسان بكشف حقيقتها ومساءلة ومحاسبة المسؤولين عنها وجبر ضرر الضحايا ورد الاعتبار لهم بما يحقق المصالحة الوطنية ويحفظ الذاكرة الجماعية ويوثقها ويرسي ضمانات عدم تكرار الانتهاكات والانتقال من حالة الاستبداد إلى نظام ديمقراطي يساهم في تكريس منظومة حقوق الإنسان (الرابط الالكتروني رقم 6) وبناء على ذلك تشكلت الهيأة المذكورة وشرعت في عملها، وقد تعاقدت مع مؤسسات اعلامية محلية وأجنبية لنقل وقائع جلساتها العلنية التي سيتم الاستماع فيها لضحايا انتهاكات حقوق الانسان، وذلك بداية من يومي 17 و18 نوفمبر 2016. يمكن أن يكون هذا الاستماع إلى الشهود كتابة شبه رسمية لتاريخ تونس من منظور الضحايا أو مدعي الوقوع موقع الضحايا، كتابة ذات طابع مؤسساتي وربما دستوري تضع تأسيسا اجتماعيا لآليات التذكر.

ولئن كان الخطاب التذكري الأوحد، قبل جانفي 2011، يعكس هيمنة بناة هذا الخطاب على الفاعلين الآخرين، فإنه لم يمنع وجود اشتغال علمي أكاديمي حول تاريخ تونس المعاصرة في أقسام التاريخ في مختلف الجامعات التونسية درسا وتأليفا وبحثا في مستوى رسائل الماجستير والدكتورا. وفضلا عن ذلك يمكن أن نسجل أعمال المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية تلك المؤسسة البحثية الجامعية التي تهتم بالتاريخ المعاصر للبلاد التونسية امتدادا "للبرنامج القومي للبحث" الذي انطلق عام 1979. وقد تمَّ بعث المعهد بمقتضى القانون المؤرخ في 16 نوفمبر 1989. ل"يحفظ نواة من المصادر الأولية تتمثل في أرشيف مصور عن الأرشيفات الفرنسية الخاصة بتاريخ تونس المعاصر ومئات الشهادات المسموعة والمرئية والصور". وتتوزع أعمال المعهد على أربع وحدات دراسية هي "وحدة الدراسات والبحوث الأرشيفية"، و"وحدة المتاحف ومواقع الذاكرة، و"وحدة الدراسات والبحث في التاريخ الشفوي" و"وحدة الدراسات والبحوث التاريخية". وينظم المعهد ملتقى دوليا ينتظم كل سنتين كما ينظم محاضرات شهرية ومعارض، ويصدر مجلة سنوية عنوانها "***روافد***"، وعدة سلاسل تاريخية، من بينها أعمال الملتقيات التي ينظمها كل سنتين.

لقد أصبحنا أمام وفرة وتنوع واختلاف في الخطابات التذكرية، تنوعا من ناحية المضمون، وتنوعا من ناحية الأطر الحاضنة، وتنوعا من ناحية الاستراتيجيات والرهانات، وتنوعا من ناحية الفاعلين المدلين بهذه الخطابات: أفرادا وجماعات ومؤسسات. وإن اختلاف الخطابات التذكرية، منذ **أخذ الكلمة** في 14 جانفي 2011، يشي بأن نزاعات تذكرية قد اندلعت بقوة، الأمر الذي

يدعونا للتساؤل: ألا تؤدي وفرة الخطابات التذكرية إلى اختلافها وتضاربها وتناقضها وتنازعها ؟ أليست هذه الكثرة وهذا الاختلاف مدعاة إلى ضياع الذاكرة الجمعية بما هي رافعة للهوية الوطنية وبالتالي ضياع الهوية ذاتها (جويل كاندو،2009، ص4)، ومن ثمة استبدالها ببناء هوية جديدة قائمة على النظر إلى الذاكرة الجمعية باعتبارها نظاما من ذاكرات متعددة مختلفة ومتضاربة ومتناقضة والتكيف مع الهوية الجديدة بالقفز إلى ثقافة جديدة معولمة ووافدة ؟

ولكن أليست "هيئة الحقيقة والكرامة" باعتبارها هيئة شرعية وقع تضمينها في دستور 2014 هي الضامن لوحدة الذاكرة وبالتالي للحفاظ على الهوية الوطنية وحماية الذاكرة الجمعية؟

جدل حول هيئة الحقيقة والكرامة:

وُلدت هيئة الحقيقة والكرامة من رحم الصراع السياسي الذي احتدم بعد تفكك السلطة السياسية التي حكمت تونس أكثر من ستة عقود، وكانت تركيبة هيئتها التنفيذية تعبّر عن موازين القوى السياسية التي أفرزتها انتخابات 23 أكتوبر 2011، وتعكس هيمنة الفائزين في هذه الانتخابات وخاصة حركة النهضة ذات المرجعية الإخوانية، وهو ما جعلها بؤرة لصراعات سياسية داخلية (استقالات وإقالات) ومرمى للسهام من خارجها (وسائل إعلام، مدونين، أحزاب سياسية، مثقفين وأكاديميين، نواب في المجلس التأسيسي ...الخ) إلى درجة اتهامها بأنها أداة طيعة في يد حركة النهضة.

وبالرغم من العمل الجبار الذي قامت به هذه الهيئة من خلال قبول ملفات الضحايا ودراستها (أكثر من 63000 ملف) (الرابط الالكتروني رقم 7)، ومن خلال جهودها على مستوى التحكيم والمصالحة، وخاصة من خلال أعمالها في حفظ الذاكرة (جلسات استماع علنية لضحايا نظامي الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي، إنتاج أشرطة وثائقية تؤرخ تصوّر 'حقيقة' الأحداث التارخية والانتهاكات الجسيمة التي وقعت، استجلاب وثائق أرشيفية من فرنسا ...الخ)، بالرغم من كل ذلك، لم تحظ الهيئة بالإجماع المجتمعي المرغوب، ولا بالتعاون الإداري المطلوب (رفضت وزارة الداخلية تسليمها الأرشيف، رفض مجلس النواب الذي تشكّل إثر انتخابات 26 أكتوبر 2014، والذي فازت فيه حركة نداء تونس ذات التوجهات المتماهية مع نظامي ما قبل 14 جانفي 2011، تسديد الشغورات داخل مجلس الهيئة، رفض التمديد لها بسنة واحدة كما طلبت. تلكّأت الحكومة في تنزيل الأمر الحكومي الخاص بصندوق التعويض للضحايا وجبر الضرر في مرحلة أولى، ثم تنزيل الأمر مع اسناد إدارته والاشراف عليه لرئاسة الحكومة، في مرحلة ثانية)[9] وهو ما حرم الهيئة من اتمام مشروعها وجعلها عرضة لنقد وانتقاد الضحايا الذين حلموا بالتعويضات المجزية.

من ناحية أخرى لم يحظ عمل لجنة حفظ الذاكرة بالإجماع المطلوب، فقد انقسم الرأي العام بين مساند ومعارض، وكان من أبرز ملامح تلك المعارضة، شبه الاجماع لدى الأكاديميين على تأثيم عمل الهيئة فيما اعتبروه تدخلا لهذه الهيئة في غير اختصاصها، إلى جانب ما قالوا أنه توظيف سياسي لأحداث التاريخ ولمشاعر الضحايا ، وقد نشرت جريدة " المغرب" بيانا ممضى من أكثر

[9] تم تنزيل التقرير الختامي لهيئة الحقيقة والكرامة بالجريدة الرسمية التونسية "الرائد الرسمي" عدد 59 بتاريخ 24 جوان 2020، وذلك بعد اكثر من سنة على اصداره من طرف هيئة الحقيقة والكرامة في 27 مارس 2019.

من ستين مؤرخا (بيان المؤرخين، الرابط الالكتروني عدد8)، ندّدوا فيه بما نشرته "هيئة بن سدرين" كما أسموها (نسبة إلى رئيستها سهام بن سدرين)، من جلسات علنية منقولة تلفزيونيا، أعطت فيها الكلمة إلى ضحايا يوسفيين (نسبة إلى صالح بن يوسف الذي قاد الصراع ضد الحبيب بورقيبة قبل القضاء على حركته واستتباب الأمر للرئيس الحبيب بورقيبة) (عقيل البكوش،2019،ص ص 163 – 186)

وفي المحصّلة، ونتيجة لولادتها القائمة على المحاصصة الحزبية والمناكفة السياسية وهو ما ألقى بظلاله على مختلف ردهات اشتغالها، لم تنجح هيئة الحقيقة والكرامة في حفظ الذاكرة الجمعية، ولا في تصحيح التاريخ الذي كتبه المنتصرون الذين بنوا دولة ما بعد الاستعمار، كما لم تنجح في إنجاز مصالحة وطنية ولا في جبر ضرر الضحايا، مكتفية بإدراجهم على جداول مع تمكينهم من وثائق طالبتهم بالاستظهار بها لدى رئاسة الحكومة لنيل تعويضاتهم، وهو ما لم يحصل، كما اكتفت بكتابة تقرير ضخم عن سير أعمالها وما تعرضت له من عراقيل وما واجهته من صعوبات وما توصلت إليه من نتائج، الأمر الذي أسدل الستار عن هذه الهيئة وأدخلها طيّ النسيان، ولكن في الأثناء كان فاعلون منسيون يكافحون ضد النسيان، من بينهم الحاج حسن بن عياد الزارعي.

من هو الحاج حسن بن عياد الزارعي ؟:

ولد حسن بن عياد الزارعي، في مدينة المزونة، في يوم 19 ماي 1935[10]، من أسرة، مثل غيرها من أسر " الدوّار"[11]، متواضعة، كانت تعتمد على العمل الفلاحي وتربية الماشية، وعندما بلغ سن العاشرة أو الثانية عشرة من عمره سافر رفقة والده وإخوته إلى جهة الساحل، وتحديدا منطقة شُرْبان قرب المهدية، للعمل، فكان يقوم بكل ما يطلبه منه صاحب العمل، من رعي وحراثة وغراسة، مقابل تكفل هذا الأخير بمأكله وملبسه، أما النقود فكان يتسلمها والده.

صادف أن استمع الشاب اليافع عن اغتيال الهادي شاكر كما سمع حديثا عن الثوار سمعه لأول مرّة: «قبل هذا الحديث لم يكن لديَّ موقف من فرنسا فقد كنت صغير السن[12]، لكن بعد سماع هذه الأحاديث أصبح وعيي يتفتح شيئا فشيئا على وجود مستعمر يحتل أرضنا، وعلى وجود رجال يقاومون هذا المستعمر، وأصبحت أعي أن فرنسا هي العدوّ مادامت تقتل الوطنيين التونسيين، وبدأت أتساءل بيني وبين نفسي عن المقاومين، أين هم ؟ كيف أصل إليهم ؟ من يوصلني إليهم ؟»

التحق بالثوار عن طريق خاله "محمد بيشة" الذي كان يقيم بمدينة الرْقَاب، يصف حسن الزارعي تلك اللحظة بأنها «كانت تلك أول مرة أحسُّ فيها بأنني انسان ذو قيمة.» انضمّ إلى كتيبة تتكوّن من 28 مقاتلا يقودهم محمد بشلولة العكرمي الذي استشهد، بعد أيام، في معركة جبل " خَشَمْ الكلْب" التي خيروا خلالها الانسحاب لينضموا إلى مجموعة أخرى تحت قيادة عمّار بَنِّي،

---

[10] إضافة إلى التسجيل الذي أجريناه معه، نحتفظ بنسخة من بطاقة انخراطه في جيش التحرير الجزائري وبها ثبت لمعطياته الشخصية.

[11] تعبير دارج يقصد به المكان الذي تقيم به القبيلة أو العشيرة وينسحب أيضا على متساكني ذلك المكان، وتحمل العبارة شحنة رمزية دالة على تضامن وتآزر المتساكنين مما يجعلهم أسرة ممتدة واحدة.

[12] يمكن أن نستنتج أن عمره آنذاك كان 18 سنة باعتبار أن اغتيال الهادي شاكر تم في 13 سبتمبر 1953.

وظلّوا يتنقلون من جبل إلى جبل حتى التقوا بالقائد الطاهر لسود[13] حارب حسن الزارعي تحت إمرة الطاهر لسود في أغلب المعارك، ولمّا سلّم القائد سلاحه، انتقل الزارعي إلى الجزائر والتحق بجيش التحرير الجزائري، اجتاز الحدود إلى تونس صحبة القائد الجزائري عباس الغرور الذي كلفه بقتل مُعَمّريْن[14] فرنسيين (بربرا Barbara وسيشتال sechtel) ينتميان إلى اليد الحمراء التي اغتالت الزعيم النقابي فرحات حشاد (اغتيل في 5 ديسمبر 1952) والأخوين الطاهر وعلي أولاد حفوز (تمّ اغتيالهما في 24 ماي 1954)، كما كلّفه بإيصال رسالة إلى أحمد التليلي (1916 – 1967، مناضل سياسي ونقابي)، لم يعثر على المُعَمّرْ بربرا الذي كان مسافرا، فقام باقتحام منزل المعمّر سيشتال وقتله ثمّ توجّه إلى العاصمة، نهج الكبدة، حيث اتصل بأحمد التليلي وسلّمه الرسالة، إثر مغادرته لمقر التليلي، تمّ القاء القبض عليه وأُقتياده إلى صباط الظلام[15] ومنه إلى سجن باردو حيث التقى بسجناء الأمانة العامة مثل: علي الزليطني ورضا بن عمار وحمادي غرس وغيرهم كثير، لفقوا له تهمة السرقة والقتل وحكموا عليه بالسجن المؤبد ثمّ نقلوه إلى سجن غار الملح، بعد عام من السجن ادَّعَى المرض فتمّ نقله إلى تونس العاصمة حيث فحصه الدكتور هَدَّامْ[16] وتعاطف معه فأجرى له عملية جراحية رغم أنه غير مريض، وفي الليلة التي التّالية لليلة اجراء العملية، فرّ من المستشفى، وتحمّل الالام متنقلا من مكان إلى آخر، حتى استقر به المقام في المعسكر الذي يشرف عليه هواري بومدين في منطقة الكاف بالشمال الغربي التونسي حيث أشرفوا على علاجه ثمّ انتقل إلى المنطقة التي يشرف عليها الشاذلي بن جديد، ومع توقف الحرب وتوقيع اتفاقيات استقلال الجزائر، تسلّل إلى تونس ومنها إلى ليبيا حيث استقرّ فترة من الزمن مخفيا هويته الحقيقية، حتى تمكن من التسلل إلى مصر، وهناك تمّ القاء القبض عليه، ولمّا عثرت السلطات الأمنية على سلاح بحوزته، اقتادته إلى مبنى المخابرات العامة المصرية ولمّا تحققوا من هويته، عرضوه على جمال عبد الناصر «كانت لحظات لا تنسى أبدا، من الباب الآخر خرج لنا الرئيس جمال عبد الناصر رحمه الله.

لم أتمالك نفسي، بكيت، ليس خوفا، ولكنها كانت لحظات مؤثرة جدا... ربت على كتفي قائلا: "ما تبكيش (لا تبك) يا ابني أنت بين ناسك وأهلك" لن أنس ذلك الموقف طيلة حياتي، كما لن أنس يوم مات رحمه الله، يومها خرجت إلى الشارع باكيا وأنا أقول:" خليتني يْتيم (تركتني يتيما) يا عبد الناصر...خليتني يْتيم..."

لا يوجد شيء في الدنيا أغلى وأعز وأثمن من ذلك الرجل.

---

13 الطاهر لسود هو أهم قائد ميداني لمجموعات المقاومة، التقى الرئيس جمال عبد الناصر في مصر، كما عينه صالح بن يوسف قائد جيش تحرير المغرب العربي، وإثر خروج بن يوسف من تونس واستقراره في ليبيا التحق به الطاهر لسود طالبا امداد المقاتلين بالسلاح، ولما لم يجد من بن يوسف جوابا شافيا سلّم نفسه الى والي مدنين سنة ومنذ ذلك الوقت ظل تحت الإقامة الجبرية في مدينة الروحية في الوسط الغربي للبلاد التونسية.

14 المُعَمّرْ هو فرنسي مدني وليس عسكريا، تُقتطع له أرضا فلاحية خصبة من أراضي البلد المُستعمَر، يتولى الاقامة فيها واستغلالها، هذه الكلمة تحمل نفس مدلولات كلمة "مستوطن" في فلسطين المحتلّة.

15 اسم مكان يقع داخل المدينة العتيقة اتخذه أنصار الحبيب بورقيبة مركزا للإيقاف والتعذيب ويُروى أنه شهد فظاعات كبيرة.

16 ربما يقصد الدكتور التيجاني هدّام الذي انخرط في الثورة الجزائرية فترة من الزمن ثم عمل رئيس قسم في أحد مستشفيات تونس العاصمة.

كنت تائها في الصحراء ليس معي لا مال ولا رجال، فوجدت فيه كل الرجولة والحنان والثقة والصدق.» تكفلت مصر بكل شؤون حسن الزارعي منذ سنة 1966 حتى سنة 1988، فصرفت له جراية شهرية ومكنته من مسكن وتزوج سيدة مصرية أنجب منها بنتا، وفي مصر تعرّف على مقاومين تونسيين منفيين مثله، منهم الحاج الطاهر الغريبي ومصطفى كامل المرزوقي والحبيب الفيتوري بن زعيمة ويونس ابراهيم درمونة وابراهيم طوبال والعقيد محسن الطيب و اكتشف وجود فصيل من الطلبة التونسيين الأحرار ومنهم محمد الزموري ومصطفى شيبان ومحمد صالح الجعفار.

وفي عام 1988 عاد إلى تونس، صحبة زوجته وابنته، ليستقرَّ بها وقد تكفلت الدولة الجزائرية، لما علمت بعودته، بصرف جراية شهرية له، إضافة إلى حصوله على متخلدات مالية جرى احتسابها منذ انضمامه إلى جيش التحرير.

قصة حياة الحاج حسن بن عياد الزارعي:

كما ذكرنا سابقا، كان موريس الفاكس، قد انتبه إلى أن الذاكرة الفردية لا تعبر فقط عن أحداث تخص الفاعل المتذكر إنما هي تعبير عن حياة اجتماعية زاخرة، وأوضحنا أن " قصة الحياة" هي في حقيقة الأمر، ليست قصة حياة الفرد، وإنما قصة حياة المجتمع، وأن اختلافها عن " السيرة الذاتية" يتجلى في قدرة الباحث على طرح الأسئلة والاشكاليات التي توجه مقابلته مع الشاهد، على خلاف السيرة التي يتولى صاحبها سرد ذكرياته مركزا على موقعه المحوري في السردية، في ضوء هذه الاعتبارات، أجرينا مقابلة مطولة مع الحاج حسن بن عياد الزارعي، دامت هذه المقابلة أربع ساعات ونصف، معتمدين تقنية " قصة حياة" (Daniel BERTAUX,2010) و(Annie OLIVER,2001) و(المختار الهراس، جماعي، 2001) وقد التقيناه بمنزله بمدينة "المَزُّونة" التابعة لولاية سيدي بوزيد يوم 16 مارس 2016، بناء على موعد مسبق معه، أدخلنا إلى قاعة الجلوس وكانت مؤثثة بشكل جيد، وقد علّق على الحائط وراء المكان الذي جلسنا فيه، في أطر جميلة وسام الجهاد الذي حصل عليه من قيادة الثورة الجزائرية، وأجزاء من صفحات جريدة تونسية (الشروق) تتحدث عنه تحت عنوان: " عبد الناصر احتضنني وبن علي أوصى بي خيرا"[17]، ودون أن أعبّر له عن استغرابي من تصريحه للجريدة: "بن علي احتضنني"، استبق الأمر شاكيا متذمِّرا من خذلان البعض ممن عبروا له عن تعاطفهم معه ، قال لي: "انظر إلى ما كتبت هذه الصحيفة المعلقة وراءنا، اقرأ العنوان، أنا قلت أن "عبد الناصر احتضنني" ولم أقل أن "بن علي ساعدني"، لقد حرفوا كلامي وقولوني ما لم أقله بدعوى أن المقال ما كان ليصدر بالصحافة لو لم نقحم فيه عبارة " بن علي ساعدني"".

وسواء صرّح الحاج حسن بما نشرته الصحيفة، أو أن الصحيفة تقوّلت عليه، فإن هذه الشهادة تفضح حقبة من تاريخ تونس انبنت على القمع الشديد للحريات ومراقبة الصحافة والنشر وهو المناخ الذي عرفته عديد الدول، حيث «كشفت الأنظمة الشمولية التي انتشرت في القرن العشرين

[17] المقصود الرئيس المصري جمال عبد الناصر (1918 – 1970) والرئيس التونسي زين العابدين بن علي (1936 – 2019)

عن وجود خطر لم يكن في الحسبان سابقا، ويتمثل في الاستحواذ الكلي على الذاكرة.» (تزفيتيان تودوروف، 2006، ص157)

ولكن لماذا يعلّق الحاج حسن، في صدر بيته، نسخة من المقال الذي كتبته عنه الصحيفة رغم تقوّلها عليه؟ أليس في تعليقه افتخار بما كُتب ؟ فكيف يفتخر بما نُسب له كذبا ؟

يبدو لنا أن تعليق نسخة من المقال[18] في صدر البيت هو جزء من كفاح الحاج حسن ضد النسيان، إنها معركته الأصيلة، فلا يهمه كثيرا أو قليلا تقوُّل الصحيفة عليه بقدر ما يهمّه كتابتها عنه، فهو اعتراف به وانتشال له من ظلم وظلمات النسيان، فها هو بعد نشر المقال يجد نفسه في بؤرة الضوء، إنه «عبور من النسيان إلى التذكّر، من اللاّتاريخ إلى التمركز في التاريخ وإلى التاريخ المحترم المحتفى به.» (عزيزة البريكي ورشيد توهتو، 2014، ص ص 60 – 76)

شبّ الحاج حسن في " الدوّار" وهو مجموعة مساكن ريفية متقاربة يجمع بين ساكنيها قرابة الدم، في هذا الدوار عاش شاهدنا الفقر المدقع والأمّية، وفي مقابل ذلك التضامن الاجتماعي، فهو ابن الدوّار إلى جانب كونه ابن أمه وأبيه، وفي الدوّار تتقارب المسافات بين أهله، إلى درجة تقاسم ما يمتلكون، فكما قال، عندما يتوفر شخص على رؤوس أغنام أو ماعز يعطي جزءًا منها لجاره الذي لا يملك شيئا، وإذا ذبح أحدهم شاة وزع لحمها على كل ساكني الدوّار، وعندما يحفظ طفل سورة أو سورتين من القرآن، يذهب إلى بيوت الدوّار بيتا بيتا ليتلقى التهاني فيما يسمى " الختمة" (محمد المرزوقي،2016، ص 38) فهي نوع من التشاركية المحلية تشبه إلى حد بعيد ما كان عليه الأمر في المجتمعات البدائية، لكن هذا الدوّار يقوم على عقيدة دينية تُجلّ من يحفظ القرآن، ومن يدرّس علومه، وقد كان جدّه، كما قال، شيخا من شيوخ العلم، ذا حظوة عند القبائل المجاورة، الأمر جعل قبيلة "الهَمَامَّة" ذات الشوكة تنزل عند طلبه بإعفاء شباب الزْوَارِعْ (قبيلة الحاج حسن) من التجنيد في الجيش الفرنسي، فقد كان العمدة هو من يسلم الفرنسيين قائمة بالمؤهلين للجندية.

وينسب الحاج حسن قبيلته " الزوارع" إلى الفاطميين ويضيف أن « لقب الزارعي ارتبط بهؤلاء العلماء المسلمين حفظة القرآن وقد دُفن اثنان من أجدادنا في قفصة سيدي عمر بن عبد الجواد وجدّي الطاهر بن محمد في القْطَارْ (جنوب مدينة قفصة)، هذه باختصار لمحة عن القبيلة وعن النسب الشريف وبامكانك أن تذهب إلى جامع سيدي الطاهر بن محمد وستجد هناك شجرة نسب قبيلة الزوارع، النسل الشريف نسل فاطمة الزهراء.» والانتساب، عند البدو، هو ربط الهوية الفردية بهوية جمعية، حيث الهوية الجمعية هي المحدد "المشروع" لهوية الفرد (Gianni ALBERGONI,1990, P.311)، من مجدها يكتسب مجده ومن صيتها يأخذ صيته، والحقيقة أن الانتساب إلى نسل النبي محمد هي عادة واستراتيجية كل القبائل العربية، بل وكثير من العائلات التي تمسك بالسلطة في بعض البلدان العربية مثل المغرب والأردن، وهو يشكّل، في الوطن العربي، أهمّ أدوات اكتساب الشرعية التاريخية والاجتماعية، إنه خصوصية عربية لما أسماه يان أسمان Jan ASMANN "الذاكرة الحضارية"، التي ينضوي تحتها «*مخزون*

[18] لاحظنا نفس الظاهرة، خلال مقابلة أخرى أجريناها مع الشيخ محمد الغول بمنزله بمدينة قبلي يوم 21 مارس 2016، أنه يحتفظ بنسخ من صحف جزائرية تحدثت عن نضاله أو أجرت معه مقابلات.

حضاري وهوياتي خاص بكل مجتمع، يمتد إلى حقب زمنية طويلة، ويتكوّن من نصوص وصور وطقوس قابلة للممارسة باستمرار، تخلق–عند المحافظة عليها–الصورة الذاتية لحضارة معينة [...] إنها معرفة جمعية حول الماضي، يُشترك فيها ويُستند إليها في أثناء لحظة وعي حضارة ما لذاتها» (زهير سوكاح،2020، ص38). وهو كذلك رأسمال رمزي يتيح لصاحبه احترام وتقدير الآخرين واعتباره من سلالة الأشراف الحاملين للبركة التي توارثها الأجداد عن الرسول الأكرم، وكما يقول جون واتربوري: «يشكل اللقب رأسمال الشريف. ولعلّه أسهل ثروة يمكنه الحفاظ عليها، لأنه موروث، ولا يمكن أن يُصرف، ولأن قيمته الذاتية لا ترتبط في شيء بالسلوك الشخصي لحامله. وطالما ظلت روح دينية تسود [...] سيحظى الشريف بنوع من الاعتبار» (جون واتربوري، 2013، ص149).

ليس للمرأة وجود ظاهر في حياة الحاج حسن الزارعي، فهي تمثل الجزء الخفي في حياته، انسجاما مع الثقافة الذكورية لذلك الجيل، فلم يذكر لنا غير أحاديث جدّته التي نحتت شخصيته، حيث قال: « كانت أمي تتركني أنام عند جدتي، وكانت جدتي تروي لي حكايات، كانت لهذه المرويات أثرا في وعيي، فأنا لم أقرأ كتبا تدعو إلى القومية والعروبة، لقد رضعت القومية والعروبة مع حليب أمي ومع حكايات جدتي، كانت تحدثني عن العراق، عن بغداد والبصرة وبطولات العرب.»

كانت الجدّة أو الأم هي المدرسة التي يتعلّم فيها الصغار في غياب المدارس، كانت هي مؤسسة التنشئة الاجتماعية المناط بها إعادة إنتاج المجتمع الذي يقمعها ويسلط عليها عنفه، خاصة في المجتمعات التي تتكوّن من نواتات عائلية ممتدّة، وقد تتبّع عادل بلكحلة، في مقال له، أثر الجدّة في قصة حياة الرئيس الفنزويلي **هوغو تشافيز**، وبيّن عمق تأثير حكاياتها في نحت شخصيّة هذا القائد (عادل بلكحلة، 2015، ص ص 263-290).

أما زوجة الحاج حسن المصرية، فهي تعكس حياة الترحال والغربة التي عاشها، إذ لم يكن من عادة الرجال في عهده التزوج من غير القريبات، حفظا للرابطة الدموية، وحماية لنقاء القبيلة إذ «يشكل زواج العضالة (زواج الأقارب من العائلة الواحدة) قاعدة مثلى، ويمارس الزواج بين أبناء وبنات العم داخل الأسر الشريفة للحفاظ على نقاوة دم "السلالة" [...] وفضلا عن ذلك فإن لزواج أبناء العمومة ميزة تتجلّى في جلب زوجة للعائلة تعرف أسرارها، وتدرك مكانتها داخلها، وتراعي أكثر من غيرها مسؤولية الحفاظ على ممتلكاتها» (جون واتربوري،2013، ص ص 135 - 154) لكن الحاج حسن باقترانه بزوجة مصرية، لم يكن يعكس فقط تصاريف الأقدار، ولكن أيضا حلمه المرتحل بين أرجاء وطنه العربي، حلم أكبر من قبيلة وأكبر من وطن.

بعد الجدّة نحتت شخصية الحاج حسن الجبال والأحراش ورفقة السلاح، وكانت الصعوبة التي اعترضتني في مقابلتي معه تتمثل أساسا في قوة شكيمته، إذ كان صعب المراس،حادّا، سريع اتخاذ القرار، كأنما أشبع قراره درْسًا لأيام وأيام، متشوّفا إلى المستقبل، لا يتخذ من الذاكرة إلا جسرا للعبور إلى المستقبل، هكذا عبّر لي عن رغبته في أن يكون عنوان مقابلتي معه " للعروبة مجد أحلم بتحقيقه"، ومن البديهي أنه لن يحقق ذلك المجد وحده، إذن فقد كان الحاج حسن الزارعي صاحب مشروع سياسي، لا يرى وقع السنين عليه مانعا له من المشاركة فيه وربما

قيادته، وهكذا تصبح الذاكرة عند الحاج حسن ليست فقط قدرة على مقاومة النسيان وإنما حلما ببناء المشروع الذي لم توقفه، في رأيه، اتفاقية الاستقلال في تونس ولا معاهدة ايفيان في الجزائر ولا وفاة جمال عبد الناصر الذي بكاه أمامي عندما ذكر رحيله.

أما كيف يحقق هذا المشروع، فقد بينه الحاج حسن في طلبه تصدير مقابلتي معه ببيتي شعر لأبي القاسم الشابي:

إن الحياة صراع *** فيها الضعيف يُداسُ

ما فاز في ماضغيها *** إلا شديد المراس

فماذا فعل الحاج حسن الزارعي في الانتصار لمشروعه ؟ أليس المشروع المبني على الذاكرة يحتاج وثائقا ؟ فكيف أضاع وثائقه ؟

قال إن الرئيس السابق المنصف المرزوقي (حكم 2011 – 2014)، استدعاه إلى القصر مرتين، كانت المرة الأولى بمناسبة تكريم صالح بن يوسف في شخص أرملته، قال أنه قال للدكتور المرزوقي أنه من المعيب أن تتكفل الدولة الجزائرية بالمقاومين التونسيين في حين تتنصل الدولة التونسية من الموضوع[19]، قال بأن المرزوقي سأله: "هل عندك وثائق حول هؤلاء المقاومين؟"، قال بأنه سلمه الوثائق ولكن الرئيس كذب ولم يفعل شيئا.

المناسبة الثانية، التقى الرئيس في مقبرة الجلاّزْ بمناسبة تخليد ذكرى صالح بن يوسف، بناء على دعوة من رئاسة الجمهورية، قال بأنه سلّمه ورقة يطلب فيها منه أن يردَّ له وثائقه، أخذ الرئيس الورقة ولم يرجع الوثائق.

قال بأنه توسّط بأحد المقربين من الرئيس وهو رشيد الحسيني لاسترجاع وثائقه ووعده بأن يعمل جهده لإرجاعها له لكنه لم ينجح في ذلك.

يمكن تفسير اهتمام الرئيس المرزوقي بموضوع الحاج حسن وثقة الحاج حسن الزارعي بالرئيس الجديد (حينئذ) بانتماء والد الرئيس إلى الحركة اليوسفية التي ينتمي إليها شاهدنا، حيث لجأ إلى المغرب الأقصى بعد هزيمة الشق اليوسفي واعتلاء الحبيب بورقيبة سدّة الحكم، وقد توفي محمد بن حَمَدْ البدوي المرزوقي (والد الرئيس) في منفاه في مدينة مراكش في المغرب سنة 1988. إن وصول ابن مقاوم يوسفي إلى رئاسة الجمهورية، في تمثلات الحاج حسن، هو وصول التيار اليوسفي العروبي برمّته إلى الحكم في تونس، ممّا يعني أنّ معركة الحاج حسن ضد النسيان قد وضعت أوزارها وأنّه آن للحاج حسن أن يمدّ ساقيه، لكن تجري الرياح بما لا يشتهي شاهدنا، فقد خسر هذه الجولة من المعركة أيضا، نتيجة الفوضى المستحكمة في أجهزة الحكم بعد 2011، وهو ما يعكس الارتجال والضبابية التي كانت عليها البلاد إثر سقوط نظام بن علي الذي وإن كان متسلّطا إلا أنه لم يكن فاقدا للضبط كما هو حال الحكومات التي جاءت على أنقاض نظامه.

كما يفضح الحدث الفرق البيِّن بين جيلين أو ثقافتين: ثقافة ريفية بدوية تقوم على روح الجماعة والثقة في الآخر وحفظ الأمانة وثقافة ليبرالية فردية تغلب على طباع أغلب السياسيين

19 تكفلت الدولة الجزائرية بمصاريف الحاج حسن الزارعي، حيث وبمجرد علمها بعودته من مصر استدعته الى الجزائر ومنحته بطاقة انخراط في جيش التحرير الجزائري وقامت بتوسيمه، مع منحه جراية قارة وبمفعول رجعي يعود إلى تاريخ انخراطه في المقاومة الجزائرية.

المعاصرين، خاصة ممّن درسوا وتزوجوا في أوروبا (مثل الرئيس المرزوقي وأغلب رؤساء الحكومات الذين جاؤوا بعد 14 جانفي 2011)

في هذه المعركة، فقد الحاج حسن، وإلى الأبد، سلاحه الذي كان يحمي ذاكرته: الوثائق، لكن المعركة لم تتوقف، وإن بدت، بدون سلاح خاسرة. هكذا وجدنا الشاهد خُلوا من أية وثيقة عدا وثيقة انخراطه في جيش التحرير الجزائري ومقال جريدة الشروق، وزوجته المصرية شاهدا حيا على ماضي لجوئه إلى مصر، وحديثه بلكنة شرقية رغم اللغة الفصحى الطاغية على كلامه.

ولم ينقطع اتصالنا به حتى وفاته عشية يوم 24 مارس 2020، الأمر الذي مكننا من متابعة مواقفه على مدى أربع سنوات، مما يجري وخاصة في مستوى ما أسميناه حمّى التذكر والجدل الواسع الذي رافق نشأة واشتغال هيئة الحقيقة والكرامة.

قدّم ملفه إلى هيئة الحقيقة والكرامة، فرع سيدي بوزيد، وتمّ استدعاؤه إلى المقر الرئيسي في تونس العاصمة، حيث حضر يوم 8 مارس 2017، وخضع لبحث من متخصصين من وحدة التحقيق الأولي في الهيئة والتي يترأسها الأستاذ عبد الفتاح البَحْري، وقد تواصل التحقيق معه لساعات متتالية، لم يسفر التحقيق عن شيء يذكر، ولم يقع استدعاء الحاج حسن مرة أخرى (لعرض شهادته في جلسات الاستماع العلنية التي تنقلها التلفزة مثلا)، وقد اتصل بي الحاج عدة مرات مستفسرا عن مصير ملفه، وقد علمت أن الهيئة لم تجد خلال استقصائها أي أثر يثبت صحة ما رواه الزارعي، فلم يجدوا، حسب قولهم، أي حكم صادر ضده، وهذا يكشف تقصيرا وعدم جدية في عمل الهيئة التي كان عليها الاتصال بوزارة المجاهدين في الجزائر لاستجلاب ملفه، أو البحث في وثائق سفارة تونس في مصر، أو استجلاب ملف نفيه من مصر، كما فعلت مع وثائق الاستقلال ومصير الثروات التونسية التي جلبتها من فرنسا، وكان الأحرى بها تتبع آثار الوثيقتين اللتين قدمهما للهيئة أي وثيقة انتمائه لجيش التحرير الجزائري، وبرقية العفو التي أرسلها له الحبيب بورقيبة، كما قال.

إن انصاف الضحايا يتطلب بذل جهد في معرفة حقيقة ما قاموا به وما تعرضوا له من انتهاكات وعدم الاكتفاء بالوثائق الموجودة في المحاكم التونسية في عهد كان يجري فيه "الاستحواذ على الذاكرة" كما قالت تزفيتيان تودوروف.

وهكذا خسر الحاج حسن الزارعي معركة الاعتراف، معركة الذاكرة ضد النسيان، فلم تنصف هيئة الحقيقة والكرامة ذاكرته وإنما انحازت إلى عدوّه: النسيان، صحيح أنها صنّفته، في آخر المطاف، مثل آلاف غيره، ضحية، لكن ذلك لم يكن كافيا بالنسبة له.

لقد كشفت طرق وأساليب اشتغال هيئة الحقيقة والكرامة وما رافقها من صراعات داخلية تجلّت من خلال الإقالات والاستقالات، وانتقادات خارجية، برزت خاصة من خلال بيانات جماعة المؤرخين (عقيل البكوش،2019) خطل تسليم مقاليد قيادة عربة الذاكرة إلى السياسيين وما يمكن أن يصيب سياسات الذاكرة جراء ذلك، من انحرافات وتشوهات بفعل التجاذبات السياسية والصراعات الحزبية، التي لا ترى في الذاكرة غير وسيلة من وسائل الوصول إلى السلطة أو دعم سلطة قائمة أو وصم خصم سياسي، ذلك أن «*الحكم النموذجي على الماضي، مفروض من*

قبل قالب معرفي مُسيَّس، يبرز خلال الحملات الانتخابية وأثناء المناظرات التي تنقلها وسائل الإعلام، وأيضا في مؤسسات الذاكرة» (Aarelaid-Tart, Aili,2016, P.112)

لا يحتاج الأكاديميون في تونس إلى غير تحرير الكلمة ورفع عصا السلطة عنهم لكي يرفعوا بدورهم ستائر النسيان عن مهمشي التاريخ، فليس أنسب من تسليم الخبز إلى خبّازه، وتسليم الذاكرة وكتابة التاريخ إلى المؤهلين لكتابته أي المؤرخين.

خاتمة:

خسر الحاج حسن الزارعي معركة الاعتراف، معركة الذاكرة ضد النسيان، فلم تنصف هيئة الحقيقة والكرامة ذاكرته وإنما انحازت إلى عدوّه: النسيان. صحيح أنها صنّفته، في آخر المطاف مثل آلاف غيره، ضحية. لكن ذلك لم يكن كافيا بالنسبة إليه، ولم ينصفه الأكاديميون، ولم تلتفت إليه مؤسسات الذاكرة الخاصة والعمومية.

لقد رافقت حمّى التذكر بعد 2011، حمّى سياسية، صار بمقتضاها الشأن السياسي حديث كل الفئات والجماعات والأفراد، وانفجر المرجل الذي طالما تحمّل الكبت المسلّط عليه لأكثر من نصف قرن، ولكنّ هذا الانفجار كان، بشكل ما، عشوائيا. أصابت شظاياه مجمل الحياة الاجتماعية. وكشف عن ندوب الذاكرة، وأدمى مواضع أخرى فيها، ولئن لقي فاعلون متذكرون الإنصاف المستحق، سواء بسبب انسجامهم مع الذاكرة الرسمية أو اهتمام وسائل الاعلام بهم أو التفطن إلى وجودهم من قبل بعض الأكاديميين، فإن المسح الذاكراتي غير المتوازن يفصح عن هشاشة سياسة الذاكرة المتبعة في تونس، إذ لم تنصف هذه الذاكرة العرجاء الحاج حسن بن عياد الزارعي. فرحل في زمن الكورونا، بلا طقوس وداع، وودّع حياته ومشروعه للذاكرة الغازية، دون أن يثمر هذا المشروع الذي حارب من أجله، ودون أن يضع قدميه في *"التاريخ المحتفى به* فعسى أن يكون هذا النص، بعد رحيله، إنصافا لذاكرة لاحقت سعادتها فلم تدركها، وعسى أن يؤدّي إلى إقامة العدل الذّاكراتي.

قائمة المراجع:

1.أفلاطون (2000)، محاورة ثياتيتوس، ترجمة وتقديم، أميرة حلمي مطر، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة.

2.بلقاسم بن جابر (2017)، إشكاليات الشعر الشعبي عند محمد المرزوقي ، دار البدوي، تونس.

3.بول ريكور (2009)، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة جورج زيناتي ، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت.

4.تزفيتيان تودوروف (2006)، الأمل والذاكرة: خلاصة القرن العشرين، ترجمة نرمين العمري ، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

5.جاك لوغوف (2017)، التاريخ والذاكرة، ترجمة جمال شحيّد، المركز العربي لدراسة السياسات، بيروت، لبنان.

6.جون واتربوري (2013)، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم وعبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، ط 3، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب.

7.جويل كاندو (2009)، الذاكرة والهوية، ترجمة وجيه أسعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا.

8.لورون بوتي (2012)، الذاكرة أسرارها وآلياتها، ترجمة عزالدين الخطابي ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

9.محمد حبيدة (2018)، المدارس التاريخية، برلين – السربون – ستراسبورغ، من المنهج إلى التناهج ، دار الأمان، الرباط، المغرب.

10.محمد المرزوقي (2016)، الأعمال الكاملة، القسم الرابع، المأثورات الشعبية، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس.

11.الهادي التيمومي (2018)، كيف صار التونسيون تونسيين، ط 3، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس.

12.وجيه كوثراني (2013)، تاريخ التأريخ: اتجاهات – مدارس - مناهج، ط 2، المركز العربي لدراسة السياسات، الدوحة، قطر.

13.جماعي (2007)،التاريخ الجديد، اشراف جاك لوغوف، ترجمة، محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.

14.جماعي (2015)، التاريخ الشفوي، مقاربات في الحقل الاجتماعي – الأنثروبولوجي، المجلد الثاني، اشراف وجيه كوثراني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان.

15.جماعي (2001)، إشكاليات المنهاج في الفكر العربي والعلوم الإنسانية، الطبعة الثانية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب.

16.ليسير، فتحي (2015)، التاريخ الشفوي، مقاربات في الحقل السياسي العربي فلسطين والحركات الاجتماعية، المجلد الثالث،اشراف وجيه كوثراني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان.

17.عبد الرحمان المودن وآخرون (2007)، الكتابات التاريخية في المغارب: الهوية والذاكرة والاسطوغرافيا، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، المغرب.

18.ببير نورا وآخرون (2015)، الكتابة التاريخية، ترجمة محمد حبيدة، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

19عزيزة البريكي و رشيد توهتو (2014)، "الذاكرة المروية وعدالة الانتقال بين مقاربة الحركات الاجتماعية والتاريخ الجديد"، مجلة إضافات، العددان 26 – 27 (ربيع – صيف 2014)، بيروت، لبنان.

20.عقيل البكوش (2019)، "سياسات الذاكرة الجماعية في سياق العدالة الانتقالية: حالة هيئة الحقيقة والكرامة تونس"، مجلة إضافات، العدد 46 (ربيع 2019)، بيروت، لبنان.

21.عادل بلكحلة (2015)، "محاولة في فهم نجاح الثورة الفنيزويلية البوليفارية: إعادة بناء لسيرة القائد ومقاربة أولية للمشروع"، مجلة مسارات، السنة 2، العدد 3-4 (شتاء 2015)، تونس.

22.زهير سوكاح (2020)، "حقل دراسات الذاكرة في العلوم الانسانية والاجتماعية: حضور غربي وقصور عربي"، مجلة أسطور، العدد 11 (جانفي 2020)، المغرب.

23.التهامي حبشي (2015) "مقالة في نقد الوهم البيوغرافي في العلم الاسطوغرافي"، على الرابط: http://www.berrechidnews.com/2015/11/1.html.
24.منير السعيداني (د.ت.) "التصريف المضارع للماضي"، في، ثقافة ومجتمع (مدونة الكترونية) على الرابط:
https://www.academia.edu/31506385/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D8%B1%D9%8A%D9%81_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%B9_%D9%84%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B6%D9%8A
25.موقع مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات على الرابط
http://temimi.refer.org/index.php?module=rubriques&opt=8
26.الفقرة التاسعة من الفصل 148 من الدستور التونسي، 2014، ص 36. على الرابط:
http://majles.marsad.tn/uploads/documents/TnConstit_final_1.pdf.
27.قانون أساسي عدد 53 لسنة 2013 مؤرخ في 24 ديسمبر 2013 يتعلق بإرساء العدالة الانتقالية وتنظيمها. على الرابط http://www.ivd.tn/ar/wp-content/uploads/2015/12/.
28.انظر التقرير الختامي الشامل لهيئة الحقيقة والكرامة على موقع الهيئة:
http://www.ivd.tn/rapport/
29.بيان المؤرخين التونسيين ضد هيئة الحقيقة والكرامة على الرابط:
https://ar.lemaghreb.tn/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9/item/17620-%D8%AE%D8%A7%D8%B5-%D8%A3%D9%83%D8%AB%D8%B1-%D9%85%D9%86-%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D9%86-%D9%85%D8%A4%D8%B1%D8%AE-%D8%AA%D9%88%D9%86%D8%B3%D9%8A-%D9%8A%D8%B1%D8%AF%D9%88%D9%86-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%B3%D9%87%D8%A7%D9%85-%D8%A8%D9%86-%D8%B3%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D9%86-%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A3%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%A4%D9%88%D9%84%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9

30.Aili Aarelaid-Tart (2016),"the Soviet past through the lenses of different memory communities", in, Generations in Estonia: contemproray perspectives on turbulent times, University of Tartu.
31.Gianni Albergoni (1990), Mémoire gentilice et histoire nationale: figures et enjeux du récit d'une insurrection bédouine anticoloniale, in: Cahiers d'études africaines, vol.30, n°119.
32.Aristote, Traité de mémoire et de réminiscence, voir le lien: https://fr.wikisource.org/wiki/De_la_m%C3%A9moire_et_de_la_r%C3%A9miniscence.
33.Annie OLIVER (2001) , Le biographique, Hatier, Paris.
34.Daniel Bertaux (2010), L'enquète et ses méthodes, Le récit de vie, 3ème édition, Armand Colin, France.
35.Enzo TRAVERSO (2012), L’histoire comme champ de bataille : interpréter les violences du XXème siècle, La découverte, Paris.
36. Maurice HALBWACHS (1950), La mémoire collective, Edition électronique: http://classiques.uqac.ca/classiques/Halbwachs_maurice/memoire_collective/memoire_collective.pdf
37.Michel de Certeau (1994), La prise de parole et autres écrits politiques, Seuil, Paris.
38.Paul RICOEUR (2000), La mémoire, l’histoire, l’oubli, Seuil, Paris, 2000.
39.Aron- Schnapper DOMMINIQUE ,et, Hanet DANIELE (1980), "D'Hérodote au magnétophone: sources orales et archives orales", Annales. Economies, Sociétés, Civilisations Vol. 35, no.1.
40.Serge NICOLAS (1992), "Hermann EBBINGHAUS et l'étude expérimentale de la mémoire humaine", voir le lien: https://www.persee.fr/doc/psy_0003-5033_1992_num_92_4_29538.

أثر علم اللسان في مقاربة الظاهرة النفسية(قراءة في نموذج جاك لاكان)

د.جلال مصطفاوي-جامعة عين تيموشنت بلحاج بوشعيب-الجزائر

ملخص: عرف علم اللسان تطورا هائلا، وتعددت مدارسه(البنيوية-الوظيفية-التوزيعية...)، ويجمع الباحثون في الدراسات اللسانية والاجتماعية والإنسانية أن قوة هذا العلم تكمن في منهجه العلمي الصارم، والمتمثل في البنيوية، وتعد فكرة البنية فكرة امتدادية حيث لم تبق حبيسة اللسانيات، بل تجاوزتها لتصبح محور البحث في كافة الحقول المعرفية، حيث إن الكثير من المشتغلين بعلوم الأنثربولوجيا والاجتماع والسيكولوجيا والنقد الأدبي عمدوا إلى تطبيق الأسس المنهجية للتحليل البنيوي في دراساتهم عن الظواهر الإنسانية المختلفة، باعتبارها أسسا تتناسب مع خصوصيات الظاهرة الإنسانية.

سأحاول من خلال هذه الورقة أن أسائل حدود وآفاق استثمار التحليل البنيوي في مقاربة الظاهرة النفسية، وسيتركّز بحثي على(جاك لاكانJacques Lacan)1901-1981).الذي تعامل مع النفس باعتبارها نصا وتعامل مع النص باعتباره نفسا، وقد صرّح في خطبة روما المشهورة بأنه استثمر من البنيوية اللسانية منهجه في التمرّد على علم النفس التقليدي، وقد تأثر بسوسير وجاكبسون وبنفنيست على وجه الخصوص.لكن إلى أي مدى وفق لاكان في سبر أغوار الظاهرة النفسية؟وما هي النتائج التي توصل إليها؟وما هي الانتقادات التي وجهت إلى البنيوية عامة والبنيوية النفسية خاصة؟

الكلمات المفتاحية: اللسانيات، البنيوية، اللاشعور، الذات، التركيب والاستبدال، العلامة اللسانية، التحليل النفسي.

The impact of linguistics on the approach to the psychological phenomenon(reading in Jacques Lacan model`s)

Dr. Mostefaoui djalal.University of Ain temouchente-algeria.

Abstract: The science of linguistics has witnessed tremendous development, and its schools have diversified (structuralism - functional - distribution ...). Researchers in linguistic, social and human studies agree that the strength of this science lies in its rigorous scientific approach represented in structuralism, and the idea of structure is an extended idea as it did not remain trapped in linguistics. Indeed, it went beyond it to

become the focus of research in all fields of knowledge, as many of those working in the sciences of anthropology, sociology, psychology and literary criticism have applied the methodological foundations of structural analysis in their studies on various human phenomena, as foundations fit with the peculiarities of the human phenomenon.

Through this paper, I will try to question the limits and prospects of investing structural analysis in an approach to the psychological phenomenon, and my research will focus on (Jacques Lacan) 1901-1981, who dealt with the self as a text and treated the text as a self, and he declared in the famous Rome speech that he invested From linguistic structuralism to his approach to rebellion against traditional psychology, and he was influenced by Saussure, Jacobson and Benvenist in particular, but to what extent did Lacan explore the depths of the psychological phenomenon? What were his conclusions? What are the critics directed at structuralism in general and psychological structuralism in particular?

Keywords: linguistics, structuralism, unconscious, self, structure and substitution, linguistic sign, psychoanalysis.

مقدمة:

"اللاشعور هو ذلك الجزء من الخطاب العياني، بقدر ما يكون بينشخصيا(حواريا)، الذي يخرج عن متناول الشخص في محاولته وصل خطابه الشعوري...إنه شيء لغوي مائة بالمائة، لأنه يتضمّن خطاب الآخر داخل شفرته.وإنما بفك شفرة هذا الحديث أعاد فرويد اكتشاف لغة الرموز البدائية التي ما تزال تعيش في معاناة الإنسان المتحضر". (جاك لاكان)

غني عن البيان أن القراءة البنّاءة المحكمة(الهدم و البناء) للنتاج المعرفي الإنساني، هي الجوهر الأساس في توليد التحديّات الخلّاقة، وإفراز الوجوه المبتكرة للحضارة الإنسانية، في الحقول المعرفية جميعها. ففي مجال البحث اللغوي الحديث على سبيل المثال، تتجلى تجربة القراءة البنّاءة في شخص العالم اللغوي السويسري فردينان دي سوسير Ferdinand De Saussure(1857-1913) الذي اقترح أنموذجا(Le Paradigme) جديدا، في سبيل تشخيص الظاهرة اللسانية ووصفها، أنموذجا يشكّل شبه قطيعة مع الدراسات اللغوية القديمة(النحو التقليدي-الدراسات المقارنة-الفيلولوجيا...)، لأنه يدرس اللغة وفق منهج علمي، قوامه التركيز على اللسان المنطوق بدلاً من اللسان المكتوب، والتزامن بدلاً من التعاقب، والمحايثة بدلاً من ربط اللسان بالدوائر المعرفية المختلفة التي تكتنفه، والتركيز على العلاقات النسقية بدلاً من المرجعيات المادية، فاللسان-من هذا المنظور-صورة و شكل وليس مادة أو جوهرا(أي أن اللسان

ذو طابع ذهني نفساني)...وفي هذا تجاوز للاعتقاد القديم الذي كان يزعم بأن اللغة ظاهرة بسيطة، فما هي إلا مجرد قائمة من الكلمات تدل على قائمة من الأشياء الموجودة في العالم الخارجي.

ما يمكن استنتاجه هو أن الموقف النقدي الذي وقفه سوسير من مناهج الدراسات اللغوية السابقة قد نتج عنه أنموذج جديد ينحو منحى علميا(من حيث الموضوع والمنهج والغاية) في دراسة الظاهرة اللغوية، تتلخص معالمه فيما يلي:

1-استقلال البنيات اللسانية عن التاريخ والتمييّز بين مستويين في التحليل:تحليل سكوني يهتم بدراسة اللسان كنسق يخضع لقواعد خاصة، وتحليل تطوري(دياكروني)يهتم بالتحوّل الذي يطرأ على اللسان، وأكّد سوسير على الطابع العلمي للتحليل البنيوي السكوني والطابع غير العلمي على التحليل التاريخي.

2-رفض سوسير كل العناصر الغريبة عن علم اللسان كما أطرح كل ميل للتأويل الفلسفي.

3-أكّد هذا العالم –طلبا للدقة المنهجية- على ضرورة الفصل بين الرمز ومحتواه أو معناه باعتباره ناتجا عن اصطلاح اعتباطي لا يمكن إرجاعه إلى أصول بيولوجية أو طبيعية.(مصطفى غلفان، 2013، ص148)

4-التعامل مع الظاهرة اللغوية باعتبارها نسقا أو بنية مغلقة، تتحكم فيها جملة قوانين داخلية، تفسّرها وتضمن استمراريتها، بعيدا عن كل السياقات الخارجية التي ساهمت في إنتاجها.فقد نشأت البنيوية كرد فعل على النزعة الوجودية الظاهراتية، فإذا كانت هذه الأخيرة ترى بأن حقيقة الشيء هي نتيجة اتحاد الذات العارفة مع الموضوع المراد معرفته، فإن البنيوية ترى أن حقيقة الشيء توجد في الشيء ذاته ولا تستقى من خارجه.

مشكلة الدراسة:

من الواضح أن السبب الجوهري لامتداد فكرة البنيوية إلى حقول المعرفة الإنسانية(الأنثربوبولوجيا مع كلود لفي شتراوس، الفلسفة مع ألتوسير،علوم الثقافة مع ميشيل فوكوه، وعلم النفس مع جاك لاكان)هو طابعها العلمي الذي يتلاءم مع خصوصيات الظاهرة الإنسانية بأبعادها المختلفة، ويتجلى في تحليل (جاك لاكان) للظاهرة النفسية البعد البنيوي من حيث المنهج، حيث ينادي بالعودة إلى فرويد، فالدراسات التي تعرضت لنظرية التحليل النفسي عند فرويد على الرغم من كثرتها، إلا أنها_في نظر لاكان_قد جانبت الصواب، لأنها لم تنظر إلى اللاشعور باعتباره بنية من الرموز يمكننا تفسيرها بتطبيق إجراءات التحليل البنيوي، كما أوردها عالم اللسان السويسري فردينان دي سوسير.سأحاول من خلال هذه الدراسة أن أسائل حدود وآفاق العلاقة بين التحليل النفسي وعلم اللسان البنيوي في أنموذج جاك لاكان في تحليله للظاهرة النفسية،بالإجابة عن الإشكال الأساس: فيم تمثلت الإجراءات التحليلية البنيوية التي تبناها جاك لاكان في تفسيره للظاهرة النفسية؟ وما مدى نجاح رؤيته البنيوية النفسية من حيث دقة النتائج، مقارنة بالدراسات السابقة عليه؟.

امتداد فكرة البنية:

الجدير بالذكر أن التصوّر المنهجي الذي تبناه علم اللسان(البنيوي) لم يبق محدودا بسقف اللسانيات، بل امتدّ إلى كافة الحقول المعرفية الإنسانية والاجتماعية(الانثربولوجيا:كلود لفي شتراوس، علم النفس: جاك لاكان، الفلسفة: ألتوسير، الدراسات الثقافية: ميشيل فوكو، الأدب والنقد:رولان بارت وجيرار جينيت.......)، ولنا أن نتساءل الآن:ما هي مسوّغات هذا الامتداد؟وفيم تتمثل حدود تطبيق الإجراء البنيوي وآفاقه على الظاهرة الإنسانية بأبعادها المتعددة؟ إن ما يمكن لنا ملاحظته فيما يتعلق بإشكالية المنهج في العلوم الإنسانية، منذ نشأتها في القرن التاسع عشر، هو لهفة أصحابها في البحث عن منهج علمي يحقّق لهم معرفة أكثر دقة وموضوعية، ما أدى إلى استحضار نماذج علمية متطوّرة(الفيزياء والرياضيات وعلم اللسان) واختبار مناهجها في دراسة الظاهرة الإنسانية. وقد عرفت إشكالية تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية ثلاثة تصوّرات، وهي:

1-التصوّر الوضعي الفرنسي(أوجست كونت): يرى بإمكانية تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية وتحقيق نتائج دقيقة تضاهي نتائج علوم الطبيعة.

2-التصوّر المثالي الألماني(فيلهلم دلثي): الذي يرى استحالة تطبيق المنهج التجريبي على الظاهرة الإنسانية نظرا للخصوصيات التي تميّز الإنسان باعتباره فعالية روحية متغيّرة باستمرار، تنفلت من دائرة التنبؤ، فإذا كانت الطبيعة قابلة للتفسير فإن التأويل هو قدر العلوم الروحية.

3-التصوّر الإنجليزي(كارل بوبر): من الممكن أن ندرس الظاهرة الإنسانية دراسة علمية، لكن ليس بالضرورة بتطبيق المنهج التجريبي(الملاحظة-الفرضية-التجربة)، بل من الممكن أن نبتكر منهجا جديدا يلائم خصوصيات الظاهرة الإنسانية مثل المنهج البنيوي، والملاحظ هنا أن فكرة المنهج نفسها قد تعرضت للمساءلة، فالحقيقة العلمية ليست حكرا على المنهج الذي يقوم على أساس الملاحظة والفرضية والتجربة، بل إن جملة الخطوات المنسجمة والمتناسقة والمنطقية قد تمثل منهجا في العلم(عابد الجابري)...يقول كلود لفي شتراوس:"روّضت العلوم الإنسانية نفسها، منذ قرون، على النظر إلى العلوم الطبيعية على أنها نوع من الفردوس الذي لن يتاح لها دخوله أبدا، ولكن فجأة ظهر منفد صغير انفتح بين هذين الحقلين، والفاتح لهذا المنفد هو علم اللغة(الألسنية)"(عبد الغذّامي، 2006، ص07).

غني عن البيان أن العلوم الإنسانية قد وظّفت معطيات المنهج اللساني البنيوي(المحايث والسانكروني) في دراسة الظاهرة الإنسانية بأبعادها المختلفة(النفسي والاجتماعي والتاريخي والابستمولوجي) في سبيل تحقيق نتائج علمية وموضوعية...لكن هل كان هذا التوظيف ناجحا؟ بتعبير آخر: علم اللسان بمنهجه المتناسق، هل تمكّن من تخليص العلوم الإنسانية من أزمة المنهج التي تعيشها منذ زمن بعيد؟ نطرح هذا التساؤل بالنظر إلى جملة الانتقادات الشديدة التي وجّهت لأنصار التصورات البنيوية.

مفهوم البنية في التحليل البنيوي:

إن التحليل البنيوي كأداة منهجية، وطريقة في فهم الظواهر المختلفة يقوم على أساس تصوّر خاص للواقع المدروس، باعتباره ينتظم في شكل بنية(Structure)، وهذا ما عبّر عنه"كلود لفي شتراوس" حين أكّد أن:"كلّ شيء(شخصية، هيئة، مجتمع، ثقافة، آلة...) ما لم يكن معدوم الشكل، يملك بنية"(لفي شتراوس، 1977، ص326) ويرى"لفي شتراوس" أن ظاهرة ما لا تستحق أن يطلق عليها اسم بنية ما لم تتوفر فيها شروط أربعة، وهي:

أ-نطلق على ظاهرة ما اسم"بنية" عندما تكون عناصر تلك الظاهرة مترابطة فيما بينها، بحيث تشكّل أنظومة أو نسقا، تحكم العلاقة فيما بين عناصره قواعد محددة، بحيث إذا وقع تغيّر في أحدها، يترتب عنه تغيّر في باقي العناصر، وهذا يعني أن الظواهر لا ترقى إلى مستوى بنية إذا كانت العلاقات بين عناصرها علاقات اعتباطية أو تلقائية.

ب-إن أي تحوّل في عنصر ما ينعكس على باقي العناصر بحيث يعطي نموذجا يشكّل في حدّ ذاته بنية لها قواعدها، ويترتب عن ذلك أن هناك عددا من البنيات بقدر عدد التحولات التي تطرأ على البنية الأصلية، أو البنية المرجعية، أو التي ندخلها عليها.

ج-وفي ضوء ما سبق نستطيع التنبؤ بما سيطرأ على "بنية"ما إذا أحدثنا(أو حدث بها)تغييرا في أحد عناصرها.

د-إلى جانب ذلك يشترط في البنية التي يضعها الباحث كنموذج للتفسير أن تكون شاملة للوقائع الملاحظة وعلى الأقل للجوانب الأساسية للظاهرة المدروسة.(كلود لفي شتراوس، 1977، ص328).

وصفوة القول: إن للبنية معايير وضوابط، فليس بإمكان كل أجزاء أن تصنع بنية ما لم تتوفر لهذه الأجزاء علاقات عضوية منطقية وثيقة، بحيث إذا ما تم تغيير أو تعديل جزء من أجزاء المجموعة يتأثر الكل، بل يفرز بنية جديدة لتستحيل البنية الواحدة بفعل التحولات إلى بنيات مركبة عديدة، وهذا ما يؤكّد عليه قول ليفي شتراوس السابق الذي رسم القواعد والمعايير التي تجعل من مجموعة من الأجزاء بنية منسجمة.

التحليل النفسي في ضوء النموذج اللساني(جاك لاكان):

تتميّز أعمال"جاك لاكان Jacques Lacan(1901-1981)بتعقيدها البالغ، لكن أفضل طريقة لفهم معالمها الرئيسية هي مقاربتها في علاقتها الواضحة بالتحليل الأدبي، وخاصة إعادة قراءة لاكان لنظريات فرويد من خلال النظرية اللسانية عند العالم اللغوي السويسري دي سوسير(1857-1913).فقد أقرّ دي سوسير أن اللسان نسق عضوي منظم من العلامات اللسانية التي يتم تمييز بعضها عن بعض عن طريق الاختلاف، لا عن طريق تأكيد معان موجبة من جانب واحد، "لا يوجد في اللسان سوى الاختلافات"(فردينان دي سوسير، 2008، ص63). فعناصر اللسان تكتسب معناها من خلال علاقتها بعناصر أخرى داخل نسق من العلاقات.أما

انعكاس هذه الفكرة على النفس البشرية، فهو يعني تحوّلا جذريا في مفهوم المواقع الواضحة المحددة للشعور واللاشعور، وموقع الهو والأنا والأنا الأعلى.ويمتد هذا التحول بحيث تغدو مواقع الفرد في الحياة ومجال النماذج الأصلية هي الأخرى غير محددة المواقع، وعليه إن النظريه اللسانية عند دي سوسير تعمل على إنتاج نظرية للنفس ترتكز إلى عملية التوحد بوصفها نوعا من إساءة التعرف، وما يلازمها من رغبة لا تجد سبيلها إلى الإشباع فيتم إحباطها.ويعزي جاك لاكان أصل كبت الرغبة في التوحّد إلى ما يسميه بمرحلة المرآة"وهي تمثل قصة لاكان المعروفة عن استجابة الطفل الصغير الحماسية لصورته المنعكسة في المرآة"(زكريا إبراهيم، 1976، ص101)، إن نظرة الطفل إلى المرآة تجعله يلاحظ أولا انفصاله عن جسد الأم، ومن ثم يعي تحكمه في جسده، وما يتبع ذلك من قيود تفرض عليه، وثانيا، يتعرف على مدى التحريف والتشويه الذي يصيب جسده نتيجة لهذا الانعكاس، فالمرآة تعمل على انعكاس صورته كما تقوم بتسطيحها. تشير هذه القصة الرمزية إلى أن الذات غير الكاملة تكون في حالة دائمة من البحث عن التوحد مع الأنا المثالية كما أنها تعاني أيضا من عملية تحريف مستمرة لما تود تعريفه، ولا تؤدي مثل هذه المحاولات إلى الإحباط فحسب، بل تحاول الذات تجاوز هذا الإحباط عن طريق توليد رغبات تعدّ بمثابة القوة الدافعة لمحاولة توليد سلسلة من المعاني، فالنص، إذن، هو ذلك الافتقاد للمعنى الكامل والمحدد كما تناوله أنموذج لاكان.

أضواء على المنـهج:

يتجلى التجديد الجوهري الذي أحدثه"جاك لاكان" في نظرية التحليل النفسي في إيمانه بأن النفس البشرية تحدّدها بنيات اللغة، وهذه الفكرة هي في المقام الأول السبب الذي يجعلنا نصف لاكان بالبنيوي، "ويظلّ تأكيد لاكان على دور اللغو باعتبارها مشكّلة للذاتية ودور الذاتية باعتبارها قضية علاقات وتحوّلات بنيوية وليست باعتبارها كيانا قائما بذاته، يظلّ هذا التأكيد ثابتا طوال مراحل تطور فكره."(سيليا بريتون، 2006، ص322). لكن لاكان ينحرف عن مسار البنيوية بأشكالها التقليدية لأن أعماله المبكرة عن وظيفة الصورة في تطوّر النفس يمثل تباينا متواصلا مع التعيينات التي تفرضها اللغة.

لقد قام لاكان بإلقاء بحث في فعاليات مؤتمر حول التحليل النفسي في روما(1953)، يعرف باسم خطبة روما، حدّد فيه معالم موقفه المتمرد على التحليل النفسي التقليدي، وعرض لأول مرة أفكاره الخاصة والتي تتمحور حول مركزية اللغة"...ويجب علينا أن نفهم اللغة هنا بالمعنى العادي الخاص بالتواصل اللفظي_خاصة كالتواصل بين المحلّل النفسي والمريض من وجهة نظره_وكذلك بمعناه البنيوي الواسع الماثل في الوظيفة الرمزية عند ليفي شتراوس"(سيليا بريتون، 2006، ص322).

لقد وظّف لاكان مفاهيم اللسانيات البنيوية في سبيل تشييد صرح نموذجه النفسي، حيث استند إلى **دي سوسير** و**بنفنيست** و**جاكبسون**.

فاستمد من نظرية دي سوسير في العلامات الفكرة التي مفادها أن المدلول كما يوحي اسمه لا يعني سوى ما هو مدلول وليس له وجود بمعزل عن الدال، واللغة لا تلصق مسميات بحلقة من

الكيانات المتمايزة المعرفة مسبقا، بل تنحت في مجال لا يتمايز فيه الإدراك والتجربة باستخدام ملفوظات تقدمها العلامات.

كما استثمر لاكان أيضا منظور الكناية والاستعارة عند جاكبسون الذي قدّم أداتين منهجيتين من اللسانيات البنيوية وهما المحوران التركيبي والاستبدالي، ووضع نظرية بلاغية لهذين البعدين الكبيرين والمتعارضين من مجالات بنية اللغة:صورة الكناية التي تقرن العناصر على أساس التماس وهي تركيبية في الأساس لأن المفردتين حاضرتان في الوقت نفسه، في حين تعدّ الاستعارة إحلال شيء محل شيء آخر، وبالتالي فهي استبدالية.

كما تعدّ أعمال بنفنيست عن مكان الذات في اللغة التي كان لها تأثير كبير في النظرية الأدبية البنيوية عند تودوروف على سبيل المثال، ذات صلة أيضا بلاكان، حيث يرى بنفنيست بأن اللغة ليست بنية مغلقة على ذاتها خارج الذات ولا تقوم الذات إلا بمجرد استخدامها، ويوضح ذلك ببيان أن ملامح معينة في اللغة لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة إلى فعل الكلام الذي قيلت فيه، على سبيل المثال"أن"، "أنت" ليس لهما معنى معجمي ثابت، ولكن يقصد بهما من يتحدث ويستمع في أي مقام معين، ويؤدي ذلك ببنفنيست إلى القول بأن اللغة والذاتية معتمدان على بعضهما مطلقا:بنية اللغة ذاتها تعتمد على تضمين الذات بها، والعكس صحيح، حيث لا توجد ذاتية بدون القدرة على قول أنا، ولكن عندما أقول أنا من الواضح أن هناك حالتين ل"أنا" محل النظر، ويؤدي ذلك بدوره إلى زوج آخر من المصطلحات النظرية:ال"أنا الناطقة"وهي ذات الإبلاغ، و الـ"أنا المنطوقة وهي العلامة اللسانية الموجودة بالفعل في الكلام فهي فاعل البيان أو الجملة المبلغة(رينر إميج، 2005، ص271).

تتضافر هذه المعطيات الثلاثة في نموذج جاك لاكان، حيث يجعل منها شيئا مختلفا اختلافا دالا.تتمثل فكرة سوسير الأساسية في اتحاد الدال والمدلول في العلامة اللسانية، فهما متلازمان لا ينفصلان، إذا كان وجه الصفحة هو الدال فإن ظهرها هو المدلول ولا يمكن أن أمزق وجه الصفحة دون أن يتمزّق ظهرها.إلا أن لاكان شدّد على انفصالهما وصيغة العلامة عنده هي:د/م حيث يرمز الخط الفاصل للطريقة التي ينفصل بها الدال المهيمن عن المدلول تحته، أي أن الدال لا يتصل اتصالا مباشرا بالمدلول، ليس المعنى مجرد ملاءمة شكل صوتي، صوري، لمفهوم ما، ويؤدي عدم الاتصال هنا إلى علاقة لا متماثلة بينهما مؤداها أسبقية الدال على المدلول، بمعنى آخر، يهيمن الدال(وهو الوحيد الذي له وجود مادي)على المدلول الأكثر إبهاما ومراوغة:صار الاعتماد المتبادل عند سوسير اعتمادا من طرف واحد.

وما تجدر ملاحظته في ضوء ما سبق بيانه أن تأثر جاك لاكان بفكرة سوسير في تشييده لمفهوم العلامة اللسانية، لم يكن تأثرا نمطيا استهلاكيا،بل كان إبداعيا حيث كيّفه مع طبيعة دراسته، فإذا كان سوسير يرى بأن العلامة اللسانية تشبه الورقة وجهها هو الدال وظهرها هو المدلول، ولا يمكن تمزيق وجه الورقة دون أن يتمزق ظهرها، أي لا يمكننا بأي حال من الأحوال الفصل بين طرفي العلامة اللسانية(الدال والمدلول)، فإن لاكان يرى بأن الدوال تكون حاضرة(مثلا في كلام

المريض النفساني، أو في الحلم) من دون مدلولات جاهزة، هذه المدلولات التي تتطلب اجتهادا تأويليا يبذله المعالج النفساني بالاعتماد على مقولات التحليل البنيوي. وقد أثرت هذه الفكرة بدورها على حقل الدراسات النقدية في ما يعرف بفرضية التحويل، حيث عمد نقاد الأدب إلى تبني هذه الفكرة في تأويل النص الإبداعي.

نتائج الدراسة: خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:
أ-تعدّ فكرة البنيوية فكرة امتدادية، حيث تبنتها كافة العلوم الإنسانية منهجا، ومردّ ذلك طابعها العلمي المناسب لخصوصيات الظاهرة الإنسانية.

ب-يقوم مفهوم البنيوية على عنصرين أساسيين، وهما: التصور(كل شيء له شكل أو بنية تتحكم في استمراريتها قوانين داخلية منسجمة)، والمنهج(ويعرف بالبنيوي وهو الكفيل بتحديد العلاقات بين الأجزاء المكونة للبنية).

ج-جدّد(جاك لاكان) مقاربة الظاهرة النفسية بتبنيه مقولات التحليل اللساني البنيوي، حيث جعل اللاشعور شبيها بالبنية اللسانية، وقام بدراسة النفس الإنسانية دراسة بنيوية(وهي دراسة منحها الاتجاه البنيوي صرامة منهجية وبعدا علميا).

د-حدد جاك لاكان معالم منهجه البنيوي، حيث اعترف بتأثره بسوسير في مفهوم العلامة اللسانية، إلا أنه أدخل على العلاقة بين الدال والمدلول تعديلا يتوافق وطبيعة الدراسة النفسية، كما تأثر بالتحليل الأفقي والتحليل العمودي(الاستبدالي) للكناية والاستعارة عند رومان جاكبسون، بالإضافة إلى فكرة بنفنيست المتمحورة في علاقة اللغة بالذات.

خاتمة:
مما سبق بيانه نخلص إلى أن جاك لاكان يعدّ بحق مجددا في حقلي التحليل النفسي واللسانيات، وقد فتح في الوقت نفسه، طريقا جديدة أمام النقد الأدبي...فقد جدّد لاكان نظرية التحليل النفسي، ويستند بحثه إجمالا على وسيلة وحيدة هي الخطاب، فتفسير كلام المريض يتطلب تأويلا ذا طراز أسلوبي، مما يعني إجراء إحصاء للصور البيانية، صور المجاز الملازمة لهذا الخطاب.والاتجاه الجديد الذي أسسه لاكان في التحليل النفسي يكمن في وصف العقل الباطن(اللاوعي) كبنية، وقد دخل التحليل النفسي مع لاكان في هذا التيار الفكري الواسع الذي يسمى البنيوية والذي برهنت منهجيته على ديناميكيتها في علم اللسان والأنثربولوجيا والإثنولوجيا وحتى في النقد الأدبي...لقد تبنى لاكان أفكار علم اللسان البنيوي وطريقته، وقد وسّع آفاقه وآفاق النقد الأدبي أيضا، ويُرجع لاكان الفضل في كتاباته إلى اللسانيين الذين يعتبرهم رواده من أمثال سوسير وبنفنيست وجاكبسون.

قائمة المراجع:
1.إبراهيم، زكريا(1976). مشكلة البنية، مكتبة مصر، القاهرة، ط1.

2. رينر، إميج(2005). النقد الأدبي واتجاهات التحليل النفسي، (ترجمة فاتن، مرسي)، موسوعة كمبريدج للنقد الأدبي، المجلد التاسع، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1.

3. سيليا، بريتون(2006). النظريات البنيوية وما بعد البنيوية، (ترجمة جمال، الجزيري)، موسوعة كمبريدج للنقد الأدبي(من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية)المجلد الثامن، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط1.

4.عبد الله، الغذّامي(2006). الخطيئة والتكفير، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط6.

5. فردينان، دي سوسير(2008). محاضرات في علم اللسان العام، (ترجمة عبد القادر، قنيني)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1.

6.كلود، لفي شتراوس(1977). الأنثربولوجيا البنيوية، (ترجمة مصطفى، صالح)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ط1.

7.مصطفى، غلفان(2013). اللسانيات البنيوية:منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1.

الإطار الاجتماعي للسلطة قراءة ماكرو سوسيولوجية للنظام السلطوي والمعرفة في المجتمع الطبقي- بين الترشيد والهيمنة: القوة، المعرفة، الرمزية قضايا جدلية –

ط.د شرقي صبرينة، جامعة الجزائر 2- الجزائر

ملخص: تعتبر السلطة مصدر مختلف الممارسات التي ينتجها الفاعلون حيث تقدم سلسلة من القواعد التي توجه التفكير وتحدد الوعي والوجود إذ تنظم المعيش والعلاقات وفق قواعد ولوائح تنظيمية، وتستمدّ السلطة من مقومات تمكنها من اكتساب الشرعية في شكلها الظاهر المعلن أو الرمزي وبالتالي فرض الولاء كما يتم السعي إلى تسخير كافة الوسائل للحفاظ عليها واستمرارها لاستمرار التنظيم في شكله الراهن ومن المهم تحليل هذه الأسس والمعايير التي تبنى عليها القرارات والممارسات السلطوية وأشكالها المختلفة، وتحليل الفلسفة والإيديولوجية التي توضح الأهداف السياسية الموضوعة للنظام الحاكم لذلك تهدف الدراسة إلى قراءة وتحليل منظومة التفكير السلطوية الخاصة بالتنظيم والتي تحدد أهدافه وفقا لها بناء على نوعية الانتماء الطبقي والكيفية التي تكتسب بها الشرعية وتحليل الأسباب التي تروم من خلالها إلى الرغبة في استمرارية النظام وهذا بالاعتماد على وحدات التحليل السوسيولوجي الكبرى وهي النظرة الشمولية أو الكلية للنظام.

الكلمات المفتاحية: الإطار الاجتماعي، المعرفة، النظام، السلطة، المجتمع الطبقي

Social framework of Authority Macro Sociological Reading of the Authoritarian System and Knowledge in Class Society - between Rationalization and Domination: Power, Knowledge, Symbolism, Dialectical Issues -

Abstract: Authority is the source of the various practices produced by the actors, as it presents a series of rules that guide thinking and define consciousness and existence as it organizes livelihood and relationships according to organizational rules and regulations, and power derives from the elements that enable it to acquire legitimacy in its apparent, declared or symbolic form, and thus impose loyalty as the pursuit of harnessing All means for preserving and maintaining the organization in its current form

and it is important to analyze these foundations and standards on which authoritarian decisions and practices and their various forms are based, and to analyze the philosophy and ideology that clarify the political objectives set for the ruling system. Therefore, the study aims to read and analyze the organization's authoritarian thinking system, which defines its objectives according to It is based on the type of class affiliation and the manner in which it acquires legitimacy and the analysis of the reasons through which it seeks the continuity of the system, and this is based on the major sociological analysis units, which is the holistic or holistic view of the system.

Key words: Social Framework, Knowledge, System, Power, Class society

مقدمة:

تعددت الدراسات والأبحاث التي اهتمت بتحليل القضايا التي تأخذ على عاتقها مفهوم **السلطة** بتعدد **النزعات** التي تشكل **التصورات** وفقا لمقتضيات الموقف الاجتماعي وسماته والذي يصف مساعٍ معينة وقرارات تمس تنظيم المجتمع على الشاكلة التي تراها هذه الفئة وتتصور مآلها في النهايةٍ، فتحدد ما يجب أن يكون وفق المنطق الذي يحدده وجود الأفراد في تلك البنية الاجتماعية التي تضمهم وتحدد أدوارهم وتساهم في تنظيم معيشهم وهو السائد وفق نمط التنظيم الاجتماعي للحياة الاجتماعية في كل المجتمعات.

تحديد المشكلة:

السلطة من المفاهيم التي تعنى السوسيولوجيا بدراستها بناء على منظورات تستدعي التحليل الإبستيمو سوسيولوجي لاتجاه تشكلها فتستدخل أنماط من المتغيرات التي تشرحها بالكيفية التي تمكننا من التعمق فيها على نحو **جدلي** وهو ما جاء في أغلب التحليلات التي تضيف مفاهيم غير تلك التي تناولتها التحليلات الكليانية عن نفسها حتى تدل على جانب واحد من القضية، بينما الأمر بحاجة إلى تحليل عدة جوانب تقتضي الجدل حتى تُفهم قضية السلطة/السلطوية، وليس العرض الذي يحفز الفهم الموضوعي دون الولوج إلى تفاصيل الظاهر والخفي، الآليات، الأساليب، الوسائل الأغراض، حيث كانت كثيرا من تلك التحليلات تلتمس مقولات تشملها معان ظاهرية ورمزية خفية للسلطة حيث تتحدد بمفاهيم تُعنى **بتشكيلة** المجتمع التي تحدد **الوجود**، الإرادة **العامة** أو **الخاصة**، مفهوم **القوة**، نوع المعرفة ووظائفها كتقسيم العمل، كيفية توظيف هذه القوة، كما تعددت مستويات التحليلات التي تناولها العلماء والمتخصصين في علم الاجتماع وبالتالي انقسامها إلى مؤيد ومعارض طبقا للنصوص التي تعبر عن مختلف قرارات الفئة السلطوية

لإبراز نواياها مستخدمة كل تلك المفاهيم في ظل تطورها وبالتالي **تشعب حاجاتها** ضمن **حاجات المجتمع** لتتدخل تلك الإرادة التي تخطط للأهداف تتجه لتحقيقها وفي ذات الوقت تتجه إلى تنظيم المجتمع المعقد وشبكة العلاقات به.

الآن وفي ظل **الإطار الاجتماعي** الذي تفعل فيه تلك الفئة السلطوية وتحديد القوانين بالإضافة إلى المساهمة من خلال هذه المعرفة التي تخصها وبناء على النزعة التي تستمدها من الطبقة الاجتماعية التي تكتنفها تتجه الدراسة إلى تحليل أنموذج الفعل السلطوي في ظل النظام السائد، ومقومات السلطة على هذا النحو وكيف يتم توظيفها في مدى ترشيد القوة لحصول التنظيم **البيروقراطي المشروع** الذي لم يقترن بعد بالأسس التي تتشابك وتداعيات **الإرادة الخاصة** في استغلال الشرعية للخوض في مجريات تتخذها توجهات معارضة للسلطة موضوعا لها، وذلك بعرض بعض النماذج المناسبة في التحليل.

الأهداف: تهدف الدراسة إلى:

- تحليل المفاهيم الرئيسة ووضعها في سياقها لتوضيح **السياق** السلطوي العام بناء على السمات البنائية للطبيعة الاجتماعية.

– السعي للكشف على نمط مختلف الممارسات بالشكل الذي يتيح التعرف على ما هو **ظاهري** وما هو **رمزي** في بناء العلاقات وأساليب شرعنتها.

– تحليل الأغراض والمساعي التي تروم إلى تكييف الممارسة وطبيعة الواقع الاجتماعي الذي يحدد سمات **الوجود** المرتبط **بفئات** الأفراد ونتائج ذلك.

أي من حيث كون الممارسات السلطوية محددة بناء على طبيعة الوجود الإنساني في هذه الطبقة وكيفية السعي لتكييف هذه الممارسات مع هذه السمات، وما ينتج عنه من ترشيد أو هيمنة والتعرف على تداعيات ذلك كله

1.مناقشة بعض المفاهيم:

الإطار الاجتماعي Social framework:

يشير مفهوم الإطار الاجتماعي إلى النمط الاجتماعي الخاص بالتجمع الإنساني فيحدد طبيعته الاجتماعية من حيث مجموعة من المقاييس التي يشتركون فيها كما يشمل مجموعة الأنماط الاجتماعية كتجليات الجماعية، الطبقات الاجتماعية، وتتبدل سماتها بتبدل المجتمعات التي تتدرج فيها، ويلاحظ في هذا المقام الجدل بين **الجزئي** و**الكلي** ولكن حينما يرتبط الأمر بما هو حضاري خاصة بأشكال المعرفة فليس بإمكان المعارف والثقافة الجماعية التي ترتكز عليها المعرف أن توضع موضع العلاقة إلا مع المجتمعات الشمولية والطبقات الاجتماعية نظرا لأن هذه الإطارات

الاجتماعية تؤثر بشكل كبير على المعرفة الخاصة بالتجمعات (جورج غورفيتش 2008، ص 73- 74).

والجماعات بهذا الشكل تمثل إطارا اجتماعيا قابل **للبناء** ويتأتى هذا البناء من كون هذه الوحدة تتحقق من خلال التناغم في مظاهر الحياة الاجتماعية، والمواقف الجماعية، والأفعال، ومن جهة ثانية تُعنى بتوازن هرمية المراتب والانتظام الاجتماعي، ويتأتى كذلك من الدور والمكانة التي تحتلها في الهرمية الخاصة للتجمعات المميزة لمجتمع شامل معين(جورج غورفيتش، دس، ص 90).

لذلك تم التوجه في هذه الدراسة لتحليل **الطبيعة الاجتماعية** للتجمعات الشاملة حيث تعتبر أساس التجمعات الجزئية من الناحية **البنائية** التي تتشكل بفعل **قوى التنظيم** وممارساته هذا من جهة وتتحكم في المنتجات المعرفية الخاصة بها من جهة أخرى بالإضافة إلى ارتباط نمط السلطة بنوع المعرفة المنبثقة من نوع الإطار الاجتماعي ومن ثمة يرتبط مستوى التحليل بخصوصية الموضوع في حد ذاته.

كما نجد أنه ثمة من استخدم منهجية تحليل الإطار الاجتماعي أمثال البروفيسور **ويليام تي بيلبي** لاستنتاج أن هناك وجهين من أوجه ثقافة شركة وول مارت الأمريكية وهما سياسة الموظفين المركزية واتخاذ القرارات الموضوعية الإدارية في المجال، قد أدت إلى ظهور التمييز على أساس الجنس في القرارات المتعلقة بالتعويض والترقية (ويكيبيديا).

المعرفة Knowledge: عند الحديث عن المعرفة الإنسانية فإننا نربطها **بالسياق التطوري**، فما كان سابقا في الحصيلة المعرفية للإنسان يبدو متطورا حاليا بناء على تطور المجتمعات وبالتالي منظومة تفكيرها، حيث يعرفها الدكتور **إبراهيم أبراش**: مجموعة المعاني والآراء والمعاني والمعتقدات والحقائق التي تتكون لدى الإنسان نتيجة محاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به، تتسم غالبا بالتطور والنضج لأنها معرفة منظمة وممنهجة تقوم على أساس التفكير العلمي، فالمعرفة إذن وانسياقا لمبدأ التطور تطورت مع تطور العقل الإنساني لأن المعرفة حصيلة لهذا العقل وهي التي تحدد وتحكم على مدى نضج العقل الإنساني وإدراكه، وقد اهتم العديد من المفكرين والفلاسفة اعتمادا على مبدأ التطورية بتطور المعرفة الإنسانية بين **العقل المفكر** أو الفاعل وبين **أنماط الحياة** و**الفعل الإنساني** مثل العلامة **ابن خلدون** عندما يتحدث ع مراحل التحول من حياة البداوة إلى حياة الحضر، يربط بذلك بتحول أنماط التفكير حيث توجد علاقة جدلية بين المعرفة السائدة وبين ما أطلق عليه العمران البشري وبنفس الطريقة يشرح ذلك **أوغست كونت** مقتديا في ذلك بأستاذه **سان سيمون** حيث حدد ثلاث مراحل للمعرفة الإنسانية: **اللاهوتية، الميتافيزيقية الوضعية**، وهو ما يدل على أن المعرفة الإنسانية وليدة شروط موضوعية وتاريخية (إبراهيم أبراش، 2008، ص 23- 22).

وهو ما يلحّ على ضرورة تحليل الإطار الاجتماعي أو طبيعة البنية الاجتماعية على النحو الذي تتشكل به بناء على سمات العصر الذي تشغل فيه لفهم نوع المعرفة السائدة والتي تشكلت على النحو الذي اتخذه المجتمع حتى نفهم نوع التنظيم ومختلف الممارسات الهرمية والتراتبية التي تحدد بدورها نوع الأهداف المتجددة والمتطورة في سبيل التنظيم وترشيد القوى التنظيمية وبسط النفوذ وترتيب العلاقات والممارسات التي تكفل الاستمرار لهذا النظام.

المعرفة في علم الاجتماع: خاضت المعرفة في علم الاجتماع تجارب فكرية وتأثيرات ثقافية متناقضة وسادت بذلك **الأحادية المنهجية** وأصبحت المعرفة في علم الاجتماع هي السائدة في الجامعات وتوازى هذا العلم والفروع العلمية المختلفة واتخذ مفهوم المجتمع ومشكلاته الأساسية حيث يعرّف كمجموع موحدا ومتكاملا قابل للتفسير انطلاقا من مبدأ واحد (جيوفاني بوسينو، 2008، ص5)، حيث يشير التحليل في ظل هذا العلم إلى أمرين: دراسة منهجية للقوانين التي تحكم الكل الاجتماعي، والثاني يشمل الدراسة المنهجية للمجموعات الاجتماعية والظواهر الاجتماعية بما يسمح صياغة بيانات عامة وتتأسس الدراسة المنهجية والتحليلية على مقولات ذات طبيعة فلسفية تُصاغ بحيل مختلفة يبقى أهمها حتى اليوم اختزال المعرفة في بُناها الشكلية (جيوفاني بوسينو، دس، ص21).

لذلك برزت حتمية تحليل البُنى المعرفية في شكلها المُصاغ على أساس السمات الاجتماعية للمجتمع في رؤيته الكلية لفهم خفايا هذا التشكل والذي يستخدم فيما بعد لصياغة أنموذج للممارسة التنظيمية على أساسه **لتبرير الشرعية** في اتخاذ القرارات وسن القوانين على الجماعة بهذا الشكل باعتباره نظاما كاملا يشمل مختلف الأبنية الفرعية والتي تفعل فيه مختلف العلاقات **تراتبيا** ولا يمكن أن ننكر أنه ساد فيما بعد التحليل على مستوى الوحدات الصغرى بنقد المعرفة في علم الاجتماع والتي تدعو إلى النظرة الجزئية بالإعلاء من شأن الذات واستخدام مناهج تستنطق العالم المعيش لتحليل مختلف الرموز والتفاعلات، إلا أن الهدف من هذا التقصي يتضح بشكل أعمق من تحليل **الوحدة النظامية** أكثر من الوحدة الجزئية المرتبطة بالذات، وقد برزت من التوجهات المعرفية في علم الاجتماع فيما بعد محاولات تمزج بين الوحدتين على حد سواء.

النظام The system: يعرف بأنه كيان متكامل يتكون من أجزاء وعناصر متداخلة، تقوم بوظائف بينها علاقات تبادلية من أجل أداء وظائف أو أنشطة محصلتها النهائية بمثابة الناتج الذي يحققه النظام كله ويعرّف كذلك بأنه الكل المركب من مجموعة من عناصر لها وظائف، وبينها علاقات شبكية تتم ضمن قوانين، وبذلك يؤدي الكل المركب في مجموعه نشاطا هادفا، وتكون له سمات مميزة، وعلاقات تبادلية (محمد سليمان الريحانة، 2013، ص3) بناء على ذلك نستخلص أن النظام هو عبارة عن **بنية** أو **بناء** يتكون من ثلاث عناصر رئيسية: **الأجزاء الفرعية** تكون النظام الكلي، تشمل مجموعة من **العلاقات التبادلية**، تُمارس مجموعة **من العمليات المتخصصة**، لتحقيق **أهداف معينة.**

النظام الاجتماعي Social system: إن أهم فكرتين بالنسبة لدراسة موضوع الحفاظ على الجماعة هما: فكرة **التكامل**، أو التضامن، وفكرة **التشكل النظامي**، وتعي فكرة التشكل النظامي ضرورة البحث عن سبل تأكيد التعاون بين أفراد الجماعات، خاصة بالنسبة للمجتمعات غير المستقرة اقتصاديا وسياسيا، ويمكن الإشارة أن مفهوم النظام ليس له معنًا واحدا بحدّ ذاته في تراث علم الاجتماع المعاصر فثمة من يركز في تعريفه له على القواعد والبعض الآخر على الأدوار التي تُجسّد تلك القواعد وتضعها موضع التنفيذ الفعلي فالنظم الاجتماعية -كما يعرفها البعض- عبارة عن مجموعة قياسية ذات مواصفات موحدة

من القواعد والميكايزمات والسلطة التي تعمل على تنفيذ تلك القواعد وتضعها موضع التنفيذ، وهناك تعريف آخر للنظام الاجتماعي: النظم الاجتماعية النماذج المنتظمة من العلاقات الإنسانية المنظمة، وهي من فعل **الإرادة** الجمعية وتستمر بفعل هذه الإرادة نفسها، كما يُعرّف على أنه نماذج من الفعل تتميز بالثبات والاستقرار النسبي وبالتنظيم الدقيق، وهي تفرض **بقوة** الإلزام الرسمي في المجتمع وهي تعمل لخدمة وظائف اجتماعية محددة يعدّها ذلك المجتمع حيوية لبقاء الجماعة واستمرارها.(محمد الجوهري، 2007، ص133) ونجد في التراث السوسيولوجي من يؤكد على كون النظام الاجتماعي **جبريا** يستمر ويحافظ على بنيته من خلال هذا التضامن ما نجده في أعمال **إميل دوركايم** بقوله :" أما المجتمعات الحديثة (أي المجتمع الرأسمالي الصناعي) فأفراد المجتمع يختلفون في عدة نواحي مثل الخبرات التي يمرون بها وتنشئتهم الاجتماعية وبعبارة أخرى يختلفون نظرا **لتقسيم العمل** فيما بينهم ويسود في هذا المجتمع ما يسمى بالتماسك العضوي **Organic cohesion** وهذا التماسك يصاحب التقسيم المعقد الذي تتصف به المجتمعات الصناعية(سمير نعيم أحمد 2006، ص 104).

السلطة Authority: يعرفها قاموس علم الاجتماع: أنها قدرة الفرد أو المؤسسة على فرض نفسها على الآخرين فتنشأ علاقة اجتماعية بين الفاعلين على أساس من**عدم التماثل** Frédéric (Lebaron,2009,p20) وتعددت تعريفات السلطة بتعدد التوجهات الفلسفية السوسيولوجية عبر العصور أي ضمن **الديناميكية** التي عرفتها الأنظمة الاجتماعية ذلك أنه كثيرا ما تم شرح السلطة في ظل تعلقها وارتباطها بالنظام حيث كان كثيرا ما يصطلح عليها **بالسلطوية** تبعا لأنموذج الفعل النظامي.

حيث نجد الباحث والأستاذ **أرنو لد لو كلير** في درسه: **الأنظمة غير الديمقراطية: الاستبداد والشمولية** يقدم تعريف للسلطة في ظل ارتباطها بالنظام بالنسبة للتعريف الكلاسيكي لها أنها قد ارتبطت **بالاستبداد** عند اليونان حيث كانت تفرض العبودية

ومصادرة الممتلكات من قبل الحكام آنذاك، ثم تلي تحليلات المحدثين للسلطة في ظل العقلانية الحديثة كأداة لتبرير **الهيمنة (**Arnauld Leclerc, p9,10).

يعرّف **أنتوني جيدنز** السلطة بكونها: استخدام الحكومة للقوة بصورة مشروعة في هذه الحالة فإن الشرعية تعني أن الخاضعين لسلطة الدولة يُظهرون اقتناعهم ورضاهم عن سلطة الحكومة، بهذا المفهوم فإن القوة تختلف عن السلطة (أنتوني جيدنز، 2005، ص164).

السلطة بهذا المفهوم تُؤسس على مبدأ **ترشيدي** للسياسة وقواعد تنظيم المجتمع وبالتالي تُعطى للقوة معنى يجسد هذه السلطة في ظل هذا المبدأ مما يثبت الرضا الجمعي عنها تبعا لنوع **الإرادة السلطوية** لكن إذا ما كانت السلطة تتسم بنوع خاص من الإرادة فإن القوة غير تلك القوة التي تحدد السلطة بمبدأ الترشيد وبالتالي ثمة تغير في المبدأ ومن ثمة الهدف وهذا بناء على الإطار الاجتماعي للجماعة السلطوية وسيتم توضيح ذلك في العنصر المتعلق بالوجود والمكان ضمن المجتمع الطبقي وهذا هو أساس التحليل في هذه الدراسة

المجتمع الطبقي/الطبقة class / class society: تعرّف الطبقة حسب قاموس علم الاجتماع **لرايمون بودون** وآخرون: مصطلح يستعمل في المعنى العام للدلالة على مجموع من الأفراد تظهر عليهم صفت متجانسة- مماثلة أو متباينة وهي عبارة عن أشكال يمكن أن تتخذها تصورات تبنى حول المجتمع **حول التفاوتات الاجتماعية** التي توجد فيه وتنظيم هذه التفاوتات ومآلها (Raymond Boudon , 2003, p 32).

فبين كل التصورات التي قد تكون موجودة حول موضوع التفاوتات يشغل بعضها مركزا متميزا وهي تصورات **"الخبراء"** فالبناءات العلمية المنجزة في مجال التفاوتات والبنية الاجتماعية ليست سوى مجموعة من التصورات التي يكونها بعض الأعضاء المتميزين في هذا المجتمع، هؤلاء الذين يحترفون التنظير(يانيك لوميل، 2008، ص8) إن المتمعن في هذا التعريف يفهم أن أهم سمات المجتمع الطبقي هي **التفاوت** الذي يشير إلى **التصور** حوله من وجهة نظر **المتميزين** وهذا التصور

يسعى أولئك المتميزين توضيح شرعيته من خلال التنظير لهذا فمن المهم فهم **نوع المعرفة** التي تنبثق من هذا الإطار الاجتماعي الذي يصف **التفاوت** ويحاول إضفاء **الشرعية** لكل ممارساته السلطوية وتبريرها **علميا** طالما أن مبدأ الفوقية هو القائل. فنجد ماكس فيبر يشرح هذه المقولة في كتابه: البروتستانتية وروح الرأسمالية أن **الغالبية** للطابع البروتستانتي من حيث ملكية رأس المال وريادة الأعمال والمتمثل في الطبقة العليا **المتعلمة** (Max Weber, 2006,b11).

2.السلطة والتفاوت الطبقي عند ابن خلدون:

عندما يتحدث العلامة ابن خلدون عن السلطة فإنه يشرحها في ظل ثلاث متغيرات رئيسة وهي: **المال** و**الجاه** و**العصبية**، حيث يعرف **الجاه** بكونه **القدرة** الحاملة للبشر على التصرف في من تحت أيديهم من أبناء جنسهم بالإذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة لحملهم على دفع مضاربهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة، والسلطة التي تملك الجاه تتصرف فيه وتوزعه من الأعلى والأسفل صاحب الملك مثبت **بقوة العصبية**، ويمكن حصول الجاه عند ابن

خلدون ارج دائرة الملك أي بفضل الشرف والعلم لأنهما يستمدان شرعيتهما من **الدين**، بينما يبقى **المال غير مستقل عن الجاه** في بناء التراتب الاجتماعي ولا بد من تدخل السلطة في بناء الهرم التراتبي للخاصة لترتيب المقربين والموالين لها(بعزيق صالح، 2020 ص 168- 169).

بالنظر إلى التحليل الخلدوني للسلطة بهذا معنى يمكن التوصّل أنه إن كان الجاه والفعل السلطوي يقتبس من التعاليم الدينية الإسلامية فهذا دليل على **منظومة الترشيد** ترشيد السلطة الموضوعة في خدمة الأفراد الموالين لها وتنظيم حياتهم وعلاقاتهم وفق **العدالة الاجتماعية**، ومن ثمة تحقيق التوازن نظرا للاستجابات المكللة بالقبول.

والسؤال المطروح في هذا الصدد وبالنسبة للمجتمعات التي تتحدد **معرفتها** من المواضيع التي تستبعد المفاهيم الدينية والشرائع والتي تقول بعدم المساواة بصيغ ومعادلات علمية لشرعنة التفاوت القائم بين الأعضاء على أساس مادي قوامه القوة المادية– على حد تعبير المحللين- الرأسمالية إذن كيف سيكون نمط السلطة وطبيعة التعايش في ظل **اللامساواة** والتي تشير إلى ظهور قوى متصارعة نظرا للاستجابات المكللة بعدم القبول، وهو ما يدل على **الارتباط الوثيق** بين **الإطار الاجتماعي** للمتميزين وطبيعتهم التراتبية التي تصنع تفاوتهم ماديا وتسخير الجهود لبناء معرفة تبني الوعي لشرعنة الممارسة، وبالتالي الارتباط **بنوع المعرفة** المقدمة تتحدد **الأهداف** وتخطط الكيفيات فيما بعد، فكل طبقة والمعرفة الخاصة بها

3.**الطبقة اجتماعية - البرجوازية- قوتها ونظامها المعرفي والسلطة:**

في عصر ازدهار الطبقة البرجوازية في القرن التاسع عشر كان **أرباب العمل** الكبار من خيرة المنظمين والمحاسبين، والمقاولين المتنورين، الكرماء وأصحاب العمل الخيرية نجد أنهم هم الممثلين للشرعية أكثر غنى في البرجوازية، وقبل انحلالها وتطور مزاعمها تملك وعيا طبقيا متفائلا وموسوما بالثقة في التقدم تقني واقتصادي لا محدود، وهذا مقابل الوعي الطبقي الفلاحي المنكمش فيظل طموح الوعي البرجوازي الذي يتطلع للانتشار العالمي، إن البرجوازية بهذا الشكل تبرز كمركز خصب خاصة للمعرفة ومعظم أنواعها، فالنظام المعرفي المتطابق مع هذه الطبقة يتميز بتداخله مع المعرفة: **العلمية** و**التقنية** و**الإدراكية للعالم الخارجي** وكذا الربط بينه ومن ثم **وصولها للسلطة**(جورج غورفيتش، ص 133- 132).

كذلك يمكن الحديث عن قضية أخرى إلى جانب المعرفة وهي **الأخلاق المهنية** والتي تدخل في إطار التخطيط للتربع على السلطة حسب تعبير ماكس فيبر في كتابه البروتستانتية وروح الرأسمالية.

كما نجد قضية الطبقات والصراع الطبقي قد حُددت بناء على **القوة المادية** في شكل ديناميكي وأهم من كتب في ذلك الماركسيون حيث لا تنفصل هذه الفكرة عن جذورها التاريخية في **الصراع** على أرض الواقع من وجهة نظر تغيير النظام الاجتماعي ليس فقط في شكل السلطة(جورج لاباساد، 2011، ص85).

من خلال ذلك نفهم أن السلطة يمكن أن نعبر عنها بناء على متغير **القوة المادية** و**المعرفة** والإطار الاجتماعي الموسوم بنظام **التفاوت الطبقي** بمفهوم أقرب إليها ألا وهو **السلطوية- الهيمنة** كأنموذج للممارسات، كما لم يتم التخطيط لكل تلك المساعي بالوجه الذي يوصف بما **يبدو لنا واقعيا** بالقدر الذي كانت **الرمزية** الأساس الذي يُخفي الأهداف من وراء **تكوين رأس المال** للحفاظ على المكانة والسلطة واستمرار الهيمنة بالشكل الذي يضمن ذلك من خلال سمة التوارث والتي حددها العلامة ابن خلدون بالعصبية.

4.بيير بورديو والسلطة الرمزية أداة للهيمنة:

تخدم الإيديولوجيات المصالح الخاصة وتسعى إلى تقديمها كما لو كانت مصالح جماعية تترك فيها الجماعة بكاملها، فتعمل الثقافة السائدة على التكتل الفعلي لأفراد الطبقة السائدة لكونها تضمن التواصل المباشر بين جميع أعضائها وتميزهم عن غيرهم من الطبقات، وهي تساهم بهذا في خلق **التكتل الوهمي** لأفراد المجتمع، بالإضافة إلى ذلك فهي تعمل على تبرير النظام القائم وذلك **بإقرار الفروق** و**إقامة المراتب** و**تبريرها**، تنتج الثقافة السائدة مفعولها الإيديولوجي **بتغليف وظيفة التقسيم** وإخفائها تحت **وظيفة التواصل (والتكامل)**، فالثقافة الموحدة- **كوسيلة تواصل**- الثقافة **الفاصلة المقسمة (أي أداة للتمايز)** التي **تبرر الفوارق** بإرغامها مختلف الثقافات التي تعتبر ثقافات دنيا أن تتحدد بابتعادها عن الثقافة السائدة، وهو ما يسمح **بتوفير رصيد من السلطة الرمزية** حيث تؤدِي وظيفتها من حيث هي أدوات **لفرض السيادة** وإعطائها صفة **المشروعية** التي تساهم في ضمان **هيمنة** طبقة على أخرى (العنف الرمزي)بمعنى فرض تصور عن العالم يكون أكثر ملائمة لمصالحها (بيير بورديو، 2007، ص50-51) بناء على هذا التحليل يمكن إضافة المتغير أو الميكانيزم المسؤول عن إضفاء **الشرعية** لحصول قبول السلطة من وجهة نظر السلطويين وهو **الرمزية**، مما يؤدي إلى **تغييب الوعي** و**تزييفه** وفقا **لمتطلبات الإرادة الخاصة** رغم وجود الكثير من الأعمال والجهود التي تسعى إلى إخفاء كون النظام القائم يفرض قواعد الفعل بناء على نوع السلطة لتنظيم وتحسين الحياة الاجتماعية مثل ما أدلى به **تالكوت بارسونز** حول النظام ، وتقسيم ماكس فيبر للسلطة محددا بذلك نماذج للفعل كما حدد سمات **الفعل المثالي** الذي يسعى إلى ترشيد الممارسات والعمليات حيث ذكر **بارسونز** في مقال له حول **النظرية السوسيولوجية وآفاقها:** إن الحاجات الوظيفية سواء أكانت مصدرها بيولوجية اجتماعية ثقافية أو فردية تتم تلبيتها إذا كانت تنتمي إلى النظام، إن الأدوار المؤسَّسة إذا اعتبرناها من وجهة نظر وظيفية تمثل الآلية التي تندمج من خلالها كل ما يتعلق بالطبيعة الإنسانية في نظام شامل وموحد قادر على مواجهة وضع ما يواجهه المجتمع وأفراده (دانيال كلود إيشودميزون، 2010، ص80). وبعيدا عن التحليلات الفيبرية التي تُخضع السلطة لممارسات القوة والطبقة نجد أن ماكس فيبر يؤكّد من جهة أخرى على الفعل العقلاني الرشيد في ممارسة السلطة من خلال النموذج المثالي. ويؤكّد على أن السلطة هي أكثر العناصر المهمة للفعل الاجتماعي ويقسمها إلى ثلاث أقسام: التقليدية والكاريزمية والعقلانية (فيليب جونز، 2010، ص129) إلا أنه لا يمكن

إغفال دور **الإرادة** في إنتاج نوع من **التعارض** بين **العام** و**الخاص** كما برز ذلك في تحليلات **جان جاك روسو** في كتابه **العقد الاجتماعي**

5.الإرادة العامة والإرادة الخاصة:

يولد الإنسان **حرا**، و**يوجد** الإنسان **مقيدا**، وهو يظن أنه سيد الآخرين، وقد يظل عبدا أكثر منهم، كيف حصل هذا **التغير**؟ يشرح الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو هذه المقولة بقوله: (Jean Jacques Rousseau, 2015, p 7).

إذا كانت الدولة أو المدينة لا تُعدّ غير شخص معنوي تقوم حياته على اتحاد أعضائه، وإذا كانت سلامته الخاصة أهم ما تُعنى به وجب أن تكون له قوة عامة قاهرة لتحريك وإعداد كل قسم على أكثر الوجوه ملائمة للجميع وكما أن الطبيعة تمنح كل إنسان سلطة مطلقة على جميع أعضائه يمنح الميثاق الاجتماعي الهيئة السياسية سلطانا مطلقا على جميع أعضائها أيضا، هذه السلطة نفسها، وهي توجهها **الإرادة العامة** تحمل اسم السيادة، ولكن إذا عدونا الشخص العام وجب علينا أن ننظر إلى الأشخاص الخاصين الذين يتألف منهم والذين يستقلون عنه حياة وحرية بحكم الطبيعة وعليه علينا أن نميز جيدا حقوق المواطنين وحقوق السيد المتقابلة وأن نميز الواجبات التي يجب أن يقوم بها المواطنين كرعايا من الحقوق الطبيعية التي يجب أن يتمتعوا بها كأناس، و يُثبت كون المساواة في الحقوق وجوب كون الإرادة العامة عامة في أغراضها و**جوهرها** لتكون هكذا في **الحقيقة** ووجوب صدورها على الجميع لتطبق على الجميع، وكونها تفقد سدادها الطبيعي عندما تهدف إلى غرض طبيعي معين وذلك لأننا نحكم فيما هو غريب عنا هنالك لم يكن لدينا أي مبدأ صحيح في الإنصاف يرشدنا(جان جاك روسو، 2015، ص65).

لعل هذا يجيب على سبب التحولّ من الولاة **حرا** ومن ثم وجود الفرد **مقيدا** وما هو إلا تناقض الإرادة **العامة** والإرادة **الخاصة** بين الحاكم والمحكوم حيث تتدخل دلالات تجعل الفاعلين الآخرين غير المتسلطين **غرباء** عن المعرفة وبالتالي عن الوجود الذي هم فيه إذ يصف طبيعة غير طبيعتهم الواضحة غير الرمزية التي تحمل دلالات مبهمة تتعلق بسيادة منطق الغلبة.

النتائج:

من خلال هذا التحليل تتضح العلاقة الجدلية والمعقدة بين كل من **القوة** و**المعرفة** و**الرمزية** لتصيغ معادلة تتراوح جدليتها بين **الترشيد** و**الهيمنة**، إلا أن **الرمزية** تكشف **الدواعي الخفية** من تبرير الشرعية عن طريق **المعرفة** وذلك بناء على **الإرادة الخاصة** المتعلقة بأعضاء من **نفس الإطار الاجتماعي** ما يوضح خاصية **السلطة وأنموذج الفعل السلطوي ألا وهو: الهيمنة وبكل أشكالها.**

الأمر لم يتوقف عند هذا الحد في السوسيولوجيا لأنه وكما ذكرنا أن المفاهيم تتطور وتتطور الأهداف طبقا لمجريات الواقع المتعلق بالأنظمة الشمولية – المجتمعات- على نحو ديناميكي

مستمر ما أفرز مخططات **للهيمنة العالمية** على أساس الأحادية الإيديولوجية والمنهجية والتوسع التكنوقراطي، وظهور السياسات العلموية والعولمية وتفعيل القوة الاقتصادية وبلوغ الامبريالية والعديد من الوقائع، ونجد كذلك اقتحام الميكرو سوسيولوجيا الحقل العلمي والمنهجي وتشعب التوجهات النقدية التي تحاول الانطلاق من الفرد الذي يبني معرفته من المعيش ومختلف التفاعلات، كما تظهر تحليلات تنطلق من المزاوجة بين الكلي والجزئي تنشد **ترشيد** الممارسات من خلال **التنظيم** الذي يدعم تلك التفاعلات للوصول إلى التواصل والتكامل الذي ينبني على **الإرادة العامة** وإنتاج معرفة تُصاغ من الإطار الاجتماعي العام لكل الفاعلين.

خاتمة:

أظهرت نتائج الدراسة التحليلية والتي استهدفت تحليل الوحدات الكبرى لفهم الأنموذج المعرفي وبالتالي السلطوي في المجتمع الطبقي كونه ترشيد أو هيمنة أن الإطار الاجتماعي للفاعلين في السلطة والذين يتوصّفون بالقوة والغنى يحدد نوع المعرفة وهي المعرفة الثقافة السائدة والخاصة فقط بالكبار والأغنياء والتي تُورّث لبنيهم فيما بعد، أنهم يمارسون عنفا رمزيا على بقية الفاعلين في المجتمع الذين يتوصّفون بالمراتب الدنيا لتبرير السلطة وإضفاء الشرعية، بفعل إرادتهم الخاصة فيغترب هؤلاء عن المعرفة وعن المهام التي توكل إليهم وعن مختلف القرارات والأحكام، بهدف يسعى إليه الفاعلين في السلطة: لتكوين رأس المال، والهيمنة وتسخير كافة الوسائل التي يطرحها التقدم وتطور الطموح والتطلعات للحفاظ على هذه المكانة لتكريس التبعية، واستمرار الهيمنة وبلوغها أبعد منال وهذا قد يحتاج إلى أكبر وقت للتحليل وظهور متغيرات أكثر من ذلك وتعقد الجدل، وهذا بالبعد عن التعاليم الدينية والطبيعة الإنسانية من ذلك النظام السلطوي في الدول العربية، وهو ما يحتّم العودة إلى الإطار الاجتماعي والتراث الثقافي لفهم النمط السلطوي والتوجه الإيديولوجي بمستويات التحليل المناسبة لا أن يتم النقل أو التحويل فذلك من تداعيات القانون المعمول به أو الفرض المسلم به ولكن للتكيف مع كل جديد بما يساعد على بناء الحضارة وفق مبدأ التشاركية مع الحفاظ على المقومات الخاصة بناء على إرادتنا النابعة من ثقافتنا وهذا هو الأساس في تحليل النموذج السلطوي سوسيولوجيا

قائمة المراجع:

1.أبراش إبراهيم (2008)، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار الشروق للنشر، عمان، الأردن.

2.بعزيق صالح (2020)، السلطة والمال عند ابن خلدون: السلطة الحفصية أنموذجا، مجلة التاريخ المتوسطي، العدد2، بجاية، الجزائر.

3.بورديو، بيير عبد السلام بن عبد العالي(2007)، الرمز والسلطة، دار توبقال للنشر، الدر البيضاء، المغرب.

4.بوسينو، جيوفاني محمد عرب صاصيلا (2008)، نقد المعرفة في علم الاجتماع (ط2)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

5.جونز، فيليب محمد ياسر الخواجة (2010)، النظريات الاجتماعية والممارسة البحثية، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
6.الجوهري محمد (2007)، المدخل إلى علم الاجتماع، القاهرة، مصر.
7.جيدنز، أنتوني فايز الصياغ (2005)، علم الاجتماع، (ط4)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان.
8.روسو، جان جاك زعيتر عادل عمر (2015)، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، دار الهدى للنشر، عين مليلة، الجزائر.
9.سليمان الريحانة محمد (2013)، منحى النظم وتطبيقاته التربوية، دبلوم التمهن في التربية، مملكة البحرين.
10.سمير نعيم أحمد(2006)، النظرية في علم الاجتماع – دراسة نقدية- دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
11.غورفيتش، جورج خليل أحمد خليل (2008)، الأطر الاجتماعية للمعرفة، (ط3) مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
12.كلود إيشودميزون، دانيال عبد الحميد قرفي(2010)، بناء المعرفة السوسيولوجية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
13.لاباساد، جورج وآخرون (2011)، مفاتيح علم الاجتماع، دار الفرقد، دمشق سوريا.
14.تحليل الإطار الاجتماعي، تصنيف: مناهج علم الاجتماع، ويكيبيديا، 8.30، 2020

15.Boudon, Raymond et Autres (2003), Dictionnaire De Sociologie, LA ROUSSE, Paris, France.

16.Lebaron Frédéric (2009), La Sociologie de a à z -250 mots pour comprendre, DUNOD, Paris, France.

17.Leclerc Arnauld, Introductions à La Science Politique – Les régimes non démocratique : autoritarisme et totalitarisme-, Université Numérique Juridique Francophone.

18.Rousseau Jean Jacques (2015), Du Contrat Social ou Principes du droit politique, Dar ELHODA, Ain M'lila L'Algérie.

19.Weber Max (2006), Die Protestantishe Ethik und der Geist des kapitalismus, aus Wikisource/der Freien quellensammlung Deutsche Wikipedea.

الحكم المحلّي وخصوصية الفاعل التنموي المحلّي
قراءة سوسيوتنموية في قانون الجماعات المحلية 2018تونس

د. شهاب اليحياوي، أستاذ مساعد للتعليم العالي في علم الاجتماع، جامعة تونس المنار- تونس

ملخص: لا يستقيم اعتبار الفعل العمومي التشاركي عملية تنظيمية وتسيرية خاضعة لعملية الضبط القانوني والقوعدة التي تضمن نجاح مسار التشاركية وتأسيس ثوابت التنمية المحلّية في الجهة. فهذا الفعل يتأثّر الى حدّ بعيد بما يسميه Grafmeyer بأثر السياق. فالسياق المجتمعي الذي ينتج ويعاد انتاج ضمنه وعبره الفعل التنموي التشاركي المؤسّس للديمقراطية المحلية، يمارس سوسيولوجيا تأثيرا مهمّا وحاسما أحيانا كثيرة في نجاح تجربة تركيز الحكم المحلّي. فالمجتمعات المحلية تتغاير بالنظر الى البنية القبلية والعشائرية والعائلية غير المصرّح بها او المعلومة مثلما بعلاقات القوّة للنسيج الاجتماعي. فالفرد لا يتصرّف بمعزل عن الروابط الجماعية التي تلوّن فعله الاجتماعي وترسم حدود انخراطه في الفعل العمومي المحلّي. وهو ما حاولنا استشكاله ضمن قانون الحكم المحلي لتونس الصادر سنة 2018 الذي تم المصادقة عليه في سياق ثوري وفي واقع سياسي مركّب ومعقّد يستدعي قراءة غير قانونية خالصة للنص.

الكلمات المفتاحية: الديمقراطية التشاركية، الحوكمة المحلية، الديمقراطية المحلية، التنمية الحضرية، الفاعل التنموي المحلّي، الفعل العمومي، مركزية السلطة، لا مركزية القرار.

Local governance and the specificity of the local development actor
Socio developmental approach in the Local Communities Act 2018 Tunisia

Dr.ChihebYahyaoui
Assistant Professor of Higher Education in Sociology
University of Tunis Al-Manar

Abstract: A participatory public act cannot be regarded as a regulatory and administrative process subject to a process of legal restraint and coercion that ensures the success of the participatory path and the establishment of local development parameters in the region. This action is highly influenced by what Grafmeyer calls the effect of context. The societal context within and through which the participatory development act that is the founder of local democracy is produced and recreated,

sociologically exerts an important and often decisive influence on the success of the local government concentration experiment. Communities vary in view of the unauthorized or informed tribal, clan and family structure as well as the power relations of the social fabric. The individual does not act in isolation from the collective ties that color his or her social act and draw the limits of his or her involvement in domestic public action. This is what we have tried to cite in the Law on Local Government of Tunisia of 2018, which was ratified in a revolutionary context and in complex and complex political situations that call for a purely illegal reading of the text.

Key words: participatory democracy, local governance, local democracy, urban development, local development actor, public action, centralization of power, decentralization of decision.

تقديم:

دخلت البلاد التونسية أخيرا في تجربة الحكم المحلّي من خلال إصدار قانون **الجماعات المحلية**(قانون أساسي عدد 29 لسنة 2018) في سياق ثوري متحرّك يحكمه جدل غير هادئ يوجّه بعمق حقل سياسي موسوم بديناميكية متشنّجة يسودها هامش واسع من الريبة والخوف السائل بعبارة **باومان**(زيجمونت باومان،2017)،حيث اعتبرته بعض الأطياف السياسية دفعا نحو هشاشة أوسع لدولة مترهّلة توشك أن تنقطع عن ثوابتها التاريخية وهيمنتها على المجتمع وبخاصة الجهات المهمّشة التي كانت منطلق ووقود انتفاضة 17 ديسمبر 2010 – 14 جانفي 2011.

ثمّة معادلة جديدة تطرح بقوّة على السوسيولوجيا تظهر في استقواء المجتمع بعد "الثورة" على الدولة بما أنّه أصبح يملك آليات غير تقليدية في الاحتجاج الفردي والجماعي المستند إلى قوّة الرابط القرابي والهووي والطائفي منحت الأفراد مثلما جماعات الجوار أو جماعات العمل أو جماعات المصالح قوّة تعبئة في مواجهة سلطة الدولة التوجيهية أو قوّة الاخضاع إلى معقوليتها. وعلى خلاف تام من ذلك تعتبر أطياف سياسية أخرى من المجتمع المدني ومن الحساسيات السياسية أنّ قانون الحكم المحلّي أو الجماعات المحلية هو انتصار للثورة ومبادئها بما هو ترجمة على الميدان لمطلب لامركزية القرار السياسي والتنموي وحق الجهات في ان يكون لمكونات مجتمعها المحلّي وفاعليها المحلّيين دور فاعل في صياغة الاستراتيجيات التنموية المتوافقة مع مخصوصية الحاجيات والخصوصيات الايكولوجية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع

المحلّي(Benevolo, Leonardo,1993,p115).فالتنمية الحضرية في بعدها المحلّي تتغاير نتائجها على الميدان أي على حياة المجتمع المحلي بالنظر لا فقط إلى أنماط العلاقات والتفاعل بين الفاعلين المحليين والنخب الحضرية، بل إلى ما تسمح به أيضا التشريعات المقوعدة للأنشطة وللعمليات التنموية وللتخطيط الاستراتيجي للدولة أي المركز من صلاحيات وممكنات وإمكانات وقدرات لهذه الجماعات الإقليمية بعبارة Marcou(Gérard Marcou,1999,p22).

يستشكل البحث في سياق قراءته السوسيو تنموية للقانون مدى توافق التشريعات المتّصلة بالتنمية المحلية وسيرورة التحضّر(Castells, M,1981) التي تؤسس لها مضامين هذا القانون مع مبادئ الحوكمة المحلية-Hannigan. John,2016,p45) (60وشروط ممارسة الديمقراطية المحلّية التي تستدعي أن تتمتّع الإدارة المحلية باستقلالية القرار والتصرّف الإداري والمالي والمقاربة التشاركية للتنمية المحليّة(سليمان أعراج،2012،ص10) التي تضعنا أمام مفهوم الديمقراطية التداولية أو أيضا التشاركية(Cédiric Polère,2007,p9)الذي لا يصحّ اختزال مدلوله في عملية انتخاب الإدارة المحلية للشأن العمومي بل يتّسع لمعاني تشريك الفاعلين المحليين والنخب الحضرية المحلية بتخالف انتماءاتهم الطبقية والفئوية والأيديولوجية والفكرية في القرار التنموي للساكنة الحضرية. من هنا فإنّ البحث يطرح هذه الأسئلة الإشكالية التالية: إلى أي مدى يستجيب النص القانوني المؤسس للحكم المحلي للحاجيات الفعلية للمجتمع المحلّي بمتعدّد مكوّناته وفاعليه؟ وهل يؤسس لضمانات وشروط تحول دون إعادة انتاج المركزية في صيغة مخفّفة او مظلّلة؟ والى أي مدى يرسّخ هذا القانون المنهج التشاركي في الحكم وفي صياغة استراتيجية تنمية محلية يكون للفاعل المحلّي ضمنها حضورا فاعلا ومؤثّرا في النقاش حول الشأن العام وفي التدبير المحلّي والتأثير الدينامي في عملية اتخاذ القرار؟

وقد انطلقنا في قراءتنا السوسيوتنموية للقانون المحلّي التونسي من جملة من التوجّهات او الفرضيات التي سينتهي لا محالة متن التحليل وتجاويفه الى تأكيدها او على خلاف من ذلك تفنيدها وبيان مدى قربها او بعدها من حقيقة ما تشير إليه مضامين القانون وفصوله. ويمكن حصرها في ثلاث وهي كالآتي:

-ثمّة فجوة بين مضامين النص القانوني المتصلة بالتنمية والتخطيط الحضري وبين الاحتياجات الفعلية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المحلي.

-لا تزال التشريعات الجارية الموصولة بالتنمية المحلية والتخطيط الحضري للمدينة تدفع عبر هذا القانون نحو المركز في حضرة الحكم المحلّي.

-تشريعات الحكم المحلّي تنتصر لمنوال دولوي يُخضع الفعل التنموي المحلّي المقترن بمعقولية المشاركة والتشريك(Maris Robert,2002,p52) إلى سلطة وهيمنة الرسمي بما يضعف حضور المعقولية أو المقاربة التشاركية في التنمية المحلية.

تكشف القراءة الأولية للقانون تخبّطا تشيه حركة التذبذب والمراوحة بين مبدئي استقلالية الحكم المحلّي وتخوّف يجد تجسيده في تمرير اشكال غير معلنة وغير صريحة لإعادة انتاج المركزية وتبعية المحلّي للمركزي بشكل يعيد إلى الفهم تاريخية العلاقة بين المركز والهامش في التاريخ السياسي العربي الذي يأبى أن يختفي بقدر ما يتخفّى في اشكال جديدة للتمويه بغاية الاستمرار المستتر للهيمنة ومركزة الحكم بما يتماهى وبنية علاقات القوة بين الجهات.

ولعلّ الراهن السياسي التونسي الموسوم بالتجاذب السياسي والايديولوجي الحادّ كان له التأثير البائن الذي لا يمكن نكرانه على توجّهات وفلسفة هذا القانون وبالتالي على فاعليته وفعاليته على ارض الواقع في أن يؤسّس الشروط الموضوعية لممارسة الحكم المحلّي والديمقراطية المحليّة في إطار ما يسميه **دفيدهارفي** بالحق في المدينة(دفيد هارفي،2017). فهذا القانون نراه صورة وفيّة إلى حدّ كبير للمرحلة الانتقالية التي تعيشها البلاد التونسية والتي تحمّلت فيه كثير من الحقول الاقتصادية والتنموية والثقافية والتعليمية القوّة التوجيهية لإكراهات **توافق سياسي غير منطقيّ ومشوّش**أو لنقل هشّ وغير عميق فرضته نتائج الصندوق وطبيعة المرحلة الانتقالية ومخرجاتها. ولذلك يظلّ تنفيذه متحرّكا وغير مستقرّ في علاقة بما يطرأ من **تبدّلات** في بنية التحالفات التي تحكم هرم السلطة وكذا الحقل السياسي التونسي في مسار ثوري فرض بصفة غير منتظرة الحديث عن **وحدة مجتمعية مهدّدة** بقوّة بحدّة التجاذبات السياسية والأيديولوجية (الحبيّب.سهيل،2014، ص136-138).

أهداف الدراسة:

لا تشكّل المقاربة الوصفية للنص القانوني ومضامينه المحيلة الى مفاهيم الحكم المحلي وآلياته ومؤسساته واجراءاته التي أقرّها لخدمة غاية تركيز الحوكمة المحلية والديمقراطية التشاركية هدف نهائيا للبحث. إنما يتطلع البحث إلى قراءة تأويلية للنص في اتجاه وضع هذه المؤسسات والإجراءات والاليات في اختبار أسئلة البحث الرئيسية التي تحيلنا الى امتحان قدرتها على فكّ مركزة الحكم وبناء لامركزية تضع القواعد الصلبة لديمقراطية تشاركية تخالف براديغماتها الديمقراطية التمثيلية التي تظلّ وفية لتدييم وتبرير ارتباط المجتمع المحلّي بالمركز في إطار دور يعيد انتاج هامشيته في تدبير الشأن العام والمحلّي على حدّ السواء. ففي النص القانوني مادة التحليل في دراستنا كثير من الحيثيات التي تقوّي الشكّ في صراحة التوجه نحو لامركزية تقطع مع التاريخ السياسي الطويل لعلاقة الدولة ما قبل الاستعمارية او ما بعدها بالمواطن وبالهوامش. ثمة مجالات كثيرة تتلبس فيها المفاهيم مثلما التدابير التي تحتاج إلى المقاربة السوسيولوجية المنهجية لبلوغ المخفي واللا مقال ووضعه في مقابلة ومواجهة ما يدعيه النص صراحة من تغيير لنموذج التنمية في المجتمعات المحلية ومركزية حضور الفاعل التنموي المحلي بتعدّده.

منهج الدراسة:

يصنع هدف البحث رابطا قويا بالمنهج الأنسب لبلوغه. ويتأتى نجاح البحوث دائما من وجاهة اختيار المنهج المناسب لاختبار فرضيات البحث او توجهاته وأسئلته الإشكالية. ولا شك أنّ المنهج الكيفي وتقنياته أوسع استجابة لهدف البحث واشكاليته. واعتبارا لأن المادة البحثية نصا قانونيا فانّ تحليل الوثائق والنصوص في بعدها الكيفي هو الأنسب. ذلك أنّ تحليل الوثائق والنصوص يذهب ابعد من وصف النص في ظاهر لفظه من اجل تحليل عميق لمضامينه (سوتيريوس.سارانتاكوس، 2017، ص506)في ارتباط بسياقاته الاجتماعية والسياسية والتنموية التي تنير الباحث الى مقاصد النص غير المعلنة وغير الصريحة التي وان اسقطت من النص فإنّها تظلّ دائما موجودة فيه وتسكنه (شارلين هس بيير وباتريشيا ليفي،2011، ص491). ويعدّ تحليل الوثائق أحد تقنيات المنهج الكيفي التي تعتبر النص واقعا افتراضيا مثلما ان العالم هو نص يستنجد فهمه بالقراءة السيميائية لتأويل معانيه ودلالاته العميقة وكشف الخلفيات الذهنية والسوسيولوجية والسياسية او التاريخية لصياغة النصص ومضامينه.

أولا: في معاني الديمقراطية المحلية والتشاركية والحوكمة المحلية

1.الديمقراطية المحلية: نحو مواطنة تشاركية ومحلية فاعلة

تحيل مركزية المحلّي في مفهمة الديمقراطية المحلية الى جماعة ترابية قابلة للتعريف مجاليّا ومجتمعيا على اعتبار ارتباط المجالي بالهوية عبر ما يفرضه من ضرورة المرور بمسألة الانتماءات الجهوية والمحلية والاثنية والطبقية والفئوية وما إلى ذلك (Geneviève Koubi,1994). فمحلية الديمقراطية تتأتّى من ارتباطها بالمجال وبالجماعة الترابية (المحلية / الجهوية والإقليمية). وهو ما يمرّ بنا إلى العنصر المحوري الثان المتمثّل في **فكّمركزةDécentralisation** القرار في السياسة التنموية بما يفضي إلى معنى حرية إدارة الشأن العام للجماعات المحلية بما هي **وحداتترابية** قروية أم حضرية. فأن تكون ممارسة إدارة الشأن العام المحلّي ديمقراطية فذلك لأنّها تحتكم على **مقبولية** شعبية منبثقة عن مسار الانتخاب الحرّ لمن يعهد له إدارة وتسيير الشؤون العامة للمجتمع المحلّي(سامية محمد جابر،1996) عبر مؤسسات وآليات ينظّمها ويمأسسها القانون في تناغم مع الدستور ومع الوحدة الوطنية. فقد تلتبس **الديمقراطية المحلّية** في بعض الأفهام مع **الاستقلالية** عن الدولة المركزية او القطيعة. فالتدبير الحرّ للشأن المحلي عبر تفويض سلطة القرار إلى ممثلين من المجتمع المحلّي (ديمقراطية تمثيلية) وممارسة الفرد لمواطنية محلية (ديمقراطية تشاركية) لا تعني رفض أو إضعاف حضور الدولة المركزية رغم اقتران المحليّة باللامركزية التي تشكّل شرطا محوريا في الديمقراطية المحلية مفهوما وممارسة وتشريعا .لذلك نجد أنّ القانون الأساسي للجماعات المحلية في تونس بادر إلى تعريف السلطة المحلية ومرتكزاتها التي تحايث وتوازي بين اللامركزية ووحدة الدولة كتلازم ضامن ومؤسس للديمقراطية المحلية واستمرارية حضور الدولة المركزية في الوعي والممارسة حيث نصّ الفصل الأول:**"يهدف هذا القانون الأساسي إلى ضبط القواعد المتعلّقة بتنظيم هياكل السلطة المحلية وصلاحياتها وطرق تسييرها وفق الآليات الديمقراطية التشاركية**

بما يحقّق اللامركزية والتنمية الشاملة والعادلة والمستدامة في إطار وحدة الدولة" (قانون أساسي عدد 29 لسنة 2018).

ولا شكّ أنّ إقرار هذا البعد في مفهمة الديمقراطية المحلية ينتهي بالتحليل إلى مفهوم التشارك **والمواطنة التشاركيةCitoyennetéParticipative**باعتبار أن فكّ المركزة أو اللامركزية تفسح المجال لأفراد الجماعة المحلية للتأثير في القرار السياسي وبناء استراتيجيات التنمية المحلية عبر مسارين متلازمين: التفويض**Délégation** والمراقبة **Contrôle**. فالفرد بمعنى المواطنة التشاركية يؤّسس الديمقراطية المحلية عبر ممارسة حقه وواجبه الانتخابي في عملية اختيار ممثليه في السلطة المحلية (المواطنة السياسية) إلا أنّه يواصل الممارسة الديمقراطية عبر قوة الاقتراح التي يمنحها له قانون الحكم المحلّي(قانون أساسي عدد 29 لسنة 2018)المقرّ للديمقراطية التمثيلية والتشاركية محليّا تماشيا مع الإقرار الدستوري باللامركزية وإلزام الدولة باحترامه على كامل تراب الجمهورية(الدستور التونسي،2014).وهو ما ينتقل بالفرد **الفاعل** من المواطنة السياسية الضيقة إلى المواطنة الاجتماعية الأوسع والأشمل والأقرب إلى براديغمات الديمقراطية المحلية المركزية مثل التشارك **Participation** والشراكة **Partenariat** في السلطة العمومية بين مكوّنات المجتمع المحلّي المتباينة من حيث مشاريعها واستراتيجياتها الفردية والجماعية ومن جهة تصوّراتها للفعل الديمقراطي ذاته وانتظاراتها من السلطة العمومية كما ينكشف في مدخل الحركات الاجتماعية في فهم الحياة ضمن الجماعة**.** ثم إنّ الفرد في السياق التفّهمي المتوافق مع مدخل سوسيولوجيا التنظيمات والشبكات الاجتماعية يحتفظ بصفة الفاعل المؤثّر والموجّه للفعل الجماعي التنموي ضمن الجماعات المحلية لكن في ارتباط بخاصيات هذا الفاعل وموقعه ومكانته الاجتماعية وعلاقات القوة وشبكة علاقاته ضمن المجتمع المحلّي. انّ ارتباط التنمية المحلية **بديمقراطيةالقرب** يموضع الفاعل المحلّي المتعدّد في محور اهتمام وهدف الديمقراطية المحلّية ببعديها التمثيلي والتشاركي. وتعيد **مركزية الفاعل المحلّي** تأكيد الترابط والتنافذ بين محليّة الديمقراطية واللا مركزة بما هي دينامية سياسية تنقل صلاحيات السلطة المركزية إلى الجماعات المحلية ودينامية تنموية بما هي سيرورة تعبئة بشرية ومالية وموارد بغاية تحقيق تنمية تستند بالأساس على خصوصية الجهة ومشروعها المحلّي (ChristionBrodhay et Florent Breuil,2004) المنبثق عن النقاش العام الذي تسمح به وتماسسه القوانين. فاللا مركزة جاءت أيضا في سياق تنامي مشاكل الدولة البيروقراطية والمركزية وعجزها عن تحقيق مطالب الجهات في تنمية متوافقة مع خصوصية المجتمع المحلّي ومستجيبة لإنتظاراته التنموية. إذا فعملية فكّ المركزة هي سياسة تنموية واستراتيجية بديلة للخروج من ازمة تنمية(LizabetteJalbert, 1991,p251-272)أصبحت معه الإدارة المركزية عائقا أمام التماسك الاجتماعي الذي تهدّده التفاوتات الجهوية وتراكم المشكلات التنموية والاجتماعية في الجهات الأقل حظا من التنمية وهيمنة الإرادة الاصطفافية على الفعل السياسي المركزي بدل الإرادة العامة (مينش ريتشارد،2010،ص57) التي تعترف لكل فرد في أي جهة من جهات البلاد بمواطنيته وحقّه في الانخراط الحرّ والطوعي في فعل التدبير العمومي المحلّي والمركزي. من هنا انتصبت الحكومة المحلية كأحد استراتيجيات تقاسم المسؤولية وبديل من

البدائل المستندة بقوة إلى البراديغم التشاركي في التدبير المحلّي في سياق تحشيدي للموارد البشرية والمادية والطبيعية للمجتمع المحلّي وتشريك لمختلف مكوّناته(محمد عبد الفتاح محمد عبد الله، 2006، ص48). فالديمقراطية المحلية بما هي آلية إجرائية لمبدأ اللامركزية مسار إصلاحي يستند إلى مبدأ تفريع وتوزيع السلطة وتقاسمها عبر تفويض ونقل المسؤوليات المالية والسياسية والإدارية والتنموية إلى الجهات والأقاليم والجماعات المحلية لتدعيم الممارسة الديمقراطية في حضور قويّ وحاسم للبعد المحلّي في الفعل العمومي. فهذا الحضور القويّ للبعد المحلّي في ممارسة السلطة يحيلنا إلى تحوّلات على درجة من الأهمية التي تؤّهلها لأن تشكّل اهتماما بحثيا جدّيا لأكثر من حقل معرفي يقودنا إلى علم الاجتماع السياسي وسوسيولوجيا التنمية وعلم الاجتماع الحضري باعتبار أن هذه التحوّلات تجد تفسيرها في تقاطع تأثير الظواهر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية(Dubois. Vincent,2012,p83-101).

من أجل ذلك فإنّ اوكد شروط نجاح تركيز الحكم المحلّي بمقوماته التي تؤسس فعليا لديمقراطية محلية تشاركية يتمركز الفاعل المحلّي في مركز آليات تصوره وتنفيذه، هو المعرفة السوسيولوجية الدقيقة للنص القانوني بالعقل السياسي الذي يحكم تمثّل المواطنين للدولة ولعلاقاتهم بها والذي هو نتاج تاريخ لا يمكن بناء العلاقة الراهنة بين مركز الدولة وهوامشها خاصة دون فهم تفاصيله الكثيرة التي تنير المشرّع في وضع الآليات الأقرب لخلق دينامية تنموية محلية بما هي سيرورة تعبئة بشرية ومالية وموارد بغاية تحقيق تنمية تستند بالأساس على خصوصية الجهة ومشروعها المحلّي، لها من المقبولية وقابلية التنفيذ والانجاز على ارض الواقع.

2.ديمقراطية تشاركية: فاعل محلّي شريك ومستقلّ:

تنكشف الديمقراطية التشاركية المحلية كأحد تمظهرات "الديمقراطية المحلية" التي يمكن أن تكون تمثيلية **وتشاركية** في الآن ذاته. ولعلّ محلية الديمقراطية التمثيلية **La DémocratieReprésentative**لا تتأكّد، بهذا المعنى، إلا عبر شرط المشاركة الفردية أو المؤسسية للمواطن المحلّي في السلطة بشكل يجعل حضوره فاعلا في النقاش حول الشأن العام وأوضاع المجتمع المحلي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وفي التدبير المحلّي ووضع السياسات العامّة لإدارة الشأن العام والتأثير الدينامي في عملية اتخاذ القرار. فالتشاركية مدخل رئيس نحو فكّ القطيعة او الانقطاع بين المواطنين وصنع السياسات المحلية في اتّجاه توسيع وتفعيل دور الفاعلين المحليين في التخطيط والتنفيذ والتقييم والمراقبة في الخصوص واعتراف للعموم ضمن المجتمع المحلي بمواطنيتهم الفاعلة التي تمجّد دورهم في إبداء الرأي والنقد والتوجيه والمشاركة والمحاسبة عبر آليات الحكم المحلّي. فهي بذلك تعد أحد أهمّ مكوّنات وشروط الحكامة بما هي آلية للتحشيد الفردي والجماعي للمساهمة والمشاركة في الأنشطة والمشاريع الاقتصادية والاجتماعية المنبثقة عن خصوصيات وحاجيات الجهة. وهو ما تنبّه إليه دستور 2014، حيث نصّ الفصل139 علىأنه" تعتمد الجماعات المحليةآلياتالديمقراطيةالتشاركية،ومبادئالحوكمةالمفتوحة،لضمانانخراطأوسعللمواطنينوشراكة المجتمع المدني في إعداد برامج التنمية والتهيئة الترابية ومتابعة تنفيذها طبقا لما يضبطه

القانون(الدستور التونسي، 2014) وفي هذا السياق يمكن تأكيد أنّ الدستور التونسيّ يعتبر إلى جانب الدستور المغربي من الدساتير القليلة التي تكرّس في إطار تركيز آليات الحكم المحلّي براديغم **الديمقراطية التشاركية** التي ترفض أن تُختزل في حق المواطنين المحلّيين في اختيار ممثليهم بحرية عبر الانتخاب الحرّ والنزيه. فمدلولات التشاركية تتعدّد لتحيل الى حقوق المواطنين في المعلومات(الدستور التونسي،2014) والتشاور والاستشارة وأن يكون لهم حضور في اتخاذ القرار والمراقبة عبر شبكة من التقنيات والإجراءات والتمشيات التي يقرّها دستور البلاد (2014) وقانون الحكم المحلّي (2018) ضمنها مثل استطلاعات الرأي العام، والاستفتاءات المحلية، وإجراءات التشاور حول الحوضرة أو الحضرنة أو أيضا عبر آليات أخرى مثل مجالس الجماعات المحلية أو مجالس الحي أو لجان الأحياء أو مجالس الجماعات ومختلف إشكال التنظّم المدني للمواطنين. ويصبّ الهدف المشترك بين هذه الآليات والفئات المحلية في خلق ديناميكيات سياسية وتنموية ومجتمعية عبر ما تسمح به من إشراك للمواطنين بتعدّد انتماءاتهم الطبقية والفئوية وجنسهم ولونهم في صنع القرار العمومي وارتقائهم تبعا لذلك الى درجة المواطنة المحليّة **CitoyennetéLocale** في بعدها الاجتماعي الذي يتجاوز ضيق السياسي (الانتخاب) وتستعيض عن التدبير **البيروقراطي** للنموذج المركزي بالتدبير **الديمقراطي** الذي يمنح الفعل التنموي بعدا جماعيا ضمن أنموذج اللامركزية. فما يعنينا في قراءتنا السوسيولوجية هو ما تؤول إليه اللامركزية في الفعل التنموي بالذات من تعزيز الاندماج الاجتماعي للمجتمع المحلّي بما يفرضه من آليات وإجراءات حوكمة محلّية مفتوحة على كلّ مكوّنات المجتمع المحلّي ومنتصرة لمنطق التعاون بدل التنازع والصراع (نزيه.ن.الأيوبي،2010، ص382) بما ينقل المجتمع المحلّي من مفهوم الجماعة communauté وروابطها التقليدية (بشارة. عزمي،1998، ص 33) إلى المجتمع société الذي يتأسس ضمنه الاندماج الاجتماعي على الإرادات الحرّة لأعضائه (Laroui, Abdallah,1997) والاندماج الطوعي والانخراط الإرادي في العملية السياسية وفي المسار التنموي.

تظلّ الديمقراطية التشاركية المحلّية بما ثقّلت به من مدلولات ومعاني أقرب إلى مفهوم ديمقراطية القرب أو الجوار(**DémocratieDeProximité**(Poquet. Guy,2001بما هي قطع مع الحضور الظرفي والمناسباتي والاحتفالي للفاعل المحلّي أو للمواطن المحلّي ذاته وتشبيك الروابط بين السلط المحلية وهيئات الحكم المحلّي من جهة ومكوّنات المجتمع المحلّي من جهة ثانية بما يفضي إلى تديمم ومأسسة الفعل التشاركي في القرار السياسي والاقتصادي والتنموي والاجتماعي والثقافي للمجتمع المحلّي وتدعيم نسيجه الاجتماعي. وفي ذلك ضمانة للتنفيذ والانجاز لتحوّز القرار على قاعدة مواطنية (عملية التعبئة**Mobilisation**) يشرعنه **Légitimation**ويمتّن حظّه من الإجماع **Consensus**والمقبولية**éligibilité**. الاّ أنّ المفهوم يحتفظ بنصيب واسع من الالتباس لا يمكن رفعه الاّ إذا تجاوزنا مدلوله الموصول وجوبا بالمعطى الترابي أو المجالي. فديمقراطية القرب تحيلنا الى مفهوم المدينة الشبكة**la ville Réseau** والى أهمية الفرد والاختيارات والمشاريع والحريات الفردية في المسارات التنموية للجماعة المحليّة.

فالفرد قيمة ثابتة في البراديغم التشاركي وانخراطه في الحياة العامة في بعدها المحلّي يكون فرديا ومتخطيّا للأشكال التقليدية للانتماء الاجتماعي والانطواء الهووي. فالمواطن المحلّي منخرط دون ارادته في مجال متشابك يصعب التملّص منه ومن تأثيراته متعدّدة الأوجه بعامل شبكات التفاعل والتواصل(Castells. Manuel, 1998) وبفعل التحوّلات العالمية والمحليّة. ولعلّ هذا المدخل الأقرب الى دفع النسيج الاجتماعي للمجتمع المحلّي نحو رتق ثغراته وتمتين انسجامه بما يصنعه للفرد من فرص وإمكانات التعبير عن الرأي والانخراط في الفعل الجماعي والاندماج الاجتماعي (Dominique. Schnapper, 2007, p11)بصفته مواطنا فاعلا (Bassand. Michel, 2007) لا عضوا في جماعة اجتماعية أو اثنية أو عرق أو فئةاجتماعية.

3.الحوكمة المحلية وأزمة التدبير العمومي: تحوّلات في أشكال الفعل العمومي:

أفضى تراجع نموذج دولة الرعاية(ورد. عبد الملك،2006، ص12) l'État-providence وفشل منوال التدبير البيروقراطي المركزي للشأن التنموي في حلّ مشكلات الجهات والجماعات المحلية التنموية التي تفاقمت آثارها على مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، إلى التفكير في أشكال ومناويل مغايرة لإدارة الفعل التنموي تحمل تنظيما جديدا للسلطة[1] وعمليات ومناهج مستحدثة في إدارة الشأن العام قادرة نظريا على التناسب مع الحاجيات الفعلية للجهات. وتتأسس هذه المناويل الجديدة للفعل العمومي وبخاصة في عمقها المحلّي على شرعيات جديدة تقطع مع الاحتكار (لا حصرية السلطة) في اتجاه إقرار أو القبول بتقاسم السلطة مع فاعلين سياسيين منتخبين وفاعلين محليين متعدّدين (Smouts. Marie-Claude, 1998, p88) وانفتاح أوسع على القطاع الخاص وعلى منظمات المجتمع المدني والمجتمع العالمي. فلم تعد الدولة قابلة للاستمرار كإطار تمارس ضمنها ظاهرة الهيمنة بعبارة فيبر (Weber. Max, 1971). فلم تعد قادرة على القيام بكل شيء مثلما أصبح المواطنون مدعوون الى ان يكفّوا عن أن ينتظروا منها كلّ شيء. وفي هذا السياق يطرح بقوّة مفهوم الحكامة (Jessop. Bob,1998,p31-49)**Gouvernance** أو الحوكمة المحلية كمسار تشبيك**Résautage**يخلق أشكالا متنوّعة[2] لانخراط الفاعلين العموميين وغير العموميين والمواطنين في التدبير المحلّي وصياغة استراتيجيات التنمية المحلية بما أنّه يحيلنا الى الحديث عن الفعل العمومي كفعل مشاريعي**l'actionEntrepreneuriale** ويؤسّس رهان الاندماج الاجتماعي ضمن المجتمع المحلّي على قيمة المشاركة أو ما يسميه **Schnapper**بالاندماج الديمقراطي (Dominique. Schnapper, 2007)**IntégrationDémocratique** ولا على قيمة الادماج**L'inclusion**في معنى الاستيعاب **Assimilation** الذي يلغي سيادة الفرد ويغيّب

[1]ظهر مفهوم الجوكمة في البداية، في البلدان الصناعية حيث واجه النمط التقليدي للحكومة مشاكل تتعلق بالقدرة على الحكم. وهو ما فتح المجال للتفكير في إجراءات تفاوضية وقرارات تشاركية وتعاقدية وبالتالي شكل تشاركي لإدارة الشأن العام.

[2]الحوكمة أو الحكامة هي مفهوم منفتح على حقول عديدة وهو ما يمنحه بعدا تعدّديا وتقاطعيا. فللحوكمة مدلول سياسي وهو المركزي ويحيلنا الى علاقات السلطة واجراءات الحوكمة ومدلول اقتصادي يضعنا اما تأثير العولمة المالية وتعاظم تأثير وسلطة القطاع الخاص وآخر اجتماعي هو تعبير عن ازمة الديمقراطية التمثيلية ومساحة الفعل التي تمنحها للفاعل للتأثير والانخراط في اتخاذ القرار. كما أن المفهوم ينتمي إلى الحقل العلمي وبخاصة السوسيولوجيا لما تطرحه مراجعات لمفاهيم ومقولات تقليدية في ضوء ما افرزته العولمة من ظاهرات جديدة.

مواطنيته. تستدعي إذا الحوكمة المحلية(Bordeleau. D, 2003) بقوّة مفهوم التشاركية كآلية أقرب لتحقيق تناسب ما مع الخصوصيات السوسيولوجية للمجتمع المحلّي (Maris .Robert, 2002) وكمحرّك رئيس للحوكمة في بعدها المحلّي. فالحكامة المحلّية هي التي تتناسب مع منهاج فكّ مركزية القرار السياسي والتنموي في اتجاه يضعه موضوع رهان جماعي وفعل جماعي تفاوضي يفتح للمواطن المحلّي المجال فرديا وجماعيا وبأشكال متنوّعة للمشاركة في اتخاذ القرار والمبادرة واسهاماته في عمليات التقييم والمتابعة والرقابة وفق آليات يضعها ويضبط ممارستها قانون الحكم المحلّي. فالحكامة بذلك وفي مدلولها لدى فوكو Foucault تكشف عن انتقال حاسم في الدولة الحديثة من دولة إدارة الأقاليم الترابيةÉtat Administrateur إلى دولة تسيير السلوكاتÉtat gestionnaire de Comportements.

تتكشف الحوكمة المحلية كمنفذ تحوّل المواطن المحلّي بتنوّع مواقعه إلى **لاعب محلّي مؤثّر** وموجّه بصيغ ومستويات متفاوتة ومتحرّكة في **الديناميات المحلّية** الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.فمشاركة الفاعل المحلّي في انتاج المجال وتأطير الديناميات التنموية المحلية يتّخذ معاني ومدلولات متعدّدة تتوزّع أو تتداول بين معنى الاسهام الطوعي Contributionأي المبادأة الحرّة للمواطن المحلي وبين أن تكون عملية تنظيمية Processus Organisationnelلتدبير جماعي للشأن العمومي أي خلق وتفعيل آليات مأسسة للتضامن الجماعي وللاندماج الاجتماعي في المجتمع المحلّي عبر تبني مناويل فعل واتخاذ قرار أكثر تشاركية وتفاعل ومرونة(Lorrain. D, 1993). الأآنّ المشاركة قد تطرح كشكل من التمكين(l'autonomisation) الاجتماعي للمواطن المحلّي فيأن يكون له دور ما في القرارات التنموية المحلّية تجعل منه لاعبا أساسيا بصيغة وحدود ما في مسار التنمية المحلية للجهة بتنوّع أبعادها.

أصبحت أزمة التنمية واستتباعاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في بعدها المحلّي اليوم أكثر دفعا نحو تبنّي الدولة المركزية لأشكال جديدة للسلطة واتخاذ القرار وتحوّل في منوال الفعل العموميLa nouvelleGestionPublique(FRIEDBERG.Erhard,1993)يقطع مع مبدأ الاحتكار ويقبل بشكل أوسع بمبدأ التفاوض والتشاركية والشراكة في انتاج المصير الجماعي وتدبير الشأن العام للجهات كمجتمعات محلية (Merrien. François-Xavier, 1998, p62) أدرى من المركز بالتوجهات التنموية الأنسب لواقع الساكنة المحلية ومتطلّبات التنمية المحلّية. يصبح الفعل العمومي، إذا، نتاج تنوّع وتعدّد تأثير وتدخّل الفاعلين المحلّيين(Raffarin.Jean-Pierre,2002,pp151-152) في انتاج المجال المحلّي وتقاسم المسؤوليات بين الدولة والمجتمع المدني المحلّي وبين العام والخاص في بناء استراتيجيات التحضّر والتنمية ومأسسة الديمقراطية التشاركية في هيئات وهياكل وآليات دائمة تتمتّع بالقانونية وبالمشروعية المجتمعية وتخلق نظريا نوعا من التنافس بين الجهات في حسن تدبير شؤونها وكسب رهاناتها الاقتصادية والاجتماعية الخصوصية. وتقترن الحوكمة المفتوحة بتبنّي تصوّر جديد لدور الدولة ولعلاقتها بالمجتمع المحلّي ومكوناته يبعثر الفواصل التقليدية بين المجال العمومي والمجال الخاص (Raymond.

B,Bourricaud.F, 2000, p617) في اتجاه يؤسّس لبراديغمية التعاون بين الأفراد والجماعات الاجتماعية والمؤسسات على انجاز اهداف جماعية هي موضوع توافق واجماع. فإدارة الشأن العمومي ليس شأنا سياسيا او تنمويا تكنوقراطيا بقدر ما هي في معقولية الحوكمة مشتركا لا يدار إلا جماعيا(Dorval Brunelle,2010,p26) وبمشروعية لا تخرج عن دائرة التشاركية وتقطع مع المواطنة الكلاسيكية(Dominique. Sch, 1998, p413)· اتّنا أمام رهان اجتماعيّ يفكّ انحصار رهانات الحكم المحلّي داخل سياج الاقتصادي بما انه رهان الجماعة المحلية على تملّك مشروع مجتمعي(Cavallier. Georges, p39) وهويةجماعية تلوّن لا شكّ الفعل العمومي المحلّي وبراكسيس الديمقراطية التشاركية.

وتشكّل العدالة والمساواة والشفافية والمساءلة أهداف شديدة الالتصاق بالحوكمة وشروط محورية لتحقّقها ولتتحوّل إلى ضمانة فعلية لإدارة رشيدة للموارد البشرية والتنموية والمالية والايكولوجية وتركيز آليات وهيئات رقابة ومساءلة بأشكالها السياسية والقانونية والمجتمعية ووضع قواعد مشتركة لضبط العلاقات بين متعدّد مكوّنات المجتمع (العيسوي، إبراهيم،2003، ص36-37). فالحوكمة الجيّدة للموارد الطبيعية والبشرية والمالية والتي تتناقض مع "الدولة الرخوة" (أمين. جلال،1993) وترتبط بدولة القانون والمؤسسات، تخلق أرضية ثقة داخلية بين الفاعلين تشكّل رافعة النظام السياسي للمضي ابعد في الإصلاحات السياسية والاقتصادية الملائمة لتغيير النمط التنموي وملائمته للحاجات الفعلية والحقيقية في إطار ديمقراطية تشاركية وحدّ أدنى من الاتفاق على قيم العمل الجماعي. والحكامة أو الحوكمة **Gouvernance** بما هي توزيع عادل لحاصل النمو الاقتصادي على متعدّد فئات وطبقات المجتمع المحلّي او الجهات والأقاليم احتكاما إلى منظومة قيم ديمقراطية تنبثق عنها عملية مراجعة للفوارق الاجتماعية تباعا في اتجاه التحكّم فيها وتقليص فجواتها على متعدّد الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والجهوية والطبقية والفئوياتية انتصارا أو تجسيدا لمبدئي المساواة والعدالة تبرهن على تحوّل المواطن في تعاطي الدولة معه من "مواطن الاقتصاد" و "مواطن الدولة" بعبارة هوفه**Höffe**(هوفه. أو تفريد،2010) إلى الفرد المواطني Citoyenبما هو غاية وليس وسيلة، ذلك أن المجتمع الفاعل هو المجتمع العادل(Généreux. Jacques, 2005).

ليست الحوكمة مفهوما تجريديا بما انّها قابلة للقياس عبر ابعاد ومؤشرات اتّفق تقرير الأمم المتحدة(Kaufmann. D; Kraay. A; Mastruzzi, M, 2010) على حصرها في ثلاثة أبعاد تتوزّع الى ستّة مؤشرات وهي الاستقرار السياسي وفعالية الحكومة والمساءلة وجودة التنظيم ومقاومة الفساد وسيادة القانون. وتقاس تبعا لذلك الدول والحكومات المحلية بالنظر إلى استجابتها لهذه المؤشرات ومقاييسها وتحدّد نتيجة اختبار المؤشرات مواقعها ضمن هذا المنوال الحديث لتدبير الشأن العمومي في الدولة اللامركزية. وصفوة القول، إذا، أنّنا أمام شبكة قراءة وتحليل ومنظومة معايير لمساءلة واستشكال مسلمات الإدارة التقليدية للشأن العام وللفعل العمومي تتضح على إثرها أو خلالها مسارات التغيير والتبدّل في السياسات العمومية للسلطة وسيرورات تنافذ السياسي والاجتماعي في ممارسة السلطة وتدبير الشأن العام، يبرّر انتقال الحوكمة من حقل

الاقتصاديين والسياسيين (حوكمة الاقتصادGouvernance de l'économie) الى حقل السوسيولوجيا أي حوكمة الجماعات المحليّةGouvernance des Territoires. غير أنّ الحوكمة تظلّ محلّ شك خاصة واتهام بكونها شكل مخاتل لتعميق لبرلة الاقتصاد والمجتمع ومظهر آخر لتوسّع السوق الرأسمالية وأحد صور العولمة عبر اضعاف حضور وتدخل الدولة لفائدة الفاعلين الخواص والأفراد بما يضعف السيطرة السياسية على الفعل الاقتصادي ويحرّره Privatisation أكثر بما يتماهى وقيم الليبرالية الجديدة.

على أنّ أهم ما يستخلص مما سلف أنّ تطبيق الحوكمة وتملكّها شروط التحقّق على ارض الواقع يشترط إضافة لخروجها من حقل السياسي والاقتصادي الى السوسيولوجي أن:

-تتناسب مع تمشيّ **فكّ مركزية** القرار السياسي والتنموي وتحولها إلى **رهان وفعل جماعي وتفاوضي**فيه تمكين عمليّ للمواطن المحلّي الفردي أو الجماعي من **المشاركة**في اتخاذ القرار **والمبادرة** بما يقطع مع مبدأ الاحتكار ويقبل بشكل أوسع بمبدأ التفاوض والتشاركية والشراكة في انتاج المصير الجماعي.

-تحوّل المواطن المحلّي بتنوّع مواقعه إلى **لاعب محلّي مؤثّر** وموجّه بصيغ ومستويات متفاوتة في **الديناميات المحلّية** الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.وتحوّله في تعاطي الدولة معه من "مواطن الاقتصاد" و "مواطن الدولة" بعبارة **هوفه** إلى **الفرد المواطني** بما هو غاية وليس وسيلة

-الفعل العمومي المشترك في معقولية الحكامة هو **مشترك** لا يدار الاّ **جماعيا** في تعارض مع المواطنة الكلاسيكية، تمثّل **العدالة والمساواة** والشفافية والمساءلة أهم أهدافه وشروط تحقّقه.اعتبارا لكونها تخلق أرضية ثقة داخلية بين الفاعلين تشكّل رافعة النظام السياسي للمضي ابعد في الإصلاحات السياسية والاقتصادية

-فالحوكمة هي توزيع عادل لحاصل النمو الاقتصادي على متعدّد فئات وطبقات المجتمع المحلّي او الجهات والأقاليم احتكاما الى منظومة قيم ديمقراطية تشاركية محليّة.

-تخلق وتفعّل آليات مأسسة للتضامن الجماعي وللاندماج الاجتماعي في المجتمع المحلّي عبر تبنّي مناويل فعل واتخاذ قرار أكثر تشاركية وتفاعل ومرونة.

ثانيا: آليات وهياكل الحكم المحلّي: فكّ مركزة أم إعادة تمركز

1.الآليات الإجرائية لممارسة الديمقراطية التشاركية محليا:

تطرح الديمقراطية التشاركية البعد المحلي في القرار العمومي وتدبير الشأن العام بقوة كشكل من أشكال مراجعة الديمقراطية النيابية او التمثيلية التي لم تعد قادرة على مسايرة التحولات

الاجتماعية والاقتصادية الكبرى التي يشهدها المجتمع العالمي والمجتمعات المحلية على حدّ السواء. فانتخاب المواطن لمن يمثله وتفويض إدارة شأنه اليومي والعمومي للسلطة المنتخبة لم يعد قادرا على الاستجابة للمتغيرات وللمطالب الاجتماعية الجديدة. وقد دفعت الأزمات الاقتصادية وتداعياتها المجتمعية وعجز نموذج مركزة السلطة على حلّ مشكلات البطالة والتشغيل وتقليص الفوارق الاجتماعية والفوارق بين الجهات إلى تغيير فلسفة تدبير الفعل العمومي ومراجعة علاقة الدولة بالجهات أو المركز بالجماعات المحلية والجهات والأقاليم.وقد فرضت هذه التحوّلات والتغيرات في السياسات العمومية الانتقال من حكم مركزي تقرّر فيه الدولة وتضع السياسات العمومية إلى منوال حكم يتأسّس على تعدّد واختلاف الفاعلين ويمنح للفعل العمومي بعدا محليّا (ورد. عبد الملك،2006) يكون له تأثير في اعادة هيكلة لا فحسب الفعل والسياسات العمومية بل واساسا في تغيّر مفهوم التنمية في أبعادها الاقتصادية أو الاجتماعية أو الايكولوجية يترجم بدرجة أولى في الاعتراف بالفاعل المحلّي وبالخصوصية المحلية وحقّ المواطن المحلي في الانخراط الفاعل في التخطيط والبرمجة والانجاز والمتابعة. وهو ما اقتضى من القانون أن ينوّع ويعدّد الآليات المجسّدة لذلك في الممارسة الفعلية لعلّ اهمّها المجالس البلدية ومجالس البلديات ومجالس الجهات والأقاليم أو كذلك اللجان الاستشارية Les Comités Consultatifsوالاجتماعات الشعبية والاستفتاءات المحلية بتنوّع أشكالها وما يطلق عليه بالموازنة التشاركية.

أ.الاجتماعات والتجمعات الشعبية المحلية: تعميم النقاش وخلق مجال عمومي للتفاوض

يلزم قانون الجماعات المحلية مجالس البلدية او أيضا مجالي الجهات بأن تدعو الى لقاء علني مع المتساكنين بغاية تعريفها بمشاريع قرارتها المتّصلة بأوجه متعدّدة من الحياة اليومية للساكنة المحلية أو ما تعتزم القيام به من مشاريع أو اتفاقيات جديدة. ويتّجه القصد من هذا الاجراء إلى تحقيق مبدأ الشفافية (قانون الجماعات المحلية،2018، فصل75) من جهة والتشاركية من جهة ثانية اعتبارا لأن مثل هذه الاجتماعات تفتح المجال للمتساكن المحلّي لأن يكون له رأي وموقف من القرارات المتّخذة أو تكون له مساهمات ما في القرارات المزمع اتّخاذها عبر قوّة الاقتراح التي يمنحها له قانون الحكم المحلّي. وسعيا الى تقوية حظّ المواطن المحلّي من الديمقراطية المحلية وانخراط فاعلين متعدّدين Pluralité d'acteurs في فعل التدبير العمومي المحلّي أقرّ الفصل 35 ذاته "تنظيم الجلسة عند إيداع طلب معلّل من قبل5 بالمائة من المسجّلين بالسجل الانتخابي للبلدية أو الجهة على الأقل .وفي هذه الحالة تلتزم الجماعة المحلية بتنظيم الجلسة في أجل أقصاه ثلاثون يوما من تاريخ إيداع الطلب"(قانون الجماعات المحلية،2018، فصل35). فآلية الاجتماعات الشعبية إجراء مركزي والزامي لاتخاذ القرار المحلّي يترجم التحوّل من الدولة المحتكرة الى الدولة الشريكة État partenaire التي لا تنفرد بالقرار العمومي ولا تهيمن كليا على الحقل السياسي وبخاصة الاقتصادي. لذا نوّع القانون في فصله 35 شروط انعقادها بين الشرط التنظيمي الذي يلزم المجلس بدعوة المتساكنين لاجتماع شعبي قبل اتخاذ القرارات وبين الشرط الديمقراطي الذي يمنح للمتساكنين سلطة فرض انعقاد هذه الاجتماعات خارج إرادة

المجلس ذاته شرط ان تكون الدعوة لإنعقاده تعبّر عن إرادة جماعية أدنى حدّدها بخمسة بالمائة. تحقّق آلية الاجتماع إضافة لتعدّد الفعل وتبادل متعدّد الفاعلين الأفكار والمواقف والتوجّهات، مساحة لممارسة الحق في **النفاذ الى المعلومة** الذي يؤكّده الفصل 76 من القانون حين يلزم الجماعات المحلية بنشر كلّ الوثائق المتعلقة بتسيير المرافق العامة وأن تعدّ تقارير دورية عن سير المرافق العامة تنشر بالموقع الإلكتروني للجماعة المعنية. تحدث آلية الاجتماعات الشعبية تغييرا عميقا في شكل العلاقات بين السلطة والمجتمع عبر دفعها نحو منوال جديد لاتخاذ القرار وللفعل العمومي في بعد المحلّي بالذات يضفي على المصلحة العامة تصوّرا تعدّديا أي الإقرار بأنّ للمصلحة العامة دائما تعبيرات وتمظهرات متعدّدة ومتخالفة وتنوّع في التصورات والأفهام التي قد تدخل في اختلاف أو صراع لا يفضي إلى توافق إلا في حضور آلية **التفاوض**Négociation الجماعي التي تمنح **الشرعية**Légitimation من جهة (السلطة المحلية) **والاعتراف**Reconnaissance من جهة ثانية (تشريك المواطن المحلي في اتخاذ القرار) . وعليه تخلق آلية الاجتماع ما يسميه هابرماس بتعميم النقاش Publicisation du débat (Habermas. Jürgen,1986) وتصنع مجالا للتفاوض وتبادل المصالح والتصوّرات والفهم بين مكوّنات البناء الاجتماعي المحلّي قد يفضي إلى صياغة إرادة جماعية أو الانتهاء إلى عقد تسوية أو اتفاق جماعي(Francq. Bernard,2003) يمنح القرارات العمومية شرعية ومقبولية مجتمعية تقطع مع تفرّد الدولة**L'unicité de L'État** ومع فيتشية اتخاذ القرار **Fétichisme de la décision** التي يوسم بها الفعل العمومي للدولة المركزية. غير أنّ هذا الاتفاق أو التوافق أو الإجماع الذي هو هدف آليات الديمقراطية التشاركية في الحكم المحلّي تظلّ مفترضة أو متوقعة وليست حقيقية اعتبارا لخضوعها إلى حاصل التفاوض وتأثّرها بتبدّل التحالفات والتوافقات ضمن المعاملات الاجتماعية اليومية وبالسياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتحوّلة. فاشتغال وتشغيل آلية الاجتماعات العامة يتحدّد بالطبيعة السوسيولوجية للعرقة بين السلطة والمواطن. وهي طبيعة تكشف عن غياب متكلّس تاريخيا في الفعل السياسي المركزي او المحلّي للفئات الضعيفة وللمعارضين سياسيا وغير المتحزبين ومؤسسات المجتمع المدني.

ب.الموازنة التشاركية Le Budget Participatif

يمنح القانون المنظم للحكم المحلي سلطة تقدير الميزانية المحلية وفق تقديرات الموارد الحقيقية والمتوقعة والحاجيات الفعلية(قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل 133) للجهة ضمن عنواني التأجير والتصرّف على ألاّ تتجاوز ميزانية التأجير 50 بالمائة من الاعتمادات(قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل 135). وتتولى السلطة المركزية مساعدة الجماعة المحلية على ضمان التكافؤ(قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل 131) بين الموارد الذاتية وتقدير الأعباء التي تضعها هياكلها المحلية. لذلك تخصص السلطة المركزية ضمن الميزانية العامة اعتمادات لفائدة الجماعات المحلية بالتشاور والتنسيق مع الهيئة العليا للمالية المحلية والمجلس الأعلى للجماعات المحلية(قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل 147-154).

توضع ميزانية الجماعة المحلية بالنظر إلى أهداف المخطط الثلاثي (3 سنوات) وبالنظر إلى تقديرات الأعباء السنوية. ويتولّى مجلس الجماعة بإشراف رئيس الجماعة المحلية إعداد مشروع الميزانية وعرضها على الجلسة العامة لمجلس الجماعة المحلية للمناقشة والمصادقة. ويتولّى مقرّر اللّجنة المكلّفة بالشؤون المالية والاقتصادية ومتابعة التصرف تقديم مشروع الميزانية وتلاوة رأي أمين المال الجهوي حول مشروع الميزانية عند الاقتضاء(قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل 172-173). ولا يكتفي القانون بتدخّل الأمين المال الجهوي بل يمنح لممثّل السلطة المركزية الذي هو الوالي الحق في الاعتراض على ميزانية الجماعة المحلية المصادق عليها لدى هيئة محكمة المحاسبات المختصة ترابيا من أجل عدم توازن الميزانية أو عدم إدراج نفقات وجوبية أو رصد مبالغ غير كافية لذات النفقات(قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل174). إنّ حضور ممثّل المركز في كل المجالس المتّصلة بالجهة أو الإقليم يروّج له القانون على انه مساعدة للجماعة المحلية على تحديد اعبائها وخلق التوازن بينها وبين مواردها الذاتية ولكن أيضا ضمانة لتطبيق القانون في احترام إجراءات وضع الميزانية والمصادقة عليها وإجراءات صرف الاعتمادات في تقيّد والتزام بالآليات الديمقراطية التشاركية والحوكمة المفتوحة التي اقرّها القانون. ويترك القانون لرئيس الجهة(قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل334) ومجلسها ولرئيس الإقليم(قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل371) ومجلسه المنتخبين مسؤولية ضمان احترام مبدأ التشريك والاستشارة والحوار الاقتصادي والاجتماعي محليا وجهويا (قانون الجماعات المحلية،2018، الفصل354-355)وإقليميا من اجل ان تكون هذه الميزانية تشاركية أي صادرة عن حضور فعلي وحقيقي للمواطن المحلّي وللفاعل المحلّي المتعدّد الذي تحدّثنا عنه والذي يحيلنا إلى المجتمع المدني والى القطاع الخاص والحرّ. وتكتسب الميزانية خاصية التشاركية من فعل التشريك عبر آليات الاجتماعات والاعلام والاستشارة والاستعانة بمن لهم صلة أو قدرة على تقديم الفكرة والمقترح في اجتماعات المجالس البلدية أو الجهوية أو الإقليمية أما مباشرة او عبر منظومة إلكترونية لمسك سجل مكونات المجتمع المدني وسجل آراء وتساؤلات المتساكنين ومكونات المجتمع المدني التي اقرّها الفصل 5 من الأمر الحكومي عـدد 401 المتعلّق بآليات ممارسة الديمقراطية التشاركية(الأمر الحكومي عـدد 401 لسنة 2019، الفصول 5-15). فالميزانية التشاركية هي اعتراف بفعالية وفاعلية حضور المواطن المحلّي عبر تأثيره في الخيارات والبرامج التنموية المبرمجة ضمن ميزانية الحكومة المحلية. فآليات الدمقراطية التشاركية والحوكمة المحلية تقتضي وجوبا عرض المشاريع على النقاش العمومي وفسح المجال المباشر لقوّة اقتراح المواطن المحلّي التي أوجب القانون تدوينها الكترونيا وورقيا لتشكّل مرجعا لتقييم تجربة الحكم المحلّي وممارسة الرقابة على درجة التقيّد بمقتضيات الحوكمة والديمقراطية المحلّية.

ج.الاستفتاء

يلزم القانون في سياق تأسيسه لآليات ممارسة الديمقراطية التشاركية وأن يكون للمواطنين المحلين دور في القرار العمومي التنموي، مجلس الجماعة المحلية، إجراء استفتاء متساكني

المجتمع المحلّي حول إعداد برامج التنمية والتهيئة الترابية بناء على مبادرة من رئيس الجماعة المحلية أو من ثلث أعضاء المجلس. ويمكن لرئيس الجماعة المحلية لوحده أن يبادر بذلك. إلا أنّ قرار إجراء الاستفتاء يشترط موافقة أغلبية ثلثي أعضاء المجلس(قانون الجماعات المحلية، 2018، فصل 31). ثم إنّ عدم مبادرة المجلس أو رئيسه لا يعني استحالة استفتاء المتساكنين حيث يجيز القانون في فصله الواحد والثلاثون أن يتّخذ قرار الاستفتاء باقتراح من عشر الناخبين المحليين بالجماعة المحلّية. ولا تتخّذ نتائج الاستفتاء بعدا استشاريا يقلّل من عمق تأثيرها بل تكون نتائجه ملزمة لمجلس الجماعة شرط ألاّ تقلّ نسبة المشاركة عن ثلث الناخبين المسجلين(قانون الجماعات المحلية، 2018، فصل 33)بالسجلّ الانتخابي. وتتوزّع الاستفتاءات بين الاستفتاء الاستشاري المحلّي Le Référendum Consultatif Local واستفتاء صنع القرار المحليّ Le Référendum Décisionnel local غير أنّها ترجمة إجرائية لمسارات الرقابة ومأسسة التشريك الاجتماعي في المسار التنموي التي أوجدها قانون الحكم المحلي عبر الزامية عرض مشاريع القرارات الإدارية أو التنظيمية أو التسيرية أو المالية والبرامج التنموية على المتساكنين مباشرة خلال الاجتماعات العامة أو عبر اجراء الاستفتاء المحلّي. فالاستفتاء بأشكاله المختلفة هو آلية تشاركية تعترف بتعدّد المتدخلين في الفعل العمومي وتفسح المجال لانخراط متعدّد مكونات المجتمع المحلّي باختلافاتهم وتناقضاتهم في صياغة القرار العمومي وبناء عليه ممارسة السلطة في بعدها التشاركي. فالاستفتاء مثل آلية الاجتماعات العامة يفضي إلى انتاج نماذج قوعدة وضبط للروابط الاجتماعية تقتضي فهمها سوسيولوجيا فهم علاقات القوّة التي تخفيها هذه الروابط الاجتماعية. فالفعل العمومي أو حاصله(Hassenteufel. Patrick, 2008) المتمثّل في مجموع القرارات هو نتاج ممارسات وتمثّلات الفاعلين المحليين بمتعدّد مواقعهم وأمكنتهم الاجتماعية.

إلاّ أن هدف إعادة بناء العلاقة بين الدولة مركزيا او عبر واسطة الحكومة المحلية التي يقترحها القانون وبين الفواعل المحليين لا يستقيم عبر ما وضعه القانون من آليات تظلّ في الوجدان السياسي التاريخي الشعبي مثلما العالم موضوع شكّ عميق سيلعب دورا مؤثّرا في افشالها وافراغها من ممكنات تحقيق أهدافها المعلنة خاصة مع ما يكتنفها من غموض والتباس يحيلنا هو ذاته الى توجس السلطة المركزية ذاتها من قراءة الهوامش لمبدأ الاستقلالية في معنى الانفصال. ويقرأ هذا التوجس فيما أسميناه بالممارسة الحذرة التي تبقي بأشكال مخاتلة على رقابة المركز وحضوره الصريح أحيانا والمغلّف احيانا كثيرة في القرار العمومي المحلّي وممارسة الديمقراطية التشاركية في بعد المحلّي.

2.الديناميات المحلّية والمركزية في سياقات متذبذبة: أثر السياق السوسيوسياسي

أ.في قصدية التباس مفهوم الديمقراطية التشاركية: نحو ممارسة حذرة

لم يغفل قانون الجماعات المحلية عن تدقيق المفاهيم الرئيسة والمحورية للقانون مثل الجماعة المحلية أو المتساكن أو المجتمع المدني أو مجلس الجماعة، الاّ أن الفراغ البارز الذي يعيب القانون ويضعه موضع الريبة والشك يتّصل بغياب كلّي لتعريف وتدقيق مفهوم الديمقراطية

التشاركية وتحديد آلياتها الرئيسية أو المتفق عليها على أقلّ تقدير. فقد أحال الفصل 29 بصريح العبارة ضبط الديمقراطيّة التشاركيّة إلى المجلس المحلّي المنتخب حيث ورد في نصّه "يضبط المجلس المحلّي المنتخب بالتشاور مع المجتمع المدني آليّات الديمقراطيّة التشاركيّة وصيغها"(قانون الجماعات المحلية، 2018، فصل 29). معنى ذلك أنّ وضع آليات ممارسة الديمقراطية التشاركية المحلية يلحق عملية الانتخابات البلدية ليصبح الحوار والتشاور رهين تركيبة المجلس وتموقعاته وبنية المواقع والفرص ضمنه. فيمنح هذا الفصل بذلك للحزب الفائز أو للتحالف الناتج مساحة فعل أوسع للتحكم في مآل الديمقراطية المحلية وتوجيهها على النحو الذي يخدم برامجها أو أهدافها أو تحالفاتها ولا يعكس تبعا لذلك خصوصيات وحاجيات الجهة الفعلية المنبثقة عن تركيبة المجتمع المدني والفاعلين المحليين بل متأثّرة بالتموقع الأيديولوجي للحزب أو التحالف الفائز.

فقد يفضي التوتّر المحتمل بين الفاعلين المحلّيين ومكوّنات المجتمع المحلّي وتركيبة المجلس المحلّي إلى عدم الوصول إلى اتفاق حول هذه الآليات مما يفتح المجال واسعا على انتكاسة ديمقراطية خطيرة بعامل عدم تعبير الآليات المعتمدة لممارسة الديمقراطية التشاركية الغير ديمقراطية في إجراءات وضعها أو في عدم تأسسها على عنصر الاجماع أو التوافق المعبّر عن التركيبة الاجتماعية (القبلية والعشائرية والعائلية والطبقية والفئوية...). فتفقد بذلك الديمقراطية التشاركية شرط مقبوليتها وشرعيتها بعامل غياب أو عدم تفعيل حقيقي لأهم شروطها وتحوّلها إلى "بازار سياسي" بعبارة **توران**.(توران. آلان،2016، ص16)ولا شكّ أنّ ثمّة تبعات لهذا التوتّر الممكن ولحالة الفراغ أو الفشل في إنتاج المشهد الديمقراطي المنتظر نظريا من قانون الحكم المحلي وسيرورة التنمية المحلية المستدامة اعتبارا لقوّة الرباط بين طبيعة الممارسة الديمقراطية ومسار التنمية. فالنجاح في تأسيس الديمقراطية المحلية يحوّل عملية التنمية من الحديث عن الفاعلين المحلّيين (كمستفيدين مفترضين من التنمية) إلى "الحديث معهم (كمنخرطين وفاعلين) بعبارة منذر كيلاني(Mondher.Kilani, 1977)وموقعتهم في محور عملية التنمية بما يقطع علاقتها بالديمقراطية التمثيلية أو النيابية لصالح الانتصار إلى منوالها التشاركي الذي يعترف للفاعلين كأفراد أو كجماعات بفعاليتهم وفاعليتهم في عملية التنمية كإشكالية تغيّر اجتماعي دينامي ومتبدّل" (اليحياوي.شهاب،2018).هذا إضافة إلى أنّ ترك تحديد آليات ممارسة الديمقراطية التشاركية للمجلس أو لأحد لجانه القارّة(قانون الجماعات المحلية،2018، فصل،210)ستنتج عنه كثير من الإشكالات التي تصبّ في تخالف وتباين أشكال ومناويل ممارسة الديمقراطية التشاركية بين الجماعات المحلية بالجمهورية التونسية ممّا قد يصنع منها تهديدا واقعيا لوحدة الدولة ذاتها بهكذا تشتّت في مناويل الحكم المحلّي بين الجهات والأقاليم. فقصدية عدم تدقيق مفهوم الديمقراطية التشاركية من جهة إجرائية الممارسة يضعنا أمام ديمقراطيات تشاركية تشي تخالف مفاهيمي ولكن أيضا مصلحي وايديولوجي وسياسي وثقافي خطير. فالممارسة الفعلية للديمقراطية التشاركية تتغاير محليا بالنظر إلى تباين الرأسمال الاجتماعي(Bourdieu.P,1980, p2)للجماعات المحلية والبنية السوسيولوجية التي ينتجها

تبادل الفعل بين أفراد الجماعات الترابية وانتماءاتهم الجماعية وتشكّل ما يسميه Putnam بالرصيد المشترك(Judge. Robert, 2003, p7-12) .
ورغم أنه بعد أكثر من سنة من اصدار قانون الجماعات المحلية أصدرت رئاسة الحكومة أمرا حكوميا توضيحيا لشروط وإجراءات إعمال آليات الديمقراطية التشاركية وممارستها، فإنّ الالتباس لا يزال قائما بقوّة باعتبار أنّ الأمر المذكور واصل تكليف اللجنة القارة بمجلس الجماعة المحلية بتصوّر ووضع آليات لممارسة الديمقراطية التشاركية محليا. حيث جاء في الفصل 13 ما يليّ " يمكن للجنة المكلفة بالديمقراطية التشاركية والحوكمة المفتوحة التابعة لمجلس الجماعة المحلية أن تطلع على سجل آراء وتساؤلات المتساكنين ومكونات المجتمع المدني المسجلة والإجابات عنها وأن تقترح على رئيس الجماعة المحلية تقديم إجابات أو توضيحات أو طلب استفسارات حول الآراء والتساؤلات المدونة بهذا السجل وذلك بتوجيه مراسلات للمعنيين على العناوين المضمنة بالسجل بما في ذلك الإلكترونية منها .كما يمكن لها دعوة المتساكنين أو مكونات المجتمع المدني المسجلة للحضور بمقر الجماعة المحلية قصد المتابعة. وفي هذه الحالة، يتم تحرير محضر جلسة"(أمر حكومي عـدد 401 لسنة 2019، الفصل 30). ثم إنّ باقي الفصول وخاصة الفصل الثالث[3]لم تحسم هي أيضا في آليات ممارسة الديمقراطية التشاركية بقدر ما وضعت إجراءات مساعدة لعمل اللجنة المكلّفة بالديمقراطية التشاركية والحوكمة المفتوحة أحدث بمقتضاها مكتب لمسك سجل مكونات المجتمع المدني وسجل آراء وتساؤلات المتساكنين.

إنّ استمرار الدولة المركزية في الإبقاء على هامش الغموض ومجال اللايقين الذي يلفّ مسألة الآليات يضعف ادعائها السياسي المرجع بتبنّي اللامركزية في إدارة الشأن العام وفي اتخاذ القرار العمومي الذي يخص المجتمعات المحلية تشاركيّا وفي توافق واسع مع مكوّناته ومختلف تركيبته الاجتماعية بما يجعل منها قوى ضغط ومراقبة ولكن قبل ذلك قوى فاعلة ومؤثّرة ومنخرطة بعمق في بناء تنميتها المحلية المستدامة. قد يحمل او يخفي هذا التغافل القصدي لا محالة توجّسا حقيقيا غير معلن من تجربة الحكم المحلي التي وجدت نفسها مورّطة في الانسياق خلفها بعامل القوّة الضاغطة للمجتمع المدني المتشيّعة لمبادئ الثورة الداعية إلى إنهاء تهميش الجهات غير المحظوظة والمتضرّرة من نموذج التنمية المعتمد من السلطة المركزية منذ الاستقلال. فثمّة ريبة حقيقية من تحوّل مسار الاستقلالية إلى الانفصال ومن الديمقراطية المحلية إلى مأسسة غياب الدولة في الجهات يترجمه قانون الجماعات المحلية لسنة 2018 والأمر الحكومي الملحق لسنة 2019 في تنسيب تأثير الفاعلين المحليين ضمن مختلف المجالس واللجان عبر فرض حضور الدولة المركزية في هرمها أو تركيبتها عدديا ونوعيا بشكل يعيد رسكلة المركزية عبر أشكال متخفية للحضور والسلطة المغلّفة بآليات ديمقراطية يبدو أنّها لن تتجاوز شكليتها وشكلها الدعائي السياسي المخاتل. لا نزال بحسب فهمنا لهذا القانون وتأويله سوسيولوجيا أمام ذات المعقولية التي تحكم بها الحكومات العربية شعوبها، إنها ديمقراطية الواجهة التي تزدهر في خطاب الدعاية وتذبل في البراكسيس السياسي عبر ما تضعه القوانين المكمّلة من معوقات وكوابح كثيرة أثناء

[3]أمّا الفصول من 4 إلى 15 فقد فصّلت القراءات وشروط فتح ومسك السجلات المذكورة.

التنفيذ. فممثلي السلطة المركزية في المجالس الجهوية مثل الوالي والأمين المالي الجهوي يفرض القانون على الجماعة المحليّة إعلامهما بكلّ أنشطتها ويملكان بمقتضى هذا القانون حقّ الاعتراض لدى المحكمة الإداريّة وإبطال أعمالها وبرامجها إن لم تتماشى وتعليمات المركز أو توجّهاته التي ينقلها ممثلها بالجهة او الهامش. وهو ما قد يفتح او يوسّع مجالات تحكّم المركز في الجماعات المحلية وإمكانية معاقبتها على خروجها عن سلطة المركز تحت مظلّة مخالفة الديمقراطية التشاركية الملتبسة والمتلبّسة قصديا بكثير من الإجراءات والتراتيب. يبدو أن معقولية الدولة المركزية (ميهوبي، فخر الدّين،2014،ص71-75) لم تغادر الوجدان السياسي للحكّام ولراهن الدولة الملتحفة شكلا بالحداثة يكشفها هذا التوجّس من الهوامش وهذه الريبة المستنجدة بالأوامر التوضيحية التي غالبا ما تنساق الى التضييق على ما يعترف به احتشاما الدستور او القانون من استقلالية وصلاحيات واعتراف بالخصوصيات المحلية للجهات وحقّها في حكم محلّي يمنحها هياكل ومؤسسات يؤثّثها الفاعل المحلّي والمواطن المحلّي بما يتناسب وموارده المخصوصة وخصوصياته المحلية وأهدافه وتركيبته في سياق تحقيق تنمية محلّية هي تحصيل ديناميات فردية وجماعية ورسمية وغير رسمية ونتاج تفاوض اجتماعي .Thuderoz) (Christian, 2000, p166 ما بين متعدّد الفواعل يتأسّس أو يؤسّس لانسجام وتناسق النسيج المجتمعي المحلّي من وجهة نظر سوسيولوجيا الفعل العمومي. فالمجال العمومي لا يقف عند اشتغاله كمكان للتفاعلات التي تتجاوز حدود الزمن والمجال لتنفتح على تجارب وخبرات وتصرفات وافعال حاضرة وماضية بل هو أساسا المكان الذي تكتسب فيه الوقائع والأحداث والفاعلين مرئيتهم**Visibilité**(Claudia BARRIL et autre,2003,p286)وما يمكن تسميته بالاعترافReconnaissance. ولا يمكن فهم الممارسة الديمقراطية وبالتالي الفعل التنموي لمجتمع مل دون العودة إلى تصوّر السلطة في التقليد السياسي للمجتمعات المغاربية والذي يتّسم أساسا بالتسلّطية والعنف واقصاء الذين يفكّرون أو يفعلون خارج دائرة نفوذ السلطة الحاكمة، لذا تنتظم علاقات الافراد والجماعات بالسلطة وبالمشاركة السياسية في التاريخ السياسي المغاربي بالنظر إلى هذا السياق السوسيوسياسي(Vermeren. Pierre, 2004, p184) غير الملائم لنشأة وتبلور مجتمع المواطنين الذي يطلبه مدلول الحوكمة في بعدها المحلّي.

ب.في إعادة انتاج المركزة وأشكال التبعيات الممأسسة

إنّ القصدية المؤكّدة لعدم التدقيق المفهومي للعبارات المستخدمة في التدليل على حقوق الجهات في الاحتكام إلى حوكمة محلية تقودها نحو تنمية مجتمعاتها المحلّية خارج وصاية وهيمنة الساحل المهيمن تاريخيا وخارج وصاية المركز، تكثّف الغموض والضبابية حول أبرز مقولات الدمقراطية المحلّية والديمقراطية التشاركية التي أقرّها الدستور وتناسق معها ظاهريا ودعائيا قانون الجماعات المحلية المؤسس للحكم المحلّي بعد الانتخابات البلدية في تونس 2019. يمكن تأويل ذلك سوسيولوجيا بأن إرادة التغيير تبدو مكبّلة بالتاريخ السياسي للبلاد والتاريخ الاجتماعي الذي هو تاريخ اخضاع وتبعية الأطراف والهوامش شبه كليا للمركز السياسي والاقتصادي وتاريخ عدم ثقة الهوامش في المركز واحساسها الدائم بالاستغلال والهيمنة والإقصاء التنموي

والسياسي. فالمركزة لم تكن فحسب تمشياً فرضته استراتيجية بناء الدولة الوطنية أو ما بعد الاستعمارية وإنما هي تعبير عن ارتهان القرار السياسي والتنموي الى معايير غير سياسية وغير تنموية تتعلّق أساسا بمالكي قوة الفرض بعبارة بورديو (Bourdieu. P, Passeron .j.c, 1970, p22) وقوّة التوجيه بما يعيد انتاج نظام سياسي يخدم ويثبّت بنية السلطة جهويا وبناء القوة القائم على تاريخية خدمة الهوامش للمركز.فلم يكن النظام السياسي التونسي منذ الاستقلال منحازا للجهات عدى الساحل المهيمن على السلطة وعلى القرار السياسي والتنموي. ويشي هذا الحضور المهمّ والحاسم في أحيان كثيرة لممثلي السلطة المركزية في الحكومة المحلية توجّس النظام السياسي من إمكانية إحياء الحكم المحلّي للبعد القبلي والعشائري والعائلي للنسيج الاجتماعي(خاصة مع عودة ظهور الصراعات بين العائلات والقبائل والعروش في جهات الجنوب التونسي في السنوات الأولى لما بعد الثورة) (بوطالب. محمد نجيب،2012، ص51-52) أو أن تؤسّس الديمقراطية التشاركية لسياقات تكون ملائمة للانفصال أو التمرّد أو تهميش المركز. فالعلاقة بين المركز والجهات لا تنضبط في الوجدان والممارسة السياسية، خلف الدعائية الطاغية في القانون، إلى سلطة القانون بل إلى ثقافة حكم تمتدّ جسورها إلى التاريخ الطويل للصراعات بين الجهات والمخزن والى الرغبة الدائمة للمركزة في تمتين تبعية الأطراف والهوامش بأشكال متنوّعة ومتجدّدة ومتبدّلة أحيانا (بوطالب. محمد نجيب،2009، ص 115).ولكن يبدو أنّ ما يكشفه القانون من ضبابية والتباس واسع للمفاهيم يؤكّد هذه القراءة السوسيولوجية التي تنبّه الفهم والتأويل إلى الأهمية القوية للسياق المجتمعي وللبنية الاجتماعية للجهة بما هي حقل للتواصل والتفاعل الهوياتي الذي يخلق علاقات قوّة ما يصعب على الفعل العمومي للسلطة أن يتجاهل تأثيره أو أن يقفز على كل التاريخ السوسيوسياسي للعلاقة بين المركز وكل جهة على حدّة على اعتبار تنوّع هذا التاريخ وتوزّعه بين الخضوع للهيمنة ومناهضة الحكومة المركزية وقياداتها. فإذا كان دستور 2014 أسّس لمنطق جديد في العلاقة بين المركز والأطراف ويعترف للجهات وللجماعات المحلية بحقّها في **التدبير** المحلّي **والمبادأة** المحلية في تسيير شؤونها وتحقيق تنمية محلية مستدامة متأسسة على ابجديات الديمقراطية التشاركية المحلّية، فإنّ قانون الجماعات المحلّية لسنة 2018 عرّى بوضوح في اعتقادنا اللا مقال والغير قابل للاعتراف وحقيقة هيمنة التاريخ على الذهنية السياسية لقادة الانتقال الديمقراطي في غالبيتهم باعتبار ضرورة الإقرار المنطقي باختلاف البعض ومعارضته وعدم تأثّره بهكذا تمثلات سياسية هي في واقع الأمر لها أسسها الثقافية ومرجعياتها السوسيوتاريخية التي أعادت أحداث ما بعد ثورة 14 جانفي 2011 ذات الدوافع والمحرّكات القبلية والعروشية والعائلية في الجنوب التونسي طرح البعد القبلي في بنية المجتمع التونسي وطبيعة علاقة الفرد داخله بالجماعات الأولية (بوطالب. محمد نجيب،2012، ص108).

تتضّح هذه الذهنية المشكّلة للخلفية التي أسّست للقانون في حذره من إطلاق سلطة وصلاحيات الجماعة المحلية في مواقف عديدة. فلا يكفي للجماعة المحلية أن تقرّر استفتاء شعبي محلّي حول إعداد برامج التنمية والتهيئة الترابية عند توفّر شرط موافقة أغلبية ثلثي أعضاء المجلس المحلي (قانون الجماعات المحلية، 2018، الفصل 31) بما أنّ القانون يجيز لممثّل السلطة المركزية

بالجهة أي الوالي الاعتراض على هذا القرار لدى المحكمة الإدارية(قانون الجماعات المحلية، 2018، الفصل 32) وبالتالي إمكانية إبطاله أو إجبار الجماعة المحلية ومجلسها على التشاور المسبق مع الوالي قبل اتخاذ قرار الاستفتاء أو أيضا التّفاوض المباشر أو تنظيم استشارة على معنى الفصل 92 تجنبا للتعارض أو هكذا نزاعات مع المركز وتعطيل تنفيذ قراراتها رغم انبثاقها عن المقاربة التشاركية وبالتالي مقبولية مجتمعية. وفي هذا الإجراء القانوني لا شكّ قصدية تنبع من الذهنية السياسية لواضعي القانوني ووجدانهم السياسي الذي لا يزال يحمل تجاه الهامش ريبة يعمل على تسييج نفوذه وإعادة تشكيل تبعيته في مصوغات ومسميات جديدة تمويهية. ثم إنّ سماح القانون للجماعات المحلية بعقد " اتفاقيات تعاون وإنجاز مشاريع تنموية في هذا النطاق مع جماعة محلية تابعة لدول تربطها بالجمهورية التونسية علاقات دبلوماسية أو مع منظمات حكومية أو غير حكومية مهتمة بتطوير اللامركزية والتنمية المحلية"(قانون الجماعات المحلية، 2018، الفصل 29) تفرمله شروط التنسيق والتشاور مع المصالح المختصة بالوزارة المكلّفة بالشؤون الخارجية وإحالة هذه الاتفاقيات عليها قبل عرضها على مصادقة مجلس الجماعة المحلية بشهرين على الأقل. ولا يكتفي القانون بالتنسيق والتشاور بل يمنح هذه المصالح المركزية سلطة رفضها وتعطيل تنفيذها ريثما يبت القضاء الإداري في هذا النزاع الذي قد يطرأ بين السلطة المحلية والمركزية. أما إذا عدنا إلى مجلس الجماعة المحلية الذي يتولى وضع الميزانية التشاركية المحلية في إطار ما يسمى بالاقتصاد الاجتماعي التضامني الذي يسانده الدستور والقانوني موضوع البحث، فإنّنا نجد أنّ محاسب المجلس المسئول عن مسك حسابية الجماعات المحلية تقع تسميته بقرار من وزير المالية بعد إعلام مسبق لرئيس الجماعة المحلية المعنية كمحاسب عمومي تابع للدولة وله صفة محاسب رئيسيّ حسب الفصل 129 من القانون.فدور هذا المحاسب العمومي المعيّن مركزيا والضامن لحضور فاعل للمركز وللسلطة المركزية في عمل مجلس الجماعة لا يقف عند مسك الحسابات بل فيما يمنحه له القانون من صلاحية تدخّل في إعداد الميزانية والتصرّف في الأموال ومتابعة الديون وإنجاز النفقات(قانون الجماعات المحلية، 2018، الفصل 129) على الصعيد المحلّي، مّما يضع التصرّف المالي إعدادا وانجازا ومتابعة تحت رقابة وأيضا تدخّل ممثّليها ضمن الحكم المحلّي. وهو ما يمكن اعتباره مع أندري كورز .André) (Gorz, 1970, p17شكلا **من التلاعب** الذي يتّخذ من مفاهيم الديمقراطية والتغيير والاستقلالية والعدالة وما إلى ذلك خطابا دعائيا يخفي معارضة حقيقية متخفية في هكذا تراتيب وإجراءات وآليات كابحة لسيرورة التغيير في النظام السياسي وفي نموذج الاقتصاد وإدارة الشأن المحلّي وفي علاقة الهوامش بالمركز. فإذا تقفّينا تفاصيل كثيرة يتضمّنها القانون نقف بجلاء على تكرّر إجراءات الربط التي يوجدها في جلّ أقسامه بالمركز بأشكال متعدّدة تتخفّى أحيانا كثيرة بما يخالفها أي بمقولة **دعم اللامركزية** وجهود الحكومة المحلية في تنفيذ برامجها التنموية والحدّ من التفاوت بين المناطق أو **بمبدأ التضامن** الذي يشير إليه الفصل 146والذي تتولى الدولة بمقتضاه "تحويل اعتمادات لفائدة الجماعات المحلية بعنوان التسوية والتعديل أو بعنوان المساهمة في تمويل المشاريع المحلية الحيوية وفق الاتفاقات تبرم للغرض"(قانون الجماعات المحلية، 2018، الفصل 146). فثمّة مسائل كثيرة يتوقّف فيها مسار اللامركزية والحوكمة المحلية على عمل

هيئات مركزية تملك قرار التدعيم أو الدعم أو تقييم المسار وتعديله وما إلى ذلك مثل **صندوق دعم اللامركزية والتعديل والتضامن بين الجماعات المحلية**(قانون الجماعات المحلية، 2018، الفصل 148-151) أو **الهيئة العليا للمالية المحلية**(قانون الجماعات المحلية، 2018، الفصل 61-65) أو ما **للمجلس الأعلى للجماعات المحلية**(قانون الجماعات المحلية، 2018، الفصل 47-60) من صلاحيات واسعة جدّا تتجاوز مساعدة المجالس المحلية أو الجهوية أو مجالس الأقاليم على التنمية المحلية وتنفيذ البرامج التشاركية ووضع ميزانية تشاركية مناسبة لهذه المشروعات التنموية الثقافية والاجتماعية إلى إمكانية إيقاف رؤساء المجالس المحلية أو الجهوية أو الإقليمية أو التدخّل في تنفيذ البرامج والمشاريع المبرمجة محليا أو في إطار اتفاقيات مبرمة مع السلطة المركزية أو المصالح الخارجية لها ذات الصلة. فنحن بذلك إزاء إعادة رسكلة للمركزية في أشكال مخاتلة تتخفّى بمقولة اللامركزية لتعيد ترسيخها في مناويل لا تتصادم مع التحوّلات المعولمة في فعل التدبير العمومي وأنماط الحكم الجديدة.

ج.أهمّ نتائج البحث

-الفراغ البارز الذي يعيب القانون ويضعه موضع الريبة والشك يتّصل ثمّة غياب كلّي لتعريف وتدقيق المفاهيم الرئيسة للحكم المحلّي وخاصة مفهوم الديمقراطية التشاركية وتحديد آلياتها الرئيسية أو المتفق عليها.

-ترك القانون وضع آليات ممارسة الديمقراطية التشاركية المحلية إلى المجلس أي ارتهانه إلى نتيجة الانتخابات وما سيفرزه من تركيبة ومن توافقات وتحالفات أو معارضات. لذلك ترتهن هذه العملية ببنية المواقع داخل تركيبة المجلس وما قد يفرزه من توتّر محتمل بين الفاعلين المحلّيين ومكوّنات المجتمع المحلّي وتركيبة المجلس المحلّي من شأنه تعطيل الوصول إلى اتفاق حول هذه الآليات مما يفتح المجال واسعا على انتكاسة ديمقراطية خطيرة.

-قد يحمل أو يخفي هذا التغافل القصدي توجّسا حقيقيا غير معلن من تجربة الحكم المحلي التي وجد تنفسها مورّطة في الانسياق خلفها بعامل القوّة الضاغطة للمجتمع المدني بالخصوص.

-تؤكّد آليات تشريك المواطنين والفاعلين المحليين في صناعة القرار العمومي ونقده وتصور ديناميات التنمية المحلية وتقييمها وجود ريبة حقيقية من تحوّل مسار الاستقلالية إلى الانفصال ومن الديمقراطية المحلية إلى مأسسة غياب الدولة في الجهات ينجلي في تنسيب هذا القانون تأثير الفاعلين المحليين ضمن مختلف المجالس واللجان عبر فرض حضور الدولة المركزية في هرمها أو تركيبتها عدديا ونوعيا بشكل يعيد رسكلة المركزية عبر أشكال متخفية.

-يضعف استمرار ابقاء الدولة المركزية على مجال الغموض والضبابية في مسألة الآليات، ماتروّج له سياسيا بتبنّيها اللامركزية في إدارة الشأن العام وفي اتخاذ القرار العمومي الذي يخصّ المجتمعات المحلية تشاركيّا. فهو لا يكتفي بفرض التنسيق والتشاور مع المصالح المركزية بل

منح هذه الأخيرة سلطة الرفض وتعطيل تنفيذ القرارات التي تتخذها المجالس عبر حقها في الالتجاء للقضاء في حال عدم الموافقة وحصول النزاع بين السلطة المحلية و المركزية .

-يبدو أن معقولية الدولة المركزية لم تغادر الوجدان السياسي للحكّام ولراهن الدولة المتغلّفة بالحداثة يؤكّده هذا التوجّس وهذه الريبة من الهوامش عبر تضييق قانون جماعات المحلية على استقلالية وصلاحيات آليات ومؤسسات الحكم المحلّي وتجاهله للخصوصيات المحلية للجهات وحقّها في حكم محلّي يتناسب واختلاف سياقاتها الايكولوجية والاجتماعية والتنموية والتاريخية.

-إن نؤكد ما لفتنا الانتباه إليه في تحليلنا السوسيوتنموي للنص القانوني المؤسس للحكم المحلي وللديمقراطية التشاركية التي هي أساسها هو أنّ إرادة التغيير تبدو مثّقلة بالذاكرة السياسية التاريخية للبلاد وبتاريخ إخضاع وتبعية الأطراف والهوامش للمركز السياسي والاقتصادي وتاريخ عدم ثقة الهوامش في المركز وإحساسها الدائم بالاستغلال والهيمنة والإقصاء التنموي والسياسي.

-وبذلك يكون هذا القانون قد عرّى بوضوح في اعتقادنا الغير مقال والغير قابل للاعتراف وحقيقة هيمنة التاريخ على الذهنية السياسية لقادة الانتقال الديمقراطي في غالبيتهم عبر قصدية غموض وضبابية المفاهيم وإعادة إقحام المركزي في المحلّي.

-يعكس الحضور المهمّ والحاسم في أحيان كثيرة لممثلي السلطة المركزية في الحكومة المحلية توجّس النظام السياسي من إمكانية إحياء الحكم المحلّي للبعد القبلي والعشائري والعائلي للنسيج الاجتماعي ونزعات التمرّد والانفصال خاصة في فترة الانتقال الديمقراطي المتّسم بهشاشة وضعف الدولة وتراجع سطوتها التاريخية على الهوامش.

-ينتج هذا الغموض والالتباس القصدي للمفاهيم والإجراءات وللتوجس والريبة المستقرأة من إعادة رسكلة حضور المركز يضمن المحلي بأشكال مخاتلة شكلا من التلاعب الذي يتّخذ من مفاهيم الديمقراطية والتغيير والاستقلالية والعدالة وما إلى ذلك خطاب ادعائيا يخفي معارضة حقيقية متخفية في مثل هذه تراتيب واجراءات وآليات كابحة لسيرورة التغيير في النظام السياسي وفي نموذج الاقتصاد وإدارة الشأن المحلّي وفي علاقة الهوامش بالمركز.

خاتمة

لا تشكّل الديمقراطية التشاركية والحوكمة المحلية خيارا أملته التحوّلات السياسية والاجتماعية والتنموية الداخلية نتاج حراك سياسي ومجتمعي أو نتاج سيرورة تطوّر سوسيوتاريخي بقدر ما هي مناويل جديدة نشئت في المجتمعات الليبرالية كمنفذ لأزمة حكم وتدبير وفرضت من الخارج

على مجتمعاتنا بعامل انفتاحها غير الاختياري على اكراهات العولمة. فمفهوم الحكم المحلّي أو الحوكمة المحلية وما يدور في فلكها من مفاهيم على غرار الديمقراطية المحلية والديمقراطية التشاركية والحوكمة المحلية تحتمل وتكشف مجالا واسعا من الغموض والتلبّس الأيديولوجي. فليست الحوكمة مثلا نموذجا مثاليا ولا منوالا موحّدا للحكم الرشيد وحسن التصرّف في الثروات وتوزيعها العادل ودمقرطة أوسع للفعل العمومي عبر انفتاحه الأوسع على الفعل الفردي والفعل الجماعي المشترك وطنيا او محليا بقدر ما هي مفهوم متعدّد الأفهام وحقول التنفيذ تتباين تعريفاته بتغاير المداخل والمقاربات السياسية أو الاقتصادية أو التسييرية أو التنظيمية أو السوسيولوجية أو السوسيوانثروبولوجية. وقد انعكس هذه التداخل والتقاطع لحقول استعمال وتعريف المفهوم على قانون الحكم المحلّي الذي لم يحتفظ فقط بهذا الغموض والالتباس بل عمّقه عبر تعمّد عدم تدقيق تعريف ابعاده وتحديد آليات وإجراءات ممارسته. وفي ذلك احتفاظ المركز بمجال متحرّك للعب والتفاوض مع الجماعات المحلية ومع الرئاسات الجهوية والإقليمية بما يديم ويثبّت القوّة التوجيهية للمركز ونفوذه التاريخي على الهوامش وبخاصة المهمّشة منها والفاقدة للقدرة على إدارة فعلها العمومي المحلّي في قطيعة مع مساعدة ودعم وتأييد المركز الاقتصادي والتنموي بالأساس.

لا يستقيم اعتبار الفعل العمومي التشاركي عملية تنظيمية وتسيرية خاضعة لعملية الضبط القانوني والقوعدة التي تضمن نجاح مسار التشاركية وتأسيس ثوابت التنمية المحلّية في الجهة. فهذا الفعل يتأثّر إلى حدّ بعيد بما يسميه غرافماير(Grafmeyer. Yves, 2000, p45) بأثر السياق. فالسياق المجتمعي الذي ينتج ويعاد انتاج ضمنه وعبره الفعل التنموي التشاركي المؤسّس للديمقراطية المحلية، يمارس سوسيولوجيا تأثيرا مهمّا وحاسما أحيانا كثيرة في نجاح تجربة تركيز الحكم المحلّي(Bassand.Michel,2007,p43) . فالمجتمعات المحلية تتغاير بالنظر إلى البنية القبلية والعشائرية والعائلية غير المصرّح بها او المعلومة مثلما بعلاقات القوّة للنسيج الاجتماعي. فالفرد لا يتصرّف بمعزل عن الروابط الجماعية التي تلوّن فعله الاجتماعي وترسم حدود انخراطه في الفعل العمومي المحلّي. ثم إنّ نجاح التجارب الجديدة الفردية والجماعية في ممارسة الضغط على السلطة وتحقيق مكاسب وفرض ارادته الفردية أو الجماعية على الدولة عبر أطر غير تقليدية في الاحتجاج الاجتماعي مثل قوّة الشارع والاعتصام وتعطيل العمل قد تضعف قدرة الخطاب الجديد للحكم المحلي والديمقراطية المحلية على استقطاب انخراط المواطن المحلّي في الفعل العمومي الذي تعاد ضمنه صياغة الحدود بين السياسي والاقتصادي في منظومة الحوكمة المحلية. فالمواطن المحلّي غير ملزم في راهن المجتمع التونسي ما بعد الثورة أن ينتظر دعوته إلى اجتماع شعبي أو استفتاء محلّي (لا يملك القدرة على كسب الثقة) ليعبّر عن موقفه بالرفض أو القبول أو تقديم مطالبه. فهو يملك اطرا جديدة أثبتت نجاعتها عمليا في كثير من حركات الاحتجاج التي حصلت في هذه الجهات والتي افضت إلى خضوع السلطة الجهوية والمركزية لإرادة الجماعات المحتجة وبالشكل الذي يرضيها ويحقّق لها مكاسب أوسع بكثير من الأطر التقليدية الموصولة بالأحزاب السياسية او الآليات الديمقراطية التقليدية أو مؤسسات المجتمع المدني. فكثيرا ما انتصب الشارع التونسي كبرلمان شعبيّ (اليحياوي.شهاب،2018)فرض ارادته في تغيير مسار عدد من القوانين أو الإجراءات وحسمت

جدلا سياسيا واقتصاديا محليا أو وطنيا في غياب كلّي للفاعلين التقليديين. في هذا السياق نفهم وندعو إلى مقاربة الحكم المحلي ومدى نجاحه في تحقيق التشاركية التي تشكّل محرّكه المركزي واغراء الفاعل المحلّي بالانخراط الفعلي في مسار الحوكمة المحلية وتأسيس عقد اتفاق بين السلطة والمجتمع. فالحكم المحلّي الذي يتأسس على مناويل غير تقليدية (الديمقراطية التمثيلية) في الضبط الاجتماعي للمجال المحلّي العمومي يتوسّل عنصر أو شرط الثقة بغاية تحفيز مشاركة وتشريك المواطن مباشرة في التدبير العمومي وإدارة الشأن العام إلى أقصاه. فانخراط المواطن المحلّي لا يضمنه النص القانوني ولا الإجراءات والآليات التي يوجدها لكيلا تتجاوز البازار السياسي وديمقراطية الواجهة، ولا أيضا المواطنية في معناها السياسي (الاعتراف للمواطن بحقوقه السياسية) (توران، آلان،2011، ص11) إنّما اعتقاد المواطن في جدوى وجدارة هكذا نماذج حكم وإدارة في تحشيد طاقاته وافعاله في الإرادة الجماعية التي تشكّل الغاية المركزية للحوكمة المحلية وآلياتها القانونية والمؤسساتية.

وصفوة القول أن الحكم المحلّي في المجتمعات العربية يحتمل ضغوطا عديدة موصولة باللامركزية الحذرة التي تشيها قوانين الحكم المحلّي من جهة وريبة المجتمعات المحلية (الجهات والهوامش) من السلطة المركزية ونواياها التي تصبّ دائما من وجهة نظر الجهات وبخاصة المهمّشة في تدعيم تفوّق المركز والجهات الساحلية التي شكّلت طوال التاريخ السياسي خزّان الدولة من القيادات التاريخية أو القيادات التكنوقراطية المهندسة للسياسات التنموية التي تعيد انتاج ريادتها وتفوقها ورقابتها على الجهات والهوامش حتى في أوج الترويج للديمقراطية التشاركية وأنماط الفعل العمومي الجديدة المتعارضة نظريا مع مركزة القرار التنموي والمنتصرة للحكم والحوكمة المحليّة.

قائمة المراجع:

1. أمين. جلال(1993)، الدولة الرخوة، دار سيناء للطباعة والنشر، القاهرة.

2. بشارة. عزمي(1998)، المجتمع المدني: دراسة نقدية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

3. بوطالب. محمد نجيب(2009)، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

4. بوطالب. محمد نجيب(2012)، الظواهر القبلية والجهوية في المجتمع العربي المعاصر: دراسة مقارنة للثورتين التونسية والليبية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.

5. توران. آلان(2016)،ما الديمقراطية؟ حكم الأكثرية أم ضمانات الأقلية، ترجمة حسن قبيسي، دار الساقي، ط3، بيروت.

6. توران، آلان(2011)، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سلمان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

7. الحبيّب. سهيل(2014)، المفاهيم الأيديولوجية في مجرى حراك الثورات العربية، مقدّمات في استئناف المشروع النقدي للأيديولوجية العربية المعاصرة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.

8. دفيدهارفي(2017)، المدن المتمرّدة، من الحق في المدينة الى ثورة الحضر، ترجمة لبنى صبري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

9. زيجمونتباومان(2017)، الخوف السائل، ترجمة حجاج أبو جبر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر،بيروت.

10. سامية محمد جابر(1966)، علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

11. سليمان أعراج(2012)، الديمقراطية التشاركية من أجل تفعيل دور الجماعات المحلية في التنمية، مجلة الفكر البرلماني، مجلس الأمة، العدد 29، الجزائر.

12. سوتيريوس.سارانتاكوس(2017)، البحث الاجتماعي، ترجمة شحدة فارح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،بيروت.

13. شارلين هس بيير وباتريشيا ليفي(2011)، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء ومحمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

14. العيسوي، إبراهيم(2003)، التنمية في عالم متغير: دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها. القاهرة: دار الشروق.

15. محمد عبد الفتاح محمد عبد الله(2006)، تنمية المجتمعات المحلية من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

16. مينش ريتشارد(2010)، الأمة والمواطنة في عصر العولمة (من روابط وهويات قومية الى أخرى متحوّلة)، ترجمة عباس عباس، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

17. ميهوبي، فخر الدّين(2014)، إشكالية بناء الدّولة في المغرب العربي: دراسة في تطور دولة ما بعد الاستعمار، مكتبة الوفاء القانونية، الاسكندرية.

18. نزيه.ن.الأيوبي(2010)، تضخيم الدولة العربية: السياسة والمجتمع في الشرق الأوسط، ترجمة أمجد حسين، المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

19. هوفه. أوتفريد(2010)، مواطن الاقتصاد، مواطن الدولة، المواطن العالمي، (الأخلاق السياسية في عصر العولمة) ترجمة عبد الحميد مرزوق، المركز العربي للترجمة، القاهرة.

20. ورد. عبد الملك(2006)، الفاعل المحلي وسياسة المدينة، دار ابي رقراق للنشر والطباعة، الرباط.

21. اليحياوي شهاب(2018)، العلاقة بين الديمقراطية والتنمية: بين المقاربات الكلاسيكية والطروحات الحديثة دمقرطة التنمية أم تنمية الديمقراطية، ورقة علمية مشتركة في الندوة الدولية حول التنمية ورهانات الديمقراطية، اغادير، المغرب.

22. اليحياوي شهاب(2018)،تقرير الحالة الدينية في تونس (2011-2015)، المجلّد الرابع، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط.

23. الدستور التونسي المصادق عليه من قبل المجلس التأسيسي بتاريخ 26 جانفي 2014.

24. القانون الأساسي عدد 22 لسنة 2016 المؤرخفي 24 مارس 2016 المتعلق بالحق في النفاذ إلى المعلومة على الهياكل العمومية المحلية والجهوية وعلى الجماعات المحلية.

25. قانون أساسي عدد 29 لسنة 2018 مؤرخ في 9 ماي 2018 يتعلّق بمجلة الجماعات المحلية، الرائد الرسمي للبلاد التونسية عدد 39 الصادر في 15 ماي 2018.

26. الأمر الحكومي عـدد 401 لسنة 2019 المؤرخ في 6 ماي 2019 المتعلق بضبط شروط وإجراءات إعمال آليات الديمقراطية التشاركية المنصوص عليها بالفصل 30 من مجلة الجماعات المحلية.

27. André .Gorz(1970), La société bloquée, éd du seuil, paris.

28. Bassand. Michel(2007), Cités, villes, métropoles. Le changement irréversible de la ville, Lausanne, Presses polytechniques et universitaires romandes (PPUR).

29. Benevolo, Leonardo(1993),la ville dans l'histoire européenne, paris, Editions de seuil.

30. Bordeleau. D(2003), Gouvernance et construction territoriale : le cas du Faubourg des Récollets de Montréal : du Carrefour des arts et des technologies à la Cité du Multimédia. Thèse de doctorat en sociologie. Université du Québec à Montréal, Montréal, Québec.

31. Bourdieu .P, Passeron .j.c (1970), LaReproduction, éd Minuit.

32. Bourdieu. Pierre(1980), « Le capital social », Actes de la Recherche en Sciences Sociales, vol. 31

33. .Castells, M (1981), La question Urbaine, Paris, Édition Maspéro.

34. Cavallier. Georges(1998), Gouvernement des villes et gouvrnance urbaine, in Défis pour la gouvernance urbaine dans l'Union européenne.

35. ChristionBrodhay et Florent Breuil (2004), Dictionnaire du développement durable, édition Afnour, Paris.

36. Claudia BARRIL, Marion CARREL, Juan-Carlos GUERRERO, Alicia MARQUEZ, (dirs) (2003), Le public en action. Usages etlimites de la notion d'espace public en sciencessociales ,Paris, Éd. Le Harmattan, coll. Logiques politiques.

37. Dominique. Schnapper(1998), la Relation à L'autre : au cœurdela pensée sociologique, éd Gallimard, Paris.

38. Dominique. Schnapper (2007), Qu'est-ce que l'intégration?, éd Gallimard, Paris.

39. Dorval Brunelle (dir.)(2010), Gouvernance : Théories et Pratiques, Éd Institut international de Montréal.

40. Francq .Bernard (2003), La Ville incertaine. Politique urbaine et sujet personnel, Louvain-la-Neuve, Academia-Bruylant.

41. FRIEDBERG.Erhard (1993), Le pouvoir et la règle, Paris, Seuil.

42. Généreux. Jacques (2005), Les vraies lois de l'économie, Éditions du Seuil, Paris.

43. Gérard Marcou (1999), « La démocratie locale en France- Aspect juridiques-», revue La démocratie localereprésentation, participation et espace public, Lille, France.

44. Grafmeyer. Yves (2000), Sociologie Urbaine, dir François de singly, Nathan, paris.

45. Habermas. Jürgen (1986), L'espace public : archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Paris, Payot.

46. Hassenteufel .Patrick (2008), Sociologie politique : l’action publique, Paris, Armand Colin.

47. LizabetteJalbert (1991), « La décentralisation : Enjeux et perspectives », in Louis Maheu et Arnaud Sales, La recomposition du politique. Chapitre 9, pp. 251-272. Montréal : L'Harmattan et Les Presses de l'Université de Montréal.

48. Maris Robert (2002),la société urbaine (phénomène sociologique), paris.

49. Mondher. Kilani (1994), L’invention De L’autre, Essai Sur Le Discours Anthropologique, Payot, Lausanne.

50. Poquet. Guy (2001), Démocratie de proximité et participation des habitants à la politique de la ville, CREDOC, paris.

51. Raffarin.Jean- Pierre (2002), Pour une nouvelle gouvernance, L’archipel, Paris.

52. Raymond .Boudon, François. Bourricaud (2000), Dictionnaire critique de la sociologie, Paris, PUF.

53. Thuderoz. Christian (2000), Négociations. Essai de sociologie du lien social, Paris, PUF.

54. Vermeren. Pierre (2004), Maghreb : la démocratie impossible ?, Paris, Fayard.

55. Weber. Max (1971), Economie et société, Paris, Plon.

56. John Hannigan(2013)"Analyser les villes et le changement dans une ère de mondialisation : deux points de vue divergents." Sociologie et sociétés 452 .

57. Judge. Robert (2003), « Le capital social, Établir les fondements de la recherche et de l’élaboration de politiques », Horizons, vol. 6, no 3.

58. Dubois. Vincent (2012), Ethnographier l'action publique : Les transformations de l'État social au prisme de l'enquête de terrain, Dans Gouvernement et action publique (n° 1), pages 83 à 101.

59. Geneviève Koubi (1994), «Démocratie locale et pluralisme socio-culturel», in Sciences de la Société n° 31.

60. Jessop .Bob (1998), L'essor de la gouvernance et ses risques d'échec : le cas du développement économique, Revue internationale des sciences sociales, 155, pp31-49 .

61. Lorrain. D,(1993)"Après la décentralisation, l'action publique flexible", Sociologie du travail, n°3.

62. Merrien. François-Xavier (1998), De la gouvernance et des Etats-providence contemporains, in La gouvernance. In Revue internationale des sciences sociales, n° 155.

63. Smouts .Marie-Claude (1998), Du bon usage de la gouvernance en relations internationales, in La gouvernance. In Revue internationale des sciences sociales, n° 155.

64. CédiricPolère, La démocratie participative- état des lieux et premiers élément de bilan-,synthèse à l'occasion de l'élaboration du numéro « des synthèses Millénaire3 » sur le thème de la démocratie, 2007,p. 09, sur le site : [www. Millenaire3.com/content/…/Polere_democratie_participative.pdf.].

65. Kaufmann. D; Kraay. A; Mastruzzi, M. (2010a). The Worldwide Governance Indicators: Methodology and Analytical Issues (World Bank Policy Research Working Paper No. 5430). Washington, DC: The World Bank.

العمل الجنسي المأجور بمدينة أكادير: مارينا نموذجا

عائشة أقهار، طالبة باحثة بسلكماستر الديناميات المجتمعية عبر حدودية المغرب و دول الغرب الافريقي، شعبة علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر أكادير-المغرب.
عبد الرحيم عنبي أستاذ جامعي مؤهل، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير- المغرب
نادية القدميري، أستاذة جامعية مؤهلة بالكلية متعددة التخصصات تارودانت، جامعة ابن زهر، تارودانت- المغرب.

ملخص: نادرا ما يكون عمل الجنس مهنة مختارة للنساء وغالبا ما يوصف بأنه الملاذ الأخير، بينما تلعب عدة عوامل دورا في خلق بيئة يشارك فيها مجموعة من الأفراد في العمل الجنسي كالأسرة والمجتمع والجهات المسؤولة. بحثنا هنا عن العمل الجنسي المأجور هو دراسة ميدانية حاولنا من خلالها الغوص في ثنايا جملة من الأسئلة التي لها ارتباط اجتماعي يقيم المجتمع المغربي. في هذه الدراسة تم تحليل الأبعاد الرئيسية للعمل الجنسي المعاصر المعروف (بالدعارة الراقية) الذي باتت تشهده مدينة أكادير بالمغرب تحديدا المنطقة السياحية مارينا. فمن خلال ما استطعنا إنجازه من مقابلات وتحليل لعمق هذه الحوارات التي نعتبرها مستندا يقف عليه بحثنا يتبين لنا أن الفرضيات التي تم وضعها في أول بحثنا هي فرضيات صحيحة، و أن المحدد الرئيسي الذي وقف عليه تحليلنا هو المحدد المادي ، حيث وجدنا من خلال نتائج الدراسة أن من أهم الأسباب الرئيسية التي أدت بهن إلى امتهان العمل الجنسي راجعة إلى الفقر و الطلاق و التشتت الأسري و البطالة وكذلك ضعف المستوى الدراسي، في مقابل هذا نجد أن العمل الجنسي يقدم مجموعة من الوظائف للمجتمع وتحوله إلى أداة تمكن من تغيير الانتماء الطبقي للفرد والمجتمع.

الكلمات المفتاحية: العمل الجنسي المأجور، مارينا، أكادير، الانتماء الطبقي، المجتمع المغربي.

Paid Sex Work in Agadir: Marina as a case study

Aicha AKOUHAR, Researcher Student,Cross border Societal Dynamics: Morocco and West African CountriesMaster, Sociology Department, Faculty of Literature and Human Sciences, IBN ZOHR University Agadir- Morocco.
Abderrahim ANBI,Associate Professor of Sociology,Sociology Department, Faculty of Literature and Human Sciences, IBN ZOHR University, Agadir-Morocco.

Nadia EL KADMIRI, Associate Professor of Medical Genetics, Molecular Pathologies and Research Ethics,Polydisciplinary Faculty of Taroudant, IBN ZOHR University- Morocco.

Abstract:Sex work is seldom a chosen profession for women and is often described as a last resort. Our study on paid sexual work was conducted through interviews. We chose Marina site as a case study. Through the analysis of our results, the main reasons that led them to the paid sex work are poverty, divorce, family dispersion, unemployment, as well as poor educational level for them. In contrast, we find that sexual work provides a set of jobs for Moroccansociety and turns it into a tool that enables changing the class affiliation of individual and society.

Keywords: Paid Sex Work, Marina, Agadir, Class affiliation, Moroccan society.

المقدمة

يجد الباحث في موضوع "العمل الجنسي المأجور" نفسه محصوراً بعدة أسئلة تاريخية، دينية، أخلاقية، تربوية، مجتمعية، اقتصادية وقانونية مما يقتضي مقاربته مقاربة شمولية مندمجة لكونه من القضايا المغيبة والمسكوت عنها.

ومن المعلوم أن هذه الظاهرة ليست وليدة اليوم، وإنما هي ظاهرة متجذرة في التاريخ وأعمق مما نظن، تقتضيالكشف عن أسرارها باعتبارها نوع من الطابوهات والمسكوت عنها في المجتمع.و يمكن تعريف البغاء بأنه تقديم المتعة الجنسية مقابل كسب مادي و قد شاع استعمال مصطلحي البغي و البغاء أو ما يعادلهما في الغرب مند أواخر القرن الثامن عشر. أما في العالم القديم فقد وصفت المرأة التي تقدم المتعة الجنسية مقابل ريع أو مردود مالي بمصطلحات أخرى مثل "المحظية" و"الغانية" و "العشيقة" أو "الجارية". و كانت لبعض الغواني و الجواري في المجتمعات التقليدية القديمة منزلة عالية في أوساط من يتعاملون معهن من الرجال. أما البغاء الحديث، فيتميز بان المرأة المانحة اللذة و الرجل او الزبون الذي يشتريها لا يعرف أحدهما الأخر على وجه العموم.ورغم أن الطرفين قد يتعاملان أحدهما مع الآخر بصورة منتظمة و متكررة، فان العلاقة بينهما لا تقوم بالضرورة على معرفة شخصية و هذه الصفة لم تكن موجودة في أغلب علاقات اللذة المدفوعة(انتوني غدنز، 2005، ص214).

لقد تعددت أشكال اشتغال هذه الظاهرة اليوم، لم تعد مقتصرة على فئة معينة من النساء المعوزات الفقيرات اللواتي يمارسن العمل الجنسي من أجل لقمة العيش لإعالة عائلاتهن أو أطفالهن، أوقد يتعرفن على زبنائهن في مقهى أو حانة رخيصة أو حتى في الشارع العام بل تنتقلن إلى نوعية أخرى من الممارسة.

اليوم، أصبحت العاملة الجنسية تبحث عن زبون خليجي بدعوة أنه يدفع المال أكثر عكس الزبائن المغاربة فهم لا يستطيعون قضاء ليلة مع عاملة جنس مقابل 2000 درهم إلى 2500 درهم. فأصبح العمل الجنسي اليوم وسيلة للترقي وتحقيق متطلباتهم فالزبون ليس لديه مانع ما دام يحقق إشباعه الجنسي.إذن " اليوم نشهد تحول العمل الجنسي إلى عمل غير مهيكل من أجل مواجهة مجموعة من الظروف الاجتماعية كالفقر والبطالة، ومن أجل تنشيط الاستهلاك والسياحة والاستثمار والعيش في الرفاهية، وليس وسيلة لمجابهة ظروف عيشهن فقط(عبد الصمد الديالمي، 2009، ص14).لا مجال إذن لإنكار تحول الجنس إلى نشاط اقتصادي بمدينة أكادير التي تستقطب هذا النوع من السياحة الجنسية بفضل تواطؤ الأسر والأنظمة.

إن موضوع دراستنا يتمحور بالأساس حول شكل من أشكال العمل الجنسي المأجور، فعاملات الجنس ينقسمن إلى قسمين: فمنهن من يمارسنه مع الطبقة الفقيرة ومنهن من يمارسنه مع الطبقة الغنية أو ما يسمى بالمنظور الشعبي (الدعارة الراقية)، التي تمارس في أجواء خاصة وزبناؤه من نوع خاص مستعدون لدفع مبالغ كبيرة، أغلبهم من جنسيات عربية (دول الخليج).

ومن هذا المنطلق تكتسي هذه الدراسة الميدانية أهميتها في كون موضوع العمل الجنسي المأجور هو في حد ذاته موضوعا يعد ملتقى للكثير من التخصصات والميادين.

وبناءا لما تقدم ذكره، فقد إرتأينا في هذا الموضوعأن نقف عند أهم الأسباب الواضحة والملموسة من خلال الإحتكاك بواقع المجال المدروس بتركيز النظر على عمق الظاهرة في منطقة مجال البحث "مارينا-أكادير"، حيث أصبحت هذه المنطقة تشهد هذا النوع من العمل الجنسي المأجور الذي يقام في شقق مارينا مع زبناء من مختلف الجنسيات العربية.

ومن هذا المنطلق تتحدد اشكالية الدراسة من خلال التساؤل الرئيسي التالي: ما الذي يجعل مجموعة من ممتهنات الجنس يفضلن السياح العربمن دول الخليج؟

الهدف من الدراسة:

لكل دراسة أو بحث علمي غاية أو مجموعة من الأهداف يرسمها الباحث و يعتمدها استنادا على حقائق الواقع الاجتماعي، وفي هذه الحالة يكون البحث الاجتماعي هو السبيل الوحيد للوصول إلى المعرفة العلمية وتجسيدها على الواقع من خلال مراحل البحث التي تؤدي إلى بناء وتحقيق نتائج علمية وموضوعية للدراسة.

هدفنا من خلال هذه الدراسة العلمية التي تدخل في إطار تخصص علم الاجتماع العام الذي يهتم بدراسة كل ما يتعلق بالمجال العام للمجتمع، هو التعرف على بعض الحقائق الموضوعية المتعلقة بموضوع العمل الجنسي المأجور والدوافع التي تدفع بمجموعة من الفتيات إلى امتهان هذا العمل الجنسي كحل أخير في معايشة المجتمع. لقد تم تحديد الأهداف التي نتوخاها من خلال هذا البحث فيما يلي:

ـمحاولة فهم العلاقة بين ممارسات العمل الجنسي والزبناء العرب، كذلك بين الوسيطات في المهنة ورصد طبيعة العلاقة التي تجسد بينهن وبين التمثلات الاجتماعية للساكنة حول هذه الظاهرة.

-التحقق من صحة الفرضيات التي تنطلق منها هذه الدراسة.
-تحديد أبعاد ظاهرة العمل الجنسي داخل المجتمع.
-استنطاق بعض النظريات المفسرة للعمل الجنسي.

الفرضيات

إن مرحلة صياغة الفرضيات هي من أهم المراحل المنهجية التي يقوم بها الباحث، إذ توجه الباحث إلى اكتشاف نوع من الحقائق التي يجب البحث عنها ولقد حددنا الفرضيات كالتالي:

الفرضية الأولى: التفكك الأسري يؤدي بالفتاة إلى امتهان العمل الجنسي.

الفرضية الثانية: العمل الجنسي المأجور يعتبر كحل غير مهيكل لمشكل البطالة والانتفاع منه بطريقة غير مباشرة.

الفرضية الثالثة: إن العمل الجنسي له وظيفة في المجتمع.

منهجية البحث

لقد لجأنا في إطار دراستنا لموضوع العمل الجنسي المأجور بمدينة أكادير إلى عدة خطوات منهجية المتمثلة في المرحلة الأولى في جمع المراجع، الوثائق، البيانات والمعلومات التي تمس موضوعنا. هذه الخطوات الأولية سمحت لنا بالحصول على معلومات كافية لتحديد موضوعنا والإلمام به وخاصة مكنتنا من تحديد المفاهيم الأساسية ذات الصلة بالموضوع ومساعدتنا في بناء الإشكالية وطرح التساؤلات وكذا صياغة الفرضيات.

في المرحلة الثانية قمنا بالزيارات الاستطلاعية أي الشروع في جمع بيانات الأولية ميدانيا حول الظاهرة، ونظرا لطبيعة موضوعنا اعتمدناعلى منهجية دراسة الحالة والتي تعتبر أكثر ملائمة مع هذه الدراسة حيث أردنا دراسة تلك الحالات دراسة وافية ومعمقة لأسباب وظروف انتشار ظاهرة العمل الجنسي المأجور بالمنطقة السياحية "مارينا اكادير".لجوؤنالمنهجية دراسة الحالة وتقنية المقابلة النصف الموجهة لم يكن اعتباطيا بل كان متعمدا ذلك أن موضوع دراستنا موضوع شائك وحساس وبالتالي التطرق إليه ليس بالأمر الهين لأنه يدخل ضمن حلقة الممنوعات والطابوهات.لذلك كان لجوؤنا لهذه المنهجية دون المناهج الكمية التي تستعمل فيها عادة الإستمارة، لأنه حسب رأينا فإن هذه الأخيرة لا تستطيع أن تعطينا الإجابات الشافية للإلمام بكل جوانب الموضوع فهي قد تعطينا أرقام و إحصائيات عن الظاهرة لكن دون التطرق للأسباب الخفية التي يمكن أن نتحصل عليها من خلال دراسة محتوى المقابلات التي أجريناها مع عاملات الجنس والتي قد تبوح لنا بأشياء لا يمكن للاستمارة أو الاستبيان أن يكشف عنها. من خلال هذه المقابلات، سمحت للمبحوثات أن يخرجن عن إطار الأسئلة المطروحة حيث فضفضن عن أشياء كثيرة لم تكن في الحسبان وهذا ما مكننا من الحصول على قدر كبير من المعلومات لا يمكن لتقنية أخرى أن تسمح بها بالإضافة إلى ذلك اعتمدنا على تقنية الملاحظة بالمشاركة التي مكنتنا كذلك من الاحتكاك أكثر بمجال الدراسة والتقرب أكثر من المبحوثات.

النتائج والمناقشة

الفصل الأول: دوافع العمل الجنسي المأجور و مترتباته.

تم تشخيص المحددات الديموغرافيةالتي تضمنت مجموعة من الأسئلة حول هوية المبحوثات (الجنس، السن، الوضعية العائلية...الخ) ليتسنى لنا التمييز بين المبحوثات والباحثين ، وكذلك توضيح العلاقة بين اختلاف المحددات. من خلال النتائج الأولية للمقابلات وتحليلها تبين أن نسبة عاملات الجنس تصل إلى نسبة 85,71% في حين نسبة الذكور تصل إلى 14,28% (جدول رقم 1) .

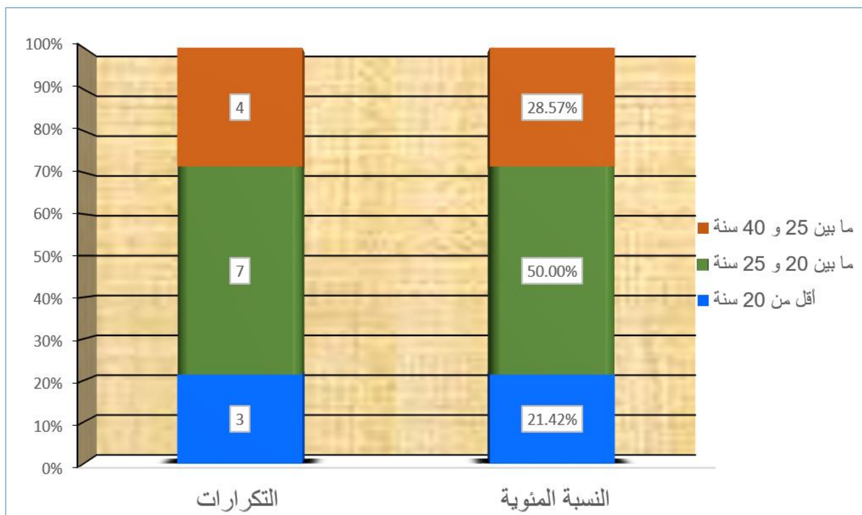
جدول رقم1: توزيع عينة البحث حسب متغير الجنس

الجنس	العدد	النسبة المئوية
الإناث	12	85,71%
الذكور	2	14,28%
المجموع	14	%100

بالنسبة لمتغير السن، فإن نسبة عاملات الجنس اللواتي أقل من 20 سنة يمثلن 21,41% ، اللواتي ما بين 20 و25 سنة ، فإن نسبتهن تصل إلى 50% ، أما ما بين 25 و40 سنة ، فإن نسبتهن تصل الى 28,57% بما فيها الذكور والإناث (مبيان رقم 1).

تشير هذه المعطيات إلى الفكرة السائدة عن صغيرات السن نسبة إلى مدى صلاحية المرأة

مبيان رقم 1: توزيع عينة البحث حسب متغير السن



الصغيرة السن في الجنس، فكلما صغرت بالسن كانت أكثر طلبا بالنسبة للزبناء وبالتالي الإقبال عليها والرغبة بها تزداد لذا فهي المرشحة الأولى في سوق العمل الجنسي، وتصرح أغلبهن بكونهن قد بدأن ممارسة هذه المهنة في سن مبكرة.

تختلف الحالة الاجتماعية ما بين عازبات، مطلقات ومتزوجات حيث تصلنسبة عاملات الجنس العازبات إلى71,42%، تليها الفئة المطلقة من الإناث والمتزوجين من فئة الذكور(الزبائن)، حيث تصل إلى نسبة 14.28% من مختلف المناطق (جدول رقم 2).

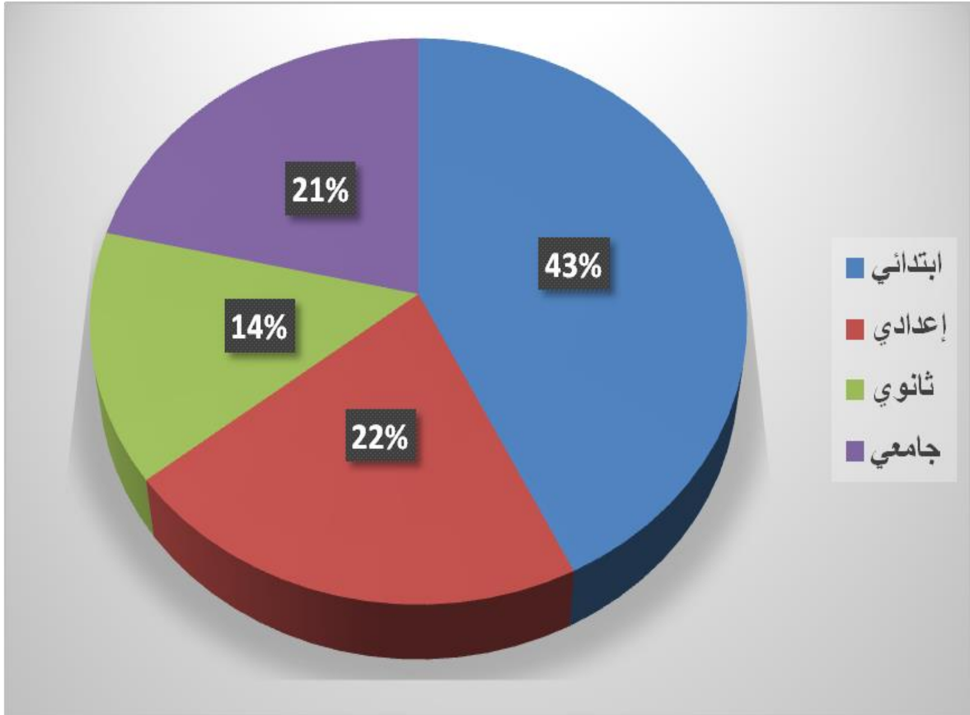
جدول رقم2: توزيع عينة البحث حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	العدد	النسبة المئوية
عازب	10	71,44%
مطلق	2	14,28%
متزوج	2	14,28%
المجموع	14	100%

وتختلف أسباب الطلاق من حالة إلى أخرى ;فالحالة الأولى كان سبب طلاقها هو زواجها بغير رضاها من رجل كبير في السن وقامت بالهروب من بيت الزوجية إلى أنه تم طلاقها، أما الحالة الثانية كان سبب طلاقها تعنيفها من طرف زوجها وأنه لا يقوم بواجبه كأب في التكفل بمصاريف البيت و مصاريف ابنتهمما اضطرت إلى امتهان هذه المهنة.

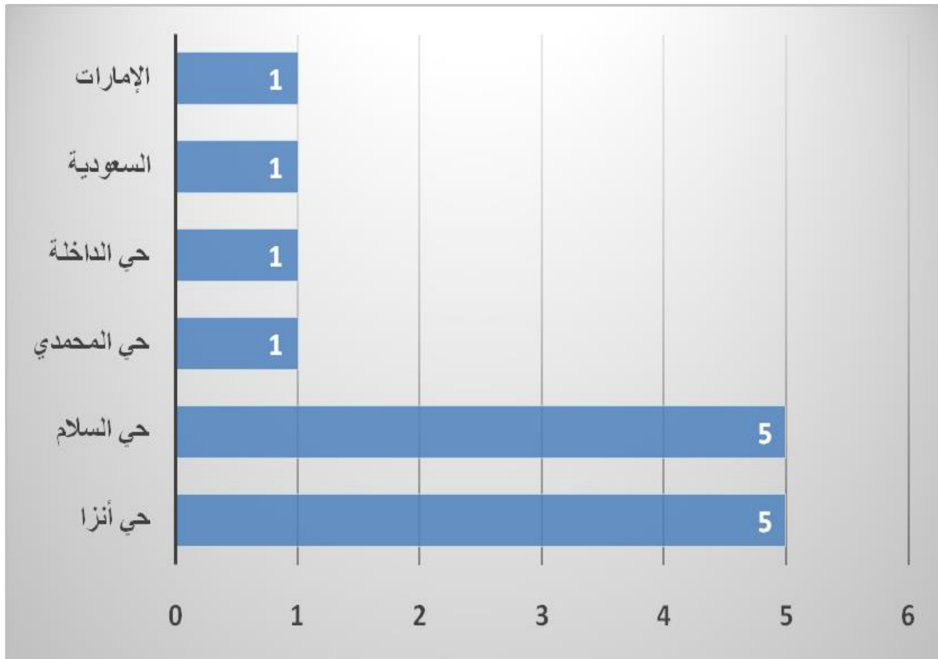
يظهر من خلال المبيان اسفله، أن أغلبية المبحوثات تقرأ وتكتب ويختلف مستواهن ما بين ابتدائي الذي تبلغ نسبته43%، تليها نسبة المستوى الإعدادي تقدر ب 21%، في حين مستوى الثانوي تبلغ نسبته 14%، أما المستوى الجامعي فهو يصل إلى نسبة 22%، يتشارك فيه حتى الذكور(الزبائن) (المبيان رقم 2).

مبيان رقم 2 : توزيع عينة البحث حسب المستوى الدراسي



تبين من خلال المقابلات أن أغلب عاملات الجنس تنحدر من حي أنزا، وحي السلام بنسبة 36%، وتليها الأحياء الأخرى(حي المحمدي وحي الداخلة)، بنسبة 7%، أما بالنسبة للذكور القاطنين بدول الخليج من الإمارات والسعودية تصل نسبتهم إلى 7% كذلك (مبيان رقم 3). وبما أن موضوعنا يتناول العمل الجنسي المأجور، فنحن ركزنا على فئة الإناث(عاملات الجنس) أكثر من الذكور (الزبائن).

مبيان رقم 3: توزيع عينة البحث حسب موقع السكن



الوضعية العائلية لعاملات الجنس

تعاني عاملات الجنس قبل امتهان هذا العمل إلى نوع من عدم الاستقرار الأسري حيث تبلغ نسبة ممتهنات الجنس اللواتي يعانين من التشتت الأسري من طلاق الوالدين إلى نسبة 57% حيث نجد الأم المطلقة المتزوجة من رجل آخر تترك ورائها أطفالا يحتاجون إلى من يعيلهم. وقد ذكرت بعضهن احترافهن لهذه المهنة هو من أجل إعانة أنفسهن في غياب مسؤولية الأسرة. أما البقية فهن يعشن بعيداً عن عائلتهن ومنهن من أمهاتهن تعاني من أمراض مزمنة حيث تحتاج إلى مصاريف العلاج أما اللواتي لديهن آباء على قيد الحياة فقد بلغت نسبتهن 21%، وهي نسبة قليلة، أي أن هناك عدد من عاملات يستطعن ممارسة هذه المهنة بوجود الأب وسلطته.

بعد الإطلاع على محتوى المقابلات التي أجريناها مع أفراد العينة و النتائج المتوصل إليها، استخلصنا أن اغلب عاملات الجنس تعانين من التشتت الأسري وكذلك بالنسبة لمستواهن الدراسي، وهذا ما أشارت إليه أيضا الكاتبة سيمون دي بوفوار في كتابها "الجنس الآخر"في الفصل الثالث عن أوضاع المرأة، حيث طرحت سؤال مركزي: ما هي العوامل التي تدفع المرأة إلى مزاولة العمل الجنسي؟ حيث تشير الى أن نتائج الإحصاءات تؤكد أن المستوى الفكري للعاملات هو أدنى من المتوسط هي نتائج صحيحة، لأن النساء اللواتي لا يتمتعن بقدرة فكرية كافية يفضلن اختيار مهنة لا تتطلب منهن أي جهد فكري أو أي تخصص في فرع من الفروع، ولا شك في أن السبب الرئيسي في انتشار العمل الجنسي يعود إلى الشقاء والحرمان التي يعاني قسم كبير من المجتمعات. وإذا "كان بوسع المومس أن تكسب عيشها بطريقة أخرى فإن اختيارها لهذه المهنة لا يجب أن يدفعها للحكم عليها بوجود ميول فطرية داخل نفسها تدفعها إلى امتهان

ذلك، والأحرى بأن توجه اللوم إلى هذا المجتمع الذي جعل من مهنة العمل الجنسي في نظرهن أشد سهولة و أكثر ربما" (سيمون دي بوفوار، 2017، ص241).

على ضوء الفرضية الأولى التي اعتبرنا فيها أنه "ربما التفكك الأسري يؤدي بالفتاة إلى امتهان العمل الجنسي " فقد تبين أن أغلب الفتيات يعانين من عدة مشاكل اجتماعية وأسرية داخل الشق الأسري وأن الأسرة أصبحت تساهم فيه بشكل كبير; الأمهات، الإخوان ، الأخوات... كل هؤلاء يدفعون بالفتاة نحو العمل الجنسي. فغياب دور الأسرة التي تقوم على التنشئة الاجتماعية للفرد، ساهم في لجوئهن ويؤكدن أن أسرهن والمجتمع ككل مسؤول، فهم لا يقومون بدورهم حين كانوا في أمس الحاجة لذلك. أغلب عاملات الجنس تنحدر من أسر مفككة وفقيرة تتكاثر يوما بعد يوم، حيث يقود هذا الاعتبار حسب الدكتور الديالمي إلى عدم اعتبار المجتمع المغربي مجتمعا متكاملا، فهو ينتج البطالة، التشرد، الطلاق، الإدمان على المخدرات، كذا الرغبة في الهجرة إلى الخارج، تحقير الفرد لذاته ولجسده، حيث أصبحت كل تلك الظواهر هيكلية وغير مرتبطة بظرفية معينة عابرة فالعمل الجنسي ظل من الحلول التي التجأت إليها فتيات من أجل تحسين وضعيتهن الاقتصادية، و هذا ما سجلنا من خلال بحثنا أن الدافع وراء دخول العمل الجنسي هو الفقر ولعلها من الأسباب الرئيسية التي تدفع بالفتيات إلى اختيار النوع الراقي من العمل الجنسي المأجور كمهنة.

وعلى هذا الأساس، تؤكد النظرية الماركسية من خلال ثلاث تفسيرات للفقر من قبل الماركسيين وهي الصراع والقوة والتغير، ويرون أن المجتمع يتألف من مجموعات متميزة تسعى إلى تحقيق أهدافها الخاصة و وجود هذه المصالح المنفصلة يعني أن احتمال قيام الصراع بين هذه الجماعات يظل قائما على الدوام(انتوني غدنز، 2005، ص75).

فمن خلال هده الصراعات الذي قد يلتجأ الفرد في بعض الأحيان إلى تحقيق تكافؤ الفرص في الشغل وموازاة دخله الفردي مع فئات غنية باتخاذ مهنة العمل الجنسي أو عمل آخر متل التسول يمكننا القول اذن أن الفقر مرتبط بالصراع الطبقي الموجود في المجتمعات والذي يؤدي بالفتيات إلى امتهان العمل الجنسي. فلا توجد فتاة تريد أن تكون ممتهنة للجنس."فالمجتمع لا يخلو من التمايز الاجتماعي الفاحش الذي يعكس على تماسك المجتمع، هذه الازدواجية في المجتمع تنمي الشعور باللامساواة، والتي تؤدي حتما إلى الزيادة في ظاهرة الفقر والإقصاء عند عدد من الفئات مما سيؤدي حتما إلى تفاقم الهامشية وإلى البحث عن لقمة العيش بأي وسيلة مهما كان الحال حتى لو كان اللجوء إلى بيع الجسد. عدم المساواة والحرمان الاجتماعي وإهمال للموارد الطبيعية التي يتم استثمارها في مجالات لا تعود بالنفع إلى شرائح مهمة من السكان.كل هذه التحولات الاقتصادية تؤثر على البنية الاجتماعية من خلال التربية والتعليم والتنشئة خاصة أمام تدني مستوى التعليم"(سبتي زكية، 2006، ص125-131).

فالهدف من العمل الجنسي هو هدف مادي اقتصادي، "أقصر طريق تنهجه المرأة أكثر من الرجل ليس بالنظر إلى شذوذ أو إلى شبقية أكبر، وإنما نظرا لتراكم تاريخي جعل من درجة تأهيل المرأة وتمكينها درجة أدنى وهو ما يفسر ارتفاع نسبة بطالتها، إن البطالة النسوية هي الطريق اليسير

نحو العمل الجنسي بل أصبحت أغلبية الأسر تعتمد على مدخولالعاملة الجنسية كمدخول رئيسي إن لم يكن الوحيد كل ذلك بدافع البطالة والحاجة والفقر"(إسماعيل قبرة، 2006، ص41).

وفي مقام آخر وغير بعيد من هذا الطرح، يرى أنصار الاتجاه الوظيفي أن اختلاف التنظيم الاجتماعي وغياب التماسك الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد الذي تجمعهم أهداف مشتركة قد يؤدي في الغالب إلى اضطراب وظائف المجتمع إلى حالة من التفكك الاجتماعي التي تؤدي بدورها إلى فقدان المعايير والقواعد الاجتماعية ، مما يعرض المجتمع إلى حالة من الأنومي أي اللامعايرية، وهي الحالة التي تعقد المعايير الإجتماعية السائدة في مجتمع ما فعاليتها في ضبط سير الأفراد و تنظيم سلوكهم لتحقيق القدر المطلوب من التوافق الاجتماعي(ايميل دوركايم، 1982، ص63).

الفرضية الثانية التي اعتبرنا فيها "أن العمل الجنسي يعتبر كحل للبطالة، فقد تبين أنها سياسة عمومية غير مهيكلة تم نهجها من طرف الممتهنات للجنس المأجور و العاطلات عن العمل كما سماها الدكتور الديالمي" البغاء حل للبطالة". فالعمل الجنسي يعتبر حلا سهلا وسريع المشكلة البطالة و الشباب، فالعمل الجنسي لم يعد مقصورا على الأوساط الهشة اقتصاديا، وإنما يطال أفرادا من فئات اجتماعية متوسطة يتوقون إلى العيش في مستوى يفوق إمكانياتهم المادية، واخترتن هذا النوع من العمل الجنسي مع الخليجيين الذي تربحن منه أموالا كثيرة، بفضل السياحة العربية الخليجية. "فالكثير من الأموال العربية ذات المصدر النفطي تنتقل إلى بعض الدول العربية غير النفطية وتستفيد منها جنسيا، ولكن الأخطر هو أن هذه الاستفادة تأخذ شكلا بنيويا من خلال ظاهرة السياحة الجنسية".(عبد الصمد الديالمي، 2009، ص78).

لا مجال إذن لإنكار تحول الجنس إلى نشاط اقتصادي بفضل عقد اجتماعي وسياسي غير مهيكل على الصعيدين القطري والقومي، أي بفضل تواطؤ الأسر نفسها والتسامح الفعلي وليس القانوني. هذا لا يمنع انه أحيانا تقوم السلطات بحملات تطهيرية من حين لآخر للضغط على بعض الفاعلين للتقليص من هذا العمل الجنسي.(عبد الصمد الديالمي، 2009، ص77). وهذا ما اعترفت به الكثير من عاملات الجنس، ولامتهانهن لهذا النوع من العمل الجنسي مع "الخليجيين حيث يعتبرن أن السائح الخليجي كريم جدا ويقدم الكثير من الهدايا والسفر إلى الخارج وإكراميات إذا أعجبته الفتاة وأحيانا يمنعها من السهر والخروج بالليل، مقابل توفير لها كل مصاريفها منها: السكن، اللباس، الغذاء، أي شيء وقد تصل أجرتها إلى 10.000 درهم في الشهر أو أكثر على حسب الزبون. فالكثير منهن يقمن بتحمل مصاريف أهاليهن والبعض منهن يصرحن أن هذا المبلغ غير كافي مما يدفعهن إلى التعرف على المزيد من الزبائن من دول الخليج في الأماكن المخصصة لهذا النوع من العمل الجنسي.

الفصل الثاني: وظائف العمل الجنسي.

بعدما قمنا بتحليل معطيات الفصل الأول وتشخيص ظروف هذه الفئة مع تفسير ومناقشة الأسباب والعوامل التي تدفع عاملات الجنس في امتهان العمل الجنسي، سنحاول في هذا الفصل التعرف على العلاقات التي تتكون داخل المنظومة الجنسية والوقوف على وظائف العمل الجنسي، للإجابة

على الفرضية التي قمنا بصياغتها في البداية وهي كالتالي "نفترض أن العمل الجنسي له وظيفة في المجتمع ".

يمكن القول إذن أن كل العلاقات التي تكونها العاملة في الجنس مع شرائح المجتمع كالوسيطة التي توفر الزبائن لهن بشروط معينة، وكذلك علاقتهن مع" مول التاكسي" فهو بمثابة اليد اليمنى وكل عاملة تتوفر على سائق خاص يقوم بأخذها لأي مكان وينتظرها منذ طلوعها من البيت, إلى صالون التجميل, إلى مكان السهرة, إلى حين عودتها وتدفع له أجرته كل شهر أو على حسب اشتغالها. كما أن صاحب التاكسي بمثابة جرس إنذار حينما تتحرك السلطة وتقوم بحملات ضد العمل الجنسي فهذا الأخير يخبرهن بالاختفاء عن رجال الشرطة وبالتالي فالعلاقة علاقة انتفاع.

ويؤكد الدكتور الديالمي أن العمل الجنسي ممنوع في المغرب بموجب القانون الذي يعاقب عليه بالسجن، لكن بالمقابل تمول وزارة الصحة مراكز عمومية ومنظمات غير حكومية تمكن الممتهنات من الخضوع لفحوصات سرية ومجانية متعلقة بالأمراض المتنقلة جنسيا(عبد الصمد الديالمي، 2009، ص75).وأخيراً هناك علاقة عاملات الجنس مع الزبائن العرب (الخليجين) ; تفضل عاملات الجنس اليوم الزبناء الخليجيين عن غيرهم، كما أخبرنني بأنهم كرماء (وعندهم فلوس بزاف وكايخلصو مزيان)، والاستمتاع بمجموعة من الميزات كالسفر للخارج، الهدايا الفخمة، التسوق"الشوبينغ"، قضاء الليالي في أفخم الفنادق والفيلات.إنه عمل جنسي من نوع آخر الذي يستمد نوع من الرقي في التعامل والممارسة وقد يصل السعر الذي تتقاضاه عاملات الجنس يتراوح بين 2000 درهم إلى 2500 درهم في الليلة الواحدة، هذا السعر ينزل ويرتفع حسب مقاييس جمال الفتاة وسنها ونوعية الممارسة الجنسية.

تتجلى الطرق المباشرة في المخالطة بين السياح الخليجيين وعاملات الجنس في أماكن محددة مثل مقاهي مارينا والفنادق التي تحولت بعض الفنادق من مؤسسات سياحية إلى فضاءات خاصة "سهرات خاصة"، وتحولت عدد من العلب الليلية والمؤسسات السياحية إلى شبه جزر خليجية تعج بالسعوديين والإماراتيين والقطريين والكويتيين وغيرهم. يعتمد بعض المهووسون بالجنس من الخليجيين على بعض التطبيقات الجديدة كتطبيق "هوزهير" المعروف بالدعارة الإلكترونية أو حساب "سناب شات" التي تعرض فيه عاملات الجنس مؤهلاتهن الجسدية و عرضهن لصورهن المغرية، فأصبحوا بعض الزبناء غير مضطرين إلى التعرف على عاملات الجنس عن طريق الملاهي الليلية والمطاعم لما توفره مواقع التواصل من خدمات خاصة، تمكنه من التعرف عليهن و التنسيق معهن وتحديد السعر و نوعية الممارسة الجنسية قبل الدخول للمغرب.الكل يساعد في نجاح هذا العمل الجنسي عبر كراء غرفتين للقاء والمتعة، الأولى باسمه والثانية باسم الفتاة لإبعاد الشبهات وتجنب المضايقات الأمنية، رغم أن هذه الطريقة يعلم بها الجميع بمن فيهم أصحاب الفنادق وعمال الاستقبال مقابل أن تنعم الفتاة بالأمن والأمان.

من جهة أخرى تصرح أغلب ممتهنات الجنس أنهم لا يستطعن ممارسة الجنس بدون أن تكون تحت تأثير الكحول والمخدرات، فهن لا يستطعن الاستجابة لرغبات الزبائن المتعددة والمتنوعة والشاذة إلا بعد تناول الكحول، بفضل ذلك يتغير وعيها وتتغلب على مبادئها وتربيتها التقليدية فتصبح قادرة على ممارسة كل شيء وتقبل أي شيء فالزبون العربي طلباته كثيرة;الرقص،

الغناء، ممارسة كل أنواع الجنس حتى المحرمة دينيا وقد تكون الممارسة الجنسية عنيفة. ومن تم نستنتج أن الشذوذ لا يوجد في سلوك العاملة الجنسية بقدر ما يكون في رغبات الزبون، كل هذا يؤكد أن العاملة الجنسية سوية بشكل عام وأنها لا تمارس الجنس بكثرة بسبب قوة جنسانيتها وإنما ممارستها الكثيرة للجنس مع زبائن مختلفين ومتعدد ينتصدر بالأساس عن حاجاتها الاقتصادية، أكثر من ذلك تؤدي الممارسة الكثيرة للجنس بلارغبة وبلا متعة إلى البرود الجنسي لدى العاملة الجنسية (كما صرحت بذلك الكثير من العاملات الجنسيات).

يمكن القول إذن أن كل العلاقات التي تنسجها العاملة في الجنس مع شرائح المجتمع والزبائن (العرب) أغلبها تكون ذات بعد اقتصادي حيث تمكن هذه العلاقات العاملة من توفير المال. وعن العامل الاقتصادي وعلاقته بالعاملة الجنسية ترى الدكتورة فاطمة المرنيسي أن السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي رأسمالي تبعي" أن هذه الظاهرة ناتجة لا عن نقصان فردي أي اضطرابات في الشخصية، بل عن اضطرابات في الجهاز الاقتصادي، وبالتالي فإن حلها حل اقتصادي محض وجماعي، يجب إدماجه في التصميمات والمخططات الوطنية" (فاطمة المرنيسي، 2005، ص165).

المطلب الأول: الوظيفة الاقتصادية

إن وجود عمل جنسي في كل مجتمع كظاهرة عادية إلا ويقوم بوظائف معينة ويلبي حاجات خاصة فبالنسبة للوظيفة الاقتصادية، نجد أن العمل الجنسي يحقق للدولة أرباح مالية مهمة، ومنها تنشيط الدورة الاقتصادية سواء كان منظما أو غير منظم، ففي الثمانينات من القرن الماضي، دخل الاقتصاد المغربي في أزمة أصبحت مفرزة لبطالة الشباب أو اتجه ذلك الاقتصاد إلى القطاع السياحي من أجل در العملة الصعبة وتحولت السياحة تدريجيا إلى سياحية جنسية .وهذه النتيجة تؤكد ما توصلنا إليه أثناء المقابلات حيث اتضح لنا أن الكل مستفيد من هذا العمل الجنسي: شركات سفر، وسائل مواصلات، فنادق، عمال جنسيون، عائلات، أسر العاملات الجنسية، شركات خمور، سوق المخدرات، علب ليلية، صالونات تجميل وحلاقة. من هنا يمكن القول أن العمل الجنسي أصبح يساهم في تنشيط الاقتصاد الوطني وفي حل "أزمة بطالة"، أصبح العمال الجنسيون شريحة من فئة المأجورين في قطاع الخدمات من دون أن يكون لديهم أدنى وعي بهذه "الهوية فهم لا يدركون أنفسهم كمجموعة مشغلة من طرف أرباب عمل غير مهيكلين وغير ممأسسين بدورهم، رغم كونه يشكل شغلا حقيقيا لا يستحضر العمل الجنسي بصفته هذه في الإحصاءات الوطنية نظرا لاعتبارات دينية واجتماعية وقانونية، وهو الشيء الذي يبين مدى تعسف وقصور مقاييس إحصاءات السكان النشيطين، ويبين من جهة أخرى العلمنة الموضوعية للسلوكات الجنسية رغم سيادة الأخلاق الجنسية الإسلامية ورغم ترجمتها في قانون جنائي يحرم الفساد والبغاء والقوادة"(عبد الصمد الديالمي، 2009، ص53).

انطلاقا من هذا، يمكننا إثبات بأن العمل الجنسي يأخد في إطار التفاعل والترابط الذي يميز نشاطه أو العمل الاجتماعي الذي يقوم من أجل المجتمع دون إعطاء أي اهتمام للنتائج المغايرة للشرع والغير المؤسسة له ويعبر عنه في التحليل الاقتصادي للجنس أن هناك علاقة مقايضة ببيع وشراء من أجل الربح من خلال السعر من جهة والعرض والطلب من جهة أخرى. إذن هنا تواجد عاملة

جنس في حد ذاته وجود لوظيفة تؤديها هذه الأخيرة حسب أنظار النظرية الوظيفية حيث أن في المجتمع لا نجد ما هو غير وظيفي فالأشياء موجودة لأنها تؤدي وظيفة في البنية الاجتماعية العامة.

فعلى مستوى الفرد، نجد عاملات الجنس اخترن أن أقصر طريق لإعالة الذات هو العمل الجنسي مع السياح العرب لأنهم يدفعون أكثر مقابل خدمات جنسية ويمكنها هذا العمل أن تستمر فيه لتشتري شقة لها، أو تعمل لها مشروع كصالون تجميل... وإعالة أسرهن وقبول بناتهن وتشجيعهن على ممارسة ذلك العمل. كما أخبرتنا بعض المبحوثات أن خالتهن تشجعهن على السهر والتعرف على زبناء خليجيين بل كلما أردن الخروج من البيت تعطرهن بنوع من البخور لجلب القبول وتدعوا لهن أن يتعرفن على زبناء كرماء. هذا يدل لنا على تواطئ بعض الأسر المغربية و تشجيع نسائها على هذا النوع من العمل الجنسي الراقي والاعتماد على الدخل الرئيسي التي تجنيه من علاقتها مع زبون خليجي، ومن هناتبرز أهمية المكانة الجديدة للعاملة الجنسية في الأسرة من جراء دورها الجديد.

المطلب الثاني: الوظيفة النفسية

هنا نتحدث عن الزبائن المتزوجين الذين يبحثون عن فرصة للهروب من جنسانية زوجية جدية أو روتينية ومملة، فالزوج يميل إلى أشياء والزوجة تميل إلى أشياء أخرى لكن لا أحد يجرؤ على مصارحة الآخر بما يحبه جنسيا كما أخبرنا أحد الزبائن أنه لا يستطيع أن يصارح زوجته بما يريده جنسيا، فهو يفضل ممارسة الجنس من الخلف لكن لا يستطيع إخبارها ربما تقول عنه أنه شاذ أو أن ما يطلبه حرام في الدين." وبالتالي تبقى العلاقة محدودة فهذا "الاحترام على مستوى الصعيد الجنسي يمنع من الاستغلال الكلي للجسد و كذلك يمنع من متعة الكلام البذيء أثناء الممارسة الجنسية لأن الكلام البذيء الذي ينطق به يجعل الزوج يشعر بنوع من الإثارة والمتعة أيضا، ومن ثم يظل هناك دائما إحباط وحرمان داخل الجنسانية الزواجية، ولكي يعالج هذا الإحباط نجد الزوج "الزبون" يلجأ إلى خدمات العاملة الجنسية من أجل التعبير الكلي عن جنسانيته ومن أجل تفجير طاقاته التي لا يفجرها مع داخل منظومة الزواج"(عبد الصمد الديالمي، 2009، ص55).

من هنا يمكن أن نخلص إلى أن تحقيق" إضافي لجنسانية الإنسان المتزوج يتم في إطار العمل الجنسي، فكثيرا ما يتحول الزواج إلى آلية تحجب وتمنع بعض النزوات من التعبير عن ذاتها وتحقيقها فيلجأ للتعبير عنها في سوق العمل الجنسي. فالعلاقة مع عاملة الجنس علاقة عابرة بين شخصين ليست بينهما سابق معرفة ولن تجمعهما علاقة دائمة، هذه المجهولية السرية تحرر الزبون من عقده ومن كل اعتبارات الأخلاق الجنسية الرسمية. كما أخبرنا أحد الزبائن أنه لا يفكر في متعة عاملة الجنس يفكر فقط كيف هي ستسعده مقابل خدمتها.كذلك بالنسبة لعاملات الجنس فقد صرحت أغلبهن أنهن لا تستطعن ممارسة الجنس وهن في كامل وعيهن حيث تفضل الأغلبية أن تكون في حالة سكر لكي لا تتذكر أي شيء في تلك الليلة، "وهذا يبين لنا أن العلاقة الجنسية المأجورة علاقة جنسية محضة، إنه جنس من دون حب، ومن دون مشاعر، ومن دون أي اهتمام، إنه جنس من أجل جنسانية الزبون. هذا التعريف للعلاقة الجنسية المأجورة يحرر الزبون من

مخاوفه ويسمح له بالتعبير عن نفسه دونما قيود، وتكمن الوظيفة النفسية إذن في تحقيق لذة كاملة إن صح التعبير و تمكين الزبون من الإفراغ الكلي للطاقات والشذوذ وللمكبوتات، وهو الإفراغ الضروري للتوازن النفسي"(عبد الصمد الديالمي، 2009، ص55).

كخلاصة توصلنا من خلال المراحل المختلفة بهذا البحث إلى عدة استنتاجات، قد لا تكون معبرة بشكل كبيرعن كل جوانب الظاهرة باعتبار أن كل الظواهر الاجتماعية هي في الأصل ظواهر نسبية، وظاهرة العمل الجنسي المأجور لا يخرج عن هذا النطاق. فهذه الظاهرة لا يمكن تجاهل وجودها في المجتمع المغربي ولا في المجتمعات الأخرى، "شر لابد منه" لتوازن المجتمع. وفيما يخص الأسباب المباشرة التي كانت وراء لجوء الفتيات إلى العمل الجنسي يرجع بالأساس إلى الحافز المادي ولا يمارس من أجل اللذة كما صرحت بذلك العديد منهن وبالتالي فهن مكرهات على فعل ذلك.

ظاهرة العمل الجنسي تعتبر ظاهرة من إنتاج المجتمع نفسه لكن نجد أن المجتمع ينتج الظاهرة ويعارضها في نفس الوقت دون مراعاة الظروف القاسية التي تعاني منها الممتهنة ودون الوعي بالوظائف التي تؤديها داخل المجتمع على المستوى الاقتصادي خصوصا "القطاع السياحي"، فالمجتمع يركز على سلبياتها أكثر من إيجابياتها ويحكم الجانب الديني والأخلاقي كلماتم الحديث عن هذه الظاهرة باعتبارها طابو من طابوهات المجتمع. يعتبر الفقر هو العامل الأساسي في ممارسة هذا العمل الجنسيفي ظل غياب فرص الشغل وتفاقم المشاكل الأسرية، الطلاق...، غالبا ما تجد نفسها في مواجهة مشكل إعالة ذاتها وعائلتها، وعندما لا تملك المؤهلات الكفيلة لتأمين عمل بسهولة في أقصر وقت، تلجأ غالبا إلى أسهل حل وأسرعه فتمارس هذا النوع من العمل الجنسي مع الزبناء الخليجيين، مما يوفر لهن دخلا اقتصاديا للممتهنات ولعائلاتهن خاصة في ظل تصاعد عنف البطالة وصعوبة العثور على عمل قار يحفظ كرامة المرأة.

في ختام هذا البحث، من بين أهم التوصيات التي يمكن أن نوجهها انطلاقا من هذا البحث اعتمادا على النتائج التي خلصنا إليها:

-الاهتمام ببرامج توعية تستهدف بالدرجة الأولى الأسرة وكل مكونات المجتمع المدني.
-الاهتمام بالمؤسسة التعليمية والرفع من المستوى التعليمي والثقافي للأسرة المغربية.
-الرفع من المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسر الفقيرة.
-تفعيل برامج إعادة إدماج الأفراد المنحرفين اجتماعيا.
-التحسيس بمخاطر العمل الجنسي وإيجاد البديل للممتهنات قصد إخراجهن من هذا الوضع.
-محاربة الهشاشة الاقتصادية.

قائمة المراجع:

1.أبراش إبراهيم(2008)، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، دار الشروق للنشر والتوزيع.

2.المرنيسي فاطمة(2005)، ماوراء الحجاب، الجنس كهندسة اجتماعية، الطبعة الرابعة الناشر المركز، الثقافي العربي، الدار البيضاء -المغرب.

3.انتوني غدنز بمساعدة كارين بيردسال(2005)، علم الاجتماع، (مع مراجعات عربية) الطبعة الاولى، بيروت، اكتوبر، ترجمة و تقديم فايز الصياغ ، اعداد المنظمة العربية للترجمة.

4.دوركايم اميل(1982) تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمةمن الفرنسية الى العربية، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع بيروت، توزيع المكتبة الشرقية.

5.الديالمي عبد الصمد(2013)، العمل الجنسي في المغرب : تعريفا ووظائف، دجنبر، الأوان من أجل ثقافة علمانية عقلانية.

6.الديالمي عبد الصمد(2008)، البغاء حل للبطالة :جريدة هسبريس، حكيمة أحاجو/أسبوعية المشعل 24مارس المغرب.

7.الديالمي عبد الصمد(2009)، سوسيولوجيا الجنسانية العربية، الطبعة الأولى، دار الطليعة بيروت، رابطة العقلانيين العرب.

8.سبتي زكية(2006)، البطالة والإقصاء الإجتماعي، دراسات إقتصادية، المجلد، العدد 7 (31 يناير كانون الثاني ، الجزائر.

9.سيمون دي بوفوار(2017)، الجنس الأخر، الطبعة العربية الأولى، عمان شارع الملك حسين بجانب البنك المركزي الأردني، مكتب المقاصة.

10. قيرة إسماعيل(2006)، أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية؟، الطبعة الأولى، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر.

العلاقات الإنسانيَّة للإمام عبد الحميد بن باديس برجال الطرق الصوفيَّة.

أ. سلطاني عبد القادر: مخبر تطوير للبحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سعيدة- الجزائر

أ.د. حفيان محمد. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سعيدة- الجزائر

الملخص: أسهم الإمام عبد الحميد بن باديس بمشروع نهضة علمية وثقافية، سعت إلى بعث الأمة الجزائرية، وإحياء تراثها، والتعريف بتاريخها المسلوب. حيث هدف البحث إلى كشف علاقات الإمام برجال الطرق الصوفية الذين اختلفت مناهجهم مع منهج الجمعية التي قادها الإمام.
وقد خلص البحث إلى أن الإمام رعى في عمله الإصلاحي العلاقات الإنسانية، من خلال التواصل مع رجال الطرق الصوفية، لأجل العمل على توحيد الجهود الرامية إلى نشر العلم والمعرفة، وبعث الروح الوطنية، ومقاومة الاحتلال.

الكلمات المفتاحية: ابن باديس، العلاقات الإنسانية، الطرقية، رجال التصوف.

The human relations of Imam Abd al-Hamid bin Badis with the men of the Sufi orders.

Student: Soltaniabdelkader.

Laboratory ((development)) for research in social and human sciences University of Saida- Algeria.

The supervisor is Prof.Dr. Hafiane Mohamed.
University of Saida- Algeria.

Abstract: Imam Abd al-Hamid bin Badis contributed to a project of a scientific and cultural renaissance, It sought to revive the Algerian nation and revive its heritage, And publish its stolen history. Where the research aimed to uncover the imam’s relations withthe Sufi orders whose approaches differed with the approach of the association led by the imam.
The research concluded that the imam in his reform work, took care of human relations, By communicating with the menof the Sufi orders, In order to work to strengthen efforts aimed at spreading science and knowledge, resurrecting patriotism,and resisting occupation.

Keywords : IbnBadis, The human relations, sufi orders, suffi men.

1. مقدمة:

لقد كان لظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كمؤسسة إصلاحية الأثرُ الواضحُ في زيادة الوعي بواقع الأمة الجزائرية، هذا الواقع الذي خيَّمت عليه الأمية والجهل، وأطبقت عليه مظاهر الشعوذة والدجل، فكادت الأمة أن تفقد هُويَّتها العربية الإسلامية، نتيجة موجات التجهيل المتواردة عليه على مرِّ السنين، بفعل الاستعمار وأدواته البشرية، وضُعْف همم المثقفين، ورِضَاها بالحال الذي صارت إليه.

ويُعدُّ عبد الحميد بن باديس أحد العلماء المؤسسين لهذه الجمعية، فهو أحد باعثي النهضة العربية الإسلامية بالجزائر، وقد حمل لواءها في زمن متقدم من حياته. فأفنى أوقاته في التعليم القرآني، وتفسيره، ودروس التوعية المسجدية، والمحاضرات، والمقالات التي ينشرها في الجرائد التي كان يشرف عليها. كل هذا يدعو إلى بحث أو كشف حقيقته علاقة الإمام عبد الحميد بن باديس بالتصوف بعيدا عن الشائع من الأخبار، والمتداول من النقول، والتي نُزِلت منزلة المُسلمات. لذلك تحرص هذه الأوراق على تجلية علاقة ابن باديس الإنسانية برجالات التصوف، وطرق تعامله معها كعالم إصلاحي. فالسؤال الذي يطرح: كيف جمع الإمام عبد الحميد ابن باديس بين نظرته الشرعية للتصوف كفكر، وبين نظرته الإنسانية لرجال التصوف في مراحل حياته؟

ولما كان الشائع والمروَّج له الخلافُ المستمر للإمام ابن باديس مع رجال التصوف على طول المسار الحياتي، كان هدف هذا المقالكشف نظرة هذا الإمام إلى التصوف كفكر وممارسة بعيدا عن الأفكار المسبقة أو الإيديولوجيات المغلقة، وكذا سبر علاقته مع رجال هذا الفكر من خلال مساره الحياتيّ، بإبراز نقاط التماس والوصل. وإطلاع الباحثين على سبب الخلاف مع بعض الطرق الصوفيَّة، وحقيقة ذلك الخلاف. ومن الأهداف التي يروم المقال تحقيقها الاستفادة من منهج ابن باديس في التعامل مع المخالفين، وتوظيف ذلك في ظل حملات الإقصاء التي تحفل بها المجتمعات الإسلامية والعربية.

ولأجل تحقيق هذه الأهداف سلك البحث المنهج التحليلي، من خلال تتبع آثار الإمام ابن باديس واستنطاقها لكشف أوجه العلاقة الإنسانية مع رجال الطرق الصوفيَّة، من خلال تاريخ الإمام منذ مرحلة الطلب إلى غاية تصدره المشهد العلمي والسياسي، ونظرته إلى التصوف كفكر يمثل جانب التزكية الإسلامي، وتحليل تلك النصوص أو التصرفات، مع الاستعانة بالجانب التاريخي الذي يعرض الوقائع والحوادث في سياقاتها التي نشأت فيها.

2. مفهوم العلاقات الإنسانية:

إذا كان من حاجات الحياة السعيدة في الأزمنة الحديثة عدم إمكان الإنسان العيش متفردا عن جماعة ولو قلَّتْ، إذا كان كذلك فلا بد من علاقات تربطه بأفراد هذه الجماعة، فمهما اختلفت أهداف وغايات وقناعات كل فرد، فلا مناص من ربط علاقات مع هؤلاء الأفراد لتحقيق حد مشترك من المصالح العامة الخادمة لسيرورة حياة الجماعة. فالعلاقات الإنسانيَّة تقوم على "التعامل فيما بين الناس بعضهم البعض في المجتمع، وتشمل مختلف جوانب الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والنفسية والأسرية، مبنية على أساس من الصدق والصراحة والوضوح، الذي يُظهر مدى التكامل في البناء الإسلامي، ويعكس مدى التلاحم والترابط بين المسلمين، والذي بالتالي يؤدي إلى التطور في كافة المجالات ويحقق أفضل النتائج" (محمد بن عايد الدوسري، 2005م، ص27). إذا فالأثر الذي تتركه هذه العلاقات بين الأفراد يدفعهم إلى العمل كجماعة لتنمية الجهود المنتجة العائدة بالخير على الجميع، مع إعطاء هوامش للحرية الفردية، مراعاة لمبدأ الفروق الفردية، أو القناعات الخاصة، أو الأيديولوجيات الحاكمة. (سيد عبد الحميد مرسي، 1986م، ص 12).

إذا وضحت حقيقة مفهوم العلاقات الإنسانية، اتضح الغرض من هذا البحث وهو الكشف عن هذا الجانب في فكر الإمام عبدالحميد بن باديس، الذي كان يسعى مع تيار كبير من الصوفية إلى العمل على نشر الوعي القومي العربي والإسلامي، لتحقيق النهوض من حمئة الاحتلال الذي جثم على الأمة، مخمدا جميع محاولات الاستيقاظ. فبالرغم من اختلاف الرؤى والوسائل والأهداف إلا أن عملَ الإمام لم يخل من مراعاة ذلك القدر المشترك مع المخالفين من خلال تقوية رابطة العلاقات الإنسانية، فيما يسمح به المقام، خدمة للمصالح العليا للوطن والأمة.

3.مكانة التصوف في نشأة ابن باديس العلمية والسلوكية:

لقد ذكر الأستاذ عمَّار طالبي أن أسرة عبد الحميد بن باديس كانت تنتمي إلى الطريقة القادرية (عمار طالبي، 1997م، 74/1)، فمن المتوقع أن يَشبَّ الولد على مناهج التربية الخاصة بهذه الطريقة فيتلقى أورادها، ويتحلى بآدابها، شأنه شأن كثيرا من الناشئة في البيوت التي تهتم بالعلم والتربية السلوكية معا. ولمَّا جدَّ ابن باديس في طلب العلم اختار له والده أحد الشيوخ الصالحين من ذوي المعارف الإسلامية والعربية، وهو الشيخ أحمد أبو حمدان الونيسي القسنطيني (عادل نويهض، 1980م، 346)، الذي كان منتميا إلى الطريقة التيجانية، وشغل منصب ((المقدم)) لها بقسنطينة (عبدالباقي مفتاح، 2009م، ص303).

ولقد ذكر ابن باديس الأثر الذي تركه في تربيته هذا الشيخ، حيث أخذ عليه عهدا، وأوصاه وصية حرص على اتباعها طول حياته، فنفعته كثيرا، وكانت سببا في تحقيق سعادته، وجلب البركة في أعماله؛ حيث يقول عنها ابن باديس: "وإني لأذكر للأول ((حمدان لونيسي)) وصية أوصانيها، وعهدا عهد به إليَّ. وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله، فأجِدُني مَدِينا لهذا الرجل بمنَّة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدَّد عليَّ أن لا أقرب الوظيفة، ولا أرضاها ما حَييت، ولا اتخِذ علمي مطيَّة لها، كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت"(عمار طالبي، 1997م، 74/1، 78).

وقد يظهر من هذه الوصية مدى محبَّة الشيخ لتلميذه، أومريده، إذ كان حريصا في تنشئته على الإخلاص في طلب العلم، والتشديد عليه في قطع الصلة بين الدنيا وزخارفها، والعلم الذي يطلبه لوجه الله تعالى، لنفع أمته التي تئنُّ تحت وطأة الظلم والتجهيل. ثمَّ انتقل الشيخ عبد الحميد إلى جامع الزيتونة فاحتكَّ بعلمائها، وكان من أكثرهم تأثيرا في نفسيَّته، محمد النخلي، ومحمد الطاهر بن عاشور، واللذان يعتبران زعيمي النهضة الفكريَّة والعلميَّة والإصلاحيَّة بتونس، ولقد كانا من أنصار أفكار جمال الدين، ومحمد عبده الإصلاحيَّة، وفي تونس تتلمذ عبد الحميد بن باديس لعلم آخر من أعلام التيجانية، هو الشيخ محمد الصادق النيفر الأستاذ بجامع الزيتونة (عمار طالبي،1997م، 77/1-81)، وبعد أن رجع من تونس عاد شعلة من حماسة في إلقاء الدروس، ونشر الوعي، ثم ما لبث أن حجَّ، والتقى ثانية بشيخه أبو حمدان الونيسي، وجماعة من المفكرين والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ثم مرَّ على الشام، فكان في ذلك فرصة للقاء أعلامها، ومجالسة مشايخها، والاطلاع على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، وزيادة خبرة بأحوال الناس. ولمَّا رجع إلى قسنطينة سنة 1913م، شرع في العمل التربوي، بتعليم صغار الصبيان القرآن الكريم، كشأن العلماء الربانيين (عمار طالبي، 1997م، 77/1-81).

ومرحلة الطلب هذه تكتسي أهمية بالغة في صقل فكر ابن باديس وشخصيته بأخلاق العلماء المتنوعة مشاربهم، وتمكينه من الإحاطة بخلفيات الفكرية لكل فريق، على الوجه المرضيِّ، لأن تلك الإحاطة مستقاة من تجربة فكرية واحتكاك قريب بأعيان التفكير الإسلامي وغير الإسلامي. فهي تجربة تجاوزت المطالعة بعيدة لأعلام الفكر، وخصوصا الصوفية منهم، لأنهم تميَّزوا بآداب خاصة، ومعاملات متفردة في العلاقة مع الخالق أو الخلق، قد يكون لها الأثر في نفسيَّة ابن باديس بعد ذلك في جهوده الإصلاحيَّة والوطنيَّة الساعية لتوحيد الصفوف والنهوض بحال الأمة.

4. علاقة ابن باديس برجال الطريقة التيجانية:

لقد سبقت الإشارة إلى علاقة ابن باديس بالطريقة التيجانية، حيث إنَّه نشأ وتربَّى على يدي مقدم الطريقة بقسنطينة، وتتلمذ على شيخ من شيوخها في تونس وهو محمد الصادق النيفر. وقد تكون هذه العلاقة أقل تعلقا إذا عرضت على علاقة أخرى برجل من رجال الطريقة، له الإسهام الكبير في عمل ونشاط الجمعية، ألا وهو شاعر الجمعية من دون منازع، محمد العيد آل خليفة.

نشأ محمد العيد في بيئة صوفية، وكان والده مقدما للتيجانية ببسكرة، وهو الذي شجع ابنه على الاتصال برجال الإصلاح، وقد كان بسكرة حَضَنَةَ كثيرٍ من رجالات جمعيَّة العلماء، وقد تأثر محمد العيد بكثير منهم وعلى رأسهم الطيِّب العقبيِّ، الذي كان يحضُرُ دروسَه في التفسير وعلوم البلاغة. وسبق هذا التأثرَ بآراء العقبي ومدرسته، تأثرٌ آخر نتج عن اتصاله بمشايخ من آل المكي بن عزوز، والذين عُرفوا أنهم دعاة إصلاح في الطريقة الرحمانية، أيام كان محمد العيد على مقاعد الدراسة بالعين البيضاء. ولقد بقيت صلة محمد العيد بالطريقة التيجانية إلى أخريات حياته، إذ أنها أخذت طابعا عائليا أكثر منه روحيا وثقافيا، ومما يثبت أن الشاعر لم يكن يتحرج من هذه الصلة، ولم يحاول إنكارها أو إخفاءها، لاعتقاده أنه لم يخرج فيها إلى ما يشين عقيدته أو يخدش

تدينه؛ ما حصل له أيام شبابه، ويؤكد صلته بالتيجانية، حينما كان طالبا بالزاوية ((القادرية))، فقد جهر بالبسملة وهو يصلي، خلاف المشهور من مذهب مالك، فأراد أحد الطلبة استفزازه وهو يصلي، بقوله:" أأنت تيجاني؟"، فلمّا قضى الشاعر صلاته، أجابه قائلا :" أجل أنا تيجاني الطريقة، مالكي المذهب" (محمد بن سمينة، 1992م، ص12-15).

ومما يظهر علاقة ابن باديس بالشاعر محمد العيد آل خليفة، أنه خلال زيارته بسكرة خلال سنة 1925م، نزل ضيفا على والد الشاعر محمد العيد، فلما رأى ابنُ باديس ما عليه والد الشاعر من جمع ومزاوجة بين الجانب الروحي السلوكي للطريقة، والجنوح نحو الإصلاح، وإنكار بعض الانحرافات، قال ابن باديس للشاعر:"لو كان كل المتصوفة في البلاد كوالدك، ورعا وتقى وتمسكا سليما بأصول الدين، ومفهومه الصحيح، وإخلاصا للإصلاح لما كان، ما كان بين رجال الإصلاح، وبين أتباع الطرق المزيَّفة، ولكانت الجهود واحدة" (محمد بن سمينة، 1992م، ص18).

لذلك نجد محمد العيد آل خليفة اكتفى من الطريقة بالجانب السلوكي الروحي، دون طموح في كثير من الرسميات من مظاهر الولاية وغيرها، والتصيُّد لمناصب (المقدم) أو (الشيخ) كما يفعله كثير من أتباع الطرق. كما كان بعيدا عن الانحرافات التي أدت بالطرقيين إلى الغلو في وجوهٍ من التنسك، والحرص على بعض الطقوس التي غدت غريبة عن الإسلام. لذلك نجده يحرص على الزهد المطبوع بالطابع الأثري، فيقول في أبيات يصف حال العبد الصالح (محمد بن سمينة، 1992م، ص31):

قيــام الليل حلية كل بَرٍّ * بـباب الله قام له خديمَا

إذا جـنَّ الظلام عليه أغفى* وقـام يسابق الليل البهيمَا

بنافلة يطيل لها قياما * وقـــــــــــرآنا يرتله قويمَا

قضى متهجدا كالنجم يسري* وجدَّ يسبح الله العظيمَا

تناجيه الملائكُ في دجاه * و ترضى أن يكون لها نديمَا

ولقد قويت صلة محمد العيد بجمعية العلماء من خلال مشاركة الشاعر في تحرير جريدة (صدى الصحراء)، وفي تأسيس جريدة (الإصلاح)، ومطبعتها مع الطيب العقبي. ثم ما لبثت أن توطدت صلته بابن باديس، فكان في ذلك أثرا في فكر وشِعر محمد العيد؛ إذ كان يعتبره محمد العيد موجه الحركة الفكريَّة، والأدبيَّة في الجزائر، يقول الشاعر في ابن باديس: "كان عبد الحميد في الرأي قطبا * مرشدا للعقول والأفهام"(محمد بن سمينة، 1992م، ص21).

علَمٌ ثانٍ من أعلام التيجانية نجد له ذكرا في آثار ابن باديس، وهو البشير النيفر التونسي، فقد أرسل ابن باديس كلمة إلى العلماء، وقدَّم في ذكرهم هذا العالم، ومضمون هذه الكلمة يدور حول

بعض الاعتقادات التي يدعيها المنتسبون للطريقة التيجانية، منها أن (صلاة الفاتح) أفضل من تلاوة القرآن ستة آلاف مرَّة، وأنها من كلام الله القديم، وأن النبي ❐ علَّمها لصاحب الطريقة، ولم يعلمْها غيرَه، وأنَّ مؤسس الطريقة أفضل الأولياء، وأن المنتسبين إلى الطريقة يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب، وتُغفر ذنوبهم الصغار والكبار. فبعد أن بين ابن باديس وجه مخالفة هذه الاعتقادات، وجَّه كلمة إلى العلماء، مقدِّما الشيخ التونسي السابق عليهم، لأنه كان من أتباه التيجانية، فقال:"إنني أدعو كل تيجاني إلى النظر في فصول السؤال والجواب، فإن أقرُّوا ما أنكرناه فليعلنوا إقرارهم له. وإذا أنكروا ما أنكرناه فليعلنوا إنكارهم له..."(عمار طالبي، 1997م، 150/3).

وفي هذه الرسالة ما يوحي بملكة التثبت عند ابن باديس، في مراعاة مكانة شيخه التونسي التيجاني، إذ جعلَهُ ابن باديس في تقدمة العلماء الذين أراد منهم أن يكونوا على بينة من هذه العقائد المنسوبة إلى التيجانية، وهذا الأسلوب فيه من الحكمة والإنصاف في عدم إلقاء الأحكام على عواهنها دون الرجوع إلى أصحابها، وأربابها الذين هم أدرى الناس بالطريقة، وأحرى بمعرفة الزائف من الثابت. إلا أن كتب التاريخ لم تذكر لنا رد الشيخ النيفر على رسالة ودعوة ابن باديس.

كما أنها منبئة بمراعاة ابن باديس لحقوق العلاقة القديمة، ومحاولته مد جسور المطارحة العلمية، والنقاش الفكري، والدعوة إلى الحوار والتواصل لتقليل مساحات الاختلاف في ظل رابطة الأخوة الإسلامية؛ وفي هذا تفاد للإقصاء، والتفرد بإصدار الأحكام، المفضي عادة إلى التدابر والخلاف، والذي تنجم عنه فتن طائفية ومذهبية، أخلت بموازين الحياة الآمنة في كثير من الأوطان الإسلاميَّة وغيرها.

5. علاقة ابن باديس برجال الطريقة الرحمانية:

تعتبر الطريق الرحمانيَّة أوسع الطرق انتشارا في عموم الجزائر خلال القرن 19م، وكانت مواقع انتشارها في الشرق والوسط الجزائري. كانت لهذه الطريقة مكانة واحترام عند مشايخ جمعيةالعلماء(صلاح مؤيد العقبي، 2002م، ص155- 159)، وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس، الذي كانت له علاقة ببعض مشايخها، وقد روي أنه كان يأتي مع ركب الطرقية لزيارة مركز الطريقة الرحمانيَّة بالجزائر العاصمة في حوالي سنة 1920م، وهو الركب الخاص برجال الطريقة الرحمانيَّة يأتون من مدينة قسنطينة لأجل زيارة قبر شيخ الطريقة سيدي محمد عبد الرحمن، فيحتفلون في ساحة المقبرة من خلال حلق الذكر والإنشاد المعهودة لديهم، والمقبرة ذات أقسام ثلاثة: المسجد والضريح، وساحة الضريح الفسيحة، والقبور (توفيق المدني، 1977م، 2/ 69). وقد أنكر على ابن باديس ذلك بعضُهم فيما بعد، فكان يجيب بقوله:"كنت ضالا فهداني الله"(محمد بن سمينة، 1992م، ص18).

وفي مشاركة ابن باديس للركب القسنطيني دلالة واضحة على علاقته برجال الطريقة بصفة خاصة، وبالتصوف بصفة عامة. ومما يؤكد هذه العلاقة بالطريقة الرحمانية، أنه كان يكتب في

جريدة ((النجاح)) وهي من أوائل الجرائد العربية بروزا إثر الحرب العالمية الأولى. أسست هذه الجريدة سنة 1919م، من طرف أحد مشايخ الطريقة الرحمانية هو عبد الحفيظ بن الهاشمي من آل زاوية سيد علي ابن عمر بطولقة. وكانت جريدة ((النجاح)) في أول أمرها كما يذكر الشيخ أحمد حماني مؤسسة وطنية، استبشر بها العلماء والأدباء والمفكرون، فشاركوا في تحريرها، وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس، الذي يكتب أحيانا باسمه الصريح وأحيانا باسم مستعار وهو((العبسي)). كما كان يكتب فيها كل من العربي التبسي، وأبو يعلى الزواوي، وغيرهم من رواد الإصلاح. ثم استقال ابن باديس من الجريدة، وأسس المطبعة الإسلامية التي أصدر من خلالها أول جرائده ((المنتقد)) سنة 1925م. ولمَّا تأسست جمعية العلماء اشتدَّ الخلاف بين أعضاء الجمعية، وأصحاب جريدة ((النجاح)) لأسباب متعددة(أحمد حماني، 1984م، 1/ 128-130).

ومن مظاهر الصلة كذلك ما قام به ابن باديس من الإشراف على تصحيح الطبعة الثانية لكتاب((المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعيَّة المتعلق بالطريقة الخلوتيَّة))، والتي ألفها أحد شيوخ الطريقة الرحمانية وهو عبد الرحمن باش تارزي، حيث قال عبد الحميد بن باديس في آخر تصحيحه للطبعة: "ندبني الشيخ المذكور مصطفى باش تارزي إلى إعانته على نشر المنظومة الرحمانيَّة بالوقوف على تصحيحها، فلبَّيْتُطلبه راجيا من وراء ذلك أن يتذكر الإخوان ما عليهم في هذا الطريق الشرعي من الأدب العملي والعلمي، ويعلموا أنهم لا يكفيهم في ترقية نفوسهم مجرد الانتساب الاسمي، فيدعوهم ذلك إلى العلم والتعلم اللذين لا سعادة في الدارين بدونهما ولا تقدم، فيتفقهوا حينئذ حقيقة الدين، وينتفعوا بنصائح المرشدين، ويكونوا يوم ذلك إن شاء الله تعالى من المهتدين، والله المسؤول أن يهب التوفيق والنفع والثواب لكل ساعٍ في خير المسلمين، آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين"(نورالدين بولحية، 2015م،1/ 93).

ولقد حاولت معرفة تاريخ هذا العمل الذي قام به الإمام إلا أن المصدر الذي ذكره لم ينصَّ على تاريخ التصحيح، حتى وجدت صاحب كتاب (الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها) يذكر أن المنظومة الرحمانية تم طبعها سنة 1923 م، بمطبعة النجاح بقسنطينة، وأشرف على تصحيحها وكتابة خاتمة الطبع الإمام عبد الحميد بن باديس، ولقد ذكر أن خاتمة الطبعة كتبت من طرف الإمام في قسنطينة عشية الأربعاء 14 من شهر شوال عام 1341هـ (صلاح مؤيد العقبي، 2002م، ص160، 163)، وهذا التاريخ من التقويم الهجري يوافق سنة 1923م، وقد ذكر صاحب الكتاب شيئا من أبيات المنظومة منها:

باسمك نبدا يا معين * والصلاة على الأمين

من أتــــــانا باليقين * في طــــــــريق الأوليَّا

يا من تـــــريد الشفا * واتبـــــاع المصطفى

ادخل طـــريق الوفا * طـــــــــــريق الخلوتيَّا

يا من تـــريد التوفيق * وسلـوك أهل التحقيق

اخـــدم هذه الطريق * طـــــــريقة الصوفيًّا

يا من تريد الأوراد * وبلـــــــوغ ما يراد

ادخل طريق الإسناد * طـــــــريقا أزهريًّا (صلاح مؤيد العقبي، 2002م، ص161، 162).

وبعد أن أنهى الإمام تصحيح الطبعة، بالكلمات المشار إليها سابقا، وضع عنوانا هو (خاتمة الطبع بقلم المصحِّح)، جاء فيها تنبيه على أهمية المنظومة، وأن طبعتها الأولى قد نفدت من الأسواق تدليلا على أهميتها، مما دعا إلى كثرة الطلبات لإعادة طبعها لتعم منفعتها، ثم عرَّف بعدها عبد الحميد بن باديس بشيخ الطريقة في ذلك الزمن، مصطفى باش طارزي، فذكر شيئا من صفاته فقال:"لا زال هذا الرجل معروفا من شبابه بجمال العفة، وحسن السمت، ومكارم الأخلاق، والحياء التام، والتواضع الفطري مع جميع الناس ... فحفظ القرآن الكريم، وقرأ العلم وتأدب بآداب الطريق، وشبَّ على الأخلاق الكريمة اللائقة بمثله، في كرم مجده وشريف تربيته، وما هو مترشح له من الجلوس على سجادة الطريق، وتهذيب الإخوان" (نورالدين بولحية، 2015م، 1/ 94).

ثم واصل عبد الحميد بن باديس التعريف بشيخ الطريقة، وذكر خلافته لأجداده في مشيختها، فقال: "وفي شوال 1335 هـ جلس على سجادة الطريقة الخلوتية بعد وفاة عنه الشيخ البركة سيدي الحاج أحمد الرحمة والرضوان، وله في الإذن بتلقين ذكر الطريقة الخلوتية إجازتان تتصلان بالقطب الأكبر، والغوث الأشهر الشيخ سيدي محمد عبد الرحمن القشطولي الأزهري دفين الجزائر، الذي أتى بالطريقة الخلوتية إلى وطن الجزائر من ديار مصر"(نورالدين بولحية، 2015م، 95/1).

والظاهر في كلام عبد الحميد بن باديس، في هذا العمل استعماله لمصطلحات الصوفيَّة، في التعريف بشيخ الطريقة، والتعريف بالمنظومة الرحمانية، فمن تتبع خاتمة الطبع وجده يستعمل مصطلحات (الإخوان)، (الطريق)، (الأدب)، (الترقية)، (حقيقة الدين)، (الطريقة)، (آداب التربية)، (الشيخ سيدي)، (سجادة الطريق)، (عارفِيهِ)، (الشيخ البركة)، (الإذن بتلقين ذكر الطريقة)، (القطب الأكبر)، (الغوث الأشهر). وهذا يظهر اطلاعه على جميع ذلك، وإلمامه به جيدا، وهو الذي شبَّ في أسرة تنتمي للطريقة القادرية، وتلقى العلم والتربية على شيوخ من الطريقة التيجانية كما ذكرنا سابقا.

وإذا علمنا أن الطريقة الرحمانية بقسنطينة كانت مركزا لاجتماع علماء الحنفية، والأتراك منهم خصوصا، ومقرا لنشر الطريقة في ضواحيها، وهمزة وصل بين بلاد القبائل والزوايا الجنوبية(نورالدين بولحية، 2015م، 95/1) ، تبين من ذلك سعة صدر الإمام عبد الحميد لآراء المذاهب الأخرى، وقبوله بالآخر، وتعايشه مع المخالف. وهو القائل عن جمعيته: "... بأننا دعاة

إصلاح، واتحاد بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وإننا ندين الله – قولا وعملا واعتقادا- بقوله تعالى: ﴿إنما المومنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ جهدناوطاقتنا"(عمار طالبي، 1997م، 503/3). وهو الذي نشأ في بيئة مالكيَّة، وأُسْرَةٍ ورثت الذبَّ عن المذهب منذ القديم، فكثيرا ما كان يفتخر الإمام أنه حفيد بلكين بن زيري ، والمعز بن باديس الذي نصر المذهب المالكي، وناضل ضد الإسماعيلية الباطنية، وحارب بدع الشيعة بإفريقية (عمار طالبي، 1997م، 72/1).

والناظر في العلاقة بهذه الزاوية العريقة والمجاهدة يمكن أن يستشف أثر انعدام روح العصبيَّة المذهبيَّة عند ابن باديس، وإيمانه بنسبية امتلاك الفرد أو الجماعة للحق، وأن ذلك الحق ملكية جماعية مشتركة، تتحقق بالاجتماع وتثمر بالاتفاق، لذلك فهو لا يجد غضاضة في التواصل مع إخوته في المذاهب الإسلامية الأخرى، مهما اختلفت أجناسهم وأعرقهم، لأجل تحقيق هدف الجامعة الإسلامية، والذي حملت لواءه حركة الإصلاح بداية القرن العشرين. مما يعزِّز حقيقة انفتاحه الفكري على الآخرين وتواصله معهم؛وفي علاقته بأعلام المذهب الإباظي في الجزائر إشارات مشهودة، فقد أشركهم في تأسيس جمعيته المعروفة، فقد كانوا من روادها منذ زمن التأسيس إلى غاية يوم الناس هذا.

6. علاقة ابن باديس برجال الطريقة العلاوية:

تعد الطريقة العلاوية من أشهر الطرق الصوفيَّة الجزائريَّة، والتي لها تعلق وثيق بتاريخ جمعية العلماء المسلمين، وما ذلك إلا للصراع الذي شاب العلاقة بين الطرفين فيتلك الفترات، والردود العلميَّة الموضوعيَّة، أوالتي اكتست الطابع الأدبي الساخر، أو تلك التي كان الغرض منها التهويل ونشر أخطاء الخصوم لا غير. أما عن علاقة الإمام عبد الحميد بن باديس فمما يظهر منها؛ ما نشره عن رحلته الصيفية لسنة 1931م إلى بعض المناطق الغربية حيث نزل بعدة مُدُنٍ والتقى بمشايخ الطرق، وباحثهم وألقى عدة مواعظ ونصائح، حيث قدَّموه لمعرفتهم بقدره ومنزلته. ومن المدن التي دخلها في رحلته الصيفية مدينة مستغانم، وهي عاصمة الطريقة العلاوية (والصحيح في النسبة أن يقال العليوية نسبة إلى مؤسسها أحمد بن عليوة)، حيث التقى بمجموعة من المشايخ منهم شيخ الطريقة، يقول ابن باديس عن هذا اللقاء: "... ومن غَدِهِ دعا للعشاء معنا أعيان البلد منهم فضيلة الشيخ المفتي سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى، وسماحة الشيخ سيدي أحمد بن عليوة شيخ الطريقة المشهورة، وكان هذا أول تعرُّفنا بحضرتهما فكان اجتماعا حافلا بعدد كثير من الناس" (عمار طالبي، 1997م، 311/1).

وقد أفصح ابن باديس أن أول لقاء له بابن عليوة كان في هذه الرحلة، وبعد العشاء ألقى ابن باديس موعظة في المحبة والأخوة، ولزوم التعاون والتفاهم، وأن لا يجعل العلماء وأتباعهم القليل الذي يختلفون فيه سببا في قطع الكثير الذين يتفقون عليه. لأن الاختلاف بين العقلاء لابد أن يكون، ولكن الضار والممنوع أن يؤدي ذلك الاختلاف إلى الافتراق، وبيَّن بعدها أن الدواء الذي يقلل الاختلاف، ويعصم من الافتراق هو تحكيم الصريح من الكتاب والصحيح من السنة النبوي الشريفة. فلاقت هذه الكلمات استحسان الشيوخ الحاضرون، وحلت منهم محل القبول. وكلهم

يشعر بألم الافتراق، وينفرون منه، ويصغون إلى دعوة الوفاق والتحاب(عمار طالبي، 1997م، 311/4).

وبعد هذا اللقاء دعا شيخ الطريقة العلاويَّة الشيخ ابن باديس إلى العشاء في اليوم الموالي، وهذ بعد إجابة ابن باديس لدعوة الغداء عند شيخ الطريقة القادرية وهو الحاج الأعرج بن الأحول. ثم تلتها جلسة العشاء فكانت جلسة حافلة بأعيان البلد، وتلامذة الشيخ العلاوي، وقد أعجب ابن باديس بكرم شيخ الطريقة وتواضعه لضيوفه، واحتفائه بهم أشد الاحتفاء، فقال:" وبالغ الشيخ في الحفاوة والإكرام، وقام على خدمة ضيوفه بنفسه، فملأ القلوب والعيون، وأطلق الألسنة بالشكر"(عمار طالبي،1997م، 312/4). ثم واصل ابن باديس يصف ساردا تفاصيل الحفلة حيث أخبر أنه بعد المأدبة قرأ قارئ آيات من القرآن الكريم، ثم أخذ تلامذة الشيخ في إنشاد قصائد من كلام الشيخ ابن الفارض، بأحسن الأصوات، فترنحت لها الأجساد، ودارت بين الحاضرين من العلماء مذكرات أدبية في معاني بعض أبيات ابن الفارض، زادت مجلس العلماء رونقا وبهاء. وهذه التفاصيل تظهر أدب الشيخ ابن باديس في التحلي بآداب الضيافة وأخلاقها، والتزام الأدب الإسلامي في جمع الكلمة، ونبذ الخلاف. وبعده عن بخس الناس أشياءهم.

وواصل ابن باديس سرد تفاصيل تلك الأمسية لقراء جريدته، فأخبرهم بمدى إعجابه بأدب شيخ الطريقة العلاوية، من ذلك أنه لم يتعرض خلال المجلس لمسألة من المسائل المختلف فيها بين جمعية العلماء والطريقة العلاوية، بل كانت محادثاتهم كلها في الكثير مما هو محل اتفاق دونالقليل الذي هو محل خلاف. وما عكَّر صفو تلك الجلسة إلا حديثُ رجل من أعيان المدينة حين قال: "هؤلاء المفسدون الذين يسمون أنفسهم مصلحين يُنْكِرون الولاية". فرأى ابن باديس في وجه الشيخ ابن عليوة الإنكار لهذا الكلام الخارج عن الدائرة، وهو الحريص على جمع الكلمة، ولمِّ الشمل. فانبرى بعدها ابن باديس إلى الكلام، لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فأوضح لذلك العامي أن الولاية الشرعية ثابتة بصريح القرآن الكريم، ومن أنكرها فلفظ المفسد قليل في حقه، وحقه أن يقال فيه ملحد. وأوضح له أن جميع العلماء مهما اختلفت مشاربهم تتسع صدورهم لرد كلامهم، إلا العامة المنتمين إلى التصوف فإنهم يأبون أي رد أو نقد في أحد الشيوخ، وكأنهم يعتقدون فيهم العصمة. واستدل على كلامه بكلام سيد الطائفة الجنيد حين سئل: أو يزني الولي؟ فأطرق ثم قال:" وكان أمر الله قدرا مقدورا". ففي كلامه تعليم للناس أن شيوخ الزهد غير معصومين. فما كان من الحاضرين إلا الرضا بهذا الكلام، وسكت المتكلم، وقال شيخ الطريقة: هذا مما لا يخالف فيه أحد". فقال ابن باديس: "مثلكم من يقول هذا"(عمار طالبي، 1997م، 313/4).

ففي هذه الوقائع التي يذكرها ابن باديس ما يشهد للاحترام التي يكنُّه شيوخ ومريدو الزوايا للشيخ ابن باديس، لِما وجدوه فيه من أدبٍ جمٍّ، وتحلٍّ بالفضائل، ومراعاة للمقامات، واحترام للأحوال. حتى إذا طالع المتتبع كتب شيخ الطريقة العلاوية، ومنها كتاب((أعذب المناهل في الأجوبة والمسائل))، وجد مجموعة من الردود التي نشرها، أو بعثها شيخ الطريقة إلى مخالفيه، مناقشا لهم في مسائل علمية، أو ناقدا بعضا من تصرفاتهم العملية. وهذه الأجوبة لأشخاص مختلفين من

داخل وخارج الجمعية. أما فيما يتعلق بأعضاء الجمعية فإن ردوده عليهم كانت تتسم بالطول، وحشد الأدلة، في محاولة للإفحام، وشدة في بيان وجه الصواب عنده، وهذا ما حصل مع مبارك الميلي، وأبي يعلى، وكحول، والعقبي.(أحمد بن مصطفى العلاوي، (د.س)، ص201). إلا أن أنه في رسالته إلى عبد الحميد بن باديس نجده يوظف عبارات أنيقة، وجُمَلا غاية في الأدب والاحترام، وقد وصفها مقدمها أنها كلمات لم يجار فيها ابن عليوة انفعالات ابن باديس، بل عالجها بالحكمة، والموعظة الحسنة، شأن الأكابر المتقين، حتى إذا طالعها قارئها استغنى عن ترجمة الشيخ ابن عليوة مما يرجع لعظيم خُلقه، وصدق توجهه إلى الله.

يقول أحمد العلاوي بعد التحية، والشكر لابن باديس على الرسالة التي بعثها له:"أما ما جرى به القدر، فالأمر موكول فيه لحسن المقاصد، فما علينا وعليكم إلا تصحيح النية فيما نراه مستجلبا لرضاء الله عز وجل، ولا يخفاكم كون الله جلت قدرته لم يكلفنا وإيَّاكم إصابة الصواب، إنما يكلفنا الظنَّ فيما نعمله، أو نقصده كونه صوابا، فإن نحن أصبنا فالمنَّة لله، وإذا نحن أخطأنا فرجاؤنا في الله أن يأخذ بيد المخطئين الغير المتعمدين، لنكون في جملة من أخذ بيده والسلام" (أحمد بن مصطفى العلاوي، (د.س)، ص201).

هذه كلمات ابن عليوة وما تحمله من اختصار، وأدب وإنصاف في الرد على رسالة ابن باديس شاهدة على المكانة التي تبوَّأها ابن باديس عند مشايخ الطرق. وقد قال محمد الصالح رمضان تلميذ ابن باديس عن شيخه: " يكاد جميع الناس كلهم أعداء وغير أعداء مسلمين وغير مسلمين- والمسلمون هم الطرقيون لأنهم كانوا يعدونه شرا عليهم ويتصورونه السبب في زوال نفوذهم- كلهم يجمعون على صدقه وتقواه"(مازن صلاح مطبقاني، 1999م، ص 174). لكن هذه الرسالة لم يذكر طابعوها تاريخها، مما يجعل الباحث عاجزا عن ربط الأحداث التاريخية بعضها ببعض، من أجل أخذ صورة جيدة، يصح من خلالها الحكم على طبيعة العلاقة بين رئيس جمعية العلماء ومشايخ الطرق الصوفية.

ومما يستدعي التساؤل حادثة السطو بالأستاذ عبد الحميد بن باديس والتي وقعت في 14 ديسمبر 1926م، حيث وجهت أصابع الاتهام إلى شيخ الطريقة العلاوية بتدبير، وأمْرٍ أحد مريديه أن يقتل الإمام ابن باديس، وذلك لوجود أدلة تثبت شيئا من العلاقة بين مُحاوِلِ القتل وشيخ الطريقة. ومما قد يضعف نسبة محاولة القتل لشيخ الطريقة وبُعده عنها، ما ذكره ابن باديس من حرارة اللقاء مع شيخ الطريقة، والمعاملة الجيدة التي عومل بها ابن باديس لما نزل مقر الطريقة، بعد ذلك بسنوات، وثناء ابن باديس على أخلاق الشيخ، وإعجابه بسعة صدره، وجمال سمته.

والمتتبع لعلاقة ابن باديس برجال الطرق الصوفية يجد أن الطريقة العلاوية هي الوحيدة التي أخذت النصيب الأوفر في علاقتها به، من خلال الردود أو التجاذبات الفكرية، حيث شغلت هذه العلاقة حيِّزا إعلاميا كبيرا في صحف الإصلاح أو في الصحف الطرقية، قد يكون فيها لحماس الأتباع والدهماء النصيب الأوفر في إذكاء الخلاف وتوسيع الخرق بين الطائفتين. فقد رأينا أن ابن باديس عند زيارته لشيخ الطريقة العلاوية يقول بعدم انفكاك القول عن الفعل، فهو وإن كان يدعو

إلى جمع الكلمة في كتاباته، فقد أتبع الفعل القول في الاجتماع بالمشايخ، وحرص على لقائهم عن قرب.وأمام هذا كله يحسن بالبحثِ معرفة سبب الخلاف بين جمعية العلماء والطريقة العلاوية.

6. 1. سبب الخلاف بين ابن باديس والطريقة العلاوية:

حفل تراث الجمعية بمجموعة من الردود والخلافات بين جمعية العلماء والطرق الصوفية تكاد تكون محصورةً في الخلاف مع الطريقة العلاوية، إما لنشاطها المتزايدة في تلك الفترة، وإما لأسباب أخرى. والسبب الظاهر للخلاف بين ابن باديس، وشيخ الطريقة العلاوية، بدأ عندما أصدر شيخ الطريقة العلاوية ديوانه الشعري سنة 1920م، وقام بنشره في الناس بعد طبعه بتونس. فورد إلى ابن باديس سؤالٌ، يسأل صاحبه عن رجل يزعم أنه قطب الزمان الفرد، وأن الكلَّ دونه، وأنه العارف المُسَلِّك، إلى غيرها من أعلى صفات العارفين، وأسمى درجات الكاملين. وأنه قال أبيات جاءت في الديوان يفهم منها سوء أدب مع النبي ❐ ، وهذه الأبيات هي:

إنْ مِتْ بالشـــوق مْنَكَدْ * ما عذر يْنَجِيكْ

إن تبق في هجري زائدْ * للمولى ندعيكْ

من هــــو بالملك موحدْ * ينظر في أمركْ

عَبَسَ بالـــــقولْ تْسَاعَدْ * ما نرجوه فيكْ

وأردف السائل يقول أن أحمد بن عليوة لما سئل عن هذه الأبيات قال: أَلسُنُ المحبين أعجمية (أحمد حماني، 1984م، 63/1).

وهذه الأبيات لا توجد في ديوان الشيخ العلاوي المطبوع للمرة الرابعة، لكن المتتبع يجد قصيدة على نفس وزن هذه الأبيات مطلعها: يَا سِيدِي أحمَدْ يا محَمَّدْ صَلَى اللهْ عْليكْ * يا من بك القلبْ تأَيَّدْ وترَبَى عليكْ. (أحمد بن مصطفى العلاوي، الديوان، (د.س)، ص87- 89). وقد ذكر أحمد حماني أن تلك الأبيات قد اختفت من الديوان بعد بقائها مدَّة به .(أحمد حماني، 1984م، ص61، 63، 88) فتردد ابن باديس في الجواب أولا، ثم استخار الله، وكتب في الرد على صاحبها رسالة صغيرة الحجم، عنوانها (جواب سؤال عن سوء مقال)، وانتهى من تحرير الجواب سنة 1922 م. وأرسل بها إلى كبار علماء تونس والجزائر والمغرب، فاطّلعوا عليها، ووافقوا على ما جاء فيها، وضلَّلوا من فاه بمثل هذا الكلام، ومن هؤلاء العلماء من تونس: الشيخ محمد النخلي، وبلحسن النجار، ومحمد الطاهر بن عاشور، ومحمد الصادق النيفر، ومعاوية التميمي. ومن الجزائر، الشيخ شعيب بن علي التلمساني، ومولود بن الموهوب القسنطيني. ومن علماء المغرب، الشيخ العابد بن أحمد بن سودة، ومحمد بن العربي، وعبد القادر بن محمد بن عبد القادر، كما قرظها غير هؤلاء في الصحف والمجلات كمجلة الفتح القاهرية (عمار طالبي،1997م، 152/3- 173).

وبعد أن انتشر الرد، حدثت صدمة عنيفة أصابت الطريقة العلاوية، وشككت في عقيدته، مما اضطره إلى الانتقام من الشيخ ابن باديس بعد ذلك، في سنة 1926م، وَفقالقول أحمد حماني(أحمد حماني، 1984م، 63/2). هذا في رأيي السبب الظاهر للخلاف بين الشخصين، وإن كان هذا الخلاف قديما بين المنتسبين إلى السلفية، والمنتسبين إلى الصوفية، فليس هذا بالشيء الذي تقرع له طبول الحرب، ويشحذ له الموسي من نوع " بوسعادي " لنحر الإمام عبد الحميد بن باديس. فعلماء الطائفتين على دراية بالخلاف، ولكل سلفٌ يتكئ عليه في الاعتقاد، والرد على المخالف. ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾[هود: 118-119].

وفي نظري أنه يوجد سبب آخر، وهو أن الطريقة العلاوية طريقة جديدة مقارنة بالطرق الأخرى العريقة، والمتأصلة في نفوس الجزائريين، والتي كانت في ود ووئام مع جمعية العلماء، وقد انحاز بعضها إلى صف الجمعية أحيانا، واتبعت منهجها في التربية والتعليم كما سنذكره لاحقا. أما العلاوية فجِدَّتُها أثارت حولها مجموعة من الشكوك. بالإضافة إلى سرعة انتشارها الهائلة في ظرف قياسي، حيث زاحمت الطرق الصوفية الأخرى في قعر دارها، فكأنَّ الأمر صراع حول مراكز النفوذ، وممن أشار إلى هذا من طرف خفي أحمد حماني في كتاب ((الصراع بين السنة والبدعة))؛ والذي ألفه مؤرخا لحادثة السطو على الإمام، يقول عن الطريقة العلاوية:" فقد كان ابن عليوة قد آلت إليه مشيخة زاوية (درقاوة) بمستغانم بوصية من شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي المتوفى سنة 1909م، ولكن الشيخ ابن عليوة كان طموحا جدا، فجدَّد الطريقة، وأدخل على نظامها وطقوسها، وعلى دعايتها تغييرا شاملا؛ مما جعلها تُنسبُ إليه بدلا من نسبتها إلى الدرقاوي أو الشاذلي، خرج بها من مستغانم لتنتشر في الآفاق" (أحمد حماني، 1984م، 62/1).

ثم ذكر بعدها الشيخ حماني أن العلاوية نشطت على يدي مؤسسها نشاطا هائلا، فامتدت إلى أصقاع بعيدة في وجيز من الوقت، حاملة اسمها الجديد، فعمَّت الجزائر، وبلغت المغرب، وتونس، والشام، واليمن، وبريطانيا، وفرنسا، وبعض البلدان الأوربية. ثم قال:" وفي داخل الوطن كادت تبتلع الطرق الصوفية وخططت – أو خُطِط لها- أن تزاحم في بلاد القبائل الطريقة الرحمانيَّة، وتخلفها في أتباعها، لأنه تبين للمستعمرين أن (الرحمانية) لا يُؤمَنُ جانبها في القبائل. ومن بين التجديدات التي أعلنها الشيخ ابن عليوة اعتناقه لمبدأ الحلول، ووحدة الوجود، وزعمه في أشعاره العامية أنه (هو الله)، وأنه (ليس سواه)...." (أحمد حماني،1984م،62/1). والظاهر من كلام أحمد حماني أن هناك سببا آخر للخلاف وهو الخوف من احتواء الطريقة الجديدة للطرق الأخرى المتأصلة في المجتمع الجزائري، والتي ما من جزائري إلا وله صلة بها من قريب أو بعيد، وخصوصا الرحمانية بالشرق الجزائري والمشهورة بمقاومة الاستعمار، وتثبيت قواعد الإسلام في بلاد البربر المعرضة لحملات التنصير. إضافة إلى التوجس من أن تكون الطريقة الجديدة المنتشرة بقوةٍ أداةً من أدوات الاستعمار في تخدير الأمة الجزائرية، والقعود عن المقاومة باعتبار الاستعمار قدَرًا من الله قضاه، ولا رادَّ لقضائه، لذلك كان ابن باديس يقول:" كان الذين يتسمون بالعلم –إلا قليلا– بين جامد خرافي تستخدمه الطرقية، وما يحرك

الطرقية في التخدير والتضليل، وهو لا يدري المسكين ما يدس به للأمة من كيد، وحاذق دنيوي قد غلبه الوظيف ..."(عمار طالبي، 1997م، 367/4).

قد يكون هذا سببا في الخلاف إذا علمنا أن الطريقة الرحمانية لها صلات قوية بجمعية العلماء، وتربطها بها وشائج قرابة مكانيَّة ودمويَّة. ويزاد عليه الخلاف سياسي لاشتباههم بوجود علاقة بين العلاوية والاستعمار، وآخر إداري مؤسساتي من خلال اكتساح الطريقة العلاوية لأراضي الطرق الأخرى في عقر ديارها، ومحاولة استمالة مُحبيها ومُريدها بوسائل مشروعة وغير مشروعة. ومن تأمل صيغة السؤال الذي طرِحَ على ابن باديس، تَوَسَمَ أن السائل قد يكون من أتباع الطرق أراد بالعلاويَّة سُوءا، حيث يظهر من كلام السائل عدم رضاه أن يحتكر العلاويُّ القطبانية الزمانية، وأن يدعيَّ أن الكلَّ دونه، وأنه هو وحده العارف المُسلك، ويزعم أنه بلغ أعلى صفات العارفين، وأدرك أسمى مقامات الكاملين.

وهذا الكلام قد يكون حاملا في طيَّاته صراعا بين الطرق ومشايخها. وهذا الصراع واقع موجود، وأمر محسوس لا يُنكر. فمن اطَّلعَ على كتاب العلاويّ ((أعذب المناهل في الأجوبة والمسائل)) يجد سائلا يسأل العلاويَّ عن قول أحمد التجانيِّ:" لا شيخ بعدي" هل هي قولة محققة؟ وإن كان كذلك، فما هو معناها؟ فأجاب العلاويُّ بطريقته اللبقة المؤدبة المعتادة؛ فقال :" فكونها صدرت منه، الله أعلم بذلك. وإن ثبتت نسبتها إليه، فمن المحتمل أن يكون نفيُ الشيخوخة خاصا بطريقته، أي عمن بقي من أتباعه بعده، عند ما أطلعه الله على ما هم عليه في نفس الأمر، فوجدهم غير مستعدين لحمل أعباء المشيخة، فأخبر بذلك. وقد تحققت الآن في أصحابه، فإني حتى الآن لم يبلغني من ادَّعى منهم المشيخة بطريق الاستقلال، ولا نسمح أنه أراد بذلك نفي الخصوصية في الأمة المحمدية..."(أحمد بن مصطفى العلاوي، (د.س)، ص105). هذا فيما يتعلق بعلاقة ابن باديس بمشايخ، ورجال الطرق الصوفية باعتبارها مناهج تعتمد سبلا في التربية والسلوك الروحي. فما هي نظرة ابن باديس إلى التصوف بصفة عامة بغض النظر عن تفصيلات وتسميات الطرق السالكة طريقه؟

7. نظرة ابن باديس إلى التصوف باعتبار أشخاصه:

يفرق ابن باديس في تعامله مع الطرق الصوفية بين التصوف كمنهج، وبين المنتسبين إليه؛ فهو وإن حارب مظاهر متعددة عُرف بها الصوفية، وتعد منهجا خاصا بهم في التلقي، وطريقة في السلوك والتربية. إلا أنه يفرق بين الانتساب إلى الطرق وبين الانتساب إلى التصوف كسبيل يتخذه العبد مسلكا للوصول إلى ربه، فها هو ذا نجده في أخريات حياته يقول:" حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها – عَلِمَ الله- من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج، فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ... ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته إليها لنعمل معا في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهي: أن لا يكونوا آلة مسخرة في يد نواحٍ اعتادت تسخيرهم، فكل طرقيٍّ مستقل بنفسه عن التسخير، فنحن نمدُّ يدنا له للعمل في الصالح العام. وله عقليته لا

يسمع منا فيها كلمة. وكل طرقيٍّ – أو غير طرقي- يكون أذنًا سماعة، وآلة مسخرة فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله". (عمار طالبي، 1997م، 369/4).

فكلام ابن باديس في هذا الباب قائم على قبول العمل مع كل عالم وعامل صوفي شريطة أن لا يكون تابعا لطريقة من الطرق التي ثبتت لديه أنها من أدوات الاستعمار، لأنه قد ذكر قبل هذا الكلام أن خلافه معها في المسائل العلمية، قد علمه الناس وتبينوه، وأعذرت الجمعية عند الله في بيان ذلك، فأمرها متروك إلى الأمة. قال ابن باديس:"ولقد صمد(الشهاب) للطرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد، وعلى العقول من باطل وأوهام، وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه، إلى ما صرفت من الأمة عن خالقها بما نصبت من أنصاب. وشتت من كلمتها، بما اختلقت من ألقاب. وقتلت من عزتها، بما اصطنعت من إرهاب"(عمار طالبي، 1997م، 369/4).ولقد عدَّ صاحب كتاب (جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما) أن ابن باديس من الشخصيات الأكثر اعتدالا، وأحسنهم أدبا مع المخالف، أخبر أنه يشعر من غير أن يستطيع أن يثبت ذلك بدقة أن ابن باديس كان معرضا لضغوط من طرف المتشددين من رجال الجمعية الكبار، والذين كان يحرص على إرضائهم، ومما استدل به على رأيه وشعوره؛ ما نشره ابن باديس في أحد أعداد (الشهاب) وهو العدد 19 تحت عنوان (في سبيل الوفاق والتفاهم) (نورالدين بولحية، 2015م، 198/1) ، أراد من خلاله وقف ذلك التيار القويَّ من الكتابة الإصلاحيَّة، لكن هذه الدعوة لم ترقْ أحد أعضاء (الشهاب) وهو الشيخ العقبي، فقاطع الكتابة في المجلة، لأنه عدَّ ذلك تحجيرا تاما، ومنعا صريحا لكل كتابة في الإصلاح الديني، مما استدعى نشر مقال آخر في (الشهاب) يدعو المصلحين إلى العودة في نقد الدجل والدجالين، بسبب حادثة السطو على ابن باديس، وفي هذا التراجع من طرف ابن باديس حرصٌ على بقاء العقبي لأهميته في الجمعية، أما العقبي فكتب مقال الرجوع بعد حادثة السطو على الإمام يحمل عنوان ((أما الآن فنعم، وقد وجب الرجوع))(الطيب العقبي ا.، 1927م، ص13)، عاتب فيه الإدارة على منع كتابها الأحرار، وتقييدهم بتلك القيود والأغلال، في سبيل الوفاق والتفاهم، وأخبر أن (الشهاب) قد أعطى امتيازات للطرقية وأرباب الزوايا في ظل هذا المنع، مما نتج عنه مفاوضات طويلة عريضة، كان الكلام فيها مُرًّا وشديدا (أحمد حماني، 1984م، 26/2).

وقد أوضح الشيخ أحمد حماني ذلك حين قال عن الطيب العقبي:" وكان يميل في أسلوبه إلى الشدة والعنف والصراحة المريرة، بينما كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يجنح – نوعا ما- إلى الأخذ بالرفق واللين والدعوة بالتي هي أحسن، ويعز عليه ما وصلت إليه الحال بين الطرفين" (أحمد حماني، 1984م، 62/2). لذلك لما توطدت العلاقة بين ابن باديس والعقبي سنة 1924م، راسل ابن باديس العقبي مباركا أعماله ومجهوداته الإصلاحية، فأقلق هذا الموقف الطرق الصوفية، لأن ابن باديس في نظرهم كان أكثر ليونة، ولم يرغبوا في أن يؤثر العقبيُّ بمنهجه المتشدد في ابن باديس. ويُذكر بهذه المناسبة أن ابن باديس زار العقبي في بسكرة من أجل إخماد نار الفتنة بين العقبي والطرق، ولكنه فشل في مساعيه بسبب صلابة موقف العقبي(نورالدين بولحية، 2015م، 199/1).

ومما يستدعي التنويه والتأكيد رغبةُ ابن باديس في لقاء مشايخ الصوفية أثناء رحلاته التي كان يقوم بها، فما من بلدة نزلها إلا وحرص على لقاء المشايخ والتباحث معهم، ولم يكن ممن يأنف مجالستهم والاستماع إلى أحاديثهم فكثيرا ما نجده يثني على مشايخ منهم، وعلى رغبتهم في تعليم الناس وهدايتهم، مما هو منوط بهم كمشايخ للتربية والتذكير الإسلامي؛ من ذلك ما ذكره خلال رحلته إلى الجهة الغربية، أثناء دخوله مدينة غليزان، أنه التقى بالشيخ مولاي محمد أحد أهل العلم وشيخ الزاوية بها، فأثنى عليه وقال: "وهو من شيوخ الزوايا الذين لهم رغبة في نشر العلم، وهداية الناس بها، وسعة الصدر في سماع الحق وأدلته" (عمار طالبي، 1997م، 310/4).كما نجده يتألم ويتحسر على عدم لقاء أحد المشايخ، وكأنه فاته بعدم اللقاء شيء عظيم، وما ذلك إلا سمة من سمات الأخوة الإسلامية التي رُزقها ابن باديس في نشر تعاليم الإسلام السمحة والصحيحة، فقد تكلم عن أحد مشايخ غليزان فقال:" وكنت مشتاقا للاجتماع بالشيخ سيدي الحاج العربي التواتي، وبلغني أنه كان بغليزان، ثم بلغني أنه سمع بنا ورآنا، ولم يشأ أن يجتمع بنا، فعجبنا لذلك، وأسفنا، ثم زال عجبنا لما بلغنا أن في قلبه شيئا على جمعية العلماء، وقاها الله شر كل شر. وقلنا ليته تنازل فاجتمع بنا فكنا لا نفترق- بإذن الله تعالى – إلا على محبة وخير ورجوع للحق. ولهذا الأخ الشيخ العربي كتاب عندنا يعاتبنا فيه على دعوتنا للتوحيد، ويخلط فيه بين دعاء المخلوق، وطلب المؤمن الدعاء من أخيه، ولعلنا نجد فرصة لنشر هذا الكتاب والتعليق عليه" (عمار طالبي، 1997م، 310/4).

ومما يظهر تأثر بعض مشايخ الطرق الصوفية بمنهجية ابن باديس المعتدلة، ما قام به شيخ (القادرية) بمركزها واد سوف عبد العزيز الهاشمي الشريف، المعروف بـ(ملك التمور)، والذي اقترب من منهج الجمعية بعد أدائه فريضة الحج سنة 1936م،وتسارُع الأحداث بعد انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري شهر جوان1936م، فراسل شيخُ القادرية ابنَ باديس في شهر أكتوبر1937م، ببرقية يفصح فيها عن رغبته في الانخراط في الجمعية، فبادر ابن باديس بتعيينه عضوا فاعلا في مكتب الجمعية مكلفا بمناطق وادي سوف وما جاورها. فانتشرت دعوة العلماء انتشارا واسعا بتلك المناطق نتيجة السعي الحثيث للشيخ عبد العزيز، وقد قام هذا الشيخ بتحويل جزء من زواياه إلى مدرسة عصرية على طراز مدارس جمعية العلماء، وفَتحَ مدرسة أخرى بالوادي، وانتدب لها من الشيوخ ما يحوّلها إلى معهد إسلامي يتوفر على الشروط الضرورية. فضايقته الإدارة الاستعمارية مطالبة إياه بالترخيص، فأجابها الشيخ:أن الزاوية تقوم بدور التعليم من قديم الزمان دون رخصة. وقد حضر الشيخ عبد العزيز أعمال المؤتمر السنوي للجمعية بنادي الترقي في 24 سبتمبر 1937م، وطالب ابن باديس من العقبي أن يقدم الشيخَ عبدَ العزيز الهاشمي الشريف إلى الحاضرين، وكان لهذا التقديم أثره ومغزاه، لأن ابن باديس يدرك الشدة التي يحملها العقبي على الطرقيين(نورالدين بولحية، 2015م، 81/1-83).

8. نظرة ابن باديس إلى التصوف باعتباره فكرا:

لا تختلف نظرة ابن باديس للتصوف عن غيره من العلماء، فهو يقول به، ولا ينكر أصله، وإن أنكر كثيرا مما علق به من المخالفات، فقد ذكر أثناء رحلاته في أرجاء الوطن كثيرا ما كان يسأل

عن التصوف، والولاية، والكرامة، والتوسل، فذكر أنه كان يجيب: "بأن ما كان من باب تزكية النفس، وتقويم الأخلاق، والتحقق بالعبادة، والإخلاص فيها، فهو من التصوف المقبول، وكلام أئمته فيه ككلام سائر أئمة الإسلام في علوم الإسلام، لا بد من بنائه على الدلائل الصحيحة من الكتاب والسنة، ولابد من الرجوع عند التنازع فيه إليهما، وكنت أذكر ما يوافق هذا من كلام أئمة الزهد المتقدمين كالجنيد وأضرابه" (عمار طالبي، 1997م، 319/4). أما عن الولاية فقد سبقت الإشارة إلى رأيه فيها عندما زار مقر الزاوية العلاوية بمستغانم، فهي منطوق لفظ القرآن الكريم، ومفهوم سلوك النبي□، وسيرة أصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، يقول ابن باديس عن الولاية:"الولاية من الإيمان، فأكمل الناس إيمانا أكملهم ولاية، وإن الكرامة حق بحقيقتها وشروطها مذكورة في كتب الأئمة" (عمار طالبي، 1997م، 319/4).

ويذهب ابن باديس إلى اعتبار التصوف المقبول تصوفا سنيًّا كسائر العلماء، وهو ما نجده يعتبره عند التعريف بعلمين من أعلام الإسلام وهما أحمد الشريف السنوسي، ومحمد رشيد رضا؛ فقد قال مؤبنا السنوسي، معنونا مقاله بـ (الصوفي السني بين الحكومة السنية والحكومة الطرقية)، فعرَّف بالصوفيِ السنيِ فقال:"أما الصوفيُّ السنيُّ فهو الإمام المجاهد أحمد الشريف السنوسي الذي توفاه الله منذ أشهر بالمدينة المنورة، فقد كان على جانب عظيم من التمسك بالكتاب والسنة، والتخلق بأخلاق السلف الصالح، وكانت دعوته إلى الله، وإرشاده للعباد بهدايتهم، وكانت تربيته لأتباعه مبنية على التفقه في الدين، والتزام العمل به، والزهد والصبر، وحفظ الكرامة"(عمار طالبي، 1997م، 48/3).

أما عن محمد رشيد رضا، فقد وضع ترجمة له بعد وفاته، معرفا به لقراء مجلة (الشهاب) باعتباره رائدا من رواد الإصلاح، فعندما أتى على ذكر الكتب التي خرجته، قال:" شغف بكتاب الإحياء، فطالعه كله، وأعاد مطالعته، فكان له الأثر الصالح في زهده، وأخلاقه، وإخلاصه في العلم، وتقواه في العمل، وكان طريقه منه في فهم الدين، أنه دين روحاني أخروي فقط، وأن إرشاد المسلمين محصور في تصحيح عقائدهم، ونهيهم عن المحرمات، وحثهم على الطاعات، وتزهيدهم في الدنيا" (عمار طالبي، 1997م، 196/4). وقد ذكر بعد ذلك أن كتاب (الإحياء) حبَّب إليه مجاهدة النفس على طريقة الصوفية؛ بترك أطيب الطعام، والاكتفاء بقليله، والنوم على الأرض، وغير ذلك. ثم رام بعد ذلك أن يسلك الطريق على الأصول العلمية، غير مُعجَبٍ بسلوكه على وجه صوري من تلاوة الأوراد الشاذلية، وحضور الاجتماعات، فقال له شيخه: يا بني إنني لست أهلا لما تطلب، فهذا بساط قد طوي وانقرض أهله. ثم انتقل بعدها إلى النقشبندية، فقطع مراتبها كلها(عمار طالبي، 1997م، 197/4).

ثم دعاه شغفه بكتاب (الإحياء) إلى اقتناء شرحه الأثري للإمام المرتضى الزبيدي الحسيني، فحبَّب إليه الشرح الاشتغال بعلوم الحديث، فتخلص مما في كتاب الإحياء من الخطأ الضار- وهو قليل- ولاسيما عقيدة الجبر، والتأويلات الأشعرية والصوفية، والغلو في الزهد وبعض العبادات المبتدعة، فترك الأوراد الشاذلية، والنقشبندية، واستبدل بهما قراءة القرآن، والصلاة على النبي □. ثم أخذ ابن باديس يصف التصوف المشروع الذي سلكه محمد رشيد رضا، والذي رضيه ابن

باديس منهجا في التزكية الإسلامية، فقال: "فتخلص نسكه بعد طرح ذلك كله للتنسك الإسلامي؛ من تجريد التوحيد، وتزكية النفس، وتقويم الأعمال، وتصحيح النية، ومحاسبة النفس، ومراقبة الله في جميع الأعمال والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة، والمبالغة في العبادات المشروعة، والاعتصام بالورع موزونا ذلك كله، ومضبوطا بالكتاب والسنة، وما كان عليه أهل القرون الثلاثة الصحابة والتابعون وأتباع التابعين رضي الله عنهم أجمعين. وهذا الذي يراد بالتصوف إذا جاء اسم التصوف في كلام علماء السنة والأثر، وقد كان السيد محمد رشيد رضا رحمه الله من أئمتهم، فهذا تنسكه وهذا هو تصوفه" (عمار طالبي، 1997م، 198/4).

فظاهر من كلام ابن باديس وإعجابه بالتصوف الذي صار إليه محمد رشيد رضا، وهذا ظاهر في أن ابن باديس يميل إلى ما سماه التصوف السني، إذ كثيرا ما نجد ابن باديس ينتقد مظاهر تخرج المغرقين فيها من التصوف السني إلى غيره، فهاهو ذا يخصص مقالا يحمل عنوان (طلب الآخرة وحدها مذموم في الإسلام – غلو الصوفية بجعل الكمال عدم طلب الدنيا والآخرة)، ذكر في مقدمته أن الطمع في فضل الله لا ينافي إخلاص العبادة له، وأن العبادة المتجردة عن الرجاء والخوف ليست عبادة جاء الإسلام بها، ثم أردف بمقال بعثه به محمد رشيد رضا، يتعلق بالموضوع نفسه (عمار طالبي، 1997م، 52/3).

كذلك نجده يستدل بأقوال العلماء السالفين في إنكار البدع الفاشية، والضلالات الرائجة، مبينا لأصحاب الطرق ما هم عليه من بعض مظاهر الانحراف، فقال ابن باديس:"أردنا أن ننقل لقراء (السنة) بعضا من إنكار أهل العلم على هؤلاء المتسمين بالفقراء المدعين لطريقة الزهد المتمسكين بالبدعة ليعرفوا سنة العلماء في الرد عليهم، والتقبيح لحالهم، والتحذير من ضلالهم فيعلموا أن العلماء الإصلاحيين المعاصرين ما جاءوا إلا على سنة سلفهم المتقدمين ، ما قاموا إلا بما يفرضه عليهم الدين من نصح المسلمين، وإرشاد الضالين والذب عن سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ❐"(عمار طالبي،1997م، 42/3). ثم شرع بعدها ابن باديس في العلماء الأعلام، ونصوصهم في الإنكار على أصحاب للبدع والمحدثات،؛ فذكر القشيري، وأبا بكر الطرطوشي، وأبا حيان الأندلسي، وأبا إسحاق الشاطبي، والقلصادي المالكي، وعبد الرحمن الأخضري الجزائري، وعبد الكريم الفكون القسنطيني، ومحمد العروسي.

وفي هذا الصنيع من الإمام ابن باديس محاولة للتبرؤ من التفرد بانتقاد المظاهر الذي علقت ببعض الطرق الصوفية، وما شابها من مخالفات غيرت بهاء جانب مهم من الجوانب الروحية في الإسلام ألا هو تزكية النفوس.

ونقد ابن باديس للتصوف لم يخرج عن قول الجمهور من علماء الإسلام في اعتبار التصوف لونا من ألوان التزكية للنفس البشرية، فهو لم يخرج عن المسار المعروف، وإن كان قد انتقد بعض المظاهر والتصرفات أو الشطحات الصوفية التي تعد من سنن كل تجربة بشرية؛ إذ أنه من تتبَّع حركة التاريخ عرف أنه لا يخلو عصر في كل نسق فكري من مريدين يلتزمون الإفراط منهجا

وسلوكا وأفكارا، وآخرون ينتهجون التطرف كذلك. فهذه من ميزات البشر إلا من عُصِم أو رزق الفكر المسدَّد مع الرأي المؤيَّد.

9. خاتمة:

مما سبق ذكره يتبيَّن للقارئ أن ابن باديس قد قاد حملة من التوعية لإصلاح حال الأمة الجزائرية، في ميادين متعددة، ومن أهمها ما يتعلق بجانب التصوف، فقد نقد كثيرا من الأشياء التي رأى أنها تخالف ما لم يكن عليه المسلمون في القرون المفضلة، وقد اتسمَّ إنكاره هذا بنوع من الأدب والإنصاف، والبعد عن المجافاة والغلظة، وهذا يُلحظ في علاقته مع رجال ومشايخ الطرق الصوفية، التي هي موضوع هذا البحث، فقد مثل فيها ابن باديس الصورة الحقيقة لما يجب أن يكون عليه المسلم الحق في التعامل مع المخالفين، وقد كان حريصا دائما على توطيد العلاقات الإنسانية مع الجميع، تحقيقا للهدف الأسمى وهو إحياء مقومات الأمة الجزائرية الإسلامية، وبعث كيانها من خلال رأب الصدع، وجمع الكلمة، لأن ما يجمع المسلمين كثير إذا ما قورن بالقليل الذي يختلفون فيه. وهذا ما يدعو إلى الاستفادة من هذا المنهج والعمل في الحياة، وتوجيه أنظار الباحثين إلى طَرْقِ الموضوعات التي تجمع الفرق الإسلامية، والطوائف المختلفة، على أصول الإسلام التي يمكن الاتفاق عليها، لأن الاختلاف سُنة إلهيَّة.

قائمة المراجع:

1- أحمد بن مصطفى العلاوي، (د.س)، أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل، المطبعة العلاوية، مستغانم، الجزائر.

2- أحمد بن مصطفى العلاوي، (د.س)،الديوان، المطبعة العلاوية،مستغانم، الجزائر.

3- أحمد توفيق المدني،(1977م)، مذكرات حياة كفاح،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

4- أحمد حماني،(1984م)،الصراع بين السنة والبدعة، دار البعث، قسنطينة ، الجزائر .

5- الطيب العقبي، (1927م)، "أما الآن فنعم، فقد وجب الرجوع"، الشهاب، عدد 78، مؤسسة أحمد بوشمال، قسنطينة، الجزائر.

6- سيد عبد الحميد مرسي، (1986م)،العلاقات الإنسانية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

7- صلاح مؤيد العقبي، (2002)،الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطه، دار البراق، بيروت، لبنان.

8- عادل نويهض، (1980م)، معجم علماء الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان.

9-عبدالباقي مفتاح، (2009م)،أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

10- عمار طالبي، (1997م)،آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، الجزائر.

11- مازن صلاح مطبقاني، (1999م)، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم، دمشق، سوريا.

12- محمد بن سمينة، (1992م)، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

13- محمد بن عايد المشاوية الدوسري، (2005)،العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي والمعاصر، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

14- نورالدين بولحية،(2015)، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، دار علي بن زيد للطباعة والنشر، بسكرة، الجزائر.

اللاعدالة المجالية والاجتماعية وانعكاساتها على المجال بالدار البيضاء: حالة مقاطعتي أنفا ومولاي رشيد.

د.مصطفى يحياوي، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء- المغرب

د.صلاح الدين زهلي، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء- المغرب

الملخص: انتشر تعبير "العدالة واللاعدالة المجالية" بشكل كبير خلال سبعينات وثمانينات القرن الماضي، وذلك بعدما ظهرت وترسخت نتائج الأنظمة الرأسمالية مجاليا واجتماعيا، وقد تم تطويره من قبل الجغرافيين المطورين لتحليل المجتمعات المعاصرة (أمثال : إدوارد صوجا، هنري لوفيبر، ميشيل فوكو...)، والباحثين عن المزيد من العدالة المجالية والديمقراطية المرتكزة على العدالة الإقليمية والعدالة البيئية، والهادفين إلى الحد من التفاوتات الإقليمية، وتحقيق المدينة العادلة والمجتمع العادل والصياغة المجالية العادلة. من خلال هذا المنظور، وبعد استلهام الإطار النظري من الجغرافية الإنسية والنقدية، تحاول هذه الورقة البحثية الخوض في إشكالية اللاعدالة المجالية والاجتماعية بمدينة الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية للمغرب، وذلك بهدف تشخيص بعض مظاهر واقع التفاوتات السوسيومجالية بالمدينة، من خلال المقارنة بين مقاطعات "المركز" حالة مقاطعات أنفا، ومقاطعات الهامش"حالة مقاطعة مولاي رشيد".

الكلمات المفتاحية: العدالة، اللاعدالة المجالية، اللاعدالة الاجتماعية، المجال، المجال المعاش، التفاوتات، السياسة الحضرية، التخطيط.

Spatial and social injustice and its implications on space: the status of Anfa and Moulay Rachid districts

ABSTRACT: The term "spatial justice and injustice" spread widely during the seventies and eighties of the last century, after the results of capitalist regimes emerged and took root both domestically and socially, and it was developed by geographers developers to analyze contemporary societies (such as: Edward Soga, Henri Lefebvre, Michel Foucault ...) And whose looking for more spatial justice and democracy based on regional justice and environmental justice, and reducing regional disparities, and whose aiming to achieve a just city, a just society, and a fair sphere. From this perspective, and after drawing inspiration for the theoretical framework from humanistic and critical geography, this

research paper tries to delve into the problem of spatial and social injustice in Casablanca, by comparing the "center" Anfa and the "marginal" like Moulay Rachid municipalitie.

Key words: justice - spatial injustice - social injustice – space- Lived space - inequality - urban policy- Planning.

مقدمة

يعتبر مفهوم المركز والهامش من بين المفاهيم السياسية التي استعارتها الجغرافيا لتحليل المجال، والذي كان يعد أصلا في النظريات السياسية والاقتصادية مفهوما لا مكانيا؛ بل مفهوما إيديولوجيا ماركسيا بالتحديد، حيث أنه وضع للتعبير عن عدم التكافؤ بين الشمال والجنوب، لكن بعده المكاني سرعان ما برز كأداة تحليل وتفسير تطاوع كل المقاييس(محمد بلفقيه، 2002، ص 305). وهكذا سيعمل تحليل المجال باستثمار مفهوم المركز/الهامش على تشخيص وضعية المجال من حيث التفاوت الحاصل بين النطاقين، كمرحلة أولى، ثم تقديم اقتراحات من شأنها الحد من تلك التناقضات المجالية بعد استجلائها حسب مقياس كبير كمرحلة ثانية. يعتبر تحليل المركز والهامش وفق مقياس كبير (حي، مدينة) جزءً لا يتجزأ ضمن الدراسة التحليلية المجالية الخاصة بمظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية، خاصة تلك التي يكون فيها الفرد فاعلا أساسيا في معظم عمليات إنتاج وإعادة إنتاج المجال.

تشكل التفاوتات السوسيومجالية بمدينة الدار البيضاء العاصمة الاقتصادية للمغرب مظهرا من مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية، وهي عبارة عن تباينات في الولوج إلى العناصر ذات القيمة العالية، سواء كانت مادية أو رمزية أو مجالية، وهي بمثابة اختلافات وفروق بين الأفراد والجماعات والمقاطعات، خصوصا بين مقاطعات الهامش ومقاطعات المركز. يتم الحكم على الاختلاف أنه تفاوت إذا نظر إليه الواقع وحكم عليه على أنه اختلاف غير مبرر وغير مبرهن بحجج علمية، والأمثلة على ذلك كثيرة في العاصمة الاقتصادية. يمكن اعتبار معظم اختلافات الولوجية المجالية بالمدينة مظهرا من مظاهر التفاوتات واللاعدالة l'injustice غير المبررة التي وجب النظر فيها.

1. إشكالية الدراسة

تتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية حول تشخيص واقع اللاعدالة والتفاوتات السوسيومجالية بمدينة الدار البيضاء التي اعتبرت منذ نشأتها بأنها مدينة التناقضات المجالية، كما سنحاول التأكيد على البعد المجالي للعدالة التي تأخذ بعين الاعتبار الإنسان في مقدمة أولوياتها؛ إذ لن يتم استخدام مفهوم العدالة المجالية بغية النظر في العدالة بين الأماكن، بل النظر إلى البعد المجالي للعدالة. كما سينصب الاهتمام على البعد الاجتماعي في مقاربة العدالة المجالية، وسنحاول بذلك الإجابة على السؤال المركزي التالي: **إلى أي حد ساهمت مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية في تعميق الفارق بين مركز (مقاطعة أنفا) وهامش (مقاطعة مولاي رشيد) مدينة الدار البيضاء؟**

سنحاول الإجابة عن السؤال المركزي ومقاربة مسألة العدالة المجالية بين مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد، بالاحتكام إلى بعض عناصر الاشتغال، ومنها:

-نظرية العدالة واللاعدالة المجالية : مفاهيم وأسس.

-الجذور التاريخية للاعدالة المجالية والاجتماعية بين المجالين (أنفا، مولاي رشيد).

-مظاهر اللاعدالة المجالية بالمقاطعتين (السكن، الصحة، التطهير، المساحات الخضراء).

-دور التخطيط والسياسة الحضرية في ترسيخ اللاعدالة المجالية والاجتماعية.

تكمن أهمية الدراسة في كونها محاولة لتشخيص بعض مظاهر التفاوتات السوسيومجالية في مدينة الدار البيضاء، والتي تزداد حدة عند المقارنة بين مركز وهامش المدينة، واضعين بعين الاعتبار بعض النظريات المجالية التي قاربت إشكالية اللاعدالة المجالية، ونهدف من وراء ذلك إلى تقديم تصور يساهم في الحد من مظاهر التفاوتات المجالية والاجتماعية.

2. منهجية الدراسة

في ما يخص الشق النظري، اعتمدنا فيه على بيبليوغرافية متنوعة، من خلال استحضار مجموعة من النظريات المؤطرة لموضوع اللاعدالة المجالية والاجتماعية والتفاوتات السيوسيومجالية، وبالنسبة للمؤشرات الإحصائية المعتمدة لإظهار واقع التفاوتات السوسيومجالية بالمدينة، فقد اعتمدنا على معطيات المندوبية السامية للتخطيط(إحصاء 2014) وبعض أرقام مجلس المدينة الخاصة بتدبير بعض القطاعات. كما اعتمدنا أيضا خلال هذه الورقة البحثية على العمل الميداني والذي حاولنا من خلاله استخلاص بعض المعطيات ميدانيا خصوصا تلك المرتبطة بالسكن والمساحات الخضراء وقطاع الصحة.

3. الإطار المجالي والزمني للدراسة

تم حصر مجال الدراسة في مدينة الدار البيضاء، وتم اختيار مقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة أنفا كمجالات للعمل الميداني. وقد تحكمت مجموعة من العوامل في هذا الاختيار، إذ جاء اختيار مقاطعة مولاي رشيد باعتبارها منطقة تندرج حسب نظرية المركز والهامش لصاحبها سمير أمين- مفكر وسياسي وعالم اقتصاد مصري- ضمن هامش مدينة الدار البيضاء، بحمولته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبقية والمجالية. في حين تم اختيار مقاطعة أنفا كنموذج عن مقاطعات المركز والمتميزة بالمؤشرات الاجتماعية والاقتصادية الإيجابية.

على مستوى الإطار الزمني، فبالنسبة للمعطيات الميدانية الخاصة بكل مقاطعة، فقد حصرنا الدراسة في الفترة الزمنية ما بين 2019-2020، أما بالنسبة للمعطيات الديمغرافية والإحصائية، فقد تمت الاستعانة بمعطيات المندوبية السامية للتخطيط، وتحديدا إحصاء 2014.

4:الإطار النظري للتحليل: نظرية العدالة واللاعدالة المجالية

شاع استعمال مفهوم العدالة واللاعدالة المجالية بشكل كبير خلال سبعينات وثمانينات القرن الماضي في العالم الناطق بالإنجليزية، ويعتبر الجغرافي الأمريكي ادوارد صوجا Edward soja من أهم المنظرين لهذه المفاهيم؛ إذ قام بوضع مرتكزات لمقاربة ظاهرة العدالة واللاعدالة المجالية من منظور جغرافي، سنحاول خلال هذا الإطار النظري جرد أهم المعالم النظرية التي

وضعها Edward soja الخاصة بمفهوم العدالة المجالية، والتي وجب أخذها بعين الاعتبار خلال العمل على تجاوز اللاعدالة المجالية.
يشير مفهوم اللاعدالة المجالية إلى الجوانب المكانية أو الجغرافية للعدالة واللاعدالة l'injustice. وهذا يعني مراعاة كل ما يتعلق بالتوزيع العادل والمنصف في المجال للموارد ذات القيمة الاجتماعية وإمكانيات استغلالها(Edward W. Soja، 2009، ص 60). فالعدالة المجالية هي تصحيح للظلم المجالي، تهدف إلى تنظيم المجال تنظيما متسقًا مع مشروع مجتمع أكثر عدالة، عبر إعادة التفكير في التوزيع الاجتماعي والمكاني(Bret Bernard، 2009، ص 22).

إن عدالة المجال في حد ذاتها ليست بديلاً عن العدالة الاجتماعية أو الاقتصادية أو غيرها، بل هي طريقة لفحص العدالة من منظور مجالي نقدي. من خلال تبني وجهة النظر هذه، هناك دائمًا بُعد مجالي للعدالة، يتضح أنه ذو صلة بجميع المناطق الجغرافية الأكثر تعبيرًا عن اللاعدالة المجالية.

يعتبر التمييز المرتبط بالمجال بمثابة نتيجة للمعاملة غير المتكافئة التي تُمنح لفئات معينة من السكان بسبب موقعها الجغرافي، وهو أمر أساسي في إنتاج لاعدالة مجالية، وفي إنشاء هياكل مكانية دائمة تعتبر مصدر التفاوتات، والمتأسسة على الامتيازات والمزايا. وتعتبر الطبقية الاجتماعية من أهم هياكل إنتاج الموقع والتمييز المكاني (Edward W. Soja، 2009، ص 58).
أشار إدوارد صوجا أن العدالة المجالية ليست فقط مفهومًا فلسفيًا يمكن مناقشته في الفصول الدراسية، والقاعات والندوات، ولكنها نتيجة يجب متابعتها بنشاط، وذلك لتغيير التناقضات في نتائج جودة الحياة للأفراد الذين يعيشون في مناطق جغرافية مختلفة من المدينة. وهنا شجع إدوارد صوجا العلماء على الابتعاد عن العدسات التحليلية الأكاديمية التقليدية، والعمل على تبني الوعي المجالي الذي سيجعلهم على دراية بالتسلسل الهرمي الاجتماعي للمدينة المنظم مجاليا. فحسب هذا الجغرافي الأمريكي، إذا أردنا أن نفهم طبيعة المدينة، يجب علينا أن ندرك نتائج اللاعدالة المجالية والعمليات التي تعزز البيئة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، والتي تستخدم للحفاظ على المناطق الجغرافية غير العادلة من المدينة (Edward W. Soja ، 2010، ص 490).
عموما هناك أربع خصائص أو سمات مرتبطة بمفهوم العدالة المجالية عند إدوارد صوجا، وهي:
السمة الأولى للعدالة المجالية هي الوعي المكاني، والذي يعتمد على كيفية تخيلنا للمدينة (المجال المعاش) والمناطق الجغرافية التي تتكون منها المدينة، وعلى فهمنا الوجودي لحياة الإنسان في المدينة، فالمكان الذي يعيش فيه الفرد له تأثير على قيمه ومعاييره. فنحن فاعلون اجتماعيون نشارك في كتابة تاريخ جماعي نبرر من خلاله كيفية إنشاء مناطق التمايزات.
السمة الثانية للعدالة المجالية: هي القدرة على تغيير المناطق الجغرافية. صحيح أن صوجا أشار أننا كائنات مجالية، لكن المناطق الجغرافية التي نستخدمها ونشكلها قد تكون لها وظيفة مباشرة عكسية في ترسيخ مظاهر اللاعدالة المجالية.

السمة الثالثة للعدالة المجالية: هي الديمقراطية التشاركية. في محاولة منه للدفاع عن نظريته أو تبريرها، قدم Soja العديد من دراسات الحالة التي توضح مدى أهمية الديمقراطية التشاركية للعدالة المكانية، وأشار أن التفاوتات المجالية لا تتغير من تلقاء نفسها، بل تحتاج السكان لتغييرها.

السمة الرابعة للعدالة المجالية: هي الاستدامة؛ إذ يجب النظر إلى السعي إلى تحقيق العدالة المجالية بهدف شامل طويل المدى (Edward W. Soja ، 2010، ص 491).

عند تعميق النظر في السمات الأربع التي تطرق إليها إدوارد صوجا، نجد أن أصل العديد من المشاكل التي تعاني منها المدن العربية –الدار البيضاء نموذجا- يكمن في تغييب تلك السمات، وعلى رأسها تغييب الوعي المكاني والديمقراطية التشاركية المجالية. فقد لعبت مسألة إهمال تخيلنا للمدينة وللتمثلات الاجتماعية والمجالية في تعدد مظاهر التمردات المجالية والفوضى الحضرية من خلال إعادة إنتاج مجالات عشوائية حسب مخيلة الفرد أو الجماعة، وهي مظاهر ناتجة بالأساس عن غياب الوعي المكاني في صفوف الفاعلين الرسميين وغير الرسميين في إنتاج المجال.

أيضا المتأمل في ما أشار إليه إدوار صوجا، يسجل الدور الكبير لغياب الديمقراطية التشاركية والمواطنة المجالية والاجتماعية في تعميق التفاوتات السوسيومجالية، وهي مفاهيم ترتكز بالأساس على إدماج المواطن في عمليات صنع القرار المجالي والاجتماعي، هذا الدور الذي تم تغييبه في المجتمعات العربية، وجب إعادة النظر فيه، وذلك في أفق توسيع قاعدة السياسات الحضرية المهيكلة للمجالات الحضرية.

5. نتائج الدراسة

5.1: الجذور التاريخية للاعدالة المجالية والاجتماعية بين المجالين المدروسين (أنفا، مولاي رشيد)

تشير معظم الأدبيات الجغرافية التي تطرقت إلى اللاعدالة المجالية والاجتماعية بالدار البيضاء إلى دور الاستعمار في ترسيخ التفاوتات المجالية والاجتماعية، بدءا من المخططات التعميرية مرورا بالسياسات الحضرية المتبناة من قبل سلطات الاستعمار. فقد أدى تضارب مصالح الجالية الأوربية بالمدينة منذ فرض الحماية إلى التعجيل باستراتيجيات، كان الغرض منها عزل الساكنة الأوربية عن نظيرتها المغربية مجاليا، وقد استثمر المجال هنا كوسيلة لترسيخ التفرقة والعزل الاجتماعي بين الأوربيين والمغاربة (عبد الرحمان رشيق، 2014، ص 6).

يعود أصل التفاوتات بالمدينة إلى أولى المخططات التعميرية التي شهدتها المدينة والمتمثل في مخطط بروست، حيث قسم المهندس المعماري هنري بروست المدينة بإيعاز من المقيم العام ليوطي إلى منطقة سكنية للأوربيين في غرب المدينة، ومنطقة صناعية للشركات الصناعية والتجارية في شرق المدينة، ومنطقة ثالثة تقع بين المنطقتين خاصة بسكن المغاربة (محمد السنوسي معنى، 2017، ص 136).

تعود جذور هذه التفرقة إلى بعض الصراعات التي كانت قائمة بين الساكنة الأوربية والساكنة المغربية، وهنا يشير أندري أدم أنه بعد فرض الحماية على المغرب، ظهرت بعض التصرفات

العدائية بين الساكنة البيضاوية تجاه الساكنة الأوروبية، وبالضبط خلال سنة 1914 حيث ظهرت بعض أشكال العنف من حرائق وسلوكيات عدائية (André Adam ، 1968، ص 56)، ويضيف أنه من أجل احترام مبدأ الفصل بين الساكنة الأوروبية والساكنة المغربية، كان من الضروري على بروست أن يطرح مشروع مدينة جديدة بعيدة عن المدينة المغربية القديمة بكلمترين، عبر عرض كامل للمدينة الأوروبية (André Adam، المرجع السابق، ص 61) . فرفض الأوروبيون التعايش مع المغاربة في الأماكن الحضرية المسماة اليوم "المدينة القديمة"، ورفضهم "السكان الأصليين" في الأماكن الحضرية التي بناها "الأجانب" من أجلهم، اعتبر من قبل المغاربة كعزل اجتماعي (Mustapha CHOUIKI، 1996، ص 7-15).

أيضا من أهم المخططات التي رسخت مبدأ التمييز بين المغاربة والأوربيين مجاليا نجد التصميم المديري المنسوب لصاحبه كورتوا، والذي تميز ببلقنة المدينة وتخصيص مناطق وظيفية خاصة بالأوربيين فقط، وأحياء جديدة خاصة بالمغاربة. جاءت معظم توصياته بتخصيص فضاءات معمارية ووظيفية للفرنسيين فقط، فتقسيم الأحياء في تصميم كورتوا اعتمد مقاربة إثنية انتقائية تجلت في تخصيص الأحياء الجديدة التي انطلق العمل فيها منذ سنة 1930 للسكان المغاربة (محمد السنوسي معنى، 2017، ص 136) .

كان لمخطط إكوشار سنة 1947 هو الآخر دور في اللاعدالة المجالية والاجتماعية التي عرفتها المدينة خلال فترة الاستعمار، فقد قسم هذا المخطط المدينة إلى منطقتين وتجمعات سكنية مسيجة بحزام التشهير والغابة إلى الجنوب والجنوب الغربي (قطاع أنفا)، والخط الصناعي العمالي في الشمال الشرقي (قطاع مولاي رشيد)، وهكذا جعل إكوشار تصميم الدار البيضاء يتجه في اتجاه الساحل الأطلسي على امتداد ثلاثين كيلومترا، في نفس الوقت أكد على مبدأ التمييز الذي قام عليه التصميم التوجيهي لبروست، والذي جعل المناطق الصناعية والعمالية تتجه على الخط الساحلي نحو شرق المدينة، ومناطق الإقامة والسكنى والخدمات والمعاملات تتجه نحو غربها(محمد السنوسي معنى، 2017، ص 138).

أدى الفصل بين المغاربة والأوروبيين الذي شرع الاستعمار في ترجمته لهياكل مجالية إلى تقسيم المدينة، والذي كانت له عواقب بعيدة المدى على مستقبل الدار البيضاء. قسمت هذه الأخيرة إلى مدينتين مختلفتين من الناحية الشكلية والوظيفية، نجد في اتجاه الشرق مدينة الصناعة وأحياء الطبقة العاملة، إنها في الواقع صهارة من الأحياء (التقليدية، الإسكان الاقتصادي، مدن إعادة التوطين، إلخ) التي تشترك فقط في دورها كمستودعات للعمل في المناطق الصناعية التي ترتبط بها. أما اتجاه الغرب، فنجد مدينة الأماكن السكنية الميسورة (مناطق الفيلات) المرتبطة بالمساحات التجارية التي تتطور بالاشتراك مع أحياء الطبقة المتوسطة (أحياء المباني المتوسطة والعالية...) (Mustapha CHOUIKI، 1996، ص 9-15).

وبهذا تكون المخططات التعميرية الاستعمارية قد وضعت الأسس الأولى للتفاوتات المجالية بين أحياء المدينة بالتركيز على البعد الاجتماعي، فمعظم توجهاتها لازالت قائمة إلى اليوم؛ حيث

لازال القطاع الغربي من جهة يعج بالفئات الغنية الموروثة عن عهد الاستعمار، ومن جهة أخرى، اعتبرت باقي اتجاهات المدينة كمناطق للفئات الشعبية، مع وجود استثناءات في بعض القطاعات التي تعتبر استمرارية للقطاع الغربي.

لم يتغير الوضع بعد حصول المغرب على الاستقلال، إذ ظلت الدار البيضاء تتسم خلال توسعها بالتمييز السوسيومجالي، بحيث بقيت الفوارق بين الأحياء قائمة (مصطفى الشويكي، 1988، ص 291) فالمخطط المديري لسنة 1984(بانسو) قام بإعادة إنتاج العديد من مبادئ التمييز التي رسختها مخططات التعمير لعهد الاستعمار. وفي هذا الصدد، استجابت مشاريع الدولة في ميدان السكن للتفرقة الاجتماعية، وعملت على ترسيخها بالتمييز بين الفئات الاجتماعية على مستوى نوعية السكن والمجالات المخصصة لفئات دون غيرها. وذلك للدور الاستراتيجي للتمييز السوسيومجالي بالنسبة للسلطة السياسية، من أجل التحكم في توسع وتطور المدينة ككل. وهكذا يتضح أن الهيكلة السوسيومجالية التي رسخها عهد الاستعمار قد جاءت وفق ما يقتضيه نمط الإنتاج الرأسمالي من تفاوت اجتماعي، ومن تحويل للهوامش إلى خزانات لقوة العمل. ويتضح أيضا أن المجال لا يكتسب خصائصه من ذاته؛ بل من المجتمع الذي يشكل أحد هياكله الأساسية (مصطفى الشويكي، 1994، ص 509) . فالتفاوت الاجتماعي والتفاوت المجالي مرتبطان ويدعم أحدهما الأخر.

على الرغم من كون معظم الدراسات التي أطرت مسألة التفاوتات المجالية أشارت إلى الدور الهام للتاريخ في تفسير اللاعدالة المجالية بين مركز وهامش المدينة، إلا أن الواقع الراهن يشير إلى دور مؤشرات أخرى سياسية وعمرانية مرتبطة بالسياسات الحضرية والعمرانية المتبعة في هيكلة المجال الحضري للمدينة. فمن خلال ملاحظة ما جاء به المخططات الأخيرة وما أدرجته تصاميم التهيئة الخاصة بمقاطعات المدينة يجد بعض المؤشرات المساهمة في ترسيخ التفاوتات، من خلال تمتيع مقاطعات بتجهيزات عمومية ومرافق متنوعة على حساب مقاطعات أخرى، كما هو الشأن بين مقاطعات المركز والهامش. فقد كان على واضع التخطيط الحضري الراهن الأخذ بعن الاعتبار ما أفرزته المخططات الاستعمارية والعمل على هيكل المجال حسب الخصوصيات المحلية والإشكاليات الراهنة.

5.2: مظاهر اللاعدالة المجالية والاجتماعية بين مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد.

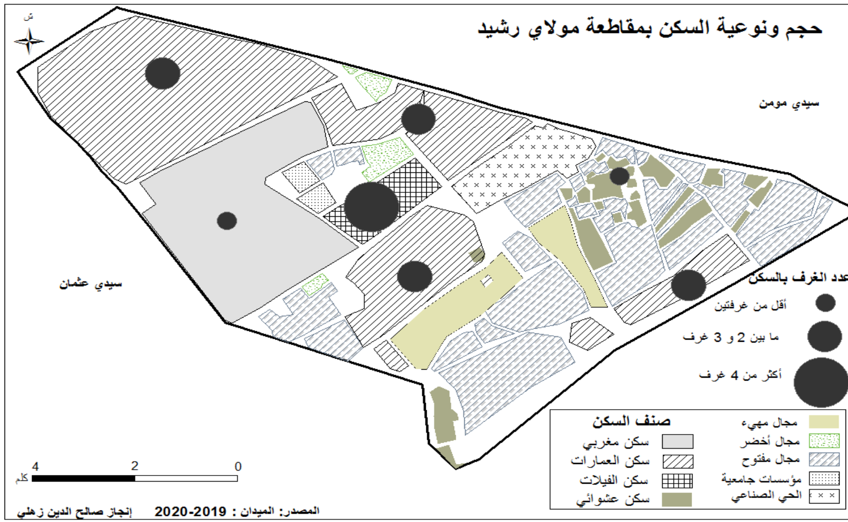
تختلف قائمة التفاوتات ومظاهر اللاعدالة مع مرور الزمن، ومن مجتمع إلى آخر ومن مجال لآخر، إنها مفهوم جد معقد، يتطلب منا أولا تحديد المتحكم في هذه التفاوتات، والتصور العادل بالنسبة لها، علاوة على تحديد العناصر ذات القيمة التي يجب النظر فيها، وتحديد معيار المقارنة من منطقة لأخرى، حتى لا يتم اعتبار أي اختلاف بمثابة تفاوت. فالحديث عن اللاعدالة هو حديث لا متناهي، يتطلب قياس مجموعة من المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية (مستوى المعيشة، الفقر، الدخل الفردي، الهشاشة، التعليم، الصحة، البيئة...) لن نقف عند مجموع هذه العناصر بقدر

ما سنحاول خلال هذا المحور التطرق لأربعة عناصر، نرى أنها ذات قيمة مجالية وهي: السكن، الصحة، التطهير، المساحات الخضراء.

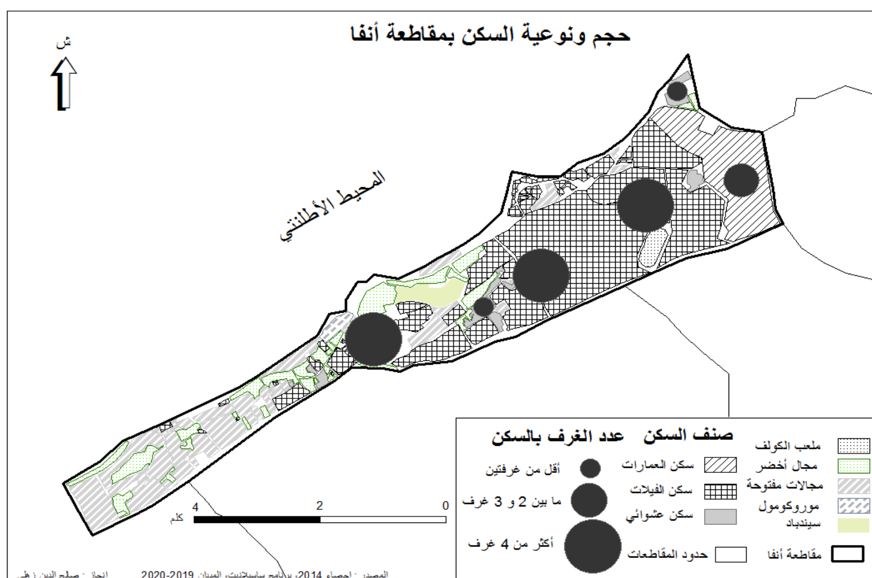
5.2.1 السكن كمؤشر للاعدالة المجالية والاجتماعية.

نستهل حديثنا عن مقاربة اللاعدالة المجالية والاجتماعية من حيث التفاوتات التي يشهدها السكن في المدينة عموما، وفي مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد خاصة (المجال المدروس)،بإدراج خريطتين لحجم ونوعية السكن بالمنطقتين:

خريطة رقم1: حجم ونوعية السكن بمقاطعة مولاي رشيد



خريطة رقم2: حجم ونوعية السكن بمقاطعة أنفا



أول ما يمكن تسجيله بعد تبصر الخرائط هو حجم التفاوت الحاصل داخل المقاطعة نفسها، من حيت توزيع أصناف السكن ومن حيث عدد الغرف داخل السكن. ولتشخيص كل خريطة على حدة، فتبرز الخريطة رقم 1 الخاصة بمقاطعة مولاي رشيد، مدى تطابق حجم السكن مع صنف السكن، فالمنطقة التي تعرف سيادة السكن الكبير الحجم، تتميز بطغيان سكن الفيلات (حي الرحمة) وهي منطقة ذات مساحة صغيرة جدا، مقارنة مع باقي الأصناف. في حين أن السكن الصغير الحجم يطابق مراكز تركز السكن المغربي وسكن العمارات، وهو المنتشر في جل أرجاء المقاطعة، وهي نفس الخاصية التي يعرفها السكن العشوائي. كما تظهر الخريطة مناطق تركز الأحياء الصناعية في الشمال الشرقي.

قادنا تفسير هذه الفروق الواسعة بين سكن الفيلات من جهة، والسكن المغربي وسكن العمارات من جهة ثانية إلى استحضار عاملين أساسيين وربطهما مع بعضهما البعض، العامل الأول: تاريخي واستعماري بالدرجة الأولى، فقد أثبتت الخريطة رقم1 المنجزة سنة 2020 نجاح التوجه الاستعماري الذي كان يرغب في تركيز الصناعة في الشمال الشرقي، وجعل المنطقة خاصة بالفئات الهشة والفقيرة كخزان لليد العاملة لفائدة الطبقات الغنية.

أما العامل الثاني، فيتمثل في السياسة والتخطيط والتعمير منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، وهو من بين العوامل الأساسية في ضبط إنتاج السكن، من خلال سياسات إعادة الإسكان سنة 1984 لدور صفيح ساكنة مقاطعة بن امسيك وسيدي عثمان، والتي رأت في مجال مقاطعة مولاي رشيد خير ملاذ لهذه الفئة الاجتماعية دون أي منطقة أخرى، وهو تعزيز للسياسات الاستعمارية القائمة على

مبدأ التمييز، وترسيخ للاعدالة المجالية والاجتماعية المؤثرة على جودة الحياة بالمقاطعة خاصة وبالمدينة عامة، حيث أبان الحاضر مدى انعكاس هذه الاختيارات على الحياة الاجتماعية بالمدينة.

في جميع المجتمعات، نجد اختلافات بين الأفراد والجماعات، وهذه الاختلافات لا تؤسس للتفاوتات وللاعدالة المجالية، تصبح الاختلافات عبارة عن تفاوتات ولاعدالة حينما تترجم إلى ايجابيات وسلبيات، وإلى مزايا وعيوب (Patrice bonnewitz ، 2015، ص 14)، في هذا الإطار، أفرزت التناقضات المجالية المترسخة في مقاطعة مولاي رشيد (هيمنة السكن الصغير الحجم وغلبة الفئات الهشة) عدة سلبيات وعيوب، أبرزها كثرة التمردات المجالية التي يشهدها المجال المعاش-أي مجال التمثلات المجالية ومجال الرغبات والحاجيات المجالية-، وهيمنة مظاهر اللاقانون والانحراف والجريمة التي تشهدها المقاطعة كتعبير من الساكنة عن عدم رضاها عن إقصائها المجالي والاجتماعي. وبهذا تصبح الاختلافات القائمة عبارة عن لاعدالة مجالية واجتماعية، الشيء الذي يتطلب حسب إعادة التنظيم الوجودي للمجال عبر تحقيق الوعي المجالي، فنجاح أي توجه للعدالة المجالية والاجتماعية، يعتمد توحيد القوى المختلفة للديمقراطية التشاركية.

في ما يخص مقاطعة أنفا، فتبرز الخريطة رقم 2 هيمنة السكن الكبير الحجم، والذي يطابق مناطق انتشار الفيلات المتركز في جل أرجاء المقاطعة (قطاع أنفا، عين الذئاب، سيدي عبد الرحمان...)، في حين يتمركز السكن المتوسط والصغير الحجم في المنطقة الشمالية الشرقية للمقاطعة (قطاع بوركون)، مع وجود انتشار آخر في مناطق السكن العشوائي. تتميز المنطقة الجنوبية بسيادة سكن فيلات متفرق ذو حجم كبير.

حافظت المنطقة على نفس التشكيل الاجتماعي الذي رسخه المستعمر، وأكده المتحكم في إنتاج المجال، معظم مناطق المقاطعة تم تشييدها خلال فترة الاستعمار، ماعدا بعض القطاعات في الجنوب. تعتبر هذه المقاطعة أكبر تعبير عن التناقضات المجالية والاجتماعية داخل المقاطعة نفسها، وداخل المدينة بصفة عامة، فالمقاطعة تضم أغلى المساكن على صعيد المغرب، حيث تضم فيلات فخمة وشقق فاخرة، في نفس الوقت تضم المقاطعة إلى جوار الفيلات دور الصفيح التي تمثل حوالي 22,64% من مجموع أنواع المساكن، (المندوبية السامية للتخطيط، إحصاء 2014)، وهو ما يعزز من التناقضات المجالية والاجتماعية داخل المقاطعة.

للحفاظ على التمييز السوسيومجالي الذي تحظى به الفئات الغنية بالمقاطعة، ولإبعادها من باقي الشرائح الاجتماعية، عملت السلطة السياسية والاقتصادية خلال وبعد فترة الاستعمار، على إقصاء ممنهج للفئات الفقيرة والمتوسطة من ولوج عالم العقار بالمقاطعة، وذلك من خلال الرفع المهول من أثمنة العقار داخل المقاطعة، وجعله في متناول الفئات القادرة على تبني نمط عيش الفئات الغنية. وبذلك يصبح كل من السعر ونوع وحجم السكن وصفة الحيازة وشروط الأداء عوامل أساسية في التركيب الاجتماعي للتجمعات السكنية، وأصبح السكن أداة انتقاء اجتماعي

فعالة، عملت السلطة على استغلاله من أجل تشكيل تجمعات سكنية تضمن الحفاظ على الوضع القائم بكل تناقضاته (مصطفى الشويكي، 1994، ص 523).

يعتبر شغل السكان للمجال من أكثر المظاهر تعبيرا عن التفاوتات السوسيومجالية (Daniel Noin،1971، ص 33). توضح المقارنة كيفية استغلال مجال أنفا ومجال مقاطعة مولاي رشيد حجم التباين الحاصل بين الفئات الاجتماعية، كما توضح هذه المقارنة دور المجال في ترسيخ التفاوت السوسيومجالي، وهو ما يجعلنا أمام الفرضية الأساسية التي طرحها إدوارد صوجا، الخاصة بالصراعات الحضرية من أجل المجال المتنازع عليه، وهي نتيجة يجب متابعتها بنشاط لتغيير التناقضات في نتائج جودة الحياة للأفراد (Edward W. Soja ، 2010، ص 492) . فقد فتح الجمع بين مفهومي "العدالة" و"المجال" آفاقا جديدة من إمكانيات العمل السياسي والاجتماعي، شريطة تعزيز الضمير السياسي الجماعي والشعور بالتضامن على أساس تجربة مشتركة على نطاق واسع ، من شأنها الحد أو التقليص من حدة التفاوتات السوسيومجالية.

5.2.2 التباينات المجالية في قطاع الصحة

يتميز قياس التفاوتات بمدى التركز la concentration والتشتت la dispersion على مستوى القيم المركزية، والتي يمكن ملاحظتها على مستوى عدة مجالات مختلفة، من بينها: الحماية الاجتماعية، السكن، وتوزيع المؤسسات السياسية والثقافية والصحة (Nicolas duvoux ، 2017، ص 4). تعتبر هذه الأخيرة أحد العناصر الأساسية التي تسلط الضوء بشكل أفضل على الكيفية التي يحدد بها الوضع الاجتماعي الخاص بجودة الحياة، فالتفاوتات الصحية هي إحدى المؤشرات التي تجعل من الممكن التحقق من مدى وجود المساواة بين الطبقات الاجتماعية (Nicolas duvoux ، المرجع السابق، ص 96). ولتقصي هذه المساواة بين مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد، سنحاول إدراج جدول إحصائي يضم بعض الأرقام والمعطيات الخاصة بالتوزيع المجالي للمستشفيات وعدد الأطباء والأسرة بين المجالين (أنفا، مولاي رشيد)، أكدنا فيما سبق على تناقضاتهما من حيث الخصائص المجالية والاجتماعية والسكنية، وهما متناقضان أيضا من حيث التعاطي السياسي والاقتصادي. فهل ستنأى الصحة عن هذه الصراعات السوسيوإقتصادية؟

سنحاول خلال هذا المحور الاشتغال على مستوى مجموع مقاطعات عمالة أنفا والمكونة من مقاطعة أنفا، المعاريف، سيدي بليوط، ومجموع مقاطعات عمالة مولاي رشيد المكونة من مقاطعة مولاي رشيد ومقاطعة سيدي عثمان، وكأننا بين مقارنة المركز والهامش.

جدول رقم 1 : وضعية قطاع الصحة بعمالة مقاطعات أنفا

المعطيات الطبية	العدد
عدد سكان المقاطعات (أنفا، المعاريف، سيدي بليوط)	475397
المستشفيات	4
الأسرة	1782
المصحات الخاصة	67
أسرة المصحات الخاصة	1540
مصحات طب الأسنان	400
عدد أطباء القطاع العام	1247
عدد السكان لكل طبيب	149
عدد السكان لكل سرير	261

المصدر: وزارة الصحة المغربية، إحصائيات 2020

جدول رقم 2 : وضعية قطاع الصحة بعمالة مقاطعات مولاي رشيد

المعطيات الطبية	العدد
عدد سكان المقاطعات (مولاي رشيد، سيدي عثمان)	486499
المستشفيات	1
الأسرة	267
المصحات الخاصة	3
أسرة المصحات الخاصة	262
مصحات طب الأسنان	58
عدد أطباء القطاع العام	46
عدد السكان لكل طبيب	1725
عدد السكان لكل سرير	1822

المصدر: وزارة الصحة المغربية، إحصائيات 2020

كقراءة أولية للجدولين، نشير في البداية إلى حجم التباين الحاصل بين العمالتين على مستوى التجهيزات الصحية وعلى مستوى الموارد البشرية، فعلى الرغم من أهمية عدد السكان في عمالة مولاي رشيد مقارنة مع عمالة أنفا، إلا أن هذه الأخيرة قد هيمنت على معظم التجهيزات والموارد

الصحية، فمن جهة، لم يتعدى عدد أطباء القطاع العام في عمالة مولاي رشيد سوى 46 طبيبا، مقابل 1247 في عمالة أنفا. ومن جهة أخرى لم يتجاوز عدد المستشفيات بعمالة مولاي رشيد سوى مستشفى واحدا، مقابل أربعة مستشفيات لعمالة أنفا، الشيء الذي سينعكس على عدد السكان لكل طبيب، والذي بلغ 1725 نسمة لكل طبيب في عمالة مولاي رشيد، مقابل 149 نسمة لكل طبيب في عمالة أنفا.

صحيح أن هذه التناقضات المجالية في القطاع الصحي كانت لها بعض الجذور التاريخية؛ إذ حاول المستعمر تلبية جميع الاحتياجات الصحية للجالية الأوربية المتركزة في منطقة أنفا، إلا أن الحاضر قد عزز من هذه التناقضات المجالية، فقد تمت برمجة إنشاء مستشفى في الجنوب الشرقي بمقاطعة مولاي رشيد في تصميم التهيئة الأخير للمقاطعة، إلا أنه لم ير النور إلى غاية كتابة هذه الأسطر، وفي نفس السياق، تمت برمجة أكثر من ثمانية مراكز صحية في نفس التصميم، لكنها لم تنجز بعد.

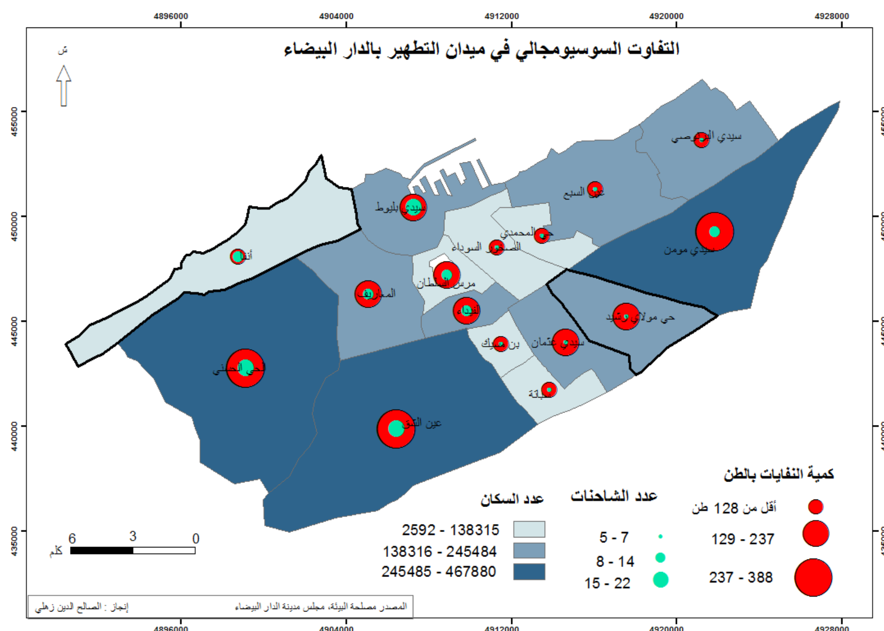
في حين إذا تأملنا تصميم التهيئة الخاص بمقاطعة أنفا، نجد قلة المراكز الصحية المبرمجة والتي لا تتعدى ثلاثة مراكز صحية، وهو اعتراف من قبل السلطة السياسية بأن هذا المجال في غنى عن أي مركز صحي آخر. في ظل هذا التفاوت الصحي بين هذين المجالين، ستضطر ساكنة عمالة مولاي رشيد إلى التنقل إلى المركز قصد الاستشفاء في ظل تدني الخدمة الصحية في الهامش، وهو ما يعزز تبعية الهوامش لوسط المدينة، بحكم عجزها عن الاستجابة لحاجيات السكان في العديد من التخصصات. وبذلك تكتسي التناقضات المجالية صبغة نوعية فضلا عن طابعها الكمي، وفي ذلك تجسيد لاستمرارية تركز الاستجابة لحاجيات السكان في أجزاء من المجال الحضري دون غيرها (مصطفى الشويكي، 1994، ص 517).

فإذا كنا نقطن نفس المدينة، فلماذا هذا التحيز تجاه الأبعاد الاجتماعية الضرورية للحياة، أليس من حق الجميع التمتع بنفس الحقوق؟ الشيء الذي يتطلب إعادة تنشيط أفكار لوفيبر Lefebvre الوجدانية حول الحق في المدينة.

5.2.3 اللاعدالة المجالية والاجتماعية في ميدان التطهير والمساحات الخضراء

تعرف اللاعدالة المجالية البيئية بكونها توزيع غير متكافئ لجودة الحياة البيئية بين الأفراد والمجموعات، من خلال تباين التعرض للتأثيرات البيئية الضارة بين المجالات، أو من خلال تباين الوصول إلى المرافق البيئية كالمساحات الخضراء والمناظر الطبيعية، وهي مظاهر ناتجة عن التأثير غير المتكافئ للسياسات البيئية حسب الفئة الاجتماعية، الشيء الذي يتطلب إعادة النظر في مفاهيم عدم المساواة واللاعدالة وإعادة التوزيع والعزل من زاوية بيئية. هذا وتتعدد مظاهر التوزيع غير المتكافئ لجودة الحياة البيئية بمدينة الدار البيضاء عامة وبين المجالين المدروسين خاصة، ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر؛ التفاوت في ميدان التطهير، وكذا في توزيع المساحات الخضراء. وسنحاول من خلال هذا المحور إدراج بعض المؤشرات الدالة على ذلك. نستهلها بخريطة التفاوت السوسيومجالي في ميدان التطهير بمدينة الدار البيضاء:

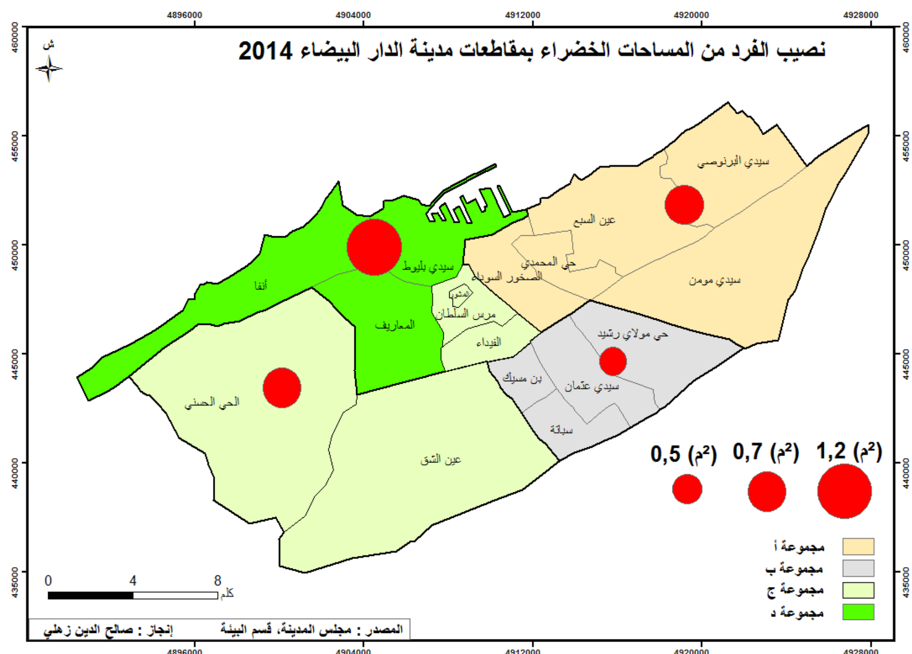
خريطة رقم 3: التفاوت السوسيومجالي في ميدان التطهير بالدار البيضاء



تبرز الخريطة رقم 3 مدى حجم التفاوت من حيث التعاطي لمسألة التطهير بالمدينة، ففي الوقت الذي تنتج فيه مقاطعة أنفا ما مقداره 128 طن من النفايات، تم تمتيعها بأكثر من 14 شاحنة تمر يوميا لجمع النفايات، الشيء الذي سينعكس إيجابا على ساكنة المقاطعة. في مقابل ذلك، فإن مقاطعة مولاي رشيد التي تنتج يوميا أكثر من 230 طن يوميا من النفايات، لا تمر بأزقتها وشوارعها سوى ست أو سبع شاحنات لجمع النفايات. وهو ما ينذر بحجم النقص الذي تعرفه خدمة التطهير بالمنطقة، مما يضر بالسلامة الصحية للمواطنين وبالمنظر العام للمقاطعة.

تبرز الخريطة أيضا حجم الفارق بين كمية النفايات وعدد الشاحنات المخصصة لجمعها في معظم مقاطعات الهوامش، (سيدي مومن، الحي الحسني، عين الشق، سيدي عثمان، البرنوصي، عين السبع)، مقابل تدني وتقليص هذا الفارق في مقاطعات المركز، الشيء الذي يجعلنا أمام ثنائية التعامل المجالي في السياسات البيئية الخاصة بالمدينة، إذ تتم الاستجابة البيئية لفئة اجتماعية دون الأخرى، في الغالب تكون الفئات الغنية أكثر حظا من نظيرتها الفقيرة والهشة، وهو إجراء نابع من واضعي القرار، فالتمييز في توزيع الحظوظ هو ترسيخ للتفاوتات بين فئات المجتمع، وهو تعزيز للتناقضات المجالية والاجتماعية في صفوف ساكنة المدينة.

خريطة رقم 4 : نصيب الفرد من المساحات الخضراء بمقاطعات مدينة الدار البيضاء 2014



تشير الخريطة رقم4 إلى حجم التفاوت القائم على مستوى نصيب الفرد من المساحات الخضراء، وذلك بين مقاطعات المركز ومقاطعات الهامش. لا يتعدى نصيب الفرد من المساحات الخضراء في مقاطعات الهامش سوى 0,5 متر مربع، أكثر من ذلك يخفي هذا الرقم عدة حقائق خاصة ببعض المقاطعات التي تقل فيها حصة الفرد عن الرقم المذكور. بالنسبة لمقاطعة مولاي رشيد (المجال المدر)، فإنها هي الأخرى تعاني من ضعف حصة الفرد من المساحات الخضراء، والتي وصلت سنة 2019 إلى 0,91 متر مربع لكل فرد (تم حساب نصيب الفرد من المساحات الخضراء عبر خاصية calculate geometry في برنامج ARCGIS 10.1) ، وهي حصة ضعيفة جدا مقارنة مع المعدل العالمي الذي يبلغ 15 متر مربع لكل فرد.

تتوفر مقاطعة مولاي رشيد حاليا على ما مجموعه 224669 متر مربع من المساحات الخضراء، أكبر مجال أخضر تتوفر عليه المقاطعة يتمثل في الغابة الخضراء، والتي تبلغ مساحتها حوالي 0,13 كلم مربع، لكنها تتميز بالبعد عن مناطق التجمعات السكنية المتميزة بارتفاع الكثافة السكانية، وهو ما يطرح إشكالية الولوجية لهذه المرافق العمومية. جل المساحات الخضراء التي تتوفر عليها المقاطعة ، عبارة عن مجالات خضراء بين الأحياء السكنية، معظمها تم إعداده من قبل السكان، والذين أنتجوا مجالهم المعاش الخاص بالمساحات الخضراء.

أدرج تصميم التهيئة الأخير الخاص بمقاطعة مولاي رشيد حوالي 1,065 كلم2 من المساحات الخضراء، أي ما يعادل 4,34 متر مربع كحصة للفرد من المساحات الخضراء، وهو رقم ما

يزال بعيدا عن المعدلات العالمية، على الرغم من أن معظم المساحات المدرجة ما تزال قيد الإنجاز.

في مقابل ذلك وكما تظهر الخريطة، تتميز مقاطعات المركز بأهمية المساحات الخضراء، خصوصا مقاطعة أنفا ذات التنشئة الاستعمارية، والتي تتميز بامتدادات مهمة من المساحات الخضراء، خصوصا على مستوى منتزه سيندباد الذي يستقطب الزوار من مختلف مناطق المدينة، فإذا كانت الخريطة تشير إلى كون حصة الفرد من المساحات الخضراء تصل إلى 2,1 متر مربع للفرد الواحد، فإن هذا المتوسط قد أخفى المعدل الحقيقي لمقاطعة أنفا، والذي يصل إلى أكثر من 33 متر مربع كنصيب للفرد الواحد. أكثر من ذلك فقد أدرج تصميم التهيئة الخاص بالمقاطعة حوالي 0,71 متر مربع كمساحات خضراء إضافية، أي تمت إضافة 7,61 متر مربع من المساحات الخضراء لكل فرد، الشيء الذي يجعل ظروف الحياة البيئية تتميز بالجودة مقارنة مع نظيرتها بمقاطعة مولاي رشيد.

أظهرت الأرقام الإحصائية الخاصة بالمجالات الخضراء؛ حجم التناقضات المجالية بين المجالين (أنفا، مولاي رشيد) والذي تم تعزيزه من قبل واضعي تصاميم التهيئة، صحيح أن عدد السكان يعتبر من العوامل المسؤولة عن هذه التباينات، بالإضافة إلى غلاء أسعار العقار، ودور العوامل التاريخية والتعميرية، إلا أن ذلك لن يمنع من تمتيع ساكنة مولاي رشيد بجزء من عناصر جودة الحياة، عبر التوفيق بين التنظيم العمراني والحاجيات الأساسية للإنسان، وخاصة مسألة الصحة الناتجة عن استثمار الإنسان لشروط الطبيعة (مساحات خضراء، مساحات فارغة).

إن تعميق النظر في الوعي المجالي الخاص بالمقاطعتين (أنفا، مولاي رشيد)، يجعلنا نشير أن التناقضات التي اعتبرناها مجالية من حيث تباين الخصائص والمكونات المجالية (التطهير، المساحات الخضراء، حجم السكن)، هي في الأصل تعزيز للتفاوتات بين الطبقات الاجتماعية المكونة للمجالين، أي تعزيز اللاعدالة بين الفئات الشعبية الفقيرة والفئات الغنية، واستمرار على نهج المدينة الرأسمالية التي تهدف إلى الحفاظ على مميزات الفئات الغنية على حساب الفئات الهشة، وتعزيز اللامساواة بينهم.

5.3 دور التخطيط والسياسة الحضرية في ترسيخ اللاعدالة المجالية والاجتماعية

تعتبر عدالة المجال من بين الآفاق الكبرى لمعظم السياسات التخطيطية؛ إذ تظل أداة سياسية أساسية وحركية. هناك علاقة وطيدة بين التخطيط الحضري والعدالة المجالية، بحيث يمكن اعتبار أن التخطيط المجالي والسعي لتحقيق العدالة المجالية متكافئين تمامًا (Lipietz Alain، 1999، ص 217) ، الشيء الذي يطرح عدة أسئلة حول أهداف السياسات العامة. إن التفكير اليوم في فكرة السياسة المجالية العادلة يفرض التشكيك في مفهوم العدالة المجالية التي لا يمكن فهمها في حد ذاتها دون التفكير الأولي في اللاعدالة ومتطلبات العدالة. أبان المحور الخاص بمظاهر اللاعدالة المجالية بين مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد على أن هناك خلل مجالي، يستدعي استحضار متطلبات العدالة. وأول ما تستدعيه هذه المتطلبات بعد السمات الأربعة للعدالة

المجالية التي حددها إدوارد صوجا، هو التخطيط الحضري والسياسة الحضرية. فإلى أي حد ساهمت هذه الأخيرة في الحفاظ على التفاوتات المجالية في المدينة عامة، وبين المجالين المدروسين خاصة؟

تصبح العدالة المجالية حسب Luc Boltanski ذات معنى حينما تركز على شرط المساواة في التوزيعات (Boltanski Luc، 2004، ص 13). وذلك من خلال الانخراط في أشكال إعادة توزيع السكان ونوعية السكن والخدمات وتحسين إمكانية الوصول إليها. فإذا كان التخطيط الحضري الاستعماري قد تم توجيهه نحو ترسيخ التفاوتات المجالية بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي، من خلال تمتيع هذه الأخيرة بجل متطلبات جودة الحياة، وتعميق الهشاشة في القطاع الشمالي الشرقي، فإن تصاميم التهيئة الأخيرة الخاصة بالمقاطعتين قد صارت على نفس النهج الاستعماري. ويظهر ذلك من خلال جعل سكن الفيلات الفردي هو السائد في جل المجالات المفتوحة للتعمير، كما يوضح الشكل التالي المأخوذ من تصميم تهيئة المقاطعة:

ARRONDISSEMENT: ANFA

ZONE: D **SECTEUR:** D3s

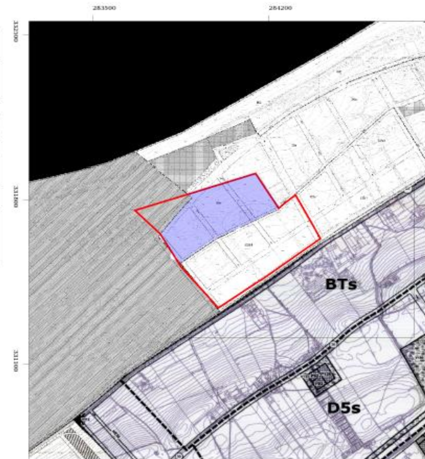
ACTIVITES

ACIVITES AUTORISEES	HABITAT INDIVIDUEL SOUS FORMES DE VILLAS PEUVENT S'ADJOINDRE EN NOYAUX INDEPENDANTS: LOGEMENT- COMMERCE- BUREAUX- TERTIAIRES- EQUIPEMENT DE PROXIMITE- HOTELLERIE
ACTIVITES INTERDITES	INDUSTRIE 1ère, 2ème ET 3ème CATEGORIE - DEPOT ET ENTREPOTS- COMMERCE SUR PARCELLES RESERVES AUX VILLAS SAUF INDICATION SUR P.A- ETABLISSEMENT D'ENSEIGNEMENT ET CLINIQUES SAUF SUR LE LINEAIRE COMMERCE ET SERVICE L2 ACCES AUX TERRASSES- CAMPING- CARAVANING- CARRIERE

REGLES URBANISTIQUES

COS	NON SPECIFIE
CUS	35%
MINIMUM PARCELLAIRE	600 m AVEC FACADE DE 22 m² - 10 000 m² AVEC FACADE DE 60 m²EN VILLEGIATURE
HAUTEUR MAXIMALE	(R+1) 8,00 m
IMPLANTATION PAR RAPPORT AUX VOIES	4 m
IMPLANTATION PAR RAPPORT AUX LIMITES SEPARATIVES	L=>4m

Editee le 03/03/2020 a 13:49 . Echelle: 1/14000



في حين أن المناطق المفتوحة في وجه التعمير بمقاطعة مولاي رشيد مخصصة في غالبيتها للسكن الجماعي، وسكن العمارات، وأحيانا للسكن المغربي العصري، ويمكن أن تكون بمثابة أساس للاعتراف بسياسة موجهة نحو الاحتياجات الاجتماعية. كما يوضح الشكل التالي المأخوذ من تصميم تهيئة مقاطعة مولاي رشيد:

ARRONDISSEMENT: MOULAY RCHID

ZONE: E SECTEUR: E2

ACTIVITES

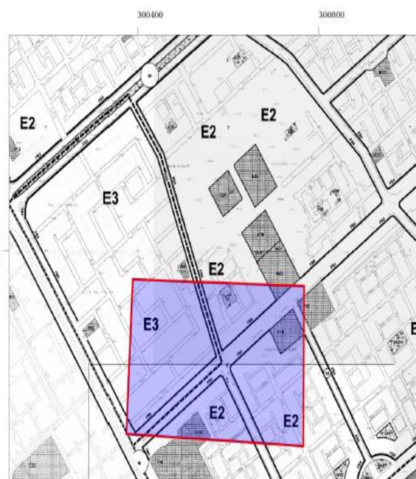
HABITATIONS MULTIFAMILIALES

ACIVITES AUTORISEES	IMMEUBLES COLLECTIFS A L'ALIGNEMENT (EN PARTIE DE SECTEURS EXISTANTS) LOGEMENT- COMMERCE- ARTISANAT- BUREAUX- HOTELLERIE- SERVICES DE PROXIMITE- EQUIPEMENT PUBLIC OU PRIVE
ACTIVITES INTERDITES	INDUSTRIE 1ére, 2ème ET 3ème CATEGORIE - DEPOT=>300m²- ENTREPOT=>300m² ET DEPOTS NON COUVERTS DE MATERIAUX ETDE COMBUSTIBLES SOLIDES CAMPING - CARAVANING - CARRIERE

REGLES URBANISTIQUES

COS	1,2 (SI PAS DE LOTISSEMENT)
CUS	84% - 40% (SI PAS DE LOTISSEMENT)
MINIMUM PARCELLAIRE	100 m AVEC FACADE DE 8 m
HAUTEUR MAXIMALE	(R+2) 11,50 m
IMPLANTATION PAR RAPPORT AUX VOIES	ALIGNEMENT
IMPLANTATION PAR RAPPORT AUX LIMITES SEPARATIVES	4*4 L=H/2=>4m LATERALE ET FOND DE PARCELLE

Editée le 20/01/2020 à 20:22 . Echelle: 1/8000



إن النتيجة المنتظرة من هذا التخطيط الحضري، هي تتبيث الفئات الغنية في مقاطعة أنفا، بحكم قدرتها على تجاوز الحواجز المالية عبر اقتناء عقارات مخصصة للفيلات، في حين سيبقى أمام الفئات الفقيرة والشعبية اختيار وحيد متمثل في السكن الجماعي أو السكن المغربي، وفي منطقة متميزة بانخفاض الأثمنة العقارية، الشيء الذي سيعزز من التناقضات المجالية، وبهذا سيستثمر المجال كوسيلة لتزكية اللاعدالة الاجتماعية بطرق ممنهجة. وهذا النهج الممنهج سيثير العديد من الأسئلة حول المجتمع المتجانس والموحد حول التكامل الاجتماعي والمساواة المجالية في الحقوق وتكافؤ الفرص، والقيم الرافضة للتمايزات الاجتماعية والثقافية.

خلال العقد الأخير، قامت السلطة السياسة في إطار محاربة دور الصفيح بمقاطعة أنفا بإعادة إسكان بعض دور الصفيح في مقاطعة بعيدة عن المجال الحضري لأنفا، إذ تم ترحيلهم لمقاطعة أولاد صالح في الضاحية الجنوبية الشرقية للدار البيضاء، وهو ما استنكرته الساكنة المنتقلة قسرا، معبرين عن رغبتهم في إعادة الهيكلة في مقاطعة أنفا نفسها، وليس ترحيلهم لمقاطعة أخرى. إذن، إلى أي مدى يمكن للمعاملة التفاضلية للمجالات الحضرية أن تستجيب لقيم "العدالة المجالية المثالية؟ ألا يمكن اعتبار التدبير المتجانس لجميع المساحات شرطا من شروط العدالة المجالية؟ فالإجابة عن هذه الأسئلة تقتضي سياسة مجالية عادلة، أي سياسة لإعادة التوازن بين المجالات، خاصة المجالات الأكثر حرمانا، وذلك عبر إنشاء هياكل مجالية "عادلة" مستدامة ومستقرة ومتوازنة ومتناغمة.

تفرض العدالة الإجرائية من جانبها، إدراج جميع الجهات الفاعلة المحتمل أن تكون معنية في عملية صنع القرار السياسي المجالي، والذي يتم التفاوض عليه من قبل الفاعلين المجاليين، مع إنشاء أشكال من التدبير التشاركي، والتي ستضفي روح جديدة للعمل التخطيطي؛ إذ تتطلب هذه العدالة أيضا البحث عن شعور مشترك بالعدالة المجالية أو وعي مجالي كما أشار صوجا، وذلك خلال تنفيذ الحلول المحددة أو التي تمت مناقشتها بشكل جماعي، والقادرة على ضمان إعادة

توزيع فعالة بين المجالات وبين الفئات الاجتماعية، والهادفة إلى صنع قرار ديمقراطي مجالي من شأنه تلبية الاحتياجات بشكل أفضل.

عموما سجلنا من خلال الدراسة مجموعة من النتائج المباشرة، منها لا الحصر:

-المساهمة الكبيرة للمخططات الحضرية التاريخية الاستعمارية في ترسيخ التفاوتات السوسيومجالية بالمدينة.
-تم تسجيل فوارق كبيرة بين المركز والهامش على مستوى الصحة والسكن والمساحات الخضراء
-نسجل مساهمة السياسة الحضرية والعمرانية الراهنة في تعميق التفاوتات السوسيومجالية.
-نؤكد على دور الفاعلين الرسميين وغير الرسميين في تعدد مظاهر اللاعدالة.

6. توصيات

بعد الوقوف على حجم التفاوتات السوسيومجالية بمدينة الدار البيضاء عامة والمجالين المدروسين خاصة (أنفا، مولاي رشيد)، خرجنا بمجموعة من التوصيات، والتي نوجهها بشكل أساسي إلى صناع وواضعي القرار السياسي المجالي، من أهما لا الحصر:

-الدعوة إلى إعادة النظر في سياسة التخطيط المجالي وفي السياسة الحضرية بالمدينة.
-الدعوة إلى وضع قطيعة مع سياسات التخطيط ذات الصبغة الاستعمارية، أي التي تعود إلى فترة الاستعمار.
-الدعوة إلى الوقوف على الحاجيات والرغبات المجالية للإنسان قبل التخطيط للمجال، وذلك عبر النزول إلى الميدان وتقصي متطلبات الساكنة المجالية والاجتماعية.
-الدعوة إلى تمتيع ساكنة الهامش بنفس الحقوق الاجتماعية والمجالية المدينية، والتي يمكن من خلالها ترسيخ قيم المواطنة والإحساس بالانتماء إلى المدينة والدولة.
- الدعوة إلى تبني نظريات مؤطرة لموضوع العدالة المجالية قبل التخطيط للمدينة.
-العمل على إنسية المجال، وجعله أكثر قربا من الإنسان ساكن المجال.

7.خاتمة

حاولنا خلال هذا الورقة البحثية استلهام مفهوم العدالة واللاعدالة المجالية من قبل إدوارد صوجا، والذي وضع منظورا مجاليا جديدا تمحور حول العدالة من منظور مجالي جغرافي. حيث كان يهدف من خلاله إلى خلق وعي مجالي في صفوف الفاعلين المجاليين، بغية التقليص من حدة اللاعدالة المجالية، وقد وضع لهذا الغرض مجموعة من السمات والمقومات والآليات التي حاولنا التطرق إليها باقتضاب. عبر استثمارها لتشخيص الوضع من جهة، ولتحليل قضية التناقضات المجالية بالمدينة من جهة أخرى.

مكنتنا هذه المقاربة من الوقوف على الجذور التاريخية للتناقضات المجالية التي تشهدها المدينة عامة والمجال المدروس خاصة، واعتبرنا هنا الاستعمار محددا مباشرا في مجموعة من مظاهر اللاعدالة المجالية، وذلك من خلال سياسة التميز بين الأهالي الأوربية والأهالي المغربية. وهو ما يعززه ما أشارت إليه المخططات التعميرية التي مازالت شاهدة على ذلك. فعلى الرغم من كون النوايا لم تكن مصرحة في التصاميم، إلا أن الواقع قد أكد على خبايا سياسة الأهلية المتبناة من قبل سلطات الحماية.

استثمرنا خلال المحور بعض الأبعاد الاجتماعية والمجالية لتشخيص الوضع، واقتصرنا على وضعية السكن والصحة والتطهير والمساحات الخضراء. حيث أبان تشخيص وضعية الصحة عن حدة الفوارق بين مقاطعة أنفا المتميزة بجودة الحياة الصحية، من خلال توفرها على موارد لوجيستيكية وبشرية صحية مهمة، مقارنة مع مقاطعة مولاي رشيد المتميزة بقلة هذه الموارد كما أوردت ذلك أرقام وزارة الصحة.

كما أفرزت الدراسة أيضا حجم الفوارق التي يشهدها قطاع السكن، إذ أظهرت النتائج تباين حجم السكن بين المجالين، وخلصنا إلى اعتبار السكن من بين العوامل المستعملة في ترسيخ التفاوتات بين المجالات الغنية والمجالات الفقيرة، من خلال سياسة الإقصاء الممنهج عبر أثمنة العقار. لم تقتصر هذه التفاوتات فقط على السكن، بل امتدت إلى قطاعات لا يتحمل فيها الفرد أي ذنب والدالة على التمييز بين المجالات البيضاوية، والمتمثلة في ميدان التطهير؛ إذ كان ينتظر أن تعامل المجالات بعدالة من خلال المساواة في عمليات التطهير وجمع النفايات، إلا أن الدراسة قد أظهرت تباينا في عدد الشاحنات المخصصة لهذا الغرض.

دون إغفال ما شهده توزيع المساحات الخضراء، حيث كشفت الدراسة حجم الفارق بين حصة الفرد من المساحات الخضراء في كل من مقاطعة أنفا ومقاطعة مولاي رشيد، وقد أشرنا إلى دور تصاميم التهيئة في تعزيز هذه الفوارق من خلال تباين المساحات المخصصة لكل مقاطعة، رغم أن مجال مقاطعة مولاي رشيد مازال يتضمن مخزونا عقاريا مهما.

قائمة المراجع:

1.السنوسي، محمد معنى (2017). الدار البيضاء، الإنسان والزمان والمكان: تاريخ وتطور، دار النشر المغربية، الدار البيضاء،ط.1
2. بلفقيه، محمد (2002). الجغرافيا القول عنها والقول فيها المقومات الإبستيمولوجية، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب. ط.1
3. شويكي، المصطفى (1996). الدار البيضاء مقاربة سوسيومجالية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، المغرب. ط.1
4.شويكي، المصطفى (1994). إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية شعبة الجغرافيا، الرباط، المغرب.

5.شويكي، المصطفى (2006). التعمير بالمغرب بين اجترار رواسب الماضي والتهرب من مشاكل الحاضر، مقال منشور ضمن مؤلف "المدينة المغربية بين التخطيط والعشوائية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس سايس، المغرب.

6. ANDRE, Adam (1968). Casablanca Essai sur la transformation de la société marocaine au contact de l'occident, ED CNRS, 2 VOL, PARIS.

7. AYDALOT, Paul (1980). Dynamique spatiale et développement inégal, Ed, Economica, Paris.

8. BERNARD, R (2009). Interpréter les inégalités socio-spatiales à la lumière de la Théorie de la Justice de John Rawls , *Annales de géographie* (n° 665-666, Paris.

9. BOLTANSKI, Luc(2004). Entretien avec Luc Boltanski, une sociologie toujours mise à l'épreuve », in ethnographiques.org, entretien réalisé par Cécile Blondeau et Jean-Christophe Sevin, no 5, Department of Geography, University of California, Los Angeles.

10. BONNEWITZ, Patrice (2013). Classes sociales et inégalités : stratification et mobilité Collection : Thèmes & Débats Editeur : Bréal

11. CLAVAL, Paul (1980). Eléments de géographie humaine, ED M .TH. Genin, paris

12. CHOUIKI, Mustapha**,** SEGREGATION SOCIALE ET REQUALIFICATION SPATIALE A CASABLANCA.P.P 1-15 Texte inédit

13. DUFAUX, Frédéric (2013). Justice spatiale et politiques territoriales**.** Presses universitaires de paris ouest

14. DUVOUX, Nicolas (2017). Les inégalités sociales, presses universitaires de France-humensis

15. GALLAND, olivier Yannick lemel (2018). Sociologie des inégalités : Armand colin, Malakoff .Paris.

16. GERVAIS-Lambony, Philippe (2009) .JUSTICE... SPATIALE, Armand Colin, Annales de géographie» Paris.

17. JAGLIN, Sylvy, (2005). La fragmentation urbaine en question, CNRS Éditions, Paris.

18. Larrére, Catherine (2017). les inégalités environnementales, collection : la vie des idées, Paris.

19. LIPIETZ, Alain, (1999). Entretien avec GES, in *Géographie,* Économie, Société, vol. 1, no 1, Paris.
20. NOIN, Daniel (1971). Casablanca, la documentation française, Paris.
21. SOJA, Edward W (2010) . Seeking Spatial Justice. Minneapolis, MN: University of Minnesota Press.
22. SOJA, Edward W. (2009). La ville et la justice spatiale , Traduction de Sophie Didier et Frédéric Dufaux, spatial justice, http://www.jssj.org.
23. WALZER, Michael (1997). Sphères de justice. Une défense du pluralisme et de l’égalité, Éditions du Seuil, Paris.

الخصائص المجالية للأحياء العشوائية بالمغرب من حيث السكن والتجهيزات منطقة عين السبع المخاليف بمدينة القنيطرة نموذجا.

أ.عبد السلام الصالحي، طالب باحت بسلك الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة ابن طفيل،القنيطرة- المغرب.

الملخص: تمثل أحياء السكن غير اللائق بالمغرب بسبب تموضعها الهامشي مشكلا ضاغطا اتجاه تنمية المجتمعات الحضرية. ورغم الجهود التي بدلتها الدولة للقضاء على هذه الظاهرة فإنها لم تستطع القضاء عليها بشكل شمولي. وانطلاقا من القناعة الراسخة بأنه لا جدوى من التنمية ما لم يكن الإنسان هو أداتها ومبتغاها، فإن الأمر لا يقتصر على توفير السكن لهذه الأحياء فحسب، بل يتعلق بتحسين الظروف المادية لسكان هذه الأحياء وتمكينهم من المعرفة والمهارات التي تسمح لهم بالمساهمة الفعالة والنشيطة في الحياة الحضرية. ولهذا سنتوقف في دراستنا على المميزات المجالية للسكن غير اللائق من حيت نوعية المسكن وكدا مختلف التجهيزات المقامة في هده الأحياء ومدى استجابتها لحاجيات السكان، وسنأخذ كنموذج حي "عين السبع" الذي يعتبر من النقط الصفيحية السوداء بمدينة القنيطرة.

الكلمات المفتاحية: السكن غير اللائق، السكن العشوائي، مدينة القنيطرة، حي عين السبع المخاليف.

The characteristics of the urban slums in Morocco in terms of housing and facilities:Ain SbaaLmkhalif district as a case study

Researcher: ABDESSELAM SALHI

PhD student, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Ibn Tofail, Kenitra – Morocco

Abstarct: Morocco's slum housing which is mostlylocated in marginal areas is a major problem in the development of urban communities. Despite the State's efforts to eradicate this phenomenon, it has not been able to get rid of it completely.

Firmly convinced that development is useless unless peopleare the agents and at the same time the target of this development, it is not only about providing housing to these neighborhoods, but also about improving the physical conditions of their inhabitants and enabling them withknowledge and skills that allow them to contribute effectively and actively to the urban life.

For this reason, this study will be based on depicting the marking features of inadequate housing regarding the quality of the housing, the quality of the various living facilities and the extent to which those facilities meet the needs of slum inhabitants.We will consider all these issues in the 'Ain Sbaa' district, which is considered a black spot in the outskirts of Kenitra city as a case study.

Keywords: Inadequate housing, urban slums, slum populations, Ain SbaaLmkhalif, Kenitra city**.**

المقدمة:

أصبحت مدينة القنيطرة خلال العقد الأول من القرن 21م محاطة بأحزمة من أحياء السكن غير اللائق من جميع الجهات، وهذا راجع إلى ارتفاع أتمنة العقار داخل المدار الحضري، مما يدفع بالفئات الاجتماعية سواء من سكان المدينة أو من الوافدين عليها للسكن في هوامشها نظرا لانخفاض تكلفة العقار بهذه الهوامش، حيث أصبح السكن غير القانوني يحتل في المدينة مركزا هاما سواء من حيث ديناميته وإنتاجيته وكذلك المساحات الشاسعة التي يحتلها داخل النسيج الحضري. وبالنظر إلى اتساع الشريحة الاجتماعية التي أصبحت تقطن هذه الأحياء موضوع الدراسة، أصبح من اللازم التعرف على الوضعية المزرية التي تعيشها هذه الأحياء. لهده الغاية اخترنا حي "عين السبع - المخاليف" وقمنا بدراسته ميدانيا للإحاطة بالمميزات المجالية للسكن غير اللائق. من حيث نوعية المسكن وكدا مختلف التجهيزات المقامة في هده الأحياء ومدى استجابتها لحاجيات السكان.

إشكالية الدراسة:

أدى العجز السكني إلى نمو مدن الصفيح وتكديس الأحياء الشعبية بشكل مهول في كثير من المدن المغربية ومن بينها مدينة القنيطرة موضوع هده الدراسة. فهده الأحياء جاءت نتيجة لقلة السكن وعدم التوازن بين المساكن المبناة والزيادة المستمرة للسكان. وتطرح هده الأحياء بسبب تموضعها الهامشي مشكلا ضاغطا اتجاه تنمية المجتمعات الحضرية. ورغم التخطيطات والمجهودات التي بدلتها الدولة والسلطات المحلية للقضاء على أحياء السكن غير اللائق فإنها لم

تستطع القضاء عليها بشكل نهائي. وانطلاقا من القناعة الراسخة بأنه لا جدوى من التنمية ما لم يكن الإنسان هو أداتها ومبتغاها، فالأمر لا يقتصر على توفير السكن لهذه الأحياء فحسب، بل يتعلق هنا بتحسين الظروف المادية لسكان هذه الأحياء وتمكينهم من المعرفة والمهارات التي تسمح لهم بالمساهمة الفعالة في إطار المقاربة الشمولية لسياسية المدينة. ولهذا سنحاول من خلال هده الدراسة التعرف على خصوصيات الأحياء العشوائية من حيت نوعية السكن ومختلف التجهيزات الثقافية والإجتماعية والتجارية والخدماتية المتواجدة بها ومعرفة مدى استجابتها لحاجيات السكان وسنأخد كنمودج حي "عين السبع" الذي يعتبر من النقط الصفيحية السوداء بمدينة القنيطرة.

ويتفرع عن هذه الإشكالية التساؤل التالي:

ما هي المميزات المجالية للأحياء العشوائية من حيت السكن والتجهيزات ؟

للإجابة عن هذا التساؤل اخترنا منطقة عين السبع المخاليف كنموذج لهذه الأحياء الهامشية وقمنا بدراستها دراسة ميدانية. وذلك من أجل الانطلاق من حقائق علمية مضبوطة وواقعية لتحليل هذه الظاهرة.

فرضيات البحت:

للإجابة عن التساؤل المطروح في الإشكالية انطلقنا من الفرضيات التالية:

-أن هذا النوع من السكن يعكس الوجه الخفي للواقع العمراني والاقتصادي للمدينة والبلد.

-افتقار هذه الأحياء لأبسط مقومات الحياة الكريمة (نقص وانعدام المرافق والتجهيزات العمومية، إضافة إلى الاكتظاظ السكني).

أهمية الدراسة:

لم يكن اختيار السكن غير اللائق بمدينة القنيطرة مجالا للدراسة النظرية والميدانية مجرد مصادفة أو اختيارا عشوائيا. إنما كان لذلك الاختيار أسبابه الوجيهة التي نجملها فيما يلي:

-أن ظاهرة السكن غير اللائق رغم أنها مشكلة مشتركة بين عدد كبير من المدن المغربية إلا أن القنيطرة تعتبر واحدة من المدن التي لم تستطع الدولة ولا السلطات المحلية فيها أن تنجح البرنامج الوطني "مدن بدون صفيح".

-الموضوع يتناول بالدراسة أحد أكبر دور الصفيح بمدينة القنيطرة عاصمة الغرب، وما يطرحه من إشكاليات تتعلق باندماج هدا الحي في النسيج الحضري للمدينة باعتباره جزء لا يتجزأ من منظومتها الحضرية.

-تمثل أحياء الصفيح نموذجا خاصا من الأحياء الحضرية المتخلفة، فسكانها كما يقول المستشرق الفرنسي جاك برك. "إنهم حضريون دون أن تكون لهم مدينة ينتمون إليها".

-أن سكان هذه الأحياء يعانون من الإحساس بالإقصاء ومن الهامشية المادية والعمرانية والثقافية الراجع إلى عدم قدرتهم على الاندماج في الحياة الحضرية.

أهداف الدراسة:

يبقى الهدف الأساسي من هذه الدراسة: هو التعرف على المميزات المجالية لهدا النوع من السكن من حيت خصائص المسكن، وكدا التعرف على مختلف التجهيزات والمنشآت الموجودة في هده الأحياء من خلال دراسة المرافق الاجتماعية والاقتصادية والتقافية والخدماتية الموجودة في حي عين السبع المخاليف، ومعرفة مدى استجابتها لمتطلبات عيش الساكنة. ودلك بالنظر إلى اتساع الشريحة الاجتماعية التي أصبحت تقطن هده الأحياء، لدلك أصبح من اللازم البحت للتعرف على وضعيتها بهدف تشخيصها، وتحديد الإجراءات والتدابير اللازمة للقضاء عليها في أقرب الآجال.

منهجية الدراسة:

اعتمدنا في معالجة هذا الموضوع على المنهجين التاريخي والإحصائي، من خلال استغلال نتائج الدراسة الميدانية، لإبراز المميزات المجالية للسكن غير اللائق بمنطقة عين السبع المخاليف، إلى جانب الاعتماد على بعض المعطيات الإحصائية المحصل عليها من المؤسسات العمومية ذات الصلة بالموضوع.

هيكلة الدراسة:

انطلاقا من الخطوات المنهجية السابقة ارتأينا تقسيم البحث إلى أربعة محاور أساسية:

المحور الأول: مفهوم السكن غير اللائق وأنواعه المختلفة.

المحور الثاني: نبذة عن منطقة عين السبع المخاليف: الموقع والمؤهلات الطبيعية.

المحور الثالث: الخصائص المجالية لمنطقة عين السبع المخاليف: السكن والتجهيزات.

المحور الرابع: الخلاصات المتوصل إليها والحلول المقترحة لمعالجة ظاهرة السكن غير اللائق.

المحور الأول: مفهوم السكن غير اللائق وأنواعه المختلفة.

1.تعريف السكن غير اللائق:

يمكن التطرق لمفهوم السكن غير اللائق في المغرب، من خلال مجموعة من العناصر كظروف استعمال السكن وخاصياته وتجهيزاته ومستوى وقايته من العوامل الطبيعية والمشاكل

والاختلالات المرتبطة بالبناية ومواد البناء المستعملة. كما تدخل في تحديد مفهوم السكن غير اللائق عوامل أخرى خارجية ليست لها علاقة مباشرة بالسكن في حد ذاته والتي يمكن أن ترتبط بالمجال أو البيئة التي يتواجد فيها السكن أو الحي، وبمستوى اندماجه في النسيج الحضري خاصة فيما يتعلق بالبنية التحتية والولوج للخدمات الحضرية والتجهيزات الاجتماعية (Direction, 2002, p11)

وعلى العموم، يمكن إيجاز عناصر أو مؤشرات السكن غير اللائق فيما يلي: (Direction, 2002, p12)

سوء التجهيز: إحدى المقاربات المتعلقة بالسكن غير اللائق تخص سوء التجهيز.

الطابع اللاقانوني لعملية الإنتاج: وهذا يهم على الخصوص السكن الغير القانوني لكنه لا يلامس كل أشكال السكن غير اللائق.

التقادم والهشاشة: يحيلنا على الخصائص الفزيائية للبناية أو المسكن(مواد البناء المستعملة، التدهور الناتج عن التقادم) أو الخصائص المتعلقة بالعقار أو بالبيئة. وتعتبر البنايات المقامة على أماكن معرضة للأخطار من أكبر تجلياتها.

خصائص السكن: يحيلنا على الشروط الدنيا للسكن (مساحة الغرف وعلوها الإضاءة، التهوية)...والتي يجب توفرها مبدئيا في كل مسكن. كما يحيلنا على ظروف استعمال المسكن التي تختلف حسب السياق الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للأسر (كراء، تمليك، مجال حضري...).

الإدماج الحضري: يجب الأخذ بعين الاعتبار البيئة الخاصة بالحي فيما يخص التجهيزات الاجتماعية الجماعية الأساسية، وتدبير النفايات المنزلية، تدبير الخدمات والمجالات الخارجية. إن هذا العنصر يحيلنا أيضا على عوامل اجتماعية أخرى كغياب الأمن والتهميش الاقتصادي والاجتماعي والفقر الحضري.

نوعية الإنتاج: يتعلق الأمر بصيرورة إنتاج السكن والعوامل التي ساهمت في إنتاج السكن غير اللائق أو في تحويل سكن لائق إلى سكن غير لائق كأخطار الفيضانات أو الحرائق أو انجراف الأراضي المرتبطة بوجود مقالع أو أراضي غير مستقرة، أو وجود منشآت ذات خطورة كالسكة الحديدية أو أسلاك كهربائية...

2. أنواع السكن غير اللائق بالمغرب:

تتواجد في المغرب أشكال مختلفة من السكن العشوائي أو السكن غير اللائق، سواء من حيث خصائص النسيج الحضري الذي ينتجه، أو من حيث النشأة والتنمية. ويدخل في هذه الخانة كل من السكن الصفيحي والسكن غير القانوني والسكن الهش والهامشي وأحياء السكن الاقتصادي الآهلة بالسكان... الخ. ويتميز في معظم الأحيان بغياب الحد الأدنى من الخدمات الأساسية في

التجمعات السكنية بالإضافة إلى عدم توفر الحد الأدنى من الجودة والتي تعتبر ضرورية لضمان شروط الراحة والصحة والسلامة. كما أنه يتميز بضيق المساحة تضاف إلى ذلك ظاهرة اشتراك أكثر من أسرة في مسكن واحد.(Direction, 2002, p11) وانتشارها راجع بالأساس إلى فشل السياسات المنتهجة في ميدان السكن.

1.2 . أحياء الصفيح أو القصدير:

هي أحياء تتكون من مساكن من الصفيح أو القصدير تتواجد على هوامش المدن أو بداخلها، وتتميز باستعمالها لمواد بسيطة (الصفيح أو القصدير، الخشب، الكرتون، البلاستيك...) ويمكن أن تستعمل أيضا مواد عادية في البناء خاصة بالنسبة للجدران. وتقام غالبا في ضواحي المدن على شكل أنوية متناثرة. وتعتبر أغلب المنازل الصفيحية في ملكية السكان حتى وإن كانت الأراضي في ملك الغير. كما أنها تتميز بافتقادها للبنية التحتية الأساسية، وخاصة المياه والكهرباء والصرف الصحي. وقد نجد بعضها مجهزة بشكل بسيط من طرف السكان أنفسهم. ومن بين خاصيات السكن الصفيحي كذلك، إشكالية الاكتظاظ داخل الحي وداخل المسكن الواحد، حيث لا نجد داخل الحي سوى أزقة ضيقة جدا لا تسمح بمرور العربات، وتنعدم فيها الأنشطة التجارية والخدماتية. كما أن المساكن تحتضن في غالب الأحيان أكثر من أسرة. (Direction, 2002, p14). وتتسم الأحياء الصفيحية بالتنوع، حيث نجد الأشكال"العفوية أو التلقائية" التي تمت إقامتها بدون أي تصميم أولي للحي والأشكال المنظمة في إطار بنيات استقبال.

2.2 . السكن غير القانوني:

يعتبر السكن غير القانوني نوعا خاصا من السكن الحضري الموجود على هوامش الحواضر ويتميز عن باقي أنواع السكن العشوائي بخصائص سوسيو اقتصادية متنوعة ومتغيرة. فسكان هذا النوع من السكن هم غالبا من الطبقة الوسطى الذين لم يعد بإمكانهم اقتناء سكن لائق بسبب تقهقر مستواهم الاقتصادي. كما توجد في هذه الأحياء شرائح اجتماعية أخرى يكون اقتناء هذا النوع من المساكن كمؤشر على الارتقاء الاجتماعي بالنسبة لها (Ministère, 2005, p15). فيما يخص التنظيم المجالي وكما بالنسبة للسكن الصفيحي، هناك أنواع مختلفة من السكن غير القانوني حيث نجد أحياء منظمة نسبيا طبقا لتصاميم هندسية كما نجد أحياء تلقائية بدون أي تصميم مسبق، غير أنه لا يعاني من ظاهرتي الاكتظاظ وضيق الطرق بنفس الحدة. ويمكن لهذا النوع من السكن أن يشكل تجمعات كبيرة في وسط المدن أو مجموعات متناثرة على هوامشها. وتتوفر هذه الأحياء على الأنشطة التجارية والخدمات(Direction, 2002, p11). ويتميز السكن غير القانوني بغياب البنية التحتية الأساسية. وفي بعض الأحيان تتوفر هذه الأحياء على شبكات مياه الشرب والكهرباء لكن دون قنوات التطهير ودون طرق معبدة. هدا النوع من السكن هو الأكثر انتشارا في المدن المغربية.

.3.2 السكن المتقادم:

يتواجد السكن المتقادم بشكل كبير في المدن العتيقة التاريخية. وعلى عكس السكن الصفيحي والسكن غير القانوني، تتوفر المدن العتيقة على التجهيزات الأساسية من قنوات لمياه الشرب وكهرباء وشبكات الصرف الصحي لكنها في وضعية مهترئة ومختنقة. وتنتظم الأحياء داخل المدن العتيقة بشكل غير منظم بواسطة أزقة ضيقة حيث تتواجد أهم التجهيزات والخدمات(Direction, 2002, p17).هده الأحياء توجد غالبا في وسط المدن.

4.2. السكن القروي الهامشي:

يتواجد السكن القروي الهامشي بضواحي المدن وقد يكون على شكل مجموعات سكنية أو مساكن متناثرة. وبحكم التوسع الحضري أصبحت هذه المساكن تدخل ضمن المجال الحضري. ويتميز هذا النوع من السكن باستعمال الطين في البناء وبافتقاره للتجهيزات الأساسية (Direction, 2002, p18) . مما يجعل هده الأحياء تتشابه مع القرى المحيطة بالمدن.

5.2. تجمعات الخيام:

تحيل على إشكالية الاندماج الحضري لدى القبائل الرحل الذين يوجدون في طور الاستقرار(Direction, 2002, p11). توجد غالبا في ضواحي المغرب الشرقي لدى القبائل التي تمارس الترحال الرعوي.

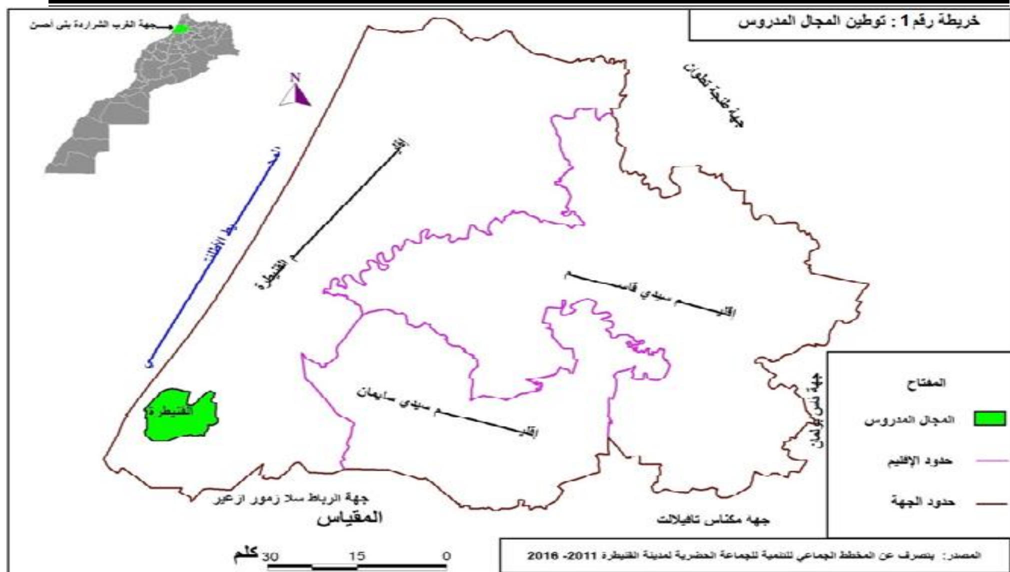
6.2. أنواع أخرى من العشوائيات:

توجد أنواع أخرى من العشوائيات في المجال الحضري وخاصة بالمدن الكبرى والمتمثلة في استعمال أماكن لم تنشأ للسكن كالأكواخ والغرف على أسطح المباني ومرائب السيارات (Mohamed ANIS, 2010, P117). نتيجة لارتفاع أتمنة العقار أو السومة الكرائية بالمدن الكبرى.

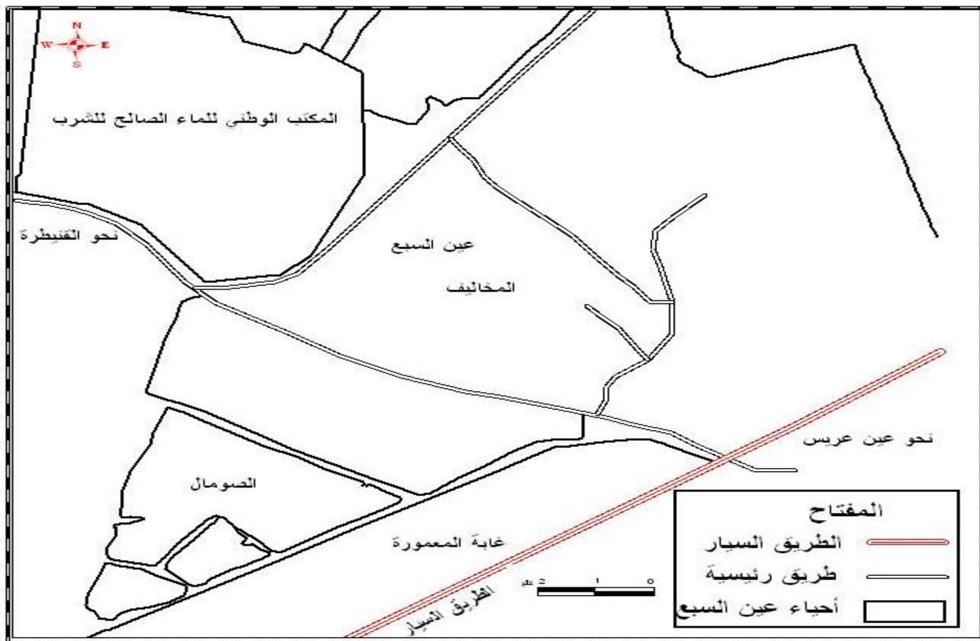
المحور الثاني: نبدة عن منطقة عين السبع المخاليف: الموقع والمؤهلات الطبيعية.

1. **الموقع الجغرافي للمجال الدروس:**

تقع منطقة عين السبع في الجنوب الشرقي لمدينة القنيطرة. تحد من الجنوب بالطريق السيار الذي يربط بين مدينتي الرباط والعرائش ومن الغرب تحدها جماعة سيدي الطيبي ومن الشرق تحدها جماعة الحدادة. وتعد سنة 1992 بمثابة نقطة تحول عرفتها المنطقة حيت خضعت لتقسيم جماعي جديد، أدى إلى توسيع المدار الحضري خاصة بجماعة الساكنية التي أضيف لها عدة دواوير ومن ضمنها منطقة عين السبع التي أدخل نصفها الشمالي إلى جماعة الساكنية فيما النصف الثاني ظل تابعا لجماعة الحدادة. وبفعل هدا الاتساع أصبح النسيج الحضري يمزج أو يزاوج بين قطاعين: قطاع حضري مجهز وقطاع قروي يفتقد إلى جل المقومات (دليل الأكاديمية،2017، ص28). هكذا ومع دخول عين السبع المدار الحضري بدأت تتوافد عليها أفواج من المهاجرين خاصة بعد 1997 مما أدى إلى تنامي البناء العشوائي بمنطقة غنية بالموارد المائية. فما هي المؤهلات الطبيعية للمنطقة؟



خريطة رقم (2): موقع عين السبع المخاليف.



2. **المؤهلات الطبيعية لمنطقة عين السبع المخاليف:**

تتوفر المنطقة المدروسة على فرشة مائية ذات جودة عالية، ومن أهم خصائصها: قربها من سطح الأرض إضافة إلى كونها تتوفر على مخزون مائي من المياه الممتازة، يتراوح ما بين

600 و 700 مليون متر مكعب، يزود ثلاث مراكز حضرية كبرى بالماء الصالح للشرب (القنيطرة، الرباط، سلا) ومن خصائص هذه المياه أنها لا تحتاج أية معالجة وتستجيب للمقاييس المتعارف عليها دوليا(المكتب الوطني،2016، ص20). كما تتوفر المنطقة على مجال غابوي يصل إلى أكثر من 40 هكتار يتكون من أشجار الأوكاليبتوس والصنوبر الحلبي إلا أن معظمه في ملك الجموع السلالية (مديرية المياه،2016، ص30) مما جعل من هذا المجال منطقة مهمة لتربية الماشية بحيث كان أغلب السكان يهتمون بتربية الأغنام والأبقار والتي كانت مصدر دخل العديد من الأسر بالمنطقة. بالإضافة إلى هذا توجد بالمنطقة بعض المجالات الفلاحية الصغيرة ذات المردودية المتوسطة، والتي تعمل في ميدان إنتاج الحوامض وبعض المغروسات الشجرية(النخيل، الورود) إضافة إلى بعض المساحات الخضراء المجاورة لمرجة الفوارات.

المحور الثالث: الخصائص المجالية بمنطقة عين السبع المخاليف: السكن والتجهيزات.

1. توزيع السكن حسب طبيعة البناء.

تختلف نوعية السكن من مجال لآخر حسب المواد المستعملة في البناء وحسب التوزيع والكثافة وذلك ارتباطا بالمؤهلات الاقتصادية لكل منطقة، وبالوضعية المادية لكل فرد. وعموما فإن المنازل في منطقة عين السبع تتميز بالعشوائية وعدم الانتظام. ويتخذ السكن غير اللائق بالمنطقة ثلاثة أشكال:

1.1. السكن الصلب:

عموما يحتل هذا النوع من السكن أهمية كبيرة لما يوفره من الراحة والاستقرار والأمن باعتباره مقاوم للظروف الطبيعية، وفي هذه الحالة نكون أمام بناء عصري متكامل لا يختلف عن مظاهر البنايات الحضرية ويمثل 36%.

صورة رقم (1) بناء صلب بمنطقة عين السبع

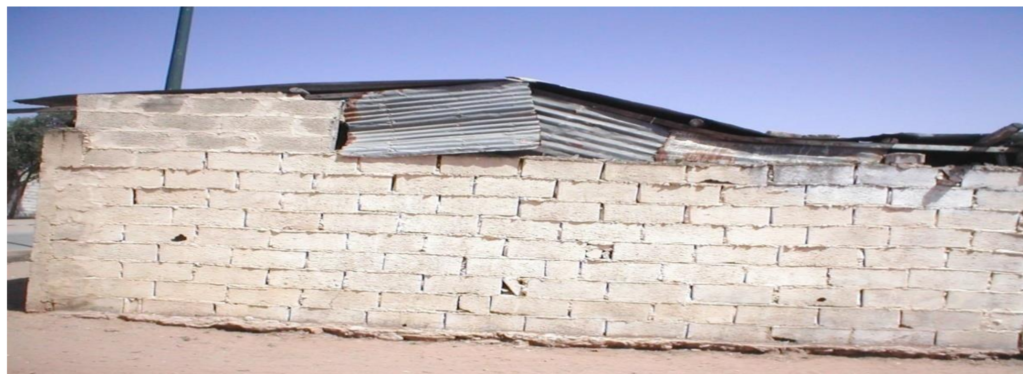


المصدر: البحث الميداني ماي 2017

2.1. السكن في طريق التصلب:

هذا النوع من السكن يجمع بين مواد مختلفة. تبنى الجدران بالطوب أو الأحجار أو الآجور وتسقف بالقصدير. يطغى هذا النوع من السكن ويتواجد بالخصوص بدوار الصومال وشرق دوار المخاليف ويمثل حوالي 36,68%.

صورة رقم (2): سكن مزدوج: صلب وهش.



المصدر: البحث الميداني ماي 2017

3.1. السكن الهش:

هذا النوع من السكن يتركز أساسا في أحياء الصفيح ويكون مشيدا في غالب الأحيان بالخشب والزنك وكذلك بالحجر المكتل بالطين، هذا النوع من البناء يكون أكثر عرضة للحرائق والانهيار نتيجة لهشاشة مواد البناء، أصبح شبه منعدم بالمنطقة. وتتميز المنطقة أيضا بوجود عدد كبير من القطع أو البقع الشاغرة والتي يصل عددها إلى 180 قطعة تختلف حسب التجهيز.

والجدول التالي يوضح الاختلاف في النسبة المئوية التي يمثلها كل نوع من البناء بمنطقة عين السبع- المخاليف:

الجدول رقم (01): توزيع أنواع السكن بحي عين السبع المخاليف

نوع السكن	العدد	النسبة ب %
سكن صلب	163	36
براريك في طور التصلب	164	36,68
قطع شاغرة (صناديق)	120	26
المجموع	447	98.68

المصدر: الوكالة الحضرية القنيطرة/سيدي قاسم

2. التجهيزات الأساسية بمنطقة عين السبع المخاليف:

يتعلق الأمر هنا بالماء الصالح للشرب والكهرباء وشبكة تطهير السائل، وتعتبر هذه التجهيزات من بين المؤشرات الدالة على مستوى عيش الساكنة، وتعبر عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها منطقة ما.

1.2. ضعف الانخراط في شبكة توزيع الماء الصالح للشرب:

يعتبر الماء عنصر أساسي لكل الكائنات الحية، ولا يمكن لأي كائن أن يستغني عنه، لذا فإن الإجراءات التي يمكن اتخاذها يجب أن تنكب أساسا على الحفاظ على الموارد المائية وحمايتها من الإتلاف وذلك بالاعتماد على برامج ناجحة للتطهير والتصفية ومحاربة التلوث. لكن الملاحظة الأساسية هي أن المنطقة تعاني من قلة وضعف الأسر المنخرطة في شبكة توزيع الماء الشروب وهدا ما يوضحه الجدول التالي:

الجدول رقم(02): توزيع الأسر بعين السبع حسب الاستفادة من شبكة الماء الصالح للشرب:

وع الاستعمال	العدد	النسبة ب %
شبكة الماء الصالح للشوب	10	33.33
السقايات العمومية	18	60
الاستعارة من منخوط	2	6.66
المجموع	30	100

المصدر: البحث الميداني ماي 2017

فبملاحظتنا للجدول يتبين لنا أن نسبة الربط الفردي للأسر بشبكة الماء الشروب لا تمثل سوى 33.33% في حين تبقى معظم الأسر تستفيد من السقايات العمومية بنسبة 60%. والإشكالية المطروحة هي قرب الحي ومجاورته لموارد مائية مهمة تغذي عدة مدن كالقنيطرة وسلا والرباط، لكن سكان الحي لا يستفيدون من هذا المورد.

2.2. معظم الساكنة تستفيد من شبكة الكهرباء:

يعتبر الكهرباء ذو أهمية كبيرة في الحياة المعاصرة، حيث أن أهميته لا تحتاج إلى تأكيد فكل الاستخدامات الأولية للأجهزة مرتبطة بالكهرباء: (التلفاز، الثلاجة، الكمبيوتر والإضاءة...) وغيرها من التجهيزات التي تعتبر أساسية ولا يمكن للإنسان أن يستغني عنها ومن خلال دراستنا الميدانية لحي عين السبع تبين لنا أن معظم الأسر تستفيد من شبكة الكهرباء بنسبة تصل إلى 80%، وهذه نسبة جيدة رغم عشوائية المنازل وعدم انتظامها، أما الأسر التي تستعمل الغاز والشمع في الإنارة فهي قليلة لا تمثل سوى 13,33% بالنسبة للغاز و 6,33% بالنسبة للشمع، وذلك نتيجة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المجتمع المغربي في العقود الأخيرة.

الجدول رقم (03): توزيع الأسر بعين السبع حسب الاستفادة من شبكة الكهرباء.

وع الاستعمال	العدد	النسبة ب %
شبكة الكهرباء	24	80
غاز	4	13.33
شمع	2	6.66
المجموع	30	100

المصدر: البحث الميداني، ماي 2017

3.2. معظم الأسر لا زالت تعتمد على الآبار المفقودة في صرف المياه المستعملة:

الجدول رقم (04): توزيع الأسر بعين السبع – المخاليف حسب الاستفادة من شبكة التطهير السائل.

نوع الاستعمال	العدد	النسبة ب %
شبكة لتطهير السائل	8	26.66
الحفر المفقودة	22	73.33
المجموع	**30**	**100**

المصدر: البحث الميداني، ماي 2017

إذا من خلال الجدول نستخلص أن معظم الأسر تستعمل الحفر المفقودة بنسبة تصل إلى 73, 33% والأخطر من ذلك هو تواجد منازل هذه الأسر فوق فرشة مائية مهمة. الشيء الذي يهدد هذه الموارد المائية بالتلف.

3. **التجهيزات الثقافية والاجتماعية والتجارية والخدماتية:**

من خلال بحثنا الميداني لحي عين السبع قمنا بجرد مختلف المؤسسات والتجهيزات الموجودة بالحي ومدى استجابتها لمتطلبات السكان وهذا ما سنعمل على توضيحه في الفقرات الموالية.

1.3. المنشآت التعليمية:

تتمثل المرافق التعليمية في المدارس الابتدائية والثانوية والإعدادية، وتتوفر منطقة عين السبع - المخاليف على أربع مدارس ابتدائية وإعدادية واحدة، أما التعليم الثانوي فهو غائب كليا عن المنطقة.

الجدول رقم (05): توزيع المرافق التعليمية بحي عين السبع- المخاليف حسب عدد التلاميذ وعد الأطر والاكتظاظ برسم الموسم الدراسي 2013 - 2014 .

المدرسة	عدد التلاميذ	عدد الأطر التربوية	الإكتضاض
مدرسة عين السبع	1231	19	43
مدرسة إبراهيم الروداني	783	25	43
مدرسة أحمد بلا فريج	393	13	43
مدرسة إبن رشد	1142	8	45
إعدادية 20 غشت	1906	66	44

المصدر: المقاطعة الإدارية التاسعة، مصلحة الشؤون العامة

يتضح من خلال الجدول ضعف المؤشرات المتعلقة بقطاع التربية الوطنية والتكوين المهني، حيث نسجل وجود4 مؤسسات للتعليم الابتدائي، ومؤسسة واحدة للتعليم الإعدادي. بالإضافة إلى غياب كلي لمؤسسات التعليم الثانوي التأهيلي. هذه المؤشرات تعتبر غير كافية بالمقارنة مع عدد السكان المستفيدين. والدليل على ذلك هو مشكل الإكتضاض الذي تعرفه الحجرات الدراسية

والذي يفوق 43 تلميذ داخل الحجرة. والملفت للانتباه هو أن معظم المدارس تتركز بحي المكتب الوطني للماء الصالح للشرب، أما حي المخاليف فلا توجد به إلا مدرسة ابتدائية واحدة وهي مدرسة أحمد بلافريج، رغم أن هذا الأخير يأوي أكبر عدد من الساكنة مقارنة مع حي المكتب الوطني للماء الصالح للشرب.

2.3. المنشآت الصحية:

يعتبر القطاع الصحي من القطاعات الأكثر أهمية بالنسبة للمجتمع بحكم الارتباط الوثيق بين مستوى الصحة في المجتمع وتطوره الاجتماعي والاقتصادي والعلمي. فالصحة عامل مهم يساعد على تحقيق التنمية وذلك من خلال المحافظة على الموارد البشرية. فهي تهم الإنسان وتطوره لكي يصبح فاعلا ونشيطا. يتوفر حي عين السبع - المخاليف على مركز صحي وحيد تم إحداثه من طرف المبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2008.

الصورة رقم3: المركز الصحي الوحيد الذي تم إحداثه سنة 2008



المصدر: البحث الميداني. ماي 2017

يتوفر هذا المركز على أربعة أطر طبية تتكون من طبيبتين عامتين وممرضتين أما المرافق التي توجد بهذا المركز فهي كالتالي: قاعة العلاج، قاعة الفحص الطبي قاعة صحة الأم والطفل، صيدلية الأدوية، مكتب الممرض المسئول. وتستقبل هذه القاعات حوالي 2813 شخص شهريا، لكن على الرغم من الخدمات الصحية التي يقدمها المركز فهو يبقى غير كافي مقارنة مع مؤشرات التغطية الصحية على المستوى الوطني (مركز صحي لكل 11826 نسمة) علما أن ساكنة عين السبع- المخاليف تقدر ب 19024 نسمة الشيء الذي يستدعي الجهات المعنية بالتدخل لبناء مرافق صحية أخرى لتغطية الحي. ويتوفر حي"عين السبع - المخاليف" أيضا على مركز للهلال الأحمر تم افتتاحه سنة 2008 ويتوفر على ممرضة وسيارة إسعاف لنقل المرضى والمصابين في حالة استعجاليه ويهدف هذا المركز إلى تقديم الإسعافات الأولية، كالحقن، والضمادات، وقياس الضغط ... بصفة عامة وقاية الإنسان وإغاثته والتخفيف من آلامه في كل الظروف. ويستقبل هذا المركز حوالي 25 حالة يوميا. كما يقوم هذا الأخير بعملية إعذار الأطفال

من أبناء الأسر المعوزة وتنظيم حملات تحسيسية حول أهمية تنظيم الأسرة، والتلقيح خاصة في اليوم العالمي للهلال الأحمر.

3.3. المنشآت الثقافية والترفيهية والرياضية:

ويتعلق الأمر هنا بدور الشباب والنوادي النسوية والملاعب الرياضية. ويتوفر حي عين السبع- المخاليف على دار شباب واحدة، تم إحداثها من طرف المبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2008 في إطار الشطر الأول من برنامج إعادة الهيكلة. كما يوجد بالحي نادي نسوي تم إحداثه أيضا من طرف المبادرة الوطنية للتنمية البشرية سنة 2008. ويتوفر حي المخاليف على ملعب رياضي تم إنجازه أيضا من طرف المبادرة الوطنية للتنمية البشرية في إطار الشطر الأول من برنامج إعادة الهيكلة ويتواجد بأقصى شمال شرق حي المخاليف.

الصورة رقم 4: النادي النسوي وروض الأطفال بعين السبع



المصدر: البحث الميداني. ماي 2017

4.3. المرافق الاجتماعية:

على العموم تتميز المنطقة موضوع البحث بضعف التجهيزات الاجتماعية والخدماتية. حيت يوجد حمام عمومي واحد يوجد بالقرب من حي المكتب الوطني للماء الصالح للشرب ويبعد عن حي المخاليف بحوالي 2km، ويبقى غير كافي لسد حاجيات الساكنة مما يحتم على أغلب الأفراد التنقل إلى المدينة من أجل الاستحمام.

5.3. المرافق والأنشطة الخدماتية:

ونقصد بها المرافق التي تقدم خدمات معينة للساكنة، كالمقاهي والأفرنة العمومية والمخادع الهاتفية وغيرها.

الجدول قم(06): توزيع المرافق والأنشطة الخدماتية بحي عين السبع المخاليف.

المرافق الخدماتية	العدد
مقاهي	5
مخادع هاتفية	8
قاعات الألعاب والرياضة	6
محطة وقود	1
قاعة انترنيت	4
أفرنة	5
محلبة ومقشدة	6
حرف خدماتية	25

المصدر: البحث الميداني أبريل 2017

من خلال الجدول يتبين لنا أن الحرف الخدماتية تحتل مركز الصدارة حيث يصل عددها إلى 25 محل، مما يدل على بداية تراجع تبعية الحي إلى مركز المدينة، وتتمثل هذه الحرف في المهن الحرة كإصلاح الهاتف النقال وإصلاح الدرجات النارية والحلاقة والتي تتوزع أيضا بالشوارع الرئيسية، وهناك بعض المرافق والأنشطة التي ظهرت في الحي مباشرة بعد انطلاق برنامج إعادة الهيكلة ومن بينها محطة الوقود والتي أحدثت سنة 2009 من طرف شركة (antic système) على مساحة تناهز 4000 m2 تم كرائها من الجماعة السلالية الساكنية.

6.3. المرافق التجارية:

الملاحظ من خلال العمل الميداني كون النشاط التجاري بالمنطقة يحظى بأهمية كبيرة، فالمرافق التجارية توفرها مهم جدا لممارسة الفعل التجاري كيفما كان نوعه وباختلاف مواده.

الجدول رقم (07): توزيع المرافق التجارية بحي عين السبع – المخاليف.

المرافق التجارية	العدد	النسبة بـ%
بقالة	50	68,49
خضر وفواكه	3	4,10
لحوم ودواجن	8	10,95
محلات بيع الأكباش	2	2,73
عقاقير	4	5,47
صيدليات	3	4,10
مواد العلف	3	4.10
المجموع	73	100

المصدر البحث الميداني أبريل 2017.

تحتل محلات بيع المواد الغذائية مركز الصدارة وتتوزع معظمها بالشوارع والمحاور الرئيسية بالحي، تليها محلات بيع الحوم والدواجن في حين لا تمثل باقي المحلات سوى نسب ضعيفة. وما يلفت الانتباه هو أنه على الرغم من دخول الحي إلى المجال الحضري منذ سنوات، فلازالت ساكنته تمارس التجارة ذات الصلة بتربية الماشية كبيع العلف والأكباش، فوجود هذه التجارة بالحي مؤشر يدل على امتداد التوسع الحضري على حساب المجال القروي المجاور له، كما يدل أيضا على الرواسب الثقافية القروية لساكنة عين السبع-المخاليف والتي لا زال البعض منها يمارس تربية المواشي.

المحور الرابع: الخلاصات المتوصل إليها والحلول المقترحة لمعالجة ظاهرة السكن غير اللائق.

بعد الدراسة الميدانية التي قمنا بها لمنطقة "عين السبع - المخاليف" توصلنا إلى الخلاصات التالية:

-عرفت منطقة عين السبع زحفا كبيرا لركام الأجور حيت أقيمت البنايات العشوائية بشكل مخالف لقوانين البناء ودون مراعاة للمعايير التقنية والفنية اللازمة، الشيء الذي يجعلها مهددة بالانهيار إما على المدى القريب أو المتوسط، علما أنها تنتشر فوق فرشة مائية قريبة من السطح ومنطقة تعرف هزات أرضية متتالية، كما تتميز هذه البنايات بصعوبة المرور عبر أحيائها المتداخلة والأزقة الضيقة بدون جمالية ولا فنية، وميزة مباني هدا الحي أنها تتوفر على بنايات تختلف طبيعتها من واحدة لأخرى.

-افتقار هذه الأحياء لأبسط مقومات الحياة الكريمة (نقص وانعدام المرافق والتجهيزات العمومية، إضافة إلى الاكتظاظ السكني).

-أن سكان هذه الأحياء يعانون من الإحساس بالإقصاء ومن الهامشية المادية والعمرانية والثقافية الراجع إلى عدم قدرتهم على الاندماج في الحياة الحضرية.

-أغلب الساكنة تشتغل بالخدمات والحرف المهنية والتجارة غير المهيكلة وبالتالي فهذه المهن غير كفيلة بضمان سد حاجياتهم اليومية.

-أن هذه الأحياء لها آثار وخيمة على المجال البيئي، خاصة تراجع المجال الغابوي وتهديد الفرشاة المائية الباطنية خاصة بحي عين السبع–المخاليف كما أن لها آثار على المشهد العمراني العام من خلال احتوائها على مجموعة من النقط السوداء وانتشار مجاري المياه العادمة فوق سطح الأرض. الشيء الذي ينتج عنه آثار على نفسية الساكنة وبالتالي الشعور بالنقص والتهميش وبالتالي الإحساس بالعزلة وعدم الانتماء رغم إدراج هذه الأحياء ضمن المجال الحضري .

وفي الختام فإنه يجب استئصال هذه الظاهرة من نخاع مددننا ومعالجة أسباب ظهورها بشكل جدري وجدي. فهذه الظاهرة لا يمكن أن تعالج بمنظور تقني أو مالي فقط بل يجب إشراك جميع الفعاليات المعنية بما في دلك السكان المعنيون ودلك عن طريق فتح الحوار معهم لا بإثقالهم بتكاليف مالية فقط. وهذه الرؤية تتطلب:

-تحليل الظروف والأسباب الاجتماعية والاقتصادية لسكان الأحياء العشوائية من أجل معرفة الظروف الملائمة لدمجهم داخل المحيط الحضري.

-إعداد تصاميم التهيئة ووضع برامج تنموية لهذه المناطق لتصبح ضمن وحدة عمرانية متكاملة مع باقي الأحياء الأخرى.

-إعادة هيكلة المناطق الأخرى المعنية بانتشار البناء العشوائي.

-حصر أنوية السكن غير اللائق الموجودة حاليا وذلك بتسييجها وضبطها بدقة.

-معالجة إشكالية السكن غير اللائق بصفة شمولية وذلك باعتماد الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لقاطني دور الصفيح ووضع استراتيجيات مبنية على معطيات ودراسات سوسيولوجية لهذه الساكنة.

-إنعاش السكن الاجتماعي.

خاتمة:

لقد حاولنا من خلال هده الدراسة مقاربة إشكالية السكن غير اللائق المعقدة للتعرف على الوضعية المزرية التي تعيشها ساكنة هده الأحياء، واخترنا حي عين السبع المخاليف وقمنا بدراسته ميدانيا للإحاطة بجميع الجوانب التي تهم عيش الساكنة وتوصلنا إلى أن حي عين السبع المخاليف عرف إعادة الهيكلة وزود ببعض المرافق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والخدماتية، إلا أن هده الهيكلة لم تكن في المستوى المطلوب، كما أن التجهيزات الجماعية غير كافية مقارنة مع المعايير الوطنية والدولية المتعارف عليها. مما جعل الساكنة تعاني من مشكل الاندماج في الحياة الحضرية إد لا زالت تحس بالنقص والتهميش.

إن ظاهرة السكن غير اللائق تعتبر وصمة عار وظاهرة شاذة في النسق الحضري لمدننا المغربية. وذلك نتيجة الاختلال في السياسة السكنية مند الاستقلال والتي قامت على إقصاء ذوي الدخل المحدود. ونتيجة لهذه العوامل أصبحت أحياء السكن غير اللائق تهيكل الخريطة الحضرية لمدينة القنيطرة وتخنق المجال الحضري من جميع الاتجاهات. إن تطويق المدينة بأحزمة من ركام الآجر والبراريك هو إهمال وتهميش للمواطنين القاطنين في هذه البنايات وعبث مقصود بالقوانين المتعلقة بالتعمير والإسكان، وعرقلة حقيقية للآفاق التنموية والاستثمارية وتشويه للمجال الحضري. فإذا كان العمران يعني تعمير الأرض من طرف الإنسان، وإذا كان التوسع الحضري ظاهرة جغرافية هدفها تحقيق الحاجيات المتزايدة للسكان من خلال الطلب على الأرض، فإن استمرار الحياة على هذه الأرض يتطلب وضع برامج تساير تطوره وتضمن المحافظة على البيئة وعلى توازن العناصر فيها. وهو ما لم يكن حاضرا في السياسة السكنية بمدينة القنيطرة.

قائمة المراجع:

1.مشروع نجاعة الأداء برسم سنة 2016(2016)، المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر، المغرب.

2.تقرير المكتب الوطني للماء الصالح للشرب برسم سنة 2016(2016)، المغرب.

3.دليل الأكاديمية الجهوية لجهة الغرب الشراردة بني حسن برسم سنة 2017(2017) ، المغرب.

4. Direction de l’Habitat Social et des affaires foncières, Secrétariat d’Etat à l’Habitat, 2002. Guide méthodologique d’intervention en matière d’habitat insalubre. Ministère de l’Aménagement du Territoire, de l’Urbanisme, de l’Habitat et de l’Environnement, Royaume du Maroc .

5. Ministère délégué auprès du Premier ministre chargé de l’Habitat et de l’Urbanisme, 2005. Urbanisme non réglementaire au Maroc. Collection villes et urbanisme. Mai 2005. Royaume du Maroc.

6. Mohamed ANIS, 2010. L’HABITAT INSALUBRE AU MAROC Á LA FIN DU XX ème SIÈCLE. UNIVERSITY OF CRAIOVA. Series: Geography. Vol. 13 (new series) – 2010.

وسائل التواصل الاجتماعي وإسهامها في التنمية الثقافية لدول الخليج العربي: تويتر أنموذجا

أ.د. يعقوب يوسف الكندري- أستاذ الأنثروبولوجيا والاجتماع
قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية-جامعة الكويت-الكويت

الملخص: تسعى الدراسة الحالية على الوقوف دور تويتر كأحد وسائل التواصل الاجتماعي في الثقافة الخليجية، وبالتحديد تأثير على ما يسمى بالتنمية الثقافية. تركز الدراسة على تويتر بحكم أنها الأداة الأكثر فعالية في الحياة الاجتماعية في المجتمع الخليجي كما أوضحتها مجموعة من الدراسات المحلية في المجتمع الخليجي. لقد سعت الدراسة إلى تحليل لمحتوى تغريدات الشخصيات الخليجية من المغردين الأكثر متابعة على تويتر، وقد قامت الدراسة بالاعتماد على أحد المواقع الإلكترونية الذي تضمن إحصائية أكثر الشخصيات العربية من حيث إعداد المتابعين. تناولت الدراسة خمسة دول خليجية باستثناء عمان التي لم يعثر على معلومات عن أكثر المغردين متابعة فيها. وقد تم اختيار أول عشر شخصيات من الأكثر متابعة في كل بلد على حدة. وقد تم تحليل أول عشر تغريدات حديثة مضى على إطلاقها يومين أثناء الدراسة لهؤلاء المغردين، وبواقع (100) تغريدة لكُل بلد خليجي، وبإجمالي (500) تغريدة لخمسين شخصية. وتم تصنيف الشخصيات من المغردين إلى 12 شخصية من دينية، وأدبية، وإعلامية، واجتماعية، أكاديمية، وغيرها. وتمّ تصنيف التغريدات كوحدة التحليل وفقاً للمواضيع التي تمّ تقسيمها أيضا. وتم استخراج كذلك مجموعة من المعلومات عن المغرد من عدد المُتابعين، والتابعين، وعدد التغريدات للمُغرد إجمالاً، وعدد إعادة التغريدات، والتغريدة المعلقة، وإعادة تغريدها. لقد تم الاعتماد على الوسائل الإحصائية الوصفية في تحليل نتائج الدراسة. وقد جاءت النتائج بأن المحتوى الثقافي لا يعتبر ناضجا، وإن تبادل القضايا العلمية والأكاديمية يعتبر محدودا، وكذلك أشارت النتائج إلى أن هناك محدودية في دور ومشاركة المرأة في هذه الوسيلة، وإن أكثر المحتوى الثقافي المتداول في تويتر هو المحتوى السياسي والديني، وهناك مؤشرات إلى أن الجانب الخاص بالشعر من الممكن أن يكون له تأثير، إلا أنه ليس من باب اهتمام عام في تويتر تحديدا. وأشارت النتائج إلى أن الشخصيات الإعلامية تعتبر الأكثر تواجدا بين الفئات الأكثر متابعة، مع وجود خصوصية في كل بلد خليجي كل على حدة في نوع التغريديات المرسلة من المغردين.

الكلمات المفتاحية: وسائل التواصل الاجتماعي، تويتر، دور تويتر في المجال الثقافي، دول الخليج العربي.

The Role of Social Media on Cultural Development for the GCC Countries: Twitter as an Exemple

Yagoub Yousif Al-Kandari, Ph.D.- Professor, Anthropology & Sociology

Department of Sociology and Social Work

College of Social Sciences-Kuwait University-Kuwait

Abstract: The current study examines the role of Twitter on the cultural development. The study focuses on Twitter as one of the most effective social media tools in the social life of the Gulf community as it is explained and discussed by numbers of local studies in the Gulf countries. The study analyzed the content of the tweets of the most Gulf Tweet followers on Twitter. The study relied on one of the websites that included the statistics of the most Arab Tweeters who has followers. The study examined five Gulf countries except Oman. No information was found about Oman in this site and others. The first ten Tweeters were chosen from the most followed in each GCC countries. The first ten recent tweets were analyzed. The total was (100) tweets for each GCC countries and a total of (500) tweets for all these countries. The tweets were classified into 12 items such as religious, literary, media, social, academic, etc. The tweets were the unit of analysis according to their topics. Information about the number of followers, followed, number of tweets, number of retweets, pending tweets, and retweets have been obtained. The descriptive statistical methods were used to analyze the results of the study. Results show that there are a limited effect on the cultural and educational contents on the tweets. Also, the role of females is limited in twitter in general. It showed that political and religious content are the major circulated content. Poetry tweets One of the most effected and interactive tweets. In addition, the media figures tweeters are considered to be the most persons who have been followed by others. Finally, results showed that there is a uniqueness for each GCC countries in the type of tweets.

Key words: Social Media; Twitter, Twitter Roles in Cultural and Educational Contents, GCC Countries.

1. تقديم:

أسهمت وسائل التواصل الاجتماعي بشكل عام في دور مهم على المستوى الثقافي في المجتمع المعاصر، ولقد تنوعت مصادر هذه الوسائل وحققت مستوى كبير من هذا الإسهام. فقد أصبحت هذه الوسائل منبرا إعلاميا مميزا لتبادل المعلومات ونقلها واسترجاعها من خلال وسائل مختلفة. وقد تميزت مجموعة من هذه الوسائل بدور أكبر من غيرها في نقل الثقافة بينما حافظت الوسائل الأخرى لتتضمن محتوى قد يخرج عن الإطار الثقافي العام إلى الجانب الاجتماعي والترفيهي الخاص. وقد تم استغلال منصات التواصل الاجتماعي في العمل الثقافي، وتميز هذا الاستغلال بشكل واضح وملموس في دول العالم المتحضر على الرغم من المحتوى السلبي الذي يظهر في هذه المجتمعات من خلال هذه الوسائل. فعلى الرغم من سلبيات ما يعرض في المجتمعات داخل هذه المنصات، إلا أن المحتوى الثقافي واضح وبارز ومؤثر في كثير من الأحيان على كافة المستويات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، والعلمية، والفنية وغيرها. وقد ارتبط هذا التأثير بشكل كبير وواضح بنوع الوسيلة المستخدمة من وسائل التواصل الاجتماعي. فهناك وسائل ومنصات ذات جدوى علمية وفنية مهمة مثل المدونات، والفيس بوك والتي تجعل من المتابع لها الاستفادة الكبيرة مما يعرض من محتوى ثقافي وفكري مميز، ولديها القدرة الفنية المناسبة لنقل وتبادل المعلومات الثقافية المختلفة، وهو ما جعل عديد من الأفراد من يلجأ إلى هاتين الوسيلتين تحديدا في تبادل ثقافي مميز. بالإضافة إلى ذلك، فإن برنامج لنكدإن Linkedin ، وبرنامج قودريد Goodreads. بينما أسهمت وسائل أخرى بصورة أقل نسبيا مع اختلاف المجتمع المستخدم لهذه الأداة أو الوسيلة.

فيرتبط مقدار الاستفادة من المحتوى الثقافي بأمور عدة: أهمها الأداة أو الوسيلة المستخدمة والأكثر انتشارا، وثانيها الشريحة سواء العمرية أو الاجتماعية المستخدمة لهذه الوسائل، وثالثها المرتبط بالمحتوى نفسه ومدى انتشار هذا المحتوى داخل المجتمع. وتعد دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية من الدول التي تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي بشكل مكثف وكبير جدا نظرا لسهولة اقتناء التقنية التي تساعد على استخدام هذه المنصات الإعلامية من وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك انتشارها الكبير والكبير جدا كما أوضحتها عديد من الدراسات المحلية الخاصة بوسائل التواصل الاجتماعي. ولذلك، فإن تأثيرها من المؤكد أن يكون بالغا وكبيرا. ولعل أبرز وسائل التواصل الاجتماعي المستخدمة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية يمكن عرضها في ست وسائل: الفيس بوك، وتويتر، وانستغرام، والواتس أب، والسناب جات، واليوتيوب، بينما ظل تداول الوسائل الأخرى محدودا وبشكل نسبي. ومن أبرز الأدوات المستخدمة المؤثرة في الحياة الاجتماعية هي تويتر نتيجة لما قامت به من تأثير بالغ في الجانب السياسي والذي يعتبر محركا للجوانب الأخرى ومن ضمنها المحتوى الثقافي ويؤثر بها بشكل واضح وملموس.

2. أهداف الدراسة:

تسعى الورقة الحالية إلى الوقوف على دور وسائل التواصل الاجتماعي في الثقافة الخليجية، وبالتحديد في مجال التنمية الثقافية، وما هو دور هذه الوسائل. وتسعى الدراسة للكشف عن مدى

إسهام وسائل التواصل الاجتماعي في تنمية المجتمع ثقافيا من خلال المحتوى الذي تعرضه وتتداوله. وستركز الورقة تحديدا على أحد هذه الوسائل والمتمثلة في تويتر ومدى تأثيره في المستوى الثقافي، وذلك بحكم أنها الأكثر فعالية في الحياة الاجتماعية في المجتمع الخليجي كما أوضحتها مجموعة من الدراسات المحلية في المجتمع الخليجي. فهي دراسة تكشف عن درجة الاستفادة من المحتوى في الفضاء التقني في المجتمعات الخليجية تحديدا، وهل حققت الطموح المنشود، والكشف كذلك عن أبرز مضامين هذا المحتوى.

3. التنمية الثقافية:

يعد مفهومي التنمية والثقافة من المفاهيم الاجتماعية الرائجة والمهمة في الوقت نفسه. فيمكن اعتبارها عصبا رئيسا في الدراسات الاجتماعية بحكم أن هدف الدراسات الاجتماعية في الأساس تحقيق الدور التنموي للمجتمع، وكذلك ارتباط هذه الدراسات بثقافة المجتمعات وثقافة الإنسان فيه والتركيز عليه. ودون الدخول في تفصيلات خاصة بتعريف ما المقصود بالتنمية ذلك المفهوم متعدد التعريفات والأبعاد حسب المجتمع الذي ينطلق منه هذا المفهوم ويتبناه، فإنه من الممكن استخلاص فكرة أن التنمية بمفهومها العام كما أشار إليها أحد الباحثين (علي الطراح، 1998) تتمثل في القدرة على استثمار القدرات البشرية والمادية لتحقيق الرفاهية للمجتمع في نهاية المطاف. أما مفهوم الثقافة فإنه مفهوم يأخذ -كما أفرد له الأنثروبولوجيون تحديدا- بعدا أكبر من مفهوم الجانب الفكري والعلمي المتعارف عليه عند العامة. فالثقافة كما أشار إليها ادوارد تايلور بذلك التعريف الشهير بأنه "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات القدرات والعادات التي يكتسبها الفرد كونه عضواً في مجتمع" (Tylor, 1891, P 1). فهو تعريف شامل لطرق الحياة اليومية للإنسان. ولكن المفهوم الثقافي الذي تسلط عليه الورقة اهتمامها هو جزء من هذا المفهوم الشامل للثقافة والذي يرتبط بالفكر والمعرفة والفن والأدب. ولذلك، فإن مفهوم الثقافة يقتصر هنا على هذا الفهم وعلى هذه الجزئية.

"لقد ظهرت الحاجة إلى ضرورة الربط العضوي بين الثقافة والتنمية بصورة واضحة منذ أواخر تسعينيات القرن العشرين، حيث أعلنت الأمم المتحدة عقد التنمية الثقافية (1988-1997) الذي يهدف إلى وضع الثقافة والتنمية "جنبا إلى جنب" وضرورة الحاجة إلى التنمية الملائمة ثقافيا، وتأكيده على ضرورة التشجيع على أخذ البعد الثقافي للتنمية بعين الاعتبار..." وقد أشارت اليونسكو في تقريرها البعد الثقافي للتنمية، على أنه آن الأوان الاعتراف "بأن التنمية والإجراءات التي تستهدف المساهمة فيها لا يمكن اختزالها إلى مجرد حلول تقنية وحسابات اقتصادية" (شما بنت محمد آل نهيان، 2013، ص44-45). فهي تمتد إلى الثقافة والتي يفترض أن تكون عنصرا مهما وفاعلا ورئيسا فيها. فلا يمكن أن تقوم تغيرات اجتماعية اقتصادية دون أن تكون هناك تغيرات ثقافية وعلى مستوى الفكر.

وهذا ما أكده تقرير التنمية البشرية لعام 1996 الذي أشار إلى أن النمو الاقتصادي لا يحقق تنمية بشرية بشكل تلقائي، ولا يحسن ظروف البشر، فالنمو الاقتصادي هو وسيلة والتنمية البشرية هي الغاية، ولذلك لا بد من إثراء حياة الناس (تقرير التنمية البشرية، 1996). فتعتبر

"التنمية الثقافية جهدا واعيا مخططا له من أجل إحداث تغير ثقافي مما يعني تغيرا في الفكر وأساليب السلوك، وقدرة على التمييز بين العناصر الثقافية التقليدية والعناصر الجديدة المستحدثة، واستبعاد العناصر التي يثبت عجزها عن التناغم مع الجيد والمستحدث الذي لا يمكن التنكر له أو تجاهله" (أحمد مرسين نقلا عن: رواء زكي يونس الطويل، 2013، ص36-37).

"إن مفهوم التنمية الثقافية يهدف إلى تطوير الذهنيات والمدارك والأخلاقيات وتطوير طرائق الفكر والتفكير والإبداع لإيجاد حالة فعل مجتمعية ديناميكية مستمرة للارتقاء بمستوى الوعي البشري إلى آفاق تطويرية كبرى" (حواس محمود، 2015). ويشير محمد عابد الجابري في هذا الصدد إلى "أن التنمية البشرية لا تكتسب معناها الحقيقي إلا إذا نظر إليها أولا وقبل كل شيء من زاوية هذا البعد الثقافي الذي يجعل منها محصلة التداخل والتكامل بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية، بل أيضا محصلة التداخل والتكامل بين ما هو أصيل متجدد وما هو حديث يتأصل في جميع مجالات الحياة. من هذا المنظور نستطيع أن نقول، إذن، إن التنمية الثقافية هي شرط للتنمية الاقتصادية بقدر ما هي مشروطة بها، وبالتالي فلا يمكن تحقيق تنمية اقتصادية بدون أن تواكبها منذ البداية تنمية ثقافية. بل إن اتجاه التفكير السائد اليوم، في موضوع "التنمية" وقضاياها، يميل بوضوح إلى إعطاء نوع من الأولوية للتنمية الثقافية، باعتبار أن الاقتصاد نفسه أصبح الآن يعتمد أكثر فأكثر على الفكر والعمل الفكري، ويستغني أكثر فأكثر عن العمل اليدوي، مما يجعل من حصول الشخص على مستوى معين من "النمو الثقافي" شرطا ضروريا لإمكانية مساهمته في التنمية الاقتصادية نفسها" (محمد عابد الجابري، د.ت). فلا انفصال بين تنمية اقتصادية وثقافية، بل وبدرجة أكبر فإن التنمية الثقافية هي الضرورة للتنمية الاقتصادية والأساس لها ولا تتحقق بدونها انطلاق من أن الفكر هو الذي يقود العمليات والميكانيكيات داخل المجتمع. وإن تنمية المجتمع لا تتحقق إلا بتنمية هذا الفكر.

4. وسائل التواصل الاجتماعي والتنمية الثقافية في المجتمع الخليجي:

يقصد بشبكات التواصل الاجتماعي "طريقة التفاعل الاجتماعي باعتبارها منصة لتبادل المعلومات بين البشر يمكن أن تتضمن الوسائط الاجتماعية – النص والصوت والفيديو والصور والبرودكاست وعناصر اتصالات الوسائط المتعددة الأخرى- فهي عبارة عن مجموعة مواقع خاصة سهلة الاستعمال" (Danani, 2018). أما مفهوم منصات التواصل الاجتماعي "فهي منظومة الشبكات الالكترونية التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين، لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها التي لديه، لغرض التشارك مع أصدقائه في الحوار وزيادة التعارف" (خالد حمد الحمادي، 2017، ص36). أو"هي استخدام تكنولوجيا الانترنت وتطبيقات الهواتف النقالة لتحويل الاتصالات إلى حوار تفاعلي" (إبراهيم أحمد الدوي، د.ت).

وتعتبر وسائل التواصل الاجتماعي بشكل عام منبرا من منابر الثقافة والمعرفة. وقد أشار التقرير العربي لوسائل التواصل الاجتماعي إلى أن الجانب المعرفي المعلوماتي هو أحد أبرز ثلاثة أهداف أو أبعاد لوسائل التواصل، والتي تتضمن أيضا موضوع الترفيه، والتواصل الاجتماعي

بين الأفراد (Arab Social Media Report, 2015). فالجانب المعرفي المعلوماتي هو أحد الركائز الرئيسة لوسائل التواصل الاجتماعي. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه الوسائل تختلف باختلاف محتواها الثقافي أو المعلوماتي من وسيلة لأخرى، فتتميز كل وسيلة منها بطابع محدد.

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتم النظر إلى التنمية الثقافية لوسائل التواصل الاجتماعي ودورها في إحداث نقلة ثقافية أو أي تأثير ثقافي دون النظر للمحتوى الذي تقدمه هذه الوسائل. فمن خلال بعض من وسائل تواصل اجتماعي ومحتواها يمكن تحديد ما لو كان هذا المحتوى والتفاعل معه يسهم بأي شكل أو بآخر في تنمية ثقافية منشودة. ولذلك، لا بد من الأخذ ببعض الأمور عند مناقشة المحتوى الثقافي داخل محيط وسائل التواصل الاجتماعي، والتي تكون أهمها بالآتي:

1- الأداة أو الوسيلة المستخدمة والأكثر انتشارا: فعملية الانتشار تساعد بشكل كبير تبادل المعرفة والمعلومات، وإثرائها لعدد كبير من الأفراد داخل المجتمع الإلكتروني سواء أكان داخل أو خارج نطاق الإقليم. فعملية الانتشار للوسيلة الإعلامية تساعد بشكل كبير على نشر المعرفة والثقافة وضمن قطاعات واسعة.

2- الشريحة المستخدمة للوسيلة نفسها: سواء أكانت الشريحة العمرية أو الاجتماعية المستخدمة لهذه الوسائل، والتي ترتبط بشكل مباشر بواقع المعلومة التي يمكن أن يتم نقلها. فمن المؤكد أن الشريحة العمرية الصغيرة تعتمد بشكل أكبر في الاستخدام على الوسائل الترفيهية أكثر من كونها وسائل اتصال معلوماتية أو معرفية، وكذلك الحال بالنسبة للشريحة المثقفة التي تعتمد على وسائل بصورة أكثر دون غيرها.

3- المحتوى نفسه: وثالث هذه الأمور هو المرتبط بالمحتوى نفسه ومدى انتشار هذا المحتوى داخل المجتمع المعلوماتي، وما سوف يتم تداوله وتناقله.

فالمحتوى الثقافي يرتبط بنوع الوسيلة المستخدمة، والشريحة، والمضمون الذي يتم نقله. وتزداد الأهمية بزيادة التفاعل المعلوماتي والتبادل بين الأفراد لهذا المحتوى. ومن أهم وسائل التواصل الاجتماعي المتداولة في دول الخليج تحديدا كما أوضحتها عديد من الدراسات ومن ضمنها التقرير العربي لوسائل التواصل الاجتماعية بالفيس بوك، والواتس آب، والتويتر، والاستغرام، واليوتيوب. بالإضافة على السناب جات الذي ظهر مؤخرا بصورة كبيرة وانتشر بشكل لافت للنظر. وويمكن عرض الدول الخليجية ومدى استخدامها الأكثر لوسائل التواصل الاجتماعي حسب ما جاء بالتقرير وبالنسب المئوية للاستخدام بالآتي (Arab Social Media Report, 2015):

1- دولة الإمارات العربية المتحدة: جاءت نسبة استخدام الفيس بوك بالدرجة الأولى وبواقع 90%، وثم الواتس أب بواقع 82% فالاستغرام، 56%، وتويتر بواقع 51%، واليوتيوب بواقع 50%.

2- المملكة العربية السعودية: جاء ترتيب استخدام الواتس أب أولا وبنسبة 91%، وثم الفيس بوك بنسبة 80%، فتويتر بنسبة 53%، فالاستغرام وبنسبة 43%، فاليوتيوب وبنسبة 40%.

3- قطر: جاء الفيس بوك أولا بنسبة 81%، فالواتس أب بنسبة 80%، وبعدها جاء اليوتيوب بنسبة 55%، ثم الانستغرام بنسبة 42%، وأخيرا تويتر بنسبة 35%.

4- الكويت: جاءت نسبة استخدام الواتس أب بالدرجة الأولى وبنسبة 84%، ونسبة مستخدمي الفيس بوك نسبة 75%، وتساوت نسبة استخدام اليوتيوب، والانستغرام بنسبة 43%، وا×يرا تويتر بنسبة 41%.

5- مملكة البحرين: جاء استخدام الواتس أب أولا بنسبة 85%، ومن ثم الفيس بوك بنسبة 81%، وتلاها الانستغرام بنسبة 51%، فتويتر بنسبة 47%، وثم اليوتيوب بنسبة 44%.

6- سلطنة عمان: جاء استخدام الفيس بوك أولا وبنسبة 86%، ثم الواتس أب بنسبة 80%، وجاء اليوتيوب والانستغرام متساوي وبنسبة 40%، وأخيرا تويتر بنسبة 36%.

والملاحظ كما كشفت عنه بعض الدراسات المحلية أن استخدام الفيس بوك هو استخدام ينحصر عند الوافدين أكثر من المواطنين في كافة البلدان الخليجية. وهو يعتبر الأكثر استخداما في العالم أجمع، إذ فاق عدد المستخدمين حتى هذه اللحظة عدد 1.4 مليار مستخدم حول العالم، وكذلك في العالم العربي. فعلى سبيل المثال يعتبر الأقل استخداما في بين الكويتيين وبدرجة قليلة جدا. أما فيما يتعلق بالاستغرام والسناب جات فإنه الأغلب على الاستخدام في الجانب الاجتماعي، ويغلب على الواتس آب جانب التواصل الاجتماعي، واليوتيوب الجانب الخاص بنقل المعلومات المرئية (أنظر: يعقوب يوسف الكندري، ومها مشاري السجاري، وحمد عادل العسلاوي، ودلال خالد البالول، 2016؛ خالد القحص وويعقوب يوسف الكندري، 2015؛ دراسة تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الأمن الوطني في المجتمع الكويتي، 2019؛ Stout, 2018).

يعتبر الفيس بوك من الوسائل الإعلامية في التواصل الاجتماعي المؤثرة في عملية التبادل المعلوماتي والمعرفي، بالإضافة على كونه وسيلة اتصال وتواصل اجتماعي وكذلك ترفيهي. وهو محتوى قليل الاستخدام كما تمت الإشارة. ومن الوسائل الأخرى المهمة في عملية التبادل المعرفي والثقافي، هو موقع لنكد اند LinkedIn وهو موقع التراسل بين الأكاديميين بالمعلومات المتعددة حسب التخصص، وبالإضافة إلى موقع Goodreads الذي يسمح بالتبادل الثقافي للكتب التي تمت قراءتها وعمل ملخصات لها. وهناك بعض المواقع الأخرى مثل موقع أكاديميا Academia، وموقع رسيرج قيت Research Gate، وهي مواقع تنشر وتتبادل المعلومات البحثية، ومواقع أخرى متعددة. وجميع هذه المواقع يشارك فيها الخليجيون بشكل قليل جدا حسب ما ذكرت المصادر. فالمشاركة في هذه الوسائل قليل جدا. وهذا يعكس محتوى ثقافي محدود جددا في هذه الوسائل.

ولعل الوسيلة الأكثر فعالية هي تويتر حسب ما أشارت إليه الدراسات في تناقل الأحداث والأخبار في المجتمع الخليجي. وهي أيضا ينقل من خلالها جوانب ثقافية، وهي الأكثر فعالية بين حتى المثقفين داخل المجتمعات الخليجية (خالد القحص ويعقوب يوسف الكندري، 2015). ولعل استخدام توتير في الوطن العربي بدأ أخذ بعدا كبيرا في الانتشار ووصل إلى ما يقارب من 317 مليون مستخدم في نهاية عام 2016. وتشير الإحصائيات إلى تزايد فعال في استخدام هذه الوسيلة في الوطن العربي وفي الخليج. ومع مطلع عام 2017 يقدر عدد حسابات تويتر في البلدان العربية

ب 16.3 مليون حساب، وبلغت عدد التغريدات بارتفاع وبنسب عالية تصل أكثر من 50% عن الأعوام السابقة وفي عام 2017 تُنشر يومياً ما معدله 27.4 مليون تغريدة في البلدان العربية بزيادة 10 مليون تغريدة في عام 2014، مع انخفاض نسبة النساء عن الرجال في الاستخدام، حيث بلغت نسبة الإناث 36.6%. وتعتبر المملكة العربية السعودية أكثر الدول استخداما ثم مصر، فالجزائر، فالإمارات، فالكويت. فقد احتلت ثلاث دول خليجية صدارة مستخدمي تويتر في الوطن العربي (دراسة تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الأمن الوطني في المجتمع الكويتي، 2019).

ولذلك، فقد تم التركيز على تويتر كوسيلة اتصال أكثر فعالية من وسائل التواصل الاجتماعي في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية الخمسة باستثناء عمان[1]، من خلال طرح الأسئلة الآتي والمحاولة الإجابة عليها:

-من هي أكثر الفئات متابعة لتويتر حسب الجنس في دول الخليج العربي؟.

-ما أبرز التغريدات ونوعها لأفراد المعينة المختارة الأكثر متابعة؟.

-ما صفة المغرد الأكثر متابعة ومجال اهتمامه ونوع التغردية الثقافي؟

-ما صفات أكثر المغردين متابعة ومجال اهتمامهم؟.

-ما معدل إعادة إرسال التغريدات ونوعها؟

-ما أبرز خصائص العينة من المغردين الأكثر متابعة من حيث نوع التغريدات والبلد الخليجي التابع له؟

-ما نوع التغريدة وتكرارها حسب البلد لأفراد العينة؟

5. الإجراءات المنهجية:

سعت الدراسة أن تتناول بالتحليل لمحتوى تغريدات الشخصيات الخليجية من المغردين الأكثر متابعة على تويتر، وقد قامت الدراسة بالاعتماد على موقع تويبار[2] الذي قدم إحصائية تضم أكثر الشخصيات العربية من حيث إعداد المتابعين على تويتر في ديسمبر 2017م. ولقد تمّ الاعتماد على هذه الإحصائيات التي قدمها الموقع واختيار المغردين من دول الخليج العربي من إجمالي الدول العربية التي بلغت (9) دول شملها الموقع. فقد جاءت خمس دول خليجية في هذه الإحصائيات، وهي دولة الكويت، ومملكة البحرين، والمملكة العربية السعودية، ودولة قطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة. ولم تقدم الإحصائيات أي معلومات عن سلطنة عُمان. ولقد تم السعي للوصول إلى أي موقع يكشف عن أعلى المغردين العمانين، ولكن باءت المحاولة بالفشل نتيجة لتعذر وجود مثل هذه الإحصائيات. ولذلك، فقد اقتصرت هذه الدراسة على اختيار الدول الخمسة بدون سلطنة عُمان واختيار أول عشر شخصيات من الأكثر متابعة من إجمالي (15) مُغرد ذكرهم الموقع في كل بلد على حدة. وقد تم إعداد هذه الدراسة للندوة الفكرية لإعادة صياغة الإستراتيجية الثقافية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون

[1] لإشكاليات خاصة في محتوى الموقع، لم يتم العثور على المغردين العمانيين الأكثر متابعة، ولذلك فقد تم اقتصارها فقط على الدول الخمسة.

[2] انظر موقع www.mz-mz-net/35899 الشخصيات الأكثر مُتابعة على تويتر.

والآداب، 3-8 مارس 2019، وتم عرض أبرز النتائج فقط دون نشرها (يعقوب الكندري، 2019).

لقد روعي في اختيار عينة الدراسة وإجراءات الدراسة من الموقع بعض الجوانب المنهجية والتي يمكن عرضها بالآتي:

1- تم اختيار عدد (10) مُغردين من كل بلد وهم العشرة الأعلى متابعة من واقع خمسة عشر مغردا تمت الإشارة إليهم في الموقع وقد تم استبعاد الخمسة في ذيل القائمة.

2- في حالة تعذر الحصول على موقع أحد العشرة الأوائل لأي سبب من الأسباب مثل إلغاء الحساب، أو لعدم القيام بالتغريد لمدة طويلة، أو لإيقاف الحساب لأي سبب من الأسباب، فإنه قد تمّ اختيار الشخصية التي تليه في الترتيب مُباشرة.

3- تمّ الاعتماد على الشخصيات وليس المواقع الأُخرى كالمواقع الإخبارية، أو المواقع التي تحمل أسماء مُستعارة.

4- تضمن هذا الموقع الشخصيات الأكثر مُتابعة، وليسوا الأكثر تأثيراً، أو تغريدًا، فلا بُد من الأخذ بعين الاعتبار هذا العُنصر بعين الاعتبار.

5- لقد تمّ الاستعانة بأول عشر تغريدات حديثة مضى على إطلاقها يومين لضمان التفاعل معها، وقياس هذا التفاعل.

6- تمّ القيام بتحليل أول عشر تغريدات لكُل شخصية بواقع (100) تغريدة لكُل بلد خليجي، وبإجمالي (500) تغريدة لخمسين شخصية.

7- لقد تمّ تقسيم الشخصيات من المُغردين، والتي تضمنت اثنى عشر شخصية إلى التصنيف الآتي:

أ- شخصية دينية.

ب- شاعر.

ج- أكاديمي وعلمي.

د- من الأُسرة الحاكمة.

هـ- شخصية إعلامية.

و- شخصية اجتماعية.

ز- شخصية سياسية.

ح- شخصية أكاديمية ودينية.

ط- شخصية إعلامية سياسية.

ي- مُمثل.

ك- شخصية رياضية.

ل- مُطرب.

8- لقد تمّ تحليل محتوى عشر تغريدات من كل شخصية، وقد تمت مُراعاة أن تشطب التغريدة المُكررة، وتمّ استبعاد كذلك إعادة الإرسال لتغريدة أُخرى قامت بها الشخصية.

9- لقد تمّ تصنيف التغريدات وحدة التحليل وفقاً كمواضيع تمّ تصنيفها حسب الآتي:

أ-تغريدة دينية.

ب- تغريدة شعرية.

ج- تغريدة اجتماعية.

د- تغريدة إعلامية.

هـ- تغريدة علمية.

و- تغريدة رياضية.

ز- تغريدة سياسية.

ح- تغريدة غنائية.

ط- تغريدة في خدمة المجتمع.

10- لقد تمّ استخراج المعلومات الآتية من موقع المُغرد:

أ- عدد المُتابعين.

ب- عدد التابعين.

ج- عدد التغريدات للمُغرد إجمالاً.

د- عدد إعادة التغريدات العشرة.

هـ- التغريدة الرئيسة Pinned Tweet

و- إعادة التغريدة الرئيسة.

11- لقد تمّ الاعتماد على الوسائل الإحصائية الوصفية، والتي جاءت كالآتي:

1- التكرارات.

2- النسب المئوية.

3- الرسوم البيانية.

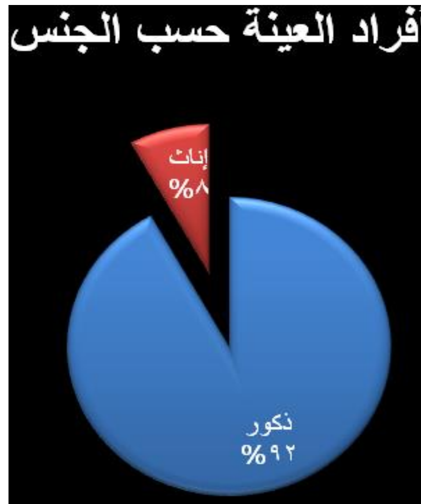
4- الجدول المتقاطع.

6. نتائج الدراسة:

أ- المغردون والنوع:

توضح نتائج الدراسة إلى أن (92%) من أفراد العينة التي تمّ اختيارها هي من شريحة الذكور. فأكثر مستخدمي تويتر من الذين يحظون بمتابعة عالية هُم من الذكور، حيث وصلت نسبة الإناث فقط (4) حالات من إجمالي الخمسين من أفراد العينة وبواقع (8%) فقط. وجاءت هذه الشريحة بحالتين في مملكة البحرين، وواحدة في دولة قطر، وأُخرى في دولة الإمارات العربية المتحدة. ويدور محور اهتمام الإناث الأربع من العينة في المجال السياسي حالتين، وحالة واحدة في مجال الإعلام، وأخيرة في مجال الغناء. والشكل (1) يوضح التوزيع النسبي للجنس من أفراد العينة.

شكل (1) يوضح أفراد العينة حسب الجنس



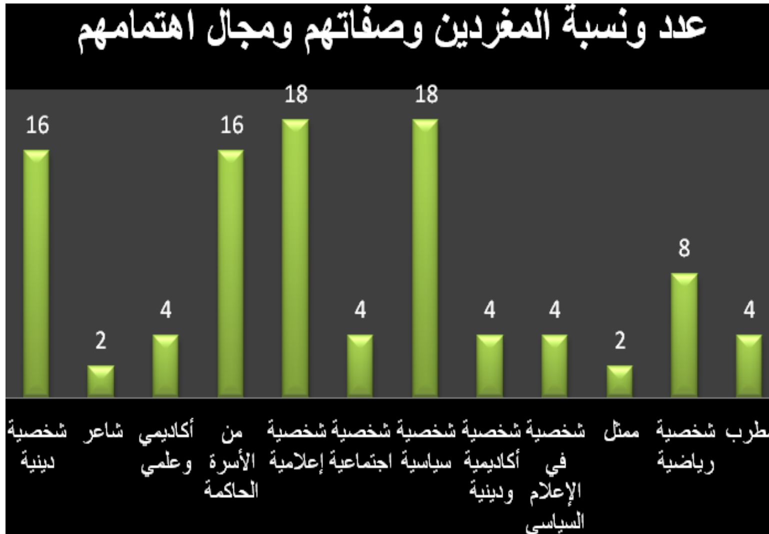
ب- مجال اهتمام المغردين:

وفيما يتعلق بعدد ونسبة المغردين من العينة المُختارة، وصفاتهم ومجال اهتمامهم فإن الجدول (1) يوضح التكرارات والنسب المئوية لهؤلاء المغردين.

جدول (1) يوضح عدد ونسبة المغردين وصفاتهم ومجال اهتمامهم

م	صفة المغرد ومجال اهتمامه	التكرار	النسبة المئوية
1	شخصية دينية	8	16
2	شاعر	1	2
3	أكاديمي وعلمي	2	4
4	من الأسرة الحاكمة	8	16
5	شخصية إعلامية	9	18
6	شخصية اجتماعية	2	4
7	شخصية سياسية	9	18
8	شخصية أكاديمية ودينية	2	4
9	شخصية في الإعلام السياسي	2	4
10	ممثل	1	2
11	شخصية رياضية	4	8
12	مطرب	2	4
	المجموع	50	100

شكل (2) يوضح عدد ونسبة المغردين وصفاتهم ومجال اهتمامهم



يوضح الجدول (1) والشكل (2) بأن أعلى الشخصيات الأعلى في التغريد هي الشخصيات السياسية والإعلامية بواقع (18%) لكل منهما، ويأتي رجال الدين في المرتبة الثانية بواقع (16%)، وكذلك المغردين من الأُسرة الحاكمة بالنسبة نفسها (16%). وتأتي بعدها وبفارق كبير

الشخصية الرياضية بواقع (8%)، وبعدها الشخصية الأكاديمية العلمية، والاجتماعية، والأكاديمية الدينية، والإعلامية السياسية، والمطربين بواقع (4%) لكل منهم، وأخيراً الشعراء والممثلين بواقع (2%) لكل منهما. وإذا ما تمّ جمع الشخصية الإعلامية السياسية مع الشخصية الإعلامية لوحدها، والسياسية لوحدها فإنها تأخذ المعدل الأعلى أيضاً بواقع (22%) لكل منهما، وإذا نقلنا الشخصية الأكاديمية الدينية، فإن الشخصية الدينية تُمثل نسبة (20%).

ج- تفاعل المتابعة والتغريدات في دول الخليج:

وفيما يتعلق بأعداد المتابعين لأفراد العينة المُختارة، وعدد التابعين، وعدد التغريدات وإعادة ما يُسمى بالتغريدة الرئيسة ؛Pinned tweet، فإن الجدول (2) يوضح المُعدل والمتوسط الحسابي لهذه السمات بكل بلد من بلدان الخليج العربي الخمسة.

جدول (2) خصائص العينة من حيث التغريدات والبلد الخليجي

م	المتغير	الكويت	البحرين	السعودية	قطر	الإمارات
1	معدل عدد المتابعين	4.571960.00	375470.00	8.930000.00	253410.00	4.140240.00
2	معدل عدد التابعين	541.90	898.40	1035.90	63055.10	975.80
3	معدل التغريدات	20308.30	25332.90	26320.10	41089.60	42158.00
4	معدل إعادة التغريدة الرئيسة	472.80	208.90	2464.80	853.10	409.00

يحتل المُغردون في المملكة العربية السعودية الدرجة الأكبر في إعداد المتابعين بالمُقارنة ببقية الدول وبمُعدل (8) مليون مُتابع و(930) ألف. ويحتل المغردون الكويتيون المرتبة الثانية بواقع (4) مليون و(571) ألف تقريباً، فالمغردون في دولة الإمارات العربية المتحدة وبمعدل (4) مليون و(140) ألف تقريباً، فثم المغردون في مملكة البحرين وبمعدل (375) ألف مُتابع تقريباً، فالمغردون في دولة قطر وبمعدل (253) ألف مُتابع.

أما فيما يتعلق بعدد التابعين، فإن دولة قطر تحتل المعدل الأول وبمعدل (63) ألف تابع تقريباً، فالمملكة العربية السعودية بمعدل (1035) تقريباً وبفارق كبير عن دولة قطر، وثمّ دولة الإمارات العربية المتحدة بواقع (975) تقريباً، فمملكة البحرين بمعدل (898) تقريباً، وأخيراً دولة الكويت بمعدل (541) تقريباً.

وفيما يتعلق بمعدل عدد التغريدات، فإن المغردون الإماراتيون يُمثلون أعلى مُعدلاً في عدد التغريدات بواقع (42) ألف تغريدة تقريباً، وبعدها تأتي دولة قطر بواقع (41) ألف تقريباً، وثمّ

المملكة العربية السعودية بواقع (26) ألف تغريدة، فمملكة البحرين بمعدل (25) ألف تغريدة تقريباً، وأخيراً دولة الكويت بواقع (20) ألف تغريدة تقريباً. فالمغردون الإماراتيون هُم الأعلى تغريداً، والكويتيون الأقل.

وأخيراً فيما يتعلق بإعادة ما يُسمى بالتغريدة الرئيسة أو المُعلقة، فقد جاءت إعادة هذه التغريدة بالمعدل الأعلى عند المُغردين في المملكة العربية السعودية، وبمعدل (2464) إعادة إرسال تقريباً، ومن ثم دولة قطر وبمعدل (853) إعادة إرسال تقريباً، فالكويت بمعدل (472) إعادة إرسال تقريباً، فالإمارات بمعدل (409) إعادة إرسال تقريباً، وأخيراً مملكة البحرين بمعدل (208) إعادة إرسال تقريباً.

د- صفة المغرد ومجال اهتمامه ونوع التغريدة:

وفيما يتعلق بصفة المغرد من أفراد ومجال اهتمامه، ونوع التغريدة وإعدادها، فإن الجدول (3) يوضح تكرارات التغريدات وتركزها لكل شخصية من أفراد العينة.

جدول (3) يوضح صفة المغرد ومجال اهتمامه ونوع التغردية

م	صفة المغرد ومجال اهتمامه	دينية	شعرية	اجتماعية	إعلامية	علمية	رياضية	سياسية	غنائية	خدمة مجتمع	مجموع
1	شخصية دينية	59	2	8	1	0	0	10	0	0	80
2	شاعر	0	8	1	0	0	1	0	0	0	10
3	أكاديمي وعلمي	1	0	4	6	0	0	0	0	0	11
4	من الأسرة الحاكمة	10	4	8	0	13	8	16	3	18	80
5	شخصية إعلامية	9	0	26	3	10	4	35	0	3	90
6	شخصية اجتماعية	1	1	11	0	1	0	4	0	2	20
7	شخصية سياسية	14	0	5	0	1	1	69	0	0	90
8	شخصية أكاديمية ودينية	5	1	0	0	14	0	0	0	0	20
9	شخصية في الإعلام السياسي	0	0	0	0	2	0	18	0	0	20
10	ممثل	1	0	4	0	0	0	0	1	4	10
11	شخصية رياضية	5	5	2	0	0	22	5	1	0	40
12	مطرب	4	3	5	0	0	0	3	5	0	20
	المجموع	109	24	74	10	50	36	160	10	27	500

يتضح من خلال الجدول (3) أن هُناك تفاوتاً في اهتمام المغردين حسب مجال اهتمامهم أو صفاتهم أو توجهاتهم. ويمكن إبراز أهم ما جاء في هذا الجدول بالآتي:

1- جاءت أكثر التغريدات للشخصية الدينية هي التغريدات الدينية بالدرجة الأولى بواقع (59) تغريدة، ومن ثمّ التغريدات السياسية بواقع (10) تغريدات، فالاجتماعية (8) تغريدات، فالشعرية تغريدتين، فالإعلامية (تغريدة واحدة فقط). ولا توجد أي تغريدات في الجوانب الأُخرى (الرياضية أو غنائية، أو خدمة المجتمع).

2- جاءت (8) تغريدات شعرية من إجمالي عشرة للشعراء، وجاءت تغريدة واحدة فقط اجتماعية، ورياضية، ولا توجد أي تغريدة دينية، أو إعلامية، أو علمية، أو سياسية، أو غنائية أو في خدمة المجتمع.

3- أما الأكاديميون فقد جاءت (6) تغريدات الأعلى إعلامية من إجمالي (11) تغريدة وأربعة اجتماعية وواحدة دينية، ولا توجد أي تغريدات شعرية أو علمية، أو رياضية، أو سياسية، أو غنائية، أو في خدمة المجتمع.

4- فيما يتعلق بالمغردين من الأُسرة الحاكمة، فإن أعلى تغريدات جاءت في مجال خدمة المجتمع بواقع (18) تغريدة من واقع (80) تغريدة، وجاءت في المرتبة الثانية التغريدات السياسية بواقع (16) تغريدة، وثمّ العلمية بواقع (13) تغريدة، فالدينية (10) تغريدات، فالاجتماعية (8) تغريدات، فالشعرية (4) تغريدات، فالغنائية (3) تغريدات، ولا وجود لأي تغريدات إعلامية. ويُلاحظ هنا التوزيع المُتعدد لهذه الشخصية.

5- جاءت (35) تغريدة سياسية من إجمالي (90) تغريدة للشخصيات الإعلامية، وبعدها (26) تغريدة اجتماعية، فعشرة تغريدات علمية، و(9) دينية، و(4) رياضية، ثمّ (3) إعلامية، ولا توجد أي تغريدة شعرية أو غنائية.

6- أما الشخصية الاجتماعية، فقد جاءت أغلب تغريداتها اجتماعية بواقع (11) تغريدة من إجمالي (20) تغريدة، وبعدها التغريدة السياسية بواقع (4) تغريدات فالدينية، والشعرية، والعلمية بواقع تغريدة واحدة لكل منهم، ولا يوجد أي تغريدة إعلامية، أو رياضية، أو غنائية.

7- أما الشخصيات السياسية، فقد جاءت غالبية تغريداتهم سياسية أيضاً وبواقع (69) تغريدة من إجمالي (90) تغريدة، وبعدها جاءت التغريدة الدينية بواقع (14) تغريدة، فالاجتماعية بواقع (5) تغريدات، وتغريدة واحدة علمية ورياضية، ولا توجد أي تغريدات شعرية، أو إعلامية أو غنائية أو في خدمة المجتمع.

8- وقد جاءت (14) تغريدة علمية وفي المرتبة الأولى من إجمالي (20) تغريدة من الشخصيات الأكاديمية الدينية، وجاءت (5) تغريدات دينية، بمقابل واحدة فقط شعرية. ولا يوجد أي تغريدة اجتماعية، أو إعلامية أو رياضية، أو سياسية، أو غنائية، أو في خدمة المجتمع.

9- أما الشخصيات الإعلامية السياسية، فجاءت (18) تغريدة من واقع (20) تغريدة في المجال السياسي، وتغريدتين في المجال الاجتماعي، ولا يوجد أي تغريدات دينية، أو شعرية، أو اجتماعية، أو إعلامية، أو رياضية، أو غنائية، أو في خدمة المجتمع.

10- أما الممثلون، فجاءت عدد تغريداتهم (10)، وجاء (4) منها اجتماعية، و(4) في خدمة المجتمع، وتغريدة واحدة دينية، وأُخرى غنائية، ولا وجود لتغريدات شعرية، أو إعلامية، أو علمية، أو رياضية، أو سياسية.

11- ولقد جاءت (22) تغريدة سياسية من إجمالي (40) تغريدة للشخصية الرياضية، وجاءت (5) تغريدات دينية، ومثلها شعرية، وأُخرى سياسية، وتغريدتين اجتماعية، وواحدة غنائية بينما لا وجود لأي تغريدة إعلامية أو علمية أو في خدمة المجتمع.

12- أما المطربين، فقد جاءت (5) تغريدات اجتماعية، و(5) غنائية، و(4) دينية، و(3) شعرية، وأُخرى سياسية، ولا وجود لأي تغريدة إعلامية أو علمية، أو رياضية، أو في خدمة المجتمع.

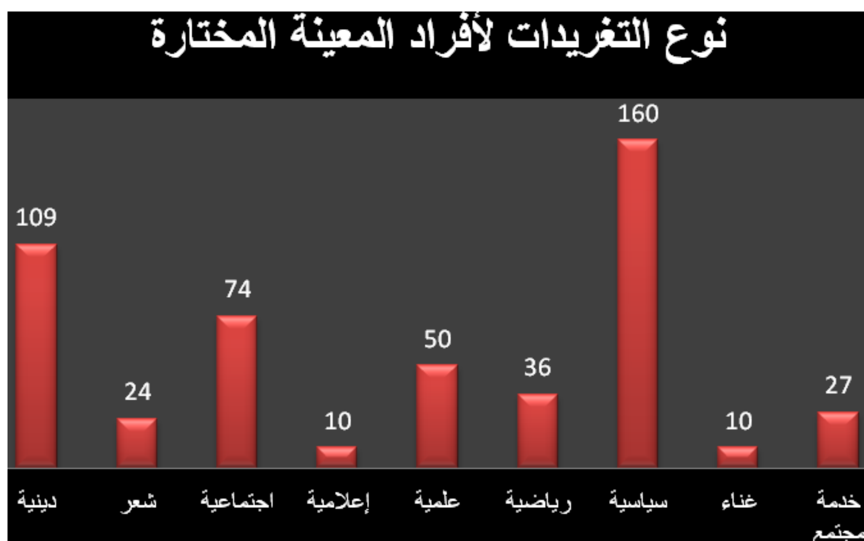
هـ- المحتوى الثقافي للتغريدات:

وفي النظر بالمحتوى الثقافي للتغريدات من أفراد العينة المختارة، فإن الجدول (4) والشكل (3) يوضحان ذلك.

جدول (4) يوضح نوع التغريدات لأفراد المعينة المختارة

التغريدة	دينية	شعر	اجتماعية	إعلامية	علمية	رياضية	سياسية	غناء	خدمة مجتمع	المجموع
الأولى	10	2	11	1	6	4	13	1	2	50
الثانية	11	3	5	2	5	4	14	2	4	50
الثالثة	12	1	9	0	4	3	15	2	4	50
الرابعة	14	3	4	2	5	2	17	1	2	50
الخامسة	15	3	4	1	6	3	16	1	1	50
السادسة	8	0	10	1	3	4	20	2	2	50
السابعة	10	5	6	0	6	4	17	0	2	50
الثامنة	6	3	13	1	5	2	17	0	3	50
التاسعة	12	3	6	1	6	5	14	0	3	50
العاشرة	11	1	6	1	4	5	17	1	4	50
المجموع	109	24	74	10	50	36	160	10	27	500

شكل (3) يوضح نوع التغريدات لأفراد المعينة المختارة



يلاحظ أن نصيب التغريدات السياسية هو الأعلى وبواقع (160) تغريدة من إجمالي (500) تغريدة لأفراد العينة المختارة، وتحتل بعدها التغريدات الدينية بواقع (109) تغريدة، وتحتل

التغريدات الاجتماعية في المرتبة الثالثة، أما المرتبة الرابعة فجاءت من نصيب التغريدات العلمية، بينما جاءت التغريدات الإعلامية والغنائية في المرتبة الأخيرة وبواقع (10) تغريدات سبقتها التغريدات الشعرية التي بلغت (24) تغريدة، وقبلها التغريدات الرياضية بواقع (36) تغريدة، وخدمة المجتمع بواقع (27) تغريدة.

و- نوع التغريدة وتركزها بدول الخليج:

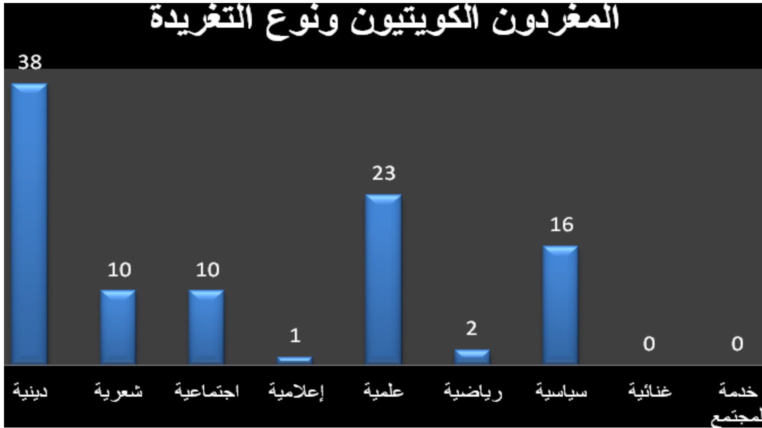
ولكن أين تذكر هذه التغريدات إذا تمّ ربطها بالبلد الخليجي وتوزيعها فيها. يتضح من الأشكال الآتية أن هناك فروقاً نوعاً ما في نوع التغريدة الأكثر تداولاً بواسطة أفراد العينة من المغردين الأعلى متابعة. والجدول (5) يوضح نوع التغريدة وتكرارها حسب البلد الخليجي لأفراد العينة البحثية. وكذلك الأشكال من (4) إلى (8) توضح النسب المئوية لكل بلد على حدة، وبشكل منفصل عن الآخر.

جدول (5) نوع التغريدة وتكرارها حسب البلد لأفراد العينة

م	نوع التغريدة/رقمها	الكويت	البحرين	السعودية	قطر	الإمارات	المجموع
1	دينية	38	14	37	11	9	109
2	شعرية	10	0	8	3	3	24
3	اجتماعية	10	2	25	25	12	74
4	إعلامية	1	0	6	2	1	10
5	علمية	23	3	5	5	14	50
6	رياضية	2	0	8	11	15	36
7	سياسية	16	80	5	39	20	160
8	غنائية	0	1	1	0	8	10
9	خدمة المجتمع	0	0	5	4	18	27
	المجموع	100	100	100	100	100	500

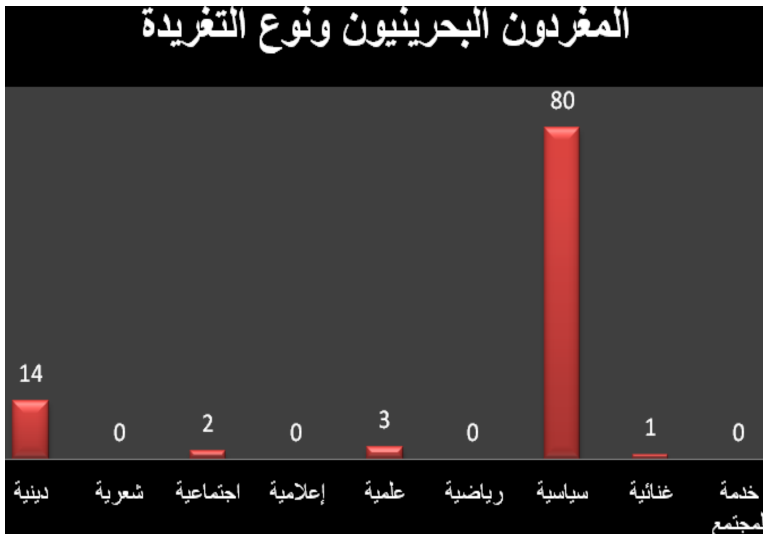
ففي الكويت كما هو واضح بالشكل (4) يتضح أن التغريدة الدينية هي الأعلى وبنسبة (38%) من إجمالي التغريدات، وتأتي التغريدات العلمية بالمرحلة الثانية بنسبة (23%)، فالتغريدات السياسية بنسبة (16%) فالاجتماعية والشعرية بنسبة (10%) لكل منهما، فالرياضية والإعلامية بنسبة (2%) و(1%) على التوالي، ولا وجود لأي تغريدة في خدمة المجتمع أو الغنائية.

شكل (4) يوضح المغردون الكويتيون ونوع التغريدة



أما مملكة البحرين، فالشكل (5) يوضح منظوراً مختلفاً في اتجاه التغريدات. فتحتل التغريدات السياسية الدرجة الأولى وبصورة كبيرة جداً بحيث تحتل (80%) من إجمالي الدرجات، وهي نسبة كبيرة جداً، وجاءت التغريدات الدينية ثانياً وبنسبة (14%)، ونسب متواضعة جداً للتغريدات العلمية (3%) والاجتماعية (2%)، فالغنائية (1%)، ولا وجود لأي تغريدة إعلامية أو في خدمة المجتمع.

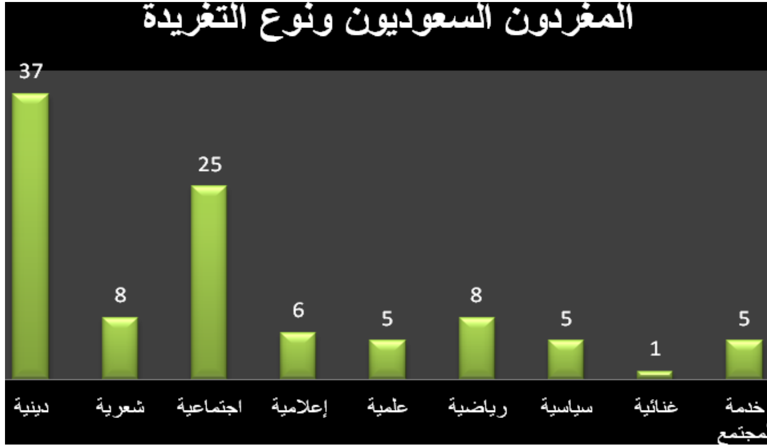
شكل (5) يوضح المغردون البحرينيون ونوع التغريدة



وفي المملكة العربية السعودية، فإن (37%) من التغريدات كما يوضحها الشكل (6) جاءت دينية، وهي الأعلى، ومن ثمّ جاءت التغريدات الاجتماعية بواقع (25%)، فالتغريدات الدينية

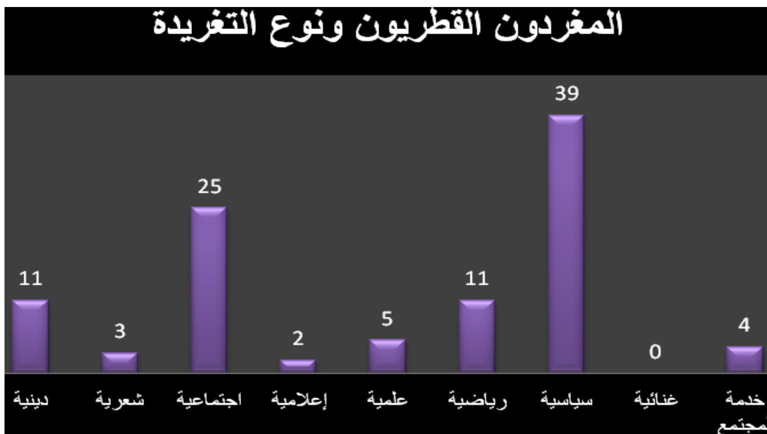
والاجتماعية احتلت الأعلى وبواقع (62%)، وتوزعت بقية التغريدات بين الرياضية والشعرية بواقع (8%) لكل منهما، فالإعلامية (6%)، والعلمية، والسياسية، وخدمة المجتمع (5%) لكل منهم، وأخيرا الغنائية (1%).

شكل (6) يوضح المغردون السعوديون ونوع التغريدة



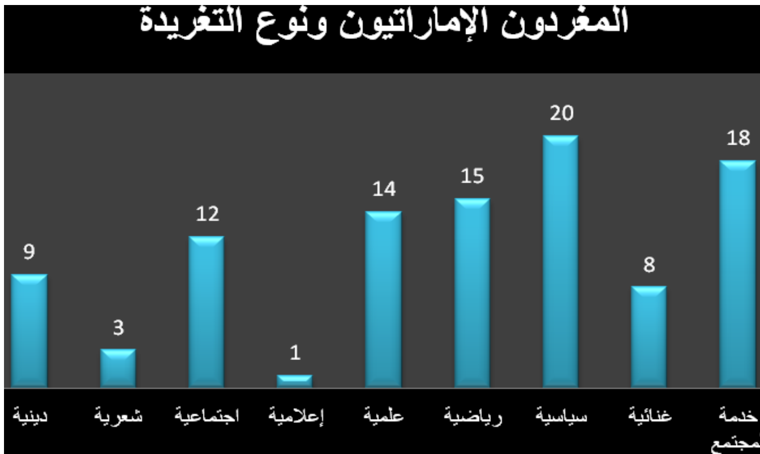
أما في دولة قطر، فيوضح الشكل (7) أن التغريدات السياسية (39%)، وجاءت التغريدات الاجتماعية بواقع (25%)، فالتغريدات الرياضية والدينية بواقع (11%) لكل منهما، وتشتت التغريدات العلمية بواقع (5%)، فخدمة المجتمع (4%)، فالشعرية (3%)، فالإعلامية (2%)، ولا وجود إلى التغريدات الغنائية.

شكل (7) يوضح المغردون القطريون ونوع التغريدة



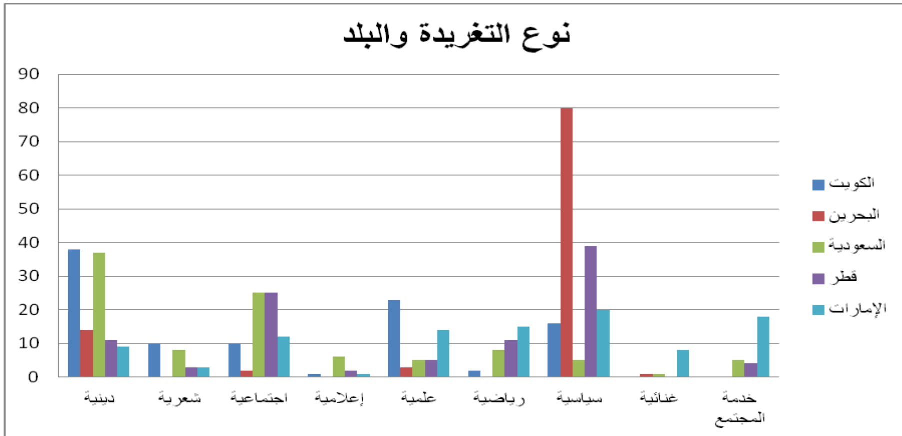
وجاءت التغريدات الأكثر بين المغردون الإماراتيون بشكل مختلف نوعاً ما كما يوضحها الشكل (8). فجاءت التغريدات السياسية (20%)، ومن ثمّ جاءت التغريدات الخاصة بخدمة المجتمع بواقع (18%)، وهي التي تُعتبر الأولى بالنسبة للتغريدات الأُخرى في بقية الدول، ومن ثمّ جاءت التغريدات الرياضية بواقع (15%)، فالعلمية (14%)، فالدينية (9%)، فالغنائية (8%)، وأخيراً الشعرية (3%)، فالإعلامية (1%).

شكل (8) يوضح المغردون الإماراتيون ونوع التغريدة



والشكل (9) يوضح ملخصاً عاماً لنوع التغريدة والبلد الخليجي بحيث جاءت كالآتي:

شكل (9) يوضح نوع التغريدة والبلد



يتضح من الشكل (9) الآتي:

1- جاءت أعلى التغريدات الدينية في دولة الكويت ثمّ المملكة العربية السعودية وأقلها في دولة الإمارات العربية المتحدة.

2- جاءت أعلى التغريدات الاجتماعية في دولة قطر والمملكة العربية السعودية وأقلها في مملكة البحرين.

3- جاءت أعلى التغريدات الشعرية في دولة الكويت ثمّ المملكة العربية السعودية، وعدم وجود أي تغريدة في مملكة البحرين.

4- أعلى التغريدات الإعلامية في المملكة العربية السعودية، وعدم وجود أي تغريدة في مملكة البحرين.

5- جاءت أعلى التغريدات العلمية في دولة الكويت ثمّ دولة الإمارات العربية المتحدة، وأقلها في مملكة البحرين.

6- جاءت أعلى التغريدات الرياضية في دولة الإمارات العربية المتحدة ثمّ دولة قطر، ولا وجود لأي تغريدة في مملكة البحرين.

7- جاءت بالمرتبة الأولى للتغريدات السياسية في مملكة البحرين وبفارق كبير، تلتها دولة قطر، وآخرها المملكة العربية السعودية.

8- جاءت أعلى التغريدات الغنائية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ولا وجود لأي تغريدة في دولة الكويت ودولة قطر.

9- جاءت أعلى التغريدات في خدمة المجتمع في دولة الإمارات العربية المتحدة وبعدها المملكة العربية السعودية، ولا وجود لأي تغريدة في دولة الكويت ومملكة البحرين.

ي- إعادة التغريد:

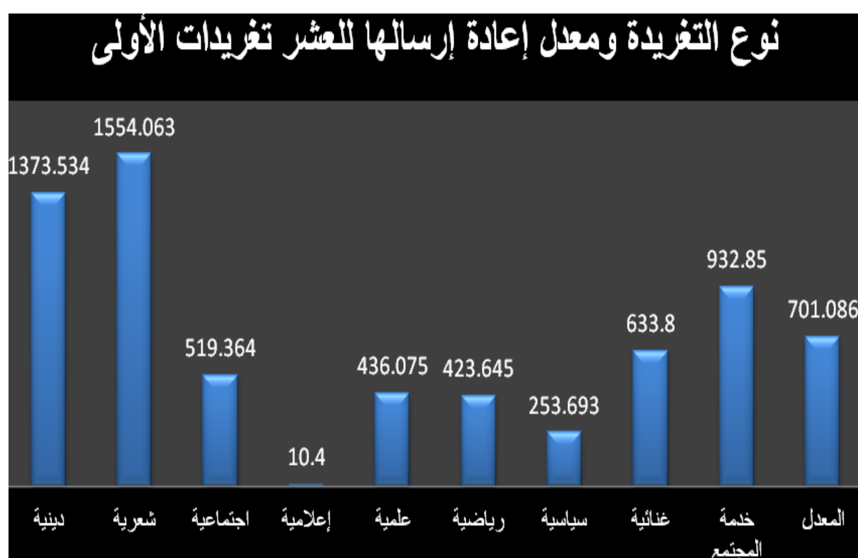
ولعل موضوع إعادة التغريد يُعد مؤشراً على مدى التفاعل مع التغريدة نفسها ونوعها. والتي تُعد أحد مؤشرات أهمية التغريدة بالنسبة لفئات المجتمع. ولقد تمّ حساب معدلات إعادة التغريدات بأنواعها المختلفة الدينية، والشعرية، والاجتماعية، والإعلامية وغيرها من التغريدات وأنواعها السابقة، والجدول (6) والشكل (10) يوضحان المعدل الخاص بنوع التغريدة المُعاد إرسالها.

جدول (6) يوضح نوع التغريدة ومعدل إعادة إرسالها للعشر تغريدات الأولى

م	نوع التغريدة/رقمها	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	المعدل
1	دينية	380	1413.45	1635.75	2756.43	1017.33	1535.50	1141.4	856.33	1707.33	1291.82	1373.534
2	شعرية	396.5	1256	1734	978	10.96.67	0	16.3.2	863.67	2099.33	5105	1554.063
3	اجتماعية	1119.55	60.60	287.44	443	11.25	876.6	805.8	854.23	365.67	369.5	519.364
4	إعلامية	6	17.5	0	4.5	13	5	0	24	18	16	10.4
5	علمية	90.33	15.4	17.75	67.6	1929.50	6.67	975.33	36	167.67	1054.5	436.075
6	رياضية	462	639	122	99	1445	425.75	497.5	179	239.4	127.8	423.645
7	سياسية	108.23	272.29	641	247.24	219.94	411.25	53.59	306.65	112.21	164.53	253.693
8	غنائية	20	28	268.5	5809	62	87.5	0	0	0	63	633.8

932.85	392.25	431.67	422.33	444.5	653	2401	178	3865.75	462	78	خدمة مجتمع	9
701.086	616.68	681.34	517.52	661.62	649.68	810.04	1084.18	1000.16	560	429.64	المعدل	

شكل (10) يوضح نوع التغريدة ومعدل إعادة إرسالها للعشر التغريدات الأولى



يتضح من الجدول (6) والشكل (10) إلى أنه أعلى معدلات إعادة التغريدات جاءت بشكل مختلف تماماً عن أكثر التغريدات المرسلة من قبل المغردين أو الشخصيات الأكثر متابعة. فقد احتلت التغريدة الشعرية أعلى معدلاً في إعادة الإرسال وبواقع (1554,063) على الرغم من أن التغريدة الشعرية أساساً جاءت في الترتيب قبل الأخير من حيث عددها البالغ (24) تغريدة فقط (أنظر شكل). فعلى الرغم من قلة عدد التغريدات الشعرية التي جاءت من أفراد العينة، والتي بلغت (24) تغريدة فقط، إلا أنها تُعتبر المُعدل الأعلى في إعادة التغريد. وقد جاءت التغريدة الدينية في المعدل الثاني بواقع (1373,534)، فالتغريدة الخاصة بخدمة المجتمع بواقع (932,85)، فالغنائية بواقع (633,8)، وبعدها التغريدة الاجتماعية بواقع (519,364)، فالتغريدة العلمية بواقع (436,075)، فالرياضية (423,645)، وبعدها وفي مركز متأخر التغريدة السياسية

بواقع (253,693)، وآخرها الإعلامية بواقع (10,4) فقط. فالتغريدة السياسية احتلت المرتبة الأولى في عدد التغريدات، وقد احتلت المرتبة قبل الأخيرة في إعادة الإرسال.

7. الخاتمة:

مما سبق، من الممكن أن يتم الإشارة إلى الآتي:

-إن المحتوى الثقافي في وسائل التواصل الاجتماعي بشكل عام، وفي تويتر بشكل خاص لا يعتبر ناضجا إلى الآن، فهناك ندرة في استخدام وسائل التواصل الاجتماعية الأكثر فعالية في النشر المعلوماتي، وكثافة في التواصل الترفيهي بشكل أكبر.

-من الواضح أن دور المرأة ومشاركتها محدود في المحتوى الثقافي، وفي تويتر على وجه الخصوص، فإسهامها غير مؤثر بشكل عام بالمقارنة بالرجل في المجتمع الخليجي.

-تبادل القضايا العلمية والأكاديمية يعتبر محدودا في تويتر، ولا يتوافق مع حجم الاستخدام أو عدد التغريدات أو ما يعرض في الموقع.

-أكثر المحتوى الثقافي المتداول في تويتر أكثر وسيلة تفاعلية مستخدمة هو المحتوى السياسي والديني، مع تفاوت في تناول هذا المحتوي بين الأقطار المختلفة، وغلبة المحتوى الديني على الجانب العام لكافة الدول.

-هناك مؤشرات إلى أن الجانب الخاص بالشعر من الممكن أن يكون له تأثير، إلا أنه ليس من باب اهتمام عام في تويتر تحديدا.

-تعتبر الشخصيات الإعلامية الأكثر تواجدا بين الفئات الأكثر متابعة، إلا أن أقل مجال هو المجال الإعلامي في المحتوى.

-هناك خصوصية في كل بلد خليجي كل على حدة في نوع التغريديات المرسلة من المغردين الأكثر تأثيرا، وهي مرتبطة بشكل عام بطبيعة كل مجتمع دون الآخر.

-بعض التغيردات وانتشار أو إعادة إرسالها ارتبطت بأوضاع آنية مثل تلك التي ارتبطت بالقضايا الرياضية والتي جاءت الأعلى عند دولة الإمارات العربية المتحدة وقطر وذلك لتزامنها مع فترة إقامة مباريات كأس آسيا. فالمحتوى الثقافي متأثر ببعض المتغيرات الآنية.

-المحتوى الثقافي قليلا ما يخرج عن مائة وأربعين حرفا دون تجاوزهما بنقل معرفي آخر مصور أو كتابي على الرغم من إتاحة تويتر بموقعه هذه الميزة.

قائمة المراجع:

1. آل نهيان، شما بنت محمد بن خالد (2013)، التنمية الثقافية وتعزيز الهوية الوطنية: دراسة ميدانية على مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة. القاهرة: دار العين للنشر.

2. الجابري، محمد عابد (د.ت)، التنمية الثقافية شرط أساسي للتنمية البشرية. مجلة المجلة، نقلا عن موقع: معهد الإمام الشيرازي للدراسات، واشنطن، استرجعت بتاريخ 23 فبراير 2019 من http://www.siironline.org/alabwab/derasat(01)/425.htm

3. الحمادي، خالد حمد (2017)، إسهامات منصات التواصل في المجال الأمني. مجلة الفكر الشرطي، مركز بحوث الشرطة، 26(100): 51-19.

4. دراسة تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الأمن الوطني في المجتمع الكويتي. دراسة غير منشورة معدة لجهاز الأمن الوطني، 2019.
5. الدوي، إبراهيم أحمد (د.ت)، شبكات التواصل الاجتماعي، رئيس مركز البحوث والمعلومات، المنظمة العربية للهلال والصليب الأحمر http://arabrcrc.org/submenu/Publications/. 2. تقرير التنمية البشرية (1996). برنامج الأمم المتحدة الانمائي.
6. الطراح، علي (1998)، أبعاد وأزمة التنمية في المجتمع النفطي : المثال الكويتي. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 62: 8-27 .
7. الطويل، رواء زكي يونس (2013)، التنمية الثقافية في الوطن العربي: التنمية الثقافية والنظام السياسي العربي. التنمية الثقافية في الوطن العربي، مركز الدراسات الإقليمية.
8. القحص، خالد والكندري، يعقوب يوسف (2015)، الأهمية المعلوماتية لاستخدام تويتر: دراسة على عينة من أعضاء الهيئة التدريسية في الكويت. المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 132(33): 135-178.
9. الكندري، يعقوب يوسف (2019)، دور وسائل التواصل الاجتماعي في التنمية الثقافية والعمل الثقافي الخليجي المشترك. دراسة غير منشورة معدة إلى: الندوة الفكرية لإعادة صياغة الإستراتيجية الثقافية لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 3-8 مارس 2019، الكويت.
10. الكندري، يعقوب يوسف، والسجاري، مها مشاري، والعسلاوي، حمد عادل، والبالول، دلال خالد (2016)، استخدام شبكة التواصل الاجتماعي وأهميتها وعلاقة ذلك ببعض المتغيرات الاجتماعية: دراسة على عينة من الشباب في المجتمع الكويتي. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. الرسالة 441، الحولية 36.
11. محمود، حواس (2015)، التنمية الثقافية في العالم العربي. آراء حول الخليج، العدد 134.
12. Arab Social Media Report. 2015, Retrieved on Feb 23, 2019 on: https://www.slideshare.net/othmaneg/arab-social-media-report-first-report-2015
13. Danani, Aakansha (2018), Social Media Marketing and its Characteristics. Retrieved on Feb 23, 2019 on: https://blog.galaxyweblinks.com/social-media-marketing-and-its-characteristics/
14. Stout, Dustin (2018), Social Media Statistics 2018: What You Need to Know.
15. Tylor, E (1891). Primitive Culture. London: J Murray.

اللاتكافؤ الاجتماعي-الرقمي والتعليم عن بعد في الجزائر-حالة وصفية- ضمن أزمةcovide19

أ.حاكم مليكة، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر-عضوة بمخبر تطوير البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية-مولاي الطاهر-سعيدة-الجزائر

ملخص: يعد التعليم عن بعد، شكلا من أشكال استخدام الذكاء الاصطناعي المعتمد في العملية التعليمية، ضمن ضرورة المرحلة الصحية covide19، اعتمدت الجزائر بهياكلها التعليمية بالاعتماد على مثل هذا الاجراء، الذي تعدتها الدول الأجنبية بمراحل التعليم بالجامعي عن بعد بمنح شهادات وهياكل متخصصة لذلك الشأن. في الجزائر ضمن سياقات التطبيق المبدئي، يصطدم المتعلم والمعلم بالعوائق الهيكلية من جهة واللا-تكافؤ الرقمي من جهة أخرى، نظرا للتمايز الاجتماعي بين العينات الاجتماعية. لذا سنحاول في هذا المقال وبهذا الطرح لوضع حساس لم تتهيكل عليه العملية التعليمية بالجزائربعد، بالتساؤل التالي: هل تتجاوز العملية التعليمية عن بعد اللاتكافؤ التقليدي بالنسبة للمتعلم؟ بتحكيم المؤشرات السوسيو-مهنية (المستوى التعليمي، مكان الإقامة، المستوى الاقتصادي)، أو يعد مرحلة تزامنية للمؤسسة التعليمية بشروط المجتمع الآني-مجتمع المعرفة-.

الكلمات المفتاحية: التعليم عن بعد، اللاتكافؤ الرقمي، الذكاء الاصطناعي، التعليم الحضوري، التمايز الاجتماعي.

Digitalsocial inequality and distance educationin Algeria -A descriptive situation within a crisis-Covide19

Dr.Hakem Malika, Abou Bekr BelkaidUniversity, Tlemcen-Algeria

Abstract: Distance education is a for; of use of artificial intelligence adopted in the educational process, in the necessity of the health stage, Algeria has adopted its educational structures. By relying on technologies that foreign countries have prepared at a distance at the stages of university education by granting certificates and specialized structures elsewhere. Contexts of the initial application, the learner and the teacher come up against structural obstacle on the one hand and numerical inequalities, taking into account the social distinction between social

samples, Therefore, we will try in this article, and with this proposal, to put a sensitive position on which the educational process in Algeria does not depend. With the following question: Does the educational process go beyond traditional inequality for the learner? Judging the socio-professional indicators (level of education, residence, economic level) or is a synchronous step for the educational establishment under the conditions of immediate society-knowledge society-

Key words: Distance Education. Digital Inequality. Artificial Intelligence.Classic Education.Social Distinction**.**

مقدمة:

يعد التعليم عن بعد، شكلا من أشكال التعليم، الذي يصف مرحلة متقدمة في آليات التعليم وتلقين العلوم والمصادقة على الشهادات والخبرات، إذ تعتمده المؤسسات التكوينية (المدارس، الجامعات، مراكز التكوين، المؤسسات الكبرى...)في الدول الغربية بالأخص، إلا أن الوضع الصحي الحاليcovide19وما سببه من شلل في الحياة اليومية الاعتيادية، حتم على جميع الدول اعتماد هذا الشكل من التعليم، من أجل استكمال الموسم الدراسي والجامعي. ما حتم على الجزائر من خلال الهيئات التعليمية المسؤولة عن القطاع التربية وقطاع التعليم العالي، إلى التحول من التعليم الكلاسيكي(إلقاء وحضور الدروس في المدارس والجامعات)، نحو التعليم عن بعد، من خلال وضع الدروس على الخط، أو من خلال تقديم دروس في التلفزيونات، وغيرها من الوسائط التي يمكن استخدامها لإيصال الدروس والمحاضرات للطلبة والتلاميذ وبالأخص المقبلين على امتحانات نهاية السنة(BAC/BEM)، وخلال السنة الدراسية والجامعية للموسم الحالي2021/2020.

ومن جهة أخرى، في ارتباط التعليم بالسوسيولوجيا، نجد أن المتمدرس ضمن التعليم الكلاسيكي-الحضوري-يرتبط بمفاهيم تحليلية أساسية، المتمثلة بالأخص في التكافؤ في فرص النجاح تبعا للتكافؤ بين المتمدرسين-في وجهه النظري والمجرد- الذي يكون ممكنا، إلا أن ارتباطات هذا المتمدرس بمؤشرات سوسيو-مهنية متعددة ومتشعبة، تجعل من التكافؤ بينهم أمرا مستحيلا ميدانيا وذلك ما تقره النتائج، وما يؤكده بورديو بمفهومه الأساسي: التمايز الاجتماعي. هذا التمايز وعدم التكافؤ في التعليم الحضوري، فهل يمكن اختبار هذا المفهوم وشبكته المفاهيمية المتلازمة معه بنيويا ووظيفيا-(رأسمال الثقافي والاجتماعي، توريث المكانة، الأصل الاجتماعي) من حيث البنية الفعل والتحليل- في التعليم عن بعد؟ وهنا بالأخص-في الجزائر-أو أن لهذا الشكل الجديد تعديل على المفهوم المحوري لعدم التكافؤ في التعليم-المتمدرس-كون أن شروطه مختلفة شكليا عن التعليم الحضوري-(توفر الانترنت وجودة تدفقها، الفضاء الحضري الملائم لذلك).

من أجل كل هذا، نبحث في هذا المقال، عن احتمالات توافر اللاتكافؤ الاجتماعي-الرقمي كخاصية تعديلية على مفهوم اللاتكافؤ الاجتماعي في أطر المؤسسات التعليمية وبكل مستوياتها، بموجب ظهور التعليم عن بعد في الجزائر ضمن تداعيات الأزمة الصحيةcovide19.

1.إشكالية الدراسة:

إن العملية التعليمية، في التراث السوسيولوجي، ضمن التحليلات الخاصة بالتلقي وبالأخص الحراك المهني/الاجتماعي ونسب النجاح لدى التلاميذ والطلبة وارتباطه بالطبقة الاجتماعية (المستوى الاقتصادي والأصول الاجتماعية للمتعلم) عند **P. Bourdieu**، في طرحه القائم على **habitus** والتمايز الاجتماعي داخل المدرسة ما يحتم الاختلاف في التلقي والحراك أي اللا-تكافؤ في الفرص في التعلم والترقي.

إذ يمثل المقال:" اللاتكافؤ الاجتماعي-الرقمي والتعليم عن بعد في الجزائر-حالة وصفية ضمن أزمةcovide19 - "محاولة بحثية، لاختبار افتراضية اللاتكافؤ في الفرص للتعليم أو ما يسميه Pascal Plantardاللاتكافؤ الرقمي في التعلم، الذي يواكب التحول في التعليم. إلا أن العامل المشترك بين التعليم الكلاسيكي والتعليم الرقمي هو الوضع الاقتصادي والفضاء الذي ينتمي إليه المتعلم ورؤوس الأموال-الثقافية –التي يكتسبها كقاعدة له، ما دفعني لطرح السؤال التالي:

هل تلغ العملية التعليمية عن بعد اللاتكافؤ التقليدي بين المتعلمين؟

الفرضيات:

1-يعد التعليم عن بعد استراتيجية لتزامنية المنظومة التعليمية مع مستجدات المجتمع المعلوماتي-الرقمي-داخل المجتمع الجزائري.

2-يوسع التعليم عن بعد اللاتكافؤ الاجتماعي في التعليم ما بين العينات الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري باللاتكافؤ الرقمي.

مؤشرات الدراسة:

المستوى التعليمي، مكان الإقامة، المستوى الاقتصادي.

أهداف الدراسة:

-التأصيل السوسيولوجي للعملية التعليمية عن بعد في الجامعات الجزائرية بالأخص.

-تحليل الوضع الفعلي للتعليم عن بعد في المؤسسات التعليمية بالأخص الجامعات.

-محاولة التأصيل للاتكافؤ الرقمي-الاجتماعي للمتعلم والمعلم في الحقل السوسيولوجي المحلي-الجزائر-.

-معرفة درجة نضج التعليم عن بعد في المؤسسات التعليمة وتأثيراته على العملية التعليمية

منهج الدراسة:

المنهج الاستفهامي-الفهمي-Méthode compréhensive،الذي يمكننا فيه التركيب بين مجموعة متعددة من المقاربات والمناهج الفرعية والأدوات بشرط اكتساب الباحث للفقه العام عن الموضوع(Jacques Herman,1983)، حيث تندرج ضمن الدراسات الكيفية.

أدوات الدراسة:

اعتمدت على تقنية المقابلة الحرة مع الأساتذة،كما الاستفادة من المعرفة الذاتية، بحسب تأكيد Pierre BourdieuMax Weber,, Jacques Harman أنه يمكن الاعتماد على المعرفة الذاتية كونها تمكن الباحث وبالأخص حين انتماءه لنفس حقل البحث، وتحويلها إلى معرفة موضوعية مصاغة بأساليب ممنهجة، المنهج الاستفهاميMéthode compréhensive،من الفعل الملاحظ (fait observé) نحو الفعل المجرد (fait conquit)، Jacques Herman,1983)، بالإضافة إلى الملاحظة المتعلقة بسير التعليم عن بعد بالنسبة للأساتذة واقبال الطلبة على هذه الدروس، إضافة إلى كل ما يتعلق بالعمليات التكنولوجية واستخداماتها، نظرا للظروف الحالية التي تحول دون إجراء بحث موسع وكذلك هذا الإجراء لازال في مرحلته الأولية ولم يرس بعد كتحول نهائي في المنظومة التعليمية، وإنما هو مجرد محاولة للبث في الإشكاليات المتعلقة بالتعليم في هذه المرحلة الحساسة-الوباء-.

1.1 المقاربات النظرية لموضوع الدراسة:

1.1.1التحول الاجتماعي-التحول التكنولوجي-:ضمن هذه المقاربة يعد التعليم عن بعد حالة واصفة للتحول التكنولوجي المدخلة على المنظومة التعليمية ضمن مرحلة الوباء ودونه، حيث يمكن الاعتماد على كون التعليم عن بعد، هو كل تعليم من خلال الاعتماد على روابط معلوماتية دون المعلومات المكتسبة في الصفوف التقليدية للتعليم، المصنف ضمن **مفهوم أعم وهو الذكاء الاصطناعي**. الذي يصف **المجتمع الآني-بالمجتمع المعلوماتي-**. حيث يعد التحول الاجتماعي الإطار المفاهيمي لما يحدث في المجتمع،لذا يمكن التأسيس عموما على**P. Plantard.**

2.1.1 مقاربة التمايز الاجتماعي: يمكن تحليل موضوع التعليم عن بعد ضمن هذه المقاربة، كونها من بين المقاربات التي أسس عليها P. Bourdieuالفوارق والتمايز داخل المجتمع بصفة عامة وضمن المدرسة وكيفية تلقي والحراك-النجاح- في اطارها، بفعل التمايز بين المتمدرسين (الأصول الاجتماعية) وبمفهوم اجرائي رؤوس الأموال الاقتصادية والثقافية، بالإضافة للعودة

إلى مفهوم الفضاء-الذي يقدم ضمن موضوع بحثنا، مجالا مهما في التحليل، ونقصد بذلك الفضاء الحضري-المجال الجغرافي والوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه المتعلم-للفرز بين المؤشرات المساهمة في التعلم عن بعد مابين العينات الاجتماعية بناء على رأسمال الاقتصادي والثقافي(مستوى التعليمي للوالدين ومهنهم).

3.1.1اللاتكافؤ في الفرص: هذه المقاربة هي مقاربة مكملة للمقاربة التمايز الاجتماعي بالنسبة لــــــ: Bourdieu والمتمثلة في نهاية تحليل المقاربة في habitus، وكذلك ضمن تحليل Boudon القائمة على عقلانية الأفراد وحساب المكتسبات ومن ثمة يكون اللاتكافؤ أما عقلنة الأفراد وعدم مخاطرتهم كون العملية التعليمية تكون مكلفة ماديا أو عكس ذلك والعودة الى المنهج الفرداني-الإبداعي في خلق الذات-ليكون لهذه المقاربة وجه أكثر حداثة فيما يخص التعليم عن بعد بالنسبة لـــــــPascal-Plantard، الذي يتحدث عن اللاتكافؤ الرقمي للمتعلم وبالأخص في مرحلة الحالية Covide19.

2.1 تحديد مفاهيم الدراسة:

-مجتمع المعلوماتknowledge society: "هو المجتمع الذي يراهن فيه على المعلومة كمورد للسلطة"(Cultures& conflits,2006)، وذلك راجع إلى تنمية السلطة الرابعة (الاعلام)، الذي يتدخل في تغيير مسارات المجتمع المعتمد منذ 1990ت، الذي يعد في العادة تصنيفا سياسيا ومعوضا لمصطلح مجتمع الاتصال(Philippe Breton,2015) ، أين يتموقع هذا المصطلح في وضعين غير متناقضين: **الأول**: يرتبط بالعلوم وبالأخص تلك المرتبطة بكل ما هو تقني، **الثاني:** المعارف العلمية التي تنتج بالمعلومات. لذلك يعتد في هذا التصنيف على التكنولوجيات المتعددة وبالأخص تلك التي ذات التطور الرقمي-المعلوماتي. الانترنت نموذج منفرد في توزيع المعلومات أو احتكارها من خلال الأنظمة الحماية للمعلومة.

هنا، نُفصِل أن المفاهيم اللاحقة هي عبارة عن مفاهيم نسقية توليدية عن المفهوم الكلي أو الإطار المفاهيمي القاعدي-مجتمع المعلومات-المعارف، التي يمكن جردها في: الذكاء الاصطناعي، التعليم عن بعد والتعليم عبر الخط.

-الذكاء الاصطناعيintelligence artificielle:هو مجموع النظريات والتقنيات المستخدمة والمنتجة للآلات القادرة على مماثلة للذكاء الإنساني(**www.larousse.Fr/encyclopidia**) ذلك ما يقدرهJohn Mac Cathy : **"هي كل نشاط احترافي يمكن اتمامه بكل دقة لتكون مماثلة بالآلة"**،الذي يتم تصنيفها الى الذكاء البسيط وآخر معقد. حيث يتم الاعتماد على الذكاء الاصطناعي البسيط وكل ما يتمحور حوله من تقنيات، في عمليات التعليم الذاتي إن صح الاصطلاح، أو حتى الجماعي المهيكل ضمن حدود مؤسسات فاعلة بذلك مثل المدارس والجامعات وحتى المؤسسات التي تفسح المجال للتكوين)،شريطة ألا تكون مستقلة عن الذكاء البشري ومنفصلة عنه،رغم تعقيدها النسبي فهي بسيطة،حيث يكون الذكاء الاصطناعي وسيط

لمحادثات وتبادلات بشرية بحسب التجربة الذي قدمها Alan Turing سنة 1950(Pierre De) Loor,2017.

-التعليم عن بعد: é-learning: هو الوسيلة المعتمدة في التكوين والمصادقة على الشهادات عن بعد، إذ تكون تعويضية عن عدم إمكانية التواجد الفعلي في مكان المخصص للتعلم (المدارس، الجامعات، مراكز التكوين أو التربص...) لمجموعة من الأشخاص ممن لا تؤهلهم الظروف للتواجد أو التنقل

(Duquesnoy Maxime, 2015)، إذ يمكن العودة الى الدروس الموضوعة في الحوامل المعلوماتية المربوطة بالأنترنت أو بدونها حيث يعتبر هذا الشكل من التعليم غير ضروري لتواجد الانترنت بشكل دائم ومستمر إلا ضمن حدود احتياجات المتعلم للتواصل المباشر أو التحميل للمعلومات أو البحث في المكتبات الافتراضية على الخط. ما يجعل المتعلم أكثر استقلالية في عملية التعلم واتساع دائرة الموارد المعلوماتية-أهمها الافتراضية-التي تمنح المتعلم زمن للتعلم غير محدود في حرية التوصل للمعارف دون قيود زمنية (Charles Crook et autres, 2004)**.**

-التعليم عبر الخطenseignement en ligne: يمثل التعليم عن بعد لكن بشكل مباشر عبر الخط أي باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وبالأخص ذات الامكانية للتواصل السمعي البصري مثل السكايب **Skype** أو الكاميرا المفتوحة**camera Open en ligne**. حيث يتم إلقاء الدروس، مناقشات، اجتماعات للطلبة بشكل انفرادي في منازلهم كأقل تقدير **e-earling at home.**التلازم مع التعليم عن بعد(Daniel Schneider et autres, 1999).

"إذ يشكل التعليم عبر الخط تعليم عن بعد مع استخدام فائق التكنولوجيات التواصل السمعي البصري(المرئي)، بتفعيل من برمجيات متطورة من الذكاء الاصطناعي المفعل بالأنترنت، المستخدم في حالات يمكن وصفها بالاستثنائية نظرا للظروف المتعلم المانعة للتنقل، أو ظروف عامة خاصة بوضع استثنائي للمجتمع أو الدولة أو الهيئة مثل المرحلة الحالية Covide19، التي الزمت الهيئات بها التعلم والتعليم، استكمال المهام بمثل هذا الإجراء"

-التحول الرقميDigital Transformation:هو الاستفادة من ثورة المعلومات والاتصالات وذلك باستثمارها في تقديم خدمات ومنتجات جديدة ومبتكرة او هو ذاك التغيير المرتبط بتطبيق تكنولوجيا الرقمية digital Transformationفي جميع الجوانب ما يسهل عمليات الخدمات والعائدات هنها، حيث يتم استخدامها في جميع المجالات الحياتية والعملية(Laure endrizzi,2012).

-اللاتكافؤ الرقميInégalité Numérique: وهو ذلك التمايز الموجود في الموارد التكنولوجية الرقمية بين مجموع العينات الاجتماعية من حيث الامتلاك لها أو من حيث التحكم فيها، ما يرتبط باللاتكافؤ الاقتصادي (المرتبط برؤوس الأموال الاقتصادية التي تمكن الأفراد

من اقتناءها) في التزامن مع اللاتكافؤ الثقافي او دون ذلك التزامن (التي ترتبط برؤوس الأموال الثقافية التي تمنح الافراد المقدرة بالتحكم في التكنولوجيات الحديثة لتفعيلها في العملية التعليمية)ما يبرر التمرير لهذا التمايز من اللاتكافؤ الاقتصادي والثقافي للمتعلم ضمن المنظومة التعليمية التقليدية نحو اللاتكافؤ الرقمي وفق ما يتلاءم مع التحولات التكنولوجية والرقمية المدخلة على المنظومة التعليمية(المكتبة الرقمية، التعليم عن بعد، وسائل التواصل المتطورة المرئية، التواصل بالأنترنت...)**(**Fabien Granjon, 2009) **.**

-رؤوس أموال المتعلمCapital economic et culturelle de L'apprenant:يشكل مجموعة الرموز والمهارات والقدرات السلوكية، الثقافية، اللغوية والمعاني التي تمثل الثقافة السائدة، وقد اختيرت لكونها قابلة لإعادة إنتاجها، استمراريتها، نقلها وتناقلها من خلال العملية التربوية. تهيئ الفرد على التفاعل مع المواقف، الأحداث. يوجد هذا رأسمال الثقافي في أشكال متنوعة حسب الطبقات الاجتماعية. إذيشير**"P. Bourdieu":"لا بد من التذكير بوجود رأسمال ثقافي وهذا الرأسمال يوفر أرباح مباشرة... وأرباح تمايز، والتي تنجم عن ندرته، أي واقع توزيعه غير المتساوي" (**Pierre Bourdieu, 1984**).**

فكل رأسمال في الفكر الماركسي-المادي-، هو علاقة اجتماعية، تخول سلطة ونفوذ ممارسة لمالكه(رأسمال)على المعدوم لديه أو فاقده**(**Karl Marx, 1965) **. ما** يخلق التمايز الاجتماعي بين المالك لرأسمال والفاقد له من جهة، وفي حال الرأسمال الثقافي والاقتصادي الذي يمنح المتعلم أولويات لمالك رأس المال في التحصيل والنجاح، مقابل تراجع في احتمالات النجاح.

حيث يشمل الرأسمال الثقافي ثلاثة أشكال:-رأسمال الثقافي-التربوي: هو الناشئ عن المؤهل العلمي.

-رأسمال الثقافي: المتمثل في الأشكال المجسدة للثقافة (المكتبات الخاصة، القواميس، الآلات الموسيقية، الترفيهية بوجهها الثقافي، حاليا التكنولوجيات والانترنت وكل البرمجيات التي تمكن صاحبها لذلك أي للتمايز عن غيرهم).

-رأسمال الثقافي-الموروث: هوالناشئ عن الموروث العائلة، مكانتها (التراث الثقافي، الوضع الثقافي، السلوكات...).

-الفضاء السكني:هو المجال الجغرافي الذي ينتمي إليه الأفراد بموجب اقامتهم فيه، سواء بشكل أصولي (ونقصد بذلك أنه الفضاء السكني الأصلي للأفراد)، أو الفضاء السكني بعد حراك الأفراد من مكان إلى مكان آخر. ليشكل الفضاء السكني بمختلف أشكاله (الانفصالات السكنية-مطابق للمستوى الاقتصادي للأفراد والثقافي لهم.)، المدن الكبرى، المجمعات السكنية الراقية، المجتمعات السكنية الشعبية، الأرياف، الدشرة، المدن الصحراوية، ...مؤشرا دالا على سرعة وجودة الاتصال الرقمي عبر شبكة الانترنت والوصول إلى المعلومات وتداولاتها. **(**Pascal plantard, 2020)

2.حول التعليم عن بعد: التعليم عن بعد يمثل "تقنية جديدة للتعليم

(Philippe Dessus et autres, 1997)،إذ يشكل أكثر القطاعات الجامعية وضمن القطاعات التعليمية الأخرى، تطورا. خاصة ضمن تطور الانترنت والفضاءات المشتغلة بها. حيث يمثل استراتيجية في النظام التربوي-التعليمي، لإخراجه من مجاله المكاني والزماني للمعلم والمتعلم، إذ يشكل تغير في الفضاءات المهيكلة للمنظومة التعليمية، تعديلات التي تدخل عليها، كنوع من التحيين للمنظومة التعليمية(Gilles Braun, 2020).حسب اليونسكو- Unesco- في تعريفها للتعليم عن بعد: **"عملية تربوية يتم فيها كل أو أغلب التدريس من شخص بعيد في المكان والزمان عن المتعلم، مع التأكيد على أن أغلب الاتصالات بين المعلمين والمتعلمين تتم من خلال وسيط معين سواء كان الكترونيا أو مطبوعا"**، أما الجمعية الامريكية للتعليم عن بعد:**"عملية اكتساب المعارف والمهارات بواسطة وسيط لنقل التعليم والمعلومات متضمن في ذلك جميع أنواع التكنولوجيا واشكال التعلم المختلفة للتعلم عن بعد"**، إذ يشكل ثورة الحديثة في الأساليب وتقنيات التعليم، التي سخرت ما توصلت اليه التقنية من أجهزة وبرامج في العملية التعليمية، بدء من استخدام الوسائط المتعددة في عمليات التعليم الصحفي، التعليم الذاتي والمدارس الذكية والفصول الافتراضية التي تتيح للطلبة، الحضور والتفاعل مع المحاضرات وندوات تقام في الدول الأخرى عبر التقنيات كالأنترنت، التلفاز التفاعلي.(بوعنانة سعاد واخرون، 2012). وذلك راجع إلى أن القطاع يعمل على هيكلة مؤسساته وفق ما يتلاءم مع المجتمع المستحدث: **"يشكل استحداث المؤسسة التربوية بأهدافها الآنية وفق شروط مشروع المجتمع المستحدث والمنفتح على النسيج الثقافي المتعدد"**(Lamria Chetouani, 2001)، من التعليم الخاص مرورا إلى التعديلات الرقمية والتكنولوجية المدخلة على هياكل التعليم التي تمنح السلاسة وتوفر المعلومات، كونها ثورة مدرجة على كل القطاعات، التي يصطلح عليه في الجزائر برقمنة القطاعات، حسب ما يشير إليهRay Oldenburg

.(Christine Liefooghe, 2017)

1.2نظريات تحليل التعليم عن بعد:

1.1.2نظرية التعليم: المتمثلة فيما يسمى بـ ــــــCHALK and Talk التي تهتم بالوسائل المتاحة والمتدخلة في عملية التعليم عن بعد، والتي من خلالها تمكن التواصل بها وعبورا لها، حيث يتم استخدام الوسائل الإعلامية والالكترونية لإتمام هذه العملية، التي تقوم دائما على نظام رمزي، يعمل بضرورة تفكيكه بين المعلم والمتعلم. لذا **فغياب المعلم**تقدم تعبيرا واضحا في كلمة "عن بعد"، a distance أين يعتبرا طرفي العملية التعليمية غير موجودين ضمن نطاق فعلي،**بل عبر وسيط تكنولوجي اتصالي**، يملك الامكانية لتحقيق العملية التعليمية. فهو انتقال من الحضور الاجتماعي presence social نحو الحضور الافتراضيPresence virtuel . (Phillipe Dessus et autres, 1997).

2.1.2نظرية التعلم: فيها يتم تحويل الاهتمام من التعليم واستمرارية العملية البيداغوجية، إلى تحليل المحتوى واستيعاب المتعلم للمعارف، لتقوم العملية على:

-الحوار، -التعلم الذاتي للمتعلم، -رد فعل تجاه المسافة الفاصلة بين المعلم والمتعلم. لذا فالفاعلية ترتبط بالمواضيع والأهداف البيداغوجية للبرامج واستراتيجيات التعليم بالمناهج المعدة لذلك الغرض، مع تكييفها مع الاحتياجات الفردية للمتعلم بخصوصية السياق التعلم.(Phillipe Dessus et autres, 1997).

*بالإضافةإلى المقارباتالسابقة، سأعتمد أيضا على النظرية الخاصة بالتعليم.

3. التعليم عن بعد ضمن مرحلة Covide19 في الجزائر:

1.3جاهزية الهياكل التعليمية:يمثل التعليم عن بعد في الجامعة الجزائرية، بتوفيق المحاضرات الكلاسيكية ضمن السند البيداغوجي عبر الخط، كتوثيق له، في الروابط –المواقع الجامعية الرسمية./DZ. وذلك من أجل التثبيت النوعي للدروس التي يتم به المصادقة عليها من المجالس العلمية لضمان جودتها وملاءمتها مع المعايير الدولية، في مقابل توفير العدد الكافي لإنقاص الضغط المتمدرسين.

-نظرا لمساحة الجزائر الكبيرة، يعد التعليم عن بعد/التكنولوجي، بديلا هاما على المدى المتوسط والبعيد للتعليم الكلاسيكي، لذافهناك تجارب عديدة في مجال المدرسة المتوسطة والثانوية، على سبيل القناة التي تم تخصيصها للتلاميذ والطلبة، للدروس من الأساتذة للطلبة سنة 4 متوسط وسنة 3 ثانوي، في المواد الأساسية حسب التخصصات.وكذا تجربة L'EEPAD مع استحداث خدمة نظام مستحدث للتعليم Triptyque، الذي تحتوي على 300 درس و3000 تمرين مع الحل والشروح، مع إمكانية التواصل والاطلاع من الاولياء كما يمكن تسجيل الدخول من أي مكان (عكنوش نبيل واخرون، 2016).

يتم البث في التعليم عن بعد، كونه جزء من اهتمامات السياسة العمومية نسبيا للمدرسة، من حيث التجهيزات الخاصة بمثل هذا الفرع الاستراتيجي للتعلم ضمن المدارس والجامعات. حيث يؤسس التحيين نحو التعليم عن بعد، بحاجة فعلية للهياكل التعليمية، التي تخول، المنتسبين لمثل هذا الفرع الى الدخول ضمن هذه المرحلة من التعليم عن بعد(Duquesnoy Maxime, 2015)**.**كونها تقوم بتمرير المجتمع إلى هيكلة جديدة لاستحداث المدرسة بفعل تضمين أهداف مستجدة تلاؤم مشروع الانخراط في المجتمع الحداثي ما بين التعليم الخاص والتوافق الرقمي للتعليم (Zohra hassani, 2013)، التي تتفرع فيها هذه الجاهزية إلى:

-المعلمين: اعتماد المعلمين والأساتذة في تحضريهم وإعداد الدروس وبالأخص المسؤولون على الطلبة المقبلون على الشهادة المتوسط والثانوي، على أدنى حد من الإمكانيات وهي الانترنت

لإمكانية وضع الدروس على الخط، ورقمنة القطاع التي تم السير فيها كاستراتيجية مسبقة قبل الوضع الصحي الناتج عن Covide19

-المتعلمين: وهو حال المتعلمون بالمثل، الإمكانيات المتوفرة لهم هي الحد الأدنى مما يمكنهم للوصل الى الدروس، بالأخص الانترنت للدخول الى اليوتيوب للحصول على الدروس، او بعض المعلومات الشارحة للدروس عبر التلفاز.

-الوسائط التعليمية: لقد سبق الذكر أن القطاع عمل على إدراج كل ما يمكن استغلاله من تكنولوجيات في التعليم، كذا الانترنت وقد تم مؤخرا إطلاق قناة **"العلم والمعرفة الموضوعاتية" يوم 19 ماي 2020 عيد الطالب**، عبر التلفاز وكذلك متاحة على اليوتيوب YouTube(الإذاعة الجزائرية، 2020/5/18)، كما يتوفر أيضا البرنامج التعليمي **"مفاتيح النجاح"** الذي قدمته كل من زوارة التربية ووزارة الاتصال، وذلك نظرا لمرحلة الحجر الصحي الذي تمر به القطاعات التربوية والتعليمية. وكذلك منصة ONEFD(منصة المكتب الوطني للتعليم والتدريب الجزائرية) (Le Matin, 7/6/2020).

-رغم أن أيضا الجزائريون يملكون حوالي 48مليون هاتف ذكي مرفوق بالأنترنت وكذا نحو 22 مليون حساب Face book(المقدم زيغد عبد القادر، 2020/6/7). ذلك ما يؤكده **"محمد أنور بن عبد الواحد"**، أن اتصالات الجزائر تستغل حوالي 172.000كلم من الألياف البصرية. وتعمل على استغلال المساحة المتبقية لتحسين من خدماتها من الانترنت مابين 2020 حتى نحو 2024، معالإشارة البالضغط على الانترنت في مرحلة الحجر مما جعل الخدمة المتوفرة بشكل ممتاز وكذا لكل الزبائن في نفس الوقت، كما ستعمل أيضا على تخفيض سعر الانترنت، حتى يكون في متناول كل الزبائن، وتطوير القطاع سيمكنه في 2022 إلى الوصول 7ملايين منزل ملحق بالأنترنت الثابت.(وكالة الانباء الجزائرية، 2020/5/6/5)

كما توفر الآن منصة **"مُعلم": أرضية رقمية للمراجعة لتلاميذ البيام والباك**، إذ يشير **"سعيد باباسي-مؤسس الأرضية -"**، تعمل هذه الأرضية على تقديم الدروس وفق الشروط البيداغوجية كما أنها تراعي المجانية للدخول اليها من قبل التلاميذ. مع العلم أنها أسست من أجل إجراء مسابقات تحفيزية للتلاميذ من أجل المراجعة، مع بعض الهدايا الرمزية، في إطار هذه العملية تم **تسجيل نحو120 تلميذ**، في ظرف الأسبوع الأول من التأسيس، **60 تسجيل من الجزائر العاصمة، في مقابل** 60 المتبقية من باقي الجزائر.(سعيد باباسي، 2020/6/11).

إلا أن تجربة الجزائر تبقى ابتدائية، كون ان هذا الإجراء الخاص بالتعليم عن بعد يحتاج الى استمرارية في الإمكانيات التكنولوجية دون انقطاع أو تذبذب، في مقابل الامكانية الخاصة بالمؤطرين للعملية (المعلمون، أساتذة..) وكذا المستهدفون لها (المتمدرسون-المتعلمون بكل درجاتهم)ذلك ما يؤكده السيد "سمير زنوش"، ان محاولة الجزائر تبقى محتشمة في هذا المجال لكن بنيوية بالنسبة لهذا التحول الآني وللظرف الحالي.(سمير زنوش، 2020/6/7).

2.3 فعالية التعليم عن بعد:يمنح التعليم عن بعد من خلال الوسائط التكنولوجية المتطورة، فرصة دوران المعارف **circulation du connaissance من** خلال فتح مجال لمناقشة بين المتعلمين والمعلمين، بشكل واسع وغير محدد في جماعة محصورة بمكان وزمان محددين، بل بسيولة الموارد التعلمية، كما ويعد المجال غير المحدد والمقيد للتعلم، فرصة للتعلم حسب الرزنامة المناسبة للمتعلم. هذا من جانب، ومن الجانب الاخر، يقدم ديمومة تدفق المعلومات كونها ذات مرجعية رقمية، يمكن استرجاع المعلومات وتوزيعها، متى دعت الضرورة لذلك، ففعالية هذا الإجراء، تستدعي أيضا المعرفة المكتسبة حول التكنولوجيات المستخدمة وحول التعليم الرقمي(François Bocquet et autres, 2014**).**

4.التعليم عن بعد والتمايز الرقمي في العملية التعليمية :

1.4.التمايز الاجتماعي والتمايز الرقمي للمتعلم:بالنسبة لـ **ـــــــKevin Bossuet**أن التعليم عن بعد لا يكشف فقط عن عدم المساواة فقط بل يضخمها أيضا بشكل واضح ضمن مرحلةCovide19(Kevin Bossuet, 2020)، ذلك راجع إلى الكفاءات والمهارات في استخدام**TIC**التي تزيد من امتيازات مكتسبيها في ذاتية التعلم**autonomie**والمقدرة المعرفية أو الفعاليات العقلانية، ما خلق انفصالات رقمية داخل العينات الاجتماعية بين المتعلمين بمقتضى (المجال الإقامي، المستوى الاقتصادي، الثقافي)(Fabien Granjon, 2009)، ذلك ما تؤكده**Dominique Pasquier"أن الأوساط الشعبية ليست منخرطة بشكل الكافي في التحولات الرقمية الحالية، بوصفها جزء من الثقافة، ما يجعل هذه الثقافة قاصرة حول التطور الاتصال الرقمي-الالكتروني"**(Dominique Pasquier, 2018)،ذلك ما يوصل إلى اللاتكافؤ في النجاح المدرسي لمثل هذه الفئات، مقارنة بغيرها كونها غير منخرطة ضمن التغيرات المدرجة على الهيكلة التعليمية الحالية، التي تحتاج إلى تكوين هامشي. هذا التمايز في رؤوس الأموال ما بين الفئات المتعلمة مرجعيا لأصولهم الاجتماعية المختلفة، يصعب على فئات الاجتماعية المتدنية-الهشة-إتمام المهام والأعمال التعليمية المطلوبة. التمايز بين المكتسبات الرقمية (الثقافة، الكفاءة، التجهيزات...) يؤسس بنيويا على التمايز الطبقي-الاقتصادي-بينهم(الذي يؤهل المتعلم ماديا من تكاليف العملية التعليمية)(Forquin Jean-Claude, 1975**).** هذا ما يتفق عليه جل الباحثون السوسيولوجيون حول التعليم عن بعد، بعدم كفاءة الكل في هذا النوع من التكنولوجيا وامتلاكها، حسب**SamuelCoavoux** أن: **"الانترنت تعيد إنتاج اللاتكافؤ الثقافي بشكل مماثل لذلك الذي تم تحديده في السوسيولوجيا التقليدية"**، أين يمنح استخدام الانترنت في الوسط المدرسي، إطار أكثر مرونة لتدفق المعلومات(Dominique Pasquier, 2011).

يؤثر المجال الجغرافي، أو الفضاء السكني من اتساع اللاتكافؤ في فرص تنمية التلاميذ والطلبة، فان اتساع المساحة الجغرافية، يصعب إمكانية التكافؤ الشكلي ما بين الطلبة والتلاميذ على حد السواء، ذلك ما تؤكده هند والي

(DjedjigaRahman, 2018)، ومن ثمة فان عدم التكافؤ في الأوساط السكنية(الحضرية، الشبه حضرية، الأرياف، للدشرة، الأطر الصحراوية بكل خصوصياتها) من حيث التهيئة بالخدمات التكنولوجية الذي يحتاج إليها المتعلم في تحقيق التعليم عن بعد(التوصيل بخط انترنت دائم، او حتى من خلال الشرائح الهاتفية...Les cybercafé)لتعويض التعلم داخل المنزل إذ يؤكد**Plantard"الأزمة الصحية دفعتنا للتفكير في خلق واستمرارية القسم خارج القسم- hors la classe، لكن يرافقه خطر تضخيم اللاتكافؤ"**(Le monde.fr, 2020)،فهو يشكل عائق أمام العملية التعليمية أمام البعض دون غيرهم.

-متغير الفضاء السكني: تقدم الانفصالات السكنية بمختلقها، اللاتكافؤ في الإمكانيات والموارد والخدمات الموجهة للأفراد ومنها: قاعات الانترنت، التكنولوجيات، الانترنت المنزلي وربط المباشر في المنازل...توسع من دائرة اللاتكافؤ وخاصة فيما يرتبط بالتهيئة حسب الانفصالات: المنازل الكبرى، السكنات الشعبية، الأحياء الراقية، العمارات، المدن الصحراوية، البدو الرحل، الأرياف، الدشرة....التي للاتكافؤ في فرص ربطها بالأنترنت بشكل متطابق، بين الحضري وشبه الحضري، وغيرها من الانفصالات(Émeline Bailly, 2018)، الدالة على التمايز وعدم التكافؤ في الاستفادة من الخدمات ذاتها بالنسبة للمتعلم وحتى المعلم بالأخص في مرحلة التعليم عن بعد.

هنا يشير أحد الأساتذة **(رقم 1-كلية العلوم الاجتماعية: جامعة تلمسان،)**، في حديثه عن الصيغ السكن الاجتماعية وغيرها من الصيغ قائلا: **"إن الفضاء السكني، يجب أن يجيب عن احتياجات الساكن ومطابق لفئته المهنية ومستواه التعليمي، حيث لا يحتوي المنزل في مثل هذه الصيغ على غرف خاصة بالأطفال"**

-متغير رأسمال الاقتصادي:حيث المختصون في علم اجتماع الحضري،ومنهم**SylvieTissot**، يؤكدون أن المستوى الاقتصادي يتطابق تماما مع الانفصال السكني، وبذات الانفصالات التي يتمظهر بها اللاتكافؤ بين المتعلمين سكنيا من الاستفادة من التكنولوجيا والأنترنت، كونه راجع الى اللاتكافؤ الاقتصادي، إذ أن هناك فروق بين الشرائح المهنية والاقتصادية في اقتناء التكنولوجيا، الانترنت(يومي، شهري، سنوي، منزلي، هاتفي...)،أو تخصيص غرف خاصة لتمدرس الأبناء عن بعد في المنزل، توفر المراجع المساعدة على فهم الدروس، تلفاز خاص بالمتعلم، مرفق بالأنترنت او من دونه، كلها مؤشرات تدل على اللاتكافؤ بين المتعلمين، مما تساهم في اقبالهم والتزامهم بالتعليم عن بعد.ماينتج فجوة رقميةبالتفاعل مع رأسمال الثقافي والفضاءات السكنية(Lyonel Kaufmann, 2009) .

ذلك ما يؤكده أحد الأساتذة **(رقم 2-كلية العلوم الاجتماعية: جامعة تلمسان):"وفي حديث عن الرقمنة ووضع السندات عبر الخط والدروس ورقمنة المهام، أشار إلى أن ليس جميع الأساتذة لديهم الإمكانيات التابعين للقطاع من الانخراط بسلاسة فيها الاجراء وهو رقمنة وادراج التكنولوجيا على اجراء الدروس"**. ذلك ما يؤكده الباحث السوسيولوجي الجزائري **"زبير**

عروس"، التعليم عن بعد يعد بديلا فقط مبدئي للحجر الصحي من أجل الاستمرارية، لكنه في الواقع يناقض الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري، من تمايز ولا تكافؤ اجتماعي، مع الانفصالات في التوزيع الجغرافي للأفراد، التي تؤثر على التوزيع الطبقي للجزائريين.

بالإضافة هنا ورغم وضع الأرضية الرقمية لتنزيل الدروس وحتى التدريس عن بعد Moodle et Tims، فإن الموقع الأول شهد نسبة إقبال متوسطة50% بالنسبة لكلية العلوم الاجتماعية والانسانية-**جامعة تلمسان أبو بكر بلقايد-الجزائر**- والتي يعتبر أغلبية طلبتها من الضواحي وحتى مؤطريها،-حيث لم يقبل الطلبة على الدخول إلى الموقع وتحميل الدروس، كما وأن الأساتذة عرفوا تأخير كبير في وضع الدروس-.أماTims والذي يعتمد على التعليم المباشر عن بعد مع الطلبة فهو متأخر بشكل أكثر مقارنة بالأول.

مع عدم إمكانية التعامل مع الامتحانات للمقاييس عن بعد، فيما يتعلق بالسداسي الأول 2021/2020.

-متغير رأسمال الثقافي-التعليمي-:نقصد هنا في المقام الأول التعليم، **أي الشهادات المكتسبة** التي تميز بين الافراد حول معارفهم بالأخص حول التكنولوجيا ومستوى كفاءتهم في استخدام الانترنت والتحكم في التكنولوجيات، خارج الصف المدرسي والجامعي، **بالمقابل تؤثر الأصول الاجتماعية** حتى مع توفر المستوى التعليمي، في الحد من إمكانيات المتعلمة مقارنة مع آباءهم غير المتمكنين منها. مما قد يمثل لهم غير ذات أهمية للاقتناء كونهم ليست ضمن دائرة ثقافتهم واحتياجاتهم، ما يعرقل المتعلم من الوصول إليها (1-الأب متعلم+ الأم متعلمة+ مؤشر المهن= ما يجيب على المستوى الاقتصادي والثقافي للأهل= يجعل المتعلم يملك فرص أكبر للوصول إلى هذه الموارد والاستفادة منها بشكل أكبر. /2-الأب غير متعلم+ الأم غير متعلمة+ مؤشر المهنة أو دونها بالنسبة للأم= ما يجيب على المستوى الاقتصادي والثقافي للأهل= يقلل بالنسبة المتعلم فرص الحصول عليها بالشكل المطلوب).

حيث أن من خلال عملية تأطيري لطلبة سنة ثانية ماستر علم اجتماع عمل وعلم اجتماع الاتصال الذين عددهم 6(للموسم الجامعي 2020/2019)، وبسبب الحجر الصحي، ولإتمام التأطير، ورغم أن الأغلبية الطلبة يمتلكون أرصدة Facebook، فإن ليس للبعض منهم email للتعامل وارسال أعمالهم، حيث:

3/6 لا يملكون email ولا يعرفون التعامل به.

2/3 اثنين من أصل الثلاثة الذين يملكون email ولا يعرفون تحميل الوثائق وارسالها على شكل ملف Word/PDF. إذ أرسلوا الأعمال -مكتوبة باليد- مصورة.

4/6 أربعة من أصل 6 لا يملكون حاسوب شخصي لكتابة مذكراتهم ويكتبونها عند cyber، ويتعاملون في مراسلاتهم بالهاتف الذكي.

بالنسبة للموسم الحالي2021/2020، ورغم انخراط الجامعة كإسقاط للتعليم الرقمي، فإن هناك تأخر في وضع الدروس في السداسي الأول من الموسم الحالي، بالإضافة إلى أن برمجة الامتحانات عن بعد لم تنجح في جانبه الرقمي، كون أنه لا توجد الإمكانية لتتمة الامتحان والمراقبة واسترجاع الأسئلة-أوراق الإجابة عن بعد*رقميا/الكترونيا*، ومن جهة التأطير، لازال هناك تأخر بالنسبة للطلبة للتعامل بالبريد الالكتروني وارسال العمل، مع عدم امتلاك 70% من الطلبة حاسوب خاص.في مقابل امتلاك تقريبا 100% هواتف ذكية.

كما أن اعتماد Tims كوسيلة للتعليم عن بعد، بشكل حضوري-من خلال الكاميرا المفتوحة-لم يلق اقبال من طرف الاساتذة في كلية العلوم الاجتماعية والانسانية.

كما وأن حتى بالنسبة للأساتذة، ليسوا متساوين في مكتسباتهم المعرفية، حيث ضمن عملية الرقمنة وجد العديد من الصعوبة في ادخال النقاط عبر الخط.

لذا فإن رأسمال الثقافي والأصول الاجتماعية، فعالة في توضيح اللاتكافؤ والتمايز بين المتمدرسين حسيب **P. Bourdie**u لاحقا،**P. Plantard** في ارتباطها بمتغير التعليم عن بعد، فإنها لم تتغير ولازالت فعالة.

-متغير المجال الجغرافي: تقدم الخارطة التكنولوجية التالية، شبكة المعاهد الموجودة في الجزائر **(الخارطة محملة من موقع Google بتاريخ 2020/3/27-تم تحميلها للاستفادة منها في التحليل ببحث حول الذكاء الاصطناعي)،**



من خلال التحليل الأولي لها، نجد أن هذه المعاهد التي تحصى في 7 معاهد عبر الوطن، تدل ضمنيا على الخارطة التكنولوجية الكلية للجزائر، من حيث التكوين الأكاديمي للطلبة لأبجديات التكنولوجيات، التي لا تتعدى كيفية استخدام الكمبيوتر، والذي لا يؤخذها الطالب بعين الاعتبار لاحقا. رغم السوق الحالية الاقتصادية وحتى بمقتضى الوظيف، تقوم على المكتسبات في هذا المجال.

نلاحظ ثانيا، أن بسبب المساحة الشاعة للجزائر، فإن عملية إلحاق كل الجزائر بالتكنولوجيا وربطها بالأنترنت مع ديمومة تدفق الخدمة دون تقلبات، وكذلك تنوع التضاريس، قد يتدخل في تذبذب الخدمة، يستدعي الكثير من الإمكانيات المادية والبشرية المتحكمة في التكنولوجيات المتطورة.

هذا الاتساع يخلق ويعبر عن تمايز بين السكان ضمن هذه المساحة الشاسعة،الموزع عليها**: المدن الكبرى، المدن الصغرى، القرى، الأرياف، المدن الصحراوية، الخيم الخاصة بالبدو الرحل، الدشرة.. أو مناطق الظل كما سميت،** اللاتكافؤ في استفادتهم بنفس الدرجة من التكنولوجيا، الاستفادة منها، المكتسبات المعرفية عنها وديمومة تدفق الانترنت وكل الخدمات التسهيل عملية التعليم وبالأخص التعليم عن بعد.

هذا ما يؤكده مدير مدرسة: **"لا توجد التهيئة التكنولوجية الكاملة والمطلوبة للعمل وحتى الانترنت نشتريها لإنهاء المهام الخاصة بالمدرسة والتي تكون على شكل abonnement mensuelleاو activation quotidienne " مضيفا "حتى أن المنطقة مصنفة منطقة ظل لا يوجد فيها حتى خط نقل عمومي للربط بينها وبين المناطق المحيطة بها"**(مدير مدرسة ابتدائية بمنطقة الباعلة تابعة لدائرة عين البنيان/ولاية معسكر-مصنفة منطقة ظل-:2020/6/1).

2.4. التحول وتزامنية الهياكل التعليمية نحو المجتمع المعلوماتي

يقدم التعليم عن بعد رغم النقص الذي لازال يطاله بالنسبة للمؤسسات التي يمكن أن تستفيد من(قطاع التربية، قطاع التعليم العالي، قطاع التكوين المهني...)، إلا أنه من خلال التكنولوجيات المتطورة، يمنح فرصة للرافقة ما بين التعليم الكلاسيكي وما بين التعليم عن بعد، ما يجعل المدرسة تدريجيا تتحول من الكلاسيكية نحو الافتراضية، إلا أنها تحتاج الى بروتوكول كامل من أجل هيكلة فعلية من الوسائل إلى المعلم والمتعلم، حيث اننا منخرطين ضمن الزمن الاجتماعي الموصوف بكونه رقمي، كونه زمن الابتكار (P. Plantard, 2016) ، بشكل متناسق لذلك. تماما كما انتقلت من التعليم الكلاسيكي الى التعليم بالمراسلة كاستراتيجية لحل إشكال المنتسبين غير القادرين على استكمال الدراسة لأسباب متعددة، بحلول ممكنة، دون الضرر بالأطراف.

مناقشة النتائج:بدأت هذا البحث المحتشمنظرا لظرفه الآني الخاصلكونه لازال في مرحلته المعاشة، محاولة محاصرته مفاهيميا ونظريا –تحليليا، مبني على الإشكالية التالية:هل تلغ العملية

التعليمية عن بعد اللاتكافؤ التقليدي بين المتعلمين؟ بتحكيم المؤشرات السوسيو-مهنية (المستوى التعليمي، مكان الإقامة، المستوى الاقتصادي).

الفرضية الأولى:يعد التعليم عن بعد استراتيجية لتزامنية المنظومة التعليمية مع مستجدات المجتمع المعلوماتي-الرقمي-داخل المجتمع الجزائري.

يشكل التعليم عن بعد تحيين واستراتيجية للتزامن التعليمي في سياقاته الحالية، لتمكن المدرسة والهياكل التعليمية والعلمية منخرطة في المجتمع الموسوم بالتكنولوجيا كونها **Macrosociale**، بفعل تأطيرها لكل مجالاته الحالية (الإنتاج، الفنون، الابداع، الاقتصاد، العلوم، الطب، الاختراعات...) لذلك فانه بشكل مبسط ونسبي يقدم توظيفا لبنية المدرسة والجامعة بتزامنية**synchronisation**التعليم وفق شروط المجتمع الآني وشروط المجتمع الشمولي.

الفرضية الثانية: يوسع التعليم عن بعد اللاتكافؤ الاجتماعي في التعليم ما بين العينات الاجتماعية داخل المجتمع الجزائري باللاتكافؤ الرقمي.

ولأنكل السوسيولوجيا باختلاف مصادرها المعرفية ومقاصدها التطبيقية (أي المجتمعات التي طبقت عليها هذه السوسيولوجيا قصد تحليلها)، تؤكد ان بنية المجتمعات قائمة على الطبقات الاجتماعية والانفصالات Les clivages sociaux والتمايز الاجتماعي، الذي ينتج عنه اللاتكافؤ وينتجه بذات الفعالية. فان مرحلة covide 19، فرضت التعليم عن بعد كاستراتيجية للاستمرارية البيداغوجية، وسعت من دائرة اللاتكافؤ الاجتماعي ما بين المتعلمين، وذلك لتوسيعها من فعالية متغيرات مرتبطة بالمتعلم وحتى تتجاوزها إلى المعلم. والتي تتمثل في: الفضاء السكني، رأسمال الاقتصادي (الطبقة الاقتصادية والانفصال)، رأسمال الثقافي والأصول الاجتماعية للمتعلمين، وسعة الفضاء الجغرافي للخارطة الجغرافية الجزائرية، التي تصنع خارطة تكنولوجية وانترنت عير متكافئة بالنسبة للجزائر.

هذه المتغيرات، تزيد من حدة اللاتكافؤ الاجتماعي بين المتعلمين، عبورا للمعلمين، وحتى الهياكل الخاصة للتعليم عن بعد عبر الوطن بارتباطها بالتعليم عن بعد في الجزائر **اللا تكافؤ الرقمي inégalité social-scolaire vers inégalité numérique-scolaire**، كونه استراتيجية للاستمرارية البيداغوجية.

نتائج الدراسة:

- يساوي التعليم عن بعد مرحلة انتقالية نحو رقمنة واستحداث تعليم رقمي.

- يوسع التعليم عن بعد من دائرة فعالية اللاتكافؤ والتمايز بين الفئات الاجتماعية.

- يؤسس المستوى الاقتصادي لنجاح التعليم عن بعد لدى المتعلم والاقبال عليه كمرافق للتعليم الكلاسيكي.

- التعليم عن بعد يعد استراتيجية مرافقة للتعليم الكلاسيكي وليس نمط تعليمي مستقل أو تعويضي للتعليم الكلاسيكي.

- يشكل الفضاء السكني محددا لزيادة فرص ونقص التفاعل للمتعلم والتزامه بالتعليم عن بعد.

- يساوي رأسمال الثقافي والأصل الاجتماعي قاعدة بنيوية للتعليم عن بعد للمتعلم والمعلم.

- تقدم الخارطة الجغرافية التكنولوجية في الجزائر وصفا للاتكافؤ الرقمي بين الجزائريين.

- تقدم الخارطة الجغرافية التكنولوجية للجزائر درجة اعتمادها على التكنولوجيا والانترنت.

- يعد التعليم عن بعد ضمن المرحلة الأولية من تحويل وتمرير التعليم من الكلاسيكي نحو الرقمي.

- يشكل التعلم عن طريق التلفاز السمة الغالبة على التعليم عن بعد، كونه الأقل تكلفة بالنسبة لأغلبية المتعلمين/او اهاليهم، خاصة لتلاميذ 4متوسط و3 ثانوي.

- يشكل التعلم عن طريق تحميل الدروس الموضوعة على الموقع الخاص بالجامعات الجزائرية الأكثر ملائمة وسمة في الظهور، نظرا لكونه في حدود إمكانية الطالب والأستاذ.

-لا يمكن باي شكل تعويض التعليم الحضوري بالتعليم عن بعد، بل يساعد التحصيل بازدواجية النموذجين(الحضوري مع تفعيل التعليم عن بعد).

الخاتمة:

ضمن سيرورة البحث والتقصي حول التعليم عن بعد، نجد أن المنظومة التعليمية في الجزائر، مرت بالشكل التقليدي للتعليم عن بعد والمتمثل في:التعليم عن بعد بالمراسلة، هي الشكل الذي اعتمدت عليه الثانوية الجزائرية، كنمط للتعليم للأفراد غير القادرين على تكملة تعليمهم بشكل عادي، نظرا لبعد الثانويات أو غيرها من الأسباب في مرحلة الثمانينات بالخصوص، في مقابل جامعة التكوين المتواصل بالنسبة لما يخص الجامعة، ورغم أن هذا الشكل الأخير، يمكن حصره في القنوات التعليمية في التلفزيونات، القنوات التعليمية عبر الانترنت، التعليم عبر الخط أي بضرورة توفر الروابط الرقمية عبر الانترنت، أو تعليم عن بعد بشكل غير منتظم ما يجعل العملية تتذبذب،كونها لا تقوم على التواصل المرئي للمتعلم مع المعلم.

رغم هذا الإجراء الذي قامت به الإدارة المسؤولة عن القطاع، كإجراء لاستكمال المهام البيداغوجية للمتعلمين في مرحلة covide19 إلا أن كل من المعلم والمتعلم ليس لهم رأسمال الثقافي المتخصص حول التعليم عن بعد، في أبسط أشكاله، من جهة، ونقص رأسمال الاقتصادي للمعلم والمتعلم، الذي مكنهم من التوصل إلى كل التقنيات التي تقوم عليها هذه العملية التعليمية.

إلا أنه يمكن اعتباره جزئيا، مرحلة عبور لرقمنة المدارس والجامعات الجزائرية، أوجعل الوسائط التعليمية مرافقة للتعليم التقليدي، كإجراء موازي لغاية تقبل وتكيف المنظومة والمتعلمين لهذا النوع من التعليم.

قائمة المراجع:

1. بوعنانة سعاد وآخرون(2012)، نظم إدارة محتوى التعليم الالكتروني بالجزائر واقع التطبيق وآفاق الاستخدام: منصات التعليم الالكتروني بجامعة قسنطينة نموذجا، الصفحة 432، منشورة في أشغال الملتقى:

1er International Conference on ICT's for Education & Training, (Proceedings, ARST International conference ON Information and Communications Technologies IN Education and Training: TICET) Hammamat, Tunis; Editor Jamil Itmazi, Ahmed Ferchichi. (May7-10)

2.عكنوش نبيل وآخرون (2016)، التعليم عن بعد بالجامعة الجزائرية و تجربتها في التكوين المستمر: بين واقع التطبيق وخطط التحقيق، الصفحة 166-167.منشورة في أشغال الملتقى:

3erme International Conference on ICT's for Education & Training, (Proceedings, ARST International conference ON Information and Communications Technologies IN Education and Training: TICET), Khartoum-Sudan ;(March 12-14) Editor Jamil Itmazi,

3.الإذاعة الجزائرية(2020/5/18)، إحياء اليوم الوطني للطالب: إطلاق قناة المعرفة الموضوعاتية. **www.radioalgeriedz** يوم 2020/6/2

4.سمير زنوش(2020/6/7-09:**h**30)،حول تجربة الجزائر في التعليم عن بعد ومعوقاتها الحالية مدير مدرسة العلم والمعرفة الخاصة، قناة النهار.

5.المقدم زيغد عبد القادر (2020/6/7-09**h**:18)،حول الجرائم الإلكترونية في الجزائر، قناة النهار.

6. سعيد باباسي(2020/6/11. -17**h**: 57)، حول التعليم عن بعد-منصة معلم: أرضية رقمية للمراجعة لتلاميذ البيام والباك، قناة النهار.

7.محمد أنور بن عبد الواحد(2020/6/5)، وكالة الانباء الجزائرية، "حول تحسين الخدمات ورقم أعمال اتصالات الجزائر ما بين 2020-2024".

8.Bruno Duvauchelle, Hervé Platteaux, Jean-François Cerisier (2009/3), Culture informationnelle, culture numérique, tentions et relations-le cas des référentiels C2I niveau2; Dans : Les Cahiers du numérique; éd: Lavoisier;Site : lcn.revueonline.com. Vol 5, P. P51à69.Consulte le 5/6/2020.

https://www.cairn.info/revue-cahiers.

9. Charles Crook et autres (2004/2), La formation en ligne mieux que l'enseignement classique… un pari hasardeux, Dans : Hermés,La revue cognition communication, politique, Édition C.N.R.S, N°39, P.P69à76,Hermés.hypothèses.org.

10. Christine Liefooghe et Divya Leducq(2017),Révolution numérique et développement des territoires » -nouveaux outils, nouvelles pratiques, nouveau lieux, Territoire en mouvement revue de géographie et aménagement.

https://journals.openedition.org/territoire/.

11. Cultures &Conflits (64/hiver2006), Société la connaissance, société de l'information; société de contrôle, Entretien avec Armand Mattelart(en ligne) consulte le 2 juin 2020 :http://journals.opendidition.org/conflits/2051

12. Djedjiga Rahmani (21/6/2018), Les aberrations du système éducatif Algérien-Elles entravent l'épanouissement des élèves et leur autonomie intellectuelle, ElWatan.com (11h37), consulte le 7/6/2020.

13. Dominique Pasquier (2011/10), Pratiques d'Internet et pouvoir des apparences,Dans : Le Journal des Psychologues, éd: Martin Media, Site : jdpsychologues.fr ; N°293 ; P. P32à35. Consulte le 6/6/2020.https://www.cairn.info/revue-.

14. Dominique Pasquier (2018/2-3), Classes populaires en ligne : des « oubliés » de la recherche ? Dans : Réseaux : communication.

Technologie. Société, éd : La découverte-site : revue-reseaux.fr, N°208-209, P. P 9à 23.Consulte le 5/6/2020.

https://www.cairn.info/revue-reseaux.

15. Duquesnoy Maxime (2015),Les usages professionnels de l'internet chez les enseignants du primaire; Adjectif.net (en ligne) consulte le 23/05/2020.

http://www.adjectif.net /spip/spip.php?article336.

16. Encyclopaedia universalis ; (2019), France

17. Emelline Bailly (V-12016/2018), Technologies numériques et durables aux défis de la métropole sensible, e-Phaistos (en ligne).Consulte le 3/6/2020.

https://journals.openedition.org/ephaistos/1309.

18. Fabien Granjon (2009/1), Inégalités numériques et reconnaissance sociale : des usages populaires de l'informatique connectée, Dans : Les chaiers du numériques, Vol N°5, P. P19 à 44.Lavoisier-Icn. Revuesonline.com. Consulte le 6/62020.

https://www.cairn. Info /revue –les

19. François Bocquet, Éric Bruillard et autres (67/2014), La numérique à l'école : évolution ou révolution pédagogique ? -un état des réflexions en France –Table ronde-Dossier-Pédagogie et révolution numérique, Revue internationale d'éducation de Sèvres, P. P103-118(en ligne), consulte le v3/6/2020.

https://journals.openedition.org/ries/4129

20. Gilles Braun (7/7/2020),éducation-les nouvelles technologies au service de l'éducation, Encyclopaedia universalis: url:https://www.universalis.fr/encyclopedie.

21. Jean-Claude Forquin(1975),Boudon Raymond-L ‘inégalité des chances. La mobilité sociale dans les sociétés industrielles; In : Revue francaise de pédagogie, Vol 32 ; P. P74-78. Consulte le 7/6/2020. https : www.persée.fr/doc/rfp.

22. Jacques Herman(1983),Les langages de la sociologie; édition Puf, collection Q .J.S, Paris, P65

23. Karl Marx(1965), le capital; édition populaire par julien Borchardt (texte français établie par j. p. Samson) ; Puf ; Paris.

24. Kevin Bossuet (7/4/2020),L’enseignement à distance, cruel accélérateur des inégalités sociales ; Marianne-

https://www.marianne.net.consulte le 5/6/2020.

25. Lamria Chetouani(2001/2),Débat sur l’école en Algérie», Dans Le Télémaque; éd. : PU de Caen, N°20,P.P 149à172,consulte le 5/6/2020.https://www.cairn.info/revue-le-telemaque.

26. Laure Endrizzi (10/2012),Les technologies numériques Dans l’enseignement supérieur, entre défis et opportunités; Ifé (institut français de l’éducation), Dossier actualité veille et analyse N°78, ENS de Lyon, P. P1-30.

27. Lyonel Kaufmann (2009), Inégalités numériques : clivages sociaux modes d’appropriations des TIC.

28. Pascal Plantard (16/decembre2016),Temps numériques et contretemps pédagogiques en Collège connecte; Distances et médiations des savoirs(en ligne) consulte le 8/6/2020.

https://journals.openedition.org/dms/1660.

29. Pascal Plantard (17/03/2020), Coronavirus et enseignement à distance, entre augmentation des inégalités éducatives et transformation pédagogique; éducation les débats sur l’éducation.

https : www.lemonde.fr/éducation/consulte le 30/05/2020.

30. Philippe Dessus, Benoit Lemaire, Jacques Baille(1997), Etudes expérimentales sur l'enseignement à distance; IN Sciences et techniques éducatives, Vol °4, N°2, P. P137-164. https:www.persee.fr/doc/stice.consulte le 5/6/2020.

31. Phillipe Dessus, Benoit Lemaire et Jacques Baille (1997),Etudes expérimentales sur l'enseignement à distance; IN : Sciences et techniques éducatives, Vol 4, N°2, P.P137-164.

https://www.persee.fr/doc/stice. Consulte le 4/6/2020

32. Philippe Breton (2005/1), La société de la connaissance: généalogie d'une double éducation ; Dans éducation et société (revue internationale de sociologie de l'éducation), N°15, P. P45à 57consulte le 1 juin2020:

revuesbsup.cairn.info-https://www.cairn.info/revue-éducation

33. PierreBourdieu (1983), Questions de sociologie; édition originale de minuit, Paris, 1984, Cérès productions Tunis. P10

34. Pierre De Loor (2016/2017), Intelligence artificielle et simulation; Module IAS-ENIB-.

35. Zohra hassani (2013),La réforme du système éducatif en Algérie : quels changements dans les pratiques des enseignements ?, 60-61 : L'école : les enjeux institutionnels et sociaux, P. P 11-27. Consulte le 1/6/2020/

https://doi.org/10.4000/insaiyat.14002.

دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الصحي في ظل أزمة كوفيد 19

من وجهة نظر مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي بمدينة بسكرة الجزائر

د.جفال منال، جامعة العربي التبسي- تبسة- الجزائر

ملخص: يعد الوعي الصحي مرتكزا أساسيا لتنمية السلوكات الايجابية عند الأفراد اتجاه الصحة وقضاياها الكبرى، لذلك فإن توجيههم وإرشادهم صحيا أمرًا في غاية الأهمية، لأن معرفة الفرد لأثر سلوكه على الصحة تمكنه من تعديل هذا السلوك بالأساليب الصحيحة، كما تمكنه إلى حد بعيد من التعامل مع المشكلات بصورة أفضل، لذلك جاءت هذه الدراسة لتبين دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الصحي خلال فترة الحجر المنزلي بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: دور، مواقع التواصل الاجتماعي، تنمية، الوعي الصحي، كوفيد 19.

The role of social media in developing health awareness Under of the Covid 19 Crisis

From the point of view of social media users in Biskra, Algeria

Menel Djeffal.University Of Larbi Tebessi - Algeria

Abstract: Health awareness is an essential basis for the development of positive behaviors of individuals towards health and it’s major issues, therefore guidance and health guidance is very important, because the individual's knowledge of the impact of his behavior on health enables him to modify this behavior with the correct methods, and also enables him to a large extent to deal with problems better. therefore, this study show the role of social networking sites in developing health awareness during the period of home quarantine in Algeria.
Keywords: role, social media, health awareness, developing, Covid 19.

مشكلة الدراسة:

تعتبر الصحة جزء لا يتجزأ من منظومة الغايات التي يسعى المجتمع لتحقيقها لفائدة الصالح العام، و دفع الوعي الاجتماعي إلى الطريق السوي، ولتحقيق الأمن الصحي لابد من إشراك

الجميع في عملية التثقيف الصحي الذي يمكن الجميع من إتباع السلوك الصحي السليم ، لذا سعت العديد من الدول إلى الاهتمام بالقطاع الصحي واستقراره و تفعيل مشاركة كل فرد من أفراد المجتمع في سبيل الحصول على الصحة كمكسب حيوي.

ومن هنا تظهر أهمية الوعي الصحي في حياة الفرد والمجتمع على حد سواء، في ظل ارتفاع الكثافة السكانية في معظم المجتمعات، وانتشار التلوث البيئي، لذا يلعب الوعي الصحي دورا كبيرا في الوقاية من انتشار الأمراض والأوبئة.

إن قنوات نشر الوعي الصحي وتأصيله لا يمكن أن تقتصر على الفاعلين في القطاع الصحي فقط، بل تتضافر جهود جميع المؤسسات في المجتمع، كالأسرة و المدرسة والجمعيات ووسائل الإعلام، في تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد ليكون منسجما ومنتميا إلى مجتمعه وقادرا على المشاركة الايجابية في المجتمع، وفي ظل ما تتعرض له المجتمعات عامة والنامية على وجه الخصوص، من أزمة متعددة الأبعاد في سياق التغيرات التي شهدها العالم في الآونة الأخيرة.

ومواقع التواصل الاجتماعي إحدى الوسائل الهامة التي من خلالها ينمى الوعي الصحي لدى الأفراد، فهناك من يرى أن هذه المواقع تساهم في تفعيل وصقل شخصيتهم و تنميتها، فهي قناة يستطيع الأشخاص من خلالها نشر أفكارهم التوعوية وتنمية سلوكات المواطنة بمفهومها الواسع.

إن دور الفرد ومسؤوليته تجاه نفسه ومجتمعه يشكل اللبنة الأساسية في تكامل المجتمع وتحقيق استقراره. وفي ظل الظروف الاستثنائية التي يمر بها العالم هذه الأيام و الجزائر بعد انتشار فيروس كورونا COVID-19 تبرز أهمية المسؤولية و الوعي الصحي نحو حماية المجتمع من أخطار الإصابة والحد من انتشار الفيروس ومدى التزام الأفراد بالتعليمات والتفاعل معها بطريقة تساعد على تخطي الآثار السلبية لهذا الوباء.

ومن ثم فان الدراسة الراهنة تحاول إلقاء الضوء على الدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي بأنواعها المختلفة في تنمية الوعي الصحي للأفراد، ومن هنا يطرح التساؤل الرئيس التالي: ما هو دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الصحي في ظل أزمة كوفيد 19 ؟
و يتفرع هذا التساؤل الرئيس إلى تساؤلات فرعية:
-ما هو دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الشخصية في ظل أزمة كوفيد 19؟
-ما إسهام مواقع التواصل الاجتماعي في تدعيم الصحة البيئية ظل أزمة كوفيد19 ؟
-ما دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الاجتماعية في ظل أزمة كوفيد 19؟

أهداف الدراسة:

-التعرف على فعالية الدور الذي تقوم به منصات مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الشخصية في ظل أزمة كوفيد 19.

-معرفة مدى إسهام مواقع التواصل الاجتماعي في تعزيز الصحة البيئية ظل أزمة كوفيد19.

-التعرف على فعالية الدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في الصحة الاجتماعية في ظل أزمة كوفيد 19

أهمية الدراسة:

بما أن العلم تراكمي نبدأ من حيث انتهى الآخرون فإن دراسة الدكتور بحري صابر الموسومة بـــ إدارة أزمة كورونا – كوفيد 19- من خلال تعزيز الصحة النفسية في ظل الحجر المنزلي المنشورة بالعدد 20 لمجلة العلوم الاجتماعية للمركز الديمقراطي العربي، كانت الدافع الرئيسي الذي أدى بالباحثة إلى اختيار هذا الموضوع، ومحاولة معرفة الدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الصحي في ظل انتشار وباء كوفيد 19 بالجزائر.

ومن هنا تتجلى أهمية الدراسة في ندرة الدراسات التي تناولت الوعي الصحي في فترة الحجر المنزلي نتيجة انتشار وباء كوفيد 19 برؤية سوسيولوجية تختلف من حيث أهدافها عن الدراسات السابقة، إن لم نقل أنها الوحيدة إلى حد علمنا، كما أنها تمثل إضافة إلى البحوث السوسيولوجية في هذا المجال.

مفاهيم الدراسة:

الدور: يرى عبد الهادي الجوهري: أن مفهوم الدور الاجتماعي هو المتوقع من وضع اجتماعي أما الوضع فهو الاسم الذي يطلق على دور اجتماعي أو الوسيلة المستخدمة في تحديده.

ويعد تعريف الدور عند بارسونز مثلا واضحا لمفهوم الدور من وجهة النظر الاجتماعية حيث يرى أن الدور هو قطاع من النسق التوجيهي الكلي للفرد الفاعل و هو ينظم حول التعريفات في علاقتها بمحتوى تفاعل بين تلك التوقعات التي تتكامل مع واحد أو أكثر من المتغيرات في الأدوار التكميلية (فتحي السيد عبده، أبو السيد أحمد، 2005، ص188)

كما يمكن تعريف الدور بأنه عبارة عن نمط منظم من المعايير فيما يختص بسلوك فرد يقوم بوظيفة معينة في الجماعة، والدور شيء مستقل عن الفرد الذي يقوم بهذا الدور فهو يحدد السلوك أو يعبر عن الانفعال و يحدد الأقوال. (لوكيا الهاشمي، جابر نصر الدين، 2006، ص111)

وتأسيسا على ما سبق نرى أن الدور يتكون من شبكة العلاقات والمعايير الاجتماعية التي ترتبط بمكانة أو مركز اجتماعي، يقوم به عضو، داخل الجماعة بحيث تتكون لديه جملة من الحقوق والواجبات التي يجب على الفرد القيام بها.

ويمكن تعريف الدور إجرائيا: على أنه كل ما يقوم به الفرد من نشاطات و تفاعلات على مواقع التواصل الاجتماعي، في سعيه للتخفيف من حدة و انتشار وباء كوفيد 19.

مواقع التواصل الاجتماعي:

تعددت تعريفات مواقع الشبكات الالكترونية من باحث إلى أخر حيث يعرفها حلمي خضر ساري بأنها: مواقع الكترونية تقدم خدمات اجتماعية لمشتركيها لأغراض التواصل الإنساني والاجتماعي تؤسسها شركات كبرى لجمع المستخدمين و الأصدقاء وتبرمجها لخدمة تكوين الصداقات ، أو البحث عن الهويات واهتمامات الشركة، وصور وأفلام وأنشطة لدى الأشخاص الآخرين يتبادلون فيما بينهم. (حامي ساري خضر، 2014، ص104)

وعرفها الشهري بأنها منظومة من الشبكات الالكترونية تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه من خلال نظام اجتماعي الكتروني مع أعضاء آخرين لديهم نفس الاهتمامات والهويات أو جمعة من أصدقاء الجامعة أو العمل,(مريم ناريمان نومار، 2012، ص45)

التعريف الإجرائي: هي عبارة عن مواقع يستطيع من خلالها الأفراد التواصل مع بعضهم البعض، باعتبارها منصة تتيح لمستخدميها تبادل الأفكار والمعلومات والاهتمامات وينشرون الأخبار التي تهم مجتمعهم ويعززون من خلالها القيم الصحية والاجتماعية و المواطنة الصالحة.

الوعي الصحي:

يعرف الوعي الصحي: بأنه تثقيف الأفراد و إثارة وعيهم لغرض تغيير سلوكهم و عاداتهم خاصة في حالة انتشار الأمراض داخل المجتمع، و كذلك غرس العادات و التقاليد الاجتماعية التي من شأنها تدعيم الجانب الصحي وتطوره ، إن نجاح الوعي الصحي لدى الأفراد له علاقة وثيقة بتشكيل جانب مهم من جوانب شخصيتهم، و لهذا فإن هذه المسألة يجب أن تلقى عناية مخطط لها ومقصودة، شأنها في ذلك شأن العملية التعليمية النظامية في أي مستـــوى دراســـي.(جعفر ظاهر، 2004، ص67)

ويعرفه محمد الجوهري بأنه: إدراك للمعارف و الحقائق الصحية و الأهداف الصحية للسلوك الصحي أي أنه إدراك الفرد لذاته وإدراك الظروف الصحية و تكوين اتجاه عقلي نحو الصحة العامة للمجتمع, (محمد الجوهري وآخرون، 1992، ص290)

التعريف الإجرائي للوعي الصحي: هو مجموعة من المعارف والمعلومات التي يكونها الفرد عن المشكلات الصحية والأمراض والأوبئة المنتشرة في مجتمعه.

تعريف كوفيد 19:

فيروسات كورونا هي سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للحيوان والإنسان. ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر أمراض تنفسية تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس) والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس). ويسبب فيروس كورونا المُكتشف مؤخراً مرض كوفيد-19.(بحري صابر، 2020، ص15).

ومن هنا فإن مرض كوفيد-19 هو مرض معد يسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد ومرضه قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في ديسمبر 2019. وقد تحوّل كوفيد-19 الآن إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم.

ومن هنا يعرف كوفيد 19 إجرائيا: بأنه فيروس ظهر لأول مرَّة يوم 31 ديسمبر 2019 في مدينة ووهان الصينيَّة وانتشَرَ بشكلٍ مُتصاعِد وبوتيرَةٍ سريعة، ليمتد انتشاره إلى الجزائر التي سجلت فيهـــا أول حالـــــــــــة في 23 فيفـــــري 2020، هـــذا وتصنفه منظمة الصحَّة العالميَّة على أنّه جائحة ووباء عالمي، لا يوجد علاج له و لا لقاح لحد الساعة.

إجراءات الدراسة الميدانية:

المجال المكاني: تمثل المجال المكاني للدراسة مدينة بسكرة الواقعة جنوب شرق الجزائر و تم اختيار ثلاثة أحياء عشوائيا وهم حي 177 مسكن والواقع بالمنطقة الغربية، حي 300 مسكن والواقع بالجهة الشرقية ، وحي كبلوتي الواقع بوسط مدينة بسكرة، الجزائر.

المجال البشري(**عينة الدراسة):**

إن اختيار عينة ممثلة تمثيلا دقيقا لمجتمع الدراسة ليس بالأمر السهل، وبناءً على ذلك قامت الباحثة باختيار عينة عشوائية من رواد مواقع التواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها سواء كان موقع فيسبوك أو تويتر أو يوتوب القاطنين بمدينة بسكرة، وقد بلغت عينة الدراسة 120 مفردة موزعين على ثلاثة أحياء على النحو التالي:

-بلغ عدد مفردات العينة المأخوذة من حي 177 مسكن 49 مفردة.

-بلغ عدد مفردات العينة المأخوذة من حي 300 مسكن 41 .

-بلغ عدد مفردات العينة المأخوذة من حي كبلوتي 30.

واتخذت الباحثة كافة الإجراءات الوقائية الاحترازية أثناء توزيع وجمع استمارات الاستبيان من المبحوثين بعد الرفع الجزئي للحجر الصحي المنزلي ببسكرة.

المجال الزمني: تم انجاز هذه الدراسة في ثلاثة أشهر أفريل، ماي، جوان 2020.

منهج الدراسة:

إن اختيار منهج الدراسة أمر لا يخضع لإرادة الباحث بقدر ما يتعلق بطبيعة موضوع البحث، وفي هذه الدراسة التي تدور حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الصحي في ظل أزمة كوفيد 19، تم استخدام المنهج الوصفي الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما هي في الواقع ويهتم بوصفها وصفا دقيقا من حيث طبيعتها ودرجة وجودها، ويوضح خصائصها عن طريق جمع المعلومات و تحليلهـــا و تفسيرها و من ثم تقديم النتائج.

أداة الدراسة:

استمارة الاستبيان:

تم اختيار استمارة الاستبيان كأداة أساسية لجمع البيانات تماشيا مع المنهج الوصفي المتبع في هذه الدراسة، وذلك لأن لكل منهج مجموعة من الأدوات لجمع البيانات للإجابة على تساؤلات الدراسة، وتماشيا مع هدف الدراسة من جهة أخرى والمتمثل في التعرف على دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الوعي الصحي في ظل أزمة كوفيد19، والذي سنبحث عن تحقيقه من خلال هذه الأداة، وذلك بدراسة اتجاهات مفردات مجتمع البحث نحو مجموعة من المؤشرات الدالة على الوعي الصحي، ودور مواقع التواصل الاجتماعي في تنميته.

واحتوت الاستمارة على 26 سؤال موزعة كما يلي:

المحور الأول: دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الشخصية في ظل أزمة كوفيد 19 ويحتوي على 9 بنود.

المحور الثاني: دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة البيئية في ظل أزمة كوفيد19 ويحتوي على 8 بنود.

المحور الثالث: دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الاجتماعية ظل أزمة كوفيد19 ويحتوي على 9 بنود

وقد تم استخدام مقياس ليكرت للتدرج الثلاثي لإجابات مفردات عينة الدراسة (دائما، أحيانا، أبدا) حيث يعبر رقم 3 عن أعلى درجة وهي دائما، ورقم 2 يعبر عن الإجابة المتوسطة وهي أحيانا، بينما يعبر رقم 1 عن الإجابة الأقل درجة وهي أبدا.

طرق وأساليب المعالجة الإحصائية:

التكرارات و النسب المئوية: وذلك لوصف خصائص عينة الدراسة وتحديد إجاباتهم إزاء المحاور الرئيسية.

المتوسط الحسابي:

"هو يساعد في هذه الدراسة على معرفة اعتدال استجابات المفحوصين وتمركزها حول كل بند من البنود، التي احتوتها أداة القياس، فهو إن كانت قيمته مرتفعة دل على أن قيما كثيرة ومرتفعة، وإن كانت قيمته صغيرة دل ذلك على أنه توجد قيم صغيرة متطرفة."

وذلك لتحديد إجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محاور الدراسة المختلفة، واستخراج متوسط الترتيب لكل عبارة من عبارات تلك المحاور، ويلاحظ أن المتوسط الحسابي:

-من 1 إلى 1،66 يعني أنه منخفض وضعيف يوافق البديل أبدا.
-من 1،67 إلى2,33 يعني أنه متوسط يوافق البديل أحيانا.
-من 2،34 إلى 3 " يعني أنه مرتفع وقوي يوافق البديل دائما. (ميلود زيان،1998، ص14)

الانحراف المعياري: وهو انحراف القيم عن متوسطها الحسابي.

نتائج الدراسة:

أولا النتائج المتعلقة بالتساؤل الأول الذي طرح كالتالي: ما دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الشخصية في ظل أزمة كوفيد19؟ فقد تم استخدام المتوسط الحسابي لمعرفة درجة الدور هل هو ضعيف أو متوسط أو قوي والانحراف المعياري لمعرفة درجة تشتت أو تمركز إجابات المبحوثين حول عبارات المحور و الجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (1) : يبين إجابات المبحوثين حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الشخصية في ظل أزمة كوفيد 19

رقم البند	العبارات		درجة دائما	درجة احيانا	درجة أبدا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	رتبة البند
01	نمت لديك مواقع التواصل الاجتماعي من خلال منشوراتها ضرورة الاتصال بالرقم الأخضر عند الشعور بأعراض كوفيد 19	تكرار	79	30	14	2.59	0.68	2
		%	63.33	25	11.66			
02	دفعك محتوى في مواقع التواصل الاجتماعي للعناية الدائمة بغسل اليدين لمدة 20 ثانية بالماء والصابون أو المعقم	تكرار	81	31	8	2.6	0.72	1
		%	57.5	25.83	6.66			
03	رفعت مواقع التواصل الاجتماعي درجة وعيك بعدم تناول الأدوية دون وصفة الطبيب	تكرار	65	43	12	2.44	0.62	5
		%	54.16	35.83	10			
04	وضح محتوى بمواقع التواصل الاجتماعي الكيفية السليمة للتعقيم الدوري واليومي للبيت	تكرار	74	40	6	2.56	0.67	3
		%	61.66	33.33	5			
05	خففت مواقع التواصل الاجتماعي الضغط النفسي الناتج عن الحجر المنزلي	تكرار	76	30	14	2.51	0.66	4
		%	63.33	25	11.66			
06	زادت لديك الاهتمام بتناول الأغذية التي تنمي مناعة الجسم	تكرار	60	12	48	2.1	0.62	6
		%	50	10	40			
07	رفع محتوى مواقع التواصل الاجتماعي وعيك بعدم تناول الأعشاب الطبية عشوائيا	تكرار	59	40	21	1.71	0.59	9
		%	49.16	33.33	17.5			
08	تصفحت في مواقع التواصل	تكرار	46	6	68	1.8	0.66	8

		1				ر	الاجتماعي منشور يتحدث عن الاهتمام بالنوم والراحة لساعات كافية لزيادة مناعة الجسم	
			56.66	5	38.33	%		
7	0.65	2.05	54	5	61	تكرار	تحث مضامين بمواقع التواصل الاجتماعي على ضرورة تغيير الملابس	09
			45	4.16	50.83			
	0.65	2.26	المجمـــــــــــــوع					

يستدل من متوسط إجابات المبحوثين حول " دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الشخصية، أن المتوسط حسابي العام بلغ 2.26 وبانحراف معياري 0.65 يدل على تركز الإجابات نسبيا و عدم تشتتها، تلك النتيجة تعبر عن وجود دور متوسط لمواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الشخصية، وكان في مقدمتها العبارات التالية:

-زادت لديك الاهتمام بتناول الأغذية التي تنمي مناعة الجسم
-رفع محتوى مواقع التواصل الاجتماعي وعيك بعدم تناول الأعشاب الطبية عشوائيا
-تصفحت في مواقع التواصل الاجتماعي منشور يتحدث عن الاهتمام بالنوم والراحة لساعات كافية لزيادة مناعة الجسم.
-تحث مضامين بمواقع التواصل الاجتماعي على ضرورة تغيير الملابس.

بينما باقي العبارات كانت تحمل في طياتها دلالة على وجود دور قوي تراوح المتوسط الحسابي (2.6-2.44)، وهذا من خلال أراء رواد مواقع التواصل الاجتماعي ومن العبارات التي دلت على ذلك:

- دفعك محتوى في مواقع التواصل الاجتماعي للعناية الدائمة بغسل اليدين لمدة 20 ثانية بالماء والصابون أو المعقم

- نمت لديك مواقع التواصل الاجتماعي من خلال منشوراتها ضرورة الاتصال بالرقم الأخضر عند الشعور بأعراض كوفيد 19.

- وضح محتوى بمواقع التواصل الاجتماعي الكيفية السليمة للتعقيم الدوري واليومي للبيت

- خففت مواقع التواصل الاجتماعي الضغط النفسي الناتج عن الحجر المنزلي

- رفعت مواقع التواصل الاجتماعي درجة وعيك بعدم تناول الأدوية دون وصفة الطبيب

هذه النتيجة جاءت كإجابة للتساؤل الأول للدراسة، ولكنها لا تحقق الأهداف التي تسعى المؤسسات على اختلافها في الجزائر بلوغها، ومواقع التواصل الاجتماعي كأحد أهم القنوات التي تستخدم لتنمية الوعي المجتمعي الصحي للأفراد، فالمستوى الصحي الذي نريد الوصول إليه، هو

مستوى الذي يتبع فيه جميع أفراد المجتمع الإرشادات و العادات الصحية السليمة في كل سلوكاتهم اليومية ، بدافع شعورهم و رغبتهم ومشاركتهم في حل المشكلات الصحية التي تعترضهم ومن أهم المشكلات التي يعاني منها المجتمع الجزائري والمحلي في الوقت الحالي انتشار مرض كوفيد َ19 وتداعياته وانعكاساته السلبية على جميع القطاعات.

إن التنظيف والتعقيم المنتظم للأسطح التي يكثر لمسها في المنازل إجراء احترازي مهم لتقليل خطر الإصابة بالعدوى، وهو تصرف صحي دعت إليه مواقع التواصل الاجتماعي على اختلاف أنواعها بالتقيد به، ناهيك عن حرصها لتوعية المستخدمين على إتباع الإرشادات المكتوبة على عبوات مواد التنظيف بشأن الاستخدام الآمن والفعال، بما فيها الاحتياطات التي عليك أخذها حين استعمال المنتج، كارتداء القفازات والتأكد من وجود تهوية جيدة داخل البيت لتجنب بعض التأثيرات السلبية لهذه المنظفات على الصحة.

هذا و سعت العديد من المضامين في مواقع التواصل الاجتماعي على توضيح كيفية عيش الفيروس في الأقمشة خاصة الملبوسات تحتوي على عناصر بلاستيكية ومعدنية قد يعيش عليها الفيروس من بضع ساعات إلى عدة أيام.

كما دعت إلى تبني العادات الجيدة التي ينصح باعتمادها مثل خلع الحذاء عند الدخول إلى البيت، وتغيير ملابسك عند العودة إليه إن كنت قد رجعت من مكان مزدحم، وغسل اليدين بالماء والصابون بعد ذلك مباشرة.

بالإضافة إلى تأكيدها على ضرورة الاعتناء بالصحة بتناول الأغذية التي تقوي المناعة، والنوم لساعات كافية دون تجاوزها، وعدم تناول الأدوية والأعشاب الطبية دون إسشارة الطبيب أو المختص، لأننا لا ننكر أن هناك من يروج لبيع أعشاب يدعي أنها تعالج مرض الكورونا كوفيد 19.

وهذا ما أشارت إليه جانقورتاران أن النوم الجيد فعال في دعم المناعة البدنية التي تعتبر خط الدفاع الأهم ضد الفيروسات، لذلك يجب أخذ قسط جيد من النوم كل يوم والاستيقاظ باكرًا. (https://www.aa.com.tr/a.).

ولم تركز فقط محتويات مواقع التواصل الاجتماعي حسب إجابات المبحوثين على الصحة الجسدية، بل اهتمت أيضا بالصحة النفسية للأفراد خاصة في ظل الحجر المنزلي، الذي يؤكد على ضرورة التقيد بالإجراءات الوقائية والتباعد الاجتماعي مما يسبب ذلك شعور بعض الأشخاص بالعزلة الاجتماعية والقلق و الخوف، فهناك صفحات على الفيسبوك أو مواد على اليوتيوب لمختصين تشرح كيفية التخفيف من الضغط النفسي الذي يشعر به أفراد الأسرة وكيفية التواصل البناء والجيد داخل الأسرة دون نشوب خلافات أو مشاكل داخلها، وفي نفس السياق يؤكد بحري صابر" أن تماسك الأسرة مهم جدا في هذه المرحلة علينا أن ننسى خلافاتنا وصراعاتنا وأن نلتف حول بعضنا لنعزز صحتنا النفسية معا، فتماسك الأسرة من شأنه تعزيز

المناخ النفسي الايجابي وهو ما يدفعنا للشعور بأننا لسنا وحدنا في مواجهة ما يحصل بل إن عائلاتنا تدعمنا في ذلك، فنحن اليوم بحاجة للتكاتف والتماسك أكثر.(بحري صابر، 2020، ص23).

وفي نفس السياق صرحت جانقوتاران المختصة التركية في الصحة النفسية أن الضحك خلال الأوقات العصيبة والمزاح ومشاهدة المقاطع المسجلة (الفيديو) المضحكة في وسائل التواصل الاجتماعي يمكن أن يساعد الدماغ على الخروج من حالة الإنذار إلى الاسترخاء وقالت: إذا كنت تتبع توصيات الخبراء والجهات الصحية الرسمية، فأنت تبذل قصارى جهدك بالفعل من أجل عدم الإصابة بالفيروس، يجب أن تكون قادرًا على التركيز على ما يمكنك التحكم فيه والحد من التوتر والخوف. (https://www.aa.com.tr/a.)

ثانيا النتائج المتعلقة بالتساؤل الثاني الذي طرح كالتالي: ما دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة البيئية في ظل ازمة كوفيد 19؟

جدول رقم (2) : يبين إجابات المبحوثين حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة البيئية في ظل كوفيد 19

رقم البند	العبارات		درجة: دائما	احيانا	أبدا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	رتبة البند
01	ساعدك منشور في مواقع التواصل الاجتماعي للمشاركة في حملات لتنظيف الحي الذي تسكن فيه.	تكرار	84	9	27	2.39	0.71	5
		%	70	7.5	22.5			
02	خلق لديك إحساس بضرورة لعب دور توعوي في الحفاظ على المحيط	تكرار	78	38	4	2.61	0.69	1
		%	65	31.66	3.33			
03	عززت مواقع التواصل الاجتماعي من خلال محتواها ضرورة الاعتناء بالحدائق والمساحات الخضراء المحاذية لبيتك	تكرار	71	37	12	2.49	0.64	4
		%	59.16	30.83	10			
04	استخدمت مواقع التواصل الاجتماعي لمشاركة منشورات تدعو إلى الاهتمام بأماكن التجمعات المغلقة (كمكاتب البريد، والبلديات)	تكرار	59	6	55	2.03	0.64	6
		%	49.16	5	45.83			

05	رفعت مضامين مواقع التواصل الاجتماعي درجةوعيك بضرورة المساهمة في حملات تعقيم الأحياء	تكرار	76	30	14	2.51	0.66	2
		%	63.33	25	11.66			
06	خلقت لديك مواقع التواصل الاجتماعي إحساس بضرورة لعب دور توعوي في الحفاظ على الثروة المائية	تكرار	46	6	68	1.81	0.66	8
		%	38.33	5	68			
07	نما لديك محتوى بمواقع التواصل الاجتماعي إحساس بضرورة ترشيد استهلاك الطاقة الكهربائية خلال فترة الحجر المنزلي	تكرار	42	20	58	1.86	0.59	7
		%	35	16.66	48.33			
08	استفدت من منشورات بمواقع التواصل الاجتماعي في معرفة كيفية التخلص السليم للنفايات بدون أضرار خاصة (الكمامات و القفازات)	تكرار	68	42	12	2.5	0.64	3
		%	56.66	35	10			
المجـــــــمـــــــــوع						2.27	0.65	

فيما يخص التساؤل الثاني و المتمثل في المتغير المستقل مواقع التواصل الاجتماعي والمتغير التابع الوعي الصحي، تبين أن درجة الموافقة عليها من قبل المبحوثين جاءت متوسطة، بمتوسط حسابي كلي بلغ 2.27 وبانحراف معياري بلغ 0.65 الذي ينم عن تركز إجابات المبحوثين وعدم تشتتها، وتراوحت إجابات المبحوثين ما بين (1.81-2.61) أي مابين المتوسطة والمرتفعة، وتصور المبحوثين نحوها فحصلت العبارة :"خلق لديك إحساس بضرورة لعب دور توعوي في الحفاظ على المحيط" على أعلى قيمة وعلى نسبة قدرت بـ:65 % لصالح القائلين دائما بمتوسط حسابي بلغ 2.61.

في حين عادت أقل قيمة للعبارة :" خلقت لديك مواقع التواصل الاجتماعي إحساس بضرورة لعب دور توعوي في الحفاظ على الثروة المائية " وبنسبة 38.33% و بمتوسط حسابي بلغ 81.1

وهذه النتائج تشير إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي تؤدي دورا متوسطا في تنمية الصحة البيئية حسب وجهة نظر المستخدمين لها، وكانت أهم العبارات التي دلت على ذلك:

-ساعدك منشور في مواقع التواصل الاجتماعي للمشاركة في حملات لتنظيف الحي الذي تسكن فيه.

-عززت مواقع التواصل الاجتماعي من خلال محتواها ضرورة الاعتناء بالحدائق والمساحات الخضراء المحاذية لبيتك.

-استخدمت مواقع التواصل الاجتماعي لمشاركة منشورات تدعو إلى الاهتمام بأماكن التجمعات المغلقة (كمكاتب البريد، والبلديات)

-رفعت مضامين مواقع التواصل الاجتماعي درجة وعيك بضرورة المساهمة في حملات تعقيم الأحياء.

-نما لديك محتوى بمواقع التواصل الاجتماعي إحساس بضرورة ترشيد استهلاك الطاقة الكهربائية خلال فترة الحجر المنزلي.

-استفدت من منشورات بمواقع التواصل الاجتماعي في معرفة كيفية التخلص السليم للنفايات بدون أضرار خاصة (الكمامات والقفازات).

وقد ترجع هذه النتيجة إلى الدور الذي تقوم به مواقع التواصل الاجتماعي للربط بين النظري كالتوعية والإرشاد بالتطبيق والممارسة، والجدية في أخذ الأمور والحرص على إشراك الأفراد في الأعمال وبذل الجهد لكي يشعروا أكثر بضرورة المحافظة على الممتلكات باعتبارها أملاك تستفيد منها الأجيال القادمة.

إن الوطنية أن يعتز كل مواطن بوطنه والمحافظة على سماته ومكتسباته ومرافقه وأن العلاقة بين وسائل الإعلام وتشكيل الوعي في نفوس الأفراد علاقة وثيقة، ولا شك أن الوعي في بلادنا قد تطوَّر نتيجة التوجيه الهادف والإرشاد السليم، كما أن الصحافة والإذاعة والتلفاز ومواقع التواصل الاجتماعي قدموا الكثير من برامج ومضامين ثقافية وتوعوية، وعلينا أن نبادر بالاستجابة نحو تلك التوعية لتحقيق الأهداف المنشودة من ذلك والدعوة إلى الاهتمام بالمرافق العامة ومكتسبات الوطن، فإذا استطاع كل واحد منا أن يحافظ على المرافق والممتلكات كما يحافظ على ممتلكاته وبيته فإننا نكون قد حققنا مزيداً من النجاح والتقدم، ومن المسؤولية الاجتماعية المحافظة على خصائص ومكتسبات الوطن والوقوف في وجه كل ما يمس شيئاً من ذلك.

إن دور مواقع التواصل الاجتماعي يعتبر أساسيا في شرح قيم الصحة و النظافة والجمال وهذه القيم التي تبين للأفراد أهمية مشاركته في تحقيق الوعي الصحي البيئي والقيام بجميع الممارسات والأعمال التي يمكن أن تسهم في تعزيز وتطوير البيئة المحليـــة والابتعـــــاد عن السلوكـــــات السلبيـــــة، والتقيد بالأنماط السلوكية السليمـــــة، للحفاظ على النظافـــــة العامة والمحيط الصحي، بالإضافة إلى بروز أهمية التثقيف بقضايا ومشكلات المياه والكهرباء وتعاملات الإنسان معهما، هو المدخل السليم لترشيد سلوكه وتبصيره بالتوابع البيئية لأعماله وقراراته وأدق تعاملاته مع الموارد المائية والكهربائية باعتبارها ثروة من ثروات الوطن، إن الجهد المنظم والموجه الذي يقوم به مواقع التواصل الاجتماعي في ظل أزمة كوفيد 19 تجاه الأفراد، فهؤلاء

الذين يجب تنمية معارفهم ومفاهيمهم المتصلة بالموارد المائية والكهربائية بشكل يجعلهم قادرين على التفاعل الايجابي مع هذه الثروات و حفظها من الاستنزاف والتبذير، كما أكدوا حسب إجابات المبحوثين على ضرورة التخلص من النفايات وأغلفتها بطريقة صحيحة وآمنة، وتجنب تراكم الفضلات التي يمكن أن تجتذب الآفات، وتكثر من انتشار عدوى الفيروس بين الناس.

ثالثا النتائج المتعلقة بالتساؤل الثالث الذي طرح كالتالي: ما دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الاجتماعية في ظل أزمة كوفيد 19؟

جدول رقم (3) : يبين إجابات المبحوثين حول دور مواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الاجتماعية في ظل أزمة كوفيد19

رقم البند	العبارات		درجة دائما	درجة احيانا	درجة أبدا	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	رتبة البند
01	دفعك منشور في مواقع التواصل الاجتماعي إلى التخفيف من الزيارات العائلية أثناء فترة الحجر المنزلي	تكرار	85	14	21	2.53	0.71	6
		%	70.83	11.66	17.5			
02	حذر محتوى بمواقع التواصل الاجتماعي من إقامة التجمعات (كالولائم والأعراس ومجالس العزاء)	تكرار	74	40	6	2.56	0.67	4
		%	61.66	33.33	5			
03	خلق لديك مضمون بمواقع التواصل الاجتماعي الشعور بضرورة المشاركة الآمنة في الأنشطة الاجتماعية مع المتضررين من الوباء	تكرار	81	25	14	2.55	0.68	5
		%	67.5	20.83	11.66			
04	دفعك منشور بمواقع التواصل الاجتماعي إلى المساهمة في حملة واسعة للتبرع بالدم	تكرار	60	12	48	2.1	0.62	9
		%	50	10	40			
05	وضح محتوى بمواقع التواصل الاجتماعي أهمية جهود القائمين على الرعاية الصحية (الطاقم الطبي والشبه طبي وجميع العاملين في القطاع)	تكرار	68	42	12	2.5	0.64	7
		%	56.66	35	10			
06	تشجيع الأفراد على التباعد	تكرا	100	6	14	2.71	0.8	2

	الجسدي (عدم التصافح و التقبيل) للتقليل من انتشار العدوى بينهم	ر					1	
		%	83.33	5	11.66			
07	تنمي لدى الأفراد التعاون مع المسؤولين في سبيل وقاية المجتمع من تفشي الوباء	تكرار	71	17	32	2.32	0.63	8
		%	59.16	14.16	26.66			
08	عززت مضامين مواقع التواصل الاجتماعي من خلال الحملات التحسيسية تعاطفك مع مرضى كوفيد 19	تكرار	92	14	14	2.65	0.75	3
		%	76.66	11.66	11.66			
09	رفعت مواقع التواصل الاجتماعي درجة وعيك لضرورة ارتداء الكمامات عند مغادرة المنزل	تكرار	104	7	9	2.79	0.84	1
		%	86.66	5.83	7.5			
المجموع						2.52	0.7	

فيما يخص التساؤل الثالث و المتعلق بالمتغير المستقل و المتمثل في مواقع التواصل الاجتماعي و المتغير التابع الصحة الاجتماعية، تبين أن درجة الموافقة عليها من قبلهم جاءت متوسطة، بمتوسط حسابي كلي بلغ 2.52 بانحراف معياري بلغ 0.7 الذي ينم عن عدم تركز إجابات المبحوثين وعدم تشتتها، تراوحت إجابات المبحوثين ما بين (2.79-2.1) أي مابين المتوسطة والمرتفعة، وهذه النتائج تشير إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي تؤدي دورا مرتفعا في تنمية الصحة الاجتماعية حسب وجهة نظر المستخدمين لها ، وكانت أهم العبارات التي دلت على ذلك:

- "رفعت مواقع التواصل الاجتماعي درجة وعيك لضرورة ارتداء الكمامات عند مغادرة المنزل" بنسبة مئوية بلغت 86.33 و بمتوسط حسابي 2.79 .

- تشجيع الأفراد على التباعد الجسدي (عدم التصافح والتقبيل) للتقليل من انتشار العدوى بينهم.

- عززت مضامين مواقع التواصل الاجتماعي من خلال الحملات التحسيسية تعاطفك مع مرضى كوفيد 19

- حذر محتوى بمواقع التواصل الاجتماعي من إقامة التجمعات (كالولائم والأعراس و مجالس العزاء).

- دفعك منشور في مواقع التواصل الاجتماعي إلى التخفيف من الزيارات العائلية أثناء فترة الحجر المنزلي.

- خلق لديك مضمون بمواقع التواصل الاجتماعي الشعور بضرورة المشاركة الآمنة في الأنشطة الاجتماعية مع المتضررين من الوباء

- وضح محتوى بمواقع التواصل الاجتماعي أهمية جهود القائمين على الرعاية الصحية (الطاقم الطبي و الشبه طبي وجميع العاملين في القطاع) بينما العبارتين المتبقيتين كانت تحمل في طياتها دلالة على وجود دور متوسط، وهذا من خلال أراء رواد مواقع التواصل الاجتماعي وهما على التوالي:

- عبارة " تنمي لدى الأفراد التعاون مع المسؤولين في سبيل وقاية المجتمع من تفشي الوباء" بنسبة مئوية 59.16 %و بمتوسط حسابي 2.32.

- أما عبارة "دفعك منشور بمواقع التواصل الاجتماعي إلى المساهمة في حملة واسعة للتبرع بالدم" فقد صنفت في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي 2.1 ونسبة مئوية بلغت 50 %

ورأي الباحثة في النتائج المبينة أعلاه، نستطيع القول أن مواقع التواصل الاجتماعي تعمل كقوى اجتماعية في تشكيل اتجاهات الاختيار عند الأفراد وهي توجه السلوك الإنساني الاجتماعي نحو الأهداف، فالقيم هي القوى الحقيقية التي تحرك حياتنا الاجتماعية، وهي تشكل المعيار الذي بدوره يحكم على الفعل بالصواب والخطأ.

وهو ما يؤكده بارسونز بقوله أن عملية التفاعل بين القائم بالسلوك وبين الأفراد الآخرين في جماعته، يمكن أن تعكس صورة مصغرة للأنساق الاجتماعية لأن التفاعل يشمـــل العنـــــاصـــر التـــي تـــنـــطـــوي عليهـــا النـــظـــم والأنســـاق الاجتماعيـــة، مـــتمثـــلـــة فـــي القـــيـــم والمعتقدات والمعايير الثقافية والاجتماعية والجمالية، وهكذا تبدو العناصر المختلفة المتضمنـــة في نســـق القيـــم وقـــوالـــب الأفكـــار وكـــأنـــها مستمـــدة ومتصلة بضـــرورات ومحددات السلوك والتفاعل الاجتماعي.(أحمد الخشاب، د ت، ص657)

كما أن تفعيل الصحة الاجتماعية تؤدي وظيفة أساسية في المجتمع وهي توجيه سلوك الايجابي للأفراد، بحيث تصبح دعامة قوية للنظام الاجتماعي ككل، ورافد من روافد تماسك الأفراد ، لأنها تعمل على إقامة نقاط التقاء متفق عليها من قبل جميع شرائح المجتمع، لذلك فإن منظومة القيم الاجتماعية التي يتبناها الفرد والمجتمع والدولة في حقيقتها المحرك الأساسي لأفكار وأفعال هذه الأطراف جميعا، إضافة فهي تمثل المكون الأساسي لشخصية المجتمـــع، إن حـــرص معظم مضامين مواقع التواصل الاجتماعي على تنمـــية قيم التعـــاون والتضامن والإيثار والوفـــاء والاحترام والتسامح والتراحم والتكافل في ظل أزمة كوفيد19 من أهم الأهداف التي يسعى إليها

النظام بجميع مؤسساته في الجزائر، ولا نستطيع إغفال بعض الصفحات على الفيسبوك مثل صفحة أحب بسكرة، والحملة الكبرى التي أطلقتها لجمع التبرعات لشراء أجهزة التنفس، حيث في غضون 4 أيام جمعت 634 مليون سنتيم، وحملة أخرى لتوفير المياه المعدنية لمرضى كوفيد 19 بمستشفيات بسكرة، وهي صورة تعكس لحمة وتضامن وتكافل المجتمع الجزائري والبسكري على الخصوص، وبعض الصفحات الرسمية للمستشفيات والجمعيات تدعو المواطنين للتبرع بالدم، وغيرها من المضامين والمحتويات الناشطة والفاعلة لرفع الحس بالمسؤولية الاجتماعية للمواطنين، ولا يمكننا إغفال حقيقة أن شريحة كبرى من الأفراد التزموا ببعض الدعوات والحملات التي روجت لها مواقع التواصل الاجتماعي، كدعوة بعض المواطنين أهاليهم وأقربائهم بتقبل التعازي عن طريق الهاتف.

الاقتراحات:

بناءً على النتائج المتوصل إليها نقترح مجموعة من العناوين القابلة للبحث مستقبلا والتي تعد امتداد للدراسة الراهنة:

-نقترح إجراء دراسة نوعية عن العلاقة بين الوصم الاجتماعي والمتعافين من مرض كوفيد19.

-انعكاسات جائحة كوفيد19 على الطلبة المقبلين على امتحان البكالوريا.

-الوعي الاجتماعي و دوره في الحد من انتشار جائحة كوفيد19

الخاتمة:

في ختام بحثنا هذا توصلنا إلى مواقع التواصل الاجتماعي ساهمت في تعزيز الوعي الصحي لدى الأفراد، وتشير النتائج المتوصل إليها بوجود دور متوسط لمواقع التواصل الاجتماعي في تنمية الصحة الشخصية و الصحة البيئية، ودور مرتفع في تنمية الصحة الاجتماعية، هذه النتيجة قد تعـــود إلى المسؤولية التي يتحلى بها معظم الأفراد في المجتمع، باعتبارها شعور إيجابي تعكس حرص الفرد في إتباع جميع الإجراءات الاحترازية، وما تمليه واجباته الفردية لحماية المجتمع، ربما لا يوجد لهذا المرض دواء حالي، لكننا نملك الوعي الفردي والمجتمعي وشعور الفرد بالمسؤولية تجاه نفسه والآخرين لقطع سلسلة انتشار الجائحة في الجزائر، من دون المبالغة في الإجراءات الوقائية أو تهوينها، إلى أن يرفع الله سبحانه وتعالى عنا هذه الجائحة.

قائمة المراجع:

1. أحمد خشاب(دت)، التفكير الاجتماعي دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، دار النهضة بيروت، لبنان.

2. أيلم شاهين جانقوتاران، نصائح طبية للمحافظة على الصحة النفسية خلال جائحة كورونا، .(https://www.aa.com.tr/a.)

3. بحري صابر(2020)، لإدارة أزمة فيروس كورونا covid19 من خلال تعزيز الصحة النفسية في ظل الحجر الصحي المنزلي، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية و الاقتصادية، برلين، ألمانيا، 13: 10-26.

4. جعفر ظاهر(2004)، أسس التغذية الصحية، دار المجدلاوي، عمان، الأردن.

5. فتحي السيد عبده، أبو السيد أحمد(2005)، الصناعات الصغيرة ودورها في التنمية المحلية، مؤسسة شباب الجامعة للنشر، الإسكندرية، مصر.

6. لوكيا الهاشمي، جابر نصر الدين(2006)، مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي، ط2، مخبر التطبيقات النفسية والتربوية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.

7. محمد الجوهري وآخرون(1992)، علم الاجتماع و دراسة الإعلام والاتصال، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر.

8. مريم ناريمان نومار (2012)، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية و تأثيرها في العلاقات الاجتماعية، مذكرة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال(غير منشورة) جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

9. ميلود زيان (1998)، أسس تقنيات التقويم التربوي، منشورات تالة، الجزائر.

دور نظم المعلومات الجغرافية في تحديد المجالات الزراعية المهددة بالمخاطر الطبيعية بإقليم الدريوش (حالة جماعة اجارماوس)

أ. عبد الكريم سومع، طالب باحث في الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة محمد الأول بوجدة - المغرب

أ. محمد صابري، دكتور في الجغرافيا، كلية الآداب،جامعة محمد الأول بوجدة - المغرب

ملخص: تتناول هذه الورقة العلمية بعض مظاهر الاختلالات البيئية والمجالية التي يشهدها النشاط الزراعي بالجماعات القروية لإقليم الدريوش عامة، وبجماعة اجارماوس التابعة لحوض بودينار خاصة، باعتباره النشاط الرئيسي بمجال الدراسة. وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز حجم المخاطر الطبيعية كأهم إكراهات هذا النشاط الفلاحي، والمرتبط بشكل أساسي بجودة وحجم الموارد الطبيعية المتاحة، ومدى تأثرها بعناصر الوسط الطبيعي. ومن أجل الوقوف على التحولات المرتبطة بهذه الدينامية، يتطلب الأمر ضرورة التحكم في معرفة خصائص ومميزات الوسط الطبيعي لمجال الدراسة، وتحليل ومعالجة البيانات بالاعتماد على نظم المعلومات الجغرافية باستخدام برنامج Arc Gis والعمل الميداني، بغية تحديد أهم هذه المخاطر وأثرها على استدامة الاستغلال الزراعي بالمجال المدروس.

الكلمات المفتاحية: حوض بودينار، جماعة اجارماوس، الاستغلال الزراعي، المخاطر الطبيعية.

The role of geographic information systems inmonitoring agricultural areas threatened by natural hazards in the province of Driouch (the case of the Ijarmaouas commune)

SOUMAA Abdelkarim: Student, Researcher in Geography,Mohammed the First University, Oujda-Morocco.

SABRI Mohamed, teacher, Researcher in Geography, Mohammed the First University, Oujda, Morocco

Abstract: This scientific paper deals with some aspects of the environmental and spatial imbalances that the agricultural activity witnesses in the rural communes affiliated to the province of Driouch in general, and particularly in the Ijarmaouas commune in Boudinar basin, as it is an activity of great importance in the field of study. Through it, we aim at highlighting the most important constraints of this agricultural activity, which depends on the quality and size of the available natural

resources, and the extent to which they are affected by natural and human factors. To identify these general shifts, it is necessary to control the knowledge of the characteristics and features of the natural environment in the field of study by analyzing and processing data based on geographic information systems using the “Arc Gis” program and field work, to determine the most important of these risks and their impact on the sustainability of agricultural exploitation in the field studied.

key words: Boudinar basin, Ijarmaouas commune, agricultural exploitation, natural hazards.

مقدمة:

تعتبر دراسة تطور المجال من الرهانات التي يهتم بها الفكر الجغرافي الحديث وكذا من الانشغالات الأساسية لكل جماعة حضرية أو قروية، لكونه مجالا مناسبا لتداخل وتفاعل مجموعة من المكونات الطبيعية والبشرية، وكذا للبحث عن الوسائل الكفيلة لتحقيق تنمية شاملة ترقى لمستوى طموحات الساكنة وانتظاراتهم.

عرفت المجالات الريفية بالمغرب خلال القرن العشرين تحولات سوسيو_مجالية ساهمت في ظهور دينامية متواصلة تغيرت معها المشاهد الجغرافية. خاصة مع ارتفاع نسبة الضغط السكاني على استغلال الموارد الطبيعية المحدودة لهذه المجالات مما أدى إلى ظهور مجموعة من الاختلالات البيئية والمجالية.

شهد الريف الشرقي بدوره مجموعة من هذه الاختلالات البيئية والتي أثرت على أنماط الاستغلال الفلاحي وساهمت في ظهور حركية بشرية ومجالية. ومن أجل الوقوف على أهم مميزات هذه التحولات سيتم الاعتماد على نظم المعلومات الجغرافية، من خلال تحديد مجمل عناصر وأطراف التدخل في العلاقة بين الإنسان والمجال، وذلك في إطار تحديد العناصر الضرورية لتنظيم المجال وإعداد التراب.

1. الإطار المنهجي للبحث

1.1 إشكالية البحث

سيتمحور موضوع هذا البحث حول دراسة أهم مظاهر الاختلالات البيئية والمجالية التي تعاني منها المجالات الزراعية بإقليم الدريوش عامة، وبجماعة اجارماوسعلى وجه الخصوص، من خلال الإجابة على الإشكالية التالية: كيف تساهم نظم المعلومات الجغرافية في إبراز حجم المخاطر الطبيعية كأهم إكراه يعاني منه النشاط الفلاحي، والمرتبط بشكل أساسي بجودة وحجم الموارد الطبيعية المتاحة، ومدى تأثرها بعناصر الوسط الطبيعي، وتحديد أهم السبل الممكنة للتخفيف من هذه الاكراهات؟

1.2 أهداف البحث:

يتجلى الهدف من هذه الدراسة في محاولة تحديد مظاهر هذه الاختلالات التي أضحت تعاني منها الموارد الطبيعية لجماعة اجارماوس بالتالي سيتم التركيز على:

-تشخيص حجم المخاطر الطبيعية التي تهدد مقومات النشاط الفلاحي بمجال الدراسة؛

-تحديد أثر هذه المخاطر على استدامة الاستغلال الزراعي بجماعة اجارماوس؛

-إبراز بعض أشكال التدخلات البشرية للحد من الاكراهات التي تعاني منها المجالات الفلاحية بمجال الدراسة.

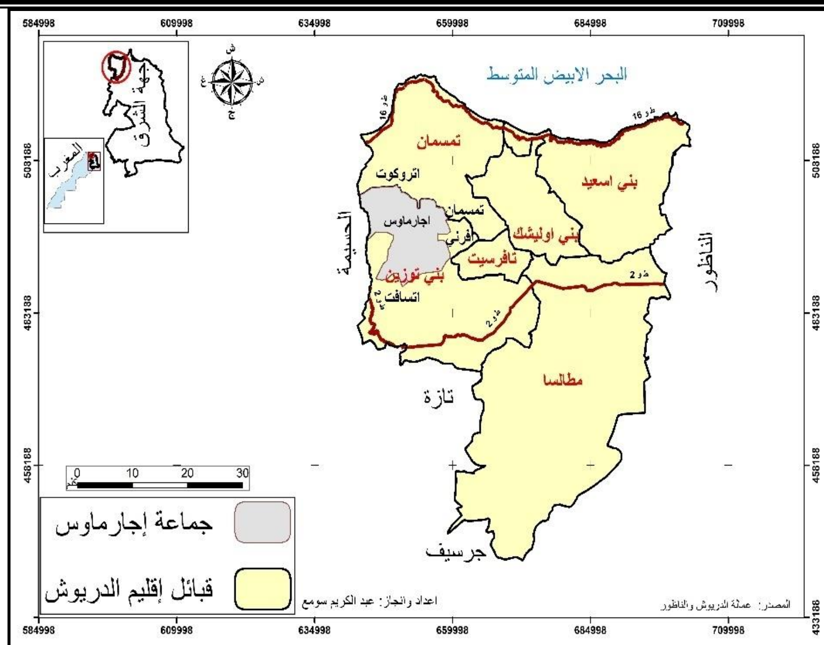
1.3 منهجية البحث:

تطلب انجاز هذه الدراسة الاعتماد على المنهج الاستقرائي الذي يقوم على تشخيص وإبراز كيفية تطور أشكال تدهور الموارد الطبيعية لمجال الدراسة، وإظهار أثر هذه التطورات على تحديد أنماط الاستغلال الزراعي؛عبر الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والعمل الكارتوغرافي. ولإظهار كل التحولات التي يعرفها المجال الدراسي، سنعملعلى تحليل ومعالجة المرئيات الفضائية،والاعتماد على الخرائط الطبوغرافية والعمل الميدان، ودراسة ومقارنة المعطيات المحصل عليها باعتماد برنامج ArcGIS، وفرز وتحليل المعطيات الإحصائية الإدارية باستخدام برنامج Excel.

1.4 الموقع الجغرافي لمجال الدراسة:

تنتمي جماعة اجارماوس لقبيلة بني توزين بدائرة الريف غرب إقليم الدريوش وبالشمال الغربي من جهة الشرق، تتميز بطابعها الجبلي والريفي، (أنظر خريطة تحديد مجال الدراسة بالشكل 1).

شكل 1: خريطة توطين مجال الدراسة



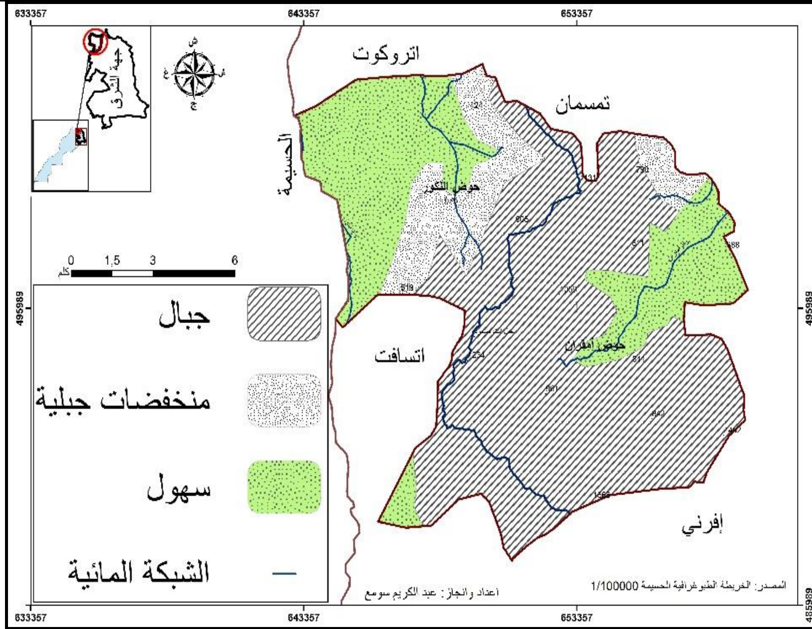
المصدر: عمالة الدريوش والناظور (عمل شخصي)

2. النتائج

2.1 جماعة اجارماوس بحوض بودينار مجال ذوموارد طبيعية محدودة وسريعة العطوبة:

تقع جماعة اجارماوس بالجنوب الغربي من حوض بودينار التابع لإقليم الدريوش.يعتبر الحوض جزء من جبال الريف الشرقي التي تتميز بالانحدارات الشديدة والالتواءات الزاحفة، وما يصاحبها من تضاريس وعرة. ويتميز هذا الوسط الطبيعي للجماعة بسيادة التضاريس الجبلية (94%)، ذات خصائص تتميز بشدة التقطع وتعمق الأودية، في حينتقل الأراضي المنبسطة وشبه المنبسطة؛ وهو ما طبع المنطقة بصعوبة الولوجية نظرا لسيادة التضرس وشدة انحدار السفوح (أنظر الشكل 2 توزيع التضاريس بمجال الدراسة).

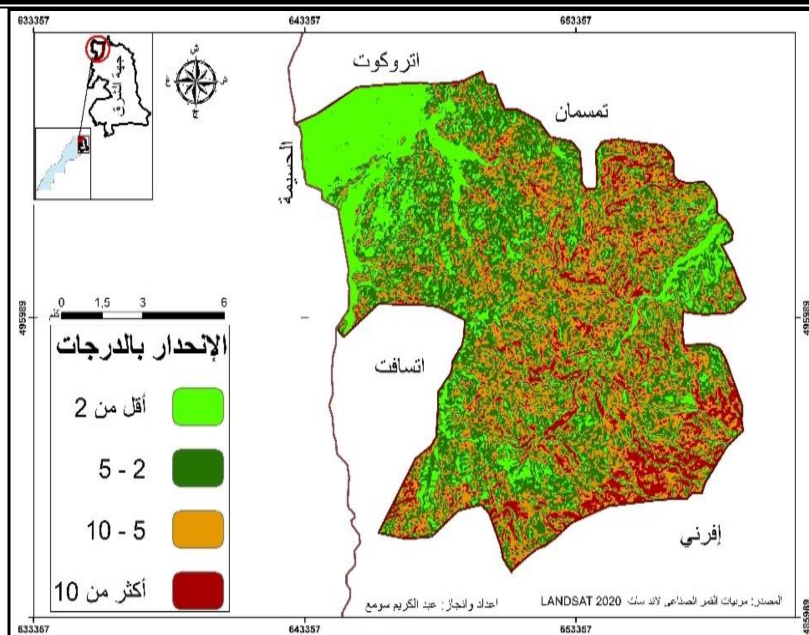
شكل 2: توزيع تضاريس جماعة اجارماوس



المصدر: خريطة الحسيمة 100000/1 + المديرية الإقليمية للفلاحة + النموذج الرقمي للارتفاعات DEM (عمل شخصي)

يتضح من خلال خريطة التضاريس أن مجال الدراسة يتميز بغلبة الجبال والمرتفعات (94% من الجبال)، بينما تنتشر المنخفضات بالشمال الغربي بحوض النكور، مما سيؤدي إلى تباين في توزيع المجالات المستغلة بالجماعة. تلعب الانحدارات دورا بارزا في توزيع الموارد الطبيعية، مما سيحد من الاستغلال الجيد والفعال والمربح لهذه الموارد المحلية المتاحة خاصة مع سيادة الانحدارات التي تفوق 5 درجات (كما يوضحه الشكل 3توزيعالانحدارات)، والسطوح ذات الانتشار الواسع للتكوينات الهشة وضعيفة النفاذية (الشست والطفل)؛ الأمر الذي سينعكس سلبا على القدرة في التخزين المائي ويرفع من مستوى العجز بخصوص هذا المورد الحيوي من جهة، وسيعمل على تسريع عملية النحت والتعرية بالغلاف الترابي من جهة ثانية.

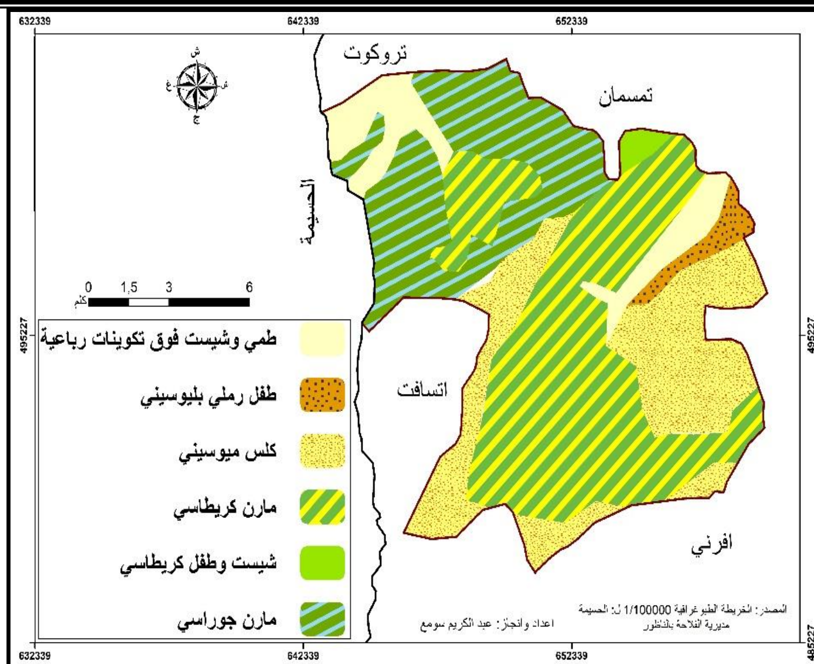
شكل 3: توزيع الانحدارات بجماعة اجارماوس



المصدر: خريطة الحسيمة 100000/1 + المديرية الإقليمية للفلاحة + النموذج الرقمي للارتفاعات DEM (عمل شخصي)

ينتمي مجال الدراسة لسلسة بني توزين التي تضم بعض التربات المختلطة والكلسية والضعيفة التطور، فوق تكوينات البليوسين والجوراسي، مما ساهم في انتشار مساحات مهمة من الشيست والمارن والطفل التي تعود إلى مرحلة الكريطاسي ومن الكلس والطفل الرملي البليوسيني(H. ABASSI,1987)، بالإضافة إلى مساحات مهمة من الميوسين المكونة من إرسابات خشنة من الكلس ومن تكوينات رباعية تتألف من الطمي والشيست (الشكل4: الخصائص الجيولوجية لمجال الدراسة).

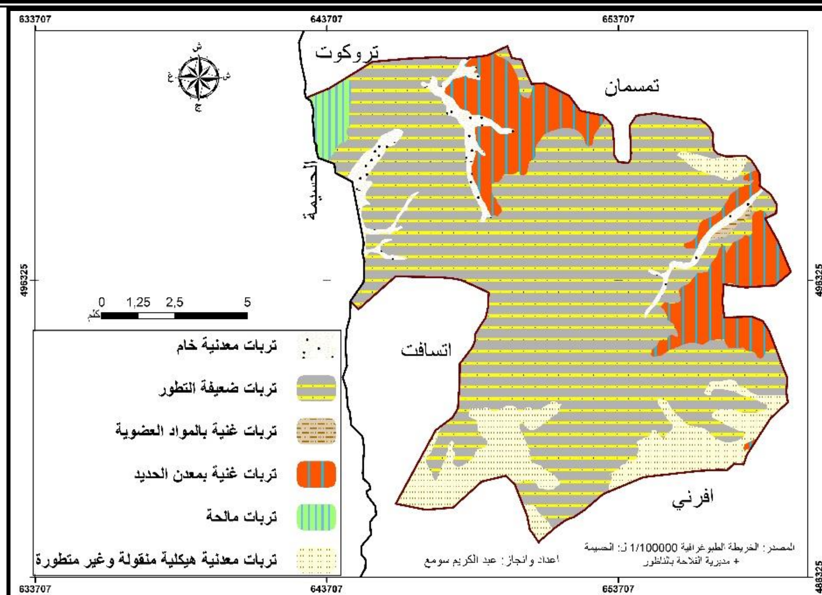
الشكل 4: الخصائص الجيولوجية لمجال الدراسة



المصدر: الخريطة الطبوغرافية للحسيمة 100000/1 + مديرية الفلاحة بالناظور (عمل شخصي)

تعتبر تربة مجال الدراسة رصيدا موروثا، تكون معظمه نتيجة النقل من السطوح المرتفعة، وتتميز بضعفها وهزالها نظرا لفقرها على مستوى المواد العضوية وضعف إمكانية التخزين المائي بها لفترة طويلة نظرا لسيادة المواد الخشنة وتملح بعض أقسامها.كما تتعرض هذه الموارد الترابية لضغط كبير من طرف الفلاحين أثناء عمليات الاستغلال الزراعي وهي في نفس الوقت تطرح صعوبات في استغلالها(الحسين بوضيلب، 2005)؛ (يحدد الشكل 5 توزيع أنواع التربات بمجال الدراسة). وساهمت هذه الوضعية في هزالة الغطاء النباتي، خاصة فوق السفوح ذات التكوينات الصلصالية، وفوق التكوينات الرباعية الخشنة، مما يتسبب في إتلاف أجزاء مهمة من الأراضي الزراعية التي تتحول مع مرور الزمن إلى أراضي ضعيفة الإنتاجية أو قد تتطور لتتحول إلى سطوح صخرية وأساحل (كما توضحه الصورة1).

الشكل5: توزيع أنواع التربات بمجال الدراسة



المصدر: الخريطة الطبوغرافية للحسيمة 100000/1 + مديرية الفلاحة بالناظور (عمل شخصي)

الصور1: جانب من تدهور المجالات الزراعية باجارماوس

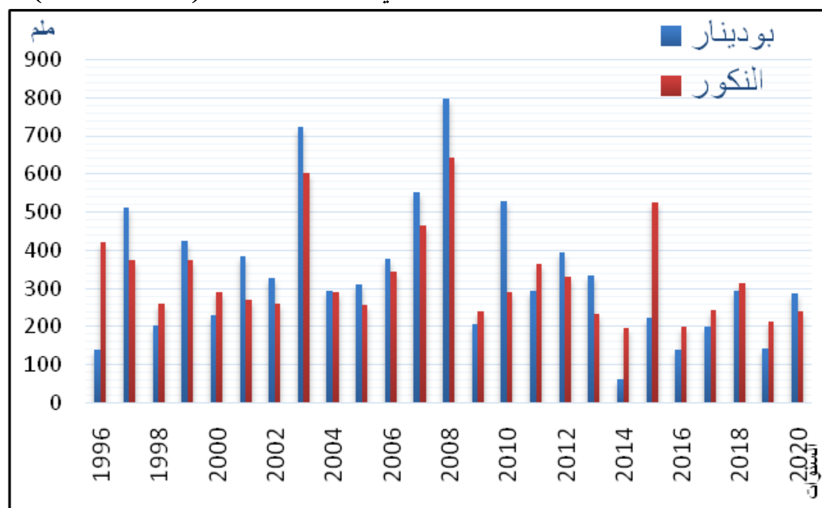


المصدر: تصوير عبد الكريم سومع، مارس 2021

ويُضاف إلى عناصر الهشاشة هذه عامل المناخ الذي يتميز عموما بقلة التساقطات مع عدم انتظامها وشدة قوة التهاطل؛ حيث يتراوح المعدل السنوي ما بين 200 و300 ملم (كما يوضحه الشكل 6). وجدير بالذكر أن كمية التساقطات وعنفها تختلف حسب الأقسام التضاريسية المكونة

للجماعة؛ حيث ترتفع وتكون أكثر حدة بالمجالات المرتفعة كما هو الحال بجبال بني توزين المشرفة على حوض النكور.

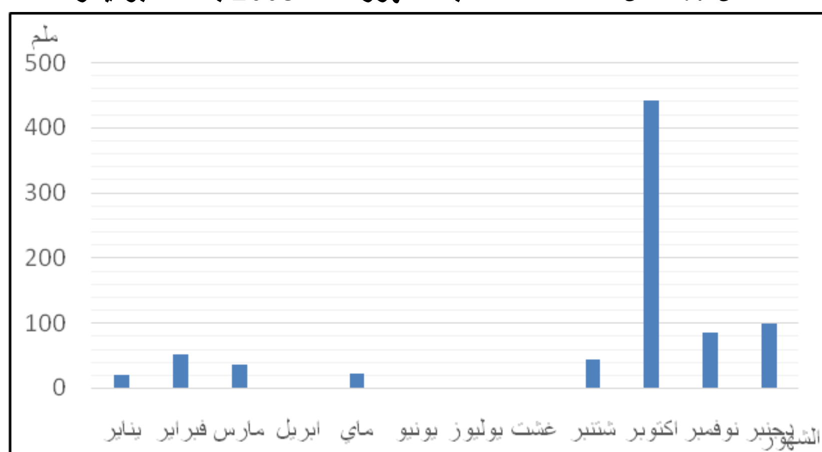
شكل 6: معدل التساقطات السنوية بمحطتي بودينار والنكور (1996 و2020)



المصدر: احصائيات قيادة بودينار وعمالة الدريوش

يتبين من خلال المقارنة بين إحصائيات مركز بودينار بشمال اجارماوس وحوض النكور بغربه أن معظم التساقطات المطرية التي يستقبلها مجال الدراسة تتميز بعدم انتظامها وتباينها الكبير من سنة إلى أخرى (كما هو واضح في الشكل 6) وهذا ما يؤدي إلى حدوث كوارث طبيعية عديدة، أهمها؛ توالي سنوات الجفاف (1998 – 2014 – 2016) والأمطار الفجائية (نموذج تساقطات سنة 2008 التي تميزت بتركز معظم التساقطات في شهر أكتوبر، كما هو مبين في الشكل 7).

شكل 7: معدل التساقطات حسب الشهور لسنة 2008 بمحطة بودينار



المصدر: احصائيات عمالة الدريوش

لقد خلفت هذه الأمطار مجموعة من الأضرار بالدواوير والبيوتات القريبة من ضفتي واد أمقران، وكذا تضرر وإتلاف المسالك الطرقية الرابطة بين دواوير ضفتي الواد. كما طمرت الآبار التي حفرت بضفاف الواد بالرمال والأوحال، واختفت هكتارات من الأراضي الفيضية التي كانت تستغل بالجوار (كما توضحه الصورة 2).

الصور2: جانب من الأضرار التي خلفتها أمطار شهر أكتوبر 2008 باجارماوس



المصدر: المصلحة التقنية بجماعتي تمسمان + اجارماوس

هذا النظام المطري أسس لنظام هيدروغرافي يتميز بطابعه الموسمي بكل من حوضي بودينار والنكور حيث تنتشر شبكة مائية لا تعرف الجريان إلا عقب الفترات المطيرة؛ ولمدة وجيزة، مما يؤدي إلى تسريع عملية الجريان السطحي (المركز والمنتشر) وانجراف التربة، وتنشيط التخديد، وضياع كميات هائلة من مياه الأمطار التي لا تنفذ إلى الباطن نظرا لسرعة السيلان، وهو الأمر الذي يرفع من حدة الجفاف البيدولوجي، وبالتالي عجز فلاحي المنطقة من تعبئة هذه الموارد المائية اللحظية واستخدامها في الاستغلال الزراعي.

يتبين من خلال هذا العرض لمختلف عناصر الوسط الطبيعي للمنطقة، مدى الدور الذي تلعبه المكونات التضاريسية والمناخية في التأثير على الموارد المحلية لمجال الدراسة وكذا على أنماط التدخل البشري لاستغلالها، بحيث تُسْهِم الموارد المائية والتربة في محدودية المجالات الزراعية، خاصة وأن اغلب الزراعات المُزاوَلة هي عبارة عن زراعات بورية، كما أن الشبكة المائية للمجال لا يوفر رصيدا مائيا كافيا يمكن الاعتماد عليها لخلق وتوسيع المجالات المسقية سواء فوق السهولالفيضية أو على مستوى الأراضي المحيطة بواد أمقران والنكور (كما توضحها الصور 3).

الصور3: جانب من الزراعات المسقية بحوض واد أمقران

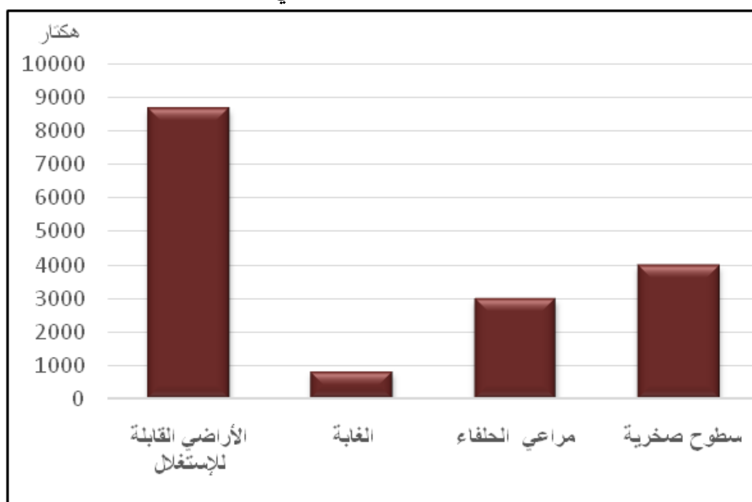


المصدر: تصوير عبد الكريم سومع، ماي 2021

2.2 جماعة اجارماوس بحوض بودينار مجال ذو موارد فلاحية محدودة ومتباينة مجاليا

تشكل الفلاحة أهم نشاط اقتصادي بالجماعة، بحيث تمثل الأراضي القابلة للاستغلال الفلاحي 51 %من المساحة الإجمالية (8700 هكتار هي مجموع الأراضي الصالحة للاستغلال الزراعي كما يوضحه الشكل 8). تغطي زراعة الحبوب أكبر مساحة مستغلة، ويعتبر الشعير أهم أنواع الحبوب المزروعة؛ في حين تعتبر مغروسات الزيتون واللوز من مغروسات الأشجار الرئيسية.

شكل 8: خصائص استغلال المجال الترابي لجماعة اجارماوس



المصدر: إحصائيات عمالة الدريوش

يعتمد الاستغلال الزراعية على أساليب تقليدية؛ وعلى مياه العيون بحوضي واد أمقران والنكور. وقد تنوعت أنماط الاستغلال الفلاحي بين تربية الماشية وزراعة الحبوب بالمجالات البورية،

وبين الزراعات المسقية من خضراوات وغراسة بالقرب من مياه العيون وبعض بطون الأودية حيث التربة الجيدة فوق الأراضي المجاورة لها والمياه القريبة من قيعان المجاري المائية(عبد الكريم سومع، 2006).

وتوضح نفس المعطيات دور أشكال التدخل البشري في تسريع عمليات التهشيش؛ بحيث أن عمليات الاجتثاث والحرث في اتجاه الانحدار تُعد بمثابة أنشطة تمارس باستمرار ومنذ القدم فوق معظم أقسام الريف الشرقي عموما، ومجال الدراسة على وجه التحديد.وقد أفرزت أشكالا من التدهور على مستوى التغليفات الترابية والنباتية (كما توضحه الصورة3) مما ألحق ضررا كبيرا على مستوى القيمة الزراعية لهذه الأراضي، ودفع بعدد من الأسر إلى الهجرة، الأمر الذي عمقالخلل بين مقومات الوسط الطبيعي من جهة والمكون البشري من جهة ثانية.

الصورة 3: تدهور التغليفات الترابية بالمجالات الزراعية لاجارماوس

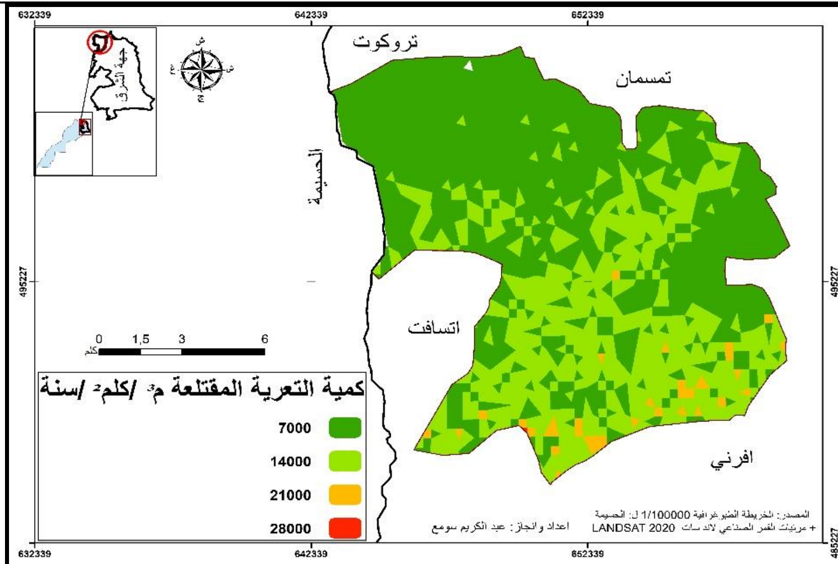


المصدر: تصوير عبد الكريم سومع، أكتوبر 2020

2.3 نسبة تدهور المجالات الزراعية باجارماوس حسب نموذج EPM

لتحديد مؤشر قابلية الأتربة للتعرية باجارماوس تم الاعتماد على خرائط مؤشر الحرارة ومؤشر التساقطات المطريةقصد تحديد مؤشر حماية التربة، ثم استخراج خريطة معامل التغطية النباتية (XaNDVI)، وبالتالي تحديد مؤشر تطور التعرية واستنتاج خريطة نطاقات التعرية المحتملة EPM.

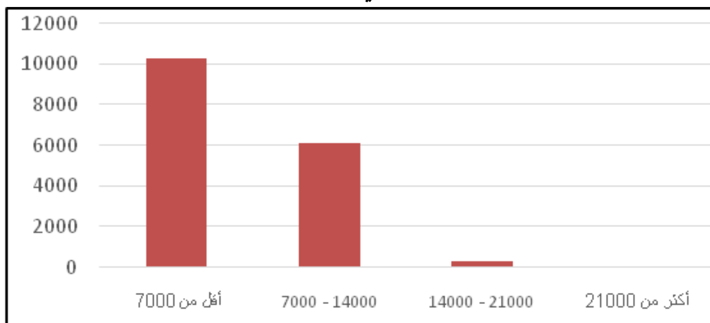
الشكل9:تقييم كمية التعرية المقتلعة بجماعة اجارماوس حسب نموذج EPM



المصدر: مرئيات القمر الصناعي لاند سات Landsat 2020 من موقع http://glovis.usgs.go (عمل شخصي)

يتبين من خلال الشكل 9 أن مجال الدراسة يتميز بانتشار المجالات المهددة بالتعرية والتي تُعرض باستمرار مساحات هامة من الأراضي الزراعية إلى التلف الذي قد يتحول مع مرور الزمن إلى أعطاب لا رجعية (Des dégradations irréversibles)، حيث أن أكثر من 16000 هكتار تفقد ما بين 7000و14000م^{3}في الكيلومتر مربع الواحد في السنة (كما يوضحه الشكل 10).

الشكل10: نسبة الأراضي المهددة بالتعرية



بالهكتار

من أجل تحديد المجالات الأكثر تهديدا بنشاط التعرية داخل جماعة اجارماوس ومن خلال الاعتماد على دمج وتحليل مضامين كل من خرائط الانحدارات وتوزيع التربة والتغطية النباتية (NDVI) والخريطة الجيولوجية لمجال الدراسةيتبين أن المجالات الجنوبية والجنوبية الغربية والشرقية هي التي تعرف ارتفاع نسبة نشاطالتعرية وتدهور الأراضي،نتيجة انتشار تربة ضعيفة

التطور ومختلطة مستقرة فوق تكوينات تعودلفترةالجوراسي والميوسين، وتعرف انحدارات تفوق 5 درجات؛ ساهمت بذلك في تراجع الغطاء النباتي بمجمل هذه المجالات،وبالتالي تهديد استقرار وديمومة المجالات الزراعية المستغلة بهذه المناطق؛مما يستوجب ضرورة التدخل لتدارك سرعة تدهور الأراضي الزراعية بالجماعة.

2.4 بعض التدابير المتخذة للتخفيف من تدهور المجالات الزراعية باجاورماوس

تحاول ساكنة الجماعة إعادة الاعتبار للاستغلال الفلاحي إيمانا منها بتشبثها بالأرض؛ وذلك من خلال محاولة إصلاح الأراضي الزراعية عبر إقامة المدرجات فوق بعض السفوح لكسر قوة الانحدار. وتعتبر هذه التقنيات(بناء المدرجات)من بين التدابير القديمة التي مارسها فلاحو المنطقة للمحافظة على التربة والماء.كما ساهم الاستثمار الخارجي في الميدان الزراعي في استقرار الاستغلال الزراعي؛ حيث شهدت مجموعة من الأراضي الشاسعة تحولات هامة في نمط استغلالها وذلك باستخدام أساليب متعددة للمحافظة عل الموارد المائية والترابية من قبيل: استغلال الآبار في السقي وبعضها في بيع الماء للدواوير المجاورة (بواسطة الشاحنات والجرارات المجهزة بالصهاريج)، ومحاولة تجديد المجال الزراعي عن طريق العدن(تنقية الأراضي من الأحجار Epierrage) وأحيانا الإتيان بتربة من خارج هذا المجالواستثمار أموال الهجرة في تحديث نظام الري عبر الاعتماد على الري الموضعي(كما توضحه الصورة4).

الصورة 4: محاولات الإصلاح بالمجالات الزراعية لاجارماوس

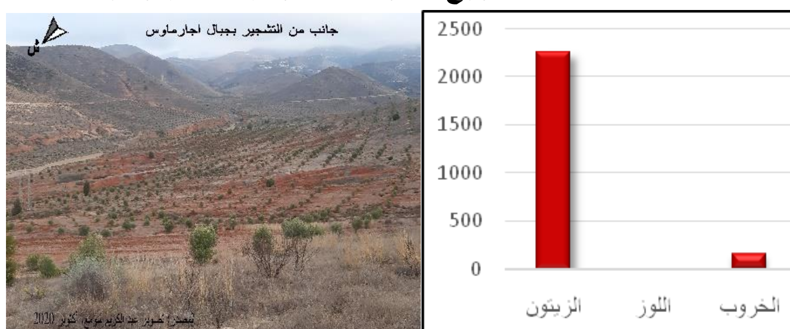


المصدر: تصوير عبد الكريم سومع، مارس 2021

عملت الدولة بدورها على التدخل لإصلاح هذا القطاع من أجل إعادة هيكلة المجالات الفلاحية وتهيئتها، وذلك في إطار مخطط التنمية الاستراتيجية لإقليم الدريوش، وسعيا وراء التخفيف من حدة الفيضانات المتكررة، وبحثا عن تنمية فلاحية مستدامة بهذا الإقليم. حيث ركزت الدولة في مشروع المغرب الأخضر على استبدال زراعة الحبوب بالأشجار المثمرة في محاولة منها للحد من ظاهرة التعرية بالجماعات ذات الزراعة البورية.وقد استفادت جماعة اجارماوس من هذا

البرنامج من خلال غرس 2260 هكتار من أشجار الزيتون و150 هكتار من أشجار الخروب (كما توضحه الصورة والشكل 12).

شكل 12: خصائص مشروع المغرب الأخضر بجماعة اجارماوس



المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة، الناظور، قسم الإعداد والبرمجة

المناقشة

عموما، بينت نتائج البحث الكارتوغرافي المعتمد على نظم المعلومات الجغرافية وبالاستناد على الدراسة الميدانية، أن المجالات الزراعية بجماعة اجارماوس أضحت تعاني من خلل تراجع مواردها الطبيعية نتيجة ارتفاع نشاط التعرية بمجالاتها الجبلية، خاصة بالوسط والجنوب، بينما المنطقة الغربية القريبة من مصب واد النكور تعرف نوعا من الاستقرار نتيجة انخفاض نسبة الانحدار بالقرب من سد عبد الكريم الخطابي.

لقد تظافرت مجموعة من العوامل غير الطبيعية في تدهور هذه المجالات الزراعية بمجال الدراسة، نذكر منها:

-استعمال الجرار والحرث باتجاه الانحدار فوق المرتفعات،

-هجر المجالات الزراعية والاتجاه نحو الهجرة خارج الجماعة،

-الاهتمام بالأنشطة غير الفلاحية من طرف الأجيال الجديدة.

خلاصة عامة:

تعتبر نظم المعلومات الجغرافية من بين أهم الأدوات التي يعتمد عليها البحث العلمي الجغرافي في ميدان تحديد وتقييم المخاطر الطبيعية وعلاقتها بالاستقرار والاستغلال البشري. بحيث استطعنا معرفة الخصائص الطبيعية المساهمة في حماية وضمان ديمومة استغلال المجالات الزراعية لجماعة اجارماوس (تربة، انحدار، الغطاء النباتي...) وبالتالي تحديد مدى قابلية هذه المجالات للتعرية بالاعتماد على نموذج EPM، والوقوف على مجمل الإكراهات المجالية التي تعاني منها الموارد الطبيعية للجماعة من جهة، وضرورة التدخل من أجل تدبير الاختلال القائم بين تراجع النشاط الفلاحي والحركية الديموغرافية داخل الجماعة من جهة ثانية.

قائمة المراجع:

1. الحسين بوضيلب(2005)، أسس الهجرة الدولية والدينامية السوسيو_مجالية بالريف الشرقي حالة حوض تمسمان وهوامشه، بحث لنيل دكتوراه الدولة في الجغرافيا؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.
2. عبد الكريم سومع (2006)، استغلال المجال الفلاحي داخل حوض بودينار بين ضعف الموارد المحلية والضغط السكاني، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، وحدة الجيوماتية والتهيئة والتنمية المستدامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.
3. Ministère de l'Urbanisme et de l'Aménagement du Territoire (2016), Etude du schéma directeur du développement agricole de la plaine de midar-driouch, phase2 Scénarios d'aménagement et de développement et carte du SDAU, Rabat, Maroc.
4. H. ABASSI (1987), Essai sur la dynamique des milieux dans le bassin de Boudinar (Rif Oriental, Maroc), thèse en vue du doctorat de l'université Louis Pasteur ; centre d'Etudes et de Recherches Eco-Géographiques, Strasbourg1, France.

المصالح الادارية:

- المديرية الإقليمية للفلاحة
- عمالة إقليم الدريوش
- المجلس الإقليمي للدريوش
- المندوبية الجهوية للتخطيط

عوامل الضغوط النفسية و علاقتها بالأداء المهني للعمال الجزائريين "دراسة عينة من العمال الجزائريين عبر مواقع التواصل الاجتماعي- 2019"

ط.د ابراهيمي هادية - طالبة دكتوراه - المدرسة الوطنية العليا للإحصاء و الاقتصاد التطبيقي- الجزائر

ط.د بهيليل زينب- طالبة دكتوراه - المدرسة العليا للتجارة- الجزائر

الملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة العلاقة بين عوامل الضغوط النفسية (الداخلية و الخارجية) و الأداء المهني للعمَال الجزائريين، حيث تمّ الاعتماد على استخدام الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات و بلغ حجم عينة الدراسة 200 عامل ينتمي للمؤسسات الاقتصادية بالجزائر. أظهرت النتائج أنَه لا توجد علاقة بين العوامل الخارجية للضغوطات التي يتعرض لها العمال و أدائهم المهني، بينما توجد علاقة عكسية ضعيفة ذات دلالة إحصائية بين العوامل الداخلية و أدائهم المهني. من جهة أخرى بيَنت النتائج أنَه لا توجد فروق بين العوامل المهنية للضغوط النفسية تعزى القطاع.

الكلمات المفتاحية: الضغط النفسي، العوامل الداخلية، العوامل الخارجية، الأداء المهني، العمال الجزائريين.

Factors of Psychological Pressures and their relation to the Algerian Workers' Professional Performance. "A study on a sample of Algerian workers via social networks – 2019"

Brahimi Hadia – Phd student – High School of Statistics and Applied Economics – Algeria

Behilil Zeneb – Phd student – High School of Trade - Algeria

Abstract: This research paper aims to study the relationship between psychological stress factors (internal and external) and the professional performance of Algerian workers, as the questionnaire was used as a tool to collect data and the size of the study sample reached 200 workers belonging to economic institutions in Algeria. The results showed that there is no relationship between the external factors for the pressures that the workers are exposed to and their professional performance, while there is a weak statistically significant inverse relationship between the

internal factors and their professional performance. On the other hand, the results showed that there are no differences between the occupational factors for psychological pressures attributable to the sector.

Keywords: Psychological pressure, Work pressure, Internal factors, External factors, Work performance, Algerian workers.

مقدمة

يُعتبر الإنسان فرد من أفراد المجتمع يمر على مراحل عدة يتعايش فيها مع العديد من الظروف الاجتماعية و الاقتصادية المختلفة و التي تتعدد بتعدد متطلبات الحياة و خصوصا في الوقت الحالي مع التطور الحاصل في العالم و الذي جعله يدعى بعصر السرعة، حيث فرض على الفرد مطالب و تحديات جديدة جعلته يعيش نوعا من الضغط ممَا جعل لها تأثيرا واضحا في توليد التوترات النفسية لديه، و بما أنَ الحياة المهنية جزء لا يتجزأ من حياة الفرد في المجتمع، فقد أظهرت دراسة أمريكية أنَ الفرد العامل يقضي حوالي 13 سنة و شهرين من حياته في وسطه المهني (Stange Jocelyn, 2019) كون وظيفته أصبحت الوسيلة الذي يلجأ إليها ليلبي رغباته و مطالبه و كذا مطالب أسرته، فأصبح بذلك يتعرض لضغوطات نفسية و أخرى مهنية أثرت و بشكل كبير على أسلوب حياته و كذا علاقاته الاجتماعية و الأسرية.

فرضت بيئة العمل التنافسية على العامل على وجه العموم و على العامل الجزائري على وجه الخصوص السعي بشكل مستمر لتحسين أدائه و مردوديته و البحث عن وسائل وطرق لكسب رضا المسؤولين بغية البقاء في وظيفته، وكل هذه الأمور تسببت له بجملة من الضغوط النفسية و التي أثرت وبشكل ملحوظ على أدائه في المؤسسة، خاصة وأنَ بيئة العمل في المنظمات الحديثة تتميز بخصائص و مميزات تفرض على العامل أن يحسن من مردوديته و من جودة عمله إضافة إلى العمل لساعات أطول ليضمن بقائه و مكانته في المنظمة، و بعد ما وصل إليه العالم من تحولات جذرية في بيئة العمل (التحول من اقتصاد تقليدي الي اقتصاد المعلوماتي و المعرفي) الذي خلق فيها نوع من عدم الاستقرار و الثبات في المنظمة أدى بالمسؤولين إلى رفع الضغط على العاملين لديهم والذي أثر و بشكل سلبي على نفسيتهم و صحتهم الجسمانية و التي أثرت هي الأخرى على نوعية أدائهم ومردوديتهم في العمل.

اهتم العديد من الباحثين في إدارة الموارد البشرية، علم النفس و التربية و كذا السلوك التنظيمي بدراسة الضغوط النفسية و المهنية، مصادرها و آثارها خصوصا في الوقت الحالي مع التطورات الحاصلة في شتى الميادين باعتبار أنَ العامل هو الركيزة التي تقوم عليها المؤسسات و ذلك بغية مواجهتها، التصدي لها و كذا تحسين ظروف العمل من أجل التقليل من آثارها السلبية باعتبارها عاملا رئيسيا في تفشي الأمراض الجسدية كأمراض القلب، الضغط الدموي، السكري و غيرها، إضافة إلى الأمراض النفسية التي تؤثر و بشكل كبير على صحته العقلية كالقلق، الإحباط، التوتر الدائم، ممَا قد تنعكس على سلوكياته الاجتماعية فقد أظهرت إحصائيات المنظمة العالمية للعمل أنَ

أكثر من 800000 شخص في العالم يَقدمون على الانتحار كل سنة بسبب الضغوط المهنية التي يتعرضون لها (International Labour Office & Labour Administration, 2016, P.08)، إضافة إلى سلوكياته السلبية في وسطه المهني.

الإشكالية:

انطلاقا من أهمية البحث في العوامل الخارجية و المهنية للضغوطات النفسية و علاقتها بالأداء المهني للعامل الجزائري فانَ السؤال الرئيسي الذي نسعى للإجابة عنه من خلال هذه الدراسة هو التالي:

ما مدى وجود علاقة بين عوامل الضغوط النفسية للعامل الجزائري و أدائه المهني؟

ويندرج تحت هذا السؤال أسئلة فرعية سنحاول من خلال هذه الورقة العلمية الإجابة عليها، و هي:

السؤال الأول: هل توجد علاقة بين العوامل الخارجية للضغوط النفسية للعامل و أدائه المهني؟
السؤال الثاني: هل توجد علاقة بين العوامل الداخلية للضغوط النفسية للعامل و أدائه المهني؟
السؤال الثالث: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $0,05 = \alpha$ بين متوسطات العوامل المهنية المسببة للضغوط النفسية لدى العامل الجزائري تعزى القطاع الذي ينتمي إليه؟

فرضيات الدراسة:

حتى تتم الإجابة على هذه الأسئلة، تم وضع الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: توجد علاقة بين العوامل الخارجية للضغوط النفسية للعامل و أدائه المهني.
الفرضية الثانية: توجد علاقة بين العوامل الداخلية للضغوط النفسية للعامل و أدائه المهني.
الفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $0,05 = \alpha$ بين متوسطات العوامل المهنية المسببة للضغوط النفسية لدى العامل الجزائري تعزى القطاع الذي ينتمي إليه.

أهداف الدراسة: من أهم أهداف هذه الدراسة نذكر:

-دراسة العلاقة بين العوامل الخارجية للضغوط النفسية للعامل الجزائري و الناجمة عن المحيط الخارجي لعمله و أدائه المهني في المنظمة.
-دراسة العلاقة بين العوامل الداخلية للضغوط النفسية للعامل الجزائري و الناجم عن بيئة العمل و أدائه المهني في المنظمة.
-دراسة مدى وجود فروقات بين الضغوطات المهنية للعامل الجزائري حسب القطاع الذي ينتمي إليه.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذه الدراسة في كونها تسلّط الضوء على أحد أبرز مشاكل العصر المتمثلة في الضغوط النفسية و المهنية لما تتركه من آثار و نتائج خطيرة على حياة الفرد، و أثارها على الأداء المهني للعامل باعتباره أساس قيام المنظمات، و بالتالي فهي تساعد على فهم مستوى التعرض للضغوط النفسية في مختلف القطاعات، إضافة إلى أنَها تساعد على فهم العلاقة بين العوامل الداخلية و الخارجية للضغوطات النفسية و الأداء المهني للعامل الجزائري، هذا إلى جانب إثراء البحوث العلمية المتعلقة بالدراسات الاجتماعية والسلوك التنظيمي للأفراد.

الدراسات السابقة:

من أهم الدراسات السابقة التي تناولت الضغوط النفسية و المهنية و الأداء في بيئة العمل و التي تم الاطلاع عليها نذكر:

دراسة **(نارايانان لاكشمي، مينون شانكر و سبيكتر بول، 1999)** بعنوان: **"الضغط في مكان العمل: مقارنة بين الجنسين و المهن "**تعرضت هذه الدراسة إلى الكشف عن ضغوطات العمل المتعلقة بعمال المكاتب، أساتذة الجامعات و شركاء البيع و ذلك عن طريق التحليل الوصفي باستخدام الاستبيان، حيث بلغ حجم العينة المستخدمة في هذه الدراسة 387 فرد من أصل 401 بعد استبعاد الاستبيانات الناقصة. أمَا بخصوص النتائج، فقد أوضحت أنَ الصراع بين الأفراد، العمل الزائد و هدر الوقت هي النقاط المتشابهة بين هذه الوظائف، أمَا قلة السيطرة و العمل الزائد فهي نقاط الضعف لدى عمال المكاتب، أمَا بخصوص فئة شركاء البيع و أساتذة الجامعات فانَ الصراع بين الأفراد هو العامل الأهم المسبب للضغط.

دراسة **(الضريبي عبد الله، 2010)** بعنوان: **"مواجهة الضغوط لنفسية المهنية و علاقتها ببعض المتغيرات – دراسة ميدانية على عينة من العاملين بمصنع زجاج القدم بدمشق-"**. كشفت هذه الدراسة عن الأساليب التي يتبعها العمال لمواجهة الضغوط المهنية التي يتعرضون لها، حيث أجريت الدراسة على 200 عامل يشكلون العينة و ذلك بطريقة عشوائية. من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في الأخير هي أنَ الأساليب الايجابية كالمواجهة، اللجوء إلى الدين و إعادة التقييم الايجابي أكثر استخداما من الأساليب السلبية كأسلوب الهروب و التجنب و أسلوب التنفيس الانفعالي. هذا إلى جانب وجود أثر للتفاعل بين المؤهل التعليمي و العمر في أساليب مواجهة الضغوط لدى أفراد عينة الدراسة.

دراسة **(بن رحمون سهام، 2013)** بعنوان :**"بيئة العمل الداخلية و أثرها على الأداء الوظيفي للإداريين-دراسة ميدانية بكليات جامعة باتنة-".**تمحور موضوع هذه الدراسة في التّعرف على مدى تأثير بيئة العمل الداخلية على الأداء الوظيفي للإداريين في الإدارة الجامعية و ذلك عن طريق إجراء دراسة ميدانية على عينة من العمال الإداريين، و قد أوضحت النتائج أنَ هناك تأثير قوي بين بيئة العمل الداخلية و الأداء الوظيفي لهؤلاء العمال الإداريين في الجامعة و ذلك لأنَه ساهم هذا التأثير على المستوى الأدائي لوظائفهم بالشكل المطلوب.

دراسة **(أنور حسين سحراء، 2013)** بعنوان : **"قياس تأثير ضغوط العمل في مستوى الأداء الوظيفي -دراسة استطلاعية تحليلية لأراء عينة من العاملين في هيئة التعليم التقني-".**تطرقت

هذه الدراسة إلى تبيان مدى تأثير مستوى ضغوط العمل على الأداء الوظيفي لأفراد عينة الدراسة المتمثلة في 70 موظف فني و إداري تمَ اختيارهم من الأقسام العلمية للمعهد و الشعب الإدارية في ديوان هيئة التعليم التقني و المعهد الطبي التقني، أمَا بالنسبة للتحليل فقد تمَ بالاعتماد على البرنامج الإحصائي SPSS، حيث أوضحت النتائج وجود تأثير ذو دلالة إحصائية معنوية لطبيعة العمل، صراع الدور، غموض الدور و عبئ العمل على الأداء الوظيفي للعمال.

دراسة **(حرايرية عتيقة، نعوم فؤاد، 2015)** بعنوان: **"تأثير ضغوط العمل على أداء العاملين بمؤسسة البناء الجاهز بالأبيار-الجزائر".** تناولت هذه الدراسة مدى تأثير ضغوط العمل على أداء العاملين بمؤسسة البناء الجاهز و ذلك باستخدام المنهج الوصفي عن طريق توزيع الاستبيانات على عينة من عمال المؤسسة، أمَا النتائج فقد بينت أنَ كل من غموض الدور و عبئ العمل يؤثران على أداء العاملين، إضافة إلى ظروف العمل المادية و قلة فرص التقدم و النمو الوظيفي و ذلك حسب علاقة عكسية.

دراسة **(أحمدي خولة، 2017)** بعنوان: **"علاقة الضغوط المهنية بالدافعية للإنجاز لدى أساتذة التعليم المتوسط".**تطرقت هذه الدراسة إلى التأكد من وجود علاقة ارتباط بين الضغوط المهنية و الدافعية للإنجاز لدى أساتذة التعليم المتوسط، أمَا المنهج المتبع فهو المنهج الوصفي الارتباطي الذي تم تطبيقه على عينة مكونة من 30 أستاذ. بيَنت النتائج وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الضغوط النفسية و كلاً من حب العمل، الرضا العام، الطموح و المثابرة و كذا العلاقات داخل و خارج بيئة العمل و هذا لدى أساتذة التعليم المتوسط.

دراسة **(حيدرة وحيدة، 2017)** بعنوان : **"استراتيجيات التعامل مع المواقف الضاغطة في العمل -دراسة ميدانية لدى عينة من موظفي الحالة المدنية ببلديات غليزان-".**تمحور موضوع هذه الدراسة في الكشف عن نوع الاستراتيجيات السائدة للتعامل مع ضغوط العمل لدى عينة مكونة من 60 فرد من موظفي مصالح الحالة المدنية ببلديات غليزان و مدى تأثرها ببعض المتغيرات الشخصية و الوظيفية، أمَا عن النتائج، فقد توصلت الباحثة إلى أنَه لا يوجد تأثير لمتغيرات الجنس و السن و الخبرة المهنية و المستوى العلمي على أبعاد إستراتيجية التعامل باستثناء تأثير متغير السن على بعد إستراتيجية حل المشكل.

دراسة **(اخذيري كريمة، 2017)** بعنوان : **"الضغوط المهنية و أثرها على أداء أفراد المؤسسة العمومية للصحة الجوارية الشلالة –ولاية البيض-".** تمركزت هذه الدراسة حول التَعرف على أهم مصادر الضغوط المهنية لدى أفراد المؤسسة العمومية للصحة الجوارية والآثار الفيزيولوجية و النفسية الناتجة عن هذه الضغوطات و كيفية تأثيرها على أداءهم و ذلك عن طريق القيام باستجواب عينة مكونة من 60 عامل عن طريق الاستبيان. تمثلت أهم استنتاجات هذه الدراسة في أنَ العاملين بالمؤسسة يعانون من ضغوط و أساسها عبئ العمل، نقص الحوافز، ضعف الإشراف الإداري و كذا الاتصال و التنسيق مع العاملين إضافة إلى سوء ظروف العمل، و هذا ما أثَر على الأداء الوظيفي سلبا، كما بينت النتائج وجود علاقة عكسية ما بين الضغوط المهنية و أداء العاملين بالمؤسسة العمومية للصحة الجوارية بالشلالة.

دراسة **(بن طالب سامية، 2018)** بعنوان : **"العلاقة بين ضغوط العمل و أداء العاملين في المنظمة".** تطرقت هذه الباحثة إلى التعريف بمصادر الضغوط النفسية و أهم نتائجها السلبية و الايجابية و التعرف على محددات أداء العمال و كذا العلاقة بين هذه الأخيرة و الضغوط المهنية. توصلت الباحثة في الأخير إلى أنّ مصادر الضغط النفسي متعددة فمنها الخارجية، التنظيمية و الفردية ممَا يجعل مهمة التحكم فيها صعبة، كما أنَ تأثيرها على أداء العاملين يمكن أن يكون تأثيرا ايجابيا أو سلبيا و يتوقف على حجم الضغط.

دراسة **(عمرون سليم، 2018)** بعنوان : **"مستوى الضغوط المهنية لدى أساتذة المواد العلمية في مرحلة التعليم المتوسط و علاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية".** تناولت هذه الدراسة موضوع مستوى الضغوط المهنية لدى أساتذة المواد العلمية في التعليم المتوسط و علاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية، حيث تم استخدام الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات، و بلغ حجم العينة 270 أستاذ و أستاذة من مختلف متوسطات المسيلة، أمّا نتائج هذه الدراسة فقد بينت أنَه لا وجود لفروق ذات دلالة إحصائية بين مستوى الضغوط و متغير الجنس، إلّا أنّه لا توجد فروق بين أساتذة المواد العلمية تبعا لمتغير الأقدمية المهنية في البعد الاجتماعي.

دراسة **(بخوش الصديق، د.ت)** بعنوان: **" مستويات ضغوط العمل لدى الأفراد العاملين في المؤسسة الاستشفائية -دراسة ميدانية بالقطاع الصحي بتبسة-"** .تطرقت هذه الدراسة إلى التَعرف على أهم مصادر ضغوط العمل و كذا مستوياتها لدى العاملين في المؤسسة الاستشفائية، و للتعرف على ذلك تم استخدام عينة عشوائية مكوّنة من 147 فرد بالقطاع الصحي بتبسة، أمّا النتائج فقد أوضحت أن بيئة العمل، عدم المشاركة في صنع القرار، عبئ العمل، غموض الدور و العلاقات المهنية هي المصادر الرئيسية المسببة للضغوط النفسية.

من خلال نتائج الدراسات المذكورة يمكن القول أنً أوجه التشابه مع دراستنا تتمثل في التطرق لواحد من أهم مواضيع العصر و المتمثل في دراسة الضغوط النفسية و تعرض العامل لها و محاولة ربطها بأدائه المهني، الاَ أن دراستنا انفردت عن الدراسات الأخرى في كونها تطرقت لدراسة الضغوط النفسية التي يتعرض لها العامل الجزائري في مجموعة من المؤسسات الاقتصادية التابعة للقطاع العمومي، الخاص، لأجنبي و كذا القطاع المختلط، حيث لم تقتصر على قطاع محدد مما يجعل هذه الدراسة شاملة نوعا ما، إضافة إلى تطرقنا لبعض عوامل الضغوط النفسية التي لم تكن محل دراسة من قبل. هذا إلى جانب اختلافها عن الدراسات الأخرى من ناحية الأساليب الإحصائية المستخدمة، و هذا ما يساعد على فهم العلاقة بين عوامل الضغوط النفسية الداخلية و الخارجية و الأداء المهني للعامل الجزائري.

المصطلحات الإجرائية

الضغوط النفسية: تُعتبر الضغوط النفسية من المصطلحات التي عرفت تعريفات متعددة اختلفت من باحث لأخر، إلاَ أنَه يمكن الإجماع على أنَ الضغوط النفسية هي عبارة عن تلك الصعوبات و الشداد التي تمر على الإنسان بسبب بيئته الخارجية أو مواقف شخصية تعرض لها، و هي عادة ما تتعلق بالمفاجئات كالموت المفاجئ.(الغرير أحمد نايل، 2009، ص 25).

الضغوط المهنية: تُسمى أيضا بضغوط العمل و يمكن القول عنها أنها مجموعة التّأثيرات الدّاخلية التي يتعرض لها العامل و الصّادرة عن التفاعل بين مختلف العوامل الاجتماعية، التنظيمية أو الشخصية و التي تسبب العديد من الاضطرابات لدى العامل في صحته و نفسيته و كذلك مختلف سلوكياته مع الأفراد، ما يؤدي إلى تغيير طريقة أدائه للمهام الموكلة إليه (عليمات خالد عيادة، 2015، ص 23).

الأداء المهني: هو تنفيذ العامل للعمل المطلوب منه و المسؤوليات المكلف بها و مدى تفهمه لدوره و اختصاصه و التوقعات المطلوبة منه (البارودي منال أحمد، 2015، ص 68).

إجراءات الدراسة الميدانية:

1. منهج الدراسة: أُستخدم في هذه الدراسة المنهج الوصفي كون هذه الدراسة تعتمد على جمع مختلف البيانات و المصادر ذات علاقة بالضغوطات النفسية التي يتعرض لها العمال و علاقتها بأدائهم المهني في المؤسسة التي ينتمون إليها، هذا إلى جانب التطرق للدراسة الميدانية بالاعتماد على جمع البيانات من العمال الجزائريين عن طريق الاستبيان.

2. أدوات الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات، حيث تم نشره بطريقة عشوائية على مواقع التواصل الاجتماعي قصد جمع كل فئات العمال الجزائريين، و ذلك من أجل التّعرف على أهم عوامل الضغوط النفسية لدى العامل الجزائري و علاقتها بأدائه الوظيفي، حيث تمَ استقبال الإجابات بدءا من 15 ديسمبر إلى غاية 31 ديسمبر 2019. يتكوّن هذا الاستبيان من 4 أجزاء، حيث أنَ الجزء الأول مخصص للمعلومات الشخصية المتعلقة بالفرد كالجنس، السن، المستوى العلمي و الحالة الاجتماعية، كما أنّه يتضمن الأسئلة المتعلقة بمهنة العامل كالقطاع المهني، ساعات العمل و سنوات الخبرة. أمَا الجزء الثاني فهو يتعلق بالعوامل الخارجية للضغوطات النفسية (أي غير المتعلقة بالمهنة). يتكون الجزء الثالث من هذا الاستبيان على الأسئلة الخاصة بالعوامل الداخلية للضغوطات النفسية أي المتعلقة بالمهنة، أمَا الجزء الأخير فهو مخصص لتقييم الأداء المهني للعامل. شمل هذا الاستبيان على بعض المتغيرات الجديدة المستنبطة من الواقع المعاش و التي لم تكن محل دراسة سابقة، خصوصا فيما يتعلق بالعوامل الخارجية و الداخلية للضغوط النفسية، كما نشير إلى أنَه تمَ استخدام سلم ليكرت الخماسي لقياس درجة الموافقة على العبارات الموضوعة كالتالي: موافق جدا (1)، موافق نوعا ما (2)، محايد (3)، معارض نوعا ما (4) و معارض جدا (5).

3. الأساليب الإحصائية: أمَا عن الأساليب الإحصائية التي ستستخدم في هذه الدراسة فتتمثل أولا في اختبار صدق الاتساق الداخلي للاستبيان بحساب معامل ارتباط بيرسون، اختبار الثبات لألفا كرونباخ، التحليل الوصفي للمتغيرات الأساسية للدراسة، اختبار الارتباط لبيرسون لتأكيد أو نفي الفرضية الأولى و الثانية للدراسة و كذااختبار تحليل التباين الأحادي (Anova one way) لتأكيد أو نفي الفرضية الثالثة للدراسة و كل ذلك باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS 20.

4. الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة: تتمثل الخصائص السيكومترية في اختبار صدق و ثبات استبيان الدراسة.

1.4. اختبار صدق الاستبيان: تمَ على اختبار الصدق الظاهري للاستبيان أولاً بالاعتماد على أراء الخبراء و أساتذة علم الاجتماع للاطلاع على مدى تناسق أسئلة الاستبيان قبل توزيعه على أفراد عينة الدراسة. أمَا بالنسبة للاتساق الداخلي فقد تم بالاعتماد على حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات كل فقرة من فقرات المحاور الثلاثة (المحور الشامل لعوامل الضغوط النفسية الخارجية، المحور الشامل لعوامل الضغوط الداخلية و المحور الشامل لفقرات الأداء المهني) و الدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه الفقرة، و النتائج مُبينة في الجداول أسفله:

جدول رقم 01: معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة و الدرجة الكلية لمحور العوامل الخارجية

فقرات محور العوامل الخارجية	معامل الارتباط لبيرسون	قيمة الدلالة
1	0,580	0,000
2	0,566	0,000
3	0,675	0,000
4	0,623	0,000
5	0,625	0,000
6	0,578	0,000
7	0,557	0,000

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

من نتائج الجدول المبين أعلاه، نلاحظ أنَ جميع معاملات ارتباط بيرسون بين فقرات محور العوامل الخارجية و الدرجة الكلية لهذا المحور دالة إحصائيا عند مستوى المعنوية 0,05 حيث كان الحد الأدنى لمعاملات الارتباط 0,557 فيما كان الحد الأعلى 0,675 و عليه فانَ جميع فقرات محور العوامل الخارجية متناسقة داخليا مع المحور الذي تنتمي إليه، ممَا يثبت صدق الاتساق الداخلي لفقرات هذا المحور.

جدول رقم 02: معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة و الدرجة الكلية لمحور العوامل الداخلية

فقرات محور العوامل الداخلية	معامل الارتباط لبيرسون	قيمة الدلالة
1	0,531	0,000
2	0,471	0,000
3	0,649	0,000
4	0,724	0,000
5	0,611	0,000
6	0,672	0,000
7	0,688	0,000
8	0,552	0,000
9	0,501	0,000
10	0,649	0,000

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

من نتائج الجدول المبين أعلاه، نلاحظ أنَ جميع معاملات ارتباط بيرسون بين فقرات محور العوامل الداخلية للضغوط و الدرجة الكلية لهذا المحور دالة إحصائيا عند مستوى المعنوية 0,05 حيث كان الحد الأدنى لمعاملات الارتباط 0,471 فيما كان الحد الأعلى 0,724 و عليه فانَ

جميع فقرات محور العوامل الداخلية متناسقة داخليا مع المحور الذي تنتمي إليه، ممَا يثبت صدق الاتساق الداخلي لفقرات هذا المحور.

جدول رقم 03: معاملات الارتباط بين درجة كل فقرة و الدرجة الكلية للمحور الأداء المهني

فقرات محور الأداء المهني	معامل الارتباط لبيرسون	قيمة الدلالة
1	0,502	0,000
2	0,537	0,000
3	0,568	0,000
4	0,737	0,000
5	0,715	0,000
6	0,419	0,000
7	0,207	0,003
8	0,586	0,000
9	0,640	0,000
10	0,589	0,000

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

من نتائج الجدول المبين أعلاه، نلاحظ أنَ جميع معاملات ارتباط بيرسون بين فقرات محور الأداء المهني و الدرجة الكلية لهذا المحور دالة إحصائيا عند مستوى المعنوية 0,05 حيث كان الحد الأدنى لمعاملات الارتباط 0,207 فيما كان الحد الأعلى 0,737 و عليه فانَ جميع فقرات محور الأداء المهني متناسقة داخليا مع المحور الذي تنتمي اليه، ممَا يثبت صدق الاتساق الداخلي لفقرات هذا المحور.

و بما أنّ صدق الاتساق الداخلي للمحاور الثلاثة محقق، يمكن اعتبار أنَ استبيان الدراسة يتسم بالصدق الداخلي أيضا.

2.4. اختبار الثبات: تمَ الاعتماد على اختبار ألفا كرونباخ Alpha de Cronbach للتعرف على مدى ثبات استبيان الدراسة، حيث تم تطبيقه على المحور العوامل الخارجية للضغوط، المحور المتعلق بالعوامل الداخلية للضغوط و على المحور المتعلق بالأداء المهني و كذا على جميع محاور الاستبيان، و أظهرت النتائج ما يلي:

جدول رقم 04 : معامل الصدق و الثبات لمحاور الدراسة

محاور الدراسة	قيمة آلفا كرونباخ
محور العوامل الخارجية للضغوط	0,697
محور العوامل المهنية للضغوط	0,806
محور الأداء المهني	0,648
جميع محاور الاستبيان	0,767

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

يتضح من خلال الجدول رقم 04 أنَ معامل الثبات العام لجميع محاور الدراسة مرتفع حيث بلغ 0,767، فيما تراوح بين 0,648 كحد أدنى و 0,806 كحد أعلى، و هذا يدل على أنَ الاستبيان يتمتع بدرجة عالية من الثبات يمكن الاعتماد عليه في التطبيق الميداني للدراسة.

5. **مجتمع و عينة الدراسة:** يتمثل مجتمع الدراسة في العمال الجزائريين الذين يمارسون نشاط مهني قانوني لدى المؤسسات الاقتصادية الجزائرية، أمَا بالنسبة للعينة فقد ساهم في الإجابة على أسئلة الاستبيان 214 عامل مهني ينتسب للمؤسسة اقتصادية في الجزائر، إلاَ أنَ 14 فرد لم تكن إجابتهم كاملة فتم نزعها من التحليل ليبلغ حجم عينة الدراسة 200 فرد و يمكن استخلاص المعلومات المتعلقة بعينة الدراسة أولاً في المتغيرات الديموغرافية و ثانيا في المتغيرات المهنية كما يلي:

جدول رقم 05 : المتغيرات الديموغرافية التي تخص أفراد عينة الدراسة.

المتغيرات	الترتيبات	التكرارات	%	المتغيرات	الترتيبات	التكرارات	%
الجنس	ذكر	92	46	السن	أقل من 25 سنة	16	8
	أنثى	108	54		من 25 إلى 30 سنة	83	41,5
المستوى التعليمي	تعليم متوسط	05	2,5		من 31 إلى 40 سنة	80	40
	تعليم ثانوي	10	5		من 41 إلى 50 سنة	18	9
	تقني سامي	13	6,5		51 سنة أو أكثر	03	1,5
	ليسانس	46	23	الحالة الاجتماعية	أعزب	113	56,5
	مهندس دولة أو ماستر	94	47		متزوج	79	39,5
	ماجستير أو دكتوراه	32	16		مطلق	8	4

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

يتضح من خلال الجدول المبين أعلاه أنّ نسبة النساء اللَواتي شاركن في الإجابة عن أسئلة الاستبيان تفوق نسبة الرجال (54% مقابل 46%)، أمّا في ما يخص السن فقد مثلت فئة الشباب النسبة الأكثر حيث 41,5 % يمثلون الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و 30 سنة و %40 تتراوح أعمارهم بين 31 و 40 سنة، أمَا النسبة الأقل فشملت الذين يتراوح سنهم بين 51 و 60 سنة. و بخصوص الحالة الاجتماعية، فانّ عينة الدراسة تتكون من 56,5% عزاب و 39,5% متزوجين أمَا الباقي فهو يمثل المطلقين، أمّا بالنسبة للمستوى التعليمي لأفراد عينة الدراسة فقد شمل على نسبة كبيرة من المتحصلين على شهادة مهندس دولة أو الماستر، الليسانس و الماجستير أو الدكتوراه بنسب 47% 23% و %16 على التوالي.

و بخصوص المتغيرات التي تخص الإحصائيات التي تخص قطاع العمل، ساعات العمل و سنوات الخبرة الخاصة بعينة الدراسة فهي موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم 06: المتغيرات المهنية التي تخص أفراد عينة الدراسة

المتغيرات	الترتيبات	التكرارات	%
القطاع	القطاع العمومي	138	69
	القطاع الخاص	55	27,5
	الشركات الأجنبية	5	2,5
	غير ذلك	2	1
ساعات العمل في اليوم	5 ساعات أو اقل	19	9,5
	بين 6 و 8 ساعات	138	69
	أكثر من 8 ساعات	43	21,5
سنوات الخبرة	أقل من سنة	32	16
	بين سنة و 5 سنوات	79	39,5
	بين 6 و 15 سنة	76	38
	بين 16 و 25 سنة	12	6
	أكثر من 26 سنة	1	0,5

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

من الملاحظ أنَ أغلبية العمال الذين يشكلون عينة الدراسة ينتمون للقطاع العمومي بنسبة 69% و 27,5% ينتمون للقطاع الخاص، أمَا بالنسبة لساعات العمل اليومية فـــــ 69% منهم يعملون بين 6 و 8 ساعات يوميا،يليها أولئك الذين يعملون أكثر من 8 ساعات في اليوم بنسبة 21.5%، كما نلاحظ أنَ أغلبية أفراد العينة تتراوح سنوات الخبرة لديهم بين سنة إلى 5 سنوات بنسبة 39,5% و بين 6 و 15 سنة بنسبة 38%، يليها الجدد في المجال المهني أي لديهم أقل من سنة خبرة حيث يُمثلون ما نسبته 16% .

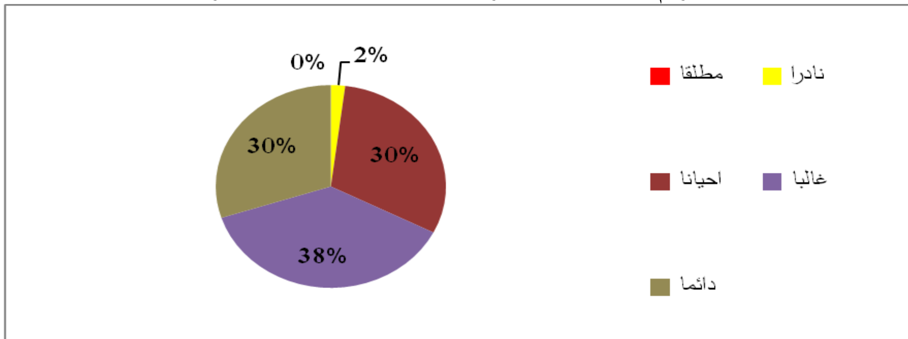
تحليل نتائج الدراسة:

فيما يلي نقوم بتحليل نتائج الدراسة بهدف الوصول إلى تحقيق أهداف الدراسة و اختبار الفرضيات من أجل الإجابة على أسئلة الدراسة:

1. الضغوط النفسية لدى العمال :في هذا الجزء نقوم أولاً بعرض النَتائج المتعلقة بمستوى التعرض للضغوطات لدى العامل الجزائري ثم نقوم بعرض عواملها الخارجية و الداخلية أو المهنية.

1.1. مستوى التعرض للضغوط النفسية لدى العمال الجزائريين: قدرت قيمة المتوسط الحسابي الخاص بمستوى التعرض للضغوط النفسية 2,05 و هو ما يمكن اعتباره عال نوعا ما[1]، ممَا يعني أنَ أغلب أفراد العينة (68%) غالبا ما تتعرض للضغوطات النفسية و هذا ما توضحه الدائرة النسبية المبينة أدناه.

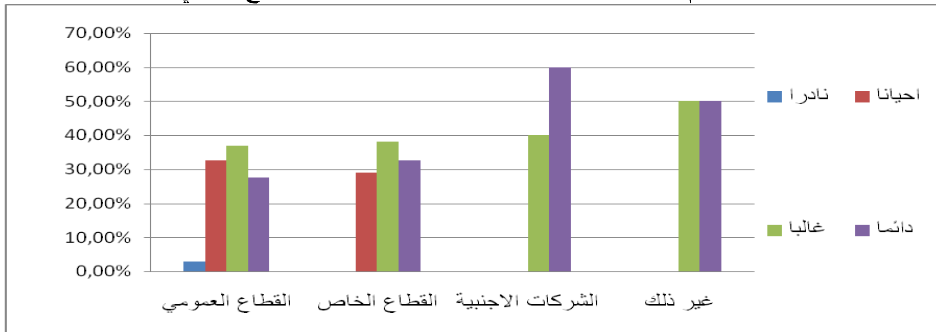
شكل رقم 01: مستوى التعرض للضغوطات لدى عينة الدراسة



المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على نتائج الدراسة و باستخدام Excel 07

و حسب الشكل الثاني فانَ أغلبية عمال القطاع العمومي الذين يمثلون حوالي 64,5% من عينة الدراسة يتعرضون دائما أو غالبا للضغوط النفسية و هو الحال كذلك بالنسبة لــ 70,9% من عمال القطاع الخاص، أمَا عن فئة عمال الشركات الأجنبية فانَ 60% منهم يتعرضون دائما لهذه الضغوطات.

شكل رقم 02: مستوى التعرض للضغوطات حسب القطاع المهني



المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على نتائج الدراسة و باستخدام Excel 07

2.1. العوامل الخارجية المسببة للضغوط النفسية: من أجل التّعرف على العوامل الخارجية المسببة للضغوط النفسية لدى أفراد العينة تم استخدام العبارات التالية و تمَ قياس درجة الموافقة بالاعتماد على المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري لكل عبارة حيث: إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي أقل من 2,33 فيمكن القول أن درجة الموافقة على العبارة مرتفعة أو قوية، إذا كانت منحصرة بين 2,33 و 3,66 فدرجة الموافقة متوسطة، أمَا إذا كانت أكبر من 3,66 فدرجة الموافقة منخفضة أو ضعيفة.

[1]بما أن القيمة الأدنى (مطلقا) = 5 و القيمة العليا (دائما)= 1 , فان 5-1=4 و 4/3 = 1,33 فيمكن اعتبار أن مستوى التعرض للضغوط عال إذا كانت القيمة أقل من 2,33 و متوسط إذا كانت محصورة بين 2,33 و 66,3 و منخفض إذا كانت اكبر من 3,66.

جدول رقم 07 : المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري المرتبطين بالعوامل الخارجية للضغوط

الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التكاليف المعيشية المرتفعة	1,83	0,880
الديون	2,59	1,191
عدم القدرة على تلبية متطلبات البيت	2,4	0,967
عدم الاستقرار الاجتماعي	2,31	1,148
المشاكل الأسرية	2,66	1,201
مشكل البعد و المسافة	2,42	1,179
مشكل الازدحام المروري	2,13	1,173
الدرجة الكلية	2,33	0,662

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

من الملاحظ أنَ المتوسط الحسابي للدرجة الكلية التي تشمل مجموعة العوامل الخارجية المسببة للضغوط قد بلغ 2,33 ممَا يعني درجة موافقة متوسطة نوعا ما، كما أرفقتها قيمة الانحراف المعياري الذي بلغ 0,662 و هي قيمة ضعيفة نوعا ما ممَا يعني وجود تشتت ضعيف للقيم حول متوسطها الحسابي، كما تبيَن أنّ أهم المصادر الخارجية للضغوط النفسية لدى عينة الدراسة هي التكاليف المعيشية المرتفعة التي عرفت متوسط حسابي يساوي 1,83 أي أنَ 87% من أفراد العينة موافقون على ذلك، يليها مشكل الازدحام المروري بمتوسط حسابي 2,13، مشكل عدم الاستقرار الاجتماعي بمتوسط حسابي 2,31 وعدم القدرة على تلبية متطلبات البيت بمتوسط 2,40 ، إضافة إلى مشكل البعد و المسافة بمتوسط حسابي يقدر ب2,42. حسب هذه النتائج يمكن القول أنّ العامل الجزائري يعاني من ضغوط نفسية سببتها له البيئة و الظروف التي يتعايش معها و هذه مؤشرات على وجود ضغوط مهنية يعاني منها أيضا.

3.1. العوامل الداخلية المسببة للضغوط النفسية: يُبين الجدول التالي العوامل الداخلية للضغوط أي المتعلقة بالمجال المهني للعامل و التي تم استجواب أفراد العينة بخصوصها، و تمَ قياس درجة الموافقة بالاعتماد على المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري لكل عبارة حيث: إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي أقل من 2,33 فيمكن القول أن درجة الموافقة على العبارة مرتفعة أو قوية، إذا كانت منحصرة بين 2,33 و 3,66 فدرجة الموافقة متوسطة، أمَا إذا كانت أكبر من 3,66 فدرجة الموافقة منخفضة أو ضعيفة.

جدول رقم 08 : المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري المتعلقة بالعوامل الداخلية للضغوط

الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
عدم ملائمة شروط العمل	1,83	0,886
عدم ملائمة الوظيفة لمستواي العلمي	2,48	1,186
عدم الحصول على فترات راحة أو الحصول على فترات جد قصيرة	2,41	1,076
إجبارية القيام بأعمال إضافية	2,36	1,157
سوء تعامل المسؤول المباشر	2,41	1,191

ضيق الوقت المتاح لإنجاز المهام	2,49	1,012
ساعات العمل الطويلة	2,51	1,103
إجبارية إكمال المهام في المنزل	2,88	1,173
تتبع المؤسسة لدرجة عالية من الرسمية	2,91	1,071
عدم وجود العدل في تقسيم المهام	2,11	1,111
الدرجة الكلية	2,44	0,664

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

بلغ المتوسط الحسابي المتعلق بمجموعة العوامل الداخلية للضغوط قيمة 2,44 ممَا يعني درجة موافقة متوسطة نوعا ما، كما بلغت قيمة الانحراف المعياري للدرجة الكلية 0,664 و التي يمكن اعتبارها ضعيفة نوعا ما ممَا يدل على وجود تشتت ضعيف للقيم الإجمالية حول متوسطها الحسابي، كما تبيَن من خلال الجدول أنَ أهم العوامل الداخلية للضغوط لدى أفراد العينة المدروسة هي عدم ملائمة شروط العمل بمتوسط حسابي 1,83، عدم وجود العدل في تقسيم المهام بمتوسط حسابي 2,11، أمَا بالنسبة للعوامل الداخلية التي عرفت تكرارات متوسطة فتتمثل في إجبارية القيام بأعمال إضافية، سوء تعامل المسؤول المباشر مع العامل و كذا عدم الحصول على فترات راحة أو الحصول على فترات راحة جد قصيرة بمتوسطات حسابية تقدر بـــ 2,36، 2.41 و 2,41 على التّوالي، إضافة إلى عدم ملائمة الوظيفة للمستوى العلمي للفرد بمتوسط حسابي 2,48، ضيق الوقت المتاح لإنجاز المهام بمتوسط حسابي 2,49، ساعات العمل الطويلة بمتوسط 2,51، إجبارية إتمام المهام في البيت و تتبع المؤسسة لدرجة عالية من الرسمية بمتوسطات حسابية تقدر بـــ 2,88 و 2.97 على التوالي. فمن الملاحظ أن العوامل الداخلية الرئيسية للضغوط مرتبطة بالعامل نفسه و علاقته بمرٍؤوسه في العمل أمَا العوامل الأخرى فهي مرتبطة بالوظيفة نفسها كساعات العمل الطويلة، إتمام المهام في البيت و تتبع المؤسسة لدرجة عالية من الرسمية و غيرها.

2. **قياس مستوى الأداء المهني:** تمَ استجواب أفراد عينة الدراسة بخصوص أدائهم المهني داخل المنظمة، و أظهرت النتائج المطبقة على عينة الدراسة ما يلي:

جدول رقم 09: تقييم الأداء المهني لدى أفراد العينة

الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أقوم بإنجاز المهام الموكلة لي في الأوقات المحددة	1,69	0,668
أرفض التعليمات الموجهة لي	3,6	0,935
أقوم بإنجاز المهام بإكراه	3,25	1,114
أقوم بأخذ عطلات مرضية عديدة في السنة	3,83	1,047
أتغيب كثيرا لمختلف الأسباب	3,88	1,030
ألاحظ أن إنتاجيتي تقل	2,05	0,991

ألاحظ أن إنتاجيتي تزيد	3,83	0,993
أحرص على تحسين أدائي	1,76	0,822
كثيرا ما أقوم بالتأخر عن الحضور	3,45	1,102
كثيرا ما أقوم بتأجيل المهام	3,52	1,098
الدرجة الكلية	3,09	0,471

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

بلغت الدرجة الكلية المتوسطة للأداء 3,09 و التي يمكن اعتبارها متوسطة نوعا ما، كما يتضح من خلال نتائج الجدول أنّمن أكثر الأعمال المهنية التي عرفت إقبالا لدى أفراد العينة هي القيام بإنجاز المهام الموكلة في الأوقات المحددة (1,69) و الحرص على تحسين الأداء (76,1) ممَا يعني أنَ هذه الأعمال المهنية تتسم بالإيجابية و بالتالي ترجع بالإيجاب على أداء العامل، أمَا بالنسبة للأعمال التي عرفت درجات متوسطة من الإقبال و الموافقة فتتمثل في كل من القيام بإنجاز المهام بإكراه، التأخر عن الحضور، تأجيل المهام و رفض التعليمات الموجهة، حيث عرفت قيم متوسطة من المتوسطات الحسابية (3,25، 3,45، 3,52 و 3,6 على التوالي) ممَا يعني أنَ هذه الأعمال تتسم بالسلبية و بالتالي ترجع بالسلب على أداء العامل، و في ما يخص الأعمال التي عرفت إقبالا ضعيفا من قبل العمال نذكر كل من أخذ عطلات مرضية عديدة في السنة بمتوسط حسابي يقدر بــــ 3,83 و التغيب الكثير لمختلف الأسباب بمتوسط حسابي يقدر بــــ -3,88.

3. اختبار فرضيات الدراسة:

1.3. اختبار الفرضية الأولى للدراسة: تنص الفرضية الأولى للدراسة على وجود علاقة بين العوامل الخارجية للضغوط النفسية و الأداء المهني للعامل.

لاختبارها نقوم باستخدام اختبار بيرسون للارتباط، حيث يوضح الجدول المبين أدناه قيمة معامل الارتباط و الدلالة الإحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الأداء المهني و المتغير المستقل المتمثل في العوامل الخارجية للضغوطات.

الفرض الصفري: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha = 0,05$ بين العوامل الخارجية للضغوط و الأداء المهني للعامل.

الفرض البديل: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة $\alpha = 0,05$ بين العوامل الخارجية للضغوط و الأداء المهني للعامل.

جدول رقم 10: معامل الارتباط و الدلالة الإحصائية بين العوامل الخارجية للضغوط و الأداء المهني للعامل

	معامل الارتباط لبيرسون	الدلالة الإحصائية
العوامل الخارجية للضغوط	0,108	0,127

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

من نتائج الجدول أعلاه نلاحظ أنَ قيمة معامل الارتباط لبيرسون بين العوامل الخارجية للضغوط النفسية و الأداء المهني للعامل تقدر بـــ 0,108 و بدلالة إحصائية تقدر بـــ 0,127 و هي أكبر من مستوى الدلالة 0,05 = α ممَا يعني أنَ العلاقة بين المتغيرين في العينة محل الدراسة غير دالة إحصائيا و بالتالي قبول الفرض الصفري و اعتبار أنه لا توجد علاقة بين العوامل الخارجية للضغوط و الأداء المهني للعامل، و بالتالي نفي الفرضية الأولى للدراسة.

2.3. اختبار الفرضية الثانية للدراسة: تنص الفرضية الثانية على وجود علاقة بين العوامل الداخلية للضغوط النفسية و الأداء المهني للعامل.

لاختبارها نقوم باستخدام اختبار بيرسون للارتباط، حيث يوضح الجدول المبين أدناه قيمة معامل الارتباط و الدلالة الإحصائية بين المتغير التابع المتمثل في الأداء المهني و المتغير المستقل المتمثل في العوامل الداخلية للضغوطات.

الفرض الصفري: لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 = α بين العوامل الداخلية للضغوط و الأداء المهني للعامل.

الفرض البديل: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 = α بين العوامل الداخلية للضغوط و الأداء المهني للعامل.

جدول رقم 11: معامل الارتباط و الدلالة الإحصائية بين العوامل الداخلية للضغوط و الأداء المهني للعامل

	معامل الارتباط لبيرسون	الدلالة الإحصائية
العوامل الداخلية للضغوط	-0,340	0,000

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

من نتائج الجدول أعلاه، نلاحظ أنَ قيمة معامل الارتباط لبيرسون بين العوامل الداخلية للضغوط النفسية و الأداء المهني للعامل تقدر بـــ 0,340- و بدلالة إحصائية تقدر بـــ 0,000 و هي أصغر من مستوى الدلالة 0,05 = α ممَا يدل على أنَ العلاقة بين المتغيرين في العينة محل الدراسة دالة إحصائيا و بالتالي رفض الفرض الصفري و قبول الفرض البديل و اعتبار أنَه توجد علاقة بين العوامل الداخلية للضغوط و الأداء المهني للعامل، و بالتالي تأكيد الفرضية الثانية للدراسة.

و بما أنَ معامل الارتباط يقدر بـــ 0,340- فانَه يمكن القول أنَ العلاقة بين العوامل الداخلية للضغوط و الأداء المهني للعامل هي علاقة عكسية ضعيفة كون قيمتها المطلقة أقل من 0,7.

1.3. اختبار الفرضية الثالثة للدراسة: تنص الفرضية الثالثة على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 = α بين متوسطات العوامل المهنية المسببة للضغوط النفسية تعزى القطاع الذي ينتمي إليه العامل، و سنعتمد على اختبار تحليل التباين الأحادي (ANOVA one way).

الفرض الصفري: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 = α بين متوسطات العوامل المهنية المسببة للضغوط النفسية لدى العامل الجزائري تعزى القطاع الذي ينتمي إليه.

الفرض البديل: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 = α بين متوسطات العوامل المهنية المسببة للضغوط النفسية لدى العامل الجزائري تعزى القطاع الذي ينتمي إليه.

جدول رقم 12: نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي

المتغير	الترتيبات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	مستوى المعنوية
القطاع المهني	القطاع العمومي	2,429	0,658	0,034	0,992
	القطاع الخاص	2,462	0,690		
	الشركات الأجنبية	2,460	0,677		
	غير ذلك	2,450	0,919		

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على مخرجات البرنامج SPSS 20

من خلال اختبار تحليل التباين الأحادي المبين في الجدول أعلاه، نلاحظ أنَ قيمة F تساوي 0,034 بمستوى معنوية يُقدر بـــ 0,992 و هو أكبر من مستوى الدلالة 0,05 = α ممَا يعني قبول الفرض الصفري و بالتالي يمكن القول أنَه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 = α بين متوسطات العوامل المهنية المسببة للضغوط لدى العامل الجزائري تعزى القطاع الذي ينتمي إليه. إذن تأكيد الفرضية الثالثة للدراسة.

أهم نتائج الدراسة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة دراسة العلاقة بين عوامل الضغوط النفسية (الداخلية و الخارجية) للعمال الجزائريين و الأداء المهني لهم، و بعد تفريغ البيانات و تحليلها و معالجتها إحصائيا، توصلنا إلى:

-عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين العوامل الخارجية للضغوط النفسية و الأداء المهني للعمال الجزائريين و هو ما يتعارض مع الفرضية الأولى للدراسة.

-وجود علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة 0,05 بين العوامل الداخلية أو المهنية المسببة للضغوط النفسية للعمال الجزائريين و مستوى أدائهم المهني، و هو ما يتوافق مع الفرضية الثانية للدراسة، حيث اتضح أنَ طبيعة هذه العلاقة هي علاقة عكسية ضعيفة.

-عدم وجود فوارق بين العوامل المهنية المسببة للضغوط النفسية تعزى القطاع الذي ينتمي إليه العامل و هو ما يتوافق مع الفرضية الثالثة للدراسة، و هذه النتيجة تعطي إشارة أنَه لا يوجد قطاع معين يتميز عن القطاعات الأخرى بعوامل الضغوط المهنية.

الخاتمة:

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بعض الضغوط التي يعاني منها العامل الجزائري في المؤسسات الاقتصادية سواء كانت تابعة للقطاع الخاص أو العام و الكشف عن علاقتها بأدائه داخل المنظمة، و قد اعتمدنا من خلال هذه الدراسة على الاستشهاد بدراسات سابقة تناولت موضوع عوامل الضغوط النفسية و علاقتها على الأداء المهني للعمال و التي اعتمدنا عليها لتحديد متغيرات الدراسة.

يعيش اليوم العامل الجزائري ضغوطا نفسية عالية ذات أسباب خارجية راجعة للظروف الاجتماعية و الاقتصادية المحيطة به و أخرى مهنية، خاصة و أنَ الوظيفة هي العنصر الذي لا يمكن التخلي عنه مع ارتفاع متطلبات الحياة، و من أهم العوامل الخارجية للضغوط النفسية التي توصلنا إليها نذكر ارتفاع التكاليف المعيشية و عدم القدرة على تلبية متطلبات البيت فهي بذلك تعتبر عوامل ذات طابع اقتصادي، أمَا بالنسبة إلى العوامل الداخلية فمن أهمَها عدم وجود العدل في تقسيم المهام، إجبارية القيام بمهام إضافية و كذا سوء تعامل المسؤول المباشر. و بما أن العوامل المهنية ترتبط بعلاقة عكسية مع الأداء المهني للعامل الجزائري، فيكمن القول أنّ ارتفاع مستوى هذه الضغوط يؤدي إلى انخفاض مستوى أدائه في المنظمة.

وعليه انطلاقا من نتائج الدراسة يمكن وضع الاقتراحات التالية:

-ضرورة اهتمام المسؤولين في المؤسسات الاقتصادية بالعامل الجزائري و محاولة فهم مشاكله في المنظمة لتسهيل حلها.

-تحسين الظروف المهنية للعمال و إشعارهم بمدى أهميتهم في المؤسسة.

-التركيز على تقديم دورات تدريبية و تكوينية للموظفين حول التعامل مع الضغوط المهنية.

-عقد اجتماعات بين الموظفين و الرؤساء نهاية كل أسبوع بغية الاستماع لانشغالاتهم و اقتراحاتهم حول بيئة العمل المرغوب بها، ممَا يساعد في رفع معنوياتهم و تحسين مردوديتهم.

-الالتزام بالنزاهة و الموضوعية أثناء تقييم الموظفين و إعطاء كل ذي حق حقه ممَا يُعزز نوع من الثقة و الاستقرار النفسي و الذي يؤثر ايجابيا على مردوديتهم.

قائمة المراجع:

1. أحمدي خولة(2017)، علاقة الضغوط المهنية بالدافعية للانجاز لدى أساتذة التعليم المتوسط، مجلة الرواق، م3، ع2، المركز الجامعي بغليزان، الجزائر.
2. اخذيري كريمة(2017)، الضغوط المهنية و أثرها على أداء أفراد المؤسسة العمومية للصحة الجوارية الشلالة ولاية البيض، المجلة الجزائرية للموارد البشرية، م3، ع1، جامعة معسكر، الجزائر.
3. البارودي منال أحمد(2015)، القائد المتميز و أسرار الإبداع القيادي، المجموعة العربية للتدريب و النشر، مصر.
4. الضريبي عبد الله(2010)، مواجهة الضغوط النفسية المهنية و علاقتها ببعض المتغيرات – دراسة ميدانية على عينة من العاملين بمصنع زجاج القدم بدمشق، مجلة جامعة دمشق، م26، ع4، كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا.
5. الغرير أحمد نايل(2009)، التعامل مع الضغوط النفسية، دار النشر المنهل.

6. أنور حسين سحراء(2013)، قياس تأثير ضغوط العمل في مستوى الأداء الوظيفي "دراسة استطلاعية تحليلية لأراء عينة من العاملين في هيئة التعليم التقني"، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، ع36، المعهد الطبي التقني المنصور، بغداد، العراق.
7. بخوش الصديق(د.ت)، مستويات ضغوط العمل لدى الأفراد العاملين في المؤسسة الاستشفائية "دراسة ميدانية بالقطاع الصحي تبسة"، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية، م6، ع8، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
8. بن رحمون سهام(2013)، بيئة العمل الداخلية و أثرها على الأداء الوظيفي للإداريين "دراسة ميدانية بكليات جامعة باتنة"، مجلة علوم الإنسان و المجتمع، م2، ع4، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.
9. بن طالب سامية(2018)، العلاقة بين ضغوط العمل و أداء العاملين في المنظمة، مجلة أبعاد اقتصادية، ع8، جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، الجزائر.
10. بن عباد هوارية قدور(2011)، استراتيجيات التعامل مع مواقف الضغط النفسي لدى المرأة العاملة على ضوء متغير الحالة العائلية. مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، م2، ع2 جامعة قادي مرباح، ورقلة، الجزائر.
11. حرايرية عتيقة، نعوم فؤاد(2015)، ضغوط العمل و تأثيرها على أداء العاملين بمؤسسة البناء الجاهز بالأبيار-الجزائر، مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات، م4، ع1، جامعة الجزائر 2، الجزائر.
12. حيدرة وحيدة(2017)، استراتيجيات التعامل مع المواقف الضاغطة في العمل "دراسة ميدانية لدى عينة من موظفي الحالة المدنية ببلديات غليزان"، مجلة دراسات و أبحاث، م9، ع28، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر.
13. عليمات خالد عيادة(2015)، ضغوط العمل و أثرها على الأداء، الطبعة الأولى، دار الخليج للنشر و التوزيع، عمَان، الأردن.
14. عمرون سليم(2018)، مستوى الضغوط المهنية لدى أساتذة المواد العلمية في مرحلة التعليم المتوسط و علاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية، مجلة العلوم النفسية و التربوية، م4 ع2، جامعة الواد، الجزائر.
15. قوارح محمد، زكري نرجس(د.ت)، مستويات ضغوط العمل و سبل مواجهتها في المؤسسات الاقتصادية "دراسة ميدانية بمدينة ورقلة"، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، م3، ع3 جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
16. International Labour Office, & Labour Administration, L. I. and O. S. and H. B(2016), Stress au travail: Un défi collectif. BIT.
17. Nrayanan, L., Menon, S., & Spektor, P(1999), Stress in the workplace: A comparison of gender and occupations. Journal of Organizational Behavior, V20.
18. Stange, J (2019). 10 Workplace Stress Statistics You Need to Know.

https://www.quantumworkplace.com/future-of-work/statistics-you-need-to-know-about-employee-stress

قائمة الملاحق:

الملحق رقم 01: أداة الدراسة (الاستبيان)

الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

السن:

أقل من 25 سنة ☐ من 25 الى 30 سنة ☐ من 31 الى 40 سنة ☐

من 41 إلى 50 سنة ☐ 51 سنة أو أكثر ☐

المستوى التعليمي:

تعليم متوسط ☐ تعليم ثانوي ☐ تقني سامي ☐

ليسانس ☐ مهندس دولة أو ماستر ☐ ماجستير أو دكتوراه ☐

الحالة الاجتماعية:

أعزب ☐ متزوج(ة) ☐ مطلق(ة) ☐ أرمل(ة) ☐

أذكر درجة موافقتك على العبارات التالية و لتي تخص العوامل الخارجية للضغوط النفسية:

العوامل الخارجية	موافق جدا	موافق نوعا ما	محايد	معارض نوعا ما	معارض جدا
التكاليف المعيشية المرتفعة					
الديون					
عدم القدرة على تلبية متطلبات البيت					
عدم الاستقرار الاجتماعي					
المشاكل الأسرية					
مشكل البعد و المسافة					
مشكل الازدحام المروري					

أذكر درجة موافقتك على العبارات التالية و لتي تخص العوامل الداخلية للضغوط النفسية:

العوامل الداخلية (المهنية)	موافق جدا	موافق نوعا ما	محايد	معارض نوعا ما	معارض جدا
عدم ملائمة شروط العمل					
عدم ملائمة الوظيفة لمستواي العلمي					
عدم الحصول على فترات راحة أو الحصول على فترات جد قصيرة					
إجبارية القيام بأعمال إضافية					
سوء تعامل المسؤول المباشر					
ضيق الوقت المتاح لإنجاز المهام					
ساعات العمل الطويلة					
إجبارية إكمال المهام في المنزل					
تتبع المؤسسة لدرجة عالية من الرسمية					

أذكر درجة موافقتك على العبارات التالية التي تخص أدائك المهني في المؤسسة:

الأداء المهني	موافق جدا	موافق نوعا ما	محايد	معارض نوعا ما	معارض جدا
أقوم بإنجاز المهام الموكلة لي في الأوقات المحددة					
أرفض التعليمات الموجهة لي					
أقوم بإنجاز المهام بإكراه					
أقوم بأخذ عطلات مرضية عديدة في السنة					

أتغيب كثيرا لمختلف الأسباب					
ألاحظ أن إنتاجيتي تقل					
ألاحظ أن إنتاجيتي تزيد					
أحرص على تحسين أدائي					
كثيرا ما أقوم بالتأخر عن الحضور					
كثيرا ما أقوم بتأجيل المهام					

الملحق رقم 02: معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية لمحور العوامل الخارجية و فقرات المحور

العوامل الخارجية للضغوط النفسية		
1	Corrélation de Pearson	العوامل الخارجية للضغوط النفسية
	Sig. (bilatérale)	
200	N	
,580**	Corrélation de Pearson	التكاليف المعيشية المرتفعة
,000	Sig. (bilatérale)	
200	N	
,566**	Corrélation de Pearson	الديون
,000	Sig. (bilatérale)	
200	N	
,675**	Corrélation de Pearson	عدم تلبية متطلبات البيت
,000	Sig. (bilatérale)	
200	N	
,623**	Corrélation de Pearson	عدم الاستقرار الاجتماعي

	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
المشاكل الأسرية	Corrélation de Pearson	,625**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
مشكل البعد و المسافة	Corrélation de Pearson	,578**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
مشكل_الازدحام_المروري	Corrélation de Pearson	,557**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200

المصدر: مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS 20

الملحق رقم 03: معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية لمحور العوامل الداخلية و فقرات المحور

		العوامل الداخلية للضغوط النفسية
العوامل الداخلية للضغوط النفسية	Corrélation de Pearson	1
	Sig. (bilatérale)	
	N	200
عدم ملائمة شروط العمل	Corrélation de Pearson	,531**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
عدم ملائمة الوظيفة لمستواي العلمي	Corrélation de Pearson	,471**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
عدم الحصول على فترات راحة أو الحصول على فترات جد قصيرة	Corrélation de Pearson	,649**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
إجبارية القيام بأعمال إضافية	Corrélation de Pearson	,724**

	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
سوء تعامل المسؤول المباشر	Corrélation de Pearson	,611**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
ضيق الوقت المتاح لانجاز الأعمال	Corrélation de Pearson	,672**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
ساعات العمل الطويلة	Corrélation de Pearson	,688**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
إجبارية إكمال المهام في المنزل	Corrélation de Pearson	,552**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
تتبع المؤسسة لدرجة عالية من الرسمية	Corrélation de Pearson	,501**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
عدم وجود العدل في تقسيم المهام	Corrélation de Pearson	,649**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200

المصدر: مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS 20

الملحق رقم 04: معاملات ارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية لمحور الأداء المهني و فقرات المحور

		الأداء المهني للعامل
الأداء المهني للعامل	Corrélation de Pearson	1
	Sig. (bilatérale)	
	N	200
أقوم بانجاز المهام الموكلة لي في الأوقات المحددة	Corrélation de Pearson	,502**

	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
ارفض التعليمات الموجهة لي	Corrélation de Pearson	,537**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
أقوم بانجاز المهام الموكلة لي بإكراه	Corrélation de Pearson	,568**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
أقوم بأخذ عطلات مرضية عديدة في السنة	Corrélation de Pearson	,737**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
أتغيب كثيرا لمختلف الأسباب	Corrélation de Pearson	,715**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
ألاحظ أن إنتاجيتي تقل بسبب الضغط النفسي	Corrélation de Pearson	,419**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
ألاحظ أن إنتاجيتي تزيد بسبب الضغط النفسي	Corrélation de Pearson	,207**
	Sig. (bilatérale)	,003
	N	200
احرص على تحسين أدائي	Corrélation de Pearson	,586**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200
أقوم بالتأخر عن الحضور	Corrélation de Pearson	,640**
	Sig. (bilatérale)	,000
	N	200

,589**	Corrélation de Pearson	أقوم بتأجيل مهامي
,000	Sig. (bilatérale)	
200	N	

المصدر: مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS 20

التنوع الثقافي في السياسات الثقافية العمومية المغربية سؤال المرجعيات بين الرؤية السياسية والواقع الثقافي

نورالدين القرفة البقالي، باحث بسلك الدكتوراه، كلية علوم التربية الرباط- جامعة محمد الخامس، المغرب

ملخص: لقد استجاب المغرب للخطاب الدولي الرامي لتدويل التعددية الثقافية، والذي صيغ على نحو مرن كي يستوعب مختلف التجارب السياسية لتدبير التنوع الثقافي، من منطلق تباين خصوصيات كل دولة على حدة، وقد تماهت المرجعية الوطنية الموجهة للسياسات الثقافية المغربية مع هذا الخطاب الكوني، لكن في إطار هوية وطنية محددة، تعترف بالتنوع الثقافي وفق توصيف إثني انتقائي، مع تكريس حزمة حقوق ثقافية تخضع لرقابة الثوابت والمقدسات، وهو ما أفرز النزوع نحو تبني إطار مؤسساتي مرجعي موحد للسياسات الثقافية، يستجيب نسبيا لواقع الاختلافات الثقافية بالمجتمع المغربي.

الكلمات المفتاحية: التنوع الثقافي، التعددية الثقافية، السياسة الثقافية المغربية، الحقوق الثقافية.

Cultural diversity in Moroccan public cultural policies, Frame of reference problematic between the political vision and cultural reality

Researcher: Karfa Bekali Nour Eddine, Faculty of Educational Sciences- Rabat, University of Mohammed V, morocco

Abstract: Morocco has responded to the international discourse about cultural pluralism which was formulated in a flexible way to accommodate different political experiences related to managing cultural diversity without neglecting each country's particularities. The national frame of reference addressing Moroccan cultural policies has adhered to the discourse, without departing from national Moroccan identity and sacred principles. This adherence has resulted in the tendency towards adopting a unified institutional frame of reference for cultural policies that responds relatively to the reality of cultural differences in Moroccan society.

Key Words : Cultural diversity, Multiculturalism, Moroccan cultural policy, Cultural rights.

تقديم:

لقد بات من المسلم به في الدراسات والأبحاث العلمية التي تعنى بالمادة الثقافية أن التنوع الثقافي سمة تلازم معظم الشعوب والمجتمعات الإنسانية، والمجتمع المغربي لا يخرج عن هذه القاعدة، حيث تجمع الدراسات والأبحاث التي تناولت المشهد الثقافي المغربي المعاصر على مدى تنوعه الكبير وثراء مكوناته.

إن واقع التنوع الثقافي فرض نفسه على مختلف الأنظمة السياسية بالعالم، حيث وجدت نفسها مجبرة على التعاطي معه، وذلك من خلفيات حقوقية وأخلاقية، وهو ما أسال الكثير من المداد في الأوساط العلمية والسياسية حول كيفية التعاطي السياسي مع هذا الواقع، وأفرز في المحصلة مفهوم التعددية الثقافية باعتبارها وفق إحدى تعريفاتها "نظرية سياسية في التعامل مع التنوع الثقافي، بحيث تستند إلى فكرة اقتسام السلطة ما بين الجماعات الثقافية في مجتمع ما على أساس المساواة والعدالة الثقافيتين" (حسام الدين علي مجيد، 2010، ص46)، وقد انتقل هذا المفهوم إلى أروقة هيئات منظمة الأمم المتحدة ذات الصلة بالشأن الثقافي ليصبح تحقيقه مطلبا عالميا تبنته العديد من الدول، والمغرب على غرارها ركب موجة هذا الخطاب الدولي، والذي يمكن اعتباره مرجعية دولية تدعو لتكريس التعددية الثقافية كآلية سياسية لتدبير واستثمار التنوع الثقافي بمختلف الدول.

يتبدى اقتداء المغرب بهذه المرجعية الدولية من خلال اعتراف الوثيقة الدستورية الحالية (دستور 2011) بتنوع المكونات الثقافية للهوية الوطنية وتعدد روافدها، وتكريسها لجملة من الحقوق الثقافية، بالإضافة إلى إحداث هيئة دستورية وطنية، تتمثل في المجلس الوطني للغات والثقافة المغربية، كمرجعية وطنية في مجال السياسة اللغوية والثقافية.

تأسيسا عليه يمكن القول إن تكريس التنوع الثقافي في السياسات العمومية الثقافية المغربية يرتكز على ثلاث مرجعيات أساسية تنتظم في إطار تراتبي عمودي يتضمن؛ الخطاب الكوني الحديث نسبيا والرامي لتدويل التعددية الثقافية كإطار سياسي يحصن التنوع الثقافي، والمرجعية الدستورية المجسدة للهوية الثقافية للمجتمع المغربي المتنوع الأطياف الثقافية، ثم التوجهات الإستراتيجية للمجلس الوطني للغات والثقافة المغربية.

وإذا كانت المرجعية الدولية والمتجسدة أساسا في توجهات منظمة اليونيسكو قد صيغت على نحو مرن يستوعب تباين الخصوصيات الثقافية والعوامل المتحكمة فيها من دولة لأخرى، فإن المرجعية الوطنية للسياسات الثقافية والمتمثلة في المضمون الدستوري مدعوة للاستجابة لواقع الاختلافات الثقافية بالمجتمع المغربي المتنوع اثنيا والمتسم بدينامية حقوقية في بعدها الثقافي، على اعتبار أن السياسات الثقافية هي؛ " مجمل الخطط والأفعال والممارسات التي تهدف إلى سد الحاجات الثقافية لبلد ما أو مجتمع ما" (حسام فازولا ومحمود عثمان، 2015، ص7).

وبالتالي يفترض في المرجعية الوطنية للسياسات الثقافية أن تعترف بمختلف الإثنيات التي يزخر بها الحقل الثقافي المغربي، وأن تحصن الحقوق الثقافية الضامنة للاختلافات الثقافية في شتى أبعادها، وذلك انسجاما مع الخطاب الكوني المبشر بالتعددية الثقافية، وهو ما تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء عليه عبر تحليل الخطاب الرسمي والمؤسساتي المرجعي المحتضن للتنوع الثقافي

المغربي من حيث تبنيه للمعايير الدولية من جهة، ومن حيث مدى تلبيته لواقع التنوع الثقافي بالمجتمع المغربي من جهة ثانية.

مشكلة الدراسة:

تنبع مشكلة الدراسة تحديدا من الرغبة في التأكد من مدى تطابق مضمون الخطاب المرجعي المحدد لمعالم السياسات الثقافية المغربية مع الخصوصيات الثقافية للمجتمع المغربي المتنوع ثقافيا، وهو ما يتفرع عنه الأسئلة التالية؛ هل تسمح المرجعية المذكورة بالاعتراف بجميع الإثنيات المغربية دون إقصاء أي واحدة منها؟ وهل الضمانات الحقوقية المعتمدة في مجال الممارسات الثقافية كافية لتحصين الحق في الاختلاف الثقافي؟ ثم إلى أي حد يمكن التعويل على المجلس الوطني للغات والثقافة، بصفته مرجعية وطنية في مجال السياسات الثقافية، لتكريس التنوع الثقافي والحقوق الثقافية؟

إن هذه المشكلة تطرح سؤال الهيمنة الثقافية للدول الحديثة، التي أصبحت تعتبر الهوية الثقافية شأنا خاصا للدولة، وتضع إطارا سياسيا لهذه الهوية وفق رؤيتها السياسية، وهو ما يمكن أن يفضي لتضارب المصالح بين الهوية الوطنية الموحدة والهويات الثقافية المختلفة داخل الدولة، كما أن تجربة التعددية الثقافية لا يمكن اعتبارها عصا سحرية للتخلص بشكل كامل من تبعات سيطرة الدول على الحقل الثقافي، ويبقى نجاح تجارب التعددية نسبي حسب خصوصيات كل دولة ومنهج تعاطيها مع واقع التنوع الثقافي، لذلك فإن مشكلة الدراسة تنصب تخصيصا على التجربة المغربية على مستوى المرجعيات السياسية الثقافية كمدخل لخوض غمار هذه التجربة، ومدى احترامها حقيقة لواقع التنوع الثقافي المغربي.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة لمحاولة تحليل مدى حضور البعد التعددي في المرجعية الوطنية للسياسات الثقافية، وذلك من على مستوى:

-مدى استجابتها لمعايير الخطاب الدولي، من حيث المناخ السياسي الملائم لتكريس التعددية الثقافية، ومكونات التنوع الثقافي الواجب اعتمادها.

-مدى استحضارها لمختلف المكونات الإثنية التي يرحب بها الحقل الثقافي المغربي.

-مدى تكريسها للحقوق الثقافية التي تعترف بالاختلاف الثقافي.

-مقاربتها المؤسساتية في بناء سياسات ثقافية مندمجة لتدبير واقع التنوع الثقافي المغربي.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من ثلاث بواعث أساسية؛

-الجدة، حيث يعتبر موضوع التعددية الثقافية، كإطار سياسي لتدبير التنوع الثقافي، من مستجدات الحقل السياسي العالمي، وعلى المستوى السياسي المغربي تعتبر تجربة التعددية الثقافية في طور الإرساء، وهو ما يمكن أن يضفي عنصر الجدة على الدراسات والأبحاث المواكبة لهذه التجربة.

-تداخل الحقول العلمية والمعرفية، حيث تستلزم الدراسات والأبحاث الرامية لتشريح تعاطي المقاربات السياسة مع الواقع الثقافي تبني أكثر من منظور علمي واحد، وهو ما تم نهجه في هذه الدراسة عبر تبني زوايا نظر مختلفة (سياسية، أنثربولوجية، حقوقية).

-ندرة الدراسات، وهو ما لمسناه من خلال شح المصادر العلمية المقاربة لموضوع الدراسة، الشيء الذي يكرس الحاجة الماسة لإغناء البنك العلمي بأبحاث ودراسات لمواكبة وتقييم تجارب التعددية الثقافية عموما، والتجربة المغربية على وجه الخصوص.

مصطلحات الدراسة:

التنوع الثقافي / التعددية الثقافية: تتعين الإشارة للفرق بين التنوع الثقافي كواقع يتخلل معظم المجتمعات الإنسانية، والتعددية الثقافية كمصطلح مستحدث يشير للإطار السياسي لتدبير واقع التنوع الثقافي، بعبارة أشمل فالتنوع واقع اجتماعي والتعددية ممارسة سياسية.

السياسة الثقافية العمومية (المرجعية السياسية) / السياسات الثقافية العمومية: ينصرف معنى السياسة الثقافية العامة في هذه الدراسة إلى مجموع التوجهات والرؤى الإستراتيجية التي تشكل الأرضية المرجعية للسياسات الثقافية في مجالات مختلفة (التعليم، الإعلام، الفن...).

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على منهج وصفي- تحليلي ومنهج كيفي يروم الفحص الموضوعي للوثائق والنصوص السياسية الرسمية والدراسات الأنثربولوجية-الثقافية والحقوقية، على اعتبار أن طبيعة الموضوع تقتضي في نظرنا المزج بين المقاربة السياسية التي تدافع عن وظيفة الثقافة كبعد من الأبعاد التي تؤسس لمفهوم الدولة الأمة، والمقاربة الأنثروبولوجية التي تهتم بالثقافة كقيم وأعراف تؤسس لمفهوم الهوية بأبعادها اللغوية والقيمية والاجتماعية، والمقاربة الحقوقية في مجال الاختلافات الثقافية، على أن هذا المزج لا نسعى من ورائه إلى ابتداع مقاربة جديدة بقدر ما نصبو لتحليل الخطاب السياسي المرجعي في مجال التنوع الثقافي وفق منظور موضوعي، يسائل هذا الخطاب عن مدى التلبية الحقيقية لحاجيات التنوع الثقافي المغربي.

I. التوجه الدولي لتكريس التعددية الثقافية:

لقد شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين هيمنة خطاب سياسي كوني يترافع عن التعددية الثقافية وهو ما يمكن ملامسته بسهولة من خلال استقراء توجهات منظمة الأمم المتحدة عبر أجهزتها ذات الصلة، ويمكن أن نسوق كمثال لما ذهبت إليه منظمة اليونيسكو، التي تعتبر أن "السياسات التي تشجع على دمج ومشاركة كل المواطنين تضمن التماسك الاجتماعي وحيوية المجتمع المدني والسلام، وبهذا المعنى تكون التعددية الثقافية هي الرد السياسي على واقع التنوع الثقافي." (المنظمة العالمية للتربية والثقافة والتعليم -اليونيسكو-، 2001)، وهكذا يمكن اعتبار أن التعددية الثقافية بمثابة القناة السياسية التي يتم من خلالها تصريف واقع التنوع الثقافي في منحى تحقيق التماسك الاجتماعي والحفاظ على الهوية الجماعية، وبالتالي ضمان الإسهام المجتمعي المتكامل والمنسجم في ركب التنمية، كما نسجل أن التعددية الثقافية يمكن اعتبارها بمثابة انتقال المسألة الثقافية من المجال العلمي والأكاديمي المقر بمسلمة التنوع الثقافي إلى رحاب المشهد السياسي الدولي والمحلي الذي وجد نفسه مضطرا إلى التفاعل مع حتمية الفوارق والاختلافات الثقافية وتدبيره، حيث لم يعد مقبولا بالمرة في الأدبيات السياسية المعاصرة إقصاء الدولة للحقوق الثقافية الخاصة بمختلف الفئات الاجتماعية، وفي نفس السياق يعزي ويل كيميلكا هذا التوجه الدولي الحديث الرامي لاستحضار الأطياف الثقافية المتنوعة في رسم السياسات العامة

لدولة ما، إلى تلاشي مفهوم الدولة القومية ذات الثقافة الوحيدة كون التنوع الثقافي واقع حقيقي ودائم يحدد سمة الحكم الذي يكون فيه التسامح قيمة أساسية (ويل كيميلكا، ترجمة إمام عبد الفتاح امام، 2011، ص 21)، وهو ما يسمح لنا بالقول أن المنتظم الدولي سعى للقطع مع الممارسات السياسية المتجاهلة لحتمية التنوع الثقافي، وذلك عبر التبشير بنموذج التعددية الثقافية المروج له لتجاوز إرث الأنظمة السياسية المهيمنة على الحقل الثقافي.

إن المغرب وعلى غرار العديد من دول العالم انخرط في هذا الخطاب الدولي، وهو ما يفترض أن تعكس سياساته الثقافية اعترافا بالتنوع الثقافي المغربي وفق هذا المنظور الأممي، لكن يبقى التحقق من ذلك رهين بتحديد مفهوم التنوع الثقافي كما تتبناه منظمة الأمم المتحدة من جهة، وخصوصيات الإطار السياسي الموصى بها لخلق مناخ إيجابي يمكن أن تزدهر فيه التعددية الثقافية من جهة ثانية.

الواقع أن مهمة تحديد مفهوم التنوع الثقافي ليست باليسيرة، وحسبنا في هذا المقام وانسجاما مع مطلب تحليل الخطاب الكوني في هذا الشأن أن نشير لتعريف منظمة اليونيسكو الذي يعتبر التنوع الثقافي "حقيقة واقعة، فهناك مجموعة واسعة متباينة من الثقافات المتميزة التي يمكن التمييز بينها على أساس الملاحظة الاثنوغرافية حتى وان كان تحديد الخطوط التي ترسم حدود ثقافة معينة أصعب مما قد مما يبدو للوهلة الأولى" (اليونيسكو، 2009)، الملاحظ أن محاولة التعريف هاته وإن تبنت أساسا إثنوغرافيا في تحديد التمايزات بين المجموعات الثقافية، فإنها تعترف بصعوبة تطويق المفهوم في ظل صعوبة التحديد الدقيق للبرازخ الفاصلة بين الألوان الثقافية لمجتمع ما، كما أن الاقتصار على تبني التوصيف الإثني كمعيار للفرز يبقى قاصرا عن استيعاب الفوارق الثقافية وفق العديد من الدراسات والأبحاث، حيث يعتبر البعض أن هناك معايير متعددة تنبني على أساس طبقي يميز بين الثقافة العليا والثقافة التراثية والثقافة الجماهيرية والثقافة الشعبية، وأيضا نجد التمييز بين نوعي الثقافة القومية والمحلية (ادريس بوعباني، 2018، ص 33)، وهناك من يميز بين أنواع الخصوصيات الثقافية على أساس الخصوصيات العمرية والمهنية والجنسية والطبقية والعرقية والعقائدية والتعليمية (دلال استيتية، 2008، ص 240-241)...

ولعل منظمة اليونيسكو حاولت تجاوز هذا القصور المفهومي من خلال التنصيص على حرمة الحقوق الثقافية المختلفة باعتبارها جزءا من الحقوق الكونية التي تحظى بحصانة المنتظم الدولي، بل وأكدت على كون التنوع الثقافي لا ينبغي أن يمس بمنظومة حقوق الإنسان كما هي متعارف عليه دوليا (اليونيسكو، 2001)، كما أن التركيز على المعيار الإثني في تقديرنا راجع لكونه يكتسي المكانة الأبرز في حزمة المعايير المتنوعة بتنوع زوايا النظر لمسألة التنوع، من منطلق أن الإثنية تشمل كل من البعدين الفيزيولوجي والثقافي من جهة، وتستوعب عناصر ثقافية مادية ورمزية متنوعة من جهة ثانية، حيث أن تعريفات الإثنية وإن اختلفت فهي تستند على معيارين: " المعيار الثقافي: الذي يضم اللغة، التاريخ، والعادات والتقاليد/ المعيار الفيزيولوجي: الذي يضم الجنس، والأصل، ولون البشرة." (شوحة مريم وزعرور حسينة، 2018، ص 21-22)، وهو الطرح الذي يؤيده تصنيف ليدن روزنر الذي يبوئ الإثنية والعرق مكانة البعد الأولي في أبعاد التنوع الثقافي الذي يتقدم على الأبعاد الثانوية (الدين، التوجه الجنسي، أسلوب التفكير...) والتي

تليها الأبعاد الفرعية (المواقف، الإدراكات والمعتقدات، القيم، قواعد الجماعة...) (براهمي زرزور، 2015، ص125).

محصلة القول أن التنوع الثقافي وفق المفهوم المتداول في أروقة المنظمات العالمية ذات الصلة يعتبر واقعا يتطلب تدخلا سياسيا منصفا للجماعات الثقافية المختلفة إثنيا دون إقصاء الاختلافات الثقافية الأخرى المندرجة في إطار الحقوق الثقافية المكفولة عالميا، وبالمقابل لم يقدم هذا الخطاب الدولي أي وصفات سياسية جاهزة للتعاطي مع مسلمة التنوع الثقافي يمكن تعميمها على مختلف الدول المعنية، لكنه أوصى بالعديد من المحددات التي من شأنها جعل المناخ السياسي قابلا لاستيعاب التعددية الثقافية كإطار سياسي يفي بالغرض، ومن جملة ذلك نجد ضرورة تبني نظام ديموقراطي وتكريس منظومة حقوقية تتماشى مع ما تسير في نهجه المنظومة الحقوقية الكونية (اليونيسكو، 2001).

إن المقاربات السياسية المعتمدة في تدبير الحقل الثقافي وفق هذا التوجه تشترك في ارتكازها على نظام سياسي ديمقراطي وإطار حقوقي كوني، غير أن الخصوصيات الثقافية والعوامل المتحكمة فيها من دولة لأخرى أفرز تباين مقاربات التعاطي مع واقع التنوع الثقافي، وفي هذا السياق يشير ويل كيميلكا إلى ظهور أشكال من التعددية الثقافية التي وإن كانت تشترك في مبادئ عامة فإنها تختلف باختلاف الدول حسب خصوصياتها (ويل كيميلكا، ترجمة إمام عبد الفتاح، 2011، ص 87).

على ضوء توجهات الخطاب الدولي المبسوطة أعلاه، يمكن أن نرصد أهم الخصائص التي تميز المرجعية الدولية الداعية لتكريس التنوع الثقافي في السياسات العمومية، والمتمثلة في:

المرونة: حيث لم يتم تبني أي نموذج سياسي محدد للتعددية الثقافية من منطلق تباين الخصوصيات السياسية والواقع الثقافي من دولة لأخرى، وتم التركيز على تبيان المحاسن السياسية والاجتماعية للتعددية الثقافية، ودعوة مختلف الدول لتبنيها.

تبني المعيار الإثني: على الرغم من مطاطية مفهوم التنوع الثقافي وصعوبات محاصرته، ولاسيما في تحديد معايير التوصيف، اعتمد الخطاب الدولي لليونيسكو أساسا على التوصيف الإثني، ويعزي ذلك في منظورنا لأهمية المعيار الإثني الذي يتضمن جملة من الخصوصيات الثقافية والتي يمكن أن تشترك فيها مجموعة إثنية معينة، وهذا لا يعني أن تبني هذا التوصيف كفيل باستيعاب الفوارق والاختلافات الثقافية كما تناولتها مختلف الدراسات والأبحاث السوسيولوجية والأنثروبولوجية.

الارتكاز على الإطار الحقوقي: انسجاما مع توجهات منظمة الأمم المتحدة، حثت اليونيسكو على احترام منظومة الحقوق المتعارف عليها دوليا، بما في ذلك الحقوق الثقافية، وهو ما يمكن أن يستوعب مختلف الفوارق والتمايزات الثقافية سواء كانت ذات بعد إثني أم لا، وبالتالي فتجربة التعددية الثقافية لا تكتمل أركانها وفق هذا المنظور إلا بتحصين الحقوق الثقافية المقرة بالاختلاف الثقافي.

تبني الخيار الديمقراطي: حيث إن احتضان التعددية الثقافية يستلزم توفر المناخ السياسي الملائم لبلورة سياسات تنصف مختلف الأطياف الثقافية، وهو ما جعل منظمة اليونيسكو توصي بضرورة تبني نظام سياسي ديمقراطي قوامه احترام الحقوق والحريات.

وبناءا عليه يكون من البديهي استحضار هذه الخصوصيات لدراسة وتحليل مختلف تجارب التعددية الثقافية للدول التي تبنت هذا الخطاب الدولي كمرجعية سياسية على مستوى تعاطيها مع واقع التنوع الثقافي الذي يتخلل مجتمعاتها، وهو ما سنعمد إليه في تناول التجربة المغربية التي تعد موضوع الدراسة، وذلك في مسعانا للتحري عن صدى هذا الخطاب الدولي في المرجعية الدستورية المغربية.

II. المرجعية الدستورية للسياسات العامة الثقافية بالمغرب:

إن تحليل البعد التعددي في السياسات الثقافية المغربية التي يفترض أن تتماهى مع الخطاب الكوني حول التنوع الثقافي يقتضي محاولة تحديد خصائص المشهد الثقافي المغربي وفق المنظور السياسي الرسمي، وهو ما لا يتأتى في نظرنا إلا من خلال تشريح المرجعية الدستورية حيث يعتبر البعض "أن السياسات العمومية الثقافية تنطلق في بناء مرجعياتها ومنطلقاتها القيمية من ما يقرره الدستور على مستوى تمثله للهوية الوطنية" (حسن طارق وعثمان كاير، 2014، ص33)، ولذلك يهمنا في هذا المقام تحليل المرجعية الدستورية المعتمدة في رسم التنوع الثقافي المغربي والتي تعد بوصلة للتعددية الثقافية المغربية، وسنحاول لبلوغ هذا المسعى تبني منظور مزدوج أنثروبولوجي- حقوقي في تحليل المقاربة السياسية المعتمدة بالوثيقة الدستورية، كما أنه بداهة ومن منطلق كون المغرب يعتبر دولة ملتزمة بتكريس وتعزيز التنوع الثقافي وفق الخطاب الدولي المشار إليه سلفا، يحق لنا أن نسائل المحددات المرجعية الوطنية عن مدى سيرها على هدي هذا الخطاب، سواء على مستوى توصيف التنوع الثقافي، أو على مستوى تكريس الحقوق الثقافية كبعد من أبعاد هذا التنوع.

أ.التوصيف الدستوري للتنوع الثقافي المغربي

إن الاستجابة لواقع التنوع الثقافي المغربي وفق المنظور الأممي يقتضي الاعتراف الرسمي بمختلف الإثنيات المغربية، وهو ما من شأنه تحقيق عدالة ثقافية حقيقية منصفة للجميع، لكن الإشكال الذي يثور هنا؛ هو ماهية هذا الاعتراف، هل يتعلق الأمر بالاعتراف بهويات إثنية مستقلة في إطار الهوية الوطنية أم بمجرد مكونات وروافد ثقافية منصهرة في هوية الدولة؟ وهل يتعين تحصين ثقافة الاثنيات الأصيلة للبلد أم يقتضي الأمر الاعتراف أيضا بالاثنيات المهاجرة؟ الواقع أن الخطاب الدولي لا يسعف في الإجابة الدقيقة على هذه التساؤلات، وهو ما يفتح الباب على مصراعيه لتباين مقاربات التعاطي الدستوري لمختلف الدول مع المسألة. وبالرجوع لديباجة الوثيقة الدستورية المغربية الحالية نجد أنها اعتبرت الهوية الوطنية موحدة نتيجة انصهار المكونات الثقافية المغربية المتمثلة حصرا في؛ المكون العربي الإسلامي، المكون الأمازيغي، المكون الصحراوي الحساني (دستور المملكة المغربية، 2011)، ولئن كان الإجماع حاصلا في الاعتراف بهذه المكونات الثلاث كأطياف أساسية تؤثث للمشهد الثقافي المغربي، فانه يحق لنا أن نتساءل من خلفيات أنثربولوجية عن التناول الدستوري للمسألة الثقافية من حيث استيعابه لمجموع

الأطياف الثقافية الإثنية، وهنا نسجل أن هذه الرؤية الرسمية تبنت معيارا إثنيا وهي بذلك رؤية تتناغم والإطار الدولي الذي انخرطت فيه، لكن التنوع الإثني المغربي وفق دراسات وأبحاث يشمل مكونات لم تلق صداها في الوثيقة الدستورية، وفي هذا السياق نسوق لتقرير الخبيرة الدولية المستقلة في مجال الحقوق الثقافية فريدة شهيد والذي وصف المغرب بكونه "مجتمع متعدد الإثنيات والثقافات، والمغاربة في معظمهم مسلمون وسنيون من العرب والأمازيغ، أو من أصول عربية أمازيغية مختلطة، كما يعيش في المغرب طائفة يهودية صغيرة...وأشخاص من أصول إفريقية"(فريدة شهيد، 2011، ص4)، بل يذهب ادريس بوعباني إلى توصيف إثني أرحب لظاهرة التنوع الإثني المغربي يشمل المكون الأمازيغي والمكون العربي الإسلامي والمكون اليهودي والمكون الإفريقي والمكون الغربي الموريسكي (ادريس بوعباني، 2018، ص 123)، وهو ما يدفعنا بداهة للتساؤل عن خلفيات اعتماد معيار إثني انتقائي يكرس مكونات ثقافية بعينها، على الرغم من أن الحقل الثقافي المغربي زاخر بإثنيات أخرى تمثل مكونات أصيلة في النسيج الثقافي المغربي (الثقافة العبرية والثقافة الإفريقية والثقافة الأندلسية)، فعلى فرض أن الأمر يتعلق بأقليات فذلك لا يبرر إقصاءها، حيث يعتبر ويل كيملكا أن سياسات التعددية الثقافية يتعين أن تعنى بالأقليات سواء تعلق الأمر بالسكان الأصليين أم بالمهاجرين أم بالأقليات القومية (حسام الدين علي مجيد، 2010، ص 27-30).

يبدو أن المرجعية الدستورية حاولت عدم إقصاء بعض الثقافات المحدودة الانتشار في المجتمع المغربي عبر الاعتراف بها كروافد للهوية الوطنية دون تبوئها مكانة المكون الثقافي المحصن دستوريا، وهو ما نلمسه من خلال التنصيص على كون الروافد الإفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية تشكل مصدر ثراء للهوية المغربية (دستور المملكة المغربية، 2011)، وهو طرح يوحي بأن هذه المكونات هي مجرد منابع ثقافية جفت ولم يعد لها أثر علما أنها مازالت حاضرة بشكل أو بآخر في المشهد الثقافي المغربي وفق الدراسات والأبحاث المشار إليها سلفا.

إن التنوع الثقافي المكرس في ظل المرجعية الدستورية المومأ لها أعلاه ينبني أساسا على معيار إثني انتقائي وفق التصور الرسمي للهوية الوطنية ومكوناتها الأساسية، وهو ما يجعلنا نتوقع مستقبلا إمكانية انضمام إثنيات أخرى إلى نادي الهويات المعترف بها حسب دينامية السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهو فرض يسمح مثلا بأن تتحول الهوية الثقافية اليهودية أو الإفريقية من مجرد رافد إلى مكون أساسي في البنية الثقافية المغربية.

وإذا كانت الاختلافات الثقافية تتجاوز العرق والإثنية كما يذهب إلى ذلك تعريف كوكس للتنوع الثقافي حيث يعتبره "مثل العرق والاثنية والجنسية والدين والنوع والأبعاد الأخرى للاختلاف المستمدة من العضوية في مجموعات متميزة اجتماعيا وثقافيا" (وفاء الريحان، 2020)، فطبيعي أن ننقب عن مدى التحصين الدستوري للتنوع الثقافي في مختلف تجلياته الأخرى التي تعكس التمايزات الحقيقية بين المجموعات الثقافية وحقها في التعبير عن هويتها، وهو ما يحيلنا على التعاطي الدستوري مع مسألة الحقوق الثقافية بمختلف منطلقاتها الهوياتية.

ب.الحقوق الثقافية في الدستور المغربي

على الرغم من التنصيص الصريح على حرمة الحقوق الثقافية المكفولة على قدم المساواة للجنسين (دستور المملكة المغربية،2011) ومصادقة المغرب على المعاهدات الدولية الرئيسية لحقوق الإنسان التي تندرج في طياتها أحكاما مهمة عن الحقوق الثقافية "(فريدة شهيد، 2011، ص5) فإننا نتساءل عن مدى سعة صدر هذه الضمانات الحقوقية المرجعية في تجسيد تنوع ثقافي تحضر في رحابه مختلف الهويات الثقافية التي يزخر بها الحقل الثقافي المغربي، والواقع أننا وفي مسعانا للتحقق من هذا التساؤل نصطدم بالمحدد الهوياتي الدستوري كمرجعية للسياسات الثقافية، فمن المسلم به في الأدبيات السياسية المعاصرة أن الهوية مع تشييد الدول الحديثة أصبحت شأنا للدولة (ويل كيميلكا، ترجمة إمام عبد الفتاح، 2011، ص 158)، والمغرب لم يخرج عن هذه القاعدة من خلال تحديد هويته كبلد إسلامي له هوية وطنية موحدة تنصهر فيها المكونات العربية الإسلامية والأمازيغية والصحراوية الحسانية، كما أنه أرسى الثوابت التي ترتكز عليها الحياة العامة والمتمثلة في الدين الإسلامي والوحدة الوطنية المتعددة الروافد والملكية الدستورية والاختيار الديمقراطي (دستور المملكة المغربية، 2011)، وفي ظل هذا التحديد نجازف بالقول إن الحقوق الثقافية المتعارف عليها كونيا لا يمكن أن تكرس على إطلاقها في ظل خصوصية الدولة المغربية ذات الأبعاد السياسية والدينية والاجتماعية، وتأسيسا عليه فبعض من الحقوق الثقافية المعترف بها في دول أخرى قد لا تحظى بنفس الاعتراف بالمغرب، والأمثلة على ذلك كثيرة لا يسمح المقام بتناولها تفصيلا وحسبنا أن نلمح لسلم الثوابت وتراتبيتها مما يجعل مثلا الحقوق الثقافية التي تتنافى مع القواعد الدينية غير معترف بها بل مرفوضة، وهو ما عبر عنه الدكتور محمد المساوي بقوله أن " النظام القانوني المغربي مؤسس على تدرج العقلانية، فالقواعد الدينية لها مكانة متميزة، أما القواعد الدستورية فلها مكانة أدنى" (محمد المساوي، 2018، ص 40)، وهو طرح يسمح لنا بالقول أنه مهما بلغ التحصين الدستوري للحقوق الثقافية فهو تحصين يخضع لسقف المقدسات التي تعد قواعد سامية.

إن المرجعية المعتمدة تتيح مساحات للاختلاف الثقافي وفق منظور حقوقي يجسد التطبيع مع منظومة الحقوق الثقافية الكونية، لكنه يظل تطبيعا نسبيا يصطدم بالثوابت والمقدسات الموجهة قسرا للممارسات والتعبيرات الثقافية في مختلف مجالاتها، والواقع أن مسألة هوية المملكة المغربية وفق تحديدها الدستوري جعلت من انخراط المغرب في المعاهدات الدولية لحقوق الإنسان بما فيها الحقوق الثقافية انخراطا مشروطا بعدم التنافي مع خصوصيات هذه الهوية، وهو ما نستشفه من التعبير الصريح للنص الدستوري الذي أقر بالتالي "جعل الاتفاقيات الدولية، كما صادق عليها المغرب، **وفي نطاق** أحكام الدستور، وقوانين المملكة، **وهويتها الوطنية الراسخة،** تسمو فور نشرها على التشريعات الوطنية..." (دستور المملكة المغربية، 2011).

إن التعاطي الدستوري مع المسألة الحقوقية على هذا النحو يفرز في نظرنا إشكاليتين أساسيتين؛ الأولى تتمثل في ثنائية التضاد الكونية- الخصوصية، والتي جعلت العديد من الأنظمة السياسية ذات الخصوصية الهوياتية في موقف حرج إزاء التزاماتها الدولية باحترام منظومة الحقوق الكونية، والثانية تتصل بمطلب تحقيق العدالة الثقافية الذي يقتضي الاستجابة لطفرة الحقوق الثقافية الناتجة عن دينامية المجتمع المدني المغربي، وبين سندان ضرورة تكريس هوية موحدة

للبلاد ومطرقة الخطاب الدولي والمطالب الحقوقية للمجتمع، يبدو أن الدولة المغربية تبنت نهجا وسطا يستوعب الحقوق الثقافية في إطار محددات التعاقد الدستوري للبلاد، وهو نهج قد لا تستسيغه العديد من الفعاليات الحقوقية الدولية والوطنية ولا سيما تلك التي تنحاز لتقديس مبدأي كونية الحقوق والحريات الفردية.

إن المحددات الدستورية الهوياتية باعتبارها مرجعية مفترضة للسياسات العمومية الثقافية في مجال التنوع والاختلافات الثقافية لم تكتف بتوصيف التنوع الثقافي المغربي وتكريس الحقوق الثقافية وفق مقاربة سياسية تكرس هوية الدولة وتحميها، بل حددت أيضا المرجعية المؤسساتية في مجال السياسة اللغوية والثقافية، وهو ما سنستعرضه في العنصر الأخير.

III. المرجعية المؤسساتية في رسم السياسات العمومية الثقافية

بداية وجبت الإشارة إلا أنه وعلى الرغم من مرور ما يربو عن العقد من الزمن على صدور الدستور المغربي الحالي (2011)، فإن الإطار المؤسساتي لتعزيز التنوع الثقافي ما يزال في مرحلة الإرساء بدليل أن "المجلس الوطني للغات والثقافة المغربية" والذي عهد إليه دستوريا، بمقتضى الفصل الخامس، حماية وتنمية اللغتين العربية والأمازيغية ومختلف التعبيرات الثقافية المغربية الأخرى، والذي يفترض أن يضم كل المؤسسات ذات الصلة بهذه المجالات (دستور المملكة المغربية، 2011)، لم ير النور إلا بصدور ظهير تأسيسه قبل حوالي السنة من تحرير هذا المقال (ظهير شريف رقم 1.20.34، 2020)، وهو ما يجعل في تقديرنا من السابق لأوانه دراسة وتحليل آثار السياسات العمومية الثقافية في مجال التنوع الثقافي وفق الرؤية الجديدة المعتمدة، لكن هذا لا يمنعنا من فحص هذه الرؤية عبر استجلاء ملامح الإطار المؤسساتي المعول عليه في رسم سياسات التنوع والاختلاف من حيث أهم خصائصه والمتمثلة في:

أ.الإطار المؤسساتي ونزعة التوحيد

لقد ارتكز التدبير السياسي للتنوع والاختلاف الثقافين على خلاصات وتوصيات عدة مؤسسات وهيئات استشارية كانت تشتغل بشكل منفصل قبل التفكير في انشاء "المجلس الوطني للغات والثقافة المغربية" كمرجعية في مجال السياسة اللغوية والثقافية، لكن بتفحص تأليف ومؤسسات وهيئات هذا المجلس كما ورد في ظهير إحداثه نستشف بشكل واضح أن هناك نزعة نحو التوحيد للمرجعية السياسية الثقافية حيث انصهرت تلك الهيئات والمؤسسات في تشكيلة المجلس المذكور، فبمقتضى المادة 10 من هذا الظهير ينضم كلا من أكاديمية محمد السادس للغة العربية والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية لهيئات المجلس الوطني للغات والثقافة المغربية، كما تحدث لديه الهيئة الخاصة بالحسانية واللهجات ومختلف التعبيرات الثقافية الأخرى، والهيئة الخاصة بالتنمية الثقافية وحفظ التراث، ثم الهيئة الخاصة بتنمية استعمال اللغات الأجنبية والترجمة، كما تنص المادة 6 من ذات الظهير على تأليف المجلس الوطني الذي يشمل ممثلي مؤسسات وطنية (المجلس الوطني لحقوق الإنسان، المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي، أكاديمية المملكة المغربية، المجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية)، وممثلي الإدارات العمومية (قطاع التربية الوطنية، قطاع التعليم العالي، قطاع الثقافة وقطاع الاتصال) بالإضافة إلى تمثيلية هيئات فنية وجمعوية (ظهير شريف رقم 1.20.34، 2020)، من جهة ثانية نجد أن مهمة إعداد

وتنفيذ سياسة الحكومة المتعلقة بالتراث والتنمية الثقافية والفنية تعتبر اختصاصا للسلطة الحكومية المكلفة بالثقافة (المرسوم رقم 2.06.328، 2006)، وهو ما يجعل من الجهاز التنفيذي المختص بالشأن الثقافي يتقمص دورين أحدهما كفاعل في بلورة السياسات الثقافية والآخر كساهر على تنفيذها، والواقع أن مسألة تدبير الحقل الثقافي تتجاوز إمكانات قطاع حكومي معين بل تتجاوز إمكانات الجهاز التنفيذي والتشريعي، وذلك من منطلق خصوصيات الحقل الثقافي في حد ذاته وطبيعته العرضانية، وهو ما يجعل الآمال معقودة على المجلس المحدث وفق مقاربة إدماجيه وتشاركية، لإنتاج مرجعية سياسية ثقافية موحدة، تسهم فيها مختلف المكونات المجتمعية الفاعلة في الحقل الثقافي بانتماءاتها ومجالات اشتغالها الثقافية المتباينة.

ب.الإطار المؤسساتي ونزعة الانسجام والتكامل

إن الرؤية السياسية الرامية لخلق إطار مؤسساتي مرجعي موحد للسياسة الثقافية واللغوية تندرج في إطاره قطاعات وهيئات ذات صلة بمختلف الأشكال والتعبيرات الثقافية ينطلق من بواعث تتصل بضرورة الانسجام والتكامل الواجب مراعاتها في بلورة السياسة الثقافية كتوجهات استراتيجية للدولة، تسير في فلكها مختلف السياسات الثقافية المتخللة لمجالات اجتماعية شتى، وهو ما عززه ظهير تأسيس المجلس الوطني للغات والثقافة المغربية من خلال تأكيده، في المادة 3، على أن مهمة هذا المجلس تتمثل في "اقتراح التوجهات الاستراتيجية للدولة في مجال السياسة اللغوية والثقافية، والسهر على انسجامها وتكاملها" (ظهير شريف رقم 1.20.34، 2020).

وإذا كان مطلب التجانس والإلتقائية بين السياسات الثقافية أمر محمود من زاوية سياسية كما يشير إلى ذلك الإطار المرجعي لتقييم السياسات العمومية المعتمد بمجلس النواب المغربي، من خلال إيلائه أهمية كبيرة للتماسك الداخلي المتجسد في التكامل بين الأهداف والتناسق بين مختلف الإجراءات للسياسة العامة، والتماسك الخارجي من خلال رصد العلاقة بين السياسات العمومية ذات الصلة (الإطار المرجعي لتقييم السياسات العمومية، 2016)، فإننا نتساءل عن مدى الرغبة السياسية في تحقيق الانسجام والتماسك الاجتماعين بين المجموعات ذات هوية ثقافية مختلفة في المرجعية الإستراتيجية المقترحة، وذلك من منطلق تأكيد الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي والذي ينخرط فيه المغرب، على أن السياسات التي تشجع على دمج ومشاركة كل المواطنين تضمن التماسك الاجتماعي (اليونيسكو، 2001)، والواقع أن تأمل الأطياف الثقافية والضمانات الحقوقية التي تحظى بالتحصين والحماية في متن النص المنظم للمرجعية المؤسساتية المعتمدة تفضي إلى القول أننا بصدد تكريس للمحدد الدستوري لمسألة الهوية الوطنية، التي تظل السفر المقدس في رسم ملامح التنوع الثقافي بالمغرب وتوزيع الحقوق الثقافية على الفئات الاجتماعية المتماهية مع القالب الهوياتي المنحوت، وبالتالي نزعم القول أن نزعة الانسجام والتكامل السياسي لم توازها نزعة تكريس الاختلافات والحقوق الثقافية على إطلاقها، وأن هامش مناورة الإطار المؤسساتي المذكور يكاد ينعدم في ظل التحديد الدستوري، وهذا لا يمنع من رصد حسنات الأرضية المرجعية للسياسات الثقافية التي يمكن وصفها بالخطاب السياسي المنسجم والمنفتح إلى حد كبير مع التوجهات الدولية الحديثة في مجال تكريس التنوع الثقافي.

نتائج الدراسة:

نستنتج بداية أن المرجعية الأولى للسياسة الثقافية المغربية في مجال التنوع والاختلاف الثقافيين تنبع من الخطاب الكوني الذي تقوده منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونيسكو)، وبتحليل كيفية تلقي هذا الخطاب على مستوى المرجعية الدستورية والمؤسساتية نخلص للنتائج التالية:

-إن تبني الدولة المغربية لنموذج الدولة الأمة ووضع القواعد والضوابط لهويتها ألقى بظلاله على ملامح الإطار المرجعي الوطني المحدد للسياسة الثقافية العامة بالبلاد، والتي تعتبر بوصلة للسياسات الثقافية في مختلف أبعادها ومجالاتها، حيث يتعين انصهار مختلف الهويات الثقافية بالمجتمع المغربي في القالب الهوياتي الوطني الموحد المحدد دستوريا.

-هذا الإطار المرجعي لم يعترف إلا بهوية ثقافية جمعية واحدة للبلاد، واكتفى بتوظيف عبارات من قبيل (مكونات، روافد، جزءا لا يتجزأ من الهوية، اللهجات والتعبيرات...) للإشارة لمختلف الانتماءات الثقافية المعترف بها اعترافا لا يرقى لمرتبة الهوية، وهو ما يطرح إشكالية الاصطدام بين الهويات الثقافية للمجتمع وهوية الدولة الموحدة، والواقع أن هذه إشكالية لا ينفرد بها المغرب في ظل الأدبيات السياسية الحديثة التي تجعل من الهوية شأنا احتكاريا من شؤون الدولة، الشيء الذي قد يقوض تحقيق مطلب العدالة والأمن الثقافيين.

-انسجاما مع الطرح الدستوري في توصيفه للتنوع الثقافي المغربي، تم خلق إطار مؤسساتي مرجعي لرسم السياسة الثقافية العامة، حيث روعي في إنشائه ضرورات التوحيد والانسجام والتكامل، ويمكن اعتبار هذا الإحداث حسنة سياسية تكرس الطابع المؤسساتي للتدبير السياسي للحقل الثقافي المغربي، وبالمقابل يظل استيعاب مختلف الأطياف الثقافية، الإثنية وغيرها، مستعصيا على اختصاص هذا الإطار المؤسساتي في ظل المحددات الدستورية.

خلاصات الدراسة:

إن الارتكاز المرجعي للسياسة الثقافية على الهوية الوطنية وفق التحديد أعلاه، أفرز اعترافا بالتنوع الثقافي المغربي في قالب تنصهر فيه الهويات الثقافية الإثنية/ العرقية مشكلة هوية وطنية واحدة، لكن بالمقابل يمكن اعتباره من منظور أنثروبولوجي؛ اعترافا انتقائيا فاضل بين الهويات الثقافية التي لا تحظى بنفس درجة الاعتراف، وميز بينها على أساس المكون الأساسي للنسيج الثقافي المغربي(المكون العربي-الإسلامي والمكون الأمازيغي والمكون الحساني)، ومجرد الرافد الثقافي (الثقافة الأندلسية، الثقافة العبرية، الثقافة الإفريقية)، وهي مفاضلة تدفعنا للتساؤل عن دوافع نهجها من زاويتين:

هل يتعلق الأمر بحجم الجماعات الإثنية وتأثيرها؟ وهو سؤال يحتاج لمعطيات إحصائية- إثنية لم نفلح في التوصل اليها، ولعل هذا ما دفع الخبيرة الدولية في مجال الحقوق الثقافية فريدة شهيد، في إطار بعثتها للمغرب، للتأكيد في توصياتها على أهمية إدراج معلومات عن تركيبة السكان على أساس اللغات المستخدمة وأي مؤشر آخر على التنوع الإثني والثقافي للسكان "(فريدة شهيد، 2011، ص29).

أم أن الأمر يرتبط بأهداف تكريس التعددية الثقافية؟ وهو التساؤل الذي طرحه ويل كيميلكا حول أهداف التعددية الثقافية فيما إذا كانت تسعى لخلق سياسات تعددية ثقافية فائضة بالحياة؟ أم أنها تسعى لاحتواء الحركات العرقية المزعزعة للاستقرار؟ (ويل كيميلكا، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، 2011، ص25)

ولأن فكرة التنوع الثقافي لا تقتصر على الاختلافات الإثنية، فقد حاول الإطار المرجعي محل الدراسة تطويق معطى الاختلاف الثقافي عبر تكريس الحقوق الثقافية في إطار منظومة الحقوق الكونية المتعارف عليها، غير أن هذا التكريس يطرح إشكالية الكونية والخصوصية التي تفرع عنها ثلاث تيارات فكرية، الأول يؤكد على كونية حقوق الإنسان باعتبارها مجموعة من القيم المثالية الشاملة، والثاني يعتبر أن الكونية المدعاة لحقوق الإنسان هي افتراء لبسط هيمنة الثقافة الغربية، أما الثالث فهو تيار توفيقي يعتبر أنه لا تعارض بين الخصوصية والكونية كما سار إلى ذلك الجابري الذي يرى أن هناك تكافؤا وتماثلا بين الفلسفات التأطيرية لمفاهيم حقوق الانسان في الإطار الغربي مع النصوص الإسلامية من كتاب وسنة (محمد المساوي، 2018، ص45)، وهو ما يسمح لنا بالقول في ظل تحليل البعد الحقوقي الثقافي المكرس في مرجعية السياسات الثقافية المغربية، أن هذه الأخيرة سعت للملاءمة، عبر نهج توفيقي، بين نهلها من منبع الخطاب الكوني الحقوقي وبين تحصينها لخصوصية هوية الأمة.

إن الخلاصات المبسوطة أعلاه تميط اللثام عن رغبة الدولة المغربية في خوض غمار تجربة التعددية الثقافية المسوق لها عالميا، ولئن كان الحديث عن الآثار والنتائج يحتاج لنضج التجربة وظهور ثمارها، فإن الرؤية السياسية لتدبير التنوع والاختلافات الثقافية تكشف عن وجود خطاب منسجم ومتكامل، وتبقى البراعة والحنكة في إنتاج هذا الخطاب غير قادرة على الإجابة عن كل الأسئلة الحارقة التي يزخر بها الحقل الثقافي المغربي في أبعادها الأنثربولوجية والسوسيولوجية والحقوقية.

قائمة المراجع:

1.أحمد بوكوس(2016)، الهيمنة والاختلاف في تدبير التنوع الثقافي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب.

2.ادريس بوعباني(2018)، التنوع الثقافي المغربي بين المحلية والكونية، المركز الأكاديمي للثقافة والدراسات المغاربية والشرق أوسطية والخليجية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس المغرب.

3.براهمي زرزور(2015)، إدارة التنوع الثقافي داخل المنظمات...الفرص والتحديات -دراسة حالة: منظمة الصحة العالمية-، المؤتمر الدولي الثامن (مايو 2015) حول التنوع الثقافي، مركز جيل البحث العلمي، طرابلس.

4.البرلمان المغربي(2016)، الإطار المرجعي لتقييم السياسات العمومية"، منشورات مجلس النواب المغربي، الرباط، المغرب.

5.حسام الدين علي مجيد(2010)، إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر -جدلية الاندماج والتنوع-، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

6.حسام فازولا ومحمود عثمان(2015)، السياسات الثقافية؛ النشأة...التطور...العقلانية، مؤسسة حرية الفكر والتعبير، جارن سيتي، مصر.

7.حسن طارق وعثمان كاير(2014)، مبادئ ومقاربات في تقييم السياسات العمومية، مؤسسة الوسيط من أجل الديمقراطية وحقوق الانسان، الرباط، المغرب.

8.دلال ملحس استيتية(2008)، التغير الاجتماعي والثقافي، ط2، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

9.شوحة مريم وزعرور حسينة(2018)، الدولة القومية بين التعددية الاثنية واستراتيجيات التسوية قي منطقة القرن الافريقي -دراسة حالة ايثوبيا-، ط2، المركز العربي للدراسات السياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا.

10.ظهير شريف رقم 1.11.91، صادر في 27 شعبان 1432 (29 يوليو 2011)، بتنفيذ نص الدستور، جريدة رسمية عدد 5964 مكرر، 28 شعبان 1432 (30 يوليو 2011).

11.ظهير شريف رقم 1.20.34 صادر في 5 شعبان 1441 (30 مارس 2020) بتنفيذ القانون التنظيمي رقم 04.16 المتعلق بالمجلس الوطني للغات والثقافة المغربية، الجريدة الرسمية عدد 6870- 8 شعبان 1441 (2 أبريل 2020).

12.فريدة شهيد(2011)، تقرير في مجال الحقوق الثقافية، في إطار بعثة للمغرب (5-16 سبتمبر 2011)، مجلس حقوق الانسان التابع للأمم المتحدة، الدورة 20(2 ماي 2012)، جنيف، سويسرا.

13.محمد المساوي(2018)، حقوق الانسان في الدساتير العربية الجديدة وسؤال دولة الحق والقانون - المغرب وتونس ومصر نموذجا-، ط1، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا.

14.المرسوم رقم 328-06-2 صادر في 18 من شوال 1427 (10 نوفمبر 2006) بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الثقافة، الجريدة الرسمية رقم 5480 الصادرة يوم الخميس 7 دجنبر 2006.

15.منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة(2001)، الإعلان العالمي بشأن التنوع الثقافي، المؤتمر العام لليونيسكو، الدورة 31(2 نوفمبر 2001)، باريس.

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (2009)، تقرير اليونيسكو العالمي "الاستثمار في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات"، موجز تنفيذي، نشر اليونيسكو، باريس، فرنسا.

16.وفاء الريحان(2020)، مناهج التنوع الثقافي -الاستيعاب الثقافي نموذجًا-، المركز العربي للبحوث والدراسات، الجيزة، مصر.

17.ويل كيميلكا(2007)، أوديسا التعددية الثقافية -الجزء الأول-، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، العدد 377، (يونيو 2011)، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون، الصفاة، الكويت.

دور المهاجرين في التنمية الاقتصادية والسوسيومجالية بواحـــة فزواطـــة (درعة الوسطى)، دراسة باستخدام نظم الـمعلومات الجغرافية

سليمان والداودي، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء- المغرب

نسيبة بوزيد، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء- المغرب

المصطفى ندراوي، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء- المغرب

ملخص: مما لا شك فيه، أن الهجرة تلعب دورا مهما في التنمية الاقتصادية بواحات درعة الوسطى عامة، وواحة فزواطة على وجه الخصوص، ويتجلى ذلك بالأساس، من خلال التحويلات المالية للمهاجرين.ولكن هذه الهجرة لها أيضا مساهمة فعالة في التنمية السوسيومجالية. ولا ينبغي أن ننسى أيضا دورها في الرأسمال الرمزي المتمثل في التجارب والخبرات والسلوكات التي راكمها المهاجرون بالمناطق الداخية من المغرب وببلدان الاستقبال. ضمن هذا السياق، تعتبر واحة فزواطة من المناطق الموسومة بالهجرة، مما يجعل من المهاجر بهذه الواحة فاعلا أساسيا لتحقيق التنمية المحلية. وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار تثمين الرأسمال البشري، وتعزيز دوره في تحقيق التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية:الهجرة الواحية، التنمية الاقتصادية، التنمية السوسيومجالية، واحة فزواطة، درعة الوسطى.

The role of immigrants in economic and socio-spatial development of Fezwata Oasis(Middle Daraa), studyusing geographic information systems

Suleiman Wdaoudi, Université Hassan II, Casablanca –Morocco

Nusseibeh Bouzid, Université Hassan II, Casablanca –Morocco

Al-Mustafa Nadrawi, Université Hassan II, Casablanca –Morocco

Abstract: There is no doubt that immigration plays an important role in the economic development of the Middle Daraa Oases in general and Fezwata oasis in particular. This is mainly evident through the financial transfers of migrants, without forgetting their effective contributions to

socio-spatial development. We also should not neglect the symbolic capital via the experiences, expertise and behaviours that immigrants have accumulated in the internal regions of Morocco and countries of reception. Within this context, Fazwata Oasis is considered one of the areas marked by migration, which makes the immigrant in these areas an essential actor to achieve the local development. This can only be realized in the context of valuing human capital and enhancing its role in achieving sustainable development.

Keywords: Oasis Migration; Economic Development; socio-spatial Development; Fezouata Oasis; Middle Daraa.

مقدمـــــــة:

لقد أضحت عائدات المهاجرين من المواضيع الهامة التي استرعت اهتمام الباحثين والكتاب بسبب وقعها الاقتصادي والاجتماعي والمجالي، وهو ما جعل الهجرة من القضايا الراهنية الكبرى، وذلك لمعرفة حجمها، واتجاهاتها، أسبابها، وآثارها. لكن الامتداد المجالي لهذه الدراسات والبحوث الأكاديمية اقتصرت على مناطق دون أخرى على الرغم من وزنها، كما هو الحال بالنسبة لواحات درعة الوسطى.

من هنا جاء اهتمامنا بواحة فزواطة كمجال ضمن واحات درعة الوسطى التي تنامت بها حركة الهجرة وتسارعت وتيرتها. ورغبة في إدراك وقعها المحلي، وآثارها التنموية، يقتضي أولا معرفة أن التنمية لا تعني بالضرورة خلق مشاريع اقتصادية مدرة للأرباح والدخل كالاستثمار في المجال الفلاحي، باعتبار هذا الأخير يعد الركيزة الاقتصادية بالمنطقة.لهذا فإن فالنقاش المتعلق بالهجرة والتنمية ينبغي ألا يجري يركز على الاقتصاديات بمفردها، فالهجرة تترتب عنها أيضا نتائج سوسيومجالية وثقافية يجب أخذها بعين الاعتبار عند قياس درجات التنمية.

يطرح هذا المقال إشكالية مساهمة الهجرة في تحقيق التنمية الاقتصادية والسوسيومجالية بواحة فزواطة. فما هو حجم الهجرة وتياراتها؟ وما هي الخصائص السوسيوديمغرافية للمهاجرين؟ وما عواملها؟ وكيف يمكن للهجرة أن تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والسوسيومجالية؟

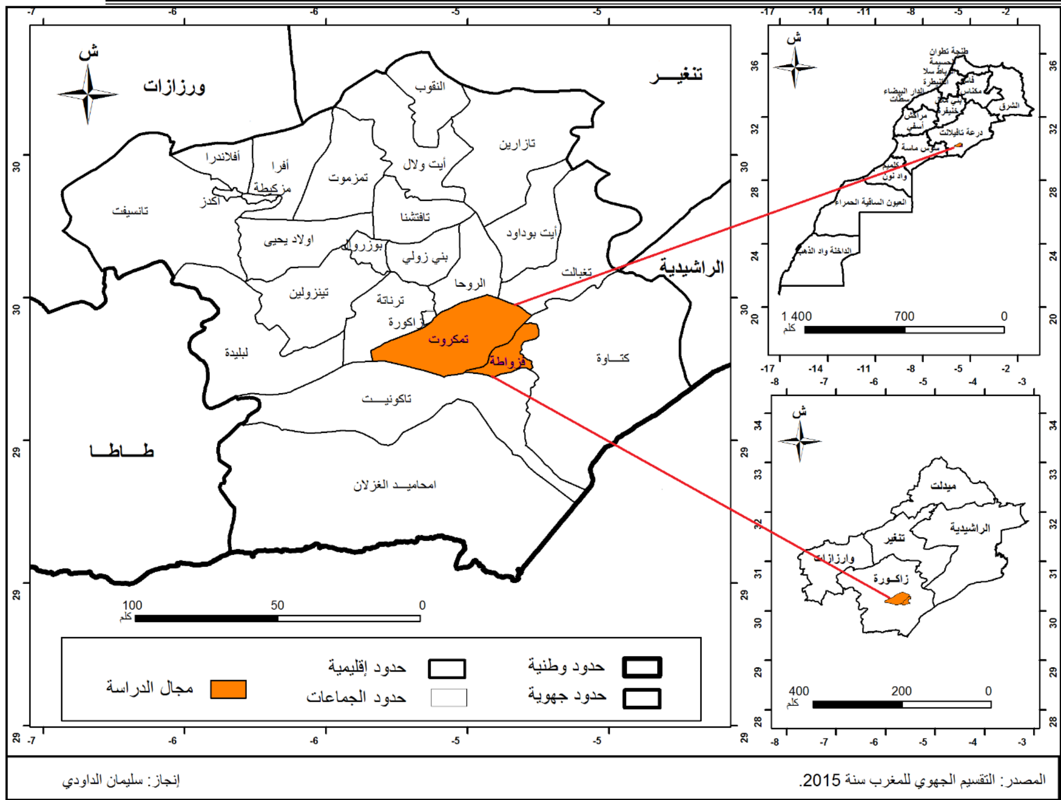
من حيث منهجية العمل، سلكنا المنهج الإحصائي الوصفي لتقديم تشخيص واقعي عن حجم الهجرة وتياراتها بواحة فزواطة. كما اعتمادنا على المنهج التحليلي للبحث عن العلاقات التبادلية بين تحويلات المهاجرين ومجالات استثمارها واستكشاف واقعها الحقيقي وذلك من خلال استمارة شملت 551 مهاجرا. كما اعتمدنا على الدراسة الميدانية ومعرفتنا الشخصية للمنطقة. وعلى أساس ذلك جمعت المعطيات الوثيقة الصلة بإشكالية الموضوع بغية ملامسة مختلف جوانبها. كما تم استخدام نظم المعلومات الجغرافية (ArcGIS)التي سمحت بإنجاز خرائط متنوعة.

1. توطين منطقة الدراسة

تقع واحة فزواطة بالمجال الجغرافي الواحي لدرعة الوسطى في جنوب شرق المغرب، تنتمي إلى كل من الأطلس الصغير وحوض درعة. وتضم ترابيا الجماعة الترابية تمكروت، والجماعة الترابية فزواطة، ودوار أمزرو التابع حاليا للمركز الحضري لزاكورة. وتمتد على مساحة تقدر ب 967كلم²، وطول يمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي على مسافة تصل إلى 37 كلم، وعرض يتراوح بين 700 متر عند محاط أمزرو، و1600 متر عند محاط أغلال ودرار (مركز الاستثمار الفلاحي بورززات، 2019).وتمتد واحة فزواطة من فم زاكورة وتنتهي في فم تاقات، تحدها واحة ترناتة من الشمال الغربي وواحة اكتاوة في الجنوب الشرقي (خريطة رقم 1).
تشكل هذه الواحة، بالإضافة إلى جميع واحات درعة، الحلقة الوسطى ضمن سلسلة الواحات الصحراوية التي تمتد في الجنوب المغربي على شكل هلال من نوال غربا إلى بلاد توات شرقا.

وتتسم هذه المنطقة بمناخ جفاف تطبعه تساقطات مطرية ضعيفة، وغير منتظمة في الزمن (تقل في معظم السنوات عن 100 ملم في السنة)، وفوارق حرارية واضحة طيلة السنة (مدى حراري يتجاوز °20)، فضلا عن تزايد سكاني متواصل، حيث انتقلت ساكنتها من (19642 نسمة) سنة 1982 إلى (31019 نسمة) سنة 2014، هذه الحركة السكانية الملموسة زاد من حدتها اختلال العلاقة بين السكان والموارد، بفعل التغيرات المناخية وما ارتبط بها من تدهور إيكولوجي وتحولات سوسيومجالية. ساهمت هذه العوامل مجتمعة في تراجع المعايير الحياتية لسكان الواحات وتنامي تيار الهجرة المغادرة الداخلية والخارجية على السواء، بغية تحسين أوضاعهم المعيشية.

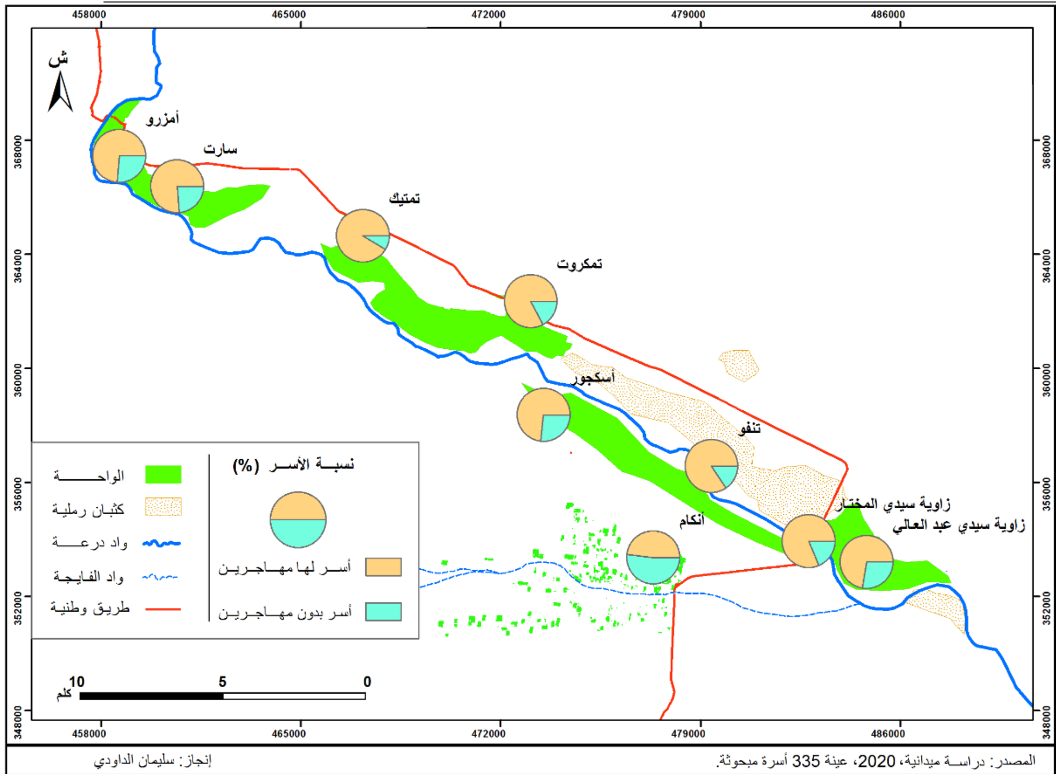
خريطة رقم 1: الموقع الجغرافي والإداري لواحة فزواطة ضمن التراب الوطني وداخل إقليم زاكورة.



2. حجم الهجرة وتياراتها بواحة فزواطة

تعد ظاهرة الهجرة الأكثر صعوبة من حيث التحليل، لما تعانيه من الناحية التقنية من تصادم هذه الظاهرة مع صعوبة تحديد حركة أفرادها، هذا التصادم يفرز بيانات قليلة وناقصة في معظم الحالات. وفي ظل شح المعطيات الإحصائية وغياب الدراسات حول الهجرة بمجال دراستنا، اكتفينا بالتحريات الميدانية، وقد تبين لنا من خلالها أن الهجرة المغادرة بواحة فزواطة تهم 77,6% من الأسر المدروسة، وهي مرتفعة في جل دواوير الواحة، حيث تتراوح نسبتها بين 48,3% في دوار أنكام و91,3% بدوار تمتيك (خريطة رقم 2).

خريطة رقم2: توزيع نسب الأسر المعنية بالهجرة حسب عدد سكان الدواوير بواحة فزواطة سنة 2020.

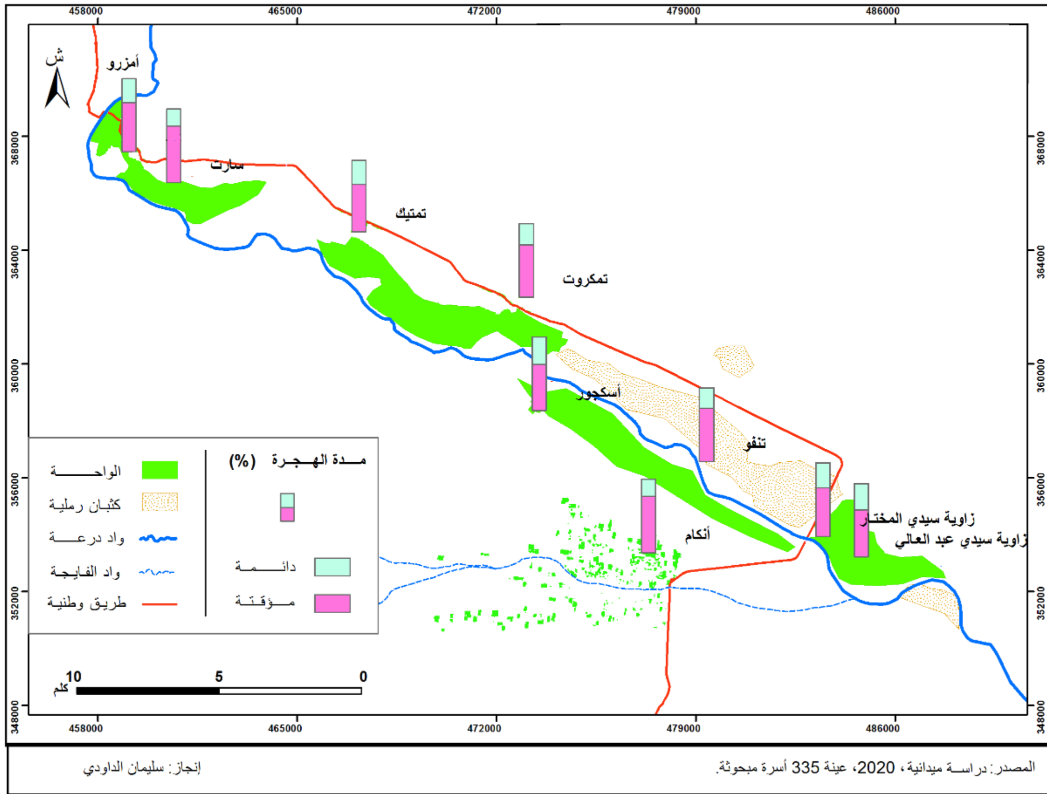


ويبلغ مجموع عدد المهاجرين 551 فردا بمعدل 2,11% مهاجر لكل أسرة معنية بالهجرة. ويتبين من خلال البحث الميداني، أن غالبية السكان، ينتابها حلم الهجرة كلما توفرت لها الظروف، كما أن معظم الساكنة تتوفر على ما بين فردين أو ثلاثة مهاجرين إلى المدن الرئيسية، وتختلف هذه الهجرة حسب درجة ومدة الغياب.

وتتميز الهجرة في واحة فزواطة، بخصوصيات تختلف عن طبيعة الهجرات القروية التي عرفتها العديد من المناطق بالمغرب؛ فهي هجرة في عمومها مكوكية، وسلوك هذا النوع من الهجرة لا يقتضي من المهاجر الانتقال كليا إلى منطقة الاستقبال، بل يترك أسرته وسكناه في الدوار، مما يجعل من حركته الهجرية هي من أجل التعويض. لذلك فإن الهجرة الدائمة لا تشكل سوى 30,6%، في المقابل تمثل الهجرة المؤقتة حوالي 70%. لكن هذه الأخيرة تعرف تباينا بين الدواوير، حيث نجد أعلى نسبتها (76,9%) بدوار أنكام، وأدناها (62,5%) بدوار أسكجور (الخريطة رقم 3).

لهذا فإن المهاجر الدرعي عامة، والفزواطي خصوصا، مهما طالت مدة غيابه، فإنه يعود ليس من أجل البقاء، بل بغية توطيد عـرى التواصل بالأهل والعشيرة، في مختلف المناسبات وخاصة خلال فترات الأعياد الدينية، وفي مقدمتها عيد الأضحى.

خريطة رقم 3: مدة الهجرة المغادرة حسب الدواوير المدروسة بواحة فزواطة 2020.



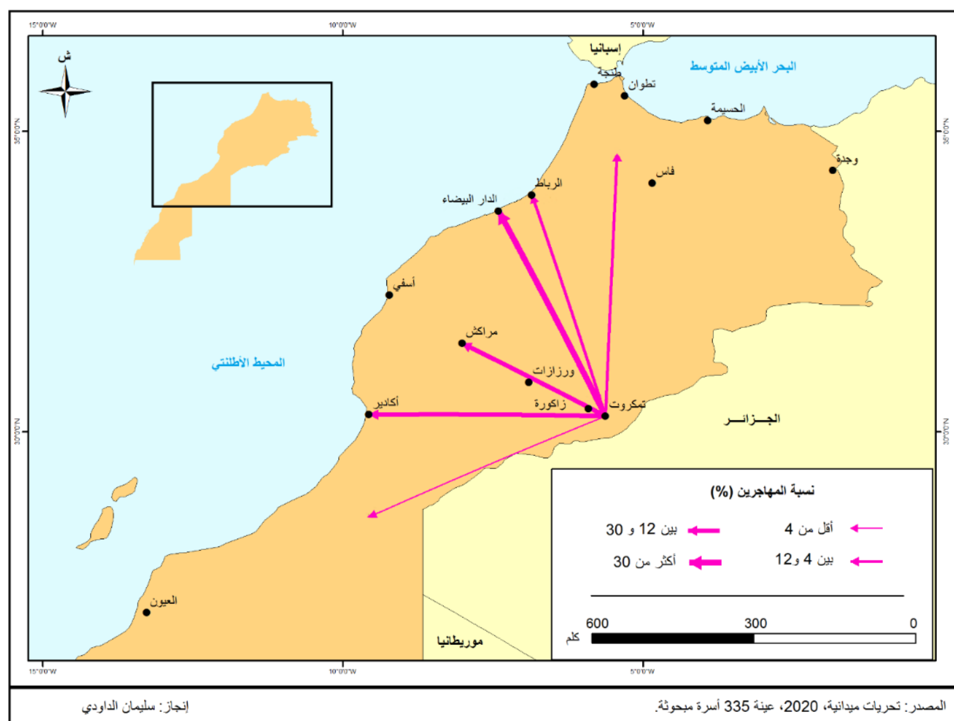
وتتباين اتجاهات المهاجرين وحجمهم بين مختلف مناطق المغرب، فمدينة الدار البيضاء تستقطب معظم المهاجرين بنسبة 30,6%، وتأتي بعدها مدينة مراكش بنسبة 25,6%، والتي تستقطب خاصة الطلبة، إلى جانب مدينة أكادير التي يمثل المهاجرين إليها 22%، ثم تليها مدينة الرباط بنسبة 10,6%، في حين باقي المناطق الشمالية والجنوبية لا تستقطب سوى نسب ضئيلة نجدها على التوالي 9,9% و3,3% (الخريطة رقم 4).

إذا كانت الوجهة المفضلة لسكان واحة فزواطة هي مدينة الدار البيضاء، فإن بعضا من المهاجرين يفضل الهجرة الدولية، حيث نجد 69,5% منها في اتجاه الدول الأوربية، و19,8 %في اتجاه دول الخليج العربي، و10,7% في اتجاه أمريكا الشمالية (الخريطة رقم 5).

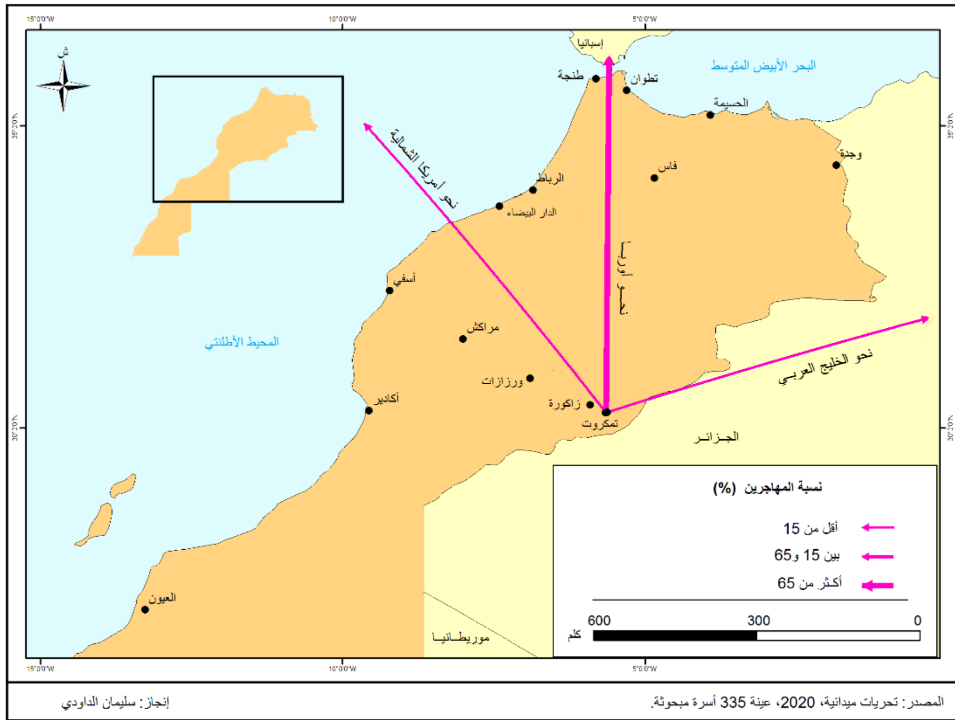
ومنه يفهم بأنه رغم تنوع الهجرة الدولية إلا أن الدول الأوربية تبقى المستقطب الأول، ورغم تنوع الهجرة الوطنية إلا مدينة الدار البيضاء تبقى الوجهة الأولى لمهاجري الواحة، ويتوقف هذا الاختيار على حاجيات الفرد وما توفره له الوجهةالمستقبلة، كالعمل أو الدراسة أو غير ذلك.

وتهم الهجرة سواء الداخلية أو الخارجية بشكل كبير فئة الشباب نظرالانجذابهمبمغريات المدن، خدمات اجتماعية أفضل مما هو عليه بمنطقة الطرد وفرص شغل جديدة ووسائل الترفيه.

خريطة رقم 4: تيارات الهجرة الداخلية بواحة فزواطة ووجهاتها الرئيسية داخل المغرب سنة 2020.



خريطة رقم 5: تيارات الهجرة الخارجية ووجهاتها الرئيسية بواحة فزواطة سنة 2020.



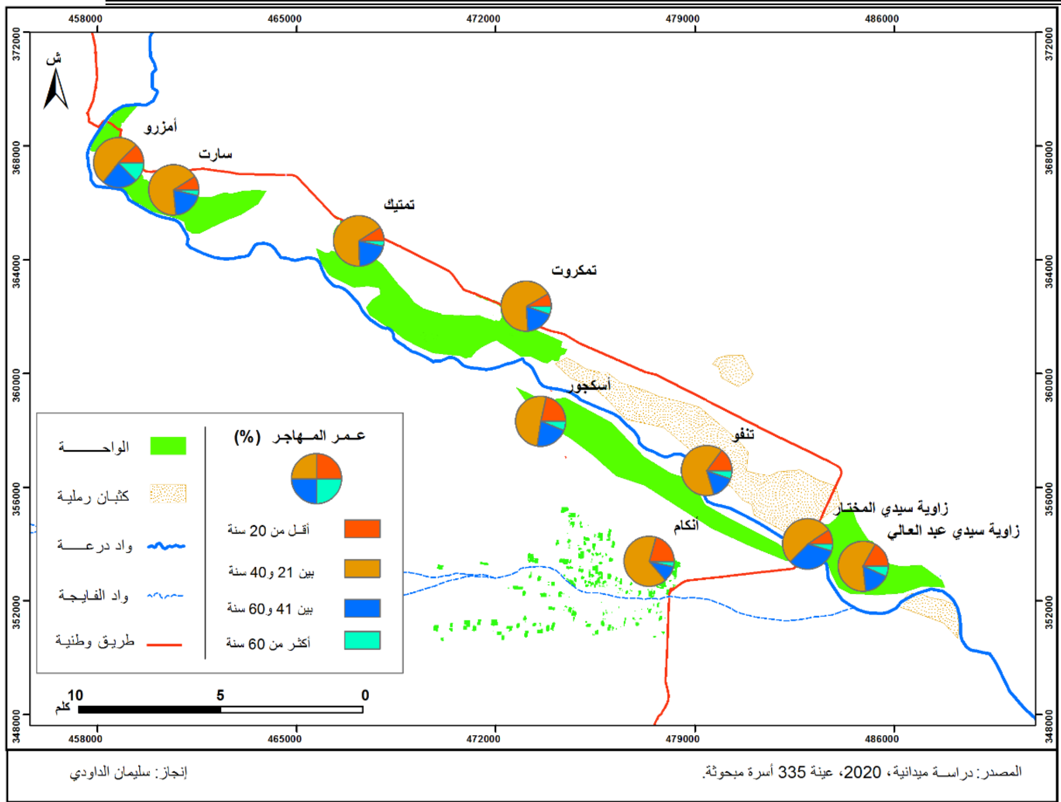
3. بعض الخصائص السوسيوديمغرافية للمهاجرين من واحة فزواطة

1.3. التركيب العمري للمهاجرين

إن غالبية المهاجرين من واحة فزواطة في اتجاه المدن الكبرى هم من الفئة النشيطة، حيث نجد 57% منهم تتراوح أعمارهم ما بين 21 و40 سنة، وهذه النسبة تشكل أكثر من نصف المهاجرين، وما يقارب 20% تتراوح أعمارهم ما بين 41 و60 سنة. في حين أن المهاجرين الذين تقل أعمارهم عن 20 سنة والذين يتجاوزون 60 سنة تظل نسبتهم ضئيلة، وتشكل على التوالي 12% و7%. وتتباين الفئة العمرية المهاجرة من دوار لآخر بمجال دراستنا، فإذا أخذنا مثلا الفئة المهيمنة، أي المهاجرين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 21 و40 سنة، فإن نسبتها تتأرجح ما بين 51,5% بدوار أمزرو، و67,6% بدوار تمكروت (خريطة رقم 6).

ويعزى ذلك إلى انجذاب الشباب الواحي نحو المدن، للاقتراب من الخدمات والفرص الجديدة ووسائل الترفيه. والحال أن هجرة الشباب الواحي إلى المدن الكبرى لا تخلو من آثار على تناقل المهارات والثقافة الحضرية، كنمط للعيش بالدواوير. وهذا يعكس التغير النوعي كواقع سيطر على المرفولوجية الاجتماعية للمجال الواحي في السنوات الأخيرة.

خريطة رقم 6: توزيع السكان المهاجرين بدواوير واحة فزواطة حسب الفئات العمرية، سنة 2020.

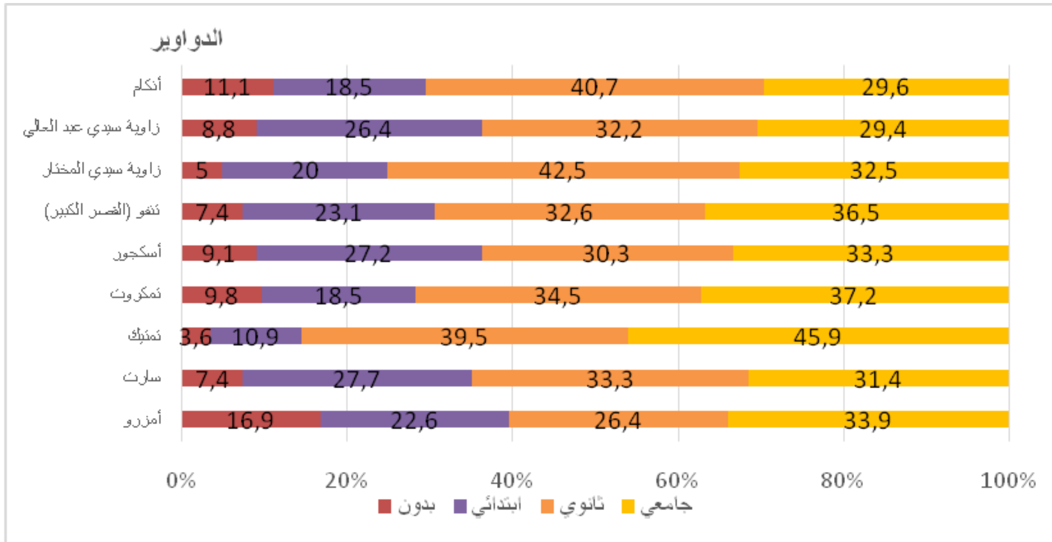


2.3. المستوى الدراسي للمهاجرين بواحة فزواطة

تعتبر الهجرة ظاهرة انتقائية، ويمثل التعليم أهم مظاهر تلك الانتقائية، حيث نجد أن المستوى التعليمي للمهاجرين في مجمله أفضل مما كان عليه من قبل. فأكثر من ثلثي المهاجرين (71,7%) يتجاوز مستواهم التعليمي مرحلة التعليم الابتدائي، إذ أن 36,2% منهم يفوق مستواهم المرحلة الثانوية، (تحريات ميدانية 2020، عينة 335 أسرة مبحوثة) بعضهم أتم دراسته والتحق بسلك الوظيفة سواء العمومية أو الخاصة، والبعض الآخر لازال لم يتم دراسته الجامعية بعد (الطلبة). وتجدر الإشارة كذلك أن العديد من الموظفين يراودهم حلم الهجرة. ويعزى هذا المشكل إلى غياب الخدمات الاجتماعية، كالتعليم العالي، والصحة، ووسائل الترفيه. علاوة على ذلك فإن نسبة المهاجرين حسب مستواهم الدراسي تعرف تفاوتا ما بين دواوير المنطقة (شكل رقم 1).

وعليه، يمكن القول أن سمة الانتقائية بالنسبة للتعليم كانت لا تنطبق على ظاهرة الهجرة بواحة فزواطة بصورة واضحة في أوقات سابقة عندما كانت فرص العمل موجودة والمستوى التعليمي للمواطنين متدنيا، ولكنها تنطبق الآن، حيث تقلصت فرص العمل وتحسن المستوى التعليمي للمواطنين. الأمر الذي يزيد من التحديات والصعوبات التي تواجه التنمية المحلية بصورة عامة والتنمية الفلاحية المستدامة بصورة خاصة، حيث أن المستوى التعليمي للفلاحين يعتبر من أهم محددات استخدامهم واستفادتهم من المبتكرات الفلاحية الحديثة والحفاظ على الموارد الطبيعية.

شكل رقم 1: توزيع السكان المهاجرين بدواوير واحة فزواطة حسب المستوى التعليميسنة 2020.



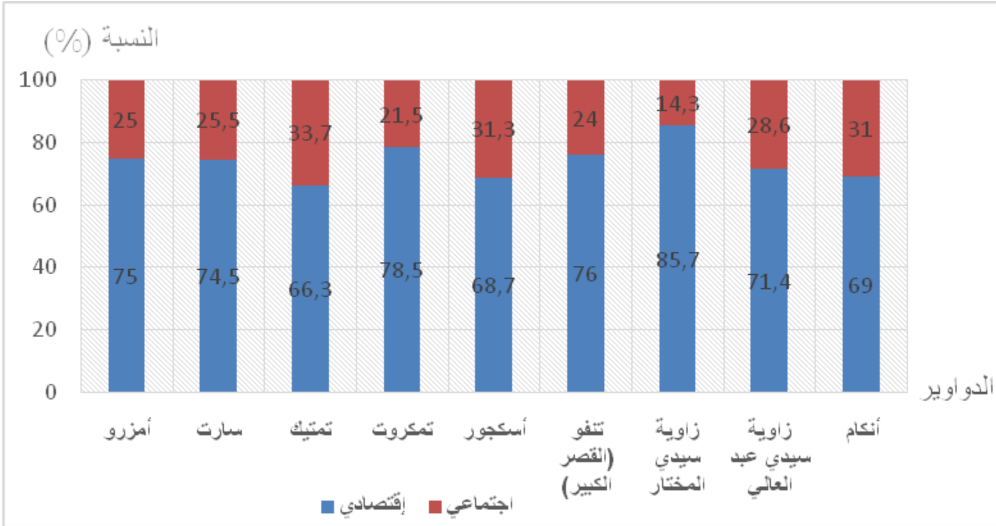
المصدر: بحث ميداني، 2020، عينة 335 أسرة مبحوثة.

3. العامل الاقتصادي سبب رئيسي في اتخاذ قرار الهجرة بواحة فزواطة

إن توفير وسائل المواصلات، وتطور مستوى الخدمات، سواء كان ذلك في السكن، أو في التعليم، أو في الصحة، أو في الترفيه يعد من أبرز العوامل التي لها دور كبير في جذب سكان واحة فزواطة نحو المدن الكبرى التي تم ذكرها آنفا كالدار البيضاء. أما عوامل الطرد، فترجع أساسا إلى اختلال العلاقة بين الموارد الطبيعية وحاجات السكان المتزايدة، نتيجة نمو السكان على أرض زراعية محدودة، وعدم توفير مصادر رزق أخرى. مما جعل الأرض تلفظ الزائد عن حاجاتها. كذلك من عوامل الطرد التطور الكبير في مفاهيم وعادات وميول الأجيال الصاعدة من سكان واحة فزواطة نحو الهجرة إلى المدن الكبرى، بدل الركون والاستقرار ارتباطا بالأرض التي تضيق رقعتها.

ومن خلال البحث الميداني تبين لنا أن الأسباب الطاردة تكمن أساسا في الجوانب الاقتصادية باعتبارها عاملا رئيسيا مؤديا للهجرة المغادرة، حيث أن 74,7% من السكان المهاجرين هاجروا لأسباب اقتصادية ترتبط بظروف العمل، كعمال البناء والموظفون في القطاعات العمومية والخاصة، ونسبتهم تتأرجح بين 66,3% بدوار تمنيك، و85,7% بدوار زاوية سيدي المختار.وتأتي الأسباب الاجتماعية في المرتبة الثانية، حيث أن 25,3% غادروا لأسباب خاصة كالالتحاق بأفراد العائلة (الآباء والأبناء).وهناك أسباب طارئة ترتبط باستكمال الدراسة (الطلبة) نظرا لغياب مؤسسات للتعليم العالي والجامعي بالمنطقة، وتتأرجح نسبتها ما بين 14,3%بدوار زاوية سيدي المختار، و33,7%بدوار تمنيك (شكل رقم 2).

شكل رقم 2: دوافع الهجرة المغادرة حسب الدواوير المدروسة بواحة فزواطة (سنة 2020).



المصدر: بحث ميداني، 2020، عينة 335 أسرة مبحوثة.

نتيجة تضافر العوامل السالفة الذكر تزايدتالهجرة بشكل ملفت، وذلك بغية تحسين الأوضاع المعيشية للمهاجر، الشيء الذي كان له انعكاسات اقتصادية واجتماعية ومجالية على الإنسان الواحي المتشبث بترابه.

4. دور الهجرة في تحقيق التنمية الاقتصادية والسوسيو مجالية

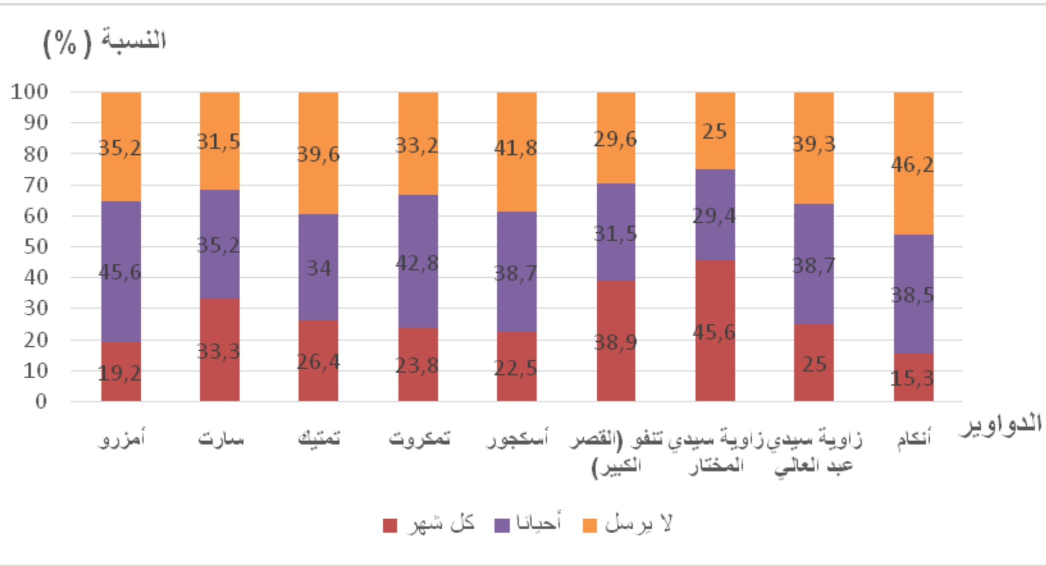
إن للهجرة المغادرة بواحة فزواطة تداعيات وتفاعلات اجتماعية وثقافية ونفسية على المهاجر وعلى المنطقة، وتختلف مستوياتها من حيث آثارها الاقتصادية والسوسيومجالية على المجال الواحي. ويتوخى من وراء الهجرة توفير متطلبات مادية، أو مهنية، أو اجتماعية تعود بالنفع على المهاجر وأسرته وواحته.

تشكل الهجرة المغادرة دعامة أساسية للتكيف مع اختلال العلاقة بين الموارد الطبيعية وحاجات السكان المتزايدة. وإن من شأن التحويلات المالية للمهاجرين أن تحدث وقعا على ساكنة واحة فزواطة، حيث نجد نسبة 75,5% من الأسر المعنية بالهجرة تتلقى مساعدات مالية، وأن 28,3% من هذه الأخيرة تتلقاها بكيفية منتظمة كل شهر، و47,2% منها تتلقاها أحيانا، في المقابل 24,5% لا تتلقى أي مبلغ (شكل رقم 3)، وتفسر هذه النسبة الأخيرةبكون بعض المهاجرين استقروا في المناطق التي هاجروا إليها، ولم تعد تربطهم علاقة بالواحة.

فجل الأسر التي تتلقى تحويلات مالية تصرف جزء مهما منها في الحاجات الضرورية لتعويض النقص الذي تعاني منه، في حين 28,3% توظف ما تبقى منها في تمويل المسكن سواء بنائه

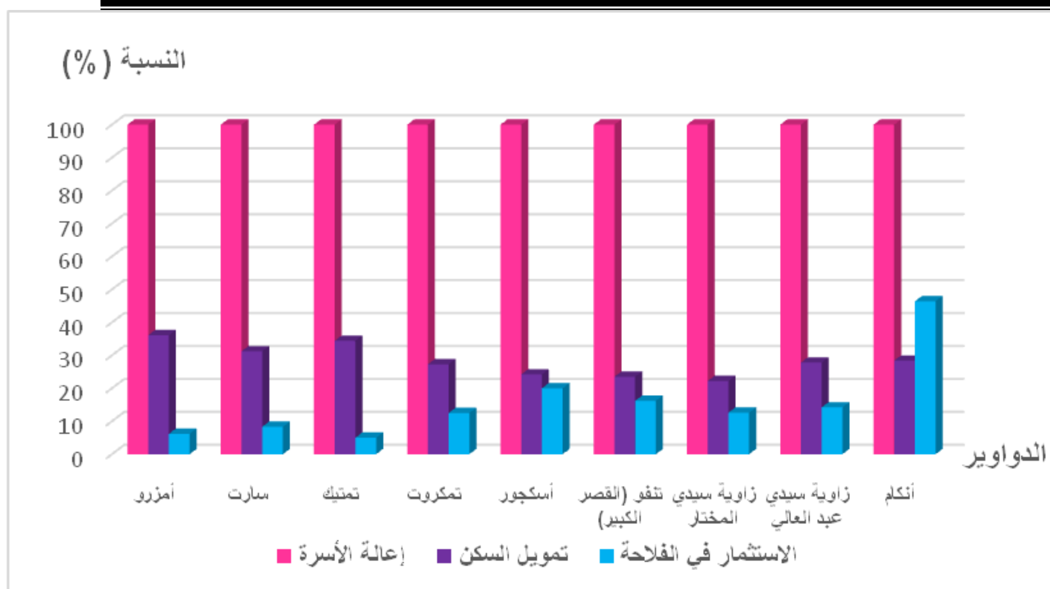
بمواصفات عصرية أو إصلاحه، و15,7% تستثمرها في الفلاحة، كاستصلاح الأراضي الزراعية، أو تجهيزها بوسائل عصرية. وتعرف مصاريف هذه التحويلات تباينا من دوار لآخر (شكل رقم 4).

شكل رقم 3: توزيع أسر المهاجرين التي تتلقى التحويلات المالية حسب الدواوير بواحة فزواطة(2020).



المصدر: بحث ميداني، 2020، عينة 335 أسرة مبحوثة.

شكل رقم 4: مجالات صرف أسر المهاجرين للتحويلات المالية حسب الدواوير بواحة فزواطة (2020).



المصدر: بحث ميداني، 2020، عينة 335 أسرة مبحوثة.

1.5. مساهمة المهاجرين في التجديد الزراعي

ساهمت عائدات الهجرة في تكسير الحاجز الثقافي والاقتصادي الذي كان يقف أمام تجديد أنظمة السقي والزراعة بواحة فزواطة، فقد مكنت بعض الأسر من الحصول على الأموال الكافية لشراء التقنية، كما أكسبتهم أفكارا جديدة وثقافة المغامرة. فبالإضافة إلى الدور الذي يقوم به المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات منذ إنشائه سنة 1966خاصة في مجال تدبير السقي واستعمال التقنيات والطرق العصرية،فإن تبني التجديد الزراعييعزى أيضا إلى دور المهاجرين، إضافة إلى "مساهمتهم في اعتماد أنشطة اقتصادية جديدة لا علاقة لها بالنظام الواحي التقليدي، وذلك ارتباطا بالعائدات المالية التي تدرها الهجرة على العديد من الأسر بهذه المناطق". (مهدان امحمد، 2013، ص 223).

إن الاستثمار في الزراعة المسقية بالضخ، واستصلاح أراضي فلاحية جديدة خارج المحاط التقليدي يتطلب أموالا كثيرة. وإلى جانب مساعدة الدولة لأصحاب الضيعات الجديدة وذات المساحات الشاسعة، التي تعد غير كافية، تبقى الموارد المالية الشخصية والعائلية المصدر الأساسي للأموال اللازمة لتجهيز الضيعة وتحمل تكاليف تسيريها المتزايد. فقد قام بعض الفلاحين بتطوير قطاعهم من خلال إنشاء حيازات أكثر مواكبة للتطور الحاصل عن طريق زراعة فسائل النخيل ذات الجودة العالية في إطار تحقيق التنمية المستدامة (صورة رقم 1).

صورة رقم 1: استثمار أحد المهاجرين في ضيعة للنخيل ببني علي (تقات).



المصدر: بعدسة سليمان الداودي، سنة 2020.

2.5. المهاجرون فاعلون رئيسيون في التحولات العمرانية

عرف المجال الواحي العديد من التحولات على المستوى المعماري بالخصوص، فاستقدام الرأسمال المادي أدى بشكل كبير إلى تغيير الرأسمال الرمزي للواحات، من خلال الملاحظة الميدانية، يتبين بشكل كبير مدى التحول الذي عرفه المجال الواحي، من قبيل تغيير في طرق وتقنيات البناء، وغيرها من الوسائل الحديثة، (بامحمي عبد الزهر، 2018، ص 353)؛فالعديد من المهاجرين بواحة فزواطة قد ساهموا في تغيير أنماط السكن، فهم الأوائل الذين غادرو القصور الجماعية، حيث شيدوا منازلهم الفردية خارج أسوارها، كما أنهم كانوا الأوائل الذين تبنوا السكن العصري عبر اعتماد البناء بالإسمنت والأشكال الهندسية الحضرية (صورة رقم 2)، وذلك لأن هذا النمط من السكن يحتاج إلى مصاريف مرتفعة وكذا إلى الخبرة الخاصة التي اكتسبوها في العمل بأوراش البناء بالمدن المغربية أو بالخارج.

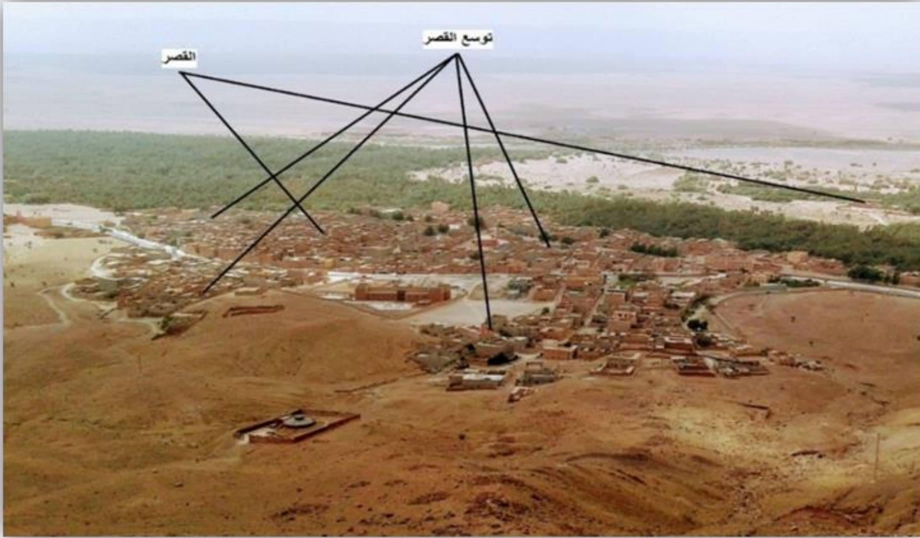
صورة رقم 2: استثمار أحد المهجرين في السكن العصري بمركز تمكروت



المصدر: بعدسة سليمان الداودي، سنة 2020.

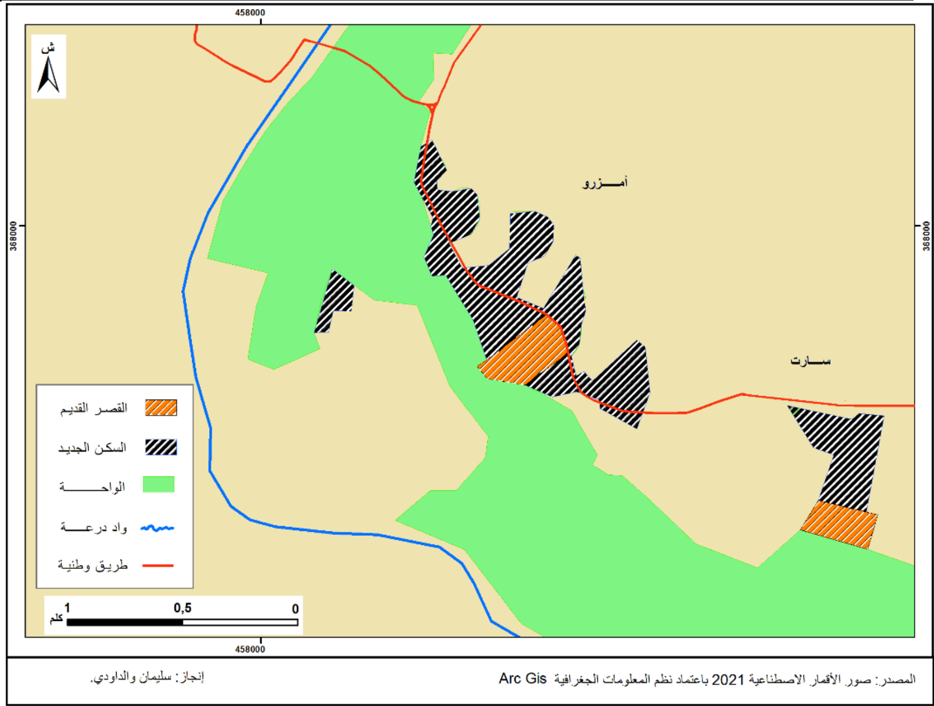
نستنتج إذن أن مبادرات المهاجرين هي التي ساهمت في تنمية البناء العصري والتوسع العمراني (صورة رقم 3) الذي عرفته واحة فزواطة خلال العقود الأخيرة، حيث بدأت العديد من العائلات تبني خارج مجال القصر بمواصفات هندسية ومواد بناء جديدة، وهو ما جعل الدار المغربية تحتل 28,3% من مجمل بنايات جماعة تمكروت. بالمقابل مثلت أنواع السكن الأخرى بما فيا الفيلا نسبة لم تتخط 2%، في حين تراجع السكن ذي الطابع القروي إلى نسبة بلغت 70,7% من مجموع الأبنية، بعد أن كان يشكل سنة 1994 أكثر من 94% (شكل رقم 5).

صورة رقم 3: التوسع العمراني خارج أسوار القصر التقليدي بدوار أمزرو

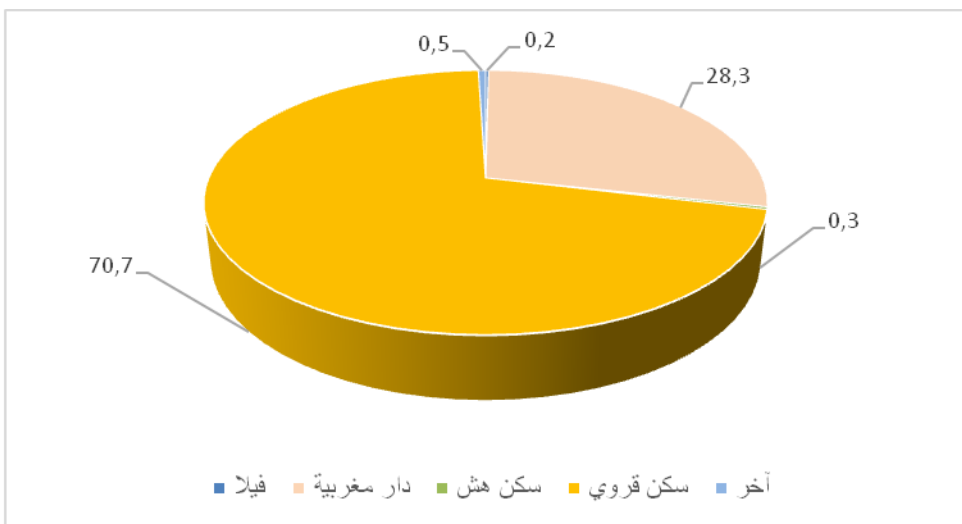


المصدر: بعدسة سليمان الداودي، سنة 2017.

خريطة رقم 7:التوسع العمراني خارج أسوار القصر التقليدي بدواري أمزرو وسارت



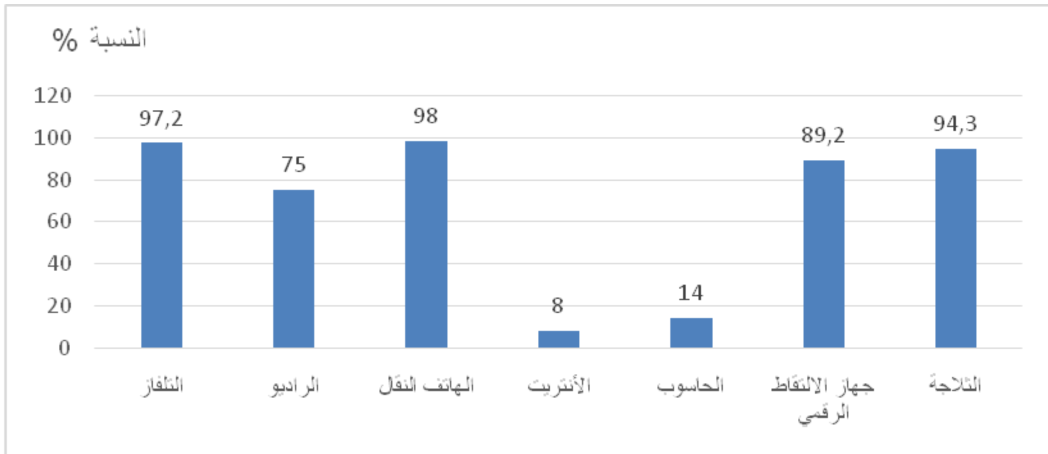
شكل رقم 5: توزيع أنواع السكن بواحة فزواطة سنة 2014.



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2014.

وقد رافق هذا التطور والتحول تغيير على مستوى التجهيزات الإلكترومنزلية. إذ تتوفر أغلبية المساكن على بعض التجهيزات المنزلية الضرورية، مثل الثلاجة، والهاتف النقال، وجهاز التلفزيون، والراديو، بنسب هامة تتراوح بين 75و 98%، (الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014).في المقابل تبقى خدمات الأنترنيت والهاتف والحواسيب أقل حضورا لدى سكان المنطقة كما يوضح الشكل 6 أسفله.

الشكل رقم 6: توزيع المساكن بواحة فزواطة حسب نسب توفرها على التجهيزات الإلكترومنزلية.



المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2014.

رغم أن هذه التقنيات الحديثة في البناء بالإسمنت لا تلائم المناخ السائد في الواحة، فإنها أدت إل تراجع الاهتمام بالهندسة الترابية المحلية (Naim. M, 1996, 265)،حيث تراجع استعمال المواد المحلية في البناء بشكل واضح، وذلك لكون المهاجرين أصبحوا يحتقرون البناء بالتراب ويفضلون البناء بالإسمنت، لكونه يمنح لمساكنهم وضعية مميزة عن باقي مساكن الأسر الفقيرة، إذ أصبح البناء بالتابية متجاوزا ويرمز للفقر، عكس البناء بالإسمنت الذي يرمز للحداثة (Naciri. M, 1986, 359).

P359 وليس ذكر الرقم مباشرة يجب تصحيح ذلك في كل المقال

يمكن تفسير هذا الدور الكبير في تنمية الواحة بكون مهاجريها يحافظون على صلاتهم بقراهم وجماعاتهمالأصلية، فرغم أنهم يستقرون بشكل نهائي بالمدن المغربية أو بالدول الأوربية، ورغم بعد المسافات بينهم وبين عائلاتهم، فإنهم يستثمرون عائداتهم في بناء المساكن، وشراء الأراضي الزراعية، واستعمال الضخ العصري.

خلصنا إلى العديد من النتائج، أهمها ما يلي:

-لعبت الهجرة دور كبير في التحولات الاجتماعية، إذ لم تقتصر مساهمتها في تحسين مداخيل الأسر فقط، بل أدت تحويلات المهاجرين إلى تغيير في التراتبية الاجتماعية الشيء الذي سمح لأسر المهاجرين بتسلق السلم الاجتماعي والتي أصبحت تحظى بالتقدير والاحترام خاصة عند حضور المهاجر نفسه الذي يسعى إلى إبراز مظاهر التفاخر الاجتماعي كتعبير عن نجاح المشروع الهجروي.

-عائدات المهاجرين، يغلب عليها الطابع الاستهلاكي والعقاري، وأن استفادةالواحة من ودائع المهاجرين ضعيفة، والتي لم تستثمر في قطاعات من شأنها توفير فرص الشغل والمساهمة في التنمية المحلية بالشكل المطلوب.

-أدت الهجرة إلى تحولات سوسيومجالية، أبرزها مرتبطة بإفراغ بعض البوادي والتخلي عن الأراضي الزراعية،مع إعمار المركز القروي "تمكروت" والمركز الحضري "زاكورة"، هذا إلى جانب تفاوت القدرة الشرائية بين أسر المهاجرين وباقي الأسر الأخرى.

خاتمـــــة

تأسيسا على ما تقدم، يمكن القول أن التحويلات المالية للمهاجرين قد ساهمت في تنمية البناء العصري والتوسع العمراني بواحة فزواطة، ناهيك عن استثمار عائداتهم في الفلاحة عن طريق استعمال تقنيات الضخ العصري واستصلاح أراضي فلاحية جديدة. كما تجب الإشارة، إلى أنه على الرغم من التأثير الإيجابي للهجرة والذي يتجسد أساسا في انفتاح المجتمع الواحي على العالم الخارجي،والاستفادة من تطوراتالتكنولوجية العصرية، التي أحدثت تغييرات جذرية في نمط عيش السكان ونوعية السكنوالتجهيزات الأساسية (السقوية، الزراعية، المنزلية، وغيرها)، إلا أن لها تأثيرات سلبية محلية تتمثل مظاهرها في التخلي عن الأراضي الزراعية وجماعة الدوار، وما يترتب عنها من تدهور في مردودية الإنتاج الفلاحي.

قائمة المراجع

1.بامحمي عبد الزهر(2018)، عوامل التحول في قصور الواحات في الجنوب المغربي، مجلة العلوم الاجتماعية، ع5، المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا.
2. زروالي عدنان،(2019)،الهجرة الدولية والتنمية المجالية والسوسيواقتصادية بمدينة جرسيف، مجلة المجال الجغرافي والمجتمع المغربي، ع30، المغرب.
3. مهدان امحمد،(2013)، التحولات الاجتماعية والتنمية، دراسة في النظام المائي لواحة تودغى"، الناشر جامعة ابن زهر - أكادير، طباعة ونشر سوس - أكادير، المغرب.
4. دراسة ميدانية، (2020)، عينة 335 أسرة مبحوثة.
5. لمكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات، 2019.
6. المملكة المغربية، المندوبية السامية للتخطيط، نتائجالإحصاء العام للسكان والسكنى، 2014.

7.NACIRI. M, (1986) :Les qsouriens sur la route. Emigration et mutation spatiale de l'habitat dans l'oasis de Tinjdad." Annuaire de l'Afrique du Nord. Tome xxv, éd CNRS, Paris, France.
8.NAIM. M, (1996) :"La migration internationale de travail et les transformations-spatiales dans les oasis présahariennes du Maroc : le cas de la vallée du Todrha". Thèse du doctorat en géographie, Université de Nice Sophia-Antipolis, France.

جريمة الإهمال غير العمدي للأطفال وتداعياتها الأسرية "دراسة حالة"

د. رانيا حاكم كامل، مدرس بكلية البنات جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية

الملخص: هدفت الدراسة التعرف على صور الإهمال غير العمدي التي يتعرض لها الطفل في حالات الدراسة، وخصائصهم الديموجرافية، وأسباب ودوافع ذلك، وأخيراً الكشف عن التداعيات المترتبة على الإهمال غير العمدي للأطفال وفقاً لاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي والمستوى التعليمي للوالدين، وتوصلت نتائج الدراسة الميدانية إلى أن جريمة إهمال الأم لصغيرها ليست مقتصرة على الشريحة الدنيا فقط بل امتدت إلى الشريحة العليا أيضاً، وان تباينت صورها وأشكالها وأسبابها والمخاطر الناجمة عنها.

الكلمات الافتتاحية: الإهمال غير العمدي، نظرية الدور، الطفل غير المميز.

The Crime of Unintentional Negligence of Children and Its Family Repercussions- A Case Study

DR. Rania Hakem Kamel, Lecturer, Sociology Department, Women's College for Arts, Science and Education, Ain-Shams University, Egypt.

ABSTRACT: The study aimed to identify the images of unintentional neglect that the child is exposed to in cases of study, their demographic characteristics, and the causes thereof, and finally to reveal the consequences thereof according to the difference in the socio-economic and educational level of the parents. The results of the field study conclude that the crime of the mother's negligence to her young is not limited to the lower class only, but also extends to include the upper class, even if its forms, shapes, causes, and dangers arising from it varied.

Keywords: Unintentional Negligence, The Role Theory, The Undifferentiated Child.

المقدمــة:

تُعد الطفولة مرحلة الضعف الحتمية التي يمر بها كل إنسان، ويكون فيها عاجزاً عن مراعاة نفسه معتمداً على الآخرين في توفير كل ما يحتاجه ليستمر على قيد الحياة، لذا فقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الأمانة على عاتق الأبوين من حيث الأصل، ليتوليا تغذيه جسد الطفل وروحه وعقله لينمو عضواً صالحاً في المجتمع. (عماد خورشيد وآخرون، 2018، ص 320) ومع وتيرة الحياة المعاصرة، وكثرة مشاغل الوالدين وخروج المرأة للعمل وتزايد الاعتماد على الخدم والسائقين،

أصبح الأطفال يعانون من نوع آخر من أنواع الإساءة وهو **الإهمال**، الذي لا يقل أهمية وأثراً عن الإساءة البدنية أو العاطفية أو الجنسية، إذ يؤدى في عدد غير قليل من الحالات إلى الوفاة أو الإعاقة أو إصابات جسيمة. (شفاء القاضي، 2013، ص326)

ويُعد **إهمال الأطفال Child Neglect** الشكل الأكثر شيوعاً لسوء معاملة الأطفال، وعادة ما يشير إلى عدم تلبية الاحتياجات الأساسية للطفل مما قد يعرض حياته للخطر، والإهمال ظاهرة غير متجانسة تختلف من أسرة لأخرى وفقاً لعدة اعتبارات كمدى فهم الآباء لاحتياجات الأطفال والمعتقدات الدينية والثقافية والحالة الاقتصادية للأسرة. Howard Dubowitz et al.,1993, p8-26)، وتتنوع صور الإهمال التي قد يتعرض لها الطفل، ما بين الإهمال الطبي، والغذائي، والعاطفي، والتعليمي، والجسدي، وأخيراً نقص الإشراف والتوجيه. Tony Long et al., (2014, p1360) كما يشتمل أيضاً على إهمال السلامة المنزلية، وإهمال شروط وتدابير حفظ الصحة العامة، والحماية غير الكافية، وإهمال الإشراف، والإهمال التربوي(ماجد أبو جابر وآخرون، 2009، ص 18)

وإذا كان الإهمال مثله مثل أي سلوك قد يتم بشكل عمدى أي يكون فاعله على معرفة تامة بعواقب الأمور ونتائجها، أو قد يتم بشكل غير عمدى أي يكون فاعله غير متبصر بنتائج ترك الفعل وعدم القيام به، فسوف تقتصر الدراسة الحالية على النوع الثاني من الإهمال أي الإهمال غير العمدى من جانب الأم نحو طفلها، الذى ينتج عن التقصير في الإشراف والمتابعة وترك ما ينبغي القيام به وعدم القيام بمسئوليات الفرد وواجباته بما يوجبه الأعراف والتقاليد والقوانين، وهذا الفعل الذى يحدث في دقائق معدودة إلا انه قد يلحق الأذى بالطفل ويضر صحته ويعرض حياته للخطر، وتختلف خطورة وجسامة الإهمال غير العمدى من صورة لأخرى، إلا أنها تتنوع ما بين (كدمات، كسور، تشوهات، حروق، وتبلغ قمتها خطورة لتصل إلى الفقد أو الوفاة). وسوف تركز الدراسة الحالية على صور الإهمال غير العمدي للطفل غير المميز أي الأقل من سبع سنوات، حيث تتسم هذه الفترة من عمر الإنسان بعجزه عن مراعاة نفسه، واحتياجه الدائم إلى الأم ليستطيع البقاء على قيد الحياة، هذا فضلاً أن الطفل في هذه المرحلة لا يعي عواقب تصرفاته وبالتالي يحتاج إلى اهتمام مضاعف من جانب الأم لتوجيهه ومتابعته باستمرار.

وعلى الرغم من وجود العديد من التشريعات القانونية، **الدولية**: كالمادة (19) من اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عن الأمم المتحدة. (الأمم المتحدة، 2011)، وأيضاً قانون الطفل المصري رقم (126) لسنة 2008 في ماده (3- أ) لحماية الطفل من كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو المعنوية أو الجنسية أو الإهمال أو التقصير أو غير ذلك من أشكال إساءة المعاملة والاستغلال". (الجريدة الرسمية ،2008)، إلا أن نسبة الأطفال ضحايا الإساءة والإهمال ما زال عدد كبير، فوفقاً لوزارة الصحة والخدمات الإنسانية الأمريكية فإن ما يقرب من (678) ألف طفل كان ضحية للإساءة والإهمال خلال عام (2018)، وقد توفى منهم (1770) طفل. Amy (Morin,2020) ومما يزيد من خطورة الأمر ما أكدته دراسة Carlos Herruzo et al., (2020, 1-7) ان الأطفال المهملون يعانون من عجز معرفي ومشاكل اجتماعية أكثر خطورة

من الأطفال المعتدى عليهم، كما أنهم معرضون لأنماط سلوكية قد تتطور لاحقاً إلى سلوك عدواني وإجرامي.

إشكالية الدراسة:

تعود مبررات اختيار موضوع البحث إلى ما يلى : عدم وجود إحصاءات في المجتمع المصري تكشف لنا عن معدل أو أعداد الأطفال الذين يتعرضون لصوره أو أكثر من صور الإهمال، إذ أن تطالعنا وسائل الإعلام يومياً عن عدد كبير من الأطفال مصابين بجروح أو كسور أو تشوهات أو حروق بسبب إهمال الوالدين، وقد يصل الأمر إلى وفاه عدد كبير منهم دون الاهتمام بهم، - صعوبة إبلاغ الأطفال في حال تعرضهم لصور الإهمال من قبل الوالدين أو احدهما، وحتى في حالة إبلاغ الزوج – في بعض الحالات التي يتوفى فيها الابن نتيجة إهمال الأم – تنتهى فيها التحقيقات إلى عدم تحريك الدعوى الجنائية مراعاة للظروف والحالة النفسية للام، **وأخيراً** قصور التشريعات القانونية عن تجريم هذا الفعل، فلا يوجد نص قانونى صريح يجرم فعل الإهمال المرتكب من الأم تجاه طفلها، ويُرجع في هذه القضايا إلى قانون العقوبات المصري سواء الخاص بالإصابة الخطأ أو القتل الخطأ. وستعتمد الدراسة في تحليل وتفسير سلوك الإهمال غير العمدي الموجه للطفل من خلال المستويات الثلاث للمعرفة وهم: "عدم المعرفة التامة وهو ما يسمى بالجهل، المعرفة ولكن على غير وجهها الصحيح وهو الغلط، المعرفة الكاملة ولكن مع الاستخفاف بها وهو التهاون"(سهير العطار، 2020، ص 186).

وبناءً على المؤشرات التي تم ذكرها سابقاً تتحدد مشكلة البحث في: تحديد صور الإهمال غير العمدي التي يتعرض لها الطفل في الأسرة المصرية، وفقاً لاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي والمستوى التعليمي للوالدين، وأسبابها، وتداعياتها الأسرية، وذلك في ضوء عدم فاعلية وكفاية التشريعات القانونية الحالية.

أهمية الدراسة:

- **الأهمية النظرية :** تعُد جرائم الإهمال وخاصة الإهمال غير العمدى من الموضوعات التي لم تأخذ نصيباً كافياً من الاهتمام وخاصة في المجال الاجتماعي، حيث تركزت معظم الدراسات في الكشف عن العنف الموجه للطفل، أو أنماط الإساءة التي يتعرض لها الأطفال داخل الأسرة كالإساءة الجسدية والجنسية والنفسية وغيرها، كما تركزت أغلبية الدراسات على تناول جريمة الإهمال "من منظور قانونى"، أما الدراسات السوسيولوجية فجاءت ضمن موضوع إساءة معامله الأطفال ولم يفرد لها دراسة كاملة من منظور اجتماعي، لذا تأتى هذه الدراسة كمحاولة لسد الفراغ في الدراسات السوسيولوجيه في موضوع "جريمة الإهمال غير العمدى الموجه للطفل في الأسرة المصرية "، مع محاوله تفسيرها من خلال نظرية الدور الاجتماعي، والمستويات الثلاث للمعرفة، التي أشرنا إليها سابقاً. **كما تبرز أهميه الدراسة في الحجم النسبي لهذه الفئة**، حيث بلغ عدد الأطفال المصريين (أقل من 18 سنة) (38,8 مليون طفل) من إجمالي السكان في مصر عام (2019)، كما بلغ عدد الأطفال في الفئة العمرية (0- 4 سنوات) (32,9 %) وهى النسبة الاعلى بين الأطفال.(الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء،2019) ولعل هذه النسبة تؤكد إننا لابد أن نولى اهتماماً كبيراً بهذه الفئة التي تمثل نسبه لا يمكن الاستهانة بها، خاصة إذا أخذنا في

الاعتبار أن أطفال اليوم هم شباب الغد وطاقته ومصدر قوته، وهم الثمرة التي سنجنى ثمارها إذا أحسنا رعايتها والاهتمام بها ليس على مستوى الأسرة فحسب بل على مستوى المجتمع بأكمله.

أما الأهمية التطبيقية لدراستنا الحالية فتأتى من أنها تُعد محاولة للخروج ببعض النتائج التي تُفيد الوالدين، وأيضاً المهتمين بشئون الأسرة حول خطورة إهمال الأطفال، وأسبابها وتداعياتها الأسرية، ومن ثم وضع رؤية مقترحة مأمولة تستفيد منها الهيئات المعنية بالتطبيق بكيفية تبصير وتوعية الآباء والأمهات بمدى خطورة تعرض الأبناء لأي من صور الإهمال سواء تم ذلك داخل الأسرة أو خارجها.

أهداف الدراسة: يهدف البحث إلى:

1- التعرف على الخصائص الديموجرافية للوالدين، والأطفال من ضحايا الإهمال غير العمدي في حالات الدراسة.

2- القاء الضوء على أنماط او صور الإهمال غير العمدي التي تعرض لها الأطفال في حالات الدراسة.

3- الكشف عن الأسباب والدوافع وراء الإهمال غير العمدي للأطفال وفقاً لاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي والمستوى التعليمي للوالدين.

4- التعرف على التداعيات المترتبة على الإهمال غير العمدي للأطفال (على الوالدين، والطفل نفسه) في الاسرة.

الدراسات السابقة:

بالنسبة للدراسات التي تناولت الإهمال العائلي: ركزت بعضها على تجريم فعل إهمال الزوجة الحامل كدراسة (بوجادي صليحة، 2017)، أو على الأطفال التي تعاني من سوء المعاملة والإهمال وذلك للتعرف على أنواع الإساءة للطفل وأسبابها وآثارها كدراسة (شفاء القاضي، 2013)، ومدى إدراك الوالدين لمشكله إهمال الأطفال والإساءة إليهم في المجتمع الأردني كدراسة (ماجد أبو جابر وآخرون، 2009). وهناك **دراسات ركزت على الآثار المترتبة على الإهمال العائلي:** سواء على سلوك الأحداث وتأثيره على اتجاههم للجريمة، كدراسة (على قصير، 2015)، أو على إصابتهم بالحروق كدراسة (Darren L. Chester et al.,2006)، أو علاقته بالتحصيل الدراسي كدراسة (وليد حماده، 2010). وهناك عدد من **الدراسات** ارتكز على **الحماية الجنائية للأطفال** في حال تعرضهم لاحد جرائم الإهمال العائلي كدراسة (حوحو صابر، 2017)، والمسئولية الجنائية للوالدين كدراسة (عماد يوسف وآخرون، 2018).

ويتضح من العرض السابق أن: -خلطت بعض الدراسات بين مصطلحي إساءة معاملة الأطفال Child abuse ،وإهمال الأطفال Child Neglect كما لو كانوا وجهين لعملة واحدة، رغم الفرق الذى يبدو في دراستنا، حيث أن الإساءة تعنى إحداث أذى متعمد بالطفل ،وتتنوع ما بين الإساءة الجسدية والإساءة الجنسية وغيرها، فالإساءة إذن فعل متعمد ومقصود ويستمر لفترة طويلة من الوقت، أما الإهمال فهو فعل غير عمدى، يتم عن طريق الترك أي عدم القيام بما ينبغي فعله، وينتج عن التقصير في الإشراف والمتابعة من جانب الأم بصفه خاصة نحو طفلها، وهو ما ستحاول الدراسة الكشف عنه . - اتفقت نتائج الدراسات السابقة ان إهمال الأبناء له عواقب وخيمة

حيث يؤثر على النمو الاجتماعي والصحي والنفسي للطفل في الوقت الحالي والذي تستمر عواقبه في المستقبل. - إن هذه الدراسات رغم الاستفادة منها في توجيه الباحثة لتحديد إشكالية الدراسة، والأطر النظرية والمنهجية التي يعول عليها في مثل هذه الدراسات إلا أنها لم تتطرق إلى دراسة (جريمة الإهمال غير العمدى للأطفال في الأسرة المصرية) دراسة سوسيولوجيه من خلال دراسة حاله لعدد من الأمهات التي كان أطفالهن ضحية لصورة او أكثر من صور الإهمال غير العمدى وذلك في منطقتي (حي المرج، مصر الجديدة)لإبراز مدى الاتفاق والاختلاف في صور الإهمال التي يتعرض لها الطفل، وأسبابه، والآثار الناتجة عنه وفقاً لاختلاف المستوى الاقتصادي والمستوى التعليمي للوالدين .

الإطار النظري للدراسة: تُعد نظرية الدور الاجتماعي واحدة من أهم النظريات التي توضح تفاعل الفرد مع بيئته الاجتماعية والعلاقة المتبادلة بينهما، حيث ان طبيعة الحياة المعقدة وكثرة احتياجات الإنسان تجعله يلعب أكثر من دور في المجتمع، الأمر الذي يتطلب منه ان يسلك بطريقه معينه تناسب كل دور. (هشام عطية السيد، 2010، ص 40) والدور يشير إلى مجموعه مركبة من القواعد العامة، فلا يمكن ان نجد أحداً يؤدى دوراً معيناً كدور الأب مثلاً بنفس الكيفية التي يؤديه بها شخص أخر، "فالدور و" أداء الدور" لا يتطابقان أبداً. (محمد الجوهري، 2010، ص 106). وتطرح نظرية الدور مفاهيم تساعد على تحليل الأدوار، مثل: هوية الدور، وإدراك الدور، وتوقعات الدور، وتضارب الأدوار. (James R. Bailey,2020). والأدوار ليست ثابتة، بل تتغير وتتطور بمرور الوقت، فأصبح من المقبول اجتماعياً للمرأة ان يكون لها أدواراً أخرى بجانب تلك الموجودة في الأسرة، حيث كان في الماضي يتوقع من المرأة ان تضع رعاية طفلها فوق كل الاهتمامات الأخرى، إلا أن هذا التوقع المعياري يختلف وفقاً للثقافات، وأيضاً وفقاً للسياقات الاجتماعية والاقتصادية وخاصة للأمهات ذوات الدخل المنخفض. Ralph (h.,2002:251) فأصبحت المرأة تعمل لساعات طويلة خارج المنزل لسببين إما لحاجتها الاقتصادية أو لتحقيق طموحها الشخصي، وقد أدى هذا إلى وجود توترات وتناقضات في ادوار المرأة (الأم والعاملة)، ولعل تحقيق التوقعات المجتمعية حول دور "الأم الصالحة" تسبب مصادر للضغط والتوتر وخاصة على الأم الحديثة مما قد يصعب عليها تحقيق هذه التوقعات أو الحفاظ عليها. (Katherine M.,2012, 1:69). وستعرض الباحثة تفسير نظرية الدور الاجتماعي في موضوع الدراسة في المحور الثالث.

مفاهيم الدراسة:

(1) مفهوم الإهمال: يُعرف " الإهمال في اللغة العربية " بأنه: أَهمَلَ (فعل)، أهملَ يُهمل، إهمالاً، فهو مُهمِل، والمفعول مُهمَل – للمتعدِّي، وأَهْمَلَ الشيءَ: تركه ولم يستعمله، عمدًا أو نسيانًا، كما يشير إلى: التَّقْصِيرُ، التَّغَافُلُ، التَّهَاوُنُ، التَّكَاسُلُ، والإهمال (كمصطلح) ينشئ عن افتقار إلى الخبرة والتدريب ويكون غير مقصود. (معجم المعاني الجامع، 2020) - **أما في اللغة الإنجليزية فعرف قاموس Webster الإهمال بإنه** عدم الاهتمام الكافي بشيء يستحق الاهتمام. (webster dictionary,2020). فالإهمال يعنى تجاهل أو تقصير في رعاية أو علاج، أو الفشل في تنفيذ/ أداء أمر أو واجب. (dictionary,2020) - **ويعرف الإهمال اصطلاحاً بإنه:**

الفشل المستمر في تلبية الاحتياجات الجسدية أو النفسية للطفل، كما يشمل أيضاً إهمال الاحتياجات العاطفية الأساسية للطفل أو عدم الاستجابة لها. Tony Long et al., 2014, p (1359). فالإهمال هو: ترك الوالدين الطفل من غير رعاية بدنية وعاطفية أو حماية من الأذى بحيث يترتب عليه ضرر. (نور الدين زعتر وآخرون، 2019، ص 48). ووفقاً **لقانون منع وعلاج إساءة معاملة الأطفال في الولايات المتحدة**، فقد حدد " الإهمال" بإنه: فشل أحد الوالدين أو مقدم الرعاية في توفير الغذاء أو المأوى أو الملبس أو الرعاية الطبية أو الاشراف المطلوب لدرجه تهدد صحة الطفل وسلامته بالضرر. (Amy Morin, 2020). **واستناداً لما سبق يُعرف الإهمال غير العمدى إجرائياً بأنه** : سلوك أو فعل سلبى أي ترك ما يوجب العرف والعادات والقانون فعله من جانب الأم نحو طفلها مما يعرض صحته أو حياته للخطر، فهو فعل غير عمدى أو تصرف غير مقصود يحدث في دقائق معدودة ولكنه يعرض الطفل للأذى، وقامت الباحثة بتصنيف لصور الإهمال غير العمدى التي قد يتعرض لها الطفل، وتشمل : إهمال شروط وتدابير الصحة العامة، الحماية غير الكافية، ونقص الإشراف والتوجيه خارج المنزل، وأخيراً تكليف الأطفال بمهام فوق طاقتهم كقضاء بعض الأمور الحياتية بمفرده سواء داخل المنزل أو خارجه .

(2) مفهوم الطفل: حدد قانون الطفل رقم 12 لسنة 1996 أن الطفل هو: كل من لم يبلغ ثماني عشرة سنة ميلادية كاملة، ويكون إثبات سن الطفل بموجب شهادة ميلاده أو بطاقة شخصية أو أي مستند رسمي آخر. (الجريدة الرسمية، 1996، 3) وسوف تقتصر الدراسة على الطفل غير المميز أي الأقل من سبع سنوات سواء كان ذكر أو أنثى ويعيش مع والديه داخل الأسرة المصرية في منطقتين متناقضتين من حيث المستوى الاجتماعي الاقتصادي والمستوى التعليمي للوالدين، ويرجع مبررنا في اختيار تلك الفئة إلى كونها الفئة الأكثر التصاقاً واحتياجاً للام، كما انه يقع على عاتق الأم – بصفه خاصة – الاهتمام بالطفل ورعايته وتوقع المخاطر التي قد يتعرض لها، مع العمل على حمايته منها وتوفير بيئة آمنه له.

الإطار المنهجي للدراسة، ويتضمن:

- **نوع الدراسة:** تنتمي هذه الدراسة **للدراسات الوصفية التحليلية** والتي تهدف إلى تحديد صور الإهمال غير العمدي التي يتعرض لها الطفل في الأسرة المصرية، وأسبابها وتداعياتها الأسرية، وهذا يعنى أن الباحثة لم تقف عند مجرد الوصف ولكنها تتعدى ذلك إلى محاولة تحليلها وتفسيرها، لتشخيص الاسباب المؤدية إليها والآثار الناتجة عنها سواء على الطفل أو الأسرة، وذلك في ضوء ما توصلت إليه نتائج الدراسات السابقة، ونظرية الدور الاجتماعي.
- **المنهج المستخدم:** اعتمدت الدراسة الحالية على كلا من:

منهج دراسة الحالة: الذي يركز على الأم باعتبارها العامل المحوري والأساسي والمسئولة الأولى عن رعاية الطفل وتقديم كافة أشكال الدعم له بالإضافة إلى توفير الأمن في البيئة المحيطة به، وهذا ما أكدته عدد من الدراسات كدراسة (Katarina Cimprichová, 2015 ,45-50) التي أظهرت ان المرأة ما زالت تلعب الدور المحوري في حياه طفلها، تلك المخلوق الضعيف الذي يحتاج - من أجل بقائه - إلى وجود الأم كملازمه له وخاصة في السنوات الأولى من العمر. ومن ناحية أخرى صعوبة التحدث مع الطفل الذي لم يبلغ سن السابعة عن أي حدث مر به في

الفترات السابقة لصغر سنة وعدم استيعابه لبعض المواقف وعدم القدرة على إيضاحها، واعتباره شخص غير مميز وفقاً للقانون، ولهذا السبب وقع الاختيار على حالات من الأمهات التي كان أطفالهن ضحية لصورة او أكثر من صور الإهمال غير العمدي، وذلك بعد إجراء دراسة استطلاعية في منطقتين مختلفتين داخل محافظة القاهرة هما (حي مصر الجديدة باعتباره يمثل الشريحة العليا، وحي المرج باعتباره يمثل الشريحة الدنيا).

المنهج المقارن: كما اعتمدت الدراسة على المنهج المقارن ليساهم في عقد مقارنات بين الأمهات في منطقتين مختلفتين، وذلك للتعرف على مدى الاتفاق والاختلاف في صور الإهمال غير العمدي التي يتعرض له الطفل في الأسرة المصرية، وإلى أي مدى يلعب اختلاف المستوى الاقتصادي، والمستوى التعليمي للوالدين دوراً فيما يتعرضون له الأطفال من صور للإهمال غير العمدي.

طرق وأدوات جمع البيانات، وتشمل:

دليل دراسة الحالة: الذي تضمن خمسه محاور أساسية، **المحور الأول يضم** البيانات الأساسية للوالدين، و**المحور الثاني يتناول** الخصائص الديموجرافية للأطفال ضحايا الإهمال غير العمدي، **والثالث يعرض** صور الإهمال غير العمدي التي تعرض لها الطفل في حالات الدراسة، و**الرابع يتناول** أسباب ودوافع الإهمال غير العمدي للأطفال، **والمحور الخامس والأخير يختص** بالتداعيات المترتبة على الإهمال غير العمدي للأطفال.

الدراسة الاستطلاعية : قامت الباحثة بعمل دراسة استطلاعية للتأكد من وجود حالات تنطبق عليها الخصائص التي تم تحديدها سلفاً في "حي المرج"، وقامت الإخبارية (سيده، تبلغ من العمر 67 سنه، تعيش في المنطقة منذ 26 سنه) بمساعدتها في التوصل لحالات بعينها وذلك من خلال: التحدث مع بعض الأمهات في المنطقة اثناء شراء احتياجاتهم الغذائية من محل بقاله معروف، حيث انه من المألوف تجمع بعض السيدات أمام محل البقالة لشراء احتياجاتهم، وفى أثناء ذلك يتحدثون عن أحوالهم، وأخبار أبناءهم ويتبادلون الحديث ويتناقلون أخبار الآخرين، وقد رأت الباحثة إمكانية اختيار حالات بعينها بعد التحدث معهن بشكل عام للتأكد من مدى انطباقهم مع شروط اختيار حالات الدراسة، وبعد موافقة الأمهات كانت الباحثة تذهب في المساء إليهم برفقه الإخباري لإجراء دراسة الحالة .

المقابلة: كانت المقابلة في (حي المرج) تجرى مع الأمهات ممن تنطبق عليهم شروط الاختيار المحددة سلفاً من خلال ما أسفرت عليه الدراسة الاستطلاعية، ونظراً لضيق حجم المسكن حيث لم تتعدى مساحة المنزل (40 متر)، وزيادة عدد أفراد الأسرة، فكانت المقابلة تجرى في مدخل البيت للحالة. أما في (حي مصر الجديدة) فوقع الاختيار على إحدى الحضانات في المنطقة التي يتردد عليها الأمهات بشكل يومي لتوصيل واستلام ابنائهم، بالإضافة إلى وجود علاقات مكنت الباحثة من إجراء دراسة الحالة معهن، وكانت المقابلة تجرى داخل الحضانة قبل قيام الأم باستلام طفلها. وبناءً عليه تم التطبيق على (17) حالة في منطقة المرج الشرقية، و(14) حالة في منطقه مصر الجديدة.

شروط اختيار حالات الدراسة: تمثلت في (تنوع المستوى الاجتماعي الاقتصادي، والمستوى التعليمي للأسر محل الدراسة، مراعاة وجود طفل أو أكثر تعرض لصورة من صور الإهمال غير العمدي داخل الأسرة، وان يكون عمر الطفل وقت تعرضه لأي من صور الإهمال لا يزيد عن سبع سنوات، وأخيراً تنوع صور الإهمال التي يتعرض لها الطفل في الأسرة).

مجالات الدراسة الميدانية:

- **المجال البشرى:** طبقت الدراسة على حالات من الأمهات التي كان أطفالهن ضحية لصورة او أكثر من صور الإهمال غير العمدي في الأسرة المصرية، وقد بلغ عددهم 31 أسرة (17 دنيا – 14 عليا).

- **المجال الجغرافي:** تحدد في منطقتي (مصر الجديدة، والمرج) بمحافظة القاهرة. - **المجال الزمنى:** استغرقت الدراسة حوالي ست شهور (منذ شهر يونيو وحتى شهر نوفمبر 2020)، حيث بدأت منذ التأصيل النظري للبحث، مروراً بإجراء الدراسة الميدانية، انتهاءً بكتابة البحث في صورته النهائية.

نتائج الدراسة الميدانية:

(1) النتائج الخاصة بخصائص حالات الدراسة من الوالدين:

- **أوضحت الدراسة الميدانية اختلاف خصائص الوالدين وفقاً للمستوى الاجتماعى الاقتصادي، ففي الشريحة الدنيا:** جاء أكثر من نصف حالات الدراسة من الآباء في المرحلة العمرية من (30- 40 سنة)، بينما كانت غالبية الأمهات تتراوح أعمارهن ما بين (20- 30 سنة)، **أما في الشريحة العليا:** فجاء أكثر من نصف حالات الدراسة من الآباء في المرحلة العمرية من (40- 50 سنة)، بينما تركزت المرحلة العمرية للأمهات من (30- 40 سنة).

- **وبالنسبة للحالة التعليمية:** جاء حوالي نصف حالات الدراسة من الآباء والامهات في الشريحة الدنيا غير متعلمين، في مقابل اسره واحده حصل فيها الاب والام على مؤهل عال. **أما في الشريحة العليا:** فجاء جميع حالات الدراسة من الآباء والامهات حاصلين على مؤهل عال، كما حصلت ثلاث امهات على شهادة فوق جامعية (الأولى دكتوراه في الصحة النفسية، وحالتين ماجستير في الآداب والخدمة الاجتماعية).

- **بالنسبة للحالة الاجتماعية للوالدين: ففي الشريحة الدنيا** جاءت الغالبية العظمى من حالات الدراسة (متزوجين) بواقع (13) حالة، ثم ثلاث حالات (مطلق)، وأخيراً حالة واحده (أرمل)، وذلك في (17) حاله من الشريحة الدنيا. أما **في الشريحة العليا** فجاءت جميع حالات الدراسة (متزوجين) بواقع (14) حالة.

- **بالنسبة للمهنة:** فتركزت **مهن الآباء في الشريحة الدنيا** في مهن متواضعة، (كعامل نظافة، عامل ارزقى، عامل في قهوة، سائق توكتك، سباك)، وجاء الأب (متوفى) في حالة واحدة. **أما بالنسبة لمهنة الأم:** فجاءت الغالبية العظمى من الأمهات (ربه منزل) بواقع (12) حالة، في مقابل (5) حالات عاملات (2 في حضانة، وحالة في أحد المستشفيات، 2 موظفه)، وذلك على عكس **مهن الآباء في الشريحة العليا** فقد تركزت في (مدير إدارة في ثلاث حالات، مهندس في ثلاث حالات)، وحالة واحده لكل من (مدير بنك، استشاري برمجيات، طبيب جراحة قلب،

قاضى، ضابط جيش، صاحب معرض سيارات، صاحب جيم، موظف في شركة بترول). **أما بالنسبة لمهنة الام:** فجاءت نصف الأمهات من حالات الدراسة (ربة منزل)، في مقابل (7) حالات أخرى عاملات، جاءت (حالتين) منهن مدرس مساعد، وحالة لكل من (دكتورة صحة نفسية، صيدلانية، موظفه في بنك، محاسبة في شركه عقارات، مدرسة في مدرسة لغات).

- **بالنسبة لحجم السكن: في الشريحة الدنيا** فتراوح بين المساحة الضيقة (وهي الشقة التي لا تزيد عن 40 متر) والمساحة المتوسطة (والتي قد تصل إلى 65 متر)، وعاده ما تتكون الشقة من غرفتين وصاله، والجدير بالذكر توجد بعض الشقق التي ليس لديها مطبخ مستقل، لذلك تقوم الأم بإعداد الطعام في الصالة كالحالة رقم (6). **أما الشريحة العليا:** فتتراوح مساحة الشقة من 150 متر كحد أدنى وتصل إلى 320 متر كحد أقصى، وعاده ما تتكون الشقة من ثلاث غرف نوم وغرفة معيشة وريسبشن وحمامين على الأقل ومطبخ كبير.

أظهرت الشواهد الميدانية السابقة انه:

اختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي لحالات الدراسة في الشريحتين (الدنيا والعليا)، والذي ظهر جلياً في تدنى المستوى التعليمي والمهني للوالدين في الشريحة الدنيا، ونوع السكن حيث يسكن معظم الحالات في (شقه إيجار جديد بالمدة)، وحجم المسكن الذي لم يتعدى في معظم الحالات عن 40 متر للشقة، هذا فضلاً عن انخفاض الخدمات داخل المسكن وعدم وجود أجهزة منزليه كالسخان والثلاجة والتليفزيون، وزيادة عدد أفراد الأسرة الواحدة. وذلك على عكس حالات الدراسة من الشريحة العليا التي أتسم أفرادها بارتفاع المستوى التعليمي والمهني وهو ما انعكس آثاره على ارتفاع المستوى المعيشي للأسرة من حيث كبر حجم المسكن وتخصيص غرفه مستقلة للطفل وتوافر الأجهزة المنزلية وأيضاً الأجهزة التكنولوجية الترفيهية للطفل.

(2) النتائج الخاصة بالخصائص الديموجرافية للأطفال – محل الدراسة -: أثناء إجراء دراسة الحالة مع الأم أكدت على تعرض شقيق أو شقيقه الطفل (الذي تم اختياره مسبقاً) لصورة أو أكثر من صور الإهمال غير العمدي، لذلك زاد عدد الأطفال ضحايا الإهمال في حالات الدراسة ليصبح عددهم (20 طفل من 17 أسرة في الشريحة الدنيا)، و(20 طفل من 14 أسرة في الشريحة العليا).

نوع الطفل: أوضحت دراسة الحالة اختلاف نوع الطفل ضحية الإهمال غير العمدي وفقاً للاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة، **ففي الشريحة الدنيا** جاء (الذكور) الأكثر تعرضاً لصور الإهمال غير العمدي بواقع (15) حالة، في مقابل (5) حالات فقط من (الإناث)، بينما جاءت (الإناث) الأكثر تعرضاً لصور الإهمال غير العمدي في **الشريحة العليا** بواقع (11) حالة، في مقابل (9) حالات من (الذكور). **ولعل هذه النتيجة تثبت** ان كلا الجنسين معرضين لصور الإهمال غير العمدي، وإنها لا تقتصر على نوع دون الآخر فكون الطفل (ذكر أو أنثى) ليس هو العامل المؤثر في تعرضه لتلك الصور من الإهمال، لأنه فعل غير مقصود من جانب الأم قد يتعرض له الطفل الذكر أو الأنثى.

سن الطفل: بينت الدراسة الميدانية أن عمر الطفل يلعب دوراً هاماً فيما يتعرض له من صوره أو أكثر من صور الإهمال، حيث جاءت المرحلة العمرية (من 4- 7 سنوات) هي الأكثر تعرضاً

لصور الإهمال غير العمدى، بواقع (27) حالة، في مقابل (13) حالة في المرحلة العمرية (0-4 سنوات)، وذلك في الشريحتين (الدنيا والعليا) والبالغ عددهم (40) طفل، **ولعل ذلك قد يرجع إلى** : قدرة الطفل في هذه المرحلة على الحركة والإمساك بالأشياء ومحاولته لاستكشاف ما حوله، وفى نفس الوقت يفتقد إلى التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ لذا يتسبب في إلحاق الإيذاء لنفسه دون وعى من جانبه، الأمر الذى يقع عاتقه بأكمله على الأم وخاصة في هذه المرحلة العمرية ولعل هذا يؤكد على قصور الأم في أداء دورها تجاه أبنائها وذلك في الشريحتين الدنيا والعليا.

ترتيب الطفل: أظهرت الدراسة الميدانية اختلاف ترتيب الطفل ضحية الإهمال غير العمدي وفقاً للاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة، **ففي الشريحة الدنيا** جاء (الطفل الأصغر) الأكثر تعرضاً لصور الإهمال غير العمدي بواقع (9) حالات، بينما جاء (الطفل الأكبر) الأكثر تعرضاً لصور الإهمال غير العمدي في **الشريحة العليا** بواقع (12) حالة. **ولعل ذلك يرجع إلى** قله الخبرة لدى أمهات الشريحة العليا في تربيه الأبناء ورعايتهم ومتابعتهم بشكل دقيق، على عكس أمهات الشريحة الدنيا الذين يعتمدون على الابن الأكبر في متابعه وتلبيه طلبات الطفل الأصغر وحتى لو كان الأخ الأكبر لم يصل للسن المناسب لتلك التكليفات، لذلك عاده ما يتعرض الطفل الأصغر للسهو "الطفل المنسي "من جانب الأم بتركه لساعات طويلة بمفرده سواء داخل المنزل أو خارجه.

تكرار صور الإهمال للطفل الواحد: أظهرت الدراسة الميدانية **اختلاف مدى تكرار صور الإهمال للطفل الواحد وفقاً للاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة**، حيث زاد معدل التكرار في الشريحة العليا ليصل إلى (11 طفل من أصل 20) تم تكرار صور الإهمال معهم، في مقابل (7 أطفال فقط تم تكرار صور الإهمال معهم من أصل 20 طفل) في الشريحة الدنيا. **ويمكن تفسير ذلك** إلى قصور الأم في الشريحتين الدنيا والعليا عن توعيه أبنائهم بما يجب فعله وما يجب تجنبه وأسباب ذلك، ففي حين نجد ان أطفال الشريحة الدنيا يكتسبون العديد من المعايير والقيم من خلال احتكاكهم بأطفال آخرين ووجودهم لساعات طويلة في الشارع، لذلك نجدهم أكثر وعياً وإدراكاً للمخاطر التي قد يتعرضون لها، وذلك على عكس أطفال الشريحة العليا الذين لديهم مساحة أقل من الحرية في التعرف على أصدقاء جدد، وعاده ما تقتصر على (زملاء المدرسة والنادي)، لذلك قد يكرر الطفل الواحد نفس الفعل أكثر من مرة لعدم توضيح الأمهات خطورة الأفعال التي يقومون بها وعواقب ذلك .

(3) النتائج الخاصة بصور الإهمال غير العمدي التي تعرض لها الطفل في حالات الدراسة:

أظهرت الدراسة الميدانية تعدد أنماط أو صور الإهمال غير العمدى الذى تعرض لها الطفل في حالات الدراسة، حيث جاء في المرتبة الأولى (الحماية غير الكافية داخل المنزل) بواقع (29) طفل، يليها (إهمال شروط وتدابير الصحة العامة) بواقع (17) طفل، ثم يأتي (نقص الإشراف والتوجيه خارج المنزل) بواقع (10) أطفال، وأخيراً جاء (تكليف الأطفال بمهام فوق طاقتهم) في المرتبة الأخيرة بواقع (4) أطفال، وذلك من إجمالي تكرار لصور الإهمال الغير عمدى الذى تعرض له الطفل في حالات الدراسة .

بالنسبة للحماية غير الكافية داخل المنزل: ويقصد بها عدم اتخاذ الاحتياطات الآمنة والتدابير الوقائية الكافية لحماية الطفل من أي خطر قد يتعرض له داخل المنزل (كتعرض الطفل لصعقات كهربائية، وسكب الطفل المأكولات والمشروبات الساخنة على جسده، والسقوط من شرفه المسكن)**.** وأظهرت الدراسة الميدانية أن انخفاض المستوى الاجتماعي الاقتصادي قد انعكس آثاره على الجوانب المعيشية داخل المسكن كعدم وجود مطبخ مستقل وضيق حجم المسكن، وعدم توافر وسائل ترفهيه داخل المنزل وترك الطفل بمفرده لساعات طويلة داخل المنزل، وعدم تأمين الأجهزة والفيش الكهربائية، وأخيراً ترك باب المنزل مفتوح تعد من عوامل الخطر والتي تهدد صحة وحياه الطفل بالخطر، وذلك كما جاء في حالات الدراسة (2-1- 14-13-11-9-7-6-5) من الشريحة الدنيا.

وأوضحت الدراسة الميدانية كذلك أن **ترك الأطفال الصغار في رعاية العاملات بالمنزل او المربيات** كان له آثر واضح في ازدياد حالات الإهمال غير العمدي للأطفال **في الشريحة العليا،** حيث أدى الى تعرض الطفل لحروق من الدرجة الثانية والثالثة في منطقه الصدر والبطن وتحت الإبط والفخذ الشمال كله كالحالة (18)، كما ان **إنجاب الأطفال دون ترك مده مناسبة بين الطفل والطفل الذي يليه يعد من عوامل تشتت انتباه الأم** وعدم استطاعتها التركيز على أطفالها بنفس الكيفية كالحالة (24). كما تتضح صوره أخرى من صور الحماية غير الكافية، تلك التي تتعلق بالتجمعات العائلية في منزل الجد والجدة، حيث من المعتاد تجمع أفراد الشريحة العليا وخاصة في الأعياد والمناسبات العائلية، ويترتب على ذلك إصابة أحد الأبناء وخاصة الأصغر سناً نتيجة لعدم ملائمة المكان مع عدد أفراد العائلة واختلاف خصائصهم العمرية، كالحالة (30). **وعلى الرغم من ان أسر الشريحة العليا هي الأكثر استخداماً لوسائل حماية للأطفال داخل المنزل، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود عده صور للحماية غير الكافية داخل المنزل،** ومن أمثلتها **أرضية المنزل** التي تكون معظمها من السيراميك أو الرخام مما يجعل إمكانية انزلاق الطفل أمر وارد كالحالة (23)، أو **تزحلق الطفل في البانيو** كالحالة (28).

وجاء في المرتبة الثانية إهمال شروط وتدابير الصحة العامة: ويقصد بها عدم اتخاذ إرشادات الصحة العامة داخل المسكن مما قد يعرض صحة الطفل وحياته للخطر (كبلع الطفل لماده سائلة أو صلبة كالحالة (16)، أو اللعب بأدوات زجاجية كالحالة (6) أو حادة كالحالة (17)، ووجود المواد الكيماوية المستخدمة في التنظيف في متناول يد الطفل كوضع الكلور الخام في زجاجات المياه ووجودها في المطبخ كالحالة (15)، كما يعد **جلوس الطفل في المقعد الأمامي في السيارة من عوامل الخطر التي تهدد حياه الطفل** كالحالة (27 – عليا).

وأظهرت الدراسة الميدانية أن **العادات والتقاليد** قد تلعب دوراً كبيراً في تفاقم مشكله الإهمال غير العمدي وخاصة ما يتعلق **بالنظافة الشخصية** في أسر الشريحة الدنيا من حيث اعتياد الطفل على دخول دورة المياه بمفرده وعدم متابعه الأم له والاستحمام بمفرده لطفل لا يتجاوز ثلاث سنوات باعتبار جسده عوره ولا يصح لأحد رؤيته حتى والدته، مما أدى الى أصابه الطفل في الجهاز التناسلي وعدم معرفه الأم بهذا الأمر كالحالة (16). ومن ناحية أخرى فإن ترك الأطفال الصغار في رعاية المربيات قد ترتب عليه إصابة الطفل بحرق في الجهاز التناسلي نتيجة لقيام المربية

بوضع الطفلة في مياه ساخنة جدا دون التأكد من مناسبة درجة حرارة المياه لجسم الطفل كالحالة (29). كما ان إهمال الأم في علاج الطفل في مرض بسيط قد يترتب عليه إصابة الطفل بعاهة مستديمة كالحالة (28).

وجاء في المرتبة الثالثة نقص الإشراف والتوجيه خارج المنزل ويقصد بها: انشغال الوالدين او أحدهما عن الطفل أثناء تواجده خارج المنزل، وعدم الرقابة عليه بشكل كافي مما قد ينتج عنه تعرض الطفل لحادث مروري أو فقدانه وخاصة في حال اصطحاب الأطفال إلى الأماكن العامة المزدحمة.

ففي الشريحة الدنيا عاده ما تصطحب الأمر 4 أطفال بمفردها لقضاء مناسبة عائلية أو زيارة أحد أفراد أسرتها، وقد نتج عن هذا تعرض حالتين منهم لحادث مروري لانشغال الأم بأحد أطفالها وترك أحدهم بدون مراقبه، كالحالة (10). أما في الشريحة العليا فجاء عدم اليقظة الكافية أثناء اصطحاب الأطفال بالطرق العامة نتج عنها أصابه الطفل بحادث مروري كالحالة (21)، أو فقدانه كالحالة (21). وبالإضافة إلى الشواهد السابقة فإن عدم وجود الأبوين أو أحدهما مع الطفل وخاصة أثناء التمرين تعد من عوامل الخطر التي تحيط بالطفل خارج المنزل، حيث تلجأ بعض النوادي الرياضية إلى التهوين في الإصابة التي لحقت بالطفل الأمر الذي أدى إلى صعوبة اكتشاف الأم للأمر وتأخرها في عرض الطفل على طبيب مختص، كالحالة (25) الذي أصيب الطفل بشرخ في الجمجمة وقطع في الأذن اليمنى وتأكل في غضاريف الأذن وكسر في اليد وخدوش في أماكن متفرقة في جسده نتيجة لسقوطه من أعلى أثناء التمرين.

وجاء في المرتبة الرابعة والأخيرة تكليف الأطفال بمهام فوق طاقتهم كقضاء بعض الأمور الحياتية سواء داخل المنزل أو خارجه، كتكليف الطفل الرجوع الى المنزل بمفرده بعد الانتهاء من التمرين في أحد مراكز الشباب كالحالة رقم (8- دنيا) مما أدى إلى وفاه الطفل عقب دهسه من الخلف من إحدى السيارات المتواجدة داخل النادي. أو تكليف الطفل بعمل مشروبات ساخنة كالحالة رقم (20- عليا) مما أدى إلى تعرض الطفل لحروق من الدرجة الثالثة والثانية في وجهه وذراع كامل وصدره وجزء من بطنه وظهره كله.

ومن المؤشرات الميدانية السابقة يمكن القول: لم يعد المنزل هو المكان الآمن للأطفال من الناحية الفيزيقية، حيث بينت دراسة الحالة تعرض الغالبية العظمى من حالات الدراسة في الشريحتين لحوادث داخل المنزل بواقع (30 طفل) (14 دنيا – 16 عليا)، وذلك في مقابل (10) حالات فقط قد تعرضوا لحوادث في الطريق العام، ولعل هذا يؤكد على عدم حرص الأمهات في الشريحتين على جعل المنزل مكان آمن للأطفال وإبعادهم عن كل المخاطر التي قد يتعرضون لها دون كبت لحريتهم أو تقييدهم وأن ينمو في بيئة داعمة له لا في بيئة نافرة منه مقيده لحريته.

(4) أسباب ودوافع الإهمال غير العمدي: أظهرت الدراسة الميدانية اختلاف دوافع تعرض الطفل للإهمال غير العمدي وفقاً للاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة، **ففي الشريحة الدنيا** جاءت **العوامل الاقتصادية** من أول وأهم هذه الأسباب: كالفقر، وانخفاض المستوى الاجتماعي الاقتصادي والذي جاء بدوره انعكاس للانخفاض المستوى التعليمي والمهني للوالدين.

كما أظهرت الدراسة الميدانية ان أسر الشريحة العليا جاءوا الأكثر استخداماً لوسائل حماية الأطفال داخل المنزل كعمل غطاء لمقابس الكهرباء، استخدام إقفال للإدراج والأبواب، عدم ترك أي قطعه أثاث بالقرب من الشرفة أو النافذة، عمل حواجز حديدية في الشبابيك، وتغطيه للحواف الحادة، هذا بالإضافة إلى استخدام معظم الأمهات لحزام حماية الطفل خارج المنزل، وله عده أشكال كحقيبة تلبس للطفل أو أساور تربط في معصم الطفل ويد الأم وذلك لمنعه من الابتعاد في الأماكن المزدحمة. وذلك على عكس أسر الشريحة الدنيا فجاءت الأقل استخداماً لوسائل حماية الطفل سواء داخل المنزل أو خارجه، كترك الأطفال في الشرفات دون مراقبه، ووجود الأطفال بمقربه من الأم أثناء طهى الطعام، ووجود المواد الكيماوية المستخدمة في التنظيف في متناول يد الطفل، ووجود أدوات صغيره يستطيع الطفل بلعها، والسماح للطفل باللعب بأدوات زجاجية أو حادة.

بينما جاءت **الأسباب الاجتماعية** من أهم الأسباب وراء الإهمال غير العمدي للأطفال **في الشريحة العليا،** كترك الأطفال الصغار في رعاية العاملات بالمنزل أو المربيات، وعدم ترك مده مناسبة بين الطفل والطفل الذي يليه، وأيضاً ما يتعلق بالتجمعات العائلية من إصابة أحد الأبناء وخاصة الأصغر سناً، نتيجة لعدم ملائمة المكان مع عدد أفراد العائلة واختلاف فئاتهم العمرية.
كما جاءت **الأسباب الثقافية** من الأسباب وراء الإهمال غير العمدى للأطفال، من حيث عدم إدراك الأمهات وخاصة في الشريحة الدنيا لطبيعة المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل وخصائص تلك المرحلة واحتياجاتها، أما بالنسبة **للأمهات الشريحة العليا** فقد أدى ارتفاع المستوى المهني للكثير من الأمهات إلى ترك الأطفال الرضع في رعاية المربيات والعاملات بالمنزل، واللاتي في كثير من الأحيان ليس لديهن المستوى التعليمي الذى يؤهلهن لهذا الدور، هذا فضلاً عن زيادة الطموح لدى بعض الأمهات العاملات جعلها تسعى جاهده إلى تحقيق أهدافها الشخصية وطموحاتها العملية رافضه كل الرفض أن تأخذ إجازة لرعاية طفلها حتى بعد إصابته إصابة بالغه على يد المربية، بل لجأت إلى مربيه أخرى واستبعاد الأولى وهو الحل التي رأته مناسب لطبيعة عملها .

وإذا حاولنا تفسير سلوك الإهمال غير العمدي الموجه للطفل من خلال المستويات الثلاثة للمعرفة، فأوضحت الدراسة الميدانية ما يلي: بالنسبة للمستوى الأول وهو عدم المعرفة التامة أي الجهل: والذي ظهر جلياً على أمهات الشريحة الدنيا وتمثلت تلك السلوكيات في: السماح للطفل باستخدام بعض الأدوات الحادة أو الزجاجية، وترك الأطفال بمفردهم في دورات المياه، وفى شرفات المنزل الأمر الذي أدى إلى ازدياد حوادث السقوط من علو، دون وعى من جانب الأم ان مثل هذه السلوكيات قد تعرض صحة طفلها وحياته للخطر. **أما المستوى الثاني وهو المعرفة ولكن على غير وجهها الصحيح أي الغلط:** وهو ما ظهر في الشريحتين الدنيا والعليا، كوضع الأم طفلها بجانبها أثناء الطهي اعتقاداً منها أنها تلازم طفلها طوال الوقت وعدم تركه بمفرده، وذلك دون وعيها بإمكانية سحب الطفل للأواني من أعلى البوتاجاز وهي ساخنة الأمر الذي أدى إلى ازدياد حوادث الحروق في الشريحة الدنيا. وأيضاً شراء العاب غير مناسبة لسن الطفل في الشريحة العليا كمحاوله لتدليل الطفل وشراء كل ما يحتاجه دون وعى من جانب الأم

بأن ليس كل الألعاب تناسب جميع الفئات العمرية للأطفال. **وأخيراً المستوى الثالث وهو المعرفة الكاملة ولكن مع الاستخفاف بها**، والذي ظهر جلياً على أمهات الشريحة العليا، كجلوس الطفل في المقعد الأمامي للسيارة، وعدم التأكد من درجة حرارة المياه أثناء استحمام الطفل، والإسناد للطفل تجهيز مشروبات ساخنة وحملها على الرغم من خطورة ذلك. وتعتبر أخطر تلك المستويات هما المستويان (الثاني والثالث) نظراً لإن تلك السلوكيات قد تتكرر مع الطفل الواحد داخل الأسرة وأيضاً مع أخوته الأمر الذي يشير إلى احتماليه زيادة حالات الإهمال في المستقبل.

(5) التداعيات المترتبة على الإهمال غير العمدي للأطفال:

الآثار الصحية والنفسية من جراء الإهمال على الطفل نفسه:

أوضحت الدراسة الميدانية ان أقصى وأقسى درجات الإهمال التي ممكن أن يتعرض له الطفل هو **الفقد والوفاة** وتأتى في قمة الهرم وجاء ذلك بواقع (8) أطفال (5 حالات وفيات في الشريحة الدنيا، وحالة واحده في العليا) وحالتين فقد أحدهما دنيا والأخرى عليا، يليها الإصابة **بعاهة مستديمة** " تلك التي تصيب عضو من أعضاء الجسم ويترتب عليه فقد منفعته بدرجات متفاوتة قد تكون بشكل كلى أو جزئي " وجاء ذلك في سبع حالات (5 عليا وحالتين دنيا)، وتمثلت تلك الصور في (فقد السمع بنسبة 90%، تهتك في شبكية العين، كسور ولم تلتئم بشكل جيد وقد نتج عنها عاهة في يد الطفل)، ثم تأتى **الحروق** بدرجاتها الثلاث "الأولى والثانية والثالثة" بواقع (8 حالات، 4 دنيا – 4 عليا)، وتعددت أماكن الإصابة بالحروق في منطقه الوجه والكتف وتحت والإبط والرقبة والصدر والبطن ولعل معظم صور الحروق تركت آثاراً واضحة على جسد الطفل، ناهيك عن وجود شكل آخر من أشكال الحروق وهو الحرق في الجهاز التناسلي للطفل والذى كاد في معظم الحالات ان يؤدٍ بحياة الطفل، يليها **الكسور** وهى من أحدى الصور المتكررة في الشريحة الدنيا والعليا، وزاد معدلها لتصل إلى (11) حالة (7 حالات دنيا – 4 عليا)، وتراوحت صور الكسور ما بين الشرخ والكسر والكسر المضاعف، ثم **الكدمات والجروح** والتي زادت بشكل ملحوظ لدى أطفال الشريحة العليا لتصل إلى (7) حالات و(5 دنيا) ،وتراوحت ما بين غرزتين إلى 6 غرز كحد أقصى وكانت معظمها في منطقه الوجه والرأس، وتأتى قاعدة الهرم في **السحجات** أي الخدوش " وهى الإصابات التي تصيب الطبقة الأولى من الجلد " بواقع حالتين فقط واقتصرت تلك الصورة على أطفال الشريحة العليا، حيث لم تعتبره أمهات الطبقة الدنيا أنها تعد إصابة أصلاً تلحق بالطفل. وأخيراً (أخرى): وتتدرج في الخطورة من (شرب الطفل كلور أو بلع عمله أو مسمار أو صدمة كهربائية بسيطة، وقد تصل خطورتها إلى شرخ في الجمجمة، وارتجاج في المخ، واحتياج الطفل لجراحه في الجهاز التناسلي)، وذلك من إجمالي صور الإهمال التي تعرض لها الأطفال في حالات الدراسة، وقد بلغ عددها (60) صورة موزعه على (20 طفل في الشريحة الدنيا – 20 طفل في الشريحة العليا).

ودلت الشواهد الميدانية **اختلاف درجة الخطر الذي يلحق بالأطفال ضحايا الإهمال غير العمدي وفقاً للاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي**، حيث زادت معدلات الخطورة في الشريحة الدنيا نتيجة لانخفاض المستوى التعليمي للوالدين وقلة الإمكانيات الاقتصادية لديهم.

كما أظهرت الدراسة الميدانية: تعرض الأطفال ضحايا الإهمال إلى **آثار نفسية شديدة** من جراء الحادث، ومن الأعراض التي تظهر عليهم: الخوف الشديد، الكوابيس والأحلام المزعجة، البكاء لفترات طويلة، الانعزال، عدم الثقة بالنفس. وتختلف حده هذه الأعراض من طفل لآخر نتيجة لعده عوامل كعمر الطفل، ومدى إدراكه ووعيه بالموقف، والناتج الذي ترتب عليه خاصة إذا ترك آثراً أو ظل متأثراً به لبقية حياته كالعاهة المستديمة التي تترك أثراً مدى الحياة.

الآثار الاجتماعية الناتجة عن إهمال الأبناء في الأسرة: أوضحت الدراسة الميدانية تعدد الآثار الاجتماعية الناتجة عن إهمال الأبناء وتنوعت ما بين: زيادة المشكلات الأسرية كحدوث خلافات بين الوالدين وجاء ذلك في المرتبة الأولى بواقع (11) حالة، يليها صعوبة تقبل الأب للأمر وخاصة بعد وفاة الطفل بواقع (5) حالات، ثم لم يهتم الأب نهائيا بما حدث نتيجة لطلاق الزوجة وزواجه من أخرى بواقع (3) حالات، وانشغال الأب بمحاولة توفير تكاليف العلاج بواقع (3) حالات، ثم قيام الزوج بتطليق زوجته فور معرفته بفقدانه للابن الوحيد كالحالة (13). بينما عبرت حالة واحده أيضا أن الزوج ترك المسئولية كاملة على عاتق الأم مع عدم تحمل مصاريف علاج الطفل كالحالة (3). وأخيراً في حالة وفاه الأب قام العم بمقام الأب في محاوله رعاية الطفل والإسراع بيه إلى الطبيب كالحالة (17). والجدير بالذكر أكدت (6) حالات جميعهم من الشريحة العليا على تفهم الزوج لطبيعة الطفل وخصائصه ولم يحمل الأم تبعات ما حدث.

كما بينت الشواهد الميدانية ان التكلفة الاقتصادية لعلاج الطفل تُعد من عوامل الضغط على أرباب الأسر في الشريحة الدنيا، وعاده ما يلجئون إلى المستشفيات الحكومية نظراً للارتفاع أسعار الأطباء في العيادات الخاصة، هذا فضلاً عن عدم إدراك الأم لكيفية التصرف بعد وقوع الحادث، فعادة ما تلجأ إلى الجيران لإسعاف الطفل ومساعدتها في نقله إلى أقرب مستشفى حكومية في المنطقة.

مناقشة نتائج الدراسة في ضوء الدراسات السابقة:

-أظهرت الدراسة الميدانية أن جريمة إهمال الأم لصغيرها ليست مقتصرة على الشريحة الدنيا فقط بل امتدت إلى الشريحة العليا أيضاً، وان تباينت صورها وأشكالها والمخاطر الناجمة عنها.

-أوضحت دراسة الحالة انه: كلما انخفض المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة كلما زاد تعرض الطفل لصور الإهمال غير العمدي سواء داخل المنزل أو خارجه، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (فاطمة سالم، 2015).

-جاءت المرحلة العمرية (من 4: 7 سنوات) هي الأكثر تعرضاً لصور الإهمال غير العمدي، واتفقت هذه النتيجة مع دراسة (ماجد أبو جابر وآخرون، 2009).

-يعُد (الطفل الأصغر) الأكثر تعرضاً لصور الإهمال غير العمدي في الشريحة الدنيا، ولعل ذلك قد يرجع إلى اعتماد أمهات الشريحة الدنيا على الابن الأكبر في متابعه وتلبيه طلبات الطفل الأصغر وحتى لو كان الأخ الأكبر لم يصل للسن المناسب لتلك التكليفات، لذلك عاده ما يتعرض الطفل الأصغر للسهو من جانب الأم بتركه لساعات طويلة بمفرده سواء داخل المنزل أو خارجه.

-أوضحت الدراسة الميدانية اختلاف أسباب ودوافع تعرض الطفل للإهمال غير العمدي وفقاً للاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة.

-بينت دراسة الحالة أن الإهمال غير العمدي يؤدى إلى نتائج خطيرة حيث أدى إلى وفاة الطفل في (6) حالات، وإصابة (7 حالات) بعاهة مستديمة، وحالتين (فقد الطفل)، هذا بالإضافة إلى أصابه الطفل بحروق في (8 حالات)، والذي كاد في بعض الحالات أن يؤدِ بحياته. ولعل ذلك يوضح مدى جسامه الخطر المعرض له الطفل نتيجة تعرضه لأحد صور الإهمال غير العمدي في الأسرة.

مناقشة نتائج الدراسة في ضوء نظرية الدور:

مما لا شك فيه أن الأسرة تعد من أهم وأول المؤسسات الاجتماعية التي تهتم برعاية الطفل وتنشئته وتقديم كافة أوجه الرعاية الاجتماعية والنفسية والصحية والعاطفية له، كما يعد الوالدين أو من يقوم بمقامهما هم المناط بهم تحقيق ذلك وفقاً للمستوى الاجتماعي الاقتصادي لهم والذي يختلف من أسرة لأخرى.

وتلعب الأم دوراً رئيسياً في حياة طفلها، فوفقاً لمتطلبات الحياة الحديثة أصبح يقع على عاتقها الكثير من المهام المنزلية والتربوية والتعليمية والأخلاقية والرياضية وغيرها، وكل هذه المهام تتطلب العديد من الواجبات التي يجب ان تقوم بها المرأة مما يشكل عبئاً عليها، ويزداد متطلبات الدور بزيادة عدد الأبناء داخل الأسرة فلكل طفل احتياجاته ومتطلباته التي تختلف من طفل للآخر وفقاً للمرحلة العمرية التي يمر بها، لذلك نجد أن الأم قد لا تستطيع تقديم كافه أنواع الرعاية لجميع الأبناء بشكل متساوٍ، حيث بينت دراسة الحالة أن اصطحاب الأم للاطفاها والتي تصل إلى أربع أطفال بمفردها لقضاء مناسبة عائليه، فقد تنشغل بالطريق تاركه أحد الأبناء دون مراقبه مما نتج عنه حوادث دهس الأطفال في الطريق العام .

كما تزداد الضغوط على عاتق المرأة لتعدد الأدوار التي تقوم بها في حال كونها امرأة عامله، وقد دلت الشواهد الميدانية على قيام الأم بتكليف آخرين لمساعدتها في القيام بهذا الدور في الشريحتين، فبينما تكلف الأم المربية أو العاملة بالمنزل لأداء هذا الدور في الشريحة العليا، فتلجأ أمهات الشريحة الدنيا إلى الأخت أو الابن الأكبر لمساعدتها في تلبيه طلبات الابن الأصغر، وفى بعض الأحيان تترك الأم الطفل بمفرده في المنزل الأمر الذي نتج عنه حوادث السقوط من علو.

ويختلف قيام الفرد بنفس الدور وفقاً للاختلاف المستوى الاجتماعي الاقتصادي، وللخبرات الحياتية المكتسبة من الواقع، لذا نجد ان أمهات الشريحة العليا كانوا أكثر وعياً وإدراكاً لما يفعلونه عقب وقوع الحادث مباشره بالتوجه مباشره إلى الطوارئ في أحد المستشفيات، على عكس أمهات الشريحة الدنيا التي كانوا يلجأن إلى الجيران لإسعاف طفلهم، وفى حالات السقوط من علو كان الجيران هم خط الدفاع الأول للطفل حيث كانوا يحملونه مباشره إلى المستشفى دون انتظار والديه.

ولعل تقييم الزوج لدور المرأة وخاصة بعد تعرض طفلها لحادث سواء داخل المنزل أو خارجه، يؤثر على ثقة المرأة بنفسها وأيضاً على علاقتها بطفلها وباقي الأبناء، حيث دلت دراسة الحالة على زيادة المشكلات الأسرية بين الوالدين لاعتقاد الأب أن الحادث ناتج عن قصور الأم عن تأدية واجباتها نحو أبنائها، كما قام بعض الأزواج بتطليق الزوجة فور معرفته بفقدانه للابن الوحيد، وفى بعض الحالات ترك الزوج مسئوليه علاج الابن كاملا على عاتق الأم. وكل هذه

الشواهد الميدانية تزيد من حجم الضغوط والأعباء على الأم بالإضافة إلى ما تتكبده المرأة من ألم نفسي جراء ما حدث لطفلها، ولا شك أن تراكم الضغوط سيكون لها مردود سلبي تجاه باقي الأبناء سواء في الوقت الحالي أو في المستقبل.

أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

-جريمة إهمال الأم لصغيرها ليست مقتصرة على الشريحة الدنيا فقط بل امتدت إلى الشريحة العليا أيضاً، وان تباينت صورها وأشكالها ومخاطرها.

-كلما انخفض المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة كلما زاد تعرض الطفل لصور الإهمال غير العمدي سواء داخل المنزل أو خارجه.

-نوع الطفل لا يعد عامل مؤثر فيما يتعرض له الأبناء من صور الإهمال غير العمدي في الاسر محل الدراسة.

-جاءت المرحلة العمرية للأطفال (من 4: 7 سنوات) الأكثر تعرضاً لصور الإهمال غير العمدي في الشريحتين (الدنيا والعليا).

-تعد (الحماية غير الكافية داخل المنزل) من أكثر أنماط أو صور الإهمال غير العمدي التي تعرض لها الأطفال في حالات الدراسة، الأمر الذي أدى إلى ازدياد حوادث السقوط من علو، دون وعى من جانب الأم ان مثل هذه السلوكيات قد تعرض صحة طفلها وحياته للخطر.

-زادت درجة الخطورة التي لحقت بالأطفال ضحايا الإهمال غير العمدي في الشريحة الدنيا نتيجة لانخفاض المستوى التعليمي للوالدين وقلة الإمكانيات الاقتصادية لديهم.

توصيات الدراسة:

-العمل على رصد أعداد الأطفال ضحايا الإهمال وخصائصهم الديموجرافية، ويتم ذلك من خلال رصدهم من دفاتر المستشفيات الحكومية والخاصة، وذلك حتى يتثنى لنا الوقوف على الأعداد الحقيقية للأطفال ضحايا الإهمال الأسرى، وصور الإهمال الحالية، وما يستجد فيها، ومن ثم إمكانية وضع برامج استرشادية للحد من انتشارها وتفاقمها.

-العمل على نشر الوعي المجتمعي بمدى خطورة وجسامة صور الإهمال التي قد يتعرض لها الطفل، ويتم ذلك من خلال عمل برامج تليفزيونية وإعلانات تبث في القنوات الأرضية والفضائية لصور الإهمال وكيفية تفاديها.

-تفعيل القوانين لحماية حقوق الأطفال في حال تعرض صحتهم أو حياتهم للخطر، وخاصة إذا تكرر صور الإهمال للطفل الواحد داخل الأسرة.

-ضرورة توفير وسائل الحماية للأطفال، وهذه الوسائل تكون معلنه ومتاحة للجميع وبأسعار زهيدة.

-العمل على إضافة برنامج تدريبي لطلبه الكليات والمعاهد على أن يتضمن هذا البرنامج حقوق الأطفال وخصائصهم واحتياجاتهم وفقاً لكل مرحلة عمرية، وتوقع نقاط الخطر التي قد يتعرضون لها مع كيفية حمايتهم منها.

-توفير بعض الأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين في مكاتب الصحة بالمحافظات المختلفة وذلك لإرشاد الأمهات على كيفية التعامل مع الأطفال وخاصة في حال تعرضهم لإحدى صور الإهمال.

قائمة المراجع

1- الأمم المتحدة (2011)، اتفاقية حقوق الطفل، حق الطفل في التحرر من جميع أشكال العنف، التعليق العام رقم 13.

2- الجريدة الرسمية (1996)، قانون رقم 12 لسنة 1996 بإصدار قانون الطفل، العدد 13 (تابع)، في 28 مارس سنة 1996.

3- الجريدة الرسمية (2008)، قانون رقم 126 لسنة 2008 – بتعديل بعض أحكام قانون الطفل، العدد 24(مكرر).

4- الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء (2019)، بيان صحفي بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الطفل، جمهورية مصر العربية، الأربعاء 2019/11/20.

5- بوجادي صليحة (2017)، جريمة الإهمال المادي والمعنوي للزوجة الحامل في القانون الجزائري، مجلة تاريخ العلوم، ع (8)، ج (1)، جامعة زيان عاشور الجلفة.

6- حوحو صابر (2017)، الحماية الجنائية للأطفال من جرائم الإهمال العائلي، مجلة المفكر، ع (16)، جامعة محمد خيضر بسكرة.

7- سهير العطار (2020)، علم الاجتماع الجنائي، النسر الذهبي للطباعة، القاهرة.

8- شفاء القاضي (2013)، حماية الأطفال من سوء المعاملة والإهمال، دراسات في التعليم الجامعي، العدد (24)، مركز تطوير التعليم الجامعي بجامعة عين شمس.

9- على قصير (2015)، الإهمال العائلي وتأثيره على سلوك الأحداث للجنوح نحو الجريمة في الجزائر، مجلة الأحياء، العدد (17، 18)، جامعة باتنة.

10- عماد خورشيد، شيماء رشيد (2018)، المسؤولية الجنائية للوالدين عن إهمال وانحراف سلوك الأطفال (دراسة في ضوء القانون العراقي)، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، م (7)، ع (24).

11- ماجد أبو جابر وآخرون (2009)، إدراكات الوالدين لمشكلة إهمال الأطفال والإساءة إليهم في المجتمع الأردني، مجلد (5)، عدد (1)، المجلة الأردنية في العلوم التربوية.

12- محمد الجوهري (2010)، المدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

13- معجم المعاني الجامع (2020)، **www.almaany.com**، 29/ 7/ 2020.

14- نور الدين زعتر، مخلوف مسعودان (2019)، دليل لحماية الأطفال من إساءة المعاملة داخل الوسط الأسرى، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، مجلد (10)، العدد (1)، جامعه زيان عاشور بالجلفة.

15- هشام دهيم (2010)، نظرية الدور الاجتماعي وتطبيقاتها في المدرسة الثانوية العامة في ضوء بعض المتغيرات المعاصرة، العدد (74)، الجزء الأول، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة.

16- وليد حماده (2010)، سوء معاملة الأبناء وإهمالهم وعلاقته بالتحصيل الدراسي (دراسة ميدانية على طلبه الصف الأول الثانوي العام في مدارس محافظة دمشق الرسمية) المجلد (26) - ملحق، مجلة جامعة دمشق.

17- Amy Morin (2020), How to Recognize, Report, and Manage Child Neglect, https://www.verywellfamily.com/ , Updated on February 09, 2020, 1/7/2020.

18- Carlos Herruzo, Antonio Raya Trenas, María J. Pino and Javier Herruzo (2020), Study of the Differential Consequences of Neglect and Poverty on Adaptive and Maladaptive Behavior in Children, International Journal of Environmental Research and Public Health, 17.

19- Darren L. Chester , Rajive Mathew Jose , Ehab Aldlyami , Helen King , Naiem S. Moiemen (2006), Non-accidental burns in children—Are we neglecting neglect? , Burns , Volume 32, Issue 2 .

20- Howard Dubowitz , Maureen Black , Raymond H. Starr, Jr., Susan Zuravin (1993), A Conceptual Definition of Child Neglect , V.(20), issue (1).

21- James R. Bailey, John H. Yost (2020) ,Role Theory- Foundations, Extensions, and Applications , Aug 3 2020 **,** https://www.encyclopedia.co**m** ,14/7/2020**.**

22- Katherine Marie Mayer: Mother: A Textual Analysis of Contemporary - Mother Identities in Popular Discourse, Master Degree , Marquette University , May 2012.

23- Katarína Cimprichová Gežová (2015), Father's and Mother's Roles and Their Particularities in Raising Children, Acta Technologica Dubnicae, issue 1, volume5.

24- Tony Long , Michael Murphy , Debbie Fallon , Joan Livesey, Patric Devitt, Moira McLoughlin , Alison Cavanagh (2014), Four-year longitudinal impact evaluation of the Action for Children UK Neglect Project(2014)m Outcomes for the children, families, Action for Children, and the UK , Child Abuse & Neglect (38).

25- Ralph H. Turner (2002), Role Theory, Handbook of Sociological Theory, edited by Jonathan H. Turner. Kluwer Academic / Plenum Publishers, New York.

26- https://www.merriam-webster.com/dictionary/neglect. 25 /6/2020.

27- https://www.dictionary.com/browse/neglect . 25 /6/2020 .

فصول في انتهاكات حقوق الإنسان في تونس زمن الاستبداد: المناشير الحكومية وقضية الحجاب

د. عبد العزيز بن عبد النبي، جامعة صفاقس – تونس

ملخص: نتعرض في هذا المبحث إلى مسألة انتهاكات حقوق الإنسان في تونس زمن الاستبداد الذي امتد إلى أكثر من 54 سنة تحت سلطة نظام دكتاتوري تزعماه كل من الرئيسين الحبيب بورقيبة (1956 - 1987) وزين العابدين بن علي (1987 - 2011). ومن فصول هذه الانتهاكات التعدّي على حقوق المرأة في النشاط السياسي والجمعياتي والنقابي وفي حرية اللباس والمعتقد، فقد أعلن نظام الاستبداد في تونس منذ سنة 1981 حربا سياسية وقانونية وأمنية وإدارية ضدّ لباس المرأة المسلمة عرفت بقضية الحجاب أو المنشور 108 والتي تسببت في حدوث مآسي وعذابات وانتهاكات جسيمة في حق المرأة التونسية المحجبة التي أبدت بدورها صمودا وثباتا في وجه هذه السياسات الإقصائية الممنهجة بالتعاون مع مكونات المجتمع المدني قصد التعريف بهذه المظلمة التاريخية وفضح مرتكبيها والداعمين لهم.

الكلمات المفتاحية: حقوق الإنسان، حقوق المرأة، الحجاب، الاستبداد، التعذيب.

Chapters in violating human rights in Tunisia during the time of tyranny: Government saws and the issue of veil (alhijab)

Dr. Abdelaziz ben abdennabi, university Sfax - Tunisia

Abstract: In the pressent research we focus on the matter of violating human rights in Tunisia during the tyranny period, stretching in more than 54 years under the rule of the dictatorial presidents: Habib Bourguiba (1956 - 1987) and Zinelabidine ben Ali (1987 - 2011). Among the acts of the mentioned violation, we notice depassing women’s rights in diverse activities such as politics, asssociations and unions. It included the right of clothing and reigion. Since 1981, the Tunisian dictatorial system has been making political, légal, adminisstrative and sécurity fight against woman’s wearing, which is called Issue of Veil (Alhijab) or act 108. This bill made huge violation and damage for Tunisian veiled woman who resisted and struggled in front of these systematic policies, with the help of civil societies, to show historical unfairness exposing the committers and their supporters.

Keywords: Human rights, Women's rights, The veil, Tyranny, Torture.

مقدمة:

اتسمت سياسة النظام الاستبدادي خلال عهدي الرئيسين الحبيب بورقيبة وزين العابدين بن علي بمفارقات كبيرة في تطبيق الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمرأة التونسية بين نصوص قانونية وتشريعية ضامنة لها وواقع تحكمه سياسة الاضطهاد والانتهاكات الممنهجة ضد النساء المناضلات من أجل أرائهن وأفكارهن ومعتقداتهن، في انتهاك صارخ لمبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته 18 التي نصت على أنه:" لكل شخص حق في حرية الفكر والوجدان والدين ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده، وحريته في إظهار دينه أو معتقده بالتعبد وإقامة الشعائر والممارسة والتعليم، بمفرده أو مع جماعة وأمام الملأ أو على حدة"، وللدستور التونسي الصادر في 1 جوان 1959 في فصله الخامس: "تضمن الجمهورية التونسية الحريات الأساسية وحقوق الإنسان في كونيتها وشموليتها وتكاملها وترابطها... وتضمن حرمة الفرد وحرية المعتقد وتحمي حرية القيام بالشعائر الدينية ما لم تخل بالأمن العام". وكذلك في تجاوز لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة المعتمدة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في 18 ديسمبر 1980 وللقانون عدد 79 المؤرخ في 11 جويلية 1988 الذي صادقت من خلاله البلاد التونسية على اتفاقية الأمم المتحدة لعام 1984 الخاصة بمناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة والتوقيع عليها في 26 أوت 1987 وللإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة المنبثق عن الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1993 الذي عُرف بأنه: "أي فعل عنيف قائم على أساس الجنس ينجم عنه أذى أو معاناة جسمية أو جنسية أو نفسية للمرأة، بما في ذلك التهديد باقتراف مثل هذا الفعل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية".

وفي هذا الإطار تندرج قضية حجاب المرأة في تونس الذي تم توظيفها سياسيا وأيديولوجيا منذ بداية ثمانينات القرن 20 من قبل النظام الحاكم في إطار صراعه السياسي مع التيار الإسلامي.
هذه القضية سرعان ما تحولت إلى أزمة اجتماعية وسياسية وثقافية وقانونية، مع صدور مجموعة من المناشير الحكومية والوزارية المتتالية أهمها منشور عدد 108 لسنة 1981، تبعتها إجراءات إدارية وأمنية لمنع أي لباس نسائي محتشم سواء في الفضاءات الخاصة أو العامة متجاوزة بذلك لمفهوم غطاء الرأس من حجاب أو خمار، بل وشرَّعت لأجهزة الدولة التونسية طيلة 30 سنة ممارسة أبشع أنواع الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان من تعذيب جسدي ومعنوي ونفسي ضدّ المرأة المحجبة ومصادرة جميع حقوقها السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية ونفي عنها صفة المواطنة. ورغم نجاح نظامي الاستبداد في فرض تطبيق هذه السياسات الإقصائية داخل المجتمع التونسي فإنها لاقت منذ إعلانها صمودا ومقاومة نسائية متواصلة، شملت جميع الأصعدة مجتمعيا وإعلاميا وقضائيا عرفت مساندة مطلقة من قبل مجموعات دعم تمثل غالبية مكونات المجتمع المدني التونسي باستثناء بعض الجمعيات النسائية والحقوقية ذات التوجهات العلمانية المتطرفة.

1- قضية الحجاب زمن حكم الحبيب بورقيبة:

انطلقت قضية الحجاب في تونس منذ أواسط سنة 1981 وذلك في إطار حملة القمع والملاحقات التي شنتها أجهزة الدولة ضد حركة الاتجاه الإسلامي ومنتسبيها، حيث أصدر نظام الحبيب بورقيبة مجموعة من المناشير الحكومية المنتهكة للحريات الفردية ولحرية المعتقد واختيار اللباس، مصنفا الحجاب زِيًّا طائفيا ورمزا سياسيا ومتهما حركة الاتجاه الإسلامي بتوظيفه للدلالة عن رؤيتها الفكرية والسياسية. كما اعتبر النساء المنتميات لهذا التيار السياسي فكريا أو تنظيميا، قد عبّرن عن أنفسهن مجتمعيا وسياسيا من خلال ارتدائهن للحجاب الإسلامي وأنه لا يمكن إدراجه مطلقا ضمن دائرة حرية ممارسة المعتقد واختيار اللباس بل يعتبر خروجا عن تقاليد اللباس التونسي وعن روح العصر والتطور السليم ومبادئ التحرر التي أُرسيَّت منذ الاستقلال، هذا التوظيف السياسي والأيديولوجي للباس المرأة خلق انقساما مجتمعيا حادا وشرَّع لانتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان ولحقوق المرأة.

- المنشور عدد 22 المؤرخ في 17 سبتمبر 1981: أصدره الوزير الأول محمد مزالي متوجها به إلى كافة الوزراء وكتاب الدولة المتعلق بـ "مظهر الأعوان بالإدارة والمؤسسات العمومية" نبه فيه حسب زعمه إلى ما اعتبره بروزا "لظاهرة الخروج عن تقاليدنا الهندامية المتعارفة لدى العموم" خصوصا لدى النساء العاملات ببروزهن "بلحاف يكاد يكتسي صبغة الزّي الطائفي المنافي لروح العصر وسنة التطور السليم بل والتعبير من خلال ذلك عن سلوك شاذ"(وزارة التربية القومية، 1981)، مشددا في الآن نفسه على تنفيذ أشد العقوبات الإدارية ضد كل مخالف لهذه القرارات.

- المنشور عدد 108 بتاريخ 18 سبتمبر 1981: أصدره وزير التربية القومية محمد فرج الشاذلي بعد مرور يوم واحد فقط من صدور منشور الوزير الأول عنوانه "هندام التلميذ" وهو المنشور الأوسع صدى والأكثر جدلا، باعتبار شموليته للعدد الأكبر من النساء والفتيات التونسيات وهن التلميذات والطالبات والعاملات داخل المؤسسات التربوية والتعليمية، متضمنا رسوما تفصيلية تبين الفرق بين ما أُصطلح عليها بالأزياء النسائية الطائفية المحظورة وبين الأزياء النسائية المسموح بارتدائها: "لوحظ أخيرا أن بعض التلميذات والتلاميذ خرق هذه التراتيب فيأتون إلى المعاهد في هندام يتضارب وأبسط قواعد اللياقة والذوق السليم... ولئن ادعى هذا الزّي لنفسه الاحتشام "الفستان الطويل والميدعة الفضفاضة" فإنه يرمز لا محالة إلى ضرب من الشذوذ!! والانتساب إلى مظهر متطرف هدام... وتبعا لذلك وحفاظا على سمعة معاهدنا وأبنائنا فإنني أهيب بجميع رؤساء المعاهد ورئيساتها أن يحرصوا على تطبيق التراتيب المشار إليها بما ينبغي من الجدّ والحزم وأن لا يقبلوا من يتعمد مخالفتها. وحرصا من الحكومة على تنفيذ هذه التعليمات الواردة بالمنشور قام رؤساء المعاهد الثانوية بالتراب التونسي كله بتوجيه تنبيه إلى الفتيات الطالبات يحظر عليهن اللباس الشرعي"(وزارة التربية القومية، 1981).

صورة رقم 1: الرسومات التفصيلية للأزياء النسائية حسب المنشور عدد 108



المصدر: وزارة التربية القومية، 1981 / جريدة الصباح، 23/ 10/ 1981.

- المنشور عدد 102 لسنة 1986 الصادر عن وزير التربية القومية عمر الشاذلي.
- المنشور عدد 81 الصادر عن وزير الداخلية زين العابدين بن علي بتاريخ 23 أكتوبر 1986.
- المنشور عدد 76 الصادر عن وزير الدولة المكلف بالتربية والتعليم والبحث العلمي محمد الصياح بتاريخ 7 سبتمبر 1987 الذي شدّد فيه الدعوة: "إلى مطالبة الموظفين من الجنسين سواء

أكانوا مدرسيين أو إداريين بعدم الظهور بالزّي الطائفي الذي لا يتماشى مع تقاليدنا" (وزارة التربية والتعليم والبحث العلمي، 1987).

لقد حرصت السلطات التونسية، رغم الرفض المجتمعي التام لهذه المناشير وخصوصا المنشور 108، على مواصلة تطبيقها بشكل صارم وتنفيذ انتهاكات جسيمة في حق الكثير من النساء التونسيات شملت الإيقافات التعسفية والعنف اللفظي والعنف المادي والجسدي والجنسي وانتهاك الحق في الدراسة والصحة والمنع من العمل والارتزاق وهو ما نتبينه من خلال شهادات بعض النساء المُنتهكات:

- "وقع الانتهاك سنة 1987، تعرضت لمعاملة سيئة، نزعوا حجابي وضُربت على وجهي وبقيت في الحجز يوما كاملا. شتم وسبّ وكلام بذيء ثم هدّدني وتوعدني بالسجن إن ارتديت الحجاب مرة ثانية". (شهادة ش. م، 2012).

- "ذات يوم من سنة 1987 ولم يتجاوز عمري حينها 18 سنة، توقفت سيارة الشرطة واقتادني العون بالقوة إلى مركز الأمن، أدخلني أحد المكاتب ونزع حجابي بوحشية مقتلعا معه بعضا من شعري وألقاه أرضا ثم تبوّل فوق الحجاب وأرغمني على وضعه فوق رأسي. بقيت بعد ذلك محتجزة يومين دون أكل وشرب". (شهادة ر.ع، 2019) .

- "وقع طردي من المعهد سنة 1988 بسبب ارتداء الحجاب. عدت للدراسة لاحقا وتحصلت على شهادة في الإعلامية، حاولت الحصول على عمل لكن دائما يرفض مطلب انتدابي بسبب الحجاب، ثم أُعتُقِلْتُ ثلاثة مرات" (شهادة س. م، 2013).

جدول عدد1: قائمة في بعض النساء المنتهكات بسبب المناشير الحكومية 1981- 2010.

سامية السماتي	آمال القابسي	نجاة نجاحي	راضية العويديدي
حميدة أحمد	آمال عجنقي	حليمة الفرشيشي	لطيفة المصمودي
لمياء الرقيق	زهيدة قيدارة	روضة قيدارة	لمياء التريكي
حميدة بالسعد	نور الهدى	يمينة الزغلامي	حياة الماجري
لمياء البجاوي	زينة	منيرة بن علي	ليلى الذوادي
عواطف الشرفي	نادية حفظلاوي	منية الحاجي	لمياء التميمي
زينب بوملاسة	مروة بوشيبة	هناء العابد	جهاد المبروك
تسنيم الطرابلسي	حنان الكوكي	هدى الأسمر	تقوى بن عمار
وئام بن عثمان	عبير لسود	إشراق الحمامي	مريم والي
حنان شعبان	فنون بكار	إيناس الجلولي	يسرى القلال
سلمى غزيل	فيروز ذياب	آمال بن رحومة	إسلام شلادية
خولة الخضري	نجلاء بن عثمان	نورس الجازي	مروى هاشم
سارة الجميعي	شيماء الجلاصي	خولة تبان	رانية الورتاني
سلمى عبد الحميد	تقوى حسني	حنان بنورية	سيرين سالمي
جهاد الحاج مصباح	خولة عبد الله	زينب بوبكر	شيماء دوكار
آمنة عبد الحميد	منية الخماسي	مريم قبلاوي	مروى سعدي

آمال النعيمي	عفيفة بوزيري	حميدة العجنقي	بسمة شاكر
سناء غرسلي	شيماء بن فاطمة	مريم القلاعي	هاجر بن محمد
آمال الرباعي	سهام الخياري	نبيهة النجار	زهرة الصولي
مبروكة بالحولة	منية مزيد	سعيدة عدالي	نور
حنان الدريدي	ريم الدريدي	إسلام شلادية	سندس الرياحي
رحمة البجاوي	إيناس بوعلي	غادة طنبان	رانية اللواتي
عفيفة الجلاصي	أمينة الجلاصي	خديجة الجلاصي	محرزية بن العابد
مهى الكشو	أميرة اللحياني	منية القمري	هاجر الشاوي
فضيلة الورشفاني	راضية البوزيدي	منية البوزيدي	فاطمة كمون
خيرة بن جويرة	منية الخراط	سميرة المعلاوي	زهرة الطياري
لمياء شقرون	لبنى القشوري	سامية بن تومية	إيناس الجنفاوي
قدس القلاعي	راضية العمري	عائشة شقرون	فضيلة الورشماني
ابتسام القبنطيني	روضة بن عطية	آمال البرهومي	بسمة البلعي

المصدر: جمعية مناضلات تحدين القضبان، جمعية تونسيات، لجنة الدفاع عن المحجبات.

2- قضية الحجاب زمن حكم زين العابدين بن علي

وفي إطار حملاتها المنظمة والممنهجة لاستهداف النساء الناشطات أو زوجات المعارضين أو بناتهم وحربها ضد كل مظاهر التدين الإسلامي والالتزام الأخلاقي والتربوي، أصدرت سلطات نظام زين العابدين بن علي تحجيرا على دخول النساء والفتيات المحجبات أو الحاملات لغطاء الرأس إلى كافة المنشآت العمومية ومنع تجوالهن في الشوارع تطبيقا لما ورد في المناشير الإدارية سالفة الذكر التي تم تدعيمها بمناشير إدارية جديدة:

- المنشور عدد 56 لسنة 1991 والمنشور عدد 8 لسنة 1992 والمنشور عدد 35 الصادر عن وزير التربية منصر الرويسي بتاريخ 20 جويلية 2001.

- المنشور عدد 70 الصادر عن وزير التعليم العالي والبحث العلمي الصادق شعبان في 27 ديسمبر 2002، الذي حرص فيها على "إعطاء التعليمات اللازمة لكل مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي ومراكز البحث العلمي والمبيتات الجامعية وكل المؤسسات الأخرى الراجعة بالنظر" بمنع دخول الطالبات المحجبات إلى كافة مؤسسات التعليم العالي. (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2002)

- وأخيرا المنشور عدد 98 الصادر عن وزير الصحة الحبيب مبارك بتاريخ 22 أكتوبر 2003.

ويعتبر زمن بن علي الأكثر دموية وانتهاكا لحقوق المرأة المحجبة بل وكتعبير عن تحول الحجاب إلى "كابوس" يهدد استقرار النظام، قامت الأجهزة الأمنية سنة 2003 بمداهمة الأسواق الأسبوعية والمحلات التجارية وحجز جميع الألبسة والأزياء النسائية المحتشمة وحرصها على التحري في مصدرها وملاحقة المسؤولين على توريدها وتوزيعها (وزارة الداخلية، 2003)، لتبلغ "فوبيا الحجاب" ذروتها سنة 2006، حيث وصل الأمر بأجهزة النظام إلى مصادرة دُمية محجبة أطلق عليها اسم "فُلَّة" مشابهة للدمية الشهيرة Barbie من كافة الأسواق وإجراء رقابة

على الأدوات المدرسية الحاملة لعلامة "فُلّة" من جميع المكتبات التونسية بدعوى تأثيرها السلبي على الأطفال ودعوتهم للتشدّد (وزارة الداخلية، 2008). وقد أعلنت رموز النظام الحاكم آنذاك رفضها التام لمظاهر التديّن الإسلامي ولارتداء الحجاب الذي اعتبروه رمزا للطائفية والعبودية والتخلف والرجعية ونفي صلته بالدين الإسلامي وبهوية المجتمع التونسي العربية الإسلامية، مخيرين النساء بين ارتداء الحجاب والبقاء في المنزل أو نزعه والسماح لهن بالاندماج المجتمعي والمهني حيث صرح وزير الشؤون الدينية أبوبكر الأخزوري بأن: "الحجاب دخيل، ونسميه بالزّي الطائفي، باعتبار أنه يُخرِجُ من تَرْتَدِيه عن الوتيرة، فهو نشاز وغير مألوف، ولا نرضى بالطائفية عندنا" (جريدة الصباح، 2005)، وهو ما أكده الهادي مهني الأمين العام الأسبق لحزب التجمع الدستوري الديمقراطي المنحل:"إن الحجاب لا يمت للإسلام بصلة ولا علاقة له بهوية البلاد وأصالتها... إذا قبلنا اليوم الحجاب فقد نقبل غدا أن تحرم المرأة من حقها في العمل والتصويت وأن تمنع من الدراسة وأن تكون فقط أداة للتناسل والقيام بالأعمال المنزلية فذلك سيعيق تقدمنا فنتراجع إلى الوراء وننال من أحد المقومات الأساسية التي يقوم عليها استقرار المجتمع وتقدم الشعب ومناعة البلاد" (وكالة الأنباء الفرنسية، 2006)، ليصل الجدل حول العودة القوية للحجاب في الشارع التونسي، ذروته سنة 2006 ما دفع رئيس الدولة الأسبق إلى المناورة السياسية ومحاولة احتواء حالة التذمّر والتململ في صفوف الكثير من التونسيين ونشطاء حقوق الإنسان وطنيا ودوليا بالدعوة الصورية لتكريس قيمة الاحتشام وفضيلة الحياء في اللباس رافضا في الآن نفسه ما أسماه الزّي الطائفي الدخيل: "إن تونس المتمسكة على الدوام بإسلامها الحنيف حريصة على تكريس قيمة الاحتشام وفضيلة الحياء.. إنه من الضروري تفاديا لكل تذمر التفريق بين الزّي الطائفي الدخيل واللباس التونسي الأصيل عنوان الهوية الوطنية" (وكالة رويترز، 2006).

لقد تعرضت الآلاف من النساء والفتيات المحجبات باستمرار إلى حملات اضطهاد وتنكيل واعتداء على حقهن في اللباس والمظهر وتمت ملاحقتهن في المؤسسات العمومية والشوارع والأماكن العامة وداخل وسائل النقل ليُعنّفْن جسديا وتُمزّق ثيابهن ويُنزعُ حجابهن بالقوة ثم يتم اقتيادهن إلى مراكز الأمن وإجبارهن على إمضاء التزام بخلعه أو يعرضن أنفسهن للتعذيب والانتهاك الجنسي وهو ما أبرزته بيانات منظمات المجتمع المدني على غرار لجنة الدفاع عن المحجبات بتونس والشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان ومنظمة حرية وإنصاف إضافة لما أورده تقرير صادر بتاريخ 21 مارس 2009 عن الإدارة العامة للأمن العمومي بوزارة الداخلية في شأن ضبط فتاة محجبة بالقول: "تم يوم 18/ 03/ 2009 ضبط فتاة متحجبة والتي اتضح وأنها تدعى روضة بن عطية أصيلة مدينة سليانة وقاطنة ببني خيار والتي بالتحري معها اتضح وأنها تقوم بواجباتها الدينية بصفة منتظمة وقد تم التنبيه عليها بضرورة التخلي عن ارتداء الزّي الطائفي وأبدت استعدادها لذلك" (وزارة الداخلية، 2009). كما تبرز إحدى النساء المتضررات هذه الانتهاكات بالقول: "أرادوا تعريتي، أسمعوني كلاما فاحشا واتهمني عون أمن بالفساد الأخلاقي معتبرا الحجاب مجرد لباس للتستر، ثم سألني كيف تم انتدابك رئيسة لقسم بأحد النزل

السياحية وأنت مرتدية للحجاب؟ ثم ألزمني بالتوقيع على عدم ارتدائه ثانية" (شهادة ش. م 2012).

وقد تعمدت الأجهزة الأمنية والإدارية والتربوية إخراج التلميذات والطالبات المحجبات عنوة من داخل المعاهد وقاعات الدرس ومنعهن من إجراء الامتحانات وإحالة العديد منهن على مجلس التأديب في انتهاك صارخ لحقوقهن في التمدّرس والتعلُّم (هيئة الحقيقة والكرامة، 2018، ص 15)، فعلى سبيل الذكر لا الحصر خلال العام الدراسي 2002 – 2003 تمّت إحالة 5 طالبات على مجلس التأديب بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس وإحالة 3 طالبات أخريات بكل من المدرسة العليا للتجارة بتونس والمعهد الوطني للعلوم التطبيقية والتكنولوجية بتونس لرفضهن نزع الحجاب داخل الجامعة (المجلس الوطني للحريات، 2003)، كما عمدت إدارة معهد القنال الثانوي بمدينة بنزرت إلى منع 38 تلميذة من اجتياز امتحانات الثلاثي الثالث بسبب ارتدائهن للحجاب، وبتاريخ 4 جانفي 2008 أقدم الكاتب العام للمدرسة العليا للتكنولوجيا والإعلامية بالشرقية على مصادرة بطاقات الطالب لـ25 طالبة محجبة ومنعهن من اجتياز الامتحانات (لجنة الدفاع عن المحجبات بتونس، 2002). وهو ما تؤكده إحدى الطالبات المتضررات: "وقع إيقافي ومطاردتي من قبل الأمن الجامعي أثناء دخولي لاجتياز الامتحان بعد أن طلب مني الاستظهار ببطاقة التعريف الوطنية، دخلت قاعة الامتحان ووقع محاصرة الممرّات وعند انتهاء الحصّة المخصّصة للامتحان تم اقتحام قاعة الامتحان وحملي عنوة في مرحلة أولى للأمن الجامعي ثم وقع تسليمي لمركز الأمن لتبدأ سلسلة الانتهاكات بانتزاع الحجاب والكلام البذيء" (الفجر نيوز، 2008).

وتجدر الإشارة إلى أن عمليات الاضطهاد والهرسلة الأمنية لم تقتصر على النساء المحجبات العاديات أو المنتميات للتيار الإسلامي فقط ومن يقدم لهن المساعدة المادية والمعنوية، بل طالت الناشطات في صلب الحزب الحاكم التجمع الدستوري الديمقراطي، أورده أحد تقارير الوشاية والمتابعة الخاص بالمحاميات المحجبات تحت عنوان: "المحاميات المرتديات للزي الطائفي المنخرطات بمنتديات المحامين التجمعيين" (هيئة الحقيقة والكرامة، 2018، ص19). وتأكيدا لهذه الانتهاكات الممنهجة والتعسفية تجاه النساء والفتيات المحجبات تصف بعض النساء ضحايا المنشور 108 والمناشير اللاحقة له، الممارسات القمعية لأعوان الأمن والسجون ضدّهن مبرزات مدى نقمتهم وكرههم للحجاب واستهدافهن بالإذلال والتنكيل:

*انتهاكات أعوان الأمن:

- "أعوان الأمن لا يحترمون خصوصيتي، منذ البداية نزعوا حجابي وتعرضت للضرب على وجهي ثم بالفلقة.. يقولون لي: ترتدين الحجاب وتتظاهرين بأداء الصلاة؟ ورغم ذلك كان بحوزتي قميص أضعه على رأسي وأصلي.. وعند دخولي مركز الشرطة اعترضني عون أمن يتفوه بكلام فاحش وصاح في وجهي: إنك تستفزينني بهذا الخمار، الآن تنزعيه وترميه في المرحاض. ولما رفضت ذلك نزع حجابي بقوة ورماه في المرحاض". (شهادة ش. م، 2012.)

- "نزع حجابي بقوة وقام بخنقي ثم قال لي: يكفي أنّك ترتدين حجابا لكي تتهمين بالانتماء وما دمت ترفضين نزعه سأنزعه لك بالقوة.. أثناء المراقبة الإدارية كنت أذهب إلى مركز الشرطة

مرتدية حجابي فيجبرني عون الأمن على نزعه ويهددني بالاعتقال إن ارتديته مرة ثانية، فاضطررت إلى ارتداء "السفساري" (العباءة) في فصل الصيف والطقس حار جدا وأنا مجبرة على التوقيع اليومي في الساعة الواحدة بعد منتصف النهار، لكن رغم ذلك تضاعفت مضايقات أعوان الأمن واتخذت منحى التحرش اللفظي والجنسي ولا يتركونني أوقع على ملف الحضور ومغادرة مركز الشرطة إلا بعد نزع "السفساري" ورؤيتهم لملابسي". (هيئة الحقيقة والكرامة، 2018، ص 20).

*انتهاكات أعوان السجون:

- "أنا لم أفعل شيئا يستحق معاقبتي عليه بالسجن، فقط لأني لبست خمارا وأُصَلِي. عَنَفُوني كثيرا ويترصدون خطأ واحدا لكي يدخلونني الحبس الانفرادي أو يعاقبونني بطريقة أخرى. كانوا يراقبوننا ويحرضون ضدّنا سجينات الحق العام، فأثناء صلاتنا تجدهم يتفوهون بكلام بذيء ويشتمون الذات الإلهية.. السبب الذي جعلهم ينتهكون حقوقي داخل السجن هما الحجاب والصلاة، حقا لا علم لي بوجود انتهاك بأتم معنى الكلمة لحريّة الشخص بسبب علاقته بربه وأنه سيحاسب من أجلها" (مقابلة مع م.ع، 2013).

- "حدث كم مرة وأنه بعد الجهد المضني في الصف يشترط الحارس على زوجتي أن تعري رأسها إن هي أرادت أن تراني فترفض فتطرد وهو ما وقع للوالدة رحمها الله امرأة في 75 من عمرها يصيح في وجهها الحارس ويطردها لأنها رفضت تعرية رأسها، مرضت المسكينة وفقدت جزء من الذاكرة" (المنصف بن سالم، 2013).

3- المقاومة النسائية للمناشير الحكومية

لاقت المناشير الحكومية سالفة الذكر المنتهكة لحرية اللباس والمعتقد والمانعة للحجاب وتحديدا المنشور 108، رفضا تاما من قبل حزب الاتجاه الإسلامي، حركة النهضة لاحقا، (حزب حركة النهضة، 1981) (جريدة الرأي، 1985)، ومن قبل أطياف واسعة من المجتمع التونسي خصوصا النساء المحجبات والمتعاطفات معهن اللاتي اعتبرن الحجاب رمزا وهوية وجزء من كيانهن بالقول: "أُجبرنا على نزع الحجاب. لا يمكنك أن تتخيل ما أحسست به أنا وأحسّت به كل أنثى حينها. لقد انتزعوا عنا جلدتنا. مزيج من الألم والهوان وغياب الحماية، الإحساس القاتل بالعار، كأنما تخلع عنك ثيابك كلها أمام الجميع في رابعة النهار، تتخيل العيون كلها تنهشك. لم يكن الحجاب مجرد قطعة قماش توضع فوق الرؤوس، الحجاب ليس ثوبا فالثياب شيء خارج عن الذات، الحجاب عند صاحباته -عندي وعند من أعرف حينها- رمز، جزء من الذات. يمكن لأي منا أن يحيا بيد واحدة سيتألم أياما ثم يتعود دون أن تتغير شخصيته. الخمار ليس ثوبا وليس عضوا من البدن، هو هوية. كيف يهون نزعه وإلقاؤه في ذلك الركن المهمل من الخزانة؟ آلاف النساء عشن التمزق والصراع، كنّا بين خيارين: مواصلة التعلّم أو التخلي عن الحجاب" (عبد الحميد الجلاصي، 2013). وقد نُظّمت مباشرة بعد إصدار المنشورين عدد 22 وعدد 108 بحوالي 20 يوما، مسيرة جابت شوارع مدينة بنزرت يوم 5 أكتوبر 1981 تلتها إضرابات داخل العديد من المؤسسات التعليمية مطالبة بإلغائهما، كما توجهت مجموعة من الفتيات والنساء المحجبات برسالة مفتوحة إلى مفتي الجمهورية بتاريخ 31 أوت 1982 يَسْتَفتَيْنَه حول حدود لباس

المرأة المسلمة وشروطه بعيدا عن الرأي السياسي ويناشدنه التدخل لوقف هذا التعدي الصارخ على العقيدة الإسلامية وانتهاك حقوق الإنسان وحرية اللباس والمعتقد (حزب حركة النهضة، 1982).

ورغم صرامة هذه الإجراءات التعسفية التي أقرتها الحكومة التونسية، إثر تصنيفها الحجاب أيديولوجية سياسية بما شرّع لأجهزة الدولة لممارسة الانتهاكات الجسيمة ضد المحجبات خصوصا زمن حكم زين العابدين بن علي، فإن الكثير من النساء والفتيات المحجبات قاومن هذه القرارات وخاصة الطالبات برفضهن نزع الحجاب أو تغيير لباسهن المحتشم معرضات أنفسهن للملاحقة الأمنية والاعتقال والسجن والطرد التعسفي من العمل والمنع من الدراسة والارتزاق، معتبرات ذلك بمثابة إعلان حرب ضد الدين الإسلامي من قبل أطراف علمانية سيطرت على مراكز القرار داخل السلطة، وانتهاك لحريتهن وعاداتهن في اللباس التزامهن الديني والأخلاقي: "الحملة ضد المحجبات تهدف إلى القضاء على الإسلام ومحاربته من خلال ترهيب الناس وإجبارهم على تطبيق قوانين لا إنسانية، هذه حملة تطهير لم نقترف أي ذنب حتى تمنعنا وزارة التعليم من دخول الامتحانات، ليس لنا أي علاقة بالسياسة، أنا من عائلة لم تمارس أي نوع من الحزبية في تاريخها، أنا فقط أمارس ما أعتقد أنه لباس شرعي، وهذا من حقي الذي يضمنه الدستور التونسي، هذه الحملة اللاإنسانية ستكون فاشلة لأن السلطة لا تستطيع منع آلاف التونسيات من ارتداء الحجاب وإذا تواصلت هذه الحملة فستظهر وكأنها محاربة للدين الإسلامي، وهو ما سيكون له انعكاسات خطيرة" (الفجر نيوز، 2008). وتضيف الطالبة (م) قولها: "هذه الإجراءات ضد المحجبات خلال فترة الامتحانات ليست اعتباطية أو صدفة، إنها خطة من بعض الحاقدين ضد الطالبات الملتزمات وأصابع الاتهام موجهة إلى أطراف علمانية داخل السلطة تسعى لمحاربة مظاهر التدين... منذ سنوات قليلة أصبح الحجاب ظاهرة ملموسة في الشارع التونسي مثل كل مظاهر التدين الأخرى، كما امتلأت المساجد بالشباب وهذه المظاهر تثير لدى البعض الحقد والكراهية لما اعتقدوا أنهم جففوا ينابيعه وهم يحاولون الآن استغلال الظرف العالمي والمحاولات الدولية للخلط بين الإسلام والإرهاب، ولكنهم بإذن الله سيفشلون" (الفجر نيوز، 2008). وقد شهدت سنة 2003 تحركات احتجاجية عديدة قادها طلبة وناشطون في المجتمع المدني ضدّ المنشور عدد 70 الصادر عن وزير التعليم العالي والبحث العلمي الصادق شعبان في 27 ديسمبر 2002 ومساندة لحقوق الطالبة المحجبة، فعلى سبيل الذكر قامت عشرات الطالبات غير المحجبات بكلية العلوم ببنزرت بحركة احتجاجية رمزية بارتدائهن الحجاب تضامنا مع زميلاتهن المحجبات المحالات على مجلس التأديب بتاريخ 19 ماي 2003. كما رفض طلبة معهد الصحافة وعلوم الأخبار الدخول لقاعات الامتحان إلا بعد السماح للطالبات المحجبات بإجراء امتحانهن. أما المعهد الأعلى للدراسات التكنولوجية بأريانة فقد شهد إضراب نحو ألفي طالب وطالبة لمدة يومين 18 و19 ماي 2003 احتجاجا على طرد الطالبات المحجبات من المبيت الجامعي (الفجر نيوز، 2008).

وتفيد إحدى المناضلات السجينات أن هذه المقاومة النسائية قد تواصلت داخل معتقلاتهن أين رفضن الالتزام بتطبيق القانون الداخلي للسجن بنزع حجابهن أو حتى مجرد تعرية رؤوسهن أثناء

خروجهن لمقابلة زوارهن، ليُصعّدن من نضالهن بخوضهن لإضرابات جوع مما أجبر إدارة السجن على التراجع عن قرارها: "قمنا بإضراب جوع داخل السجن وأجبرنا إدارة السجن بالسماح لنا بإدخال المصحف إلى الزنزانات. في البداية سمحوا لنا بارتداء الحجاب وقراءة القرآن ثم صدر قرار بسحب المصاحف ونزع الحجاب ومنعه داخل الغرف، قمنا بإضراب جوع فتم توزيعنا بين الغرف لكننا أصرينا على موقفنا ورفضنا الخروج لأي سبب كان إلا بالحجاب. وجدنا تعاطفا من بعض سجينات الحق العام اللاتي أعطيننا أغطية للرأس لتأدية الصلاة.. رفضنا الخروج أثناء زيارة الأهالي إلا بارتداء "السفساري" (العباءة)، أصيبت أمي بوعكة صحية لأني رفضت مقابلتها مكشوفة الرأس، وعندما طال زمن الإضراب وتأكدوا من ثبات موقفنا سمحوا لنا بارتداء "السفساري" (العباءة) وإدخال المصاحف.. كان نصرا عظيما" (مقابلة مع م.ع، 2013).

ولم تكتف المقاومة النسائية للأحكام الواردة بالمنشورين عدد 22 وعدد 108 والمناشير التي تلتهما، بتنظيم المسيرات والاحتجاجات والإضرابات الإدارية بل اتجهت النساء المنتهكات إلى القضاء الإداري لإبطال القرارات الإدارية التعسفية الصادرة ضدّهن والتي تم بموجبها عزلهن عن العمل أو انتهاك حقهن في التعلّم أو رفض انتدابهن بسبب ارتدائهن للحجاب، وبدراسة أغلب الأحكام الصادرة عن القضاء الإداري في دوائره الابتدائية والاستئنافية يتبيّن لنا أن فقه قضاء المحكمة الإدارية قد استقر رأيه على إلغاء وإبطال القرارات الإدارية الصادرة تطبيقا للمناشير سالفة الذكر باعتبار صدورها عن سلط غير مختصة باتخاذها وعدم ثبوت الوقائع (المحكمة الإدارية، 2001- 2003- 2005- 2010- 2012) باستثناء الحكم الصادر بتاريخ 18 جوان 1986 والذي تم بموجبه رفض الدعوى المقدمة من قبل المُدّعية "س.ش" ضد وزير التربية القومية (المحكمة الإدارية، 1986).

أما بخصوص ادعاء إدارة المعهد بارتداء إحدى منظوريها لزّي يكتسي الصبغة الطائفية بما استوجب إحالتها على مجلس التأديب وإصدار قرار عزل أو طرد في حقها، فقد اعتبرت المحكمة الإدارية هذه الادعاءات غير ثابتة وتم دحضها بمجرد ادعاء المتضررة بأن الزّي الذي ترتديه لا يكتسي الصبغة الطائفية ولا يعبّر عن انتماء سياسي بقدر ما يعبّر عن رغبة منها في ارتداء لباس محتشم وهو ما ينطبق على "التقريطة التونسية" (المحكمة الإدارية، 2001- 2003- 2005- 2010- 2012): "إن عبء إثبات الأفعال التي تمثّل السند الواقعي للقرار التأديبي محمول على الإدارة التي يتوجب عليها إحضار وسائل الإثبات الكافية التي تقيم الحجة على صحة تلك الأفعال وثبوت ارتكابها في جانب الموّظف المتتبع تأديبيا" (المحكمة الإدارية، 2001)، "وحيث بالتثبت في أوراق الملف يتبيّن أن الإدارة لم توفق في إثبات أن ما ترتديه المستأنف ضدها يعد من قبيل "الزّي الطائفي" ويتنافى مع ما تفرضه طبيعة عملها خاصة وأن هذه الأخيرة أكدت أنها ترتدي "التقريطة التونسية" وأنها لبّت رغبة الإدارة وهو ما لم تدحضه الإدارة بالحجة المعاكسة" (الحكمة الإدارية، 2005).

كما حضيت قضايا طرد التلميذات من المعاهد ومنعهن من مواصلة دراستهن بسبب الحجاب أو غطاء الرأس، بصدور أحكام إيجابية عن المحكمة الإدارية تبيّن تعسف إدارة المعاهد في تأويل القانون الإداري وتطبيقه، فنجد على سبيل الذكر حالة التلميذة (ه) التي منعت في مفتتح السنة

الدراسية 2006 - 2007 من دخول المعهد ومواصلة دراستها وتمت مطالبتها بخلع الحجاب، وقد استجابت التلميذة للتعليمات الإدارية وارتدت "فولارة تونسية" غير أن المدير المعهد أصر على منعها من الدخول ما لم يكشف رأسها واعتبار ذلك لباسا غير مألوف مدعيّا كذبا أن الفتاة انقطعت عن الدراسة بصفة تلقائية ودون مبرر رغم توجيه إدارة المعهد رسالتي إعلام وتنبيه بالغياب إلى والدها (المحكمة الإدارية، 2010). هذه الإدعاءات الكاذبة تم تفنيدها من قبل المحكمة الإدارية في طوريها الابتدائي والاستئنافي وتحميل إدارة المعهد في شخص مديرها المسؤولية الكاملة في الضرر اللاحق بالتلميذة: "وحيث أن الفولارة التونسية التي كانت ترتديها... عند دخولها إلى المعهد تعدّ لباسا تونسيا مألوفا لا يتعارض مع نواميس المؤسسات التربوية ولا ينال من حيادها كما أنه لا يعكس مغالاة أي كان اتجاهها من شأنها أن توحي بصورة بارزة انتماء طائفيا أو دينيا أو سياسيا أو عرقيا أو غير ذلك، بل هو لباس من التقاليد التونسية الذي يسمح للتلميذة بكشف الوجه... وثبت من أوراق الملف أن انقطاع... عن الدراسة كان بقرار من مدير المعهد ولم يكن تلقائيا ودون سابق إعلام أو مبرر شرعي على نحو ما تمسكت به جهة الإدارة" (المحكمة الإدارية 2010- 2012).

لقد كان للمحكمة الإدارية أيضا رأي في مسألة دستورية هذه المناشير الوزارية التي تمنع ارتداء "اللّباس الطائفي" في الإدارات والمؤسسات التربوية من بينها المنشور عدد 108 المؤرخ في 18 سبتمبر 1981 والمنشور عدد 102 الصادر في 29 أكتوبر 1986 والخاص بمظهر المدرسين والأعوان الإداريين والتلاميذ، حيث اعتبرت الدائرة الابتدائية الخامسة بالمحكمة الإدارية - في خطوة غير مسبوقة في تاريخ القضاء التونسي- أن هذا المنشور الأخير مخالف للدستور ويمثل تهديدا للحقوق والحريات الفردية مؤكدة أنه جاء: "مستنكرا نوعا من الهندام دون تحديده، الأمر الذي يقوم مقام التدخل في مجال الحريات الفردية نظرا لما يتميّز به اللّباس من تعبير عن الانتماء الحضاري والديني والفكري وما يعكسه من ميولات شخصية... كما تضمن المنشور المذكور قاعدة جديدة تتعلّق بالهندام وردت في صيغة مبهمة لم يسبق التعرّض إليها بنص تشريعي يضبط، في كنف احترام المقتضيات الدستورية المشار إليها أعلاه، ما يمكن اعتباره تطرفا في الهندام، الأمر الذي يفتح للإدارة سلطة تقديرية غير محدودة في تطبيق ذلك المنشور مما ينتج عنه تهديد للحريات الأساسية ومنها حرية المعتقد المضمونة دستوريا واستعماله مطية للتضييق من الحقوق والحريات الفردية وحيث يكون ذلك المنشور بناء على ما سبق عرضه مخالفا للدستور" (المحكمة الإدارية، 2006)، مُذكّرة بمقتضيات الفصل السابع من دستور 1جوان 1959: "يتمتع المواطن بحقوقه كاملة بالطرق والشروط المبينة بالقانون، ولا يُحَدُّ من هذه الحقوق إلا بقانون يُتخذ لاحترام حقوق الغير ولصالح الأمن العام والدفاع الوطني ولازدهار الاقتصاد وللنهوض الاجتماعي" (الدستور التونسي، 1959).

إلا أن هذا الحكم الصادر بتاريخ 9 ديسمبر 2006 برئاسة القاضية سامية البكري، دفاعا عن حقوق المرأة المحجبة والذي يعتبر تحديا لغطرسة واستبداد نظام زين العابدين بن علي، قد تم التراجع عنه خلال الشهر الأول من ثورة الحرية والكرامة بتاريخ 28 جانفي 2011 بصدور حكم عن الدائرة الاستئنافية الخامسة، التي اعتبرت أن المنشور عدد 102 لسنة 1986 يُعدّ شرعيا

وغير مخالف للدستور استنادا إلى الحكم الابتدائي الصادر عن المحكمة الإدارية في القضية عدد 1/10629 بتاريخ 24 جانفي 2008 والتي قضت برفض الطعن في دستورية المنشور الأخير واعتبار أن "ما جاء من تعليمات بالمنشور ومنعه "اللباس الطائفي" يدخل في إطار واجب التحفظ وخصوصية الوظيفة المناطة بعهدة الأعوان المدرسين وما يستوجبه تحقيق أهداف النظام التربوي والتعليمي" (المحكمة الإدارية، 2011). وبالنظر في قرار التراجع وما تضمنه من تأويلات قانونية ومبررات تُشرع لانتهاك حقوق الإنسان وحقوق النساء المحجبات إضافة إلى تاريخ إقراره وصدوره - وهي فترة تاريخية تحرَّر خلالها القضاء التونسي بفضل الثورة التونسية 17 ديسمبر 2010 – 14 جانفي 2011 من جميع الضغوطات التي كانت تفرض عليه زمن الاستبداد- يطرح لدينا التساؤل عن مدى حيادية المحكمة حيث يمكن أن نستنتج تبني القاضي لتوجهات فكرية وأيديولوجية رافضة للحجاب واعتباره زيا "طائفيا" وخروجا عن المألوف، في انتهاك صارخ لحرية اللباس والمعتقد بما يشكل تهديدا وتضييقا في مجال الحريات الفردية والأساسية التي يضمنها الدستور التونسي والمواثيق والمعاهدات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان وحقوق المرأة، كما اعتبرت المحكمة هذا اللباس مصلحة خاصة تتعارض مع المصلحة العامة بما يسمح للمسؤول الإداري بتجاوز صلاحياته الوظيفية واتخاذ قرار منع ارتداء الحجاب أو أي غطاء للرأس داخل الإدارة العمومية: "يجوز لكل رئيس إدارة وفي غياب تفويض من السلطة التشريعية أو الترتيبية العامة إصدار تراتيب داخلية تهدف إلى تنظيم مصالحها وأعوانها في الإطار الذي يخدم الصالح العام وإن أدت هذه القواعد إلى تقليص بعض الحريات الفردية... وحيث بخصوص حرية اختيار اللباس وحرية المعتقد اللتين كانتا لهما الأفضلية لدى قاضي البداية فهما في نظر قاضي الاستئناف تمارسان من قبل العون العمومي عند أداء الوظيفة بالقدر الذي لا يتنافى مع واجب التحفظ المفروض عليه... وحيث يفرض المنطق أن تزداد التضييقات على مثل هذه الحريات الفردية كلما ازداد عدم التكافؤ بين العون ومنظوره... وعلى نحو ما جاء بالمنشور المنتقد فإنه يجوز لإدارة التعليم منع المدرسين والمدرسات وكذلك الأعوان من ارتداء لباس أو إتباع مظهر وما شابه ذلك من الصور التي من شأنها أن توحي بصورة مباشرة وبارزة وواضحة انتماء طائفيا أو دينيا أو سياسيا أو عرقيا" (المحكمة الإدارية، 2011).

4- موقف المجتمع المدني من قضية الحجاب

اتسم موقف غالبية المجتمع المدني في تونس بالرفض التام للممارسات الهمجية التي يمارسها نظام بن علي ضد المرأة المحجبة باعتباره يمثل انتهاكا لمبادئ حقوق الإنسان. فقد لاقت النساء والفتيات المحجبات مساندة ودعما كبيرين من قبل العديد من الجمعيات والمنظمات الوطنية والدولية التي عملت على التعريف بقضيتهن وتدويلها والتشهير بالممارسات التعسفية والقمعية التي تمارسها مختلف مؤسسات الدولة التونسية وموظفيها وأعوانها ولجان تنسيق حزب التجمع الدستوري الديمقراطي الحاكم ضدّهن تحت طائلة المناشير سالفة الذكر، خصوصا في حق التلميذات والطالبات، على غرار "اللجنة الدفاع عن المحجبات في تونس" و"منظمة هيومن رايتس ووتش" و"جمعية الوقاية من التعذيب" و"المجلس الوطني للحريات بتونس" و"الجمعية الدولية لمساندة المساجين السياسيين" و"منظمة حرية وإنصاف" و"الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق

الإنسان"، معتبرة ذلك يمثل تدخلا سافرا في مجال الحريات الفردية الذي من المفروض أن تسهر السلطة على احترامه وضمان تمتع كل المواطنين به على قدم المساواة.

وفي هذا الإطار حرصت هذه الجمعيات والمنظمات الحقوقية على إصدار بيانات وتقارير تستنكر صدور مثل هذه المناشير وتندد بالانتهاكات التي تُمارَسُ تحت غطائها، فعلى سبيل الذكر أصدرت الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان بيانا بتاريخ 16 ديسمبر 2002 عبرت فيه عن قلقها الشديد من استئناف الحملات الأمنية والإدارية ضد المواطنات التونسيات المرتديات الحجاب واعتبارها ظاهرة خطيرة تهدد الحياة الخاصة للأفراد وتقمع الحريات الفردية والعامة والحق في التدين (الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، 2002). أما المجلس الأعلى للحريات فقد أصدر في 30 ماي 2003 بيانا انتقد فيه منع إدارة المعاهد والكليات المحجبات من دخول قاعات الدرس وإحالة العديد منهن على مجلس التأديب وتسليط عقوبات تراوحت بين الإنذار والطرد المؤقت تطبيقا للمنشور عدد 70 الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بتاريخ 27 ديسمبر 2002 "معتبرا اللباس شأن شخصي ولا يحق لأي طرف من الأطراف في تحديده للناس رجالا كانوا أو نساء ويطالب السلطة بالكف عن تعسفها على النساء المرتديات للحجاب واحترام حقوقهن وحرياتهن الشخصية" وجاء في البيان المذكور "اللّباس شأن شخصي ولا يحق لأي طرف من الأطراف تحديده للناس رجالا كانوا أو نساء" (المجلس الوطني للحريات، 2003)، كذلك منظمة حرية وإنصاف ولجنة الدفاع عن المحجبات في تونس اللتين أصدرتا عدة بيانات دورية وفورية تندد وتشهر بالانتهاكات التي تمارسها المؤسسة الأمنية والإدارات التربوية والتعليمية ضد المرأة المحجبة بمختلف ولايات ومناطق الجمهورية (منظمة حرية وإنصاف ولجنة الدفاع عن المحجبات بتونس، 2007- 2008- 2009- 2010).

وقد تم التنديد أيضا بهذه الممارسات التعسفية من قبل العديد من نشطاء حقوق الإنسان ورجال القانون، حيث وقَّع أكثر من 100 محامٍ وناشط حقوقي خلال شهر نوفمبر 2003 عريضة ندَّدوا فيها "بالاعتداءات على الحرمة الجسدية للمواطنات من طرف سلطة يفترض فيها أنها تسهر على احترام القوانين وحماية المواطنين، لا على ترويعهم والتدخل في خياراتهم الشخصية" (الفجر نيوز، 2008) إضافة إلى حضور العديد من المحامين والمحاميات سواء للمرافعة وتبني قضايا النساء المحجبات المنتهكات من قبل إداراتهن أو كذلك لحضور مجالس التأديب التي تعقد ظلما لمعاقبة الطالبات المحجبات أو للترافع أمام إدارة الكلية قصد تمكينهن من اجتياز الامتحان وهو ما حصل مع الطالبة "ب.غ" التي تم منعها من قبل الكاتب العام للمعهد العالي للعلوم الإنسانية ابن شرف، من اجتياز الامتحان وافتكاك منها بطاقة الطالب في مناسبتين ومحاولة إجبارها على نزع غطاء رأسها وسترتها ما دفع كل من الأستاذة عبد الرؤوف العيادي وسمير بن عمر وسعيدة العكرمي للحضور معها لإدارة الكلية التي وافقت على السماح لها باجتياز الامتحانات (المجلس الوطني للحريات، 2003). كما عبرت الأطراف السياسية المختلفة، إسلامية وعلمانية المكونة لهيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات في إعلانها الصادر بتاريخ 8 مارس 2007 عن رفضها التام لهذه الإجراءات القمعية والانتهاكات في حق النساء المحجبات بالقول: "إن هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات تطالب بإلغاء المنشور عدد 108 بوصفه إجراء تعسفيا يعرض النساء

المتحجبات إلى التسلط والحرمان من الحقوق... واعتبار مسألة الحجاب قضية تتعلق بالحرية الذاتية لا يحق لأي كان التدخل فيها بالمنع أو الإلزام عن طريق الإكراه" (هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات، 2007).
هذه الحملة الهمجية لنظام بن علي ضد الحجاب والمحجبات عرفت تأييدا صريحا من المنظمات التجمعيّة مثل الاتحاد الوطني للمرأة التونسية وبعض الجمعيات النسائية ذات التوجه العلماني التي دعت إلى المساواة الفعلية والتامة بين الجنسين دون ضوابط أخلاقية أو اجتماعية وإلغاء كافة مظاهر التمييز بينهما في التشريع التونسي، ثم العمل على إحداث تغييرات جذرية اجتماعية وسياسية وثقافية داخل المجتمع التونسي تتماشى والمبادئ اللائكية مع تأكيدها على ضرورة إبطال العمل بالأحكام والقوانين ذات المرجعية الإسلامية ورفضها التام للمرتكزات الثقافية التونسية النابعة من الهوية العربية الإسلامية. وقد أصدرت على سبيل المثال الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات مقالات وبيانات للتنديد بعودة الحجاب أو "اللباس الإسلامي" في الشوارع التونسية واعتبرته زِيًّا طائفيا ورمزا للتخلف والرجعية وحدًا من حرية المرأة معنويا وجسديا، وعبرت مؤسِسَات الجمعية عن دعمهن للمناشير الإدارية سالفة الذكر خصوصا المنشور عدد 108 الذي لا يرين فيه تعدّيا على الحريّات الفردية وحقوق الإنسان بل اعتبرنه من صميم الديمقراطية وإجراءا مشروعا من زاوية الدفاع عن مدنية الدولة وعلمانيتها. فنذكر البيان الصادر بمناسبة عيد المرأة التونسية في 13 أوت 2003 تحت عنوان "من أجل المساواة - من أجل اللائكية" عبرت فيه الجمعية عن انشغالها العميق تجاه انتشار الحجاب في صفوف النساء التونسيات ما جعلها في حيرة من أمرها بين دفاعها عن حق المرأة في حرية اختيار لباسها وبين رفضها المبدئي والتام لهذا اللباس أو أي غطاء للرأس باعتباره يمثل بروزا لممارسات ماضوية وعائقا أمام حرية المرأة ولا يمت بصلة للباس التقليدي للمرأة التونسية. وحملت الجمعية في بيانها نظام بن علي المسؤولية التامة عن انتشار ظاهرة الحجاب وتساهله في التصدي لها معتبرة في الآن نفسه الأسلوب الأمني وهرسلة المحجبات خيارا غير ناجع في مواجهتها دون أن تعبر عن استنكارها أو إدانتها أو رفضها للممارسات القمعية والانتهاكات الوحشية التي طالت النساء المحجبات. وطالبت بفتح المجال أمام حوار مجتمعي لصياغة موقف واضح تجاه هذه الظاهرة (الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات، 2003). أما رئيسة الجمعية فقد أكدت لاحقا هذا الموقف العدائي للحجاب والمحجبات بالقول: "ومهما يكن الحجاب، إن كان ظاهرة موضة أو عودة التدين للشارع التونسي فإنه بالنسبة لنا شكل من أشكال الرجعية" (مجلة أخبار تونيزيا، 2011). هذا الموقف المتواطئ مع انتهاكات نظام بن علي لحقوق المرأة المحجبة عرف أيضا دعما من قبل الرابطة التونسية لحقوق الإنسان زمن رئاسة مختار الطريفي التي تراجعت عن موقفها السابق الرافض لتلك الانتهاكات وكذلك منظمة العفو الدولية فرع تونس برئاسة الحبيب مرسيط، من خلال إصدار بيان مشترك مع الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات بنفس اليوم والتاريخ.
كما تبنت بعض الأُستاذات الجامعيات الباحثات هذه التوجهات العدائية للفتاة والمرأة المحجبة، وقدّمن تحاليل وتفاسير وحُجَّجٍ غير منطقية اعتمدتها أنظمة الاستبداد لتبرير همجيتها وتطرفها العنيف ضد المرأة المحجبة بإضفائهن على المسألة طابعا أيديولوجيا وبعدا سياسيا لا حقوقيا

وإنسانيا. فعلى سبيل الذكر صرحت إحداهن بالقول:"الحجاب ليس تونسيا.. الحجاب إخواني.. لن أقبل اليوم بهذه الشعوذة المتمثلة في اعتبار عادات الإخوان ممثلة للتقليد التونسي أو النمط"، واعتبرت أن المرأة المحجبة فاقدة للإرادة والحرية، واصفة الحجاب واللباس المحتشم بالقيد واللعنة والمذلة: "لعنة النساء متكررة في الجلباب والنقاب والخمار وكل ما يخفي الشعر... جر الذيول له معنى وله طعم جر السجين لقيوده، وليس من معنى آخر للحجاب سوى جر القيود، فهو مذلة النساء المتكررة. المرأة التي تضيع جسدها في أذيال جلبابها وأحجبتها تتحول إلى شبح هلامي لا وجه له ولا فرادة" (موقع إيلاف، 2006). وتضيف أستاذة جامعية أخرى قولها: "بأن الحجاب ليس بالضرورة علامة على أخلاق فاضلة أو فهم أفضل للإسلام... والحجاب أمر مستورد وموضة روجت لها القنوات الدينية الفضائية" وأن ارتداء الحجاب ينطوي على "تفكير جديد قد يهدد مكاسب المرأة التونسية التي تعتبر نموذجا للكثيرات في العالم العربي... والمرأة التونسية أقرب من الغرب منها إلى الإسلام" (موقع دويتشه فيله، 2010). هذه المقاربات الفكرية والأيديولوجية جعلت من هذه الجمعيات والنخب النسائية محل رفض من قبل طيف واسع من النساء التونسيات ومن مختلف التوجهات الفكرية والسياسية. وقد أُعْتِبرت هذه المقاربات أيضا إقصاء ممنهجا لكل من يخالف هذه النخب النسائية، الرأي والتوجه الفكري والثقافي وتشريعا ضمنيا للعنف المادي والمعنوي وللحدّ من الحريات الفردية والشخصية للمرأة، وهو ما يطرح أمامنا مسألة مهمة وهي عنف المرأة ضدّ المرأة.

أهم نتائج الدراسة:

- دراسة العنف السياسي وأشكال التمييز ضد المرأة من أجل أرائها وأفكارها ومعتقداتها والتطرق إلى انتهاكات حقوق الإنسان في تونس من خلال قضية الحجاب.
- الانتهاكات الصارخة لكل المواثيق والمعاهدات الدولية الضامنة لحقوق الإنسان وحقوق المرأة من قبل نظام الاستبداد.
- أنتج التوظيف السياسي والأيديولوجي للحجاب وتحويله إلى أزمة سياسية واجتماعية وثقافية وقانونية، وقوع انتهاكات جسيمة طالت المرأة المحجبة من خلال مصادرة جميع حقوقها المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.
- إصدار القوانين والمناشير الإدارية السالبة لحرية اللباس والمعتقد وتوظيفها في تكريس ممارسة انتهاكات حقوق المرأة.
- توظيف أجهزة الدولة في ممارسة انتهاكات حقوق الإنسان وحقوق المرأة طيلة 54 سنة من الاستبداد.
- الكشف عن مميزات السياسة العقابية لنظام الاستبداد المرتكزة على ممارسة العنف النفسي والمعنوي والجسدي ضد المرأة المحجبة.
- مقاومة المرأة المحجبة للسياسة الإقصائية وللقوانين السالبة لحرية اللباس والمعتقد، مجتمعيا وثقافيا وإعلاميا وقضائيا.

- أضفت هذه الأوضاع الصعبة والممارسات التعسفية إلى تشكل حالة وعي لدى المرأة التونسية تقضي بضرورة المشاركة الفعلية في مختلف التحركات الاحتجاجية دفاعا عن مكتسباتها التاريخية وحقوقها المدنية والسياسية والثقافية.
- الدور الإيجابي للقضاء الإداري في إنصاف المرأة المحجبة وتمكينها من حقوقها السياسية والمدنية.
- الدور الإيجابي لغالبية مكونات المجتمع المدني في دعم قضية المرأة المحجبة وطنيا ودوليا.
- الدور السلبي لبعض المنظمات والجمعيات النسائية وتأييدها للانتهاكات الجسيمة المسلطة ضد المرأة المحجبة.

خاتمة:

تعدّ مسألة الحجاب ومحاربة اللباس النسائي المحتشم في تونس زمن الاستبداد من القضايا المفتعلة سياسيا وقانونيا بصدور المنشور 108 سنة 1981 والمناشير اللاحقة له، والتي تعمّد نظام الحبيب بورقيبة إثارتها تنفيذا لسياسة الفرز الأيديولوجي المتبعة من قبل حكومته ضدّ مُنتَسِبات الحركة الإسلامية والمتعاطفات معها. والملاحظ أن هذه الإجراءات التعسفية في حق النساء المحجبات جاءت تتويجا للمبادئ والتوجهات العلمانية التي انبنت عليها الرؤية الفكرية والدينية للحبيب بورقيبة للدولة والمجتمع والتي تعززت وأصبحت أكثر تطرفا ودموية زمن حكم زين العابدين بن علي خصوصا مع التحاق العديد من العناصر والنخب اليسارية والعلمانية المتطرفة بمراكز القرار صلب الهياكل العليا للحزب الحاكم وفي مؤسسات الدولة خصوصا بوزارات الثقافة والتربية والتعليم العالي والداخلية ثم الشروع في تنفيذ خطة "تجفيف المنابع" للقضاء على جميع المظاهر الإسلامية وشن حرب غير معلنة على الإسلام في تونس تحت عنوان مكافحة التطرف واستئصال جماعات الإسلام السياسي.

هذه الحرب المعلنة على الحجاب وعلى حق من حقوق المرأة في المعتقد وفي اختيار اللباس والتي اتخذت أشكالا متعددة قانونيا وقضائيا وسياسيا وإعلاميا وأمنيا، انجرت عنها العديد من انتهاكات لحقوق الإنسان ومآسي وعذابات عاشتها عشرات الآلاف من النساء التونسيات جراء الانتهاكات الجسيمة والممنهجة التي نفذتها السلطات الأمنية ضدّهن، جسديا ومعنويا، ومن مختلف أجهزة الدولة لحرمانهن من حقوقهن السياسية والمدنية والاجتماعية والاقتصادية. غير أن هذه الممارسات الهمجية والعنيفة لم تمنع المرأة المحجبة التي أصبحت تمثل رمزا حقوقيا وسياسيا، من مواصلة طريق النضال بكافة الأساليب المتاحة والصمود في وجه أنظمة القمع والاستبداد ومسانديهم من المنظمات والجمعيات النسائية العلمانية المتطرفة من أجل استرداد حقها في اختيار لباسها ومعتقدها، ما أوجد حالة من الارتباك داخل أجهزة نظام الحكم خصوصا بعد أن تحولت قضية الحجاب والمرأة المحجبة في تونس إلى قضية حقوقية ورأي عام وطني ودولي وتلقيها مساندة من غالبية مكونات المجتمع المدني التونسي ومن قبل الأوساط الحقوقية الدولية والتي تواصلت إلى تاريخ سقوط نظام زين العابدين بن علي بتاريخ 14 جانفي 2011.

قائمة المراجع:

1. الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات (2003)، بيان صادر يوم 13 أوت بمناسبة عيد المرأة التونسية.
2. الجلاصي، عبد الحميد (2016)، حصاد الغياب، اليد الصغرى... لا تكذب، مكتبة تونس، تونس، ص 248.
3. الدستور التونسي (1959)، منشورات المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1 جوان 1959.
4. الرابطة التونسية لحقوق الإنسان ومنظمة العفو الدولية فرع تونس والجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات، (2003)، بيان مشترك صادر يوم 13 أوت بمناسبة عيد المرأة التونسية.
5. الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان (2002)، التقرير السنوي لسنة 2002.
6. الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان (2002)، بيان صادر يوم 10 ديسمبر بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان.
7. الفجر نيوز (2008)، "الحرب على الحجاب تونس حالة خاصة".
8. المجلس الوطني للحريات (2003)، "السلطة التونسية تشن حملة جديدة على الحجاب".
9. المحكمة الإدارية (1986)، حكم ابتدائي عدد 1053.

(2001)، حكم ابتدائي عدد 14070.

(2001)، حكم ابتدائي عدد 14012.

(2010)، حكم ابتدائي عدد 15997.

(2003)، حكم استئنافي عدد 23846.

(2005)، حكم استئنافي عدد 23565.

(2011)، حكم استئنافي عدد 26255.

(2012)، حكم استئنافي عدد 28364.

10. المحكمة الإدارية (2006)، قرار ضد وزير التربية والتكوين عدد 1/10976.
11. الموقع الإخباري دويتشه فيله DW (2010).

https://www.dw.com/ar/المرأة...في-الحجاب-ينتشر/a-5726316

12. بن سالم، المنصف (2013)، مذكرات عالم وسجين سياسي، سنوات الجمر، شهادات حية عن الاضطهاد الفكري واستهداف الإسلام في تونس، تونس، ص 70.
13. بن سلامة، رجاء (2006)، "الختان والعباءة ولعنة تكرار البدايات"، موقع إيلاف، https://elaph.com
14. جريدة الرأي (1985)، العدد 348، موقف حركة الاتجاه الإسلامي من تواصل العمل بمنشور 108.
15. جريدة الصباح (1981)، نشر الرسومات التفصيلية للأزياء النسائية حسب المنشور عدد 108.
16. جريدة الصباح (2005)، تصريح لوزير الشؤون الدينية السابق أبوبكر الأخزوري.

17. جمعية تونسيات (2012) ، قائمة تلميذات مطرودات من الدراسة تحت طائلة المنشور 108.
18. جمعية مناضلات تحدين القضبان (2012)، قائمة في بعض أسماء المنتهكات تحت طائلة المنشور 108.
19. حزب حركة النهضة (1981)، بيان حركة الاتجاه الإسلامي حول صدور منشور 108.
20. حزب حركة النهضة (1982)، رسالة مفتوحة من قبل مجموعة من الفتيات إلى مفتي الجمهورية التونسية.
21. شهادة "ر.ع" (2019)، أمام الدائرة القضائية المتخصصة في العدالة الانتقالية بنابل.
22. شهادة سميرة المعلاوي (2013)، برنامج سنوات الجمر، قناة شبكة تونس الإخبارية.
23. شهادة شاذلية المبروك (2012)، برنامج ديوان المظالم، قناة القلم.
24. لجنة الدفاع عن المحجبات بتونس والشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان ومنظمة حرية وإنصاف (2007 – 2008 – 2009 – 2010)، صدور مجموعة بيانات دعما للنساء والطالبات المحجبات الملاحقات أمنيا وإداريا.
25. لجنة الدفاع عن المحجبات بتونس (2008)، بيان صادر يوم 25 جانفي مساندة لطالبات محجبات.
26. لجنة الدفاع عن المحجبات بتونس (2008)، وثيقة في بعض أسماء المنتهكات تحت طائلة المنشور 108.
27. مقابلة خاصة مع "م.ع" (2013).
28. موقع المجلة الالكترونية أخبار تونيزيا (2011)،
http://akhbartunisia.blogspot.com/2011/06/blog-post_9791.html
29. هيئة 18 أكتوبر للحقوق والحريات (2007)، بيان صادر يوم 8 مارس بمناسبة اليوم العالمي للمرأة.
30. هيئة الحقيقة والكرامة (2018)، تفكيك منظومة الفساد، الانتهاكات التي استهدفت النساء والأطفال، التقرير الختامي الشامل، الجزء الثاني، تونس، ص 19- 20.
31. وزارة التربية القومية (1981)، المنشور الوزاري عدد 108 المؤرخ في 18 سبتمبر 1981.
32. وزارة التربية القومية (1981)، المنشور الوزاري عدد 22 المؤرخ في 17 سبتمبر 1981.
33. وزارة التربية والتعليم والبحث العلمي (1987)، المنشور الوزاري عدد 76 المؤرخ في 7 سبتمبر 1987.
34. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (2002)، المنشور الوزاري عدد 70 المؤرخ في 27 ديسمبر 2002.
35. وزارة الداخلية التونسية (2003)، مراسلة إدارية سرية موجهة من المدير العام آمر الحرس الوطني إلى كافة الإدارات والأقاليم والمراكز الأمنية التابعة للحرس الوطني، موضوعها الأزياء الطائفية.

36. وزارة الداخلية التونسية (2008)، تقرير سري موجه إلى الإدارة العامة للأمن الوطني حول إجراء رقابة على الأدوات المدرسية الحاملة لعلامة "فُلَّة" بالمكتبات والأسواق الأسبوعية.

37. وزارة الداخلية التونسية (2009)، تقرير صادر عن الإدارة العامة للأمن العمومي بوزارة الداخلية تحت عدد 220 في شأن ضبط فتاة متحجبة.

38. وكالة الأنباء الفرنسية (2006)، تصريح للهادي مهني الأمين العام السابق لحزب التجمع الدستوري الديمقراطي.

39. وكالة رويترز - إسلام أون لاين.نت (2006)، تصريح لرئيس الجمهورية التونسية السابق زين العابدين بن علي. https://islamonline.net

سيكولوجية رُهاب أماكن الظل، مجتمع أدرار أنموذجا

د.مقدم مبروك، بجامعة وهران 2- الجزائر

ملخص: تبدو سيكولوجية الرُّهاب في أطر وأشكال اعتقاد الإنسان عن الخوف المتجذر في الذات البشرية، فأصبح ثقافة في سياقات اقتصادية وكقوة مادية، دينية، بمعنى أنه قوة روحية في العموم تمارسها المجتمعات، تنتظم وفق علاقات اجتماعية سيكولوجية منضبطة، وكون مجتمعنا متدرج يمتاز بتعدد الثقافات والخصوصيات الاجتماعية، والبنيات الاجتماعية وتنوع البيئات والأقاليم الجغرافية، مما أفضى للتنوع الثقافي، الدارجي، التارقي، الزناتي، العربي. فظاهرة الخوف نازع يلعب فيه الضمير الجمعي أو الوجدان الاجتماعي الدور الأساسي بواسطة عناصر التطبيع التي يتشربها الفرد صغيرا، ويجدها مخزونة في المِخْيال الاجتماعي، فيتماثل طوعا أو إكراهاً لصيرورتها، فالإنسان ابن بيئته. نهدف بهذه الدراسة الكشف عن العلاقة الكامنة بين ظاهرة الخوف من الأماكن المغلقة، وإعادة إنتاج السلوك الواجب توفره لدى النزيل الجديد بواسطة (افتقاد التنشئة وإعادتها)، والتخفيف من اضطرابات الرُّهاب الاجتماعي عند الأفراد المتواجدين بأماكن الظل لفترات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: الرهاب، الاستغراق، التفاعل، إفقاد التنشئة، اعادة التنشئة.

Psychophobia of shadow spaces. Adrar community as a model

Dr. Mokadem MEBROUK, University Oran2, Algeria

Abstract: The sociology of phobia appears in human’s selves. It has become a culture in economic material and religious spiritual force in general practiced by our societies which is characterized by multiculturalism. The social peculiarities and structures, the diversity of environments and geographical regions led to the cultural diversity zenati, Arab.

The phenomenon of fear is defective in which the collective conscience plays the primary role through the elements of normalization, and finds them stored in the social imagination, so they represent voluntarily or coerced into becoming, so the man follow his environment.

The aim of this study is to reveal the underlying relationship between the phenomenon of fear of closed spaces, reproduction of the behavior that should be provided by the new inmate, and to alleviate the disorders of social phobia among individuals who are in shadow places.

Key words: phobia, Absorption, reaction, disorientation, re-education.

الإشكالية:

تعد ظاهرة الخوف"الرهاب"من الخصائص الملازمة للإنسان وطابع من طبائعه تعمل التنشئة الاجتماعية على سقل وبناء سلوك الافراد لما يتماشى وتطلعات المجتمع العام. وفي الحالات غير الطبيعية المتمثلة في الازمات المختلفة، الكوارث، الأوبيئة يعد عامل الخوف من العوامل الطبيعية المعبرة عن الوضعية الدقيقة للإنسان، ومعاناته، وشكل من اشكال الدفاع ومظهر من مظاهر الذات الفردية.

فهل الإنسان حيوان خائف بطبيعته فطريا، أو مسكون بالخوف لطبيعته المكتسبة؟ وهل الرهاب نتيجة حتمية لما يعانيه الانسان من تحولات وتعقيدات بحياته اليومية ومن جهة أخرى هل ظاهرة الخوف تصور فاضل تمليه الذات نحو عالمنا الداخلي والخارجي؟ وما اثره في هدر وبناء عناصر المكانة الاجتماعية، وعلاقته بإفقاد واعادة التنشئة الأسرية والاجتماعية.

تكمن أهميتها الدراسة في إلقاء الضوء على ظاهرة الرُّهاب الاجتماعي الذي يُعد من أبرز الظواهر الاجتماعية في المجتمعات الحديثة والتقليدية من منظور علم الاجتماع والنفس والأنثروبولوجيا.

بينما الأهمية العلمية التي تريد الدراسة الوصول إليها، تتمثل في كشف الحالة النفسية للفرد أثناء تواجده بمكان مغلق، وتأثير ذلك في تنشئته الأولى التي يفتقدها.

وتحاول معالجة ظاهرة الخوف بأماكن الظل، فمتغير الخوف اصبح هاجس وحالة مرضية غير طبيعية مترتبة عن وضعية صحية زادت تعقيداتها نتيجة مشكلة كورونا19المستجد. من خلال هذه الإشكالية، نطرح الأسئلة التالية:

1. هل لأماكن الظل دور في رهاب الفرد وافقاده مكونات التنشئة الأسرية الأولى؟

2.كيف يبني الفرد بمكان مغلق مقومات التواصل مع ذاته والمحيطين به؟

3.ما مدى تأثير ضبطيات المؤسسات المغلقة في بناء سلوك تكاملي بين ذات الفرد والمحيطين به؟

أولا. تحديد المصطلحات.

1. تعريف الّرُهاب: يُعرف بأنه تلك المخاوف التي تنتاب الفرد اثناء وجوده بمكان مغلق، تتحول لمرضية عصابية بإطالة انتسابه لأماكن الظل، لا تشكل خطراً كبيراً على حياته، قد ينتج عنها: التوتر، القلق، الاضطراب النفسي، إماتة الذات.

كما يعرف على أنه اضطراب القلق الاجتماعي، فالرُّهاب: هو أحد أكثر المظاهر شيوعاً في المجتمعات التقليدية والحديثة يتحاشى فيه المرء الوجود في محيط مغلق، كالمصحات العقلية، السجون، الثكنات العسكرية، المصاعد، امكن الايواء ... إلخ.

وقد عرّفته الجمعية الأمريكية للطب النفسي(APA)أنه خوف ملحوظ ومستمر من واحد أو أكثر المواقف الاجتماعية أو حالات الأداء التي يتعرض فيها الفرد لأشخاص غير مألوفين إليه (رولا عودة السوالفة، الحوسني محمد اسماعيل، 2019، ص117)

التعريف الإجرائي للرُّهاب: نعني به في هذه الدراسة جملة المخاوف التي تنتاب الإنسان أثناء وجود بمكان مغلق يصاب بالتوتر، القلق، الاضطراب، إفقاد التنشئة، يعود الفرد لحالته الطبيعية بإعادة تنشئته الأولى.

2. مفهوم رُّهاب أماكن الظل: هو الخوف من الأمكنة المغلقة كغرف السجون، الثكنات المصحات العقلية يصنف ضمن اضطرابات القلق (Troubles anxieux) الذي يؤدي لأزمة من الهلع والتشنج، منه ما هو مرضي وما هو عرضي يصيب الفرد بحسب الحالة التي يكون عليها(سبيلامحمد، الهرموزي نوح، 2017، ص267)

إن تواجد الطفل داخل المدرسة القرآنية (أقربيش) يفرض عليه الالتزام بمجموعة من الضغوط الضبطية السلوكية العرافية المحددة سلفا فمن القواعد العامة إتباع سلوكيات ممنهجة، الخوف من الفلقة عدم الحدق امام المعلم الغيرة من القرين العمل على مثلنة المعلم ليحصل الطفل على التزكية بالرضا، كما ان تواجد المصلين داخل المسجد يفرض عليهم الالتزام بسكينة ووقار يليقان بالمكان، يفقد الإنسان تنشئته الأولى طوعا أو كرها، ويتقمص تنشئة دينية تتناسب والحيز المكاني/الزماني، في حين يُنظم الإنسان سلوكه عندما يكون داخل مدرسة قرآنية أو"الزاوية" عليه اتباع الطرق الترميزية والضوابط الطقوسية التي يحفُل بها المقام عليه تفعيلها وان لم يكن يرضى على تفاصيلها، يُعدّل من جلساته، وينضبط أما الدّارسين(القرانزة) الممتثلون بولوجهم باب الزاوية يتفاعلون بمجموعة القواعد والسياقات الضوابط المقدسة ينهون اليها وينؤن عنها كل زائر، لتبني للشيخ مكانة قداسيه اعتبارية يمتثلون ويتماهون بسلوكياته الدارسون، يبنون له حظوة اعتبارية ومثوبة الرضا يستطلعها كل دارس ففي مثل هذه الأماكن يتماهون ويلتزمون بثني الركب، وعدم التعميم التكويري، فتضبط لهم أوقات النوم، والتغذية، والاستيقاظ الخروج، الدخول، ومواقيت الدراسة، وأوقات قراءة القرآن ومواعيد تفسيره، كما تضبط أوقات تحفيظ القرآن الكريم، ومواعد شرح المتون ذات الصلة بالدراسات الفقهية والقرآنية (الوقفات)...إلخ.

3.التفاعل الاجتماع :Social interaction يحدث كل تفاعل اجتماعي بما يؤثر الناس بعضهم عن بعض خلال التواصل والتبادل المشترك للأفكار والمشاعر، وردود الافعال ما بين الافراد والجماعات وسكان البيئات المختلفة يؤدي التفاعل للتأثير والتأثر المتبادل بين الناس افرادا وجماعات تصبح استجابة احدهما مثيرا للأخر يتوالى التبادل بين المثير والاستجابة الى انتهاء التفاعل القائم بين المتفاعلين(حسن شحاتة، زينب النجار ،2003، ص:123).

فالتمثلات الاجتماعية منتج فردي داخل اطار اجتماعي من جهة ومنتج اجتماعي لفاعلين اجتماعيين من جهة اخرى، فهي بذلك تقدم ملمحا لتعريف الجماعة وتمييزها عن غيرها وتقارنها بباق الجماعات، فالتمثلات تقع بين مجالين نفسي واجتماعي تترجم سلوك الفرد.

4.الإستغراق:Absorption يصاب الفرد احيانا بظاهرة الاستغراق عندما يركز انتباهه في شيئ معين ولايشغل ذهنه بماعداه، فهذا نقيض العي الذي يعني العجزعن التعبير اللفظي بما يفيد المعنى المقصود ونقيض شرود الذهن الذي يعني عدم الانتباه للأحوال المحيطة او الملابسات الطارئة، فمن نقائص الاستغراق الفتور العي ضعف الصلة بين الحافز والهدف فتركيز الفرد

بمعضلة واجهته تغلق كل انواع الاتصالات الداخلية والخارجية عنده (حسن شحاته،زينب النجار2003،ص:46).

5. ثقافة الرُّهاب: تبرز هذه الظاهرة بالأساطير كثقافة الخوف، ورُّهاب المقدّس، والعدمية، والرُّهاب الوظيفي في البناء الاجتماعي، والثقافة بين رهبة المقدّس والتراث ؛(عيادة أضرحة الأولياء أثناء فعاليات الزيارة بمجتمع الدراسة) يختلط فيها الشعور الوجداني بالانتماء والخوف كإيقاع زمني مكاني في السلوك الأسطوري(عدم قبول الزيارة، وفقدان الشعور بالمكان الذي هو حالة وجدانية يُكيف خلالها المرء حرفيا على معرفة من هو، وما الآخر؟) فتصبح الحقيقة موضع شك عنده (الحافظ منير، 2011، ص56). من هذا المنطلق لا يمكننا أن نتغافل عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت وأدت لزيادة تعقيد الحياة اليومية للفرد ومتطلباتها، ما أثقل كاهل الناس نتيجة الضغوط الحياتية من بينها الأمراض الاجتماعية النفسية، الخوف من القادم(كورونا 19 المستجد) فاصبح الانسان يتحسس القريب منه، يتوجس الموت في اي لحظة ان تفتك به، التي أصبحت أشد وقعا من الأمراض الجسدية التي قد تنتاب الفرد أثناء تواجده بمكان مغلق، ومن بين هذه الأمراض اضطراب الرُّهاب الاجتماعي يصاب الإنسان بمظاهره كلما تعرض لحالة اغلاق كلي أوجزئي داخل (المصحات العقلية / المستشفيات / الحجر المنزلي الشديد / غرف السجون / قاعات المحاكم / زيارة المقدسات / قاعات المسارح والسينما / المساجد، الزوايا، والثكنات، اماكن الايواء، المصاعد).تختلف آثار ظاهرة الرُّهاب الاجتماعي من مكان لآخر، ومن بيئة لأخرى، ومن فرد لأخر، ومن مجتمع لمجتمع ليصبح عائقا وحالة نفسية ضاغطة على بناء السلوك السوي الفردي والجماعي، نتيجة تغيير مكنزمات التواصل بين الداخل والخارج، أولنقل حالة إفقاد التنشئة الاسرية والاجتماعية، بمعنى يستوجب الدخول بمكان مغلق إفقاد عناصر التنشئتين الأسرية والاجتماعية، ثم يتم إعادتهما وفق مساطر وضوابط المكان المغلق(اماكن الظل)،فقد يتحول لظاهرة مرضية واضطراب سلوكي يعرف بالفوبيا الاجتماعية، يؤثر على أداء الوظائف الاجتماعية وعلاقات التواصل بين المتناجين، ينتج عنه الاكتئاب؛(الإرهاق)وسوء التكيف الاجتماعي مع الآخرين. يُستخدم مصطلح الرُّهاب الاجتماعي كمرادف للفوبيا الاجتماعية التي تعني خوف الفرد المصاب بالارتباك والخجل والحرج أثناء المقابلة الأولى وجها لوجه مع الآخرين،Face to face with others لشعوره بمتابعة الأعين كل حركاته وسكناته، وخوفه ألا يوفق في ضبط حركاته وسكناته وقوامة التماثل أثناء المقابلة. فهذه الحالة نجد شبيهها في زيارة الإنسان لعائلة لا يعرف طبائعها وقوامة سلوكياتها، يحاول جاهدا أن ينضبط وفق قواعد وضوابط العائلة. فالمصاب بظاهرة الرهاب لا يخاف من أماكن الظل بالضرورة، إنما يخاف مما قد يحدث له من مكروه وانتكاسات بهذه الأماكن كالمصابين برهاب المصاعد، لذلك الرهاب يتطور عند ما توحي الأمكنة المغلقة بخطر داهم، لفوبية وتجربة صدمية معايشة أصيب بها الفرد أثناء طفولته تم تخزينها باللاشعور كونت لديه عقدة النقص يرى ادلرAdler في نظريته(ان الشعور بالنقص الزائد منذ الطفولة يدفع لتبني انماط غير مناسبة من السلوك للتعويض عن مشاعر النقص، الامر الذي يجعل الفرد يلجأ لمنطق خاص به ليخفي مخاوفه ومشاعره حول النقص الذي يعانيه، وهكذا تصبح الاسرة مسؤولة عن الاصابة

بالاضطرابات السلوكية للطفل مثل الحرمان، والدلال كون السلوك(متعلم) اجتماعيا، وتقصير الوالدية في تعزيز محاولات الطفل نحو النجاح والتفوق قد يقوده للعصاب، الاحباط، الفشل، الانتكاسة في مساراته الحياتية، ويرى ايضا(ان النسق النظري لهذه المقاربة يقوم على الشعور بالنقص والصراع من اجل التفوق) وتبعا لأشراط معينة، فالرهاب لا يكون مكتسبا وهذا لا يعني أنه رهاب مهيأ(préparé)كما ذهب"ايرين غريسلي Erin Gersly" فالبشر مهيئون للخوف جينيا لخاصية الماورائية والغيبية (سبيلا محمد، نوح الهرموزي 2017، ص269).

ثانيا. بناء تصور الذات The construction Of Self Image: يحاول المتفاعلون عند الأداء التواصلي بينهما توجيه وابراز أنفسهم بما يعتقدون أنها القيم الرسمية للمجتمع، يمكن أن يؤدي هذا التفاعل في ظروف معينة للخضوع لجبريات القيم المجتمعية، فالمتفاعل يضع قدمه الأفضل للأمام مقدما أفضل الصور عن نفسه محاولاً إخفاء تلك الأوجه (الشائنة) عن ذاته، كالكباس وراء خشبة المسرح (تجده محملا بوقائع عائلية ومشاكل ذاتية، يخفيها أثناء تأدية مهامه المسرحية) يقدم ما يتناسب والمشهد المحدد له، وما يود اعتقاد الآخرين أنه الذات الأساسية عنده، فهنا يمكن ملاحظة محاولات فصل المنطقة الأمامية (الواجهة) عن المنطقة الخلفية في جميع أوجه البنية المجتمعية، كما توزيع الادوار داخل البيت العائلي يقول المثل الشعبي(الشاشية تطبع الرأس والوجه تضويه لحسانة)فالارتباطات الثلاثية بين (الشاشية، الرأس لحسانة) كمقومات علاقة التناص بين(الطباعة، الوجه، التضوية) وما بينهم من علاقة تلازم وتماثل فاذا تمت الحسانة ضوى الوجه وبان، وفي المقابل وضع الشاشية فوق الرأس تطبعه بمعنى تزينه، والمعنى المراد بالشاشية والرأس ترميزهما لحالات التماثل والتماهي الانساني.كشاشية المزابي/الشاش التواتي/عمامة المعسكري والتيارتي/تكوير عمامة التارقي ولفها على الفم والانف) وفي المؤسسات الاجتماعية وبعض المناطق السكنية يحافظ الانسان فيها بحرص ودقة كبيرين على التستر والاستخفاء، ومناطق أخرى تنزع فيها الأقنعة والأزياء (ارفينج زايتلن، 1989، ص319-322).والسؤال المطروح هنا: كيف يبني الفاعل المقيم بأماكن الظل تفاعلاته واتصالاته مع محيطه الداخلي والخارجي؟ يقول المثل الشعبي (العشرة فتاشة، والطول اخبر) فمهما حاول الفرد التغطية عن بعض السلوكيات واستخفائها تنفضح مراميه. نلاحظ هنا ثلاثة مستويات يتم من خلالها التناجي والتواصل:

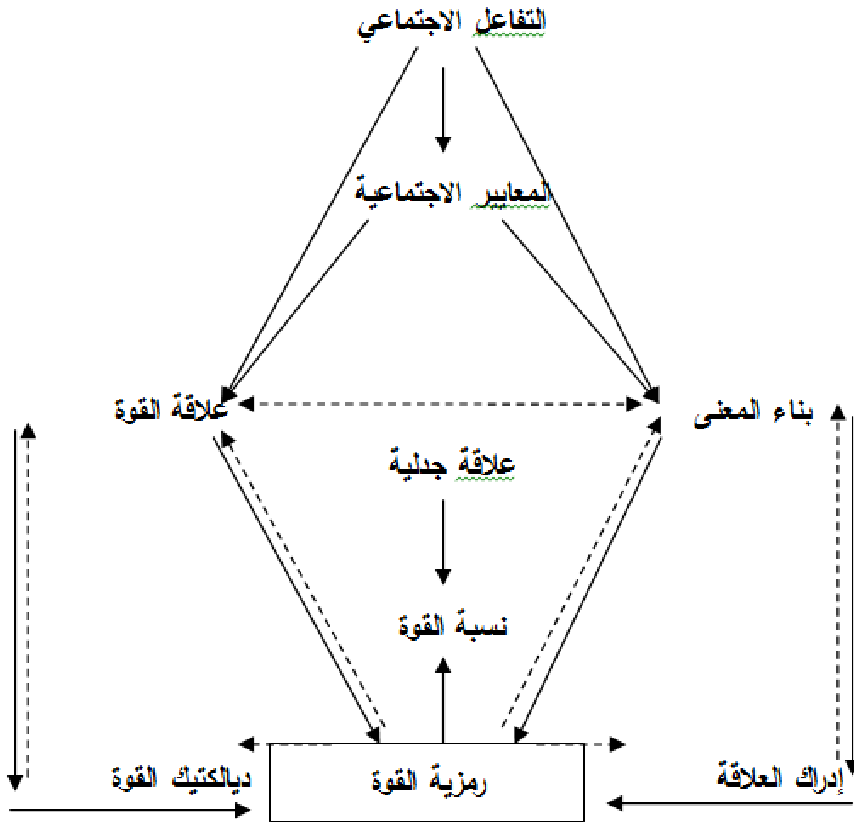
المستوى الأول**:** مناجاته الذاتية يطرح فيهاما يتساءل من خلاله لماذا أنا هنا؟ كيف يمكنني التواصل مع الموقف الذي أنا فيه وكيف اتواصل مع المتواجدين معي؟

المستوى الثاني**:** مناجاته وعمال المؤسسة الموجودون داخلها، الذين ينظرون كشيء أو رقم مسجل على باب غرفته او العنبر الذي يتعايش فيه مع غيره، يفقده مكونات التنشئة الاجتماعية، يحاول الآخرون تطبيعه قبول الوصمة الاجتماعية.

المستوى الثالث: مناجاته مع المقيمين معه بمؤسسة الظل، ينطوي على كيفية لعب الأدوار المختلفة التي تسمح له بضبط قواعد التفاعل الاجتماعي، وبناء مكانة بين الاخرين(عندما يصبح التفاعل سلوكاً متداولاً بين الناس، يتحول لثقافة مستساغة، يطبع تداولها بين الأفراد والجماعات،

فيصبح أمر تناول تعاطيها "مسلمة"، وإن كانت تحمل داخلها مضامين الدونية، الاحتقار، التهميش، الوصم الاجتماعي).

الشكل رقم (1) يبين مختلف تباينات تفاعلات افراد مجتمع الدراسة.



المجسم الاول: مصدره:(مقدم مبروك،2019،ص:302).

نحاول بهذا المجسم توضيح العلاقة البنائية لكيفية إنتاج وإعادة إنتاج التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات وجها لوجه مع إظهار الصورة الجدلية لبناء قواعد تفعيل القوة الرمزية وضبطيات التحكم في صيرورات وسلوكيات الناس، فالفرد دائما يتفاعل من تصورات مجتمعه بمعنى ينقل القوالب البنائية اللغوية السلوكية التي تشربها خلال التلقين الأسري والاجتماعي يشكل منها تفاعلاته، يكون حريص دائما على إظهار الصور التي ترفع مكانته وتمده(التعزيز/ الرضا) المجتمعي يتحاشى ما قد يظهره مخالفا للقواعد السلوكية التواصلية المجتمعية، جاعلا في الاعتبار المجتمع له بالمرصاد اذا لم يمتثل لتلك الضوابط الاجتماعية، فقد يوصمه كحال المريض عقلياً الذي يخرق أحياناً قواعد السلوك الاجتماعي، يسلط عليه المجتمع سمة الخبل لتحييده عن الجماعة، كما أن المسجون القابع بأماكن الظل يفقد حريته وشخصيته عليه الامتثال لقواعد السلوك المفروضة عليه من إدارة المؤسسة لعلامة الوصم الاجتماعي (Social stigma)

المسلطة عليه من قبل المجتمع تركسه على الهامش. يشير" جورج هامز" أن الناس يعتمدون على بعضهم البعض اعتمادا متبادلا، وأنهم يتبادلون المنافع، لأن استقرار أي نظام يحتاج لاتفاق مبدأ على مسائل معينة. بمعنى (كلما زاد التماثل بين أعضاء جماعة معينة زاد تماسكهم معا، وبالمقابل كلما قوى تماسك الجماعة زادت مقاومتها للسلوكيات الإنحرافية).

(The greater the similarity between the members of a particular group, the greater their cohesion together, and in turn, the stronger the group's cohesion, the greater its resistance to deviant behaviors).

يحاول كل فاعل واقع تحت طائلة حالة معينة بناء تصوراته فيما يضمن به استخلاص عناصر التواصل ضمن محيطه ،فالتأثير الاكثر شيوعا هو كيفية استخدام تفسيرات الآخرين واستخلاص المعنى من وراء سلوكياتهم، لهذا قسم "هيربرت ميد" الذات لفاعل ومفعول، معتبرا الانا يمثل الجزء الايجابي من الذات. والمفعول يمثل الجزء السلبي لتأثره بالأخرين. فالتنشئة الاجتماعية نتيجة لعملية التفسير. يتم بناء شخصيتنا من خلال عملية التفسير، نواجه في حياتنا اليومية اعدادا كثيرة من الفواعل نتفاعل معها وفق الادوار التي يشغلونها يأخذ كل منهم سلوكنا تجاهه فيرمز لشيء بنفسه ليفسر سلوكنا على ضوء الادلة الموجودة يتصرف على ضوء هذا التفسير الذي يدل على المعنى الرمزي، فصورة انفسنا تتأثر بشكل حاسم بردود افعال الاخرين الذين نتفاعل معهم.

من الواضح على يبدو ان ثمة جدلية اساسية تكمن خلف جميع تفاعلاتنا الاجتماعية فالفرد عند ما يكون في حضور الاخرين يسعى لاستكشاف حقائقهم وحالما يدركها ينبئ بما سيحدث فيسمح له الدخول والحديث معهم، ولكشف طبيعة الموقف كاملا عليه ان يعرف على الآخرين كل المعلومات الاجتماعية ومعرفة المخرجات الفعلية او المنتوج النهائي لأفعال الاخرين اثناء التفاعل ليستشف ما تحمله طياتهم من مشاعر تجاهه، غيرانه من النادر ان تكون المعلومات متاحة بشكل كامل، وفي غياب ذلك عليه توظيف بدائل كالتلميحات/الاختبارات/ الايماءات/تعابير الجسد/ المكانة كأدوات للتنبؤ.(اميل دور كهائم 1982،ص:79-88).

ثالثا. انبناء مكونات الصراع المجتمعي: في المجتمع أفرادا وجماعات يتنافسون على الموارد النادرة ذات القيمة الثروة، القوة، الجاه، الاعتبار، الإرث رؤوس الأموال الثقافية، امتلاك مياه الفقارة، العقار الفلاحي، ما يؤدي لبناء ظاهرة تقسيم العمل الاجتماعي، لرفع انتاجية العمل، الكثافة السكانية. يختلف تقسيم العمل باختلاف حجم المجتمع وتنوعه، ينتج الصراع لأجل البقاء والاستمرار فكثرة العدد تفضي للتخصص المهني ما يسمح بالحصول على وسائل الحياة، فقد ربط "اميل دور كهايم" بين وظيفة تقسيم العمل ووظيفة التضامن الاجتماعي فقسم التضامن لأنواع متعددة تعكس طبيعة الواقع الاجتماعي المتنوع(التضامن العائلي/ الوظيفي /المهني/الوطني) كل نوع يعكس بصورة أو باخري طبيعة تقسيم العمل، التخصص، تحديد الواجبات والحقوق داخل تنظيم أي جماعة اجتماعية بداية من تنظيم العائلة الأسرة الى التنظيمات المعقدة(اميل دور كهائم 1982، ص88).

فتتشكل بنيات اجتماعية جديدة مقابل بنيات مادية فاعلة، وتختفي أخرى بدخول المجتمع مرحلة انتقالية فتقسيم العمل نتيجة ارتفاع إنتاجية العمل، والكثافة السكانية.

لقد شهد مجتمع الدراسة ثمانينيات القرن العشرين ظاهرة التعارض الثنائي، بنشوء معنى مصطلح أو علامة من خلال الإشارة لمصطلح آخر، كحالة تعايش نظام الفقارة مع نظام استصلاح الأراضي الزراعية البورية رغم ما بينهما من تناقضات واختلافات وقبول ورفض لملاك مياه الفقارة والعقار الفلاحي للنظام الجديد الذي تم تصويره على أنه نظام يعمل على تفشي ظواهر لم يعتدها المجتمع، **أولها**: ظهور فئات جديدة من الفلاحين المزارعين. ثانيها: تفتيت اراضي البور.ثالثا: التخلي الكلي أو الجزئي عن نظام الفقارة والفلاحة التقليدية الموروث عن الأجداد. رابعها: تعطيل وخلخلة نظامي الخماسة والخراصة اللذين عايشهما المجتمع قرونا عديدة. خامسها: افتقاد ملاك الفقاقير والعقار الفلاحي التقليدي العاملين بالفقارة سادسها: انبناء وظهور بنيات اجتماعية وأخرى مادية تؤدي لاستخلاص وتكريس تصورات جديدة في المجتمع من هنا بدأ الصراع الفئوي يدب في بنيات المجتمع. سابعا: تحول بقايا الخماسين والخراصين للأعمال الإدارية والخدمية بالمؤسسات. ثامنا: اختفاء الخلفية القهرية الموروثة (الخماس يلد خماس والخراص يلد خراص).كل هذه التحولات عرفها المجتمع الادراري بداية من منتصف القرن العشرين، عملت على تغيير السلوكيات والتمثلات ورفض الكثير من البنيات اللغوية الانقسامية السائدة في المجتمع والتي اصبح ينظر لها كوصم اجتماعي بين الأفراد والجماعات (خماس/ خراص /حرطاني / حرطانية) فخلال المرحلة الانتقالية التي عايشها المجتمع كان ينظر لهذه المفاهيم بشكل عادي كونها تصف نظاما متكاملا للإنتاج المعاشي (الفقارة)فلم يعاب استعمال تلك المفردات كونها جزء من الثقافة الاجتماعية المخزنة بالخيال الاجتماعي. الا ان تغيير مكونات بناء المكانة ولعب الادوار، بنى تصورات وسلوكيات ظهور نظاما جديدا يلبي الوفرة الإنتاجية(استصلاح الأراضي) عاش جنبا الى جنب مع نظام الفقارة رغم ما يكتنف كل نظام من مشاكل وتحديات تفرض عليه المحافظة على بنياته المادية /الاجتماعية الاقتصادية/اللغوية/ الثقافية، فقد لعبت مجموعة من الأدوار المختلفة لبناء عناصر المكانة، فالمجتمع فهي في حالة تغير دائمة نسبيا في حين تتباين درجة التغير وتتسارع بين بنياته: المادية /الثقافية/الاجتماعية، اللغوية الثقافية لهيمنة مالكي القوة على تشكيل وإعادة إنتاج إيديولوجية المجتمع وقواعد السلوك بما يسمح لهم ضمان كيفية إعادة تشكيل الواقع وصياغة الرأي الفردي والجماعي للسيطرة على وسائل الإنتاج والمؤسسات المرتبطة بتشكيل صياغة الأفكار كالمدرسة/ تصورات المجتمع/ الخطاب المسجدي/ اقربيش/ منظومة القيم الثقافية وفي مقابل هذا الواقع يعمل الخاضعون(الخماسين/الخراصين/المثالثين) لبناء عناصر القوة لتغيير وضعهم بطرق سليمة أوثورة مضادة (عيسى عثمان إبراهيم، 2013، ص92-93).

فمالكي القوة يعملون لبقاء الوضع على ما هو عليه لخدمة مصالحهم، والخاضعون يحاولون تغيير واقعهم بما يضمن تحقيق مصالحهم، وبهذا تبقى احتمالات الصراع قائمة ما دام لا مساواة في توزيع الثروة، فمن مظاهر الصراع التدرج الاجتماعي داخل المجتمع لبناء مكانة قداسيه اعتبارية (بركات حليم، 1998، ص267).

تقترح عالمة الأنثروبولوجيا الامريكية "ولكر Walker" بنظرية المصادر فرضية مفادها "من يعط الحق في العدوان ضد الآخرين امتلاك المصادر المختلفة"، وتشير(أن سلطة اتخاذ القرار

تتبع من نوعية وعدد المصادر المتاحة لكل فرد في العائلة).تتمثل هذه المصادر: المستوى التعليمي، المكانة الوظيفية، المصادر المادية المتاحة كالإرث، العقارات، المداخيل المختلفة، العضوية في المؤسسات. فهذه المصادر التي يتمتع بها الفرد تمنحه السلطة واتخاذ القرارات ولعب مجموعة من الادوار والهيمنة على الأفراد الذين يفتقدونها، وتمكنه من اكتساب مكانة اجتماعية مرموقة، وأخرى اعتبارية بين الناس(معتوق جمال،2013، ص216). وتمكنه القيام بسلوكيات استفزازية كصناعة الآخر، بالحقرة، التهميش الدونية(الحوراني محمد عبد الكريم، 2008، ص267) والذين لا يملكون مقومات الترقي الاجتماعي ولعب الادوار لبناء المكانة يركنهم المجتمع على الهامش يعيشون بدون سند وحائط واق يتكؤون.

2. ظاهرة التهميش: نعني بها الأدنى على هامش المجتمع فقد بنى أنطونيو جرامشي المفهوم في إشارة للجماعات الواقعة تحت هيمنة الطبقات أو(الفئات) الحاكمة داخل المجتمع فالطبقات المهمشة تشمل المزارعين العاملين الحرفيين نقارين، حدادين، نجارين،خرازين/جزارين/حياكين/سعافين/نقالين/كمامين/خياطين/خراصين/خماسين وغيرهم من الجماعات التي تُحرم من الوصول للسلطة المهيمنة لوضع عقبات ثقافية/اجتماعية/ دينية/عرفية أمامها. يزعم "جرامشي" أن تاريخ الطبقات المهمشة، ليس متاحاً لهم الوصول للمؤسسات الثقافية والاجتماعية الفاعلة نتيجة نقصهم الثقافة والإيديولوجية وامتلاك وسائل الرقى الاجتماعي والمادي في المجتمع، ومن جهة أخرى ليس لها إيديولوجية واضحة لافتقاد عناصر ومكونات النُخبة المنتجة والمدافعة عن أيديولوجيتها، فكل جماعة تحتاج لرمز، وإيديولوجية ونخبة التأثير بين الأفراد.

3. الرمز**:** يكرس الرمز وتتأسس سلطته التأثيرية بواسطة تطقيسه (Ritualisation) وتصريفه في المجال، تتوطد هذه السلطة وتصير موجبة للخضوع والهيبة بالبناءات الخاصة مثل(المساجد/أقربيش/قباب الأولياء) فهي تؤسس لسلطة الرمز من خلال حضورها المجالي في الزمان والمكان. فلا يكتفي الرمز هنا بأي نظام اجتماعي بالدلالة على الأشياء الخطابات والممارسات وتمييزها، بل يتعدى ذلك لإعادة إنتاجها وتأسيس سلطته. فيظهر للرمز بثلاثة وظائف: أولها**:** تمثيل الواقع رمزياً. ثانيها**:** إعادة إنتاجه اجتماعياً. ثالثا**:** تكريس سلطته رمزياً، ومع هذا، فهو لا يمكنه وحيداً استدراج وتصريف هذه الوظائف، إذ لابد له من تمفصلات مقاربتيه ضمن حقول أخرى تمنحه القدرة على إعادة إنتاج الواقع وتبرير سلطته. لقد عرّف "هربرت بلومر H. Blumer" التفاعل الرمزي أنه خاصية مميزة وفريدة للتفاعل الذي يقع بين الناس، وما يجعل هذا التفاعل فريداً هو أن الناس يفسرون ويؤولون أفعال بعضهم البعض بدلا من الاستجابة المجردة لها، أن استجابتهم لا تصنع مباشرة بدلا من ذلك تستند للمعاني التي يحققونها بأفعالهم(محمد سبيلا، 2017، ص267).

4. المكانة**:** تمثل مجموعة من الحقوق والواجبات المرتبطة بوضع مكان في البناء الاجتماعي التدرجي، بينما مفهوم الدور في معناه بالجانب الدينامي للمكانة ان يشغل الفرد مكانة مقارنة بمكانات الآخرين في الجماعة والمجتمع عندما ينفذ الحقوق والواجبات المرتبطة بالمكانة يقوم بدور في إطار علاقة هذا الدور بأدوار الآخرين ومكانتهم في الجماعة، فكل مكانة أو وضع

مكاني لمجموعة كالطبقة أو الفئة يرتبط بتوقعات، وبهذا تتكون التنظيمات الاجتماعية من شبكات المكانات والتوقعات فيشمل مفهوم التوقعات في نظرية الدور ثلاثة معان:

المعنى الأول**:** توقعات حسب النص أو المضمون الثقافي. المعنى الثاني: توقعات ترتبط بتفاعلات الآخرين. المعنى الثالث: يرتبط بتوقعات الجمهور والجماعة المرجعية.

يصبح بذلك مفهوم المكانة الدور وما يرتبط به من توقعات أساسية لتحليل البناء الاجتماعي، وعلى مستوى مجتمع الدراسة قد يعود تعدد الثقافات المحلية لتنوع الألسن الناطقة(الزناتية/التارقية/الدارجة/العربية) لتعدد الخصوصيات والبيئة الاجتماعية، وتعدد البنيات الاجتماعية، المادية، اللغوية في المجتمع الأدراري مما شكل تنوعا بنائي اجتماعي ثقافي فلكلوري بيئي. كما تكون إطاراً لتفسير السلوك الإنساني الذي نتج عنه التنوع في العادات والتقاليد المجتمعية حسب البيئة التي يعيش داخلها الفرد.

Thus the concept of status becomes the role and the expectations associated with it from the basis of the analysis of the social structure, and at the level of the study community, the plurality of local cultures may return to the diversity of tongues (Zinatiyya / Tariqiyyah / vernacular / Arab) due to the multiplicity of characteristics and the social environment, and the multiplicity of social, material and linguistic structures in the Adari society Which formed a structural, social, cultural, folk, and environmental diversity. It is also a framework for explaining human behavior that has resulted in the diversity of community customs and traditions according to the environment in which the individual lives.

"نقوم بترجمة بعض المفاهيم والمصطلحات بالإنجليزية لإعطاء اكثر توضيح للعمل"

يرى "ميد": "أن قدرة الإنسان على أخذ دور الآخر وتصور الذات يمكنه من تشكيل اختياراته. لهذا تنصب اهتمامات أصحاب نظرية الدور على الامتثال للمعايير والتوقعات المرتبطة بالدور، ففي أي موقف تفاعلي تميل الحوافز والمشاعر والسلوكيات لتشكيل وحدات مميزة يمكن تسميتها أدواراً، وفي أي موقف تفاعلي يكون معنى الفعل للفاعل والآخرين يتشكل على أساس المعنى الذي ارتبط بالدور(عيسى عثمان إبراهيم، 2013، ص143).تستمر هذه المباراة بحياتنا اليومية دون أن تؤثر أو تعطل العلاقات الاجتماعية، فكل مشارك يحاول كبح مشاعره الحقيقية ليوصل صوره للحالة التي يعتقد أنها مقبولة للآخرين، فكل متفاعل يسقط صورة لذاته وتعريفا للحالة، ليشعر الآخرين بقبوله، فعند المحادثة وجها لوجه يحاول كل واحد تجنب الفضائح من خلال حماية الصور التي يسقطها باستخدام استراتيجيات وأساليب المناورة لمحاولة إقناع المستمع بما يود ايصاله إليه، يحاول المتفاعلون عند الأداء توجيه أنفسهم بما يعتقدون أنها القيم الرسمية للمجتمع، يمكن اجبار المتفاعل في ظروف معينة بالخضوع لضبطيات القيم. يشير **"مرتون"** ان المجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد المتباينين في خصائصهم الاجتماعية ،الاقتصادية ،الإمكانيات، القدرات المادية العلمية، الأمر الذي يجعلهم متباينين في بلوغ السبل المشروعة

لتحقيق الأهداف، وعندما يعجز الفرد عن تحقيق الاهداف المشروعة يتبنى ما يطلق عليه (الانحراف الابتكاري الثانوي) لتحقيق الأهداف غير المشروعة(ارفينج زايتلن، 1989، ص318).

5. التحريم الخطر(Prohibation): يكون بفرض حظر قوي ملزم (نظرياً) يعاقب فاعله اجتماعياً وقانونياً بناء على ردة الفعل الاجتماعية لاقتراف بعض السلوكيات أو أشكال من الأنشطة كالانحرافات الجنسية، تعاطي المخدرات والاتجار فيها(مارشال جوردن: ج/1،ص353). فالحجر المنزلي بسبب جائحة كورونا المستجد (Covid19) مثل رهابا كبيرا على بناء الشخصية، ادي لزيادة التوتر وارتفاع الضغط على الأفراد والجماعات، كثرت فيه الخصومات العائلة لأتفه الأسباب ومع هذا فالاحتباس ضروري للحفاظ على الحياة الخاصة والعامة.

6. الأسرة المتصدعة (Broken home): تعرف هي الاخرى رهابا يتمثل في غياب أحد الوالدين بوفاة افتراق طلاق، هجران، فالأسرة التي يغلب عليها التنافر والصراع في العلاقات بين الوالدين والأبناء تفتقد روح التعاون والتماثل المبني على الاحترام المتبادل بين افرادها، تختلط الادوار وتفقد قيمتها فتصبح عرضة لمظاهر الرهاب الاسري خوفا من الانزلاقات الخطيرة والجرائم المميته التي قد تعصف بها من حين لأخر.(شحاتة حسن، النجار زينب،2003، ص47) إن عوامل الوالدية المؤثرة على الأبناء بالنسبة لخبرات الطفولة وسلوك الوالدين، فقد أظهرت عدة دراسات مستقلة أن الأشخاص الذين نشأوا في أسر تعيسة ومفككة هم الأكثر احتمالاً يكون لهم أطفالاً غير شرعيين تكون زوجاتهم تعيسة ينتهي الزواج فيها بالطلاق تبعا لمقاربة نظرية الدوائر للعالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية "ولكر(Walker)" فمن نتائجه ارتفاع ظاهرة الطلاق والخلع وارتكاب جرائم القتل وخطف الأطفال ذكوراً وإناثاً وتصدع العوائل، ففي الأسر المتصدعة، العائلة الأبوية المستحدثة التنجية افرادا تبعيين، تلبي حاجة أساسية من حاجات المجتمع الأبوي المستحدث، تعمل على تعزيز الولاء المركزي وتضمن استمرار النموذج الأول للسلطة الأبوية (الهيمنة الذكورية) فالفرد هنا رغم كافة أوجه المظاهر العقائدية ولاؤه الأساسي للمجتمع الأبوي يتجه نحو العائلة، وفي إطار التقليد فإن سلطة الأب هي التي تحدد وجهة ولاء الفرد وموضوعه وتعمل على تقوية ولاء الشخص والتبعية للذين تشرب منهم عناصر التنشئة الأولى.

إن نظام الولاء وما يصاحبه من تلبية الاحتياجات يسهل على الفرد القناعة البقاء بواقعه الراهن، وفي سياق الولاء القائم على العجز والخضوع، فالمجتمع يكون بطبعه هو أيضا خاضعا لإدارة وإرادة أصحاب النفوذ والجاه فمن نتائج التفكك العائلي تأثر الأطفال بحدوث الطلاق والانفصال بين الوالدية فيصابون برهاب عائلي يضمرونه في اللاشعور يستنسخون منه شخصية مهزومة مقهورة متواهيه ممثلنة للغير، يدخلون في ظاهرة "العدمية التوحشية" بالعمر الزمني والمكاني وقت حدوث الانفصال فحساسية الأطفال للأحداث ونوع استجاباتهم تختلف باختلاف مستوى النمو والادراك والثقافة يقسم التفكك الأسري لثلاثة أنواع: النوع الأول: تفكك ناشئ عن انحلال الأسرة. النوع الثاني: تفكك ناشئ عن تغيرات تعريف الدور لتأثير التغيرات الثقافية. النوع

الثالث: تفكك ناشئ عن اسباب عاطفية والذي يعرف ب(القوقعة الفارغة)،حيث يعيش أفراد الأسرة مسكن واحد تكون العلاقات والاتصالات بينهم في الحد الأدنى دون أن توجد بينهم روابط عاطفية(الشافي محمد مبارك، 2006، ص18). فالوالدية عندما تخاطب أطفالها تتحدث من واقع ما تعلمته من مجتمعها من قيم وسلوكيات فردية واجتماعية، لا من واقعها هي، وبالتالي فإن عملية التطبيع الأسرية تعمل على إعادة إنتاج الشخوص الأبوية المدرجة ضمن تفاعلات التنشئة الاجتماعية بما في ذلك مجالها الزماني والمكاني، وفق البيئة المعيشة، فقد عملت تلك الخصائص المبنية من قبل المجتمع لتفعيل عناصر المكانة ولعب الادوار(ملكية الماء/ العقار الفلاحي) على تفكيك المجتمع لبنيات اجتماعية، بنيات ثقافية، بنيات اقتصادية، بنيات مادية. من هنا تبدلنا الظاهرة البنائية الانقسامية بمجتمع الدراسة مظهرا من مظاهر التصورات والتمظهرات الوصمية المركونة ضمن الخيال الاجتماعي تم احتضانها بمنظومة الخطاب الديني/الثقافية المحلية فاحتضنتها فعاليات الزيارة، الفتحة، الفعاليات الفلكلورية نظم الفقارة، منظومة القيم الاجتماعية جميعها مثلت حواضن اساسية لاستخفاء التصورات الوصمية داخل البناء الاجتماعي، وبالتالي توزع الشهادات الأخلاقية على افراد المجتمع، للتقليل من شخصية الآخر وبناء فضاء لرفضه اجتماعيا وعدم تقبله.

يمثل مفهوم البنية بهذه الدراسة نسقا من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نمطا في مقابل الخصائص المميزة للعناصر. من شأن هذا النسق أن يظل قائما يزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها دون أن يكون من شأن هذه التحولات الخروج عن حدود النسق، أو أن تهيب بأية عناصر اخرى تكون خارجة عنه، واخيرا لابد لكل بنية الاتسام بثلاثة خصائص: (الكلية، التحولات، التنظيم الذاتي). فمفهوم البنية، يمثل مفهوم العلاقات الباطنية الثابتة المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الاجزاء، بحيث لا يفهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية داخل المنظومة الشاملة (إبراهيم زكريا: 1996،ص30-35).

ثانيا. رهاب المصحات العقلية Phobia of mental instituciones

من الواضح ان كل منظور يقوم على الموقف الاجتماعي ومصالح وقيم، سواء كان الفاعل على وعي أو لم يكن فإن مصالحه تميل للاتفاق مع مصالح الجماعات الاخرى، فعند دراسة جماعة ينظمها تدرج اجتماعي، نرى كلما زاد وعي الفرد بمصالحه ومصالح الجماعات المنتمي لها، كلما أدرك أفضلية جماعة عن أخرى، بهذه المبادئ يرى نزيل العيش بمكان واحد (مغلق) تحت سلطة واحدة للمؤسسات الكلية لها صفة الشبه، يظهر ان هناك سبق أساسي بين النزلاء وهيئة المراقبة حيث يشعر الآخرون بالفوقية والعليّة ويشعر النزلاء بالدونية والضعف والاحتقار، فمنذ لحظة دخول النزيل المؤسسة يتعرض وبشكل منظم لسلسلة من التحقير وإنزال القدر والإذلال، مما يؤدي لتفكيك الثقافة الاولية، فيصبح النزيل تدريجيا غير لائق للعالم الخارجي يحاولون تذويبه في العالم الجديد الذي قدر له أن يمضي فيه وقتا معيننا او دائما. وهكذا يتعرض النزلاء (لموت مدني بفقدان الذات) وعندما يثورون أو يرفضون إفقاد التنشئة وإعادتها يعاقبون بقسوة فيخضعونهم باستعمال ثلاثة ردعيات لإجبارهم على التماثل والتماهي بالغير والخضوع النفسي

والجسدي اولها: زيادة جرعة الدواء المسكنة ثانيها: الاغلاق والعزل الانفرادي ثالثها: الضرب الخفيف. (ارفينج زايتلن، 1989، ص329).

في المؤسسات الكلية تجبر أعدادا كبيرة على العيش بمكان واحد تحت سلطة واحدة، يسير النزلاء بالرفقة المباشرة لمجموعة من الآخرين المتشابهين، يكونون تحت رقابة وضبط دقيقين، وليكون النزيل موضع مكان إقامته، تحمل هذه المؤسسات شبه الطبقية كعامل أساسي بين النزلاء وهيئة المراقبة التي تتبنى فوقية وعلية على النزلاء، بينما يفرض على النزيل الشعور بالدونية والضعف وتقبل الوصمة الاجتماعية، التي سلطها المجتمع عليه كعلامة، فالنزيل عبارة عن رقم بلا كيان، وهكذا يتعرض النزلاء لموت مدني(طمس وفقدان الذات) لفقدانهم الحياة المدنية والحصول على حقوق هزيلة يحصلون عليها أبوياً. وعندما يغضب النزيل أو يثور على واقعه المعيش أو يتحدى السلطة يعاقب. فتضطر المؤسسة لإفقاد تنشئته بما يتلاءم وقواعدها الضبطية المتفق عليها اداريا، ولزيادة ابعاده عن واقعه تعمل المؤسسة بواسطة.

1) إعطاء النزيل لباساً مميزاً ترتديه كل المجموعة للتمييز عن عمال المؤسسة الذين يختلف لباسهم عن لباس النزلاء.

2) يعطى للنزلاء أرقاما لرقمنتهم حسب رقم حجرتهم أو عنابرهم، هنا تتضح أكثر عملية إفقاد التنشئة فيصبح على النزيل التخلي مجبرا عن اسمه البيولوجي وتقمص اسما او رقما (كشيء) معينا ينادى به، فيفقد تدريجيا اسمه البيولوجي الذي كان ينادى به قبل ولوجه مؤسسة الظل.

3) تحديد وتنظيم سلوكياته وفق نظام المؤسسة، يكون النوم واليقظة وفق ساعة معتمدة على النزيل حدقها أو تعرض للعقوبة المعنوية والمادية.

4)إلزامه بواجبات وحقوق معينة تلزمه بالطاعة العمياء واكتساب السلوك الوقائي ليتمكن من تفادي ردات فعل زملائه وعمال المؤسسة.

5) التحكم في مواعد إطعامه واستراحته، ومواعيد تفاعله مع النزلاء، فأشد أنواع الغبن والقلق والصداع تلك الحالة الانفرادية التي يدخل فيها النزيل لعقوبة ينفذها تمنعه الاتصال والتواصل مع المجموعة التي ينتمي اليها، فالفرد لا يمكنه العيش منفردا ولا يستطيع بناء تفاعل إنفرادي بينه وبين نفسه، يبقى دائما في حاجة لمن يحاوره ويبادله نفس الشعور والاهتمام، فأثناء تواصله يبحث عن التعزيز ومن يؤمن فكره ويطرح عليه ما يؤرقه ليحصل التفاعل الدينامي، فالإنسان مجبول على التفاعل والتواصل الاجتماعيين مع بني جنسه.

1. إفقاد التنشئة الاجتماعية **(Desocialization):** تمثل تلك العملية التي يتم من خلالها إزالة التنشئة الاسرية والاجتماعية بصورتهما الأولى (المبكرة) فقد يتم تفكيكها أو هدمها،او ازالتها كليا او جزئيا، ترتبط هذه العملية بدراسة عمليات الإصلاح الفكري وغسل المخ كما يشير"ارفنج هوفمان" بكتابه "عرض الذات في الحياة اليومية" أنها عبارة عن عملية إماتة الجسد (Mortification) فعند دخل النزيل إحدى مؤسسات الاقامة الداخلية(كالسجون، دور الرعاية، المصحات العقلية، الثكنات، أضرحة الأولياء، المدارس الكبرى) يتعين عليه التجرد من سلوكياته السابقة والقبول بتقمص أخرى جديد (مارشال جوردن، 2000، ص286).

2. الإقامة في المؤسسات(المؤسساتية) **(Institulationalization)**: يستخدم هذا المفهوم لوصف التأثيرات السيكولوجية التي تحدث للأفراد نتيجة الإقامة داخل المؤسسات الخاصة المغلقة، ان فترات الإقامة الطويلة داخلها كمستشفى الأمراض العقلية، السجون. ينتج عنها رهاب ناتج عن القلق والتوتر، اللذان يصاب بهما النزيل وان كان أغلب هذه التأثيرات غير متفق على أسبابها الدقيقة تتمثل في الاعتماد على الغير والسلبية واللامبالاة، فقد يطلق عليها أحيانا المؤسسية **(Institutionalism)** (مارشال جوردن، 2000، ص187). تعتمد كل مؤسسة كلية على معايير التمييز التشخيصي الامتثالي، من ضمنها تطبيق أدوار متباينة يكلّف النزلاء بأدائها تختلف في أعبائها، يحاول النزلاء من خلالها بناء ربط علاقة مع مسؤولي المؤسسة للوصول بهم لأدوار الامتياز الرضا مما يولد حساسيات وتنافس بين النزلاء، يمنع توحيدهم، وفي حالة فشل النزلاء تكوين جماعة الضغط يحاولون وجود مخرج في إطار الجماعة أو الانفراد والعزلة أحياناً للإفلات من الضغط المؤسسي من ناحية اخرى، ولإظهار حسن سيرتهم يعملون ما في وسعهم للانفلات من ضغوط المتسلطين(جماعة التميز) من النزلاء مالكي قوة الضغط والانفرادية امام النزلاء(عيسى عثمان ابراهيم، 2013، ص139).

3. إعادة التنشئة **(Rasocializtion)**: تفعل هذه العملية ضمن إطار إعادة وتهيئة النزيل الجديد ليفقد كما سبق القول معالم شخصيته الاولى يصبح مرموزا مرقوما موسوما برقم باب الغرفة او العنبرة الذي يأويه، يتناسى ملابسه وأدواته وحاجاته التي جاء مكتسيها أول يوم من منزله، ينزع منه مظهره الخارجي وتدريجيا قولبة ذاته الداخلية، بإلباسه لباسا خاصا كأول عملية التخلص من المظاهر الخارجية، يوقتونه أوقاتا تحددها الإدارة، يتعرض للموت البطيء عليه دوما الطاعة وتبنى مظاهر فيزيقية والاستجابة الشفوية لمذلة المسؤولين عن طريق التماهي بهم، ومثلنتهم وتشرب السلوكيات(زايلتن ارفينج، 1989، ص329) والقصد هنا إعادة تعلم المعايير والجزاءات الثقافية المرتبطة أساسا بإيديولوجية القوى الحاكمة المتمثلة في اصحاب المؤسسة، وعند العودة للنظام الاجتماعي بخروج النزيل من مؤسسة مغلقة(كالمسجونين الخارجين للحياة العامة، والعائدين من سفر خارجي، حتى يمكنهم أن يصبحوا مقبولين مرة أخرى بصورة كاملة داخل النظام عليهم التكيف والتوافق الاجتماعين من جديد مع القواعد الضبطية المنظمة للحياة العامة (مارشال جوردن، 2000، ص181) ولتحافظ المؤسسة على شرف البقاء تقدم نفسها للعالم الخارجي كوسيلة عقلانية فعالة تدّعم السياسات العامة والأهداف المتفق عليها. فالبرنامج التأويلي الذي يفرضه قادة المؤسسة على النزلاء يقوم على أن مجرد وجود الفرد داخل المؤسسة دليل كاف على انتماء الفرد للمكان فيصبح عرضة للوصمة والتهميش، يبقى في نظر نفسه تلك السمة التي قد تلازمه طيلة حياته(مسجون/مريض عقليا/مجرم)، فالسجين لابد أن يكون خالف القانون، والمريض في المصحة العقلية لابد أن يكون مريضا فإن لم يكن كذلك فلماذا هو في مثل هذه الأماكن حسب رأي المؤسسة الكلية، والسؤال الذي يطرح هنا: كيف يصبح الشخص مريضا عقليا؟ ومن الذي يقرر خبله وفقده لعقله؟ من الواضح عندما يمر الشخص ببعض التجارب القاسية كتخيل أشياء أو فقدان توجيهه، بسماع أصوات، أو شك أن أحدا يتبعه، يعتبر هذا أحد أعراض المرض العقلي، فهذه التصورات والتمظهرات قد عرفت ونمطت كثقافة من خلال تطبيع التنشئة

الاجتماعية،حتى اصبح ذكر مصحة عقلية يبني تصورا زائدا عن الاصابة بالخبل النفسي (زايلتن إرفنينج، 1989، ص330).

4. التعديل المؤسستي (Transinstitionalization): يمثل تلك العملية التي ينقل الأفراد بمقتضاها من مؤسسة التواجد (المستعفية /الصحية/ المستخيلة) نتيجة سياسات الرعاية المتبعة من قبل المجتمع المحلي فينتهون بدخول مؤسسات عبر بيوتهم كحال (المرضى عقليا، المساجين، المتواجدين بالثكنات العسكرية، المرضى بالمستشفيات، ونزلاء بيوت الإيواء، وبيوت الرعاية التمريضية، ومراكز رعاية كبار السن، والمحجورين بسبب كورونا 19 المستجد) تهدف دور الرعاية التمريضية تقديم الرعاية (التمريضية) طويلة الأجل للمسنين، والرعاية الشاملة كمراكز الطفولة المسعف المشتلة 1و2 بوهران، ومركز رعاية المسنين ببلدية مسرقين بوهران أيضا، فهي تأخذ على عاتقها التأهيل وتقدم لمن لا يستطيعون القيام بخدمة أنفسهم ما يحتاجون من رعاية طبية، نفسية، اجتماعية، سياحية، وزيارات عائلية في المناسبات الدينية والوطنية لبناء الدفء العائلي لقاطني هذه المراكز، تقوم عليهم(مصحة طبية داخلية) متعددة التخصصات.

خلاصة.

قبل ظهور نظام استصلاح الأراضي الفلاحية سنة 1984 كان مجتمع الدراسة يعيش اقتصاد الكفاف، وما ان ظهرت بوادر استخلاص نظام جديد دخل المجتمع في حركية شاملة لم يعرفها إلا أيام الثورة الزراعية(الأرض لمن يخدمها) سبعينيات القرن العشرين، وقد تزامن ذلك التحول مع فتح فروع مؤسسات التمويل والتجهيز، التي استقطبت العديد من عمال الزراعة، خماسين وخراصين ، فكانت أولى بوادر أسباب التخلي التدريجي عن نظام الفقارة، ونمطي الإنتاج الخماسة والخراصة، فتشكلت بنيات اجتماعية واخرى مادية جديدة داخل نسيج البناء الاجتماعي بفضل ظاهرة التعارض الثنائي (اندرو وبيتر سيد جويك، 2014، ص179) التي عاشها أفراد المجتمع بوعي أو بغير وعي، فدخل مالكي المياه والعقار الفلاحي التقليديين مرحلة من الصراعات دفاعا عن مصالحهم، بهروب الخماسين والخراصين التفاعل معهم ،برفض العمل بنظام الفقارات وطلب الاستفادة من أراضي البور التي شرعت الدولة بتوزعها على صغار الفلاحين خماسين وخراصين بصورة مجانية.

فقد كان يعيش بالمجتمع أفراد مهمشون موصومون، حياتهم هامش اختياري، يتماهون بالغير. وآخرون ما كان لهم من بديل إلا عيونا حانقة ناقمة عن مجتمع ظلمهم، وجوههم شاهبه أحيانا وعابسة أخرى، تلازم مناطق الظل (الهامش) أجسامهم منهكة، وحينما تتعب تستلقي على الرصيف (الظل) تعيش في عالم الصمت تحدث احيانا صرخات ناقمة/غاضبة،لا نسمعها إلا عندما يتولد لدينا الإحساس والشعور بالخطر الذي يهدد حياتها داخل اماكن الظل،(الخماسة /الخراصة) ينتابها شعور الشك تدفعها هواجسها عند اليأس للتفكير في إيقاع الأذى بذاتها(هجران/سفر/ انتحار) كنوع من الدفاع عن الذات المهددة وكرد الاعتبار عندها تضمحل أواصر العلاقة بينها وأفراد الجماعة المرجعية (الوجدان الجمعي) بانهيار منظومة قيم الضبط بينها والجماعة المسيطرة بحكم امتلاكهم عناصر الترقي واكتساب المكانة، فيلجأ الإنسان المهدور لأسلوب الخداع فيتماهى بالغير دفاعا عن شخصيته المسلوبة،أن أسلوب هذا النموذج من الإنسان

المقهور يحوله من ضحية لمعتد على أمثاله الضعفاء، يصبح أداة بطش طيعة بيد المتسلط لمعاناته وهم القيمة والاعتبار اللذان يدفعانه للاستسلام للمتسلط.

قائمة المراجع:

1.الحافظ منير(2011)، سوسيولوجية الرّهبة الأنا القومية وأنماط ثقافة الخوف، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.

2.الحوراني محمد عبد الكريم(2007)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

3.الشافي محمد مبارك(2006)،التفكك الأسري وانحراف الأحداث، رسالة ماجستير، جامعة نايف للعلوم الامنية، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الاجتماعية.

4.اندرو ادجار وبيتر سيد جويك(2014)،موسوعة النظرية الثقافية المفاهيم والمصطلحات الاساسية، ترجمة هناء الجوهري، ط/2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر.

5.بركات حليم (1998)، المجتمع العربي المعاصر، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

6.راتر مايكل (1981)، الحرمان من الأم إعادة تقييم، ترجمة ممدوحة سلامة محمد، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

7.رولا عودة السوالقة، الحسني اسماعيل محمد(2019)، الرهاب الاجتماعي من التنظير الاجتماعي إلى العلاج، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 16، العدد A2، الإمارات العربية المتحدة.

8.دوركهايم اميل(1982) تقسيم العمل ،ترجمة حافظ الجمال اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع بيروت لبنان.

9.زايتلن ارفينج(1989)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ترجمة عودة محمود، وابراهيم عثمان، دار السلاسل، الكويت.

10.سبيلا محمد، الهرموزي نوح (2017)،موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفية، المركز العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية الرباط، المغرب ط/1

11.شحاته حسن، زينب النجار(2003)، معجم المصطلحات التربوية والنفسية، ط1، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان.

12.شرابي هشام (1993)، النظام الأبوي واشكالية تخلف المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، لبنان.

13.عيسى عثمان ابراهيم (2013)، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، ط3، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

14.مارشال جوردن (2000)،موسوعة علم الاجتماع، المجلد الاول، ترجمة مجموعة من الأساتذة، مراجعة محمد الجوهري، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.

15.معتوق جمال(2013)،مدخل إلى سوسيولوجية العنف دار الكتاب الحديث الجزائر، ط/1.

16.مقدم مبروك (2019)،البنيات الاجتماعية وإكراهات الوصم، رسالة دكتوراه في علم اجتماع العنف والعقاب كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة البليدة2.
17.زكريا ابراهيم (1986)، مشكلات فلسفية، مشكلة البنية، ط/1، مكتبة مصر، المملكة المغربية، الرباط.

أسباب وأضرار انتشار ظاهرة الغش بالوسط المدرسي ومساهمة الجزائر في الحد منها

د.مليكة بن زيان، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة - الجزائر

ملخص: موضوع الغش بالوسط المدرسي قديم حديث، إلا أن تناوله في الفترة الأخيرة ناجم عن تفشيه بشكل أكبر من الأول وممارسته بطرق حديثة تماشيا مع ما جاءت به التكنولوجيا وتأثير هذه الأخيرة على القيم الأخلاقية لدى المتعلمين، لهذا ومن خلال هذا المقال سوف نتطرق لأهم الأسباب المساعدة على انتشار هذه الظاهرة بالوسط المدرسي بالإضافة إلى الأضرار التي تنجم عن ممارستها والتي يتأثر بها كل من الفرد والمجتمع وتحط من قيمة كل من الأخلاق والمستوى التعليمي للمتعلمين كما سوف نعرض بعض الاقتراحات التي يمكن الأخذ بها لمعالجة هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: الغش، الامتحان، الغش بالامتحان. أسباب الغش، أضرار الغش.

Causes and damages of the spread of the phenomenon of cheating in the school environment and Algeria's contribution to reducing them

D. Malika BENZIANE, University of 20 August 1955 Skikda- Algeria

Abstract: The topic of cheating in the school environment is old, modern, but its handling in the recent period is due to its spreading more than the first and its practice in modern methods in line with what the technology came with and the effect of the latter on the moral values of students, for this and through this intervention we will address the most important reasons to help spread This phenomenon, in addition to the damage that results from its practice, which affects both the individual and the society and undermines both ethics and the educational level.

Key words: cheat, exam, cheat, exam,causes of cheat, damages of cheat

مقدمة إشكالية:

تعد مشكلة الغش في الامتحانات المدرسية من أخطر المشاكل التي تواجه التعليم وأوسعها تأثيرا على حياة التلميذ والمجتمع، والغش ملازم لكل من الكذب والسرقة وخيانة الأمانة، كما أن ظاهرة الغش خيانة للنفس وخيانة للآخرين وهي تبدأ في الامتحانات وتنتهي إلى كل مجالات الحياة، إن الغش ظاهرة خطيرة وسلوك مشين وله صور متعددة وأشكالا متنوعة ابتداء من غش الحاكم لرعيته ومرورا بغش الأب لأهل بيته وانتهاء بغش العامل والموظف في عمله.

تعد ظاهرة الغش في الامتحانات والتي أصبح يشكو كثيرا من المدرسين والتربويين من انتشارها من الظواهر التي لم تحظى بالمعالجة اللازمة والكافية في مؤسساتنا التعليمية رغم تفشيها في

جميع أطوار التعليم ابتداء من المرحلة الابتدائية مرورا إلى المرحلة الثانوية وصولا إلى مرحلة التعليم الجامعي.

يعتبر سلوك الغش خطرا على الفرد الذي يغش وعلى أفراد المجتمع جميعا، وتزداد خطورته عندما تمس الفئة المتعلمة في المجتمع التي يُفترض أن تكون وسائل التربية والتعليم قد هذبت سلوكها وصقلت أفكارها لغرض تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها وخاصة الغش في الامتحانات.

وإذا كانت فلسفة التربية تسعى نحو تحقيق أهداف من خلال العملية التعليمية الشاملة والمستمرة في تهذيب شخصية الفرد، فإن هذه الأهداف تتمركز أساسا حول قيم معينة تحظى بالتفضيل اجتماعيا في إطار الفلسفة الموجهة للمجتمع، والتربية عملية أخلاقية لا قوام لها بلا قيمة الأمانة ولا شك أن تفشي الغش يعيق عملية تعديل السلوك ويعيق الجهود الموجهة لاكتساب الأفراد للقيم المفضلة في إطار الفلسفة التربوية المشتقة من الفلسفة العامة للمجتمع.(اللقاني عبد الحميد، 1983، ص 7).

ذلك أن التربية تهدف عبر برامجها وفلسفتها ومناهجها وأنشطتها ووسائلها إلى غرس القيم الفاضلة التي ارتضاها المجتمع لتنمية الحس الإنساني،فعندما يختل التوازن في المؤسسات التعليمية وتهتز قيمة الأمانة والصدق والثقة، ينحرف مسار تعليم الناشئة فكرا وسلوكا. (الكندري، 2010، ص 2). وتعتبر مشكلة الغش والخداع في الاختبارات وغيرها من الأنشطة في الفصل وخارجه من القضايا الخطرة التي تواجه العملية التعليمية في مختلف المراحل الدراسية بشكل عام... لهذا فإن الأمر لا يحتمل التراخي أو التساهل معه كونه يهدد قيم الفرد والجماع ومصلحتهما.

ونظرا لأهمية موضوع الغش بالامتحانات، والذي يرتبط بحاضر ومستقبل كل من الفرد والمجتمع ارتأيت أن أتناوله من خلال هذه الدراسة وتمحور سؤالنا حول: ما هي أهم الأسباب التي تدفع التلميذ للغش بالامتحان وما هي الأضرار التي تنجم عن هذا السلوك السلبي الذي يصدر بالوسط المدرسي؟ مع الحرص على إعطاء بعض المقترحات للحد من هذه الظاهرة بمؤسساتنا التعليمية.

هذا وتتمحور أهمية دراستنا هذه في النقاط التالية:

-انتشار ظاهرة الغش في الامتحانات عند التلاميذ في جميع مراحل التعليم المختلفة.

-خطورة الظاهرة على شخصية الفرد وتهديدها لأخلاقه وقيمه وقيم وأخلاق المجتمع.

-إنتاج مخرجات تعليمية ضعيفة لا تلبي احتياجات سوق العمل حيث تكون ناقصة الكفاءة وأقل انضباطا في العمل.

أما فيما يخص أهداف الدراسة فتكمن في:

-التعرف على مفهوم الغش بالامتحانات ورأي الدين في الموضوع.

-إبراز خطورة الظاهرة وحتمية التحرك المجتمعي لغرض محاربته في المؤسسات التعليمية.

-تقديم مقترحات تتعلق بالحد من الظاهرة الغش بالامتحانات.

أولا: تحديد مصطلحات الدراسة:

1- تعريف الغش:

الغش لغة: غش، يغش، غشا، الغش: الخداع، الغاش والغشاش: المخادع.(فرحات، 2001، ص 428).

الغش اصطلاحا: هو سلوك يهدف إلى تزييف الواقع لتحقيق كسب غير مشروع مادي أو معنوي، أو إرضاء لحاجة نفسية.(بكيش، 1979، ص 2).

2- **تعريف الغش في الوسط المدرسي:**

يعرف التير مصطفى (1980، ص 16) الغش بأنه: "سمة الغش على كل النشاطات غير المسموح بها في الامتحانات للحصول على تقديرات جيدة أو تحقيق بعض المتطلبات".

ويعرفه زياد حمدان (1986، ص2): "يتمثل الغش في الاختبارات بحصول التلميذ على الإجابة المطلوبة لسؤال ما بطرق غير مشروعة أو غير عادية أو بناءة لتعلمه ونموه الشخصي في الغالب، كأن ينقلها من قرين له أو كتاب أو مذكرة أو أوراق خاصة عادية أو مصغرة أو من على مقعد أو على جدار بغرض تمرير المادة الدراسية دون اعتبار يذكر لتعلمها، أو دون وعي بأهميتها لحياته ونموه ومستقبله".

كما يعرف الغش المدرسي بأنه**:**"محاولة المتعلم إيهام المدرس أن العمل المقدم من إنجازه، وفي هذا المضمار لا يتمكن الأستاذ من تقويم قدرات التلميذ ومهاراته ومعارفه للوقوف عند مواطن الخلل والضعف والقصور لمعالجتها من جهة، وتقدمه وتحسنه من جهة أخرى مما يساهم في تزييف حقائق التقويم".(Pech M.E, 2011)

كما يعتبر الغش نوع من التحايل والخداع والسرقة الذي يستعمله المتعلم، مهما كان مستواه التعليمي بالمدرسة أو بالجامعة أو بالمؤسسات الأخرى أثناء خضوعه وتأديته الامتحانات أو المسابقات للإجابة على الأسئلة التي قدمت له قصد الحصول على نتائج جيدة وضمان النجاح للوصول للهدف المنشود.

إن الغش بالامتحانات لا يعتبر فقط سلوكا لا أخلاقيا، بل أيضا سلوكا يمس بآداب التعلم، وبمصداقية التعليم والمؤسسات التعليمية على كافة مستوياتها، كما أنه يتعدى ذلك ليصل إلى ضرب الأهداف والقيم، التي جسدها الدين الإسلامي والأخلاق، وأيضا جسدتها الفطرة الإنسانية السوية، إن سلوك الغش لا تقره لا العادات ولا التقاليد الاجتماعية ولا حتى من قبل الإنسان الأول البدائي.

نستخلص من التعاريف السابقة ما يلي:

-إن التلميذ يسعى من خلال سلوك الغش في الامتحانات لتحقيق كسب أو فائدة لا يستحقها.

-سلوك الغش سلوك لا تجيزه الأعراف والقوانين وعليه فإنه غير مشروع غير مبرر كما أنه غير مقبول اجتماعيا.

-سلوك الغش بالامتحانات سلوكا يمس بمصداقية التعليم، كما يعمل على ضرب القيم الاجتماعية في الصميم.

ومهما قيل عن الغش في الامتحان فإنه لن يخرج عن كونه من الظواهر التي تؤدي إلى تدني المستوى التعليمي وتراجع مستواه وكما ينعكس سلبا على المدى الطويل على تطور وازدهار المجتمع الذي ينتشر به.

ثانيا: رأي الدين في الغش بالامتحانات:

الغش حرام بإجماع أهل العلم من خلال الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء: ومن النصوص والشواهد التي تحرم الغش ما يلي:(العصيمي، 2002، ص 14) قوله تعالى:" وَيْلٌ للمُطَفِفِينْ الذِينَ إذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونْ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يخْسِرُونْ" (سورة المطففين، آية 1-3)، وعليه فإن الله تعالى قد ذم الغش وتوعد أهله بالويل، مع العلم أن الغش يشمل مناحي الحياة جميعها، ويوجد ما هو أكثر وطأة من الغش المذكور آنفا في الآية الكريمة وهو غش المجتمع من خلال ممارسة مهن تؤثر مباشرة على حياة الناس من بينها التعليم والطب والهندسة وصناعة الأغذية وغيرها.

ومن هذا يتضح رأي الدين الإسلامي في موضوع الغش في الامتحانات بكونه سلوك محرم ينم على عدم الأمانة وضرب من ضروب السرقة والادعاء بل هو ضرب من الظلم والتزييف وهو إهدار لقيمة تكافؤ الفرص ويمكن اعتباره مرض يصيب النظام التربوي ولا بد من التدخل ووضع حد له على مستوى جميع المؤسسات التعليمية.

ثالثا: أسباب ودوافع الغش في الامتحانات:

ظاهرة الغش ليست خاصة بأمة أو بلد أو مجتمع معين، فهي ظاهرة إنسانية وعالمية، فهي من طبيعة الإنسان ومميزاته السلبية، ومن الأخلاق المنحرفة والسلوكيات الاجتماعية الغير سوية التي يسلكها الأفراد في مختلف المجتمعات وذلك بسبب ضعف التربية وسوء الأخلاق واختلال عوامل الضبط الذاتي والخارجي، والتي يتم فرضها على الأفراد من طرف المجتمع لغرض ضبط السلوك وتقويم الأفعال وردع مخطئ.

ولعله من المفيد أن نعرض هنا أهم الأسباب والدوافع التي تدفع المتعلمين إلى الغش في الامتحانات والتي يمكن تصنيفها إلى أسباب داخل قاعة الدراسة وأخرى خارجها، كما يمكن تصنيفها إلى عوامل تتعلق المتعلم أو الطالب وأخرى تتعلق بالمجتمع والبيئة وثالثة بالمنهج بمكوناته المختلفة، وهي كما يلي:

1- التنشئة الاجتماعية والعلاقات داخل الأسرة:

تعتبر الأسرة أهم عامل يساهم في تنمية سلوك الغش، عن طريق مشاهدة الطلاب أفراد أسرتهم وسماعهم وهم يغشون في أعمالهم، أو علاقاتهم فيكتسبون هذا السلوك، كما أن للاستقرار الأسري دور في تمسك الأبناء بسلوك الاستقامة فقد أثبتت الكثير من الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية أن أبناء الأسر المتماسكة يتصفون بالتوازن النفسي، والقيم الراسخة، ويتخوفون من المجتمع وتقويمه ونظراته السالبة، لهذا تقل هذه الظاهرة بينهم، كتب صاحب منتدى العمدة : "غالبا نلاحظ أن الطبقة العليا في المجتمع ما تشجع أو تضغط على ولدها من أجل احتلال مركز اجتماعي مرموق على العكس من الطبقة الدنيا".(منتدى أهل الدليل، 2020).

في كثير من الأحيان تعاني المدارس بشكل عام من سلبية بعض من الأولياء في متابعة أبنائهم وترك الحبل على الغالب لإدارة المدرسة لتتحمل التربية مع التعليم والحقيقة هي إن هؤلاء الأولياء لا يشعرون بالخطر الحقيقي الناجم عن سلبيتهم إلا بعد حدوث أضرار تمس أبناءهم سواء كانت انحرافات سلوكية أو فشلا دراسيا،والشيء الملفت للانتباه أن الاتهام يوجه في غالب الأحيان إلى إهمال المدرسة وفشلها في رعايتها للأبناء، ناسين دورهم الأساسي في تربيتهم ورعايتهم بالإضافة إلى ضرورة تواصلهم مع المدرسة من أجل حمايتهم وحماية المجتمع.

إن ضعف الضبط والمراقبة والمتابعة والتوجيه من طرف الأسرة لأعضائها الصغار وخاصة المتمدرسين منهم غالبا من يسمح بحدوث هذا النوع من الظواهر السلبية حيث أن الضبط الاجتماعي يعد من أهم وظائف العملية التربوية الفاعلة والتي تجبر التلميذ أن يسلك السلوك السوي دون حدوث أي انحراف خلال مسيرته الدراسية وحتى في شؤونه الأخرى.

لذا كان لزاما على الأسرة غرس مبادئ معنى الأمانة في الطفل منذ نعومة أظافره من خلال تعامل الأسرة ذاتها مع بعضها بعضا ومع المحيطين بها، (الصدق، أداء الأمانة وتحديد المسؤولية والقيام بها، معرفة الواجبات واحترام الحقوق ....الخ) كل ذلك من شأنه أن ينمي لدى الأبناء معنى الأمانة التي هي نقيض الغش تماما.

2- الخوف من الامتحان: إن شعور التلميذ بالخوف والإحباط تعد عوامل هامة تدفع إلى سلوك الغش للحد من الشعور المؤلم الذي يعانيه بسبب فشله.

مع العلم أنه قد يحدث لبعض التلاميذ درجة قليلة من التوتر تسمى قلق الامتحان، فإذا زادت حدة القلق تسمى خوفا، وكلاهما غير محمود لأنه يبعثر جزءا من ترتيب الأفكار، ويستهلك جزءا من طاقة العقل كان يمكن الاستفادة منها في المراجعة واستذكار الدروس، وقد كتب علماء النفس عن قلق الامتحان ورهابه كثيرا من المؤلفات, ومنشأ القلق عدة جهات أهمها: الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق والمجتمع، كل منها ينبه التلميذ بطريقته الخاصة وباستمرار بالامتحان وعواقب الرسوب وما يترتب عليه، وتتشدد بعض هذه الجهات في ذلك بأن تمنع الترويح والراحة وغيرهما من الأعمال التي تريح الذهن وتجعله يقبل على الاستذكار بنشاط وشهية مفتوحة.

هذا ويذكر المغيصيب(1988، ص 20-22) أنه إذا كان مستوى التلميذ ضعيفا من حيث قدرته على الدراسة فإن ذلك معناه ضعف التعلم لديه ومعاناته من صعوبات في التعليم تؤدي إلى ضعف قدرته على التحصيل، ولخوفه من الفشل والعقاب الذي يلقاه نتيجة لهذا الفشل فإنه يكون أمام أحد الأمرين: إما أن يتهرب من التحصيل إلى الغش للتعويض وتجنب الفشل الذي قد يلقاه، ومن ثم إلى الانتقال من صف دراسي إلى آخر دون تعلم أو دراسة مما يجعل مستواه الدراسي يتدنى ويتراكم الضعف في قدرته على التحصيل الدراسي، وبذلك يكون للغش أثر تراكمي سيء على التحصيل ومستوى الطالب التحصيلي من عام للآخر.

3- ضعف القدرات وقلة المعرفة والطموح الزائد: من يجهل مقدراته لا يمكنه أن يثق بها، وهو خلل ناتج عن فشل في دور المؤسسات الاجتماعية والتربوية التي أوكلها المجتمع للقيام بأدوار معينة. إن الطموح الزائد يرتبط بضعف القدرات وقلة المعرفة ففي هذه الأخيرة كان التلميذ يجهل إمكانياته أما فيما يخص الطموح الزائد فقد يعرف التلميذ إمكانياته وقد لا يعرفها لكنه مع ذلك

يضع أو تُوضع له آمال وطموحات تفوق مقدراته، لهذا يسعى جاهدا لتحقيق هذه الطموحات بغض النظر عن الوسيلة التي ستتبع، وقد ينتهج منهج الغاية تبرر الوسيلة في نهائية الأمر.

مع العلم أن هناك سمات يتسم بهم الطالب الغشاش بالامتحانات فقد ذكر خالد عبد السلام (2011) السمات التالية:

-كثرة الحركة يمينا وشمالا، وعدم الجلوس باعتدال واستقرار.

-كثرة الحركة، وبروز مظاهر القلق والاضطراب على وجه المتعلم وجسمه بصفة عامة.

-تركيز النظر على الأستاذ الحارس لترقب غفلته والتفاته إلى جهات أخرى، أو اهتمامه بأمر معين.

-تعمد إفساد أوراق المسودة أو أوراق الامتحانات، ومطالبة الحارس بتغييرها من جين لآخر وبشكل متكرر بهدف تشغيلهم، وتغيير وضعياتهم من خلال تنقلهم بين الصفوف، وبالتالي إفساح المجال لهم ولزملائهم للقيام بعملية الغش.

4- ضعف الوازع الديني والأخلاقي: كثير من المسلمين خاصة الشباب يتعاملون مع الدين والمثل والأخلاق بمعزل عن السلوك اليومي ويحصرون الدين في العبادات والسلوك داخل المساجد، وانعكس هذا السلوك في نظرة كثير منهم لهذه الظاهرة، على أنها عثرات صغيرة وهي من اللمم ولا تبنى عليها غيرها، هذا إذا اعترفوا بأنها سلوك خطأ ومعيب، وهذا مؤشر لانهزام القيم وتقهقرها أمام الطموح الزائد غير المبالي.

5- وجود ظروف تساعد على الغش: ترى فضيلة عرفات أن من أسباب الغش وجود فرص سانحة للغش ومنها:

-ازدحام قاعة الامتحان وصغر المسافة بين الممتحنين، وكثافة ازدحام مختلف المواد الممتحن فيها في ظرف وجيز، فصغر المسافة يمكنهم من تبادل الأدوات والأوراق والكلمات.

-قلة عدد المراقبين بقاعة الامتحان، وحتى العدد الموجود قد يستدرج تلميذ أحد المراقبين لمساعدته في أمر ما، كطلب كوب ماء أو طلب أداة أو سؤال حول شيء ما، أو غيرها وكل ذلك ليمكن الآخرين من الغش، إن بعض الدول استعانت بكاميرات فيديو توضع في قاعات الامتحانات، والآن هي تستخدم هذه الكاميرات بكثرة في البنوك والأماكن للحفاظ على أمنها.

-عدم وقوف المراقب في المكان المناسب، مع أن معظم اللوائح تنص أن على المراقب أن يقف في مكان مرتفع يمكنه من رؤية الطلاب جميعهم، فقد يقف في مكان لا يرى بعض التلاميذ، أو قد يقف في المكان المناسب لكن لضعف شخصيته وعدم سيطرته على قاعة الامتحان تحدث هذه الظاهرة.

-تدني المستوى الأخلاقي لبعض المعلمين الأمر الذي يجعلهم يشاركون في الغش، أو يسمحون به، أو يغضون الطرف عنه، وقد ذكر متعب العصيمي: وجود المراقب المتساهل بظاهرة الغش في قاعة الامتحان.(العصيمي متعب، 2002، ص 14).

-مراقبة المعلم لطلابه فقد يتعاطف مع بعضهم وفقا لانطباعاته عنهم.

-دخول العلاقات الخاصة كالدروس الخصوصية أو المذكرات أو ما يسمى بحصص الدعم.

6- الجهل بقانون عقوبة الغش: ورد في المثل: من أمن العقاب أساء الأدب، يقول أهل القانون: العقاب لا يمنع الجريمة لكنه يقلل منها، ربما يعلم بقانون العقوبة لكن ضعف العقوبة أو أن العقوبة قد تكون غير رادعة، أو تعطيل اللائحة أو عدم تطبيقها كما نصت بحجة ضعف القرائن ودفاع بعض المعلمين عن التلاميذ لأسباب متباينة أهمها العلاقات الخاصة، كل ذلك يساعد على تفشي هذه الظاهرة، يرى العصيمي أن :"ترك معاقبة الغاش يساعد على انتشار الظاهرة وتفاقمها".(العصيمي متعب، 2002، ص14).

يقول كل من لورانس بسطا واعتدال حجازي (2011، ص 23) أنه "لقد بينت نتائج دراسات عديدة أن كثيرا من الطلاب يمارسون الغش لأنهم لا يدركون لما يعد الغش سلوكا غير مرغوب فيه وكذلك إلى أن ممارسة الغش تظهر عند الطلاب الذين يتجاهلون أو لم تكن لديهم رغبة أو ميل لمعرفة تأثير الغش في سلوكهم في المدى القريب أو البعيد".

7- تأثير الأقران: لتفسير ظاهرة الغش في ضوء النظريات الاجتماعية فإن نظرية التقليد الاجتماعي تشير إلى أن التقليد أساس تعلم السلوك بوجه عام، إن التلميذ قد يتعلم من أقرانه أو أقربائه ممن يفوقونه بالسن طرق الخداع وأساليب وألاعيب الهروب من المدرسة والتسويف في أداء التكاليف المدرسية ثم يتخذ ذلك السلوك بعد الاعتياد عليه طريق يتعامل بها مع التحديات الدراسية مما يقلل فرص تنمية المهارات الدراسية عند التلميذ.(الكندري، 2010، ص16).

إن بعض جماعة الأقران تضغط على أفرادها لإصدار بعض السلوكيات التي ربما تصادم قيم المجتمع، أوردت فضيلة عرفات: "فيُرمى من لم يغش بأنه معقد ومتخلف وجامد ولربما تمادى أحدهم فاتهم التلميذ الذي لا يساعد على الغش بأنه لا يعرف معنى الأخوة ولا التعاون".(المنشاوي للدراسات والبحوث، 2020).

لذلك يضطر التلميذ إلى التصرف بنفس تصرف زملائه حتى لا تطوله أحكام هؤلاء التلاميذ الغشاشين وحتى لا يتم نبذه والحط من قيمته.

8- الاعتماد شبه المطلق على الامتحانات كأداة رئيسية للتقويم: تركز أغلب الامتحانات على الذاكرة، فكثيرا من الامتحانات من أدنى المراحل الدراسية إلى أعلاها تركز معظمها على قياس المستويات المعرفية البسيطة، وعلى النتائج دون الخطوات (التركيز على النتيجة الصحيحة وليس على الطريقة الصحيحة).

وفي هذا يقول حامد عمار(1996، ص 43):"كما أن نظم التعليم الحالية، المتمثلة في الامتحانات، لم تعد موائمة للتطور، بل معيقة لاستمرار الفرد في التجديد والإبداع. إن قاعدة عمليات التعلم التي تقوم على أساس معايير جامدة تقليدية، تؤدي إلى الغربلة والتصفية بناء على نتائج الامتحانات من دون تطويرها لتوجيه غير المسايرين لتوجهات أخرى من قبيل التكوين المهني في تخصصات ومهن أخرى طبقا لمبادئ نظرية الكفاءات المتعددة".

ففي الفترة الأخيرة ظهرت موضة الاختبارات الموضوعية فأصبحت تستخدم دون الالتزام بقواعدها وأسس وضعها، مع عدم إتباع الطريقة العلمية في مراعاة صفات الاختبار الجيد، والمعالجة الإحصائية لإجابات التلاميذ وهذا ما زاد للطينة بلة ومكنة من استفحال ظاهرة الغش.

كما نجد أن النظام التربوي هو الآخر يدفع التلميذ إلى الغش من خلال تركيزه على الاختبارات التحريرية كمقياس للتحصيل الدراسي مع إغفال أساليب أخرى مهمة هي الأخرى للتقويم مثل الاختبارات الشفهية والواجبات المنزلية والنشاطات المدرسية المختلفة...

9- اعتقاد بعض الناس أن النجاح في الامتحان نسخة مصغرة للنجاح في الحياة: إن النجاح في الحياة في مجتمعنا يتطلب أن يكون الشخص قادرا على انتهاز الفرص وتحيينها لبلوغ المقصود، والعبرة بالنتيجة، لهذا ظهرت عبارات: الشاطر ينال ما يريد، والدنيا حظوظ وكثير من الناس لا يبدلون مجهودا ويعيشون في وضع أفضل من الآخرين واللَي قرا قرا بكري... كلها عبارات تشجع على انتهاز الفرص وعدم الاكتراث بالاجتهاد وتحقيق النجاح بكد ومثابرة.

10- الإدارة التربوية: تفضل الإدارة التربوية أن يمر الامتحان في هدوء والتستر على حالات الغش لأن تسجيل الحالات يُعطي المؤسسة سمعة غير لائقة ويُخلف انطباعا سلبيا لدى الجهات المسؤولة اعتقادا منهم أن مصداقية المؤسسة تقاس بانعدام أو قلة حالات الغش المضبوطة بها. www.ed-uni.net/ed/showthred.php

بالإضافة إلى أن في بعض الأحيان تلجأ الإدارة إلى التسامح مع الغشاشين على إثر تدخل أولياء أمورهم مستعطفين ومستنجدين أو تدخل أشخاص آخرين ذوي نفوذ اجتماعي.

وتزداد حالات الغش لما تلجأ الإدارة إلى عدم التدخل حالا أثناء حدوث حالات الغش لإخراج الغاش من قاعة الامتحانات وتوقيفه ومنعه من إنجاز الاختبارات اللاحقة، وإحالته على لجنة خاصة، مرفوقا بحجج وقرائن الغش المضبوطة في حوزته، لتتخذ في حقه في الحين القرارات المناسبة لردعه.

11- معاناة التلميذ من أمراض نفسية واجتماعية: إن الأمراض النفسية والاجتماعية التي تصيب بعض التلاميذ تكون السبب الرئيسي وراء انخفاض قدراتهم على التركيز والتحصيل وبالتالي تدفعهم إلى الغش في الامتحانات وأن أكثر هذه الأمراض انتشارا بين الطلبة في المدارس هي القلق أو العصاب والشعور بالإنهاك والعصاب القهري أي نقص في الطاقة النفسية للإبقاء على التكامل العادي.

12- مساهمة بعض وسائل الإعلام في تكريس ظاهرة الغش لدى المتعلمين: تساهم بعض وسائل الإعلام في تشكيل سلوك الغش لدى المتعلمين وذلك بإحدى الطريقتين:

الطريقة الأولى: الاهتمام المبالغ فيه بشؤون الاختبارات وتغطية أخبارها حتى أصبح اجتياز الاختبار هو الهدف من التعليم وهو ما قد يجعل الطلاب وأولياء أمورهم في حالة توتر طوال مرحلة الاختبارات وبالتالي تقل جاهزية الطلاب للاختبارات، ويضطرون إلى الغش لأن الغاية تبرر الوسيلة في نظرهم.

الطريقة الثانية: تقديم بعض الأعمال الفنية التي تتضمن ممارسات سلوكية سيئة تحث على الغش وتشجيع الطالب على التمرد على معلمه والإخلال بالنظام في مدرسته. (الحجيلي، 2013، ص 15).

13- عدم وضوح الهدف من التعليم: هل الهدف من التعليم هو اجتياز الامتحان والحصول على شهادة أو رخصة لممارسة مهنة معينة، أم الإعداد للحياة؟ لهذا نجد من التلاميذ من يتذمر من

دراسة مواد بعينها يرى لا علاقة لها بآمالهم وتخصصهم (يمكن التأكد من ذلك بإجراء حوارات مباشرة معهم)، ويظهر ذلك من خلال أسئلتهم: ماذا أفعل بدراسة مادة كذا؟ أو لماذا أدرس كذا؟ هذه الأسئلة دليل على عدم ارتباط التعليم بحياة التلاميذ، أو عدم وضوح هذا الارتباط لديهم، الأمر الذي يقلل من الدافعية والانصراف عن التعلم بجد، فكثيرا من التلاميذ يرى أن ما يدرسه لا علاقة له بحياته، أو لا توجد صورة واضحة في ذهنه عن توظيف ما يتلقاه داخل قاعات الدراسة في حياته.

14- التكاسل وعدم الاستعداد من طرف التلاميذ للامتحانات: إن التكاسل وعدم الاستعداد وعدم توفر الرغبة في المراجعة وإنجاز الواجبات والحفظ والتمرن، حيث نجد كثيرا من التلاميذ يستهزؤون بزملائهم الذين يجدون ويجتهدون ويهيئون أنفسهم للامتحان، وينشغلون باللعب والمرح، فعندما يحل موعد الامتحانات يلتجؤون إلى طلب المساعدة والطرق غير المشروعة كالغش، فالغش هو طريق الفاشلين وهو دليل على ضعف الشخصية.

ضعف شخصية التلميذ وضعف الثقة بالنفس: يتوهم التلاميذ خصوصا ضعاف الشخصية منهم، أن الأسئلة سوف تكون صعبة، ولا يمكن إنجازها والتوصل إلى الحلول والأجوبة المطلوبة إلا بالغش ونقل الأجوبة الجاهزة، فيصرفون أوقاتا طويلة في التفكير في أساليب الغش، واختراع الحيل والطرق المتطورة نتيجة التقدم التكنولوجي. إضافة إلى ذلك هناك بعض التلاميذ من يرى أن الغش بالامتحان هو مساعدة يجب الحصول عليها، ضاربا عرض الحائط قوانين ونظم المؤسسة التعليمية ومفهوم الدين والأخلاق اتجاه هذا السلوك الخاطئ.

16-ضعف كفاءةالمعلم في عملية التعليم وعدم ملائمة أسلوبه: يحدث أن يساهم المعلم وبشكل مباشر أو غير مباشر في دفع التلميذ إلى سلوك الغش في الامتحان وهذا عندما لا يكون لديه الكفاءة اللازمة للتدريس وفي توصيل المعارف بطريقة واضحة ومفهومة إذ يجعل التلميذ غير مستعد للامتحانات.

كما يحدث أن يكون المعلم نفسه غشاشا حيث اكتشفت منذ عدة سنوات حالة غش واسعة النطاق في كاليفورنيا إذ كان المدرسون في بعض مدارس الولاية يمسحون الإجابات الخاطئة التي اختارها الطلاب في اختيار برنامج كاليفورنيا للتحصيل (CAP) ويضعون الإجابات الصحيحة مكانها وذلك بهدف تحسين مظهر مدارسهم وطلابهم. كما يمكن أن تحدث حالات غش بعد انتهاء الاختبار إذ يمكن إضافة نقاط إلى معدلات درجات طالب أو موظف معين بهدف جعل هذا الفرد يبدو أكثر كفاءة لأي سبب من الأسباب.(أيكين، لويس ر، 2007، ص 131).

هذا ويجد الاشارة هنا أن واقع الغش هو واقع مرير وخطير، كونه أصبح من المعتقدات والأفكار التي يؤمن بها المتعلمون، ففي دراسة لأحمد فنوح سنة (2018، ص 110) حول آراء الطلبة نحو ظاهرة الغش في الوسط الجامعي بالجزائر أظهرت نتائج هذه الدراسة أن الطالب أصبح يؤمن بعملية الغش ويعتقد بأنه مفيد وبكونه الوسيلة المناسبة للحصول على ما يريد،كما أنه سر نجاح الأفراد وأنه مستعد لعمل أي شيء من أجل النجاح مع الاعتقاد أن الغش أصبح سلوك اجتماعي.

هذا الأمر يدفعنا إلى القول أن هذا السلوك دليل على انتشار الغش في المعاملات وفي الأسواق وفي الإدارة وفي شتى مؤسسات المجتمع ذلك أن ظاهرة الغش في الوسط المدرسي لا يمكن أن

تكون ظاهرة في معزل عن المجتمع، لذلك لا يمكن أن نفكر في محاربة الغش المدرسي بعيدا أن محاربته على المستوى المجتمعي ككل.

رابعا: الطرق الحديثة المتبعة في الغش بالامتحانات:

طبعا الغش ليس وليد العصر الحديث بل هو موجود في مختلف التعاملات التي شهدها الإنسان ومن بينها مجال التعليم والتعلم لكن في العصر الحديث عصر التقنية فقد شهد الغش في الامتحانات هو الآخر تطورا ووجها آخر تماشيا مع ما يحدث في مجال التكنولوجيا، فقد كان الشائع أن التلميذ يغش مستعملا البرشامة والتي هي عبارة عن ورقة تحتوي على تلخيص لأهم نقاط مادة الامتحان، كما كان يتم استعمال الكتابة على الكرسي أو الطاولة التي يجلس عليها التلميذ أو الكتابة على بعض أجزاء جسمه مثل اليدين، أيضا كما كان ولازال يستعمل في علمية الغش نقل الإجابة عن طريق الرموز والإشارات التي يتم الاتفاق عليها فيما بين التلاميذ خاصة عندما يستعمل المعلم أسئلة الصح والخطأ في الامتحان، لكن الغش لم يتوقف عند هذا الحد بل تعداه إلى توظيف التقنية لهذا الغرض وفيما يلي بعضا من الأساليب الحديثة المستعملة في الغش بالامتحان:

-استخدام مواقع التواصل الاجتماعي مثل الفيس بوك وتويتروالوا تساب وغيرهم من مواقع التواصل الاجتماعي وتحميل مختلف التطبيقات والبرامج في أجهزة الهواتف الذكية واستخدامها أثناء الامتحان في عملية الغش.

-من خلال الهاتف الذكي الحصول الفوري للجواب على شبكة الأنترنت، حيث أن تقنيات الغش الموجودة على الهاتف المحمول أو اللوحة الإلكترونية متنوعة وتسمح بتخزين في الذاكرة بطبيعة الحال، إما عن طريق تصوير أو كتابته مسبقا.

هذا ويمكن ذكر أهم الوسائل المستخدمة في عملية الغش بالامتحانات والتي هي نتاج عملية التطور السريع في التكنولوجيا والتي دخلت في صراع محموم مع مراقبي الامتحانات والقائمين على العملية التعليمية:

-استخدام الساعات الرقمية الجديدة في تخزين المعلومات التي تتعلق بالمادة الدراسية ويستخدمها الطلاب متى ما يحتاجونها.(الحجيلي، 2013، ص 21).

-استخدام أقلام الماسح الضوئي، حيث يقوم الطالب بالكتابة على المقاعد الدراسية وأكمام ملابسه بطريقة لا يمكن رصدها إلا من خلال هذا القلم، ويوجد في بنهايته مصباح صغير يقوم بتسليط الضوء على "الكتابة" فلا يراها سوى مالك القلم مما يصعب عملية كشفه.

-استعمال آلة في غاية الدقة وأكثر تطورا وأقل تعقيدا من سابقتها إنها عبارة عن نظارة في ظاهرها نظارة طبية مرتبطة بساعة لا يمكن معرفة أنها ساعة ذكية، وتستوعب مساحة للتخزين تصل إلى 8 جيجا، وحتى الآن تعد هذه الأدوات الأعلى سعرا وخطورة حيث لا يمكن منع طالب يرتدي نظارة طبية من الدخول بنظارته ولا يمكن نزع ساعة هي في ظاهرها مجرد ساعة. تتكون هذه النظارة من عدسات في منتصفها كاميرا فيديو لا يمكن رؤيتها إلا بصعوبة شديدة، وفي نهاية النظارة قرب الأذن تحتوي على سماعة متناهية الصغر لا سلكية وبلون الجلد الطبيعي، وعندما يقرأ الطالب السؤال، فإن الكاميرا تنقل بشكل مباشر ما يقرأه، ويكون هناك

شخص خارج الامتحان تنتقل لديه عبر الحاسب الشخصي أو عبر الهواتف الذكية، فيقوم بالبحث عن إجابة الأسئلة، ثم يقوم عبر الهاتف أو الميكروفون بتلقينه الاجابة وذلك عبر سماعة الأذن التي تحملها النظارة. (حلاوة، الأمير، 2019)، وتعد هذه الساعة من الصعوبة بمكان كشفها فهي من بين الأدوات المستعملة إذ تعتبر أداة استثنائية للغش في الامتحانات.

-استخدام سماعات أصغر من حجم الحمصة، يتم إدخالها للأذن وإخراجها بمغناطيس، ويمكنها الاتصال بهاتف على بعد 6 أمتار، حيث يقوم الطالب بعمل اتصال قبل دخوله الامتحان بأحد الأشخاص وترك المكالمة مفتوحة بعد وضع السماعة بالغة الصغر في أذنه، وعلى باب اللجنة يترك الجميع هواتفهم المحمولة، ثم يقوم الطالب بقراءة الأسئلة أو تسريب ورقة الامتحان، وبعدها تبدأ الاجابات في الوصول إليه عبر السماعة غير المرئية.

إلى غير ذلك من الطرق والوسائل الحديثة المستخدمة في عملية الغش بالامتحانات، وسوف نشهد غيرها مستقبلا أكثر تطورا تماشيا مع ما يحدث في مجال التكنولوجيا من سرعة وغزارة، فالصعوبة تكمن في أنه كلما تم التفطن لوسيلة ظهرت وسيلة أخرى جديدة أكثر فتكا وأكثر تعقيدا من سابقتها فيكشفها وأسهل توظيفا لدى المتعلمين الذين ينصب جل اهتمامهم على التطور الرقمي السريع واستخدام وسائله بكل يسر وبساطة، لهذا فعملية الغش لا بد أن تؤخذ بجدية أكثر وتوضع لها قوانين صارمة مع تفعيل إجراءات الوقاية للحد من تفاقمها وحفاظا على السلوكيات الإيجابية والأخلاق لدى المتعلمين، فمواجهة الأمر أصبح ضرورة ولا بد أن يتم بكل احترافية.

كما يجب أن لا ننسى أن العالم أجمع يشهد تزايدا في عمليات الغش بالامتحانات وانتشار في مختلف الوسائل المستعملة في ذلك، لكن بالمقابل يشهد أيضا تزايدا في المحاولات التي يمكن من خلالها الكشف عن عمليات الغش، الوسائل تختلف من عصر إلى عصر كما أن محاولات افشالها هي أيضا في تطور.

خامسا: الأضرار الناجمة عن ممارسة الغش بالامتحانات:

رغم أن الغش يطال جميع المجالات بالمجتمع (الصحي، الاقتصادي، الاجتماعي، التجاري، التعليمي....) إلا أن الغش الذي يمس قطاع التربية له خطورة أشد على الفرد وعلى المجتمع، فهو أشرهم ومن هذه الشرور نذكر ما يلي:

-فيما يخص الجانب الديني فإن الغش بشكل عام وفي مختلف الأوساط هو محرم ويعد من الكبار، فالشخص الغاش استحق غضب الله تعالى، فهو طريق لحرمان الفرد من بركة الله وإجابته للدعاء.

-الغش في الامتحانات هو خيانة للنفس وخيانة للمعلم الذي يؤدي دور المراقب في غرفة الدراسة، كما أن الغش يعد أيضا سرقة لجهد متعلم آخر، والحصول على امتيازات لا تمت للجانب الشرعي بصلة، فهي كأي تصرف سلبي يُتبع بتصرفات سلبية أخرى حيث يضطر صاحبه إلى الكذب والتملص من الاتهام حين يتم كشفه أثناء ممارسته للغش بالامتحان من طرف الهيئة المشرفة على الامتحان أو من طرف المراقب أو المعلم، لهذا فإن الغش يجمع أبشع الصفات لدى فاعله.

-الغش في المجال التعليمي والتربوي يقف خلف تأخر الأمم وعدم رقيها، ذلك أن المجتمعات لا تتقدم إلا بالعلم وبالشباب الصالح والمتعلم والمؤهل مهنيا والسوي أخلاقيا، فإذا كان أفراد المجتمع لا يحصلون على الشهادات إلا بالغش، فماذا سوف ينتج المعتمدون على الغش؟ وما هي

المسؤولية التي يتحملونها؟ وما هو الدور الذي سيقومون به للمساهمة في بناء المجتمع؟ لا شيء، بل غاية همهم وظيفة بتلك الشهادة المزورة يحققون من خلالها مآربهم والأهداف التي رسموها بالغش كذلك، وهكذا تبقى الأمة متعثرة لا تتقدم بسبب الغش الذي ينخر جسدها وينهك جسمها، إن الغشاش غدا سيتولى منصبا، يكون موظفا أو عاملا، وبالتالي سوف يمارس غشه في الوسط الذي يوجد فيه بل ربما يعلم تلاميذه الغش وخيانة المجتمعhttps://www.oujdacity.net

-إن الذي يغش يرتكب عدة مخالفات وجرائم إضافة إلى جريمة الغش منها السرقة والخداع والكذب والاستهانة بالآخر وعدم الإخلاص في العمل وممارسة الظلم والتعدي على الآخرين.

-إن الوظيفة التي يحصل عليها الغشاش في الامتحانات بهذه الشهادة المزورة التي لا يستحقها سوف يكون راتبها حراما، وأي حرام فالنار أولى به.

-ومن أضرار الغش كذلك تدني المستوى التعليمي ذلك أن التلميذ كلما أعفى نفسه من التذكر والاهتمام بالدروس داخل الفصل وخارجه وأعفى نفسه من المراجعة، والتمرن على الإنجاز والكتابة والبحث، فإن مستواه المعرفي لن يزيد إلا تدهورا وسوف يحصل على الشهادة وهو خاوي أكاديميا وغير مؤهلا مهنيا للقيام بأي عمل، فتفقد الثقة بالشهادة وفي قدرات حامليها ومؤهلاتهم الفكرية والمعرفية والمهاراتية.(العباس، عبد الباقي ، دت، ص 7).

-تعاون التلاميذ على الغش هو من باب التعاون على الخيانة، والمنكر وغير ذلك من الصفات الذميمة حيث يؤدي الغش إلى انحطاط الأخلاق وتدنيها، والتلاميذ الغشاشين في الامتحانات يبعثون من خلال ممارساتهم هذه اليأس، والقنوط في نفوس التلاميذ المجدين الذين يثقون في أنفسهم، ومستعدين ليلا ونهارا لمواجهة الامتحانات، والتغلب على مختلف العقبات.(العباس، عبد الباقي، دت، ص 8).

-انتشار اللامعيارية بين أفراد المجتمع لأنه أبرز مظاهر اختلال القيم والمعايير على مستوى المجتمع بكافة فئاته ونظمه ومؤسساته، فيصبح نمط السلوك المنحرف فالغش لا يمثل مشكلة فردية تنم عن اختلال القيم وتدني المستوى الأخلاقي للتلميذ، بل يصبح هذا السلوك انعكاسا لما يدور في المجتمع من ممارسات لا يلزم أصحابها بالشروط الواجب توفرها لتجعلها سبلا مشروعة للوصول إلى الأهداف. (بسطا، حجازي، 2011).

وعليه فإن انتشار ظاهرة الغش بالمؤسسات التعليمية ما هي إلا طريق يمهد لانتشار الفساد بكل أنواعه بالمجتمع والذي يتعارض مع مبادئ الدين والقيم والأهداف التربوية وينعكس على مستقبل كل من الفرد والمجتمع فيمتد الغش إلى كل من الموظف والمهني والتاجر وغيرهم من الوظائف والمهن، فالذي اعتاد الغش أثناء تعليمه سوف يؤدي به الحال إلى أن يستحل المال العام ويمارس الكسب غير المشروع والتزوير في المعاملات الورقية الرسمية وقد يصل به الأمر إلى تعاطي الرشوة.

سادسا:مساهمة الجزائر في محاربة ظاهرة الغش بالامتحانات:

شهدت السنوات الأخيرة الماضية ظاهرة انتشار الغش في الامتحانات الرسمية سواء امتحان شهادة التعليم المتوسط "البيام" أو امتحان البكالوريا، وهذه الامتحانات التي تكتسي أهمية بالغة لدى كل من المتعلم والمعلم وأولياء الأمور بالإضافة إلى المشرفين على تنظيمها، ونظرا لأهمية

الحصول على شهادة البكالوريا الذي يعد الفيصل الذي يسمح للطالب من الانتقال من مستوى التعليم الثانوي إلى ولوج أبواب الجامعية وثم الحصول على شهادة تمكنه من الحصول على منصب شغل يليق بهذه الشهادة.

وتمثلت ظاهرة الغش في تسريب مواضيع الامتحان ونشر ورقة الأسئلة، فكان هناك رد ردعي اتجاه مرتكبي هذه السلوكيات اللا أخلاقية تمثل في:

-فرض المتابعة القضائية ضد مرتكبي هذا الغش وتولى القضاء مهمة محاسبة هؤلاء.

-سن قانون لمكافحة الغش ونزاهة الامتحانات والمسابقات نجد المادة 253 مكرر 6 التي تنص على أنه "من قام قبل أو أثناء الامتحانات والمسابقات بنشر أو تسريب مواضيع و/أو أجوبة الامتحانات النهائية للمتوسط والثانوي ، يعاقب من سنة حبسا نافذة إلى ثلاث سنوات نافذة وغرامة مالية من 100 ألف دج إلى 300 ألف دج". (سليماني وهيبة، 2020).

-اللجوء خلال الأعوام الخمسة الأخيرة إلى قطع الانترنت بكل أنواعه، من شبكة الهاتف الثابت إلى شبكات الهاتف النقال من الجيلين الثالث والرابع، للحد من ظاهرة الغش في امتحانات البكالوريا.

-تسخير فرقا مختصة في الجريمة الالكترونية لرصد أي محاولات لتسريب الأسئلة عبر الهواتف أو مواقع التواصل الاجتماعي.

-سن قانونا خاص لمحاربة الظاهرة وتسريب الأسئلة في مختلف الامتحانات تصل عقوبتها إلى 15 سنة سجنا.https://al-ain.com

ونظرا لاستفحال هذه الظاهرة وتمكنها من الأفراد ورغم صرامة القوانين فقد شهدت هذه الامتحانات تجاوزات كما شهدت عمليات غش أو تسريب أسئلة الامتحانات، مما أدى بأخصائيين في الاعلام الآلي وتكنولوجيا المعلومات وخبراء اقتصاديون إلى الطلب من الحكومة الجزائرية ووزارة التعليم تكييف إجراءاتها مع التطور التكنولوجي ومصالح البلاد ومراجعة تنظيم الامتحانات والاعتماد على تجارب دول رائدة. https://al-ain.com

ويبقى القول أن المحاولات مستمرة في مكافحة ظاهرة الغش بالامتحانات بشتى الوسائل الممكنة مع البحث عن سبل أخرى كفيلة لوضع حد لها أو أقلها التقليل من تابعيتها رغم صعوبة الأمر نظرا لقدرة الكثير من الطلبة على استخدام التكنولوجيا الحديثة.

خاتمة:

إن سلوكا بهذا الحجم من الخطورة لجدير بالحكومات والأفراد وجميع الأجهزة الحكومية والخاصة أن تقف وقفة تكاتف وتعاون للقضاء عليه بكل السبل المتاحة والمشروعة، إن بناء أمة واعية مثقفة متعلمة لا يمكن إلا بالقضاء على المعوقات التي تقف حائلا دون تحقيق هذا الهدف، وإن الغش من أخطر هذه المعوقات، فبداية يجب دراسة حجم هذه الظاهرة ، ومعرفة أسبابها ثم حشد كل الطاقات في محاربتها والقضاء عليها حتى ننشئ أجيالا سوية السلوك لبناء وطنها.

كما يجب على المدى الطويل، إعادة التفكير في نظام للامتحانات الذي تعود جذوره إلى عصر الورقة والقلم والذي يعد من مخلفات العصور السابقة حيث أنه يتعرض إلى تهديد التقنيات الحديثة التي تسهل عملية الغش بشكل كبير.

مقترحات البحث:

يتأكد علاج ظاهرة الغش في القضاء على الأسباب بحيث يدرس كل سبب على حدى للوصول إلى علاج فإذا أزيلت المسببات ستنتهي هذه الظاهرة بانتهاء أسبابها، مع تكاتف جهود كل الجهات المعنية وبشكل فعال في تطبيق نظام منع الغش بالمؤسسات التعليمية مع التأكيد على سن قوانين جديدة لمنع الغش تتماشى مع تطور عملية الغش التي تصاحب تطور الوسائل التكنولوجية المصاحبة لها.

وفيما يلي بعض المقترحات التي يمكن الأخذ بها لمعالجة ظاهرة الغش بالامتحانات:

-على وزارتي التربية والتعليم ووزارة التعليم العالي التنسيق فيما بينهما والعمل على تكليف الباحثين في الجامعات من خلال مخابر البحث بإجراء أبحاث ودراسات عميقة عن الظاهرة العمل على طرح اقتراحات عملية للقضاء على الغش بالامتحانات.

-تفعيل دور مجالس الآباء والأمهات مع المدرسين والإدارة وتبادل المعلومات وتعزيز الثقة بين البيت والمدرسة من أجل التخفيف والحد من انتشار السلوكيات الخاطئة لدى التلاميذ والتخلص منها .

-تفعيل دور المرشد التربوي والنفسي في مساعدة التلاميذ على كيفية الاستعداد للامتحان والتخفيف من القلق الناجم عنه لما لذلك من أثر على أداء التلميذ في الموقف الاختباري.

-إحياء الوازع الأخلاقي والديني لدى التلاميذ بأن الله رقيب على عباده حسيب لهم فيما يأتون من أعمال والمهمة تقع على عاتق أولياء أمور التلاميذ والمدرسين.

-قيام مدير المؤسسة التعليمية بالتعاون مع أعضاء هيئة التدريس بوضع برامج نوعية منذ بداية العام الدراسي حول تعليمات الغش في الامتحانات.

-تبصير التلاميذ بالأضرار الناجمة عن هذه السلوكيات الخاطئة من أجل الوصول إلى مستوى عالي من الأخلاق والسلوكيات الإيجابية.

-إقامة الندوات الدينية بالمساجد لتوضيح مخاطر الغش وتعارضه مع مبادئ الدين ومع القيم والغايات التربوية وتوعية التلاميذ بالالتزام بتعاليم الدين الحنيف وأخلاقه وجعلها ممارسة في حياته اليومية والتركيز على تكريم التلاميذ المتفوقين في أدائهم وأنشطتهم داخل القسم الدراسي وليس على أدائهم في ورقة الامتحان فقط .

-إمكانية الاستفادة من وسائل الإعلام المختلفة في إعداد برامج هادفة تعالج ظاهرة الغش في الامتحانات المدرسية وتأثيرها على التلميذ وعلى مستواه التعليمي والتحصيلي والسلوكي وتعريف الآباء بالإجراءات التي يتعرض لها التلميذ في حالة غشه في الامتحانات المدرسية.

-إقامة اجتماعات داخل المدرسة مع أولياء الأمور وتكريم التلاميذ خلال هذه الاجتماعات التي سوف تلعب دورا في تعزيز التواصل بين الآباء والمدرسة مما يدفع بالتلاميذ إلى انتظامهم على الدراسة وذلك من خلال منحهم شهادات تكريم معنوية ومادية مما قد يسهم في الحد من تفشي هذه الظاهرة.

-الاستعانة بالأجهزة التكنولوجية الحديثة مثل كاميرات المراقبة وغيرها من الأجهزة في عملية المراقبة داخل قاعات الامتحانات.

-تشجيع هيئة التدريس على الابتعاد عن الاختبارات المدرسية المفاجئة لأنها تساعد على انتشار ظاهرة الغش بين التلاميذ بالإضافة إلى اعتماد الأسئلة المقالية ذات المستويات العليا كالتحليل والتركيب والتمييز والتقويم والنقد، وتباعد مقاعد التلاميذ في الامتحان مع وجود فاصل زمني بين الاختبارات.

قائمة المراجــع:

1.أيكين لويس ر (2007)، الاختبارات والامتحانات: قساس القدرات والأداء، ترجمة فرح السراج، ط1، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية.

2.البرجاوي مولاي المصطفى(د.ت)، الغش وانحرافات القيم، مجلة الوعي الإسلامي، قسم التربية.

3.بكيش عمر سليمان (1979)، دراسة حول ظاهرة الغش في الامتحانات في المدرسة الثانوية، مجلة الأسبوع التربية، جمعية المعلمين، الكويت.

4.البرجاوي مولاي المصطفى(د.ت)، الغش وانحرافات القيم، مجلة الوعي الإسلامي، قسم التربية.

5.التير مصطفى، أميمين عثمان(2002)، التغير في أنساق القيم ووسائل تحقيق الأهداف: نموذج الغش في الامتحانات، دار الكتاب الجديد المتحدة، القاهرة.

6.حامد عمار(1996)، دراسات في التربية والثقافة في التوظيف الاجتماعي للتعليم، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة.

7.الحجيلي زياد منير (2013)، مشكلة الغش في الامتحانات بالمدارس: دراسة في المدارس السعودية، رسالة الماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية، السعودية

8.حمدان محمد زياد (1986)، الغش في الاختبارات وأداء الواجبات المدرسية، ماهيته وأصوله وتشخيصه وعلاجه، سلسلة المكتبة التربوية السريعة، دار التربية الحديثة، عمان، الأردن.

9.خير الزراد فيصل محمد(2002)، ظاهرة الغش في الاختبارات الأكاديمية لدى طلبة المدارس والجامعات: التشخيص وأساليب الوقاية والعلاج، دار المريخ، الرياض.

10.فرحات، يوسف شكري(2001)، معجم الطلاب عربي- عربي، مراجعة يعقوب إيميل بديع، ط2، دار الكتب العلمية، لبنان.

11.الكندري حسين لطيفة (2010)، ظاهرة الغش في الاختبارات: أسبابها وأشكالها من منظور طلبة كلية التربية الأساسية في دولة الكويت، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، الكويت.

12.العباس رقية الطيب سيد، عبد الباقي دفع الله أحمد(د، ت)، مخالفة لوائح الامتحانات وسط طلاب جامعة الخرطوم وعلاقتها ببعض المتغيرات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الخرطوم، السودان.

13.العجمي عبدالحسين بن سليمان(2007)، ورقة عمل بعنوان: الغش كظاهرة اجتماعية وتربوي، مدرسة الإمام خنبش بن محمد للتعليم الأساسي.

14.العصيمي متعب بن سريان (2002)، ليس منا، دار القاسم، الرياض

15.شريكي ويزة (2013)، الغش في امتحان البكالوريا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم التربية، جامعة تيزي وزو، الجزائر.
16.اللقاني فاروق عبد الحميد(1983)، مشكلة الغش في الامتحانات بحث ميداني، صحيفة المكتبة، المجلد 15، العدد 1، جمعية المكتبات المدرسية.
17.لورانس بسطا زكري، اعتدال عبد الرحمان حجازي (2011)، الغش في الامتحانات أسبابه، نتائجه ومقترحات للحد منه، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
18.المغيصيب عبد القادر، شكري سيد أحمد(1988)، سلوك الغش في الامتحانات وعلاقته ببعض المتغيرات المعرفية والنفسية والاجتماعية لدى بعض طلبة التعليم العالي، مركز البحوث التربوية، جامعة قطر.
19.النيسابوري محمد بن عبد الله الحاكم (1990)، المستدرك على الصحيحين (مستدرك الحاكم)، بيروت: دار الكتب العلمية.
20.فلوح أحمد(2018)، آراء الطلبة نحو ظاهرة الغش في الوسط الجامعي، مجلة العلوم النفسية والتربوية، العدد 7(2)، ديسمبر، الجزائر.
21.PECH, M.E(2011), l'école de la triche, par Yves Desrichad. Paris, l'éditeur. France
22.الغش في الامتحان طرق مبتكرة ومعلمون غافلون
http://www.alhawyah.com/news
23.منتدى أهل الدليلwww.montadaAl3omda.ahladalil.com
24.يوسف فتح مراد،الغش في الامتحان.. خيانة لرسالة التعليم السامية من
موقع:http://althawrah.ye/archives/610041
25.الغش في الامتحانات : الأسباب والآثار،https://www.oujdacity.net
26.حلاوة، الأمير، 2019، تكنولوجيا الغش.. أقلام ضوئية ونظارات طبية وسماعات بالغة الصغر، https://www.an-ae.cdn.amppreject.org
27.سليماني وهيبة (2020)، تلاميذ "مرعوبون" بسبب قانون مكافحة الغش في البكالويا.https://www.echoroukonline.com

هجرة العاملات الزراعيات: من حقول الطماطم المغربية إلى مزارع الفراولة الاسبانية

الحسن فركاكوم. طالب بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر اكادير- المغرب

الملخص: أتاح انفتاح النافذة الديمغرافية بالمغرب فرصا هامة لإسهام المرأة في التنمية الاقتصادية، وتحررها من "قيود" اجتماعية وعادات وتقاليد موروثة، حصرت دورها في الإنجاب والعناية بالأسرة. ومع تبني الدولة خيار الانفتاح على اقتصاد السوق، وتشجيع الاستثمار الأجنبي في قطاع الفلاحة التصديرية، أضحت الحاجة ملحة إلى يد عاملة لا يغطيها العرض المتوفر، فلجأ المستثمرون إلى طلب شغيلة نسائية تتميز بخصوصيات مشجعة، فانطلقت لهذا الغرض تيارات للهجرة نحو الأقطاب الفلاحية الكبرى غلى غرار اشتوكة بسهل سوس جنوب المغرب. كانت الهجرة النسائية إيذانا ببدء تحولات جوهرية مست النظام الهجري الوطني الذي صدر عشرات الآلاف من العاملات نحو مزارع الفراولة تؤطرها اتفاقيات مع الحكومة الاسبانية، وتتجاوب مع أهداف سياسية الهجرة في الاتحاد الأوربي. إن التأنيث الغالب على الهجرة إلى اسبانيا فرضته شروط المشغلين في مزارع الفراولة الذين يصرون، لا على الكفاءة ومستوى التأهيل المهني فحسب، بل على النوع الاجتماعي ومواصفات خاصة في العمر والحالة الزواجية والإنجاب لضمان عودة النساء فور نهاية الموسم الفلاحي، لكن تلك المواصفات أخلت بكثير من القيم وسرعت وتيرة التغيير الاجتماعي بالبلاد، لاسيما بعد تدفق الأرامل والمطلقات والنساء المعيلات لأسر فقيرة ... من مناطق المغرب العميق وهوامش المدن الكبرى والمراكز الحضرية الناشئة، للهجرة نحو الخارج في اتجاه حقول الفراولة الاسبانية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة النسائية، النافذة الديمغرافية، الشغل الفلاحي، التغيير الاجتماعي، الاستقلالية الذاتية.

Migration of female agricultural workers: from the Moroccan tomato fields to the Spanish strawberry farms.

lahsenFerkakoum, PhD student, Faculty of Arts and Humanities, IbnZohr University - Agadir, Morocco.

Abstract: The opening of the demographic window in Morocco provided important opportunities for the woman's contribution to economic development, and liberated her from social "restrictions" and inherited customs and traditions. The option of opening up to a market economy and encouraging foreign investment in the export agriculture sector adopted by the state, it became an urgent need for a workforce that was not covered by the available offer. So the investors resorted to requesting

female workers with encouraging characteristics, and for this purpose there were streams of migration towards the major agricultural poles, similar to Chtouka in the Souss Plain in southern Morocco. The female migration marked the beginning of fundamental transformations that touched the national immigration system that issued tens of thousands of workers towards strawberry farms, framed by agreements with the Spanish government, and responding to the aims of immigration policy in the European Union. The predominant feminization of immigration to Spain is imposed by the conditions of the employees of strawberry planters who insist on gender and special characteristics in age, marital status and childbearing to ensure their return immediately after the end of the agricultural season. However, those specifications have violated many values and accelerated the pace of social change in the country, especially after the influx of widows, divorced women and women with poor families...

Key words: female immigration, demographic window, agricultural employment, social change, autonomy.

مقدمة

تروم هذه الورقة بحث إشكالية مقاربة النوع الاجتماعي في الشغل الفلاحي، ومدى إسهام المرأة المهاجرة العاملة في التحولات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع المغربي والتي تسارعت مع مطلع القرن 21.سرع التمييز الايجابي في الشغل الفلاحي لصالح المرأة المهاجرة وتيرة الاندماج في مسلسل التغيير الاجتماعي، وجعل من نساء النظام الهجري الوطني الجديد رائدات في مجال الثورة على القيود الاجتماعية الموروثة عن فترة ما قبل الاستعمار، وقائدات تحديث المجتمع، وفاعلات في نموذجه التنموي الجديد قيد إعادة التشكل بنظرة وطموح يأخذان بعين الاعتبار أدوار المرأة في التنمية المستدامة المنشودة. لقد تفاعلت المرأة بقوة مع متطلبات التغيير المجتمعي عبر آلية الهجرة والشغل الفلاحي منذ سنوات 2000، تاريخ ظهور شكل جديد من العلاقات رجال –نساء على إثر انفتاح النافذة الديمغرافية ومعها انفتاح أبواب الهجرة في وجه "هجرة نسائية منتقاة"إلى اسبانيا للعمل في مزارع الفراولة، وما استتبع ذلك من بداية تلاشي القيود الاجتماعية، تزامنا مع الشروع في تطبيق مبدأ المناصفة التي أكد عليها النص الدستوري لسنة2011، الذي متع المرأة مساواة مع الرجل بكافة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية فضلا عن الحقوق المدنية والسياسية.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في تعقد أدوار الهجرة النسائية في التغيير المجتمعي وتجاوز القوالب الاجتماعية الموروثة بدافع التحرر من الضغوطات الأسرية التقليدية وضنك العيش في كنف عائلة معوزة ووطن لا يوفر كل حاجيات وحقوق النساء. وتغدو الهجرة نحو الأحواض الفلاحية الوطنية

أو في اتجاه اسبانيا طموحا نسائيا مشروعا بغض النظر عن تداعياتها وارتداداتها الاجتماعية غير المسبوقة.أما الأسئلة الإشكالية المؤطرة لهذه الورقة البحثية فنجملها في:

ما حدود الهجرة النسائية في التغيير المجتمعي الذي انطلق على المستوى الوطني منذ عقود؟

وهل حققت الهجرة طموح النساء المهاجرات في التحرر من الضغوطات الأسرية والمجتمعية وشتى أصناف المعاناة، أم كرستها وزادتها حدة وتعقيدا؟

ألم تخدم هجرة النساء باعتبارهن "قوة عمل ناعمة" مطامح الاقتصاد الفلاحي الرأسمالي المنفتح على أوروبا، على حساب معاناة الكادحات الزراعيات المهاجرات بين المغرب واسبانيا؟

أليست النساء اللواتي انتقتهن الهجرة الدولية إلى مزارع اسبانيا ضحايا آمال مزعومة بإمكانية تحقيق طموح المشروع الهجري المستقل في ظل احترام حقوق العاملات الزراعيات المادية والمعنوية؟

أليس وضع العاملات المهاجرات المغربيات في الضفة الشمالية لحوض المتوسط أكثر سوءا من الوضع الضفة الجنوبية، وأن حقول الطماطم المغربية أرحم لهن من مزارع الفراولة الاسبانية؟

وأخيرا هل ولوج المرأة لسوق الشغل عبر آلية الهجرة بعد انفتاح النافذة الديمغرافية هو المدخل الرئيس لانقلاب الأدوار الاجتماعية بين الرجال والنساء أم أن للانفتاح على الاقتصاد العالمي الدور البارز في ذلك؟

تلك أهم التساؤلات المؤطرة للبحث في الموضوع. أما **أهداف الدراسة** فتتلخص في الإحاطة بإسهام الوافد الجديد على المشهد الهجري الوطني، أي الهجرة النسائية، في تفكيك البنيات التقليدية للمجتمع المغربي وتسريع وتيرة التغيرات الوظيفية بين مختلف مكوناته، لاسيما وأن المد الهجري النسائي يتسارع بوتيرة كبيرة ويجرف معه كل الثوابت الاجتماعية الموروثة عن الفترات السابقة. فقد تحررت النساء نسبيا من الإنجاب الثقيل والمتكرر، وأصبح بإمكانهن خوض تجربة الهجرة لتحقيق الاستقلال المادي نحو الأحواض الهجرية الوطنية وعلى رأسها منطقة اشتوكة بسهل سوس جنوب المغرب. لكن المثير للانتباه خلال السنوات الأخيرة، هو قدرة النساء والفتيات على بناء مشروع هجري مستقل عن الأزواج والآباء خارج الوطن نحو مزارع أوروبا مثل ضيعات الفراولة الاسبانية. لقد تزايدت أعداد النساء اللواتي اخترن الهجرة المبرمجة نحو الخارج، وتزايد معه طموح الاستقلالية المادية كما قدرة النساء على تحدي كل الصعاب والمعاناة النفسية، لكن الارتدادات الاجتماعية لهذه الهجرة جد مؤثرة بالنظر إلى وضع المرأة في بنية وتركيبة المجتمع المغربي.

وتتجلى **أهمية الدراسة** في مقارنة أوضاع المهاجرات الزراعيات بين المغرب واسبانيا من حيث ظروف الاشتغال والحقوق الاجتماعية والرعاية الصحية وظروف الاستقبال والإيواء والأوضاع المادية والمعنوية، لاسيما وأن دراسة الهجرة والإحاطة بتداعياتها الاجتماعية لا يمكن أن تكتمل إلا بنظرة من الشمال والجنوب، من المناطق المرسلة للقوى العاملة النسائية وتلك المستقبلة لها بين ضفتي حوض المتوسط.لقد كانت المرأة في النظام الهجري الوطني التقليدي تابعة للرجل الزوج / الأب، لكن تغيرات المشهد الهجري من الذكورة المطلقة إلى التأنيث الغالب حرر المرأة وجعلها قادرة على قيادة مشروع هجرة مستقل تتحمل فيه وحدها تأثيراته النفسية، غير أن تداعياته الاجتماعية تطال كل أفراد الأسرة وبنيات المجتمع. إن تأنيث فعل الهجرة وبروز دور المرأة في

المشهد الهجري الوطني وولوجها سوق الشغل مع ما يترتب عن ذلك من نتائج هو مبتغى هذه الدراسة، خاصة وأن الطلب على اليد العاملة النسائية من طرف المشغلين المغاربة والمستثمرين الأجانب آخذ في الارتفاع بعد انفتاح النافذة الديمغرافية.

1- النافذة الديمغرافية وفرص عمل المرأة المغربية.

إن انخراط المرأة المغربية بفعالية في سوق الشغل عامة، وسوق الشغل الفلاحي خاصة، هو نتاج مرحلة التحول الديمغرافي التي دخلها المغرب منذ عقود. تتلخص مميزات هذه المرحلة في الانتقال من نظام ديمغرافي مرتفع الخصوبة والوفيات،إلى نظام ديمغرافي حديث يتسم بانخفاض معدل الخصوبة الكلية ومعدلات الوفيات. وقد أكدت نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 2014 هذا المنحى، إذ بلغ عدد سكان المغرب حوالي 33.848.242نسمة، بمعدل نمو ديموغرافي سنوي في حدود 1,25%. ولقد أسهم هذا التحول السكاني في انفتاح النافذة الديمغرافية بالمغرب، أي ارتفاع حجم الساكنة النشيطة في سن العمل (15-64 سنة) وتراجع الفئة السكانية غير النشيطة أو ما يعرف ديمغرافيا بالسكان المعالين (الأطفال أقل من 15 سنة والشيوخ أكثر من 64 سنة).

أتاح انفتاح النافذة الديمغرافية منذ عام 1981 والتي يرتقب حسب العديد من الدراسات السكانية أن تنغلق مع متم سنة 2025، وفرة اليد العاملة بما فيها القوى العاملة النسائية، وسمح بزيادة حجم مشاركة المرأة في سوق الشغل الفلاحي بفضل تراجع الخصوبة وتقلص حجم الأسر وفسح المجال للنساء والفتيات والأمهات للخروج للعمل بكثافة، واستغلال انفتاح النافذة الديمغرافية لتسجيل الحضور القوي في ميدان الشغل بكل أصنافه. وفي هذا الإطار،يندرج الانخراط الفاعل للمرأة المغربية المهاجرة سواء داخل حدود التراب الوطني أو نحو الخارج، للعمل في الضيعات الفلاحية المملوكة للمستثمرين الأجانب والمغاربة بالأحواض الفلاحية الكبرى على الصعيد الوطني وعلى رأسها منطقة سوسواشتوكة، أو اختيار الهجرة المبرمجة نحو الخارج للاشتغال في حقول ومزارع الفراولة جنوب اسبانيا، وخوض تجربة مغادرة "خلية الأسرة" والتمرد في البداية لوقت محدد على بعض التقاليد الاجتماعية التي يفرضها النظام العائلي والاجتماعي، مع ما يترتب عن ذلك من التداعيات النفسية والاقتصادية والاجتماعية لتصدع العلاقات بين الأم والمرأة من جهة وبين باقي أفراد الأسرة من الآباء والأبناء والأزواج من جهة ثانية. وفي مرحلة متقدمة من استمرار الهجرة وانفتاح النافدة الديمغرافية، يستحيل التصدع شرخا، ويصبح التمرد حقا اجتماعيا يفرضه الأمر الواقع ويخضع له الجميع أفرادا وجماعات،أسرا ومجتمعات. ومن العوامل التي عززت قدرات المرأة في الإسهام في هذا التغيير الاجتماعي نجد تحسن الصحة الإنجابية وتمكين المرأة والتعلم المنصف:

الصحة الإنجابية للمرأة: تغيرت كثير من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للمغرب منذ بداية الألفية الثالثة وتغيرت معها أوضاع المرأة ووظائفها في النسيج الاجتماعي والعائلي وعلاقاتها مع باقي مكونات المنظومة الأسرية من الأبناء والأزواج والآباء. إذ لم تعد الحياة الإنجابية مثقلة بالأطفال ولم تصمد الرقابة العائلية والاجتماعية أمام رغبة المرأة في ولوج سوق الشغل، بعدما كانت الرقابة الاجتماعية لا تسمح بالعمل النسوي إلا في دائرة الاشتغال المنزلي. لقد تراجع معدل الخصوبة الكلية من 7,2 طفل لكل امرأة مع بداية الاستقلال إلى 2,21 طفل لكل امرأة سنة 2014

(المندوبية السامية للتخطيط، 2019)، وقد لوحظ أن انخفاض معدلات الإنجاب بدأت في التراجع مع بداية انفتاح النافذة الديمغرافية سنوات 1980 وتسارعت مع مطلع سنة 2000 ليصبح المعدل 2,19 سنة 2004. يفسر هذا التراجع في الإنجاب بالعديد من البواعث، منها ارتفاع سن الزواج الأول بالنسبة للنساء إلى 25.7 سنة في عام 2014، وانتهاء عهد " الزواج المبكر"،وتحكم المرأة في قرار الإنجاب وحجم أفراد العائلة وتنظيم الأسرة وتأجيل مشروع الزواج للتفرغ للذات ومواصلة الدراسة والحصول على العمل الذي يضمن الاستقلال المالي للنساء عن الأزواج... لقد أصبحت المرأة شريكا حقيقيا للرجل في ضبط الحياة الإنجابية واتخاذ القرارات الفاعلة في الأسرة بما فيها الخروج للعمل، أو الهجرة لدعم مشروع الأسرة في الحياة المشتركة الآمنة. وكانت المرأة بذلك فاعلا نشيطا في تعزيز فرصة انفتاح النافذة الديمغرافية ببلادنا ونتيجة لهذا الانفتاح في الوقت نفسه، بفضل تمكينها وقدرتها على خوض تجربة الهجرة لإنجاح المشروعات العائلية، وبالتالي الإسهام في كسر جمود القوالب الاجتماعية الموروثة.

تمكين المرأة:حدث تحول كبير في مجال تعزيز مكانة المرأة وأدوارها في الحياة الاجتماعية والعامة لاسيما بعد إقرار دستور 2011 الذي يوصف بكونه دستور المناصفة وتمكين المرأة المغربية عبر تيسير ولوجها إلى مختلف الحقوق مناصفة مع الرجل. غير أن الولوج إلى سوق العمل لا يزال يخضع لشروط اجتماعية تعصف بمبدأ المساواة بين المرأة والرجل في التشغيل،إذ لا يمثل معدل تشغيل الإناث سوى 1على 4من مجموع الإناث اللواتي تبلغ أعمارهن 15 سنة فما فوق(المندوبية السامية للتخطيط، أكتوبر 2019، ص57)،وأن فرص الشغل المتاحة عادة للنساء هي تلك المتسمة بالهشاشة وضعف التأهيل والكفاءة المهنية وصعوبة الاندماج،على غرار فرص الشغل الفلاحي الذي يستوعب أعدادا كبيرة من النساء الراغبات في تأكيد استقلاليتهن المادية ودعم أسرهن من خلال الهجرة نحو المناطق المنتجة للصادرات الفلاحية أو نحو الخارج. تعزز مثل هذه الشروط والعراقيل فرضية بعد المسافة بين المرأة والولوج الميسر العادل للفرص الاقتصادية، بالرغم من سلسلة التشريعات التي صدرت بعد 2011 في مجال ضمان حقوق المرأة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وفق مبدأ المناصفة والمساواة التي لن تتحقق، في اعتقادنا،إلا بتفعيل مبدأ التعليم المنصف.

التعليم المنصف: تيسر الولوج إلى خدمات التعليم بالنسبة للفتيات والنساء خلال العقد الأخير بفضل تبني الدولة لإجراءات المساواة بين الجنسين في مراكمة التعلمات، وتجاوز السلبيات الاجتماعية لمرحلة ما بعد الاستقلال التي كرست منطق النوع الاجتماعي في التعليم العصري غير التقليدي. يؤكد مخطط الرؤية الإستراتيجية 2030 على العديد من المبادئ لتأهيل قطاع التربية والتكوين أبرزها تحقيق مدرسة الإنصاف وتكافؤ الفرص. وقد اقتربت نسب التعلم في جميع الأسلاك التعليمية إلى مبدأ المساواة بين الجنسين في الولوج إلى التعليم الذي أريد له أن يكون ذا جودة للجميع ويسهم في الارتقاء الفردي والمجتمعي، وتراوحت نسبة الإناث ما بين 45,51% و49,53% خلال الموسم الدراسي 2016-2017. غير أن معظم النساء ربات الأسر اللواتي تتناولهن هذه الورقة البحثية هن ضحايا نظام تعليمي مجحف مثقل بالقيود الاجتماعية، وخصاص مهول في البنيات والتجهيزات التعليمية لفترات ما بعد الاستقلال، واللواتي استطعن بفضل إرادتهن وعزيمتهن تحدي

الأمية وخوض غمار المشاركة في البناء الاقتصادي، وإعادة التشكيل الاجتماعي للبلاد خلال فترة انفتاح النافذة الديمغرافية. إنهن نسوة قدمن من أوساط اجتماعية هشة ورفضن القيود الاجتماعية التي تحد من خياراتهن في إعالة أسرهن ومشاركة أزواجهن في تحمل أعباء وتكاليف العيش الأسري، وقبلن الهجرة نحو مناطق المغرب الفلاحية أو نحو الخارج، وكرسن بذلك ميزة النساء الرافضات للتقاليد الموروثة، والفاعلات في خلخلة منظومة العلاقات الاجتماعية وإعادة بنائها على أسس حديثة.

2-بداية تراخي القيود الاجتماعية وتمرد المرأة المهاجرة العاملة بضيعاتاشتوكة.

جذبت منطقة اشتوكة وهي أحد أهم سهول مجال سوس جنوب المغرب– على غرار باقي المناطق الفلاحية- خلال العقود الأخيرة مئات الآلاف من النساء المهاجرات من مختلف مناطق المغرب ومن أوساط اجتماعية متنوعة وأعمار متباينة، للعمل في الضيعات الفلاحية الكبرى التي يمتلكها أو يكتريها المستثمرون المغاربة والأجانب على امتداد سهل سوس. تستقطب الضيعات الفلاحية قوى عاملة شابة من الجنسين، لكن أرباب الشغل يفضلون اليد العاملة النسائية لأسباب كثيرة، على رأسها ارتفاع إنتاجية المرأة العاملة مقارنة بباقي الفئات العمالية في الضيعات الفلاحية. وفي هذا الصدد استقطبت المنطقة عاملات مهاجرات من قرى المغرب العميق ومن ضواحي المراكز الحضرية المتسمة بالهشاشة الاجتماعية، للاستقرار في اشتوكة، والعمل في الضيعات الزراعية المنتجة للبواكر، لاسيما المتخصصة في إنتاج الطماطم، حتى كاد نعت "نساء الطماطم " يلتصق بالعاملات الزراعيات المشتغلات في هذه الضيعات.

ولاشك أن الخروج للعمل حرر النساء من كثير من القيود الاجتماعية التي تفرضها العائلة المحافظة.أما واقع التنمية غير المتكافئة بين جهات وأقاليم البلاد، فقد سرعوتيرة الهجرة الداخلية نحو المناطق التي توفر فرص الشغل لأعداد كبيرة من اليد العاملة النسائية في القطاع الفلاحي، فتحركت تيارات هجرة داخلية قوية نحو القطب التنموي الفلاحي لسهل اشتوكة الذي شهد تطورا ديمغرافيا سريعا وتغيرات اجتماعية غير مسبوقة، لعبت فيها المرأة العاملة الوافدة دورا بارزا في خلخلة البناء الأسري التقليدي ومنظومة العلاقات الاجتماعية،ووضعها في سكة التغيير لتكون قابلة لإعادة التشكل على أسس اجتماعية ومادية حديثة، ومنها على الخصوص:

1■جدلية العلاقة المرأة - الرجل: فرضت المرأة العاملة في القطاع الفلاحي بطموحاتها ورغباتها وانخراطها القوي في الشغل شخصيتها على الرجل، إذ تستطيع القيام بأشغال فلاحية كانت إلى عهد قريب حكرا على الرجال، بل إن بعض المهام الفلاحية أصبحت لا تسند من قبل أرباب الشغل إلا للنساء بفضل قدرتهن وكفاءتهن على الانجاز بفعالية وإنتاجية عالية. وقد كان هذا الطموح الذي أصبح في ضيعات سوس واشتوكة حقيقة على أرض الواقع، بداية التحرر المادي والمعنوي للمرأة في البيت، وفرض منطق جديد للتعامل الزوجي على أساس الاستقلالية وإعادة النظر في الأدوار والوظائف الأسرية بين الرجال والنساء. ووفق المنطق الجديد للعلاقات الاجتماعية والأسرية، تحررت المرأة المهاجرة العاملة من وظيفة الإنجاب الثقيل والمتكرر، والرعاية الكلية للأبناء وتلبية رغبات الزوج والقيام بمختلف خدمات البيت وانتظار عودة الأزواج إلي حضن الأسرة، لصالح وظائف جديدة فرضها خروج المرأة للعمل، منها المشاركة مع

الأزواج في تقليص الخصوبة وضبط الإنجاب، والتفاوض في شأن عدد الأفراد في الأسرة تماشيا مع الوضع الاقتصادي، وتقاسم مهام رعاية الأطفال على قاعدة مبدأ المساواة والأبوة المشتركة.. إنها أدوار اجتماعية حديثة بدأت تتحقق على أرض الواقع، ويكرسها الحضور القوي والمستمر للمرأة المهاجرة العاملة في الفضاء العمومي إلى جانب الرجل، ليس للعمل فحسب بل لقضاء مآرب اجتماعية واقتصادية قيادية، في مجتمع يشهد تحولات متسارعة، منذ اعتماد الدولة خيار الانفتاح الاقتصادي على السوق الدولية. لقد ترتب عن هذا الخيار تأنيث العمل الفلاحي، ودفع بكثير من النساء للاشتغال في الضيعات الفلاحية وفي محطات تلفيف المنتجات الزراعية لساعات طويلة تمتد إلى وقت متأخر من الليل، لم يكن يسمح بها عادة قبل بدء تحولات المجتمع المغربي جراء الانفتاح على الاقتصاد العالمي.

تعد العاملات الزراعيات المهاجرات إلى اشتوكة والقادمات من مختلف مناطق المغرب العميق في القرى النائية أو من هوامش المدن الكبرى، يدا عاملة نسوية أو "قوة عمل ناعمة" لخدمة الاقتصاد الفلاحي الرأسمالي. ويمكن تقسيمها إلى صنفين: 1- زوجات وفتيات مستقرات مع أسرهن بسهل اشتوكة، يشتغلن طوال السنة في الضيعات الفلاحية العصرية ومحطات إعداد المنتوج للتسويق،2-فتيات مهاجرات وافدات غير مستقرات يحضرن إلى المنطقة في ذروة النشاط الفلاحي للاشتغال في الحقول الزراعية لجني وجمع المحاصيل أوفي محطات التلفيف، ويعشن في شكل مجموعات إما داخل بيوت يعدها المشغل داخل الضيعة الفلاحية أو يكترين مؤقتا بيوتا في المراكز الحضرية الناشئة، مثل مركز أيت عميرة ومركز بلفاع أو المدار الحضري لمدينة بيوكرى، ويغادرن المنطقة فور انتهاء الموسم الفلاحي على أمل العودة إليها في الموسم الفلاحي المقبل.

ومهما يكن صنف الكادحات الزراعيات فإن القاسم المشترك بينهن، هو العمل الشاق المتواصل في قطاع عرف إلى عهد قريب بأنه ذكوري بامتياز. لقد أنتجت التحولات الاجتماعية التي شهدتها الأسر المغربية عامة والأسر الوافدة على اشتوكة بصفة خاصة دافعية لدى عشرات المئات من النساء للعمل خارج البيت للاستجابة للمتطلبات المتزايدة للأسر في المعيش اليومي.

تخضع النسوة اللواتي انتقتهن الهجرة الوافدة من المناطق الأكثر فقرا ومن الفئات الاجتماعية الأكثر هشاشة (نساء مطلقات ــ أمهات عازبات ــــ نساء يعلن أزواجا يعانون من أمراض مزمنة-نساء عجز أزواجهن عن تأمين العيش الكريم لأفراد أسرة ممتدة..) لضغوطات ثلاثية الأبعاد، تختصر مختلف أنواع العنف المادي والرمزي الممارس ضدهن في بيوتهن وفي الضيعات الفلاحية وأماكن العمل، تلخصها تجاذبات علاقات الشغل باشتوكة:

الشكل البياني : تجاذبات علاقات الشغل باشتوكة.



المصدر: انجاز شخصي بناء على معطيات واقع العمل الفلاحي باشتوكة.

1 ـ أرباب العمل: يفرض المستثمر شروط عمل خاصة تخدم مصلحة المقاولة، ويفضل تشغيل العاملات الزراعيات القادرات على أداء المهام الفلاحية اللازمة، دون أدنى مطالبة بالحقوق المادية والمعنوية المشروعة. وغالبا ما يفضل هؤلاء، القوة العاملة الناعمة الوافدة من مناطق خاصة معروفة بجدية نسائها في العمل الفلاحي الشاق، مثل الوافدات من مناطق دمنات (ازيلال) وبعض جماعات منطقة بني ملال، ويتفادون تشغيل النساء القادمات من قلعة السراغنة وخنيفرة بداعي كونهن يتماطلن في أداء العمل، ولايستجبن لمتطلبات رب الشغل، كما أنهن كثيرات الإلحاح على المطالب الاجتماعية وحقوق العاملات داخل الضيعات الفلاحية.

وفق هذا الاختيار المفروض من قبل أرباب الشغل، تصنف القوى العاملة النسائية باشتوكة إلى صنفين هما: عاملات سهلة الانقياد (Les ouvrières dociles) يستجبن لكافة أوامر أرباب الشغل، ولا يطالبن سوى بالحد الأدنى من شروط العمل، وقد يشتغلن خلال أيام العطل والأعياد، وفي فترات تراكم الأشغال الفلاحية لساعات طويلة قد تستمر خلال الليل. أما الصنف الثاني فهن العاملات الثائرات غير الخاضعات(Les ouvrières insoumises) اللواتي يشتغلن مقابل التمسك بكامل حقوقهن المشروعة المنصوص عليها في مدونة الشغل، أو على الأقل بأبرز تلك الحقوق، مثل الحصول على بطاقة الشغل وتحسين ظروف العمل وتحديد عدد ساعات الكدح

اليومي والرفع من الأجور وضمان الحق في الانخراط النقابي، فضلا عن الرعاية الاجتماعية كالتصريح بالعاملات لدى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي(CNSS) وترسيمهن بعد انقضاء المدة القانونية المنصوص عليها في مدونة الشغل... .

2 ـــ وسطاء الشغل: تتمثل مهمة الوسيط في الشغل في السهر على اختيار النساء القادرات على ضمان جودة العمل الفلاحي وذلك من خلال الاحتفاظ باليافعات ذوات الأجساد القادرة على أداء جميع أنواع الأعمال الشاقة داخل الضيعة الفلاحية، وإبعاد النساء اللواتي يظهرن ضعفا أو وهنا بدنيا، أو اللواتي يفتعلن المشاكل داخل مقرات العمل. ويتم عمل الوسيط/ الوسيطة في الشغل باعتباره "موغا-MORA" الباطرونا في "الموقف"_ مكان تجمع العاملات والعمال الزراعيين_ كل صباح قبل التوجه إلى الضيعات الفلاحية،وفي غالب الأحيان خارجه، حيث يقوم الوسطاء باختيار العاملات المعنيات مساء اليوم السابق للعمل الفلاحي. يشبه الوسيط/ الوسيطة في العمل الذي يشتغل لفائدة الباطرونا الفلاحية بFélix» « Mora، بالنظر إلى تشابه مهمته في اختيار العمال والعاملات بناء على قواعد صارمة، بالمهمة التاريخية التي كلف بها "موغا" بالمغرب في الخمسينيات من القرن الماضي في انتقاء العمال المغاربة وفق الصرامة نفسها لاختيار العمال المغاربة للعمل في مناجم الفحم شمال فرنسا.

3 ـ رؤساء العمل : يتكلف هؤلاء بمهام مضنية في تدبير الأشغال داخل الضيعة الفلاحية، وتحملهم النساء العاملات المسؤولية في مختلف ما يتعرضن له من ضغوطات العمل،ومن الإهانات والمعاملات القاسية والحاطة أحيانا من الكرامة الإنسانية، لأنهم المحاور المباشر داخل مقرات العمل في ما يخص طبيعة المهام وطريقة أدائها، وتوقيت الشغل وجودته. ولأن أغلب النساء العاملات أميات يجهلن حقوقهن، ويتم اختيارهن من قبل الوسطاء ضمن الفئة الأولى الأكثر انصياعا والأقل أجرا، فإنهن غالباما يتعرضن لبعض المضايقات على أساس النوع الاجتماعي (DISCRIMINATION SUR LA BASE DU GENRE)، تسندها البنيات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع.

يفضل أصحاب الضيعات الفلاحية باشتوكة تشغيل اليد العاملة النسائية على تشغيل الذكور للأسباب التي أشرنا إليها آنفا. وقد أثار هذا الفعل التمييزي غير ما مرة مناوشات تحولت إلى صدامات بين ممثلي أرباب الشغل والعمال الزراعيين بأماكن تجمعات اليد العاملة (الموقف) . تشكل هذه المناوشات فصلا من فصول التغيرات الاجتماعية التي ظهرت بالمنطقة، وقد غذتها بقوة الهجرة النسائية المطردة.

تعد الهجرة النسائية بهذا، عاملا من عوامل التغيرات الاجتماعية، ويتضح ذلك في الأدوار الجديدة المنوطة بالنساء المهاجرات الوافدات داخل مجتمع اشتوكة المحافظ في الأصل، وفي الظواهر الحديثة المرتبطة بالتوافد النسائي المكثف على المنطقة. ويمكن إبراز بعض هذه التغيرات في مستويات ثلاثة:

-أولا، خروج المرأة للعمل وخاصة في القطاع الفلاحي العصري الذي احتضن نساء عاملات وافدات من حقول هجرية بعيدة عن سهل اشتوكة. إن تفكك البنية التقليدية للأسرة المغربية وسرعة انفتاح المجتمع المغربي على الاقتصاد العالمي عبر الفلاحة التصديرية ،عجل بخروج

نساء من مجتمعات تقليدية محافظة للهجرة والعمل في ضيعات فلاحية عصرية يسيرها رجال مستثمرون مغاربة وأجانب، بل إن بعض النساء أصبحن مؤخرا، ونتيجة لتفكك بنية الأسرة التقليدية يهاجرن خارج الوطن للعمل في حقول الفراولة جنوب اسبانيالا تقل معاناتهن عن مشاكل العاملات الزراعيات بسهل اشتوكة وضيعات أيت عميرة وبيوكرى وبلفاع...وقد اكتسب بعضهن تجربة العمل الزراعي المطلوبة داخل الضيعات الكبرى العصرية بسهول المغرب الفلاحي. لقد كان عمل المرأة إلى حدود بداية الثمانينات لا يتعدى نطاق البيت وبعض أشغال حقول الأسرة في الاقتصاد المعيشي، أما الآن وبسبب الهجرة النسائية المكثفة،فقد أضحى عملها خارج البيت، بسهل اشتوكة مألوفا ليس فقط بالنسبة للنساء المهاجرات الوافدات ولكن أيضا حتى بالنسبة لنساء الأسر الأصلية.

-ثانيا تحرر المرأة ورفضها شروط المجتمع المحافظ، ويتجلى ذلك في الخروج للعمل وتحقيق نوع من الاستقلالية الفردية في اتخاذ القرارات التي تهمها من حيث شغلها وطريقة لباسها واختيار شريك الحياة، والتحكم في الإنجاب وتحمل مسؤولية الأبناء في التمدرس وإعالة باقي أفراد الأسرة، والتهرب من سلطة الأزواج. وقد يكون ذلك مدعاة لمزيد من التفكك الأسري، إذ يسهل على المرأة المهاجرة الوافدة التي تحصل عل فرصة شغل في القطاع الفلاحي أن تدخل غمار تجربة تدبير الأسرة منفردة خارج رقابة العلاقة الزوجية،ونفهم من ذلك أن الهجرة النسائية هي عامل قوي محدد للتغيرات الاجتماعية، إذ تكررت ظاهرة مطالبة النساء بالطلاق من أزواجهن بعد تحقيق استقلالية مادية وأجر مسترسل من العمل الفلاحي، غير أنالأمر يتطلب دراسة ميدانية تستجلي تداعيات الاستقلالية المادية للمرأة العاملة على التماسك الأسري، لسنا هنا بصددها. تتحمل المرأة الوافدة هذه المسؤوليات مجتمعة، تسندها الأدوار الجديدة المنوطة بها في مجتمع اشتوكة، خاصة حضورها القوي في المجال العمومي(الضيعات الفلاحية -المرافق الإدارية – المقاهي والمطاعم – الأسواق الأسبوعية – فضاءات ومتاجر المرأة - السفر خارج المنطقة...) بشكل لم تعهده المنطقة من قبل.

-ثالثا، انقلاب الأدوار الاجتماعية وتأنيثها، حيث كانت وظائف النساء لا تتعدى عمل البيت وتربية الأبناء ورعايتهم وتوفير متطلباتهم اليومية، فيما يتولى الرجال مهام العمل خارجه وتأمين لقمة العيش والسعي إلى مضاعفة الجهد للادخار قصد تأمين حاجيات الأسرة في التعليم والعلاج. ولكن مع خروج المرأة للعمل في الضيعات الفلاحية، انقلبت الأدوار الاجتماعية وظل كثير من الأزواج يعول على عمل الزوجة والفتيات اليافعات في كل مناحي الحياة، بما في ذلك بناء المسكن وتحمل مصاريف العيش اليومي. لقد عاينا – بحكم انتمائنا لسهل اشتوكة- أسرا تدبر النساء شؤونها اليومية وتتحمل أعباء إعالة أفراد أسرتها، بينما الزوج يظل في حالة عطالة لأسباب صحية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو لأن بعض أرباب الشركات الفلاحية بالمنطقة يفضلون تشغيل النساء والفتيات اليافعات بدل الرجال. وفي هذا السياق يحدث أن يحصل نوع من التراضي لتبادل الأدوار الاجتماعية بين الزوج والزوجة المهاجرين إلى المنطقة تحت تأثير الظروف الصعبة لتكلفة العيش.

-رابعا، تدفع العديد من الظروف العاملات إلى الانخراط بقوة في الحراك الاجتماعي الذي تشهده المنطقة بين الفينة والأخرى، ومنها الظروف الاجتماعية غير المستقرة، أحيانا بسبب عدم التوافق بين المستثمرين الأجانب والوطنيين المالكين لشركات فلاحية، أو بسبب إعلان إفلاس مقاولات فلاحية، وأحيانا أخرى بسبب احتقان الوضع داخل المقاولة بين العمال والباطرونا، وهو ما يهدد العاملات الزراعيات بالبطالة وفقدان الشغل. ولا يزال سهل اشتوكة يعيش احتقانا اجتماعيا غير مسبوق وسط العمال والعاملات الزراعيات الذين فقدوا الشغل بعد التوقف المفاجئ عن العمل لشركة يملكها مناصفة مستثمر مغربي وأخر فرنسي، بعد تصدع دعائم الشركة وانسحاب المستثمر الفرنسي، وكانت الحصيلة الاجتماعية ثقيلة حيث تعطل الشغل الفلاحي ودخل العمال والعاملات في سلسلة إضرابات مصحوبة بوقفات احتجاجية للمطالبة بالحق في العمل أما ممقر عمالة إقليم اشتوكة ايت باها كان آخرها في 11 فبراير 2020.

وعموما تتلخص ظروف تردي أوضاع الشغيلة الفلاحية النسائية المهاجرة الوافدة على اشتوكةفي:

1- عدم احترام بعض أرباب الشغل للحد الأدنى للأجور، واللجوء إلى استغلال عوز فئات اجتماعية هشة تقبل الأجر المقترح وإن كان لا يتناسب مع ظروف وطبيعة العمل. ويسهل توظيف المستثمرين للوسطاء في التشغيل هذا النوع من التحايل على الشغيلة الفلاحية، كاللجوء إلى دفع الأجر اليومي مباشرة بعد انتهاء الشغل. وينتج عن ذلك تكريس أرباب العمل للأجور الزهيدة مقابل أرباح هامة تحققها الشركات الخاصة على حساب الطبقة العاملة، مساهمين بذلك في تشكيل بنيات اجتماعية جديدة داخل سهل اشتوكة يعاد معها إنتاج الهشاشة والفقر الاجتماعي. وحسب المعطيات التي استقيناها من تقني فلاحي يسير ضيعات فلاحية تابعة لأحد المستثمرين الأجانب منذ أكثر من 20 سنة، فإن أجر العاملات الزراعياتلا يتعدى 69,73 درهما ل8 ساعات من العمل المتواصل في اليوم، وأن العمل وفق المهام المحددة (le travail à la tache) ، يقلص عدد ساعات العمل اليومي في بعض الضيعات إلى 6 أو 7 ساعات.

2- لا يصرح بعض أرباب الشغل بالعاملات لدى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي(CNSS)، وحتى إذا تم ذلك، يفاجأ العمال والعاملات بأن عدد الأيام المصرح بها لا يتناسب مع عدد الأيام والسنوات الفعلية للخدمة داخل الشركة الفلاحية. وتضطر العاملات حينها إلى التنقل بين إدارة الضيعة الفلاحية وفرع مؤسسة الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي على المستوى الإقليمي، لإثبات صحة ذلك بالإدلاء بوثائق إدارية تأخذ منهن جهدا ووقتا ومالا إضافيا.

3 - تنص مقتضيات قانون الشغل على تمتيع العاملات داخل الضيعات الفلاحية العصرية ومحطات التلفيف باعتبارها مقاولات حديثة، بالرعاية الطبية وحفظ سلامة الأجيرات وتحسين ظروف العمل، غير أن بعض الشركات الخاصة لا تلتزم بتلك المقتضيات إلا في مناسبات خاصة، مثل الزيارات الميدانية لمفتشي الشغل ولجان الفحص المهتمة بمنح شهادة الجودة للمقاولة الفلاحية. أما الحق في التنظيم النقابي فإن المشغلين-الباطرونا- لا يسمحون عادة بممارسته داخل الضيعات والمقاولات الفلاحية بما في ذلك ضيعات المستثمرين الأجانب، خاصة الإسبان والفرنسيين الذين يعملون على محاصرة التنظيمات النقابية المؤطرة للعاملات والعمال الزراعيين

وتبخيس جهودها في الدفاع عن قضايا وحقوق الأجراء(bafouer le droit des salariés). وحسب إحصائيات الجامعة الوطنية للقطاع الفلاحي FNSA التابعة للاتحاد المغربي للشغل، بلغ عدد العمال المنخرطين بسهل اشتوكة في هذا التنظيم النقابي ما بين 3000 إلى 4000 منخرطا، موزعين بين عشرات المقاولات الفلاحية، وينشط أعضاؤها بضيعات أومحطات تلفيف الإنتاج الفلاحي التابعة لDUROC وAZURA و SYNGENTA وغيرها....وغالبا ما يتعرض هؤلاء للتوقيف أو الطرد من العمل بسبب نشاطهم النقابي، ويضطر العمال إلى التضامن معهم في أشكال احتجاجية تبدأ بالاعتصام أمام مقرات الشركات الفلاحية المعنية وتنتهي بوقفات احتجاجية أمام إدارة متفشية الشغل الإقليمية وأحيانا أمام مقر عمالة اشتوكة، مما يضع السلطات الإقليمية في موقف حرج، لاسيما وأن تدخلاتها لدى المشغلين لا تؤدي دائما إلى حل كل مشاكل القطاع الفلاحي.

4 . لا يتوفر أغلب العاملات الزراعيات المهاجرات الوافدات على اشتوكة على بطاقات العمل التي تؤكد هوية الشغيل المنصوص عليها في مدونة الشغل ، كما يحرمن من حقوق اجتماعية أساسية مثل التعويض عن الساعات الإضافية والاستفادة من الخدمات الصحية والتعويضات العائلية وكذا الاستفادة من منحة الأقدمية ... .إنتسريح العاملات والاحتفاظ بفئة قليلة داخل المقاولات الفلاحية، يجعل معظمهن في وضعية بطالة في شهر يوليوز وغشت وشتنبر، وعاملات محطات التلفيف لفترة تصل إلى 7 أشهر. يتمسك العمال والعاملات بالحق في الشغل، ويواجه المستثمرون هذه المطالب بضرورة احترام خصوصيات القطاع، وعلى رأسها موسمية العمل الفلاحي وعدم استقرار الشغل. يثير هذا الوضع أحد أكبر التحديات الاجتماعية التي تعانيها الأسر الوافدة على سهل اشتوكة، والتي بدأت تتكيف مع ظروفعمل الفلاحة التصديرية في السنوات الأخيرة.

6. التضييق على الحريات النقابية داخل مقرات العمل ولجوء المستثمرين إلى فرض عقوبات على مسيري النقابات ومندوبي العمال الذين يؤطرون الطبقة الشغيلة، ويدافعون عن كرامتهم وحقوقهم الاجتماعية والمادية، وخاصة الرفع من الأجور داخل شركات تستفيد من الإعفاء الضريبي ومختلف أنواع المساعدات، وتجني أرباحا ضخمة على حساب بؤس القوى العاملة النسائية.

لكل هذه الأسباب، دخل سهل اشتوكةمؤخرا مرحلة من الحراك الاجتماعي لم يسبق لها مثيل، اتخذت شكل سلسلة احتجاجات وإضرابات ينفذها العمال والعاملات وأسرهم أمام الضيعات الفلاحية ومحطات التلفيف للمطالبة بالحقوق الاجتماعية وحقوق أسرهم، تؤيدها نقابات مهنية تعمل على تأطير العاملات ومساندتهن. لقد بدأ هذا الحراك العمالي منذ سنة 2000، لكنه اتخذ منحى جديدا بعد سنة 2011 مستفيدا من خصوصيات الحراك الشعبي الوطني المصاحب لتداعيات الربيع العربي، وتصاعدت وتيرته خلال السنوات الأخيرة ونستجلي مظاهره في:

■احتقان الأوضاع الاجتماعية وتأجج الصراع بين العمال والعاملات وأرباب الشركات الفلاحية الخاصة في كثير من المناسبات، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، إضراب عمال إحدى الشركات عن العمل ما تسبب في خسائر هامة للشركة ونتج عنه طرد العمال ولجوء المضربين

إلى خطوة تصعيدية خطيرة تمثلت في قطع الطريق الإقليمية رقم 1014 الرابطة بين الجماعة الترابية لأيت عميرة والطريق الوطنية رقم 1. كما قامت بعض العاملات الزراعيات بشركة فلاحية بأيت عميرة (ROSAFLORE) بشل حركة المرور على الطريق الإقليمية رقم 1014، يوم الاثنين 12 ماي 2019، في خطوة تصعيدية لإثارة الانتباه إلى احتجاجهن وإجبار المشغل على دفع أجور العمال التي توقفت منذ شهر ونصف (trois quinzaines). وبعد تدخل السلطات الأمنية المختصة وعمالة إقليم اشتوكة، تم التوصل إلى حل ظرفي يقضي بصرف الأجور جزئيا مقابل تسريح عدد من العاملات والعمال. ويظهر من خلال سلسلة الحوارات بين المشغل المغربي والنقابات المؤطرة للعمال، أن ضيعات هذا الأخير باشتوكة تشهد تراكم العديد من المشاكل قد تعصف بإمكانية استمرار العمل لفائدة مئات العاملات،وخاصة منذ انفصال شركته عن مقاولة المستثمر الفرنسي.وضع هذا الاحتقان الذي تشارك فيه المرأة العاملة بقوة، السلطات المحلية والأمنية في دائرة الصراع، لاسيما وأن مثل هذه الأحداث تتكرر بين الفينة والأخرى على طول السنة وفي مجموع تراب سهل اشتوكة.

■تنفيذ العمال والعاملات تظاهرات في الشارع العام أمام المديرية الإقليمية للتشغيل والمديرية الجهوية للتشغيل بأكادير، للمطالبة بتفعيل مقتضيات قانون الشغل والمطالبة بالحقوق، يكتسي بعضها طابعا إنسانيا، مثل التعجيل بتوفير وسائل نقل آمنة تحفظ كرامة العاملات، كتوفير الحافلات بدل العربات والشاحنات المهترئة التي يلجأ إليها بعض المنتجين والمصدرين لنقل العاملات والعمال إلى الضيعات الفلاحية ومحطات التلفيف. ولابد من الإشارة إلى أن سهل اشتوكةشهد أحداث سير مؤلمة لشاحنات وعربات نقل العاملات الزراعيات من محل سكناهنإلىمقرات العمل، سجل أكثرها مأساوية يوم 29 مارس 2018 على الطريق الإقليمية الرابطة بين أيت عميرة وبيوكرى وراح ضحيته 9 أشخاص نصفهم نساء، وقد أعاد الحادث حينها النقاش لدى الرأي العام المحلي حول مسؤولية الجميع، خاصة المستثمرين في القطاع الفلاحي الذين لا يرغبون في توفير حافلات ووسائل نقل العمال والعاملات في ظروف صحية وآمنة.وقد يكون الاحتجاج في شكل اعتصامات مفتوحة للمطالبة بحق الشغل حتى بعد بيع الضيعات الفلاحية لمالكين ومستثمرين جدد كما هو الشأن بالنسبة لإضراب عمال وعاملات إحدى شركات اشتوكة باكادير بداية شهر يونيو 2019:

الصورة : إضراب عاملات إحدى ضيعاتاشتوكة للمطالبة بالشغل.



المصدر: تصوير شخصي، يونيو2019.

لقد أصبح مشهد التظاهرات والاحتجاجات، باعتبارها حقا من حقوق الإنسان المكفولة وفق ظهير الحريات العامة، جزءا من التغيرات الاجتماعية الناشئة بسهل اشتوكة والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالهجرة الوافدة.

لكل هذه الاعتبارات تتحين النساء العاملات الفرصة للهجرة نحو الخارج قصد تحسين أوضاعهن الاجتماعية والهروب من واقع يتلظى بلهيب ضغوطات اجتماعية واقتصادية وثقافية لا "تعترف" دائما للمرأة بالحق في الإسهام في التنمية والمشاركة في البناء الاقتصادي للبلاد إلا عبر مدخل العمل الأسري. وفي هذا السياق تغدو الهجرة نحو الخارج حلا لكثير منهن، لاسيما بعد اتساع الطلب على اليد العاملة النسائية المغربية في الشغل الفلاحي في بعض الدول الأوروبية مثل اسبانيا.

3-حقول الفراولة الاسبانية ملاذ آخر لتحطيم ما تبقى من القيود الاجتماعية.

تعتبر الهجرة النسائية أحد أهم مكونات النظام الهجري الوطني خلال العقود الأخيرة بل مكونه الرئيسي والحديث، ذلك أن الهجرة الخارجية إلى إحدى الدول الأجنبية ظلت إلى عهد قريب حكرا على الذكور دون النساء. لكن تحولات المجتمع المغربي وانخراط البلاد في الاقتصاد الرأسمالي

والتبادل التجاري مع الخارج وخاصة مع الدول الأوروبية، فرض بروز ظواهر اجتماعية على غرار الهجرة النسائية قصد العمل الفلاحي في دول أوروبا المتوسطية وعلى رأسها اسبانيا.
يمكن التمييز بين ثلاث فترات تاريخية طبعت مغادرة العاملات المغربيات نحو الخارج:

▪قبل عام 1980: كانت الهجرة النسائية تتم في إطار التجمع العائلي،ولا تهاجر المرأة لوحدها إلا نادرا قبل هذا التاريخ.

▪بعد 1980: برزت ملامح اتجاه جديد للهجرة النسائية، هو الهجرة في إطار مشروع مستقل لتحقيق أهداف الاستقلالية الذاتية للمرأة بعيدا عن سلطة الأسرة في التجمع العائلي، وذلك من طرف فئات من النساء يتقاسمن الانتماء إلى وضع اجتماعي لا يؤمن لهن كل متطلبات العيش الكريم (أمهات عازبات – نساء مطلقات – نساء أرامل- متزوجات بدون أبناء- نساء يعلن أسرا. ...)

▪خلال بداية الألفيةالثالثة 2000م: أصبح للنساء القدرة والاستقلالية على بناء وإنجاح مشروع الهجرة خارج دائرة سلطة الأزواج بعدما كن تابعات للمشروع الهجري الأسري. وفي هذا الصدد ظهرت وجهات هجرية جديدة على رأسها مزارع الفراولة الاسبانية، التي تستقطب عاملات زراعيات من مختلف مناطق المغرب،بعضهن اكتسب تجربة العمل الفلاحي في ضيعات اشتوكة.
يشار إلى أن اسبانيا هي وجهة جديدة للهجرة النسائية في مجال الشغل الفلاحي، لكنها أحد أهم وأقدم الوجهات التقليدية للهجرة الدولية للمغاربة، ففي سنة2012 مثلابلغ عدد المهاجرين المغاربة المقيمين باسبانيا بطريقة قانونية حوالي 777278 مهاجرا من مجموع 5056466 مهاجرا يشكلون مغاربة العالم، حسب بعض الدراسات (لكبير عطوف ، 2012، ص 60).
يؤشر قدرة المرأة على خوض تجربة الهجرة بمفردها خارج أرض الوطن على إرادتها في تجاوز العلاقات المثقلة بالقيود الاجتماعية والثقافية ورغبتها في إثبات ذاتها ضمن مشروع هجرة مستقل لعبت فيه النساء دور الريادة، بعدما اختزل قبل ذلك إسهامهن في النظام الهجري الموسوم بالتجمع العائلي في الأم أو الزوجة وليس المرأة المهاجرة.
إن بروز هذا التيار الهجري هو نتاج التحولات الدينامية التي شهدها المجتمع المغربي خلال العقود الأخيرة. فالانتقال من العمل الفلاحي داخل خلية الأسرة إلى العمل المأجور (travail salarié)، ومن العلاقات الاقتصادية القائمة على تبادل المنتجات الفلاحية لتأمين المعيش اليومي للأسرة القروية إلى تنقيد المجتمعات القروية(monétarisation des sociétés rurales)، لا يمكن أن ينتج سوى مرشحين ومرشحات للهجرة الخارجية، للبحث عن المال خارج منطقة الاستقرار لتحقيق الذات وربح طموح المشروع الهجري.
يستجيب التيار الهجري النسائي لمقتضيات سوق الشغل الدولي الذي أصبح معولما وأكثر انفتاحا على اليد العاملة "الناعمة" أو بتعبير فاطمة ايت بلمداني- marché de travail sexuée et mondialisé-(Fatima Ait Ben Lmadani، 2012) لاسيما بعد ظهور أنشطة اقتصادية في الشغل الفلاحي تتطلب مزيدا من العاملات الزراعيات المؤهلات القادرات على رفع تحدي انجاز مهام زراعية خاصة بدقة وكفاءة عالية، نذكر منها تلك الأشغال المرتبطة بجني الفراولة ومختلف أنواع المنتجات الفلاحية في حقول دول أوروبا المتوسطية مثل ايطاليا واسبانيا.

لقد وقع المغرب على اتفاقية الشغل مع الحكومة الاسبانية في 25 يوليوز 2001، تلغى بموجبها كل الاتفاقيات السابقة وتدبر حركية العمال المهاجرين إلى اسبانيا وتهدف إلى " تنظيم ومراقبة تدفقات اليد العاملة بين البلدين، وتعمل الحكومة الاسبانية بموجبها على إبلاغ السلطات المغربية بأعداد العمال الذين يمكن استقبالهم بالأراضي الاسبانية، كما تنص الاتفاقية على احترام البلدين لالتزاماتهما بخصوص تفعيل المراقبة وتحركات المهاجرين الموسمين واحترام مقتضيات قوانين الشغل لتفادي استغلال المغاربة الذين يتواجدون فوق التراب الاسباني بطريقة غير قانونية (Mohamed Khachani،2010). ويعتمد المشغلون الاسبان في هذا الإطار على خدمات ANAPEC (الوكالة الوطنية لإنعاش التشغيل وتنمية الكفاءات) في ميدان تدبير ومواكبة تنقل العاملات المهاجرات الموسميات إلى جنوب اسبانيا.

لقد غيرت الهجرة النسائية المغربية إلى جنوب اسبانيا مع بداية الألفية الثالثة كثيرا من معالم المشهد الهجري الوطني،وأضفت عليه إحدى أهم الخصوصيات التي ستطبعه بعد هذا التاريخ، خاصة وأن أعداد المهاجرات المغربيات نحو الوجهة الاسبانية بدأت في التزايد مع مطلع عام2000م لتستجيب، من ناحية للطلب المتزايد على الشغيلة الفلاحية لتلبية حاجيات الاقتصاد الاسباني، ومن ناحية أخرى للحاجة إلى الشغل، لدى فئات عريضة من الشرائح الاجتماعية العاطلة عن العمل أو التي تتطلع إلى فرص شغل أفضل لتحسين ظروف العيش في الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط.

جدول تطور عدد العاملات المهاجرات إلى مزارع الفراولة الاسبانية 2002-2013

السنة	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2011	2012	2013
العدد	336	95	359	294	2330	5277	12000	17000	5169	2737	2398

المصدر:

CHADIA ARAB, Dames de fraises, doigts de fée, Les invisibles
De la migration saisonnière marocaine en Espagne. Edition en toutes lettres, Casablanca, 2018, p 156.

بلغ عدد المهاجرات المغربيات إلى اسبانيا أوجه سنة 2009 إذ تجاوز عتبة 17000 امرأة، ويوضح الجدول أعلاه عدم انتظام تدفق تيار الهجرة النسائية وذلك بسبب تذبذب حاجيات سوق الشغل الفلاحي لليد العاملة المغربية في اسبانيا. ولابد من التأكيد هنا على أن الهجرة النسائية المغربية إلى اسبانيا في إطار المشروع الهجري المستقل بدأت قبل سنوات 2000م ،إذ وصل عدد المهاجرات المغربيات سنة 1996 مثلا إلى حوالي 7850 مهاجرة (Laura Oso– 2000)، لكن ما يثير الانتباه هو تفضيل المزارعين الإسبان للعاملات المغربيات لأسباب كثيرة على رأسها انخفاض الأجور والمردودية المرتفعة للمهاجرات المغربيات وعدم انخراطهن في حركات

الاحتجاج المطالبة بالحقوق الاجتماعية عكس باقي المهاجرات من جنسيات أخرى مثل (رومانيا – بلغاريا – بولونيا - أوكرانيا ...)، وهذه ميزة على الأقل لا تنقص من أرباح المشغلين الإسبان في موسم جني المحاصيل أن لم تكن تسهم في ارتفاعها. أوردت خوانا مورينو نيتو(Juana Moreno Nieto– 2012) سمات أخرى لا تقل أهمية لتفسير إقبال المشغلين على المرأة العاملة المغربية في حقول الفراولة منها، كما جاءت على لسان أحد المستثمرين الاسبان بمنطقة اللوكوس شمال غرب المغرب" أنهن أيد ناعمة أكثر رقة وأوسع حذر في التعامل مع الفاكهة، ويركزن على الشغل ويتوفرن على أنامل خفيفة مفيدة في جمع الفراولة، المنتج الذي يتطلب عناية شديدة لحفظ جودته قبل الوصول إلى المستهلك". كما تتميز العاملة المغربية بالصبر وقدرة مزدوجة على التحمل: التحمل البدني لإنجاز مهام فلاحية متعبة ومتكررة في حقول الفاكهة الحمراء، والتحمل النفسي لقبول ظروف العمل القاسية بأجور زهيدة والصبر على الشتائم المخلة أحيانا بالحياء الصادرة عن بعض رؤساء العمل والتي تتحملها النساء أكثر من الرجال. تقدم النظرية البنيوية في مقاربتها للموضوع تفسيرا منطقيا لهذا التوجه في إطار عام وشامل للعلاقة بين المركز(دول الاتحاد الأوروبي) والهامش (المغرب) ، "فإذا كانت الهجرة تمثل نوعا من استغلال المركز للهامش، فإن النساء المهاجرات يكن في البيئة التي يهيمن فيها الذكور أكثر عرضة لاستغلال الرجال لهن، لذلك قادت التغييرات الجديدة في التقسيم الدولي للعمل على نحو واسع إلى إنشاء مناطق تجهيز الصادرات في البلدان النامية، وفيها يتم في الغالب اختيار النساء المهاجرات للعمل لكونهن أكثر انصياعا وأقل أجرا مقارنة مع الرجال".(هاشم نعمة فياض، مجلة عمران،2018،).ويجد« خضوع» هؤلاء النسوة في اعتقادنا، لمقتضيات العمل وفق معايير المشغلين الإسبان دون فرض منطق الاشتغال داخل دائرة العمل القانوني والحماية الاجتماعية التي تنص عليها مواثيق الشغل الدولية، أسبابه في تداخل ثلاثة أبعاد:

1-البعد الاجتماعي : تنحدر أغلب النساء المهاجرات من أوساط جغرافية هشة، قد تكون قرى من المغرب العميق أو مراكز حضرية هامشية تعاني الفقر والحرمان وعجزا في الخدمات الاجتماعية وتردي الأوضاع الاقتصادية وتراجع مستويات العيش.أما وضعيتهن الاجتماعية فلا تقل هشاشة عن واقع الأوساط التي ينحدرن منها، إذإنهن في الغالب أرامل ومطلقات ومتزوجات يعلن أسرا متعددة الأبناء بل حتى أمهات عازبات... دفعتهن ظروف الحرمان لمغادرة البلد قصد تحسين وضعهن الاجتماعي عبر مدخل الشغل الفلاحي المدر للدخل. وفي ظل هذه الظرفية يصعب على العاملات المهاجرات المطالبة بأكثر من فرصة شغل تخفف عنهن متاعب جمة تركنها في بلداتهن الأصلية، غير أنها لازمت مخيلتهن وعبرت معهن مضيق جبل طارق إلى الضفة الأخرى دون استئذان.

2-البعد الشخصي: هاجرت كل النسوة لتحقيق مشروع هجري شخصي غايته إيجاد الشغل لتحقيق الذات والاستقلالية والبعد عن الهيمنة الذكورية، والإفلات من الرقابة الاجتماعية المثقلة بالقيود التي تحد من حريتهن وتكبل طموحاتهن وآمالهن في الوصول إلى عوالم تتيح لهن فرصة اتخاذ القرار بعيدا عن سلطة الأزواج أو الآباء. ولهذا فإن حضورهن بالمهجر هو بالدرجة الأولى للتمرس على تحقيق الاستقلالية المزعومة من خلال الشغل الفلاحي، وليس التدرب على النضال

من أجل انتزاع المطالب الاجتماعية. ويعتبر هذا في اعتقادنا سببا كافيا يجعل النساء المهاجرات في مزارع اسبانيا يشتغلن في صمت، في قطاع خبرن تفاصيل يومياته وأعماله المضنية في مزارع وحقول المستثمرين المغاربة والأجانب بوطنهن الأم.

3-البعد السيكولوجي: تصنف الهجرة النسائية والخروج من البلد خارج ضوابط "التجمع العائلي"،أي هجرة النساء بمفردهن في إطار استراتيجية تحررية تفلت المرأة من محددات وتقاليد العيش الأسري بالنسبة للعازبات، ومن علاقات الارتباط بالزوج في حالة المطلقات والأمهات اللواتي يعلن أبناء. وفي كل الأحوال تعيش المهاجرات على أمل التحرر من كل أصناف المعاناة النفسية(الرقابة الأسرية الضاغطة – التقاليد الاجتماعية – العنف الزوجي والأسري – الاستغلال بشتى أصنافه في مجالات الشغل ....) للالتحاق بفضاء أوربي قد يكون أرحم حالا من بلداتهن الأصلية، قبل أن يكتشفن بامتعاض وبكثير من الندم أحيانا، مرارة واقع اسباني لا يقل سوءا. غير أن الحالة السيكولوجية والنفسية للمهاجرات تقر بقاعدة القبول بالوضع المأمول بعد تقييم المزايا الاقتصادية المراد الحصول عليها في الشغل الفلاحي، بعيوب ومشاكل النزوح من الوطن الأم.

إن النزوح بصيغة المؤنث لا يمكن استقصاء كنهه بنظرة أحادية من الجنوب لإشكالية الهجرة، بل لابد من الاطلاع على واقع وتفاصيل حياة العاملات المهاجرات بنظرة من الشمال، وفي هذا الصدد ينبغي الإشارة إلى انشغال العديد من الأبحاث بموضوع الهجرة النسائية المغربية إلى أوربا عامة وإلى اسبانيا بصفة خاصة،أنتجت تراكما معرفيا بمقاربات مندمجة استحضرت واقع اشتغال المهاجرات في مزارع الاسبان ومستويات الرعاية الاجتماعية الممنوحة ومدى احترام الباطرونا المشغلين قوانين الشغل الفلاحي في مزارع الفراولة، خاصة ساعات العمل والحماية الصحية والأجر المقابل للشغل وغيرها... وكانت المقاربات المذكورة تمزج بين المعرفة الميدانية المستمدة من المهاجرات أنفسهن عبر استمارات واستجوابات مباشرة في محطات التلفيف والضيعات الفلاحية، ومواكبة معاناتهن من خلال التسلل إلى ضيعات الاسبان وتقمص الباحث لشخصية العامل المهاجر، وبين ما توفره المعطيات الرسمية في بلد المهجر من إحصائيات عن أعداد المهاجرات وظروف الاشتغال وأرقام الرعاية الصحية والأجور والحق في التنظيم النقابي والاستفادة من التأمين الصحي ...

تشي الهجرة النسائية منظورا إليها من الجنوب (بلد الانطلاق) أو من الشمال (بلد الاستقبال) بواقع اجتماعي متصدع، لعبت فيه المرأة العاملة المهاجرة دور الريادة من حيث كونها فاعلة في التغيير الاجتماعي الناتج عن قيادة مشاريع الهجرة المستقلة ونتيجة لتداعياتها أم ضحية لها في آن واحد. ذلك أن الشغل الفلاحي في مزارع الاسبان لم يكن امتدادا للمهام الزراعية التي تؤديها المرأة القروية بفضل انتمائها للعالم الريفي، أو دراية المرأة القادمة من أوساط حضرية أو شبه حضرية بحكم تمرسها على العمل الفلاحي في ضيعات اشتوكة وغيرها، بل أضحى عمل مزارع الفراولة مغايرا تماما ليس في تقنيات جني المنتج الزراعي وتلفيفه وإعداده للتسويق بل حتى في الظروف الاجتماعية المحيطة به والعمليات التقنية المصاحبة له واختلاف بيئة الاشتغال وعلاقات الشغل الجديدة، ويمكن إدراج بعض هذه المتغيرات وتداعياتها الاجتماعية في:

1: يفرض المزارعون الاسبان تنظيما خاصا وتوزيعا للعاملات المهاجرات داخل الضيعات وحقول الفراولة لا يأخذ دائما بعين الاعتبار جنسيات المهاجرات، فيحدث أن تجبر المرأة المغربية التي غادرت لأول مرة بلدتها وبلدها على العمل جنبا إلى جنب مع نساء من بولونيا ورومانيا وبلغاريا وغيرها..قادتهن الظروف نفسها إلى مزارع الاسبان. تصدم المهاجرة المغربية بتفاصيل تنظيم العمل بمنطق الخلط بين المهاجرات دون اعتبار للخصوصيات الثقافية واللغوية، وتزداد الأمور تعقيدا عندما يفرض المنطق ذاته في مقرات السكن والإيواء المعدة لاستقبال المهاجرات داخل الضيعات الفلاحية، لاسيما وأن أغلب العاملات أميات وينحدرن من أوساط اجتماعية هشة،الأمر الذي يحد من إمكانيات التواصل مع الأجانب من داخل مقر العمل. ويحدث دائما أن تتدخل النساء لدى المشغلين عبر الوسطاء لفرض منطق آخر، أساسه ضم العاملات المهاجرات القادمات من المغرب، بل المنحدرات من المنطقة نفسها في فريق عمل واحد ومكان استقرار وإيواء مشترك لتخفيف الضغط النفسي والسيكولوجي على هؤلاء النسوة. وتندرج قدرة المرأة المهاجرة على مجابهة كل هذه الضغوط النفسية ضمن عوامل التغير الاجتماعي، التي تزيد شخصية المرأة صلابة وتعزز فرص استقلاليتها المادية والمعنوية ضمن مشروع الهجرة المستقل الذي بدأت تفاصيله من البلد الأصل. إن المهاجرة هنا لا تختزل في مجرد أم أو زوجة، بل أضحت امرأة تقود مشروعا شخصيا للهجرة وقادرة على التصدي لتداعياته النفسية وضغوطاته السيكولوجية من أجل جمع المال لإعالة أسرتها وضمان استمرار تمدرس أبناءها وتسديد مصاريف علاج أبويها،بل حتى الادخار لإنجاز مشاريع صغيرة مدرة للدخل في بلدتها. وتظل القدرة على النجاح في هذا المنحى رهينة الإمكانيات التي يوفرها الشغل الفلاحي وضمان استمرارية العمل ودفع الأجور.

2: إن هجرة المرأة خارج أرض الوطن في استقلالية عن الرجل يعد في حد ذاته تمردا على التقاليد الاجتماعية الموروثة والعادات المكتسبة المستمدة، والتي تناقلتها الأجيال من الأجداد إلى الآباء، فلم يكن يسمح للمرأة في ظل هذه الهندسة الاجتماعية الأصيلة بمغادرة البيت بمفردها والهجرة إلى الخارج سوى في إطار التجمع العائلي، حيث تصبح المرأة تابعا للرجل خاضعا له سواء كان زوجا أو أبا. لكن مع تحولات المشهد الهجري الوطني، واستمرار تدفق تيار الهجرة النسائية نحو الدول الأوروبية تحولت الهجرة المغربية من الذكورة المطلقة إلى التأنيث الغالب،وبدأت مع هذا التيار الهجري، أشكال لاحصر لها من التغيرات الاجتماعية التي تتغذى من الهجرة النسائية وتغذيها، وتسرع حوافز النزوح من وتيرتها، لاسيما وأن تأنيث فعل الهجرة يرجع إلى سنوات خلت، فمنذ بداية 1990كانللنساء حصة كبيرة ضمن مجموع المهاجرين نحو الخارج ، قرابة 50 % من مجموع المغاربة في فرنسا وبلجيكا وهولندا، و33 %في اسبانيا و30% في ايطاليا ، حوالي 70 %في دول الخليج (فاطمة ايت بلمداني، homme et migration ,2012.)

لم تعد مؤسسة الزواج المصير الحتمي للمرأة، ولا العيش في كنف رجل متسلط يلبي احتياجات الأسرة ما يستهوي المرأة، بل فتحت الهجرة آفاقا واسعة أمام النساء للتمرد على كل هذه الطموحات الماضوية،والسعي عبر مدخل الهجرة لبناء مشروع هجري مستقل يؤسس لطموحات

وآمال جديدة ومستجدة بانفتاح أبواب الهجرة أمام النساء، خاصة وأنهن يتلقين عبر مختلف وسائل التواصل المتاحة أنباء عن إمكانية الخروج من سيطرة وهيمنة الزوج والأسرة وبناء طموح الاستقلال الذاتي والفردي في بلد المهجر بعيدا عن رقابة الأسرة، كما أن محفزات أخرى تتدخل لتقوية رغبة النزوح والهجرة منها أن "المهاجر لما يعود إلى بلده الأصل خلال فترات الإجازات السنوية يتفانى في إظهار صورة النجاح الاجتماعي" (محمد خشاني، محاور،2018)التي تسلب المرأة الراغبة في الهجرة قدرتها على مقاومة البقاء في ظل وضع أسري وبناء زوجي لا ترضاه لنفسها، وتسارع بالتالي إلى التخطيط والشروع في تنفيذ الطموح الهجري المستقل.

تكتسي الهجرة النسائية في البداية طابع تحرريا بالنظر إلى الفرص المتاحة للمرأة العاملة لل"هروب من علاقات الارتباط بالزوج" والتحرر من "الهيمنة الأبوية والذكورية المطلقة في النظام الأسري التقليدي"، غير أنها تصبح فيما بعد مصدر الخطر على القيم الاجتماعية التي تهتز ويعتريها الخلل بسبب مفعول مختلف الممارسات التحررية المصاحبة للهجرة في بلد الاستقبال.

لقد طفت إلى سطح العلاقات الاجتماعية بعض الممارسات الدخيلة على القيم الاجتماعية، منها كما لاحظت الباحثة شادية عرب أن بعض النساء المهاجرات إلى حقول الفراولة جنوب اسبانيا، قد طالبن بالطلاق من أزواجهن في أول موسم للهجرة (شادية عرب، 2018،ص129)، بل إن البعض الأخر فضل ترك أفراد الأسرة في رعاية الأزواج والبقاء في اسبانيا بطريقة غير قانونية بعد انتهاء موسم جني الفراولة وعقدة العمل مع المشغل الاسباني، في تحد سافر لمقتضيات العلاقات الأسرية،ورفض الانصياع لمطالب الأزواج في العودة السريعة إلىأرض الوطن للالتحاق بالأبناء في العائلة. وهو ما يعني اهتزاز صورة هيمنة الرجل وسلطته داخل الأسرة،وبداية تشكل علاقات جديدة بين الرجل والمرأة في التدبير الأسري تتلاشي من خلالها الهيمنة الذكورية لصالح تفوق الحضور الأنثوي، وتولي المرأة مكان الريادة في رعاية الأسرة جنبا إلى جنب مع الرجل، والتفوق عليه أحيانا لتصبح المرأة المهاجرة المستقلة اقتصاديا "ربة بيت"chef de famille، حتى وإنكان لا يعترف لها اجتماعيا وقانونيا بهذا الدور، في مجتمع لا يزال رغم كل التحولات القيمية التي صاحبت الهجرة النسائية، يرفض المس بقوامة الرجل في الأسرة المغربية التقليدية والحديثة.

ومن صور تلاشي القيم الاجتماعية الناتج عن التأنيث الغالب في الهجرة إلى حقول الفراولة الاسبانية، تغير في الأدوار التقليدية للمرأة، من الدور القائم على الأمومة والإنجاب إلى دور الفاعل في البناء الاقتصادي للأسرة. ويترتب عن انقلاب الأدوار الاجتماعية أضرار يكتوي بنارها الرجل الذي يسمح لزوجته بالبحث عن موارد اقتصادية إضافية لفائدة الأسرة،بالهجرة خارج الوطن، لكن سرعان ما تنسى تلك الأضرار إذا تفوقت العوائد الاقتصادية التي تجلبها الهجرة على أثارها النفسية. أما في حال العكس فقد تتحول الهجرة إلى نقمة على الأسرة، وتؤزم علاقات الأزواج وتقلب الوظائف التقليدية للآباء داخل الأسر رأسا على عقب، لاسيما إذا اختارت المرأة "التمرد" على سلطة الزوج أو التواطؤ معه للبقاء في اسبانيا بطريقة غير قانونية والبحث عن تسوية الوضعية . ففي ما بين سنة 2002 و2004 مثلا، اختارت 75% من المهاجرات البقاء في اسبانيا بعد نهاية عقدة الشغل الفلاحي (Fatima Ait Ben Lmadani-2012)،

وهو ما يزكي الطرح القائل بأن غالبية النساء المهاجرات، يخططن لإنجاح المشروع الهجري المستقل باختيار "الحريك" والدخول في متاهات التسوية القانونية غير مأمونة العواقب في حال النوع الاجتماعي.إن ثقافة "الحريك" نفسها هي تعبير جلي عن تغيرات الواقع الاجتماعي الناتجة عن النظام الهجري المتحول إلى التأنيث الغالب، فإلى عهد قريب ظل الحريكأو« الهجرة السرية »غير القانونية إلىأوروبا عموما واسبانيا على الخصوص حكرا على الرجال. لكن علينا أن نحتاط من توظيف مصطلح "الهجرة السرية، لأن كل المهاجرين الذين يدخلون التراب الأوروبي عامة والاسباني على الخصوص، معروفون لدى الدوائر الرسمية كما أن طرق ومسالك عبورهم وأماكن استقرارهم لم تعد تخفى على أحد. ويعتبر لكبير عطوف " الهجرة السرية" أحد أكبر الحقائق الزائفة (évidences mensongères) لأن " المهاجر السريفي الدول الأوربية، يعد ضرورة ملحة للاقتصاد الموازي غير القادر على المنافسة دون توظيف يد عاملة رخيصة ووفيرة كالتي توفرها الهجرة التي تنعت بالسرية" (لكبير عطوف، 2002، ص 46).

3: لم يكن عمل المرأة المغربية المهاجرة إلى أوروبا ضمن المشروع المستقل يتعدى بعض الأشغال التي تناسب القدرة الفيزيولوجية للمرأة عموما مثل الأعمال المنزلية والمطعمة وقطاع الخدمات والأعمال المرتبطة بالسياحة وخدمات العناية بالذات والتجميل وبعض أشغال التجارة الحرة... وغيرها، ومع انطلاق تحولات المشهد الهجري في بداية الألفية الثالثة، وتنامي المد الهجري بصيغة المؤنث، ظهرت قطاعات شغل جديدة تستقطب الشغيلة النسوية القادمة من دول العالم النامي عموما ومن المغرب على الخصوص، ومنها الشغل الفلاحي الذي يهيئ للمرأة المهاجرة فرص عمل في الضيعات الفلاحية وفي محطات التلفيف ومستودعات إعداد المنتجات قبل تسويقها في الأسواق الأوروبية والدولية.

تقدم مزارع الفراولة الاسبانية الكثير من فرص العمل لفائدة المهاجرات المغربيات تؤطرها اتفاقيات بين الحكومة المغربية والسلطات الاسبانية، مافتئت تتزايد في السنوات الأخيرة رغم تذبذب حاجيات سوق الشغل في دولة الاستقبال، قصد سد الطلب المتزايد على "اليد العاملة الناعمة" التي لا تتوانى في عرض تجربتها وخبرتها في جني محاصيل "الفاكهة الحمراء" وصلابتها وقدرتها على انجاز مهام فلاحية لا يقوى على انجازها عادة سوى الرجال.

وقد شهدت اسبانيا منذ التحاقها بالاتحاد الأوروبي في عام 1982 ازدهارا اقتصاديا شمل القطاعات الحيوية وانعكس ايجابيا على النهضة التنموية لهذا البلد الأوروبي المتوسطي، واستحال الازدهار طفرة اقتصادية مع مطلع سنوات 1990 و2000، وهو ما يفسر تطور القطاع الفلاحي خاصة في الجنوب و"احتكار" الاسبان سوق الاتحاد الأوروبي لتصريف المنتجات الزراعية بحكم منطق الأفضلية لمنتوج الدولة العضو في المجموعة الأوروبية. ولتكون في مستوى الاستجابة لكل حاجيات السوق الأوروبية من المحاصيل الزراعية المنتجة بالبلاد، كان لابد من حل مشكل الخصاص في اليد العاملة خلال فترات جمع محاصيل الزراعية مثل الفراولة، وذلك باللجوء إلي اليد العاملة المغربية النسائية وفق شروط محددة لا تأخذ بعين الاعتبار واقع عاملات نشأن في ظروف اجتماعية تطبعها خصوصيات دولة نامية من جنوب المتوسط.

يعد اقتحام المرأة سوق الشغل الفلاحي في المغرب (ضيعات اشتوكة على سبيل المثال) ودول المهجر (اسبانيا)، أحد أهم المؤشرات القوية على عمق التحولات التي عرفها المجتمع المغربي، الذي اتجه نحو مزيد من التسامح تجاه حركية المرأة واستقلاليتها المادية، والتساهل مع إمكانية تحقيق مشاريعها الذاتية الطموحة والمشروعة من خلال الترخيص الاجتماعي لها بمغادرة الوطن بمفردها لبلوغ طموح مشروع الهجرة المستقل، والاشتغال لأجل ذلك في أحد القطاعات الاقتصادية المضنية والمرهقة التي تتطلب قدرات بدنية واستعدادات نفسية صارمة على غرار الشغل الفلاحي.إنها قطاعات عمل لا يرضى بها الأوروبيون عموما، لكنها فرصة سانحة لمئات الآلاف من النسوة القادمات من الجنوب لتحقيق حلم الاستقلالية الاقتصادية من العمل المأجور، أي القطاعات المصنفة ضمن ما يسميه محمد خشاني ب : (Les trois D (**d**etrines,**d**angereuse,**d**égradines) أي قطاعات الشغل القذرة والخطيرة والمنحطة (محمد خشاني، برنامج محاور- فرانس 24).

4: تصل العاملات المهاجرات إلى بلد الاستقبال اسبانيا في حالة انتشاء ممزوج بالذهول لاجتيازهن كل العوائق القانونية والاجتماعية والمادية التي من شأنها أن تؤخر أو تعطل أو تقبر نجاح مشروع الهجرة. وبعد انقشاع فرحة نشوة الانتصار على مجمل القيود والانخراط في الشغل الفلاحي، تبدأ فصول أخرى من المعاناة في مزارع الفراولة، عنوانها الاستغلال والقهر والعمل المضني الشاق الذي يتواصل ل7 إلى 8 ساعات في اليوم دون توقف إلا لفترة قصيرة لتناول وجبة سد رمق البقاء على قيد الحياة.

رغم ذاك تستمر العاملات في التحدي، لاسيما وأنهن من المهمشات والمرفوضات اجتماعيا في وطنهن، أي الأمهات العازبات والمطلقات والأرامل وبعضهن نساء هربن من العنف الزوجي وتركن أسرا وعائلات في مصير مجهول، فيتعرضن لضغوطات العمل التي تستصغرها النساء على أمل البقاء في الشغل الفلاحي وفق رزنامة زمنية ومنطق اشتغال يخدم مصلحة المزارع الاسباني، فتتعرض بذاك المهاجرة في حقول الفراولة "الذهب الأحمر" جنوب اسبانيا لظلم مزدوج « فلا وطنها احترم كرامتها ولا بلد الاستقبال أعارها الاهتمام الذي تستحقه » (كنزة الغالي،2004، ص 30). وتزداد المعاناة النفسية والاجتماعية للمهاجرات المغربيات عندما يخترن البقاء في أسبانيا بطريقة غير شرعية للهروب من "جحيم" العودة إلى الوطن الأم بعد نهاية موسم جني الفراولة، فتفتح أبواب شتى أنواع الاستغلال أمام المعنيات بالأمر، ويتحطم بذلك ما تبقى من التقاليد الاجتماعية التي تصون كرامة المهاجرة، مثل الخنوع والقبول بممارسات لم تضعها في الحسبان عند التخطيط لمشروع الهجرة، كالزواج المختلط بأجانب أو العمل في الخدمة المنزلية وأشغال النظافة، وبعضهن غير حتى نمط التفكير واللباس وبدأ يرتاد الحانات ويقبل بالعيش المشترك مع أجانب تحت سقف واحد خارج ما تمليه الضوابط الاجتماعية التي تربت عليها في وطنها أو بلدتها الأصلية.

لم تكن هذه الهجرة "المفروضة اجتماعيا" سوى الحلقة الوسطى من نسق ومنظومة تفاعلات اجتماعية تبدأ بالترمل والطلاق والعنف الزوجي وضنك الحياة في كنف أسرة عجز الأب عن تأمين لقمة العيش الكريم لكل أبنائها، وتتواصل عندما تعجز المرأة عن المواجهة بالبحث عن

ملاذ للهروب إلى وجهة بعيدة خارج الوطن تحضنها حقول جنوب اسبانيا، وتنتهي بمعاناة لا حصر لها في بلد الاستقبال. وفي هذا الصدد "لا تستطيع المرأة الوحيدة كالأم العازبة والمطلقة والأرملة تأمين العيش الكريم اقتصاديا واجتماعيا دون مغادرة بلدتها ووطنها الأصلي، كما أنها تجد صعوبة أكثر من الرجل، في تحسين وتغييروضعيتها الاجتماعية وتتزوج من جديد..." (MirjanaMorokvasic، nouvelles questions feministes n°13,1986)، وباختصار فإن الهجرة بالنسبة لهؤلاء النساء من المنظور السوسيولوجي هي صراع من أجل العيش الآمن.

أهم نتائج الدراسة

-إن معظم النساء العاملات الزراعيات هن ضحايا نظام تعليمي مثقل بالقيود الاجتماعية، وينحدرن من أوساط اجتماعية وجغرافية تتسم بالهشاشة وتردي الاقتصادية وتدني مستوى العيش.

-لا تقل معاناة العاملات الزراعيات في حقول الفراولة الاسبانية وجعا عن معاناتهن في مزارع وطنهن، رغم الصورة الايجابية التي تسوق إعلاميا عن واقع التشغيل في الدول الأوربية (اسبانيا). وتختصر ضغوطات العمل مختلف أنواع العنف المادي والرمزي الممارس على المهاجرات العاملات.

-تستطيع النساء المهاجرات مواجهة كافة المشاكل النفسية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية المترتبة عن مغامرة الهجرة سواء على أرض الوطن أوخارجه، وتمني النسوة النفس بإنجاح المشروع الهجري الشخصي لانقاذ الأسرة ودعمها ماديا في البلدات الأصلية (القرى وهوامش المراكز الحضرية...).

-تعد الهجرة بصيغة المؤنث أحد أكبر عوامل التغيير المجتمعي، بينما يسرع الانفتاح على الاقتصاد العالمي في قطاع الفلاحة وتيرته. أما الشغل الفلاحي الميسر لمعظم النساء فهو المدخل لتفكيك البنيات التقليدية للمجتمع،على غرار البناء الأسري ومنظومة العلاقات الاجتماعية.

-شكلت الأحواض الهجرية الوطنية مثل حوض اشتوكة بسهل سوس جنوب المغرب،والذي يتميز بجاذبية استثمارية فائقة في القطاع الفلاحي وقدرة على استقطاب عشرات الآلاف من العاملات الزراعيات من مختلف مناطق البلاد، محطة تدريب أساسية في مسار الهجرة نحو اسبانيا. وفي خضم الانتقال بين البلدة الأصلية إلى منطقة اشتوكة بسهل سوس ثم مزارع الفراولة باسبانيا، يستمر البناء الأسري في التفكك تدريجيا، ويتحطم معه ما تبقى من القيود الاجتماعية المميزة لطبيعة المجتمع المغربي المحافظ في الأصل.

-إن قبول المهاجرات الزراعيات بالعمل في مزارع الفراولة الاسبانية لا ينفي تعرضهن لمضايقات من شتى الأصناف، كما أن قبولهن بالأمر الواقع هو من صميم قناعتهن بأن الشغل الفلاحي يجنبهن الفقر ويحمي أسرهن من المساغب في واقع اسباني لا يقل سوءا عن الأوضاع في وطنهن الأم.

-تمكن بعض النسوة المهاجرات من إنجاح مشروعهن في الهجرة وحققن حلم الاستقلالية المادية والاجتماعية كما تحققت كثير من طموحاتهن في انجاز مشاريع شخصية (بناء بيت- اقتناء سيارة

–حيازة مشروع تجاري ...) تستفيد منها أسرهن وأقربائهن، وهن رمز نجاح مشروع الهجرة المستقل وقدوة كل النساء العاملات المهاجرات.

على سبيل الختم

دخلت المرأة المهاجرة سواء إلى ضيعات الأحواض الفلاحية الكبرى مثل اشتوكة أو إلى حقول الفراولة الاسبانية، في خضم سلسلة صراعات اجتماعية مستجدة كانت فاعلا فيها ونتيجة لها في الوقت ذاته. غير أن ما يثير انتباه أغلب الباحثين في تدفقات الهجرة الوطنية والدولية خلال السنوات الأخيرة ليس هو حجم التأنيث المتسارع لفعل الهجرة، بل قدرة المرأة المغربية على الصمود والمواجهة والتصدي لكافة التداعيات النفسية والاقتصادية والاجتماعية المترتبة عنها، وتجاوز الصعوبات القانونية والتقاليد الاجتماعية الموروثة عن الهندسة التقليدية للمجتمع المغربي المحافظ، قصد إنجاح مشاريع هجرة مستقلة عن" التجمع العائلي" سائد الانتشار إلى حدود بداية الثمانينات. وإذا كانت القيم الاجتماعية والإنسانية وعادات وتقاليد المجتمع، تجبر المرأة على البقاء في دائرة الأسرة، والإسهام في رعايتها وضمان تماسكها، والالتزام بحدود الحرية المسموح بها والتصرف وفق منطق قيم المجتمع المحافظ الذي يصون كرامة المرأة، ويبعد تصرفاتها وممارساتها عن دائرة الشبهات، فإن انفتاح الاقتصاد الوطني على الرأسمال الدولي والسوق العالمية، وهبوب رياح التغيير الاجتماعي عبر وسائل الإعلام والتسويق للحداثة وعولمة سوق الشغل وتأنيثه، واعتبار العمل والاستقلالية الذاتية والاقتصادية قيمة إنسانية وحضارية تهم الرجال والنساء على حد سواء، قد وضع كل العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية المذكورة على المحك، وموضع نقاش عمومي مستفيض في شأن استقلالية المرأة والسماح لها بالهجرة بمفردها خارج التجمع العائلي. وكان لعامل مستوى التنمية البشرية المتفاوت بين الجهات والأقاليم، وفعل الهشاشة الاجتماعية الذي يتخلل جغرافية الوطن، وتردي أوضاع الكثير من الأسر من مناطق المغرب العميق وهوامش المدن الكبرى، وانفتاح النافذة الديمغرافية، دور بارز في تسريع وتيرة تصدع العلاقات الاجتماعية وتلاشي بعض قيم المجتمع المحافظ، الذي تساهل كثيرا مع العديد مما كان يعرف في السابق بحدود المرأة. وفي ضوء ذلك، تحركت تيارات الهجرة النسائية على المستوى الوطني بفعل اختلاف مستويات التنمية بين المناطق، وتيارات الهجرة نحو الخارج وخاصة نحو اسبانيا، بدافع الاستقلالية الذاتية وتحسين الدخل ومستوى معيشة الأسر، لتتحطم بذلك آخر القيود الاجتماعية وتتسارع وتيرة التغيير الاجتماعي الذي إن لم يكن قد أضر بصورة المرأة المهاجرة في مجتمعات الانطلاق كما في بلدان الاستقبال، فإنه قد وضعها موضع شك وتساؤلات عريضة، تعيد إلى الأذهان إشكالية التنمية والحداثة بصيغة المؤنث في مجتمعات جنوب حوض المتوسط.

قائمة المراجع

1.المندوبية السامية للتخطيط، (أكتوبر 2019)، السكان والتنمية في المغرب، خمس وعشرون سنة بعد مؤتمر القاهرة 1994، التقرير الوطني،الرباط، المغرب.

2.كنزة الغالي،(2004)، نساؤنا المهاجرات في اسبانيا، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب.

3.محمد خشاني،(2018)، هجرة الشباب العربي وفشل السياسات الأوروبية، برنامج محاور على قناة فرانس 24 بتاريخ 15 يوليوز2018، اطلع عليه 20 مايو 2020.
4.هاشم نعمة فياض، (2018)، مفاهيم نظرية في الهجرة السكانية :دراسة تحليلية مقارنة، مجلة عمران، العدد 26، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر.
5.ChadiaAarab (2018), Dames de fraises, doigts de fée, Les invisibles de la migration saisonnière marocaine en Espagne. Edition en toutes lettres, Casablanca. Maroc.
6.Elkbir ATOUF (2012), Migrations représentations et sociologie rurale dans l'histoire du Maroc, souss impression, Agadir. Maroc.
7.Fatima Ait Ben Lmadani,(2012) Femmes et émigration marocaineEntre invisibilisation et survisibilisation : pour une approche postcoloniale, Hommes & migrations n°1300, Revue française de référence sur les dynamiques migratoires. Paris.
8.Juana Moreno Nieto(2012), Faut-il des mains de femmes pour cueillir les fraises ? Dynamique de la gestion de la main-d'œuvre et du travail dans le secteur fraisier du périmètre irrigué du Loukkos (Maroc), Les Études et Essais du Centre Jacques Berque, N° 11, Rabat – Maroc.
9.Laura Oso (2000),L'immigration en Espagne des femmes chefs de famille, les cahiers de CEDREF (centre d'enseignement de documentations et de recherches pour les études féministes), n°8-9.Paris.
10.MirjanaMorokvasic(1986) Émigration des femmes, suivre, fuir ou lutter. Nouvelles questions féministes, n°13.lausannne.
11.Mohamed Khachani–AMERM en collaboration avec Mohamed Bensaïd(2010), Les nouveaux défis de la question migratoire au Maroc, Cahiers des migrations internationales n°103, publication du bureau international du travail, Genève, Suisse.

المدن الساحلية التونسية بين واقع التركز الحضري ورهان الجودة البيئية: مثال مدن بحيرة بنزرت

د.بسمة الرياحي الشملي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم الجغرافيا، جامعة تونس- تونس

الملخص: تُكنّى المدن الساحلية التونسية بعدّة دراسات أكاديمية وحتى رسمية "بالمحظوظة" فقد مثلت "تراب" التنمية الذي راهنت عليه البلاد منذ الإستقلال وأساسا منذ سعيها للإندراج بالعولمة. لقد انتهج الفاعلون المتعاقبون سياسا تتنموية وتهيوية معوّلة على الواجهة الساحلية الشرقية ذات المقتصدات الإيجابية المتراكمة ممّا أفرز تنظيما مجاليا يتّسم بالإختلال بين المجال الحضري الساحلي الشرقي وبقية جهات البلاد. النتيجة: كثافات ديمغرافية واقتصادية عالية لم تقدر المدن على استيعاب تداعياتها البيئية لعل مشكل التلوث أبرز مظاهرها. في هذا الإطار، تُطرح إشكالية مدى نجاح البلاد التونسية في التوفيق بين رهاناتها الإقتصادية وبين مسؤوليتها البيئية التي صارت - منذ بداية التسعينات- إلزاما رسميا قد تبنّته الدولة في إطار سياق التنمية المستدامة الذي اكتسح الأوساط السياسية والأكاديمية الدولية. يتمثل رهاننا من هذا العمل في الإجابة عن الإشكالية التالية: هل استطاعت الدولة - من خلال نموذج مدن بحيرة بنزرت-التوفيق بين سياستها الإقتصادية المنفتحة التي تدفع باتجاه تركيز الأنشطة فالسكان بالمدن الساحلية وما لذلك من تداعيات بيئية وبين إلتزامها منذ قمة الأرض (1992) بإرساء تنمية مستدامة على الأقل بالمحور البيئي؟

الكلمات المفتاحية: مدن بحيرة بنزرت، التركز الحضري، التداعيات البيئية، العولمة، التنمية المستدامة.

Tunisian coastal towns between the reality of urban concentration and the challenge of environmental quality: Example: the towns of Bizerte Lake

Besma RIAHI CHEMLI, University of Tunis

Abstract: Since independence and especially with the opening to globalization, coastal towns represented the "territory" of development in Tunisia thanks to the positive externalities they accumulated. The result: an urban and industrial concentration that has caused excessive pollution. The present investigation aims to evaluate the ability of Tunisia to reconcile its economic challenges and its environmental responsibility, by

identifying the strategy and solutions taken by the country to face environmental impacts of the high concentration of population and activities in coastal townsand thereafter gain the challenge of sustainable development (at least as regards the environmental pillar) which it has committed since the early 1990s.Through this work, we have tried to answer the following question: how does the state reconcile the requirements of openness that leads to the concentration of activities in coastal cities (with multiple environmental repercussions), and its commitment to setting up sustainable development?

Keywords: towns of Bizerte Lake -urban concentration - environmental risks - globalization - sustainable development

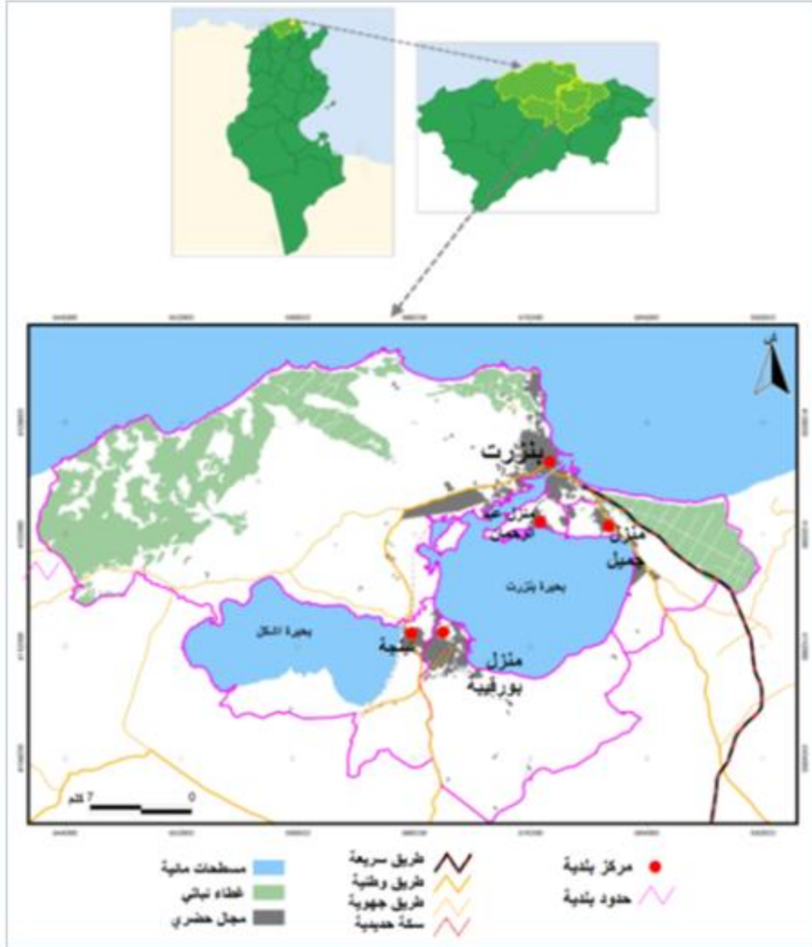
المقدمة:

لقد برز مفهوم الجودة البيئية في إطار سياق التنمية المستدامة الذي يعتبر المنظومة الطبيعية الكلّية- ذات العناصر الجزئية المتآثرة فيما بينها- "ملكا" للمجموعة الدولية وهو ما يحتم حوكمة فعلية تشاركيةبين مختلف الفاعلين. تنتمي بنزرت المتموقعة بأقصى الشمال الشرقي للبلاد التونسية إلىالمنظومة المتوسطية، وهي منفتحة جغرافيا ولوجيستيا سواء على المستوى الوطني أو الإقليمي الدولي-المتوسطي.لقد أكدت عدة دراسات أكاديمية ورسمية دولية ومحلية سببية العلاقة بين تآكل المنظومة البيئية بحوض المتوسط والأنشطة البشرية-الحضرية أساسا الصناعية منها. يمثل التلوث بمختلف تجلياته (اليابسي والمائي والهوائي والسمعي) أبرز مظاهر "إعتداء" الإنسان على بيئته خاصة منذ الثورات الصناعية.في الواقع، خلافا لعدة إشكاليات إنسانية كالفقر وبعض التوترات السياسية التي يمكن التعامل معها صلب كل تراب فإن مشكل التلوث وتآكل العناصر البيئية يختصّ بسرعة إنتشاره وبتأثيراته الكونية تبعا لذلك شأنه شأن الأوبئة.بالتالي، فإن معالجة الإشكاليات البيئية يستوجب الإنطلاق من المستوياتالمحلية الجزئية من أجل إرساء تنمية مستدامة كلية.في هذا السياق،شهد موقف البلاد التونسية من إشكاليةالتّداعيات البيئية لنسيجها الحضري-الإقتصادي تطورا إيجابيا على الأقل نظريا أساسا منذ بداية التسعينات، لِعاملين: الإشكاليات البيئية الحادة التي تسجلها مدنهامن ناحية وديناميةالسياسات الدولية باتجاه الدعوة إلى تنمية مستدامة عبر جملة من القمم الدولية التي شاركت بها البلاد التونسية منذ بداية التسعينات(قمة الأرض سنة 1992) من ناحية ثانية.بالتّزامن، مثلتعشرية التسعينات البداية الفعلية لانتشار الإستثمارات الصناعية الأجنبية وتركزها بالمدن الساحلية الشرقية، وهو ما من شأنه أن يخلق تناقضا عميقا بين الأولويات الإقتصادية للدولة وبين إلتزاماتها البيئية "المكلّفة" المتولدة عن مشاركتها بمختلف قمم التنمية المستدامة.

المبحث الأول:الإطار العام للدراسة

أولا: تقديم مجال الدراسة

يقع مجال دراستنا شمال شرق ولاية بنزرت التي تتموضع 60 كلم شمال العاصمة، والتي يحدها شمالا وشرقا البحر الأبيض المتوسط، لتمتد سواحلها على طول 250 كلم من سجنان شمالا إلى غار الملح شرقا. تحوي ضفاف بحيرة بنزرت خمس مدن تمثلها: بنزرت شمالا وتينجة ومنزل بورقيبة بالجنوب الغربي ومنزل جميل ومنزل عبد الرحمان على الضفاف الشرقية للبحيرة.



خريطة رقم 1: موقع منطقة البحيرة

المصدر: الرياحي بسمة، 2018

تمثل منطقة بحيرة بنزرت أبرز المناطق المعنية بإشكالية علاقة التركز الحضري بالمخاطر البيئية إذيتركز صلبها 69 % من السكان الحضر و53 % من المؤسسات الصناعية لولاية بنزرت. وهو ما يشكل "ضغطا" على المنظومة البيئية المحلية والجهوية والإقليمية. تتميز

المنطقة بمنظومة بيئية متنوعة العناصر فهي تحوي بحيرتين: بحيرة بنزرت وبحيرة إشكل ومحاطة بعديد المرتفعات أبرزها جبل إشكل وبجملة من الغابات والتكوينات النباتية المتنوعة لكنها تشكو من الهشاشة لترابطها المنظومي ولتميزها بمستويات إرتفاع دنيا نسبة لمحيطها، وهو ما يجعل من إمكانيات تآكلها وتدهورها سريعة.

ثانيا: مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

لقد مثلت الواجهة الحضرية الشرقية الساحلية-المتوسطية "تراب" التنمية والمركز الديمغرافي والإقتصادي للبلاد التونسية منذ القدم. منذ الإستقلال، سعى الفاعلون المتعاقبون على تدعيم المدن الساحلية الشرقية لوجيستيا للنهوض بالإقتصاد الوطني. خلقت هذه السياسة الإنتقائية تركزا حادا للسكان والأنشطة الحضرية ومواطن الشغل صلب الشريط الساحلي الشرقي. وبقطع النظر عن الإختلال الترابي-الاجتماعي بين سواحل البلاد ودواخلها والذي حظي بتناول رسمي وأكاديمي كبير فإنّ هذا التركز قد مسّ من الجودة البيئية للمدن الساحلية التي تسجل معدلات تلوث عالية قد وصفت ببنزرت حسب تقرير أوروبي "بالخطيرة". من هنا خلق التناقض المنهجي بين سياسة الدولة السّاعية لمزيد تدعيم سواحلها وخلق حواضر وطنية وحتى عالمية مؤثرة وما يستدعيه ذلك من مزيد دعمها ديمغرافيا واقتصاديا ولوجيستيا، وبين بروز وتدعم النزعة الدولية الملزمة باحترام البيئة والتي تبنتها البلاد التونسية منذ التسعينات.فكيف تطورت السياسة البيئية الوطنية في إطار السياسة الكلية الدولية؟ وماهي مظاهر وعوامل الوضعية البيئية للمدن الساحلية التونسية من خلال نموذج مدن بحيرة بنزرت؟وهل استطاعت الدولة التوفيق بين سياستها الإقتصادية المنفتحة التي تدفع باتجاه تركيز الأنشطة فالسكان بالمدن الساحلية وما لذلك من تداعيات بيئية، وبين إلتزامها منذ قمة الأرض (1992) بإرساء تنمية مستدامة على الأقل بالمحور البيئي؟

ثالثا:أهداف البحث

سنهدف من خلال هذا العمل إلى تبين علاقة التركز الحضري بالإشكاليات البيئية وعلى تقصّي مظاهر التلوث بالمستوى الكلي للواجهة الساحلية التونسية وأساسا حول بحيرة بنزرت وعلى مدى نجاعة سياسة الدولة البيئية لمجابهة هذه الوضعية.

رابعا: منهجية البحث

من أجل الإجابة عن إشكاليتنا، إنطلقنا من دراسة نظرية تجمع بين الدراسات الرّسمية والأكاديمية لتقييم تدخل الدولة لحماية المناطق الحضرية والوضعية البيئية لمدن بحيرة بنزرت. في مرحلة ثانية، قمنا بزيارات ميدانية للإطلاع على ما خلّفه تركز السكان والأنشطة الحضرية أساسا الصناعة من مظاهر تلوث ومن مشاهد متآكلة حول بحيرة بنزرت واتصلنا بمختلف الفاعليين المحليين الذين مكنونا من تقارير رسمية توثق الوضعية البيئية للمنطقة.

خامسا:دراسة في المفاهيم الرئيسية

التركز: يقاس التركز الجغرافي للسكان والأنشطة الإقتصادية بالرجوع إلى سلم مجالي نعتمده لنقيس درجة التركز بالنسبة إليه (يمكن أن يكون البلد أو الإقليم...), وهو نتيجة طبيعية لتكتل عوامل الإنتاج بالسلم المحلي الحضري (Houdebine Michel, 1999, p190). تمثّل "وضعية التركز" الجغرافي للسكان وأو لنشاط إقتصادي معين بمجال معين نتيجة مباشرة لتوزع غير متكافئ للتجهيزات المهيكلة والبنية التحتية. إن تركز مواطن الشغل بمجال معين لكفيل بخلق مقتصدات "إيجابية" ترفّع من جاذبيته للإستثمارات ولأدفاق اليد العاملة اليومية والدائمة وبالتالي في نموها الديمغرافي التفاضلي.

التخصص: نعني بمدى التخصص مدى تركز المؤسسات وأو الشغل بقطاع معين داخل مجال معين عبر قياس وزن القطاع عدديا وأو تشغيليا بالنسبة لبقية القطاعات داخل ذلك المجال (Kubrak Claire, 2013,p14)، وهو ما يمكننا من مقارنة البنية القطاعية لمختلف الجهات. لقياس التخصص القطاعي تُعتمد طريقة مبدأ النسبية وذلك بمقابلة المعطيات الإحصائية القطاعية لمدينة أو لإقليم مع مجال أكبر غالبا ما يكون المستوى الوطني.

العولمة: تعني حرية ومرونة وسلاسة تحرّكية الأفراد ورؤوس الأموال والسلع والتقنيات والمعلومات بين مناطق العالم في إطار "سوق عالمية مفتوحة"، وهي نتاج لتغير السياسات الدولية نحو فتح حدودها وتحرير المبادلات التجارية من القيود الجبائية التقليدية وتطور وسائل النقل والإتصال والتقسيم العالمي "الجديد" للعمل. بالنسبة للبلاد التونسية وبالنظر إلى إشكالياتها فإنه من الإطناب الحديث عن إندراجها بالعولمة بل هي ساعية إلى الإندراج بالسوق العالمية (Belhedi Amor, 2000, p11).

الجودة البيئية: يستدعي تعريف البيئة سُلّما معينا وعنصرا محددا نستدلّ به لحصر المفهوم جغرافيا، ذلك أن هذا المفهوم يخص منظومة واسعة متنوعة ومتعددة العناصر والأدفاق والعلاقات البينية. تتكون هذه المنظومة من منظومات جزئية تتمايز فيما بينها: سواء من خلال مكوّناتها الطبيعية "الحتمية" أو من خلال ما طرأ عليها من تحوير إثر تهيئتها من قبل الإنسان. وهو ما يمكن أن يخلق مخاطر "بشرية" بفعل تدخل لا يراعي طبيعة الإشتغال الطبيعي للمنظومة البيئية. يعرّف الخطر البيئي بتعرض عنصر طبيعي إلى جملة من التدخلات البشرية بما يتعارض مع النسق الطبيعي لاشتغال العنصر المعني، لتعني الجودة البيئية بذات الإطار محافظة عناصر المنظومة البيئية على سماتها الطبيعية بما لا يعطل سيرورة اشتغالها (Vincent Herbert, Muriel Maillefert, Olivier Petit et Bertrand Zuindeau, 2010,p9). وقد بعثت منظمة المعايير الدولية إيزو 14000 للجودة البيئية تمنح دوريا لمستحقيها من المحافظين على محيطهم: البيئي.**التنمية المستدامة**

تمثّل توجها كونيا تدعم وانتشر خاصة منذ أواسط الثمانينات غايته التخلي عن مبادئ وآليات التنمية التقليدية "البراغماتية" نحو ترسيخ تنمية ذات شروط يمكن تلخيصها في: تحقيق "الأمن" الإقتصادي والإجتماعي والبيئي. بمعنى أن تكتسي سياسة "الإنسان" حوكمة فعلية وتشاركية بين

مختلف دول العالم من أجل إقتصاد يوفر الأمن الغذائي والرخاء الإجتماعي دون "عرقلة" الإشتغال الطبيعي لعناصر المنظومة البيئية. فالتنمية المستدامة إلتزام بتفعيل جملة من "المصالحالمتباينة للبيئة من ناحية وللمجتمع والإقتصاد من ناحية ثانية" (Boutaud Aurélien, 2005, p41).

سادسا: خطة البحث

سنعتمد منهجية تنازلية من الكلي الوطني نحو الجزئي المحلي: بمرحلة أولى سندرج دراسة نظرية عامة تخص السلم الكلي للبلاد لتوضيح ظاهرة التركز الحضري الساحلي ومشكل التلوث، ثم سنقدم أبرز نقاط سياسة الدولة في مجابهة هذه الوضعية. بمرحلة ثانية، سنتناول نموذج مدن بحيرة بنزرت لتقصي مظاهر التركز والتلوث وتبين إستراتيجية تدخل الدولة محليا، لننتهي في مبحث أخير بتقديم أبرز نتائجنا ومختلف الإقتراحات والتوصيات.

المبحث الثاني:الإشكالية البيئية بالبلاد التونسية

أولا: المستوى الوطني

1.تطور السياسة البيئية الوطنية في إطار السياسة البيئية الدولية

لقد "بوغتت" البلاد زمنيا بسياق التنمية المستدامة وهي في "مرحلة السباق" مع نظيراتها نحو الإندراج بالعولمة واستقطاب الإستثمارات الأجنبية وتحقيق مؤشرات إقتصادية "براغماتية". فحين تشبعت الدول المتقدمة بنتائج ثوراتها الصناعية والمجتمعية وآن لها التفكير في حماية البيئة، لا تزال البلاد التونسية تدعم – تحت إرغام إشكالياتها الإقتصادية والإجتماعية- إختلال منظومتها البيئية من خلال توجيه السكان والإستثمارات نحو مدنها الساحلية ذات البنية التحتية الضعيفة غير القادرة على استيعاب ملقيات سكانهاومستثمريها (النفايات بمختلف أشكالها).في الواقع، لقد بدأت المراهنة النظرية للدولة على حماية العناصر البيئية بتاريخ متأخر نسبيا إذ سجلت هذه المسألة حضورا رسميا منذ بداية التسعينات مع المخطط الثامن للتنمية 1992–1996 بالتزامن مع المشاركة في قمة الأرض (1992). حتّى هذه الفترة، كانت البلاد قد مرّت بثلاث عشريات (1960-1990) راهنت خلالها على الإستثمار (الصناعي أساسي) وتوفير مواطن الشغل والإندراج بالسوق العالمية من خلال واجهتها الساحلية الشرقية الأقدر على القيام بهذه "المهمة".لم تبرز مسألة المحافظة على البيئة إلا بداية التسعينات لعاملين: حين بدأت تلوح تأثيرات الصناعة والسياحة والتركز الحضري (إكتظاظ، تلوث مائي وهوائي ومشهدي...)، وحين احتد التّناول الدولي لهذه المسألة منذ أواخر الثمانينات. سنة 1987، إنبثق عن اللجنة العالمية المجتمعة حول المحيط والتنمية تحت رعاية الأمم المتحدة، شعار"المستقبل لنا جميعا"، ثم مؤتمر ريو دا جينيرو حول الأرض والمحيط والتنمية 1992، فالقمة العالمية حول التنمية المستدامة بجوهنزبورغ سنة 2002، لتمثل قمة نيويورك لسبتمبر 2015 آخر هذه القمم والتي تمحورت حول رهان "تغيير العالم" عبر سبعة عشر بندا قد تبنتها البلدان المشاركة، ومنها البلاد التونسية.منذ بداية التسعينات، مثلت رهانات الدولة "ردّا" مباشرا على ما أفرزته سياستها

الإقتصادية من تبعات على محيطها فقد تمحورت رهانات "المخطط الوطني من أجل المحيط" حول الطاقة والصناعة والتصرف في النفايات، لتؤكد هذه الرهانات عبر المخطط الثامن للتنمية 1992-1996 متى برز رسميا مصطلح حماية البيئة وخاصة حماية المناطق الساحلية لذلك بعثت وكالة حماية وتهيئة الشريط الساحلي (حسب قانون عدد 95-72 في 24 جويلية 1995). ليبرز لاحقا بالمخطط التنموي 2002-2006 مصطلح التنمية المستدامة الأشمل الذي يراهن على جملة من المحاور تتجاوز البعد البيئي نحو الإقتصادي والإجتماعي. لاحقا، مع المخطط الحادي عشرة للتنمية الإقتصادية والإجتماعية 2007-2011 والمخطط الثاني عشرة للتنمية 2010-2014 وخاصة آخر مخطط تنموي 2016–2020، تفرعت الرهانات وتعددت نحو الطاقات البديلة ورسكلة النفايات وتأمين محيط معاش صحي في علاقة بتعميم الصرف الصحي والمياه الصالحة للشرب والمراهنة على إقتصاد أخضر. كما بعثت وزارة التنمية المحلية والبيئة جهاز الشرطة البيئية منذ 2017 والذي يعمل وفق قانون عدد 6 المؤرخ في 30 أفريل من سنة 2016 الذي يخول له مخالفة "الملوثين" للبيئة من سكان ومستثمرين بكل القطاعات. في الواقع، تشكو مختلف التدابير التي إتخذتها الدولة والرهانات التي رصدتها عبر مخططاتها التنموية وبرامجها البيئية الموجهة من "ضعف الإندماج ومن التفكك" (Développement Durable, 2015, p21Ministère de l'Environnement et du) وهو ما جعل منها تشخيصيّة نظريّة لا تطبق فعليا. ولعل الوضعية البيئية بالمدن الساحلية بالبلاد التي تسجل تركزا حضريا حادّا لتمثل أبرز مظاهر عدم نجاح الدولة في تحقيق غاياتها. تمثل مظاهر التركز الحضري بمختلف المستويات الترابية من الوطنية منها وصولا إلى المحلية تجسيدا للفعل السياسي، فقد تبنت الدولة سياسة مجالية-إقتصادية إنتقائية لصالح المناطق التي "تتجمع فيها متطلبات النمو والإستقطاب والحث والجاذبية" (بالهادي عمر، 2012، ص5) وذلك على شكل إستثمارات في القطاعات المنتجة أبرزها النشاط الصناعي. النتيجة: تركز للسكان والأنشطة بالمدن الساحلية التي لم تقدر بالنّظر لهشاشة بنيتها التحتية وإمكانياتها اللّوجيستية على الإشتغال دون المس من التوازنات البيئية.

2. تركز السكان والأنشطة بمجال ساحلي ضيق: أبرز مهدد للجودة البيئية بالبلاد التونسية

لقد شهد التراب التونسي أولى بوادر التركز الساحلي منذ الفترة الإستعمارية التي عولت على المدن الساحلية ذات النفاذية الإقليمية فدعمت بنيتها التحتية وتجهيزاتها اللوجيستية لتسهيل ممارسة مهامها. أما دور الدولة التونسية المستقلة، فرغم مراهنتها على تحقيق الإندماج الوطني من خلال أقطاب النمو التي بعثتها بمختلف جهات البلاد بعشرية الستينات، فإن الديناميكية الإقتصادية العالمية قد وجّهت إستراتيجيتها منذ السبعينات نحو مسايرة نزعة إنفتاح دول العالم باتجاه التقليص من السياسات الحمائية و"الحدود" التقليدية بين الدول وتكثيف أدفاقها البينيّة.في هذا الإطار، عولت الدولة على المواقع ذات المقتصدات الإيجابية المتراكمة والمؤهلة تبعا لذلك"أكثر من غيرها" للنّهوض بأعباء التنمية، والتي يمثلها الشريط الساحلي الذي صار مركز الفعل الإقتصادي حسب المثال المديري لتهية التراب التونسي (2007-1995)وذلك رغم مختلف

الإنتقادات التي عارضت هذا التوجه (Ben Jalloul M, 2017, p16).لقد حظي الشريط الساحلي بجملة من الإستثمارات: مناطق حرة ببنزرت وجرجيس وسبع موانئتجارية وثلاثون ميناء صيد وأربع موانئ ترفيهية وخمس مطارات وأهم المناطق السياحية (جربة وسوسة والحمامات والمهدية) وأبرز الطرقات السيارة والطرقات الوطنية والطرقات المصنفة، وهو ما حثه ديمغرافيا(بما يقارب ثلثي سكان البلاد)واقتصاديا (صناعيا وسياحيا) نسبة للمجال الوطني. في المقابل، لا تتجاوز المجالات الخضراء 1,63 % من مساحة الشريط الساحلي الجملية (57315 هك)وهو ما يمثل ترجمة فعلية لسياسة البلاد الإقتصادية الصرفة.أفرز هذا التركز وضعية بيئية متدهورة لعجز الدولة عن التحكم في الحجم الكبير للنفايات بمختلف أشكالها وعدم ربط عديد التجمعات السكنية والمنشآت الإقتصادية بشبكة الصرف الصحي وغياب التحكم في ظاهرة التوسع على حساب الأراضي الفلاحية والمحمية والممنوعة من البناء. لقد اتفقت عديد البحوث الأكاديمية والرسمية على الوضعية البيئية المتدهورة للمدن الساحلية أبرزها تونس وبنزرت وصفاقس وقابس، حتى أن تكلفة هذا التدهور البيئي قد بلغت سنة 1999 ما يعادل 2,1 % من الناتج الداخلي الخام (Ministère de l’environnement, 2012, p32).لقد تمظهر التدهور البيئي أساسا على شكل تلوث مشهدي ومائي ويابسي وهوائي وحتى سمعيمن جراء سوء التصرّف في النفايات بمختلف أشكالها وهو ما سندرسه إنطلاقا من الدراسة الرسمية التالية:(Ministère de l’environnement et de l’aménagement du territoire, 2001, p100):

النفايات السائلة: تمثلها المياه المستعملة المنزلية والمياه المستعملة الصناعية ومياه السيلان. سنة 2001، بلغ حجم المياه الحضرية المستعملة 285 مليون متر3 ويشكل التحكم في هذا الحجم الكبير إشكالية عميقة أمام نقص محطات التطهير إذ ألقيت 16 % من هذه المياه المستعملة بالبحر والبحيرات دون معالجتها.

النفايات الصلبة: وهي الفضلات المنزلية (معدل الإنتاج 0,5 كلغ للساكن الواحد يوميا) والفضلات الصناعية (320000 طن سنويا) والفضلات الاستشفائية (15000 طن سنويا) وفضلات اللف والتعليب (55000 طن سنويا). ورغم ما يمكن أن تحويه النفايات الصلبة من مخاطر فإن الدولة لا تزال غير قادرة على التصرف فيها بطرق سليمة لنقص الإمكانيات اللوجيستية والتقنية، إذ تعالج 40 %فقط من النفايات المنزلية فيما تتعدد المصبات العشوائية.

الإنبعاثات الغازية: يعتبر ثاني أوكسيد الكربون أبرز عنصر ملوث وهو يتركز بالمناطق الحضرية ذات الكثافة السكانية (تحركية مُمكننة) والصناعية العالية. سنة 2001، يمثل نصيب الصناعة من الغازات المنبعثة 31 %.

التلوث السمعي: وهو عنصر إتّخذت نحوه عدة تدابير بالبلدان المتقدمة عبر تقنيات عازلة للإنبعاثات الصوتية (وحدة قيسها الديسيبال) بالمؤسسات الصناعية وبوسائل النقل. بالبلاد التونسية، "أصبحت الأضرار الناجمة عن التلوث السمعي إحدى الأمور الرئيسية التي تؤثر في إطار عيش متساكني المدن الكبرى".

رغم هذه الوضعية الحرجة فإن البلاد التونسيةلم تنجح في معالجة الإشكاليات البيئية وذلك رغم ما تبنته من رهانات بيئية وما بعثته من هياكل رسمية مهمتها مزيد إدراج المسألة البيئية صلب الإستراتيجية الحضرية والإقتصادية للبلاد.فالدولة "متسامحة" نسبيا فيما يخص تطبيق القوانين البيئيةعكس الدول المتقدمة،مثل السياسة المعتمدة بالإتحاد الأوروبي. كما أنها لاتزال ساعيةللإندراج بالسوق العالمية واستقطاب الإستثمارات الأجنبية المباشرة التي ورغم التشجيعات الجبائية للتوطن في إطار التمييز الإيجابي خارج الشريط الساحلي فإنها لا تزال مُخيّرة للمناطق الحضرية الساحلية،مثل مدن بحيرة بنزرت.

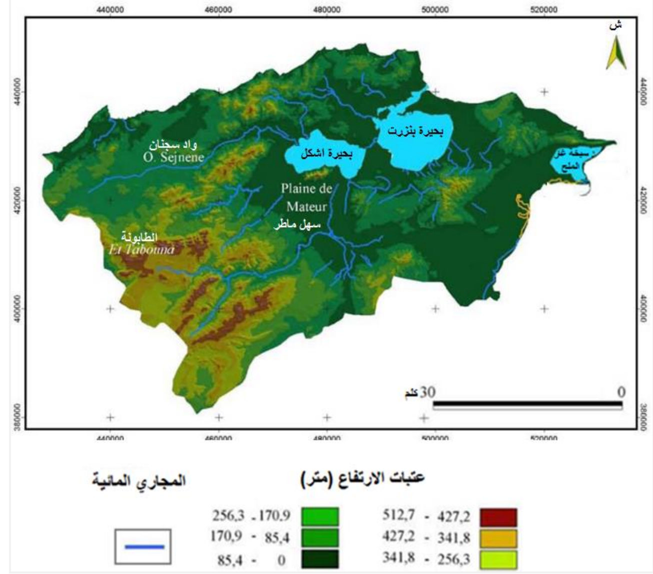
ثانيا: مظاهر التلوث وآليات مجابهته: مدن بحيرة بنزرتنموذجا

تمثل مدن بحيرة بنزرت أحد المواقع التي عوّلت عليها الدولة لتجسيد الإنفتاح الوطني وذلك لما تتمتع به من نفاذية جغرافية وحضور "عريق" للفعل الحضري والنشاط الصناعي. وهي عناصر قد خلقت مقتصدات إيجابية ساهمت في خلق تركز ديمغرافي واقتصادي بهذه المنطقة لم يخل من تبعات بيئية حادة تجاوزت السلم المحلي والجهوي لتهدد المستوى الإقليمي للمتوسط عبر إمكانيات الإنتشار والتوسع الطبيعيين. تختص منطقة بحيرة بنزرت بهشاشة طبيعية بفعل موضعها الجغرافي الأقل إرتفاعا داخل منظومتها الجهوية مما يدعم إمكانيات تنقل الملوثات نحوها من المواقع الأكثر إرتفاعا عبر الترسّب وعبر المجاري المائية كما تسجل تركزا للسكان والأنشطة صلبها أساسا الصناعة، وهو ما أفرز وضعية بيئية "خطيرة".

1. عوامل ومظاهر التلوث حول بحيرة بنزرت

1.1. موضع البحيرة: "مصبّ" طبيعي للملوثات

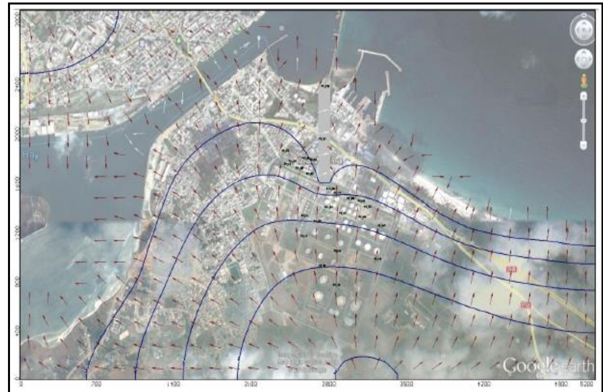
يتميز مجال دراستنا بمنظومة بيئية ثرية إعتبارا لعناصره المتنوعة فهو يحوي بحيرتين تمثلهما بحيرة بنزرت وبحيرة إشكل ومحاط بعديد المرتفعات أبرزها جبل إشكل وبجملة من الغابات والتكوينات النباتية المتنوعة. لكنه يشكو من الهشاشة للترابط المنظومي لعناصره ولتميزه بمستويات إرتفاع دنيا نسبة لمحيطه، وهو ما يجعل من إمكانيات تآكله وتدهوره سريعة.لا يتجاوز معدل ارتفاع منطقة بحيرة بنزرت عن سطح البحر 86 مترا. في المقابل، تحيط بها مناطق يتراوح إرتفاعها بين 342 و769 مترا، تخترقها عديد الأودية التي تصب ببحيرة بنزرت.فمنطقة البحيرة "تضاريسيا"أرضية ملائمة لانتشار التلوث سواء عموديا أو أفقيا (Bejaoui, 2013, p3etBrahim, Atoui).



خريطة رقم 2: خريطة الإرتفاع لولاية بنزرت

المصدر: المندوبية الجهوية للفلاحة بتصرف شخصي، 2020

تصب الأودية من الجهات الغربية الأكثر إرتفاعا ببحيرة إشكل المرتبطة ببحيرة بنزرت عبر وادي تينجة، ويمثل البحر الأبيض المتوسط آخر عناصر هذه المنظومة المائية، إذ يرتبط بدوره ببحيرة بنزرت عبر قنال بنزرت. كما أن إتجاه تدفق المياه الجوفية شأنه شأن السطحية منها يتم نحو البحيرة ونحو البحر حسب دراسة انجزت حول مشروع تطهير البحيرة تبحث في إمكانيات تحقيقه القانونية والمادية والمجالية.



رسم رقم 1: مستويات المياه الجوفية واتجاه ادفاقها بموقع الضاحية الجنوبية لبنزرت

المصدر: Mediterranean Hot Spot Investment, 2013, p45

لقد جعل هذا الواقع الطبيعي من منطقة البحيرة "مصبا" طبيعيا لكل أشكال الملوثات سواء بالسلم المحلي أو الجهوي، وهو ما يؤدي منظوميا وبنفس المبدأالتناقلي من الأعلى إلى الأسفل، إلى جعل ما تسجله البحيرة من تلوث خطرا مباشرا يهدد البحر الأبيض المتوسط المرتبطة به عبر قنالها. يسمح الموقع الأقل إرتفاعا لمنطقة البحيرة أن تكون عرضة للملوثات السطحية الصلبة والكيميائية المترسبة التي تحملها الأودية والمجاري المائية من ناحية، وللترسبات التي تطال المائدة المائية العميقة وتصل إما للبحيرة أو تهدد خاصيات المياه المستعملة لري الزراعات أو المستغلة لتزويد السكان بالماء الصالح للشراب من ناحية ثانية. وتتعمق الإشكالية بتنوع الأنشطة الفلاحية بكامل الجهة مع استعمال مفرط للمكملات الزراعية من قبل الفلاحين يتجاوز المعايير المسموح بها.



خريطة رقم 3: تنوع النشاط الفلاحي لولاية بنزرت

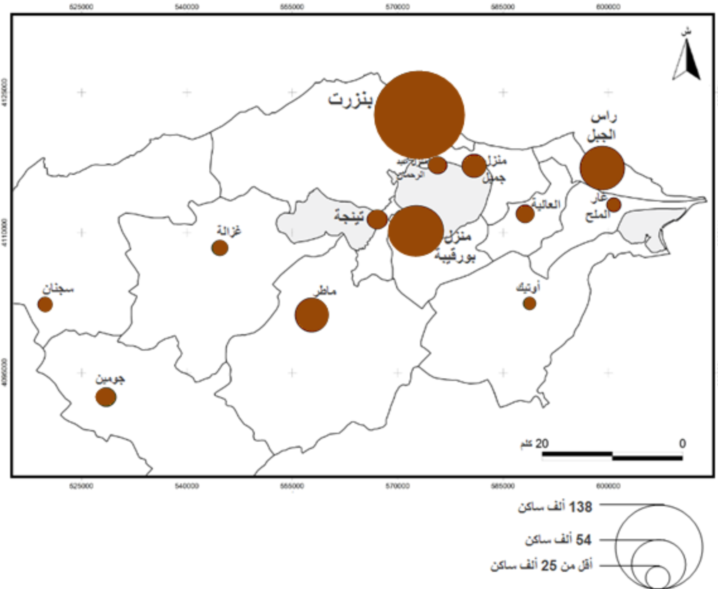
المصدر: المندوبية الجهوية للفلاحة، 2020(بتصرف شخصي)

تمتدّ الزراعات على الضفاف الشرقية والجنوبية لبحيرة بنزرت، تتمثل في الزراعات السقوية بسهول العزيب والخيتمين وأم هاني والجواودة ومغراوة، أما بالمنطقة الغربية لبنزرت فتسجل إنتشار الزراعات البيولوجية والزراعات الكبرى.حسب دراسة قامت بها المندوبية الجهوية للتنمية الزراعية والمدرسة الوطنية للطب البيطري بسيدي ثابت بتونس والمركز الجهوي للصحة الأساسية وديوان الأراضي الدولية فإن الزراعات بحوض بحيرة إشكل وبنزرت تستعمل كميات مفرطة من المبيدات بمختلف أنواعها (Essid Naceur, 2008, p32).بالفصل الرطب،تشق وديان جومين وسجنان والمالح وغزالة سهول الزراعات البعلية والسقوية بالغرب باتجاه الشرق محمّلة بمختلف أشكال الترسبات الفلاحية لتصب ببحيرة إشكل التي تصب بدورها عبر قنال تينجةببحيرة بنزرت. أما بالفصل الجاف، فينعكس إتجاه الدفق لتصب بحيرة بنزرت في بحيرة إشكل مسببة بملوثاتها التي تلقت قسما هاما منها من بحيرة إشكل بالفصل الرطب أو التي تصلها من ساحل بنزرت أساسا عبر وادي "قنيش" أو مما يمارس صلبها وعلى ضفافها. وهو ما

يمثلخطرا حقيقيا على ديمومة الكائنات المائية والطيور النادرة بمنظومة إشكل وعلى توازن درجة ملوحة مياه بحيرتها وهو ما جعل منها تصنف كتراث عالمي مهدد بالخطر.يمثل هذا الترابط البيني لعناصر المنظومة الطبيعية لبنزرت أرضية ملائمة لانتشار الملوثات أما الأنشطة البشرية فهي منتجة لها.

2.1. التركز السكاني والتخصص الصناعي بمدن بحيرة بنزرت: عوامل رئيسية في تدهور الوضع البيئي للمنطقة

تمثل منطقة بحيرة بنزرت مركز الثقل السكاني والإقتصادي صلب محيطها وهو ماخلق وضعية بيئية"خطيرة" لعلّ التلوث أبرز مظاهرها. لقد اطلعنا على جملة من البحوث والدراسات الرسمية التشخيصية لأوضاع المنطقة من بينها دراسات تقنية مختصة تبحث في مظاهر التلوث لدى الكائنات الحية وبالتربة وبالمائدة الجوفية والمياهإلاأننا سنحاول أن نتناول المسألة من صلب إختصاصنا الجغرافي بإعطاء الأولوية للتناول السببي للتلوث عبر رصد دور السكان والأنشطة أساسا الصناعة في تلويث المنطقة.



خريطة رقم 4: التوزع السكاني بين معتمديات ولاية بنزرت سنة 2014

المصدر: المعهد الوطني للإحصاء، 2014

تنفرد البحيرة نسبة لبقية مناطق ولاية بنزرت بتركز ثنائي للسكان ولمواطن الشغل. إذ تتركز 71 % من الأراضي الزراعية السقوية و51 % من الإنتاج الجملي لموانئ الصيد و86 % من المزارع المائية لتربية الرخويات حول البحيرة وداخلها (المندوبية العامة للتنمية الجهوية، 2016، ص90). كما يتركز على ضفافها69 % من السكان الحضر لبنزرت (370757 ساكن (

)المعهد الوطني للإحصاء، 2014) و53 % من المؤسسات الصناعية الجملية لولاية بنزرت. تسجل المنطقة تخصصا بأكثر القطاعات تلويثا وهي الصناعات الثقيلة التي تمثلها بالمنطقة الصناعات الميكانيكية والنفطية والكيميائية.ولقياس التخصص القطاعي تُعتمد طريقة مبدأ النسبيّة، وقد إعتمدنا المعادلة الموالية لاحتسابه:

$$م\,ت = \frac{ش_{ف}}{ش_{ك}} / \frac{ي_{ف}}{ي_{ك}}$$ حيث:

- م ت تمثل النصيب النسبي للمجال المعني من إجمالي الصناعة
- ش ف: الشغل وأو المؤسسات بفرع صناعي داخل المجال الجزئي(المدينة أو الإقليم المدروس)
- ي ف: الشغل وأو المؤسسات بكل الفروع الصناعية داخل المجال الجزئي(المدينة أو الإقليم المدروس)
- ش ك: الشغل وأو المؤسسات بالفرع الصناعي المدروس بالمجال الكلي (المجال المعني بالمقارنة)
- س ك:الشغل وأو المؤسسات بكل الفروع الصناعية داخل المجال الكلي (المجال المعني بالمقارنة)

إذا كان المؤشر أكبر من "1" فإن المدينة أو الإقليم المدروس تتركز به مواطن الشغل و/أو المؤسسات بالقطاع المدروس أي انه يحوي أكبر من حصته من الشغل بالقطاع المدروس وبالتالي فهو منطقة جاذبة أكثر من غيرها لهذا القطاع. إذا كان المؤشر أقل من "1": المجال المدروس تتوفر به نسبة أقل من حصته من الشغل و/أو المؤسسات بالقطاع المدروس.

جدول رقم 1: مؤشر التخصص لمدن بحيرة بنزرت بالنسبة للشغل الصناعي الجملي للولاية

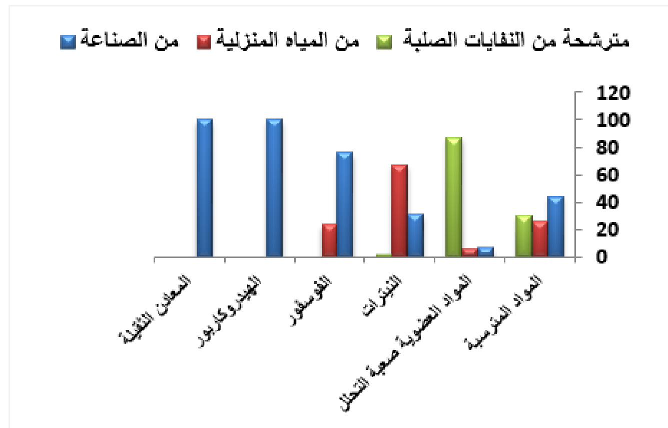
القطاعات الصناعية	مدن بحيرة بنزرت
صناعات غذائية	0,50
صناعات مواد البناء والفخار والبلور	**1,54**
صناعات ميكانيكية ومعدنية	**1,57**
صناعات كهربائية و إلكترونية و أجهزة كهربائية منزلية	0,85
صناعات كيميائية	**1,47**
صناعات النسيج والملابس	0,78
صناعات الجلد والأحذية	**1,35**

المصدر: وكالة النهوض بالصناعة والتجديد، 2015، إنجاز شخصي

يسجل مؤشر التخصص بمنطقة البحيرة نسبا عالية تتجاوز "1" بكل من الصناعات الميكانيكية والمعدنية وصناعات مواد البناء والفخار والبلور وصناعة الجلد والأحذية والصناعات الكيميائية.بالبلاد التونسية، يتركز التلوث وتحتدً الإشكاليات البيئية بالمراكز الصناعية الكبرى والأوَلية للستينات: تلوث كيميائي وهوائي ومائي ومشهدي بقفصة وقابس وصفاقس وتونس وبنزرت. يتركز التلوث أينما تتركز المؤسسات الصناعية خاصة بالقطاعات التي عُرف عنها "إفراطها" في التلويث وهي الصناعات الثقيلة.تتعرض البحيرة يوميا إلى كم كبير من النفايات السائلة والصلبة التي يقع التخلص منها من قبل السكان والمؤسسات. بالإضافة إلى ما يتم إلقائه بالمصبات المرخصة والعشوائية وكذلك الإنبعاثات الغازية، مما يخلق تلوثا للماء واليابسة والهواء ويؤثر مباشرة على الجانب "الجمالي" للمنطقة.

النفايات السائلة

يبلغ الدفق اليومي للنفايات السائلة التي تصرف بالبحيرة 52087 م3 / اليوم، 38,5 %منها مياه مستعملة منزلية و61 %منها صناعية (بما فيها نفايات الموانئ عددها ثلاث، ميناء بنزرت التجاري وميناء منزل بورقيبة وميناء الصيد بمنزل عبد الرحمان) و0.5 %منها مواد مترسّبة Ministère de l'Agriculture de l'Environnement et des)(Ressources hydrauliques, 2003, p55وتخلق هذه السوائل تلوثا عضويا وبكتيريا بالبحيرة.



رسم رقم2: مصادر الملوثات السائلة بالبحيرة

المصدر: Ministère de l’Agriculture de l’Environnement et des Ressources hydrauliques, 2003

يعتبر دور الصناعة رئيسيا في "إنتاج" مظاهر التلوث إذ تلقي 22 % من المصانع نفاياتها السائلة مباشرة بالبحيرة وتلقي 5 % منها نفاياتها بالبحر وتحتل مصانع الصناعات الثقيلة الصدارة في إفراز المياه المستعملة الملوثة:مؤسسة إسمنت بنزرت والشركة الوطنية لصناعات التكرير والشركة التونسية لمواد التزييتوالشركة التونسية لصناعة الفولاذ بمنزل بورقيبة. تتكفل محطات التطهير ببنزرت ومنزل بورقيبة بالمنطقة بمعالجة نسبة ضعيفة من هذه النفاياتفلا تتجاوزعلى التوالي بالنسبة لنفايات الصناعة:6.7%و16.4 %.

النفايات الصلبة

تحوي بنزرت مصبا مراقبا وحيدا بخليج صبرة 10 كلم غرب مدينة بنزرت، وهو يستقبل نفايات ست مراكز تحويل ثلاث منها بضفاف البحيرة بالإضافة إلى نفايات خاصة بالثكنات العسكرية ونفايات مباشرة من بلدية بنزرت. كما نجد مؤسسة خدمية "العرعار" وهي مرخص لها من الدولة مهمتها التكفل بقسم من النفايات الصلبة الصناعية لمدينتي تينجة ومنزل بورقيبة. تنتج المنطقة سنويا 245787طن من النفايات الصلبة، 50% منها من الصناعة،51 % منها تصنف "خطيرة" (Ministère de l’Agriculture de l’Environnement et des Ressources hydrauliques,2003, p46). علاوة على الروائح الكريهة والمشاهد "المؤذية" لهذه النفايات التي تتجاوز طاقة إستيعاب المصبات المرخصة وتتوزع بين عدد كبير من المصبات العشوائية (حول بعض المؤسسات الصناعية وحتى داخل الأحياء السكنية)فإنها تمثل تهديدا لصحة السكان لما يرشح منها من مواد عضوية خطرة تتجه نحو البحيرة وأو تترسب ويمكن أن تصل إلى المائدة المائية. كما أن التكوينات الكيميائية للملقيات الصناعية (Toluène Benzène, BTEXLes (Éthylbenzène, Xylènes)لا تزال عالقة بمحيط البحيرة.

الإنبعاثات الغازية

تشكو منطقة البحيرة من تلوث هوائي يتمظهر على شكل روائح ودخان وأغبرة وغازات تنفثها وسائل النقل وخاصة المصانع وأساسا الصناعات الثقيلة.يحمل بعضها لونا ورائحة وهي أوكسيد النيتروجين وأوكسيد الكبريت وثاني أوكسيد الكربون، مصدرها الأساسي مختلف المراجل والأفران بمصانع المنطقة. تترسب بالهواء كميات كبيرة من الجسيمات والغبار المتأتية أساسا من مصنع الفولاذ المسؤول عن 94 % من الجسيمات التي يلقيها قطاع الصناعات الميكانيكية بالبلاد التونسية (المندوبية العامة للتنمية الجهوية، 2016، ص138). كما تساهم تصفية الهيدروكاربور بالشركة الوطنية لصناعات التكرير والشركة التونسية لمواد التزييت بمدينة بنزرت في تعميق هذه الإشكالية.تبلغ كمية أوكسيد النيتروجين المنبعثة سنويا 448 طن و434 طن من الكبريت و6943 طن من الغبار بالإضافة إلى كميات كبيرة من أوكسيد الكاربون Ministère de l’Agriculture, de) l’Environnement et des Ressources hydrauliques, 2003, p55).ويمكن للمتنقل حول بحيرة بنزرت مشاهدة مظاهر التلوث خاصة حذو أهم المنشآت الصناعية، كما تبرزه الصور الموالية:



صورة رقم1 : انبعاث الدخان والغازات من مصنع الفولاذ بمنزل بورقيبة

المصدر: زيارة ميدانية، 2015



صورة رقم 2: مظهر تلوث قبالة المنطقة الصناعية منزل جميل

المصدر: زيارة ميدانية، 2015



صورة رقم 3 : مصب فضلات عشوائي حذو فضاء الانشطة الاقتصادية منزل بورقيبة 2

المصدر: زيارة ميدانية، 2015



صورة رقم 4 : تلوث مياه البحيرة بظهير مصنع الفولاذ بمنزل بورقيبة

المصدر: موقع الناشط البيئي بدر الدين جمعة، 2016

صورة رقم 1: مظاهر من التلوث بضفاف البحيرة

المصدر: الرياحي بسمة، 2018

في الواقع، إضافة لما يمارس بضفاف البحيرة، يمثل ما يتم داخلها مصدرا آخر للتلوث ممثّلا في تربية الأحياء المائية والتي تتركز بالقسم الشرقي لبحيرة بنزرت. تفرز مزارع الرخويات

والأسماك نفايات صلبة ومواد عضوية وترسبات للمضادات الحيوية التي سُجّل إفراط في استعمالها مما خلق مواقع تركز للملوثات.

3.1.الوضعية البيئية لبحيرة بنزرت: تسجيل مواقع تركز للملوثات

إستنادا إلى أشكال التلوث وحدة تمثيليته، يمكن تنطيق البحيرة إلى خمس مناطق حسب نوعية ودرجة تلوثها وحسب المتسبب الرّئيسي في هذا التلوث:

-منطقة خليج صبرة وهي من بين أكثر مناطق البحيرة تلوثا أساس "إصابتها" صناعي، بالإضافة إلى الترسبات التي تأتيها من المصب المراقب ببنزرت وتحديدا بمنطقة "بشاطر" شمال الخليج.

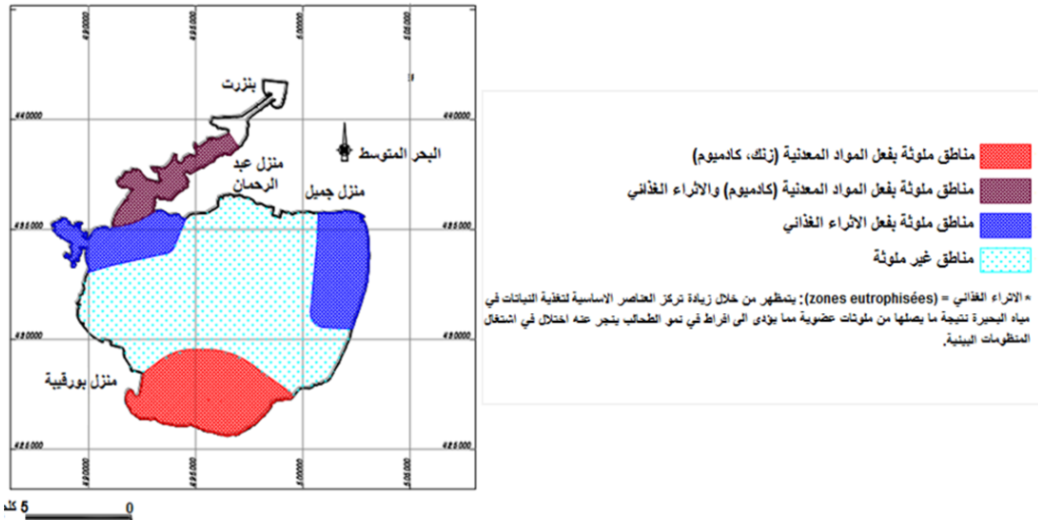
-منطقة المصيدة أساس تلوثها يمثله نفس المصب بالإضافة إلى محطة تطهير المياه وعديد المؤسسات المتوطنة على طول الطريق الوطنية رقم 11 باتجاه منزل بورقيبة.

-منطقة شرق البحيرة بين واد جدارة وواد قنيش: وهي منطقة ذات تلوث حضري وصناعي وزراعي.

-جنوب البحيرة بالمنطقة الصناعية منزل بورقيبة: تلوث بفعل صناعي وميناني ومركز تحويل النفايات.

-البحر المتوسط بشواطئ الرمال وحتى الكورنيش: تلوث صناعي يهددالشواطئ خاصة بفعل الهيدروكربونات.

نتج عن ذلك بروز مواقع "سوداء" للتلوثتختلف خصائصها حسب طبيعة الملوثات التي تصلها:



رسم رقم 3: مواقع التلوث وأشكاله ببحيرة بنزرت

المصدر: Mediterranean Hot Spot Investment Program, 2013, p26، بتصرف شخصي

تمثل المواد المعدنية بشكليها الزنك والكادميوم (تتقارب خصائصه الكيميائية مع الزنك) أبرز الملوثات للضفاف الجنوبية للبحيرة، إذ تتركز أكثر المصانع تلويثا ممثلة في الصناعات المعدنية والميكانيكية والكيميائية. كما تتواجد هذه النوعية من الملوثات المعدنية بأقصى شمال البحيرة على طول قنالها الذي يصب في البحر، مصحوبة بشكل آخر من التلوث وهو الإثراء الغذائي. وهوظاهرة طبيعية لكنها بطيئة التطور ولا يمثل نسقهاالطبيعي خطرا على التوازن البيئي. في المقابل، يصبح خطيرا حين يتخذ نسقا سريعا بفعل المواد العضوية والكيميائية أساسا الآزوط والفوسفور والنّيترات التي تترسب من ملقيات الصناعة (المسؤولة على التوالي عن 76 % و31 % من الفوسفور والنيترات)، كذلك من نشاط المزارع المائية بالبحيرة. تمثل هذه الأنشطة أحد أهم مصادر هذا الإثراء الغذائي فإنتاج 1 طن من الأسماك يفرز بالبحيرة 110 كلغ من الآزوط و12 كلغ من الفوسفور و450 كلغ من الكربون. بالإضافة إلى ما يصلها من مواد عضوية تتأتى من الإستعمالات الزراعية للمبيدات. وهو ما يمكن أن يخلق إشكاليات بما أن هذه المواد العضوية تمتصها الطحالب فتنمو تبعا لذلك بنسق أكبر من النسق الطبيعي، مما يتسبب في إشكاليات كبرى أبرزها نقص الأوكسيجان اللازم لتغذية الكائنات البحرية (Mdelgi, et al. 2007, p9)، وهو ما يمكن أن يفسر -إلى جانب عوامل أخرى- حوادث نفوق بعض الكائنات البحرية مثل الحبار والسوبيا والديدان البحرية التي حدثت مرارا بضفاف البحيرة. كما تمثل الوضعية المتردية للبحيرة خطرا مباشرا على المصطافين الذين "يصرّون" على السباحة بضفاف "روندو" و"برج والي" بمنزل بورقيبة ومغراوة والعزيب بمنزل جميلوعلى الصيادين الذين يحتكون بمياهها الملوثة. لكن رغم هذه الوضعية البيئية الحرجة فسياسة الدولة تشخيصية أساسا.

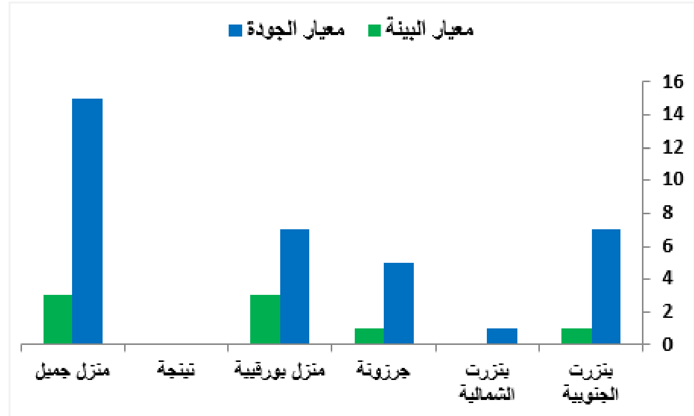
2.سياسة الدولة في مجابهة "خطر" التلوث

رغم تسجيل مؤشرات خطيرة للتلوث بالبحيرة فإن الدولة لم تستطع إيجاد حلول جذرية. تنتمي المنطقة لحوض المتوسطوهو ما أهّلها للإنتفاعبمشروع تطهير وتأهيل بيئي يمثل أحد تجليات مبادرة أفق 2020 المتوسطية التي من بين أهدافها "مساعدة" بلدان جنوب المتوسط في إصلاح منظوماتها البيئية ومنها منطقة البحيرة، وذلك عبر برنامج تطهير متكامل.

1.2. سياسة الدولة بالبحيرة قبل مشروع تطهير البحيرة

لقد أمضت البلاد التونسية عدة معاهدات دولية تمنع إستعمال المواد السامة والمصنفة بالخطيرة على مؤسساتها مثل "الملوثات العضوية الثابتة "PCB" (معاهدة 23 ماي 2001 بستوكهولم والتي صادقت عليها في 17 جوان 2004)، والتي سجّل وجودها بالبحيرة. كما قامت الدولة بجملة من الدراسات التشخيصية الدورية من أجل تحديد مواقع التلوث وعوامله بالبحيرة أبرزها دراسة صلب إدارة البيئة الصناعية في ديسمبر 2003، ثم دراسة من قبل وزارة البيئة حول مصادر التلوث ببنزرت وإمكانيات تقويض مسبباته بين 2004 و2006، ودراسة حول إمكانيات تحسين جودة "الهواء" ببنزرت خلال سنة 2006.بيد أن القوانين التي بعثت لتقنين التخلص من

الملوثات ومختلف الإتفاقيات التي أبرمت من أجل منع إستعمال بعض المواد الكيميائية الضارة للصناعيين والمزارعين على حد السواء لا تطبق غالبا. وهو ما يفسر ما تعانيه البحيرة"فلا تزال الملوثات المجهرية والمعدنية الحضرية والصناعية والفلاحية الخطيرة مترسبة بالبحيرة ومحيطها" (Barhoumi Badreddine, 2014, p6). يمثل عدم الإلتزام بالمعايير القانونية البيئية وغياب الصرامة في الحرص على تطبيقها نتيجةلأولوية رهان التنمية والتشغيل والكلفة الباهضة التي تميز عمليات تأهيل المصانع لاستيعاب نفاياتها. ورغم تحصّل بعض هذه المؤسسات مؤخرا على معايير بيئية فإن نسبتها تبقى ضعيفة.



رسم رقم 4: النصيب النسبي لمؤسسات مدن البحيرة من معايير الجودة والبيئة

المصدر: وزارة البيئة والتنمية المستدامة، 2006

يبدو عنصر جودة المنتوجات متفوقا بمختلف مصانع البحيرة أمام معيار الجودة البيئيةفهي تسعى إلى تدعيم تنافسيتها أكثر من ضمان إلتزامها بالجودة البيئية لمحيطها.وهو ما يستوجب إعادة النظر في سياسة التشخيص التي توختها الدولة تجاه مظاهر التلوث نحو التدخل الجذري لايجاد حلول نهائية خاصة بالمواقع التي تسجل مؤشرات تلوث حرجة. ولعل ما يمكن أن يعمق هذه الوضعية هو مزيد توسعة المجال الحضري-الصناعي على حساب الأراضي الفلاحية عبر آلية تغيير صبغتها. بولاية بنزرت بلغت مساحة الأراضي التي غيرت صبغتها من فلاحية إلى حضرية حتى سنة 2018 ما يعادل348 هك حسب المندوبية الجهوية للفلاحة ببنزرت. مثلت الأراضي المخصصة ضمنها لمشاريع صناعية 63 %وما يعنيه ذلك من مصادر تلويث إضافية. لقد مثل تقويض هذه الوضعية البيئية وإعادة تهيئة منطقة البحيرة وتطهيرها وضمان عدم تلويثها مجددا رهانا للمشروع الأوروبي-التونسي.

2.2.مشروع تطهير بحيرة بنزرت: بداية إتباع حوكمة بيئية فعلية بالمنطقة

يعتبر مشروع تطهير بحيرة بنزرت أولى الخطوات الفعلية لصالح إعادة تهيئة منطقة بحيرة بنزرت تبعا لميزانيته المادية (حوالي 220 مليون دينار تونسي) ولطابعه الإلزامي نظرا

للمصادقة عليه من مختلف الأطراف المعنية التونسية والأوروبية. يمثل هذا المشروع أحد تجليات مبادرة أفق 2020 المتوسطية والتي تهدف إلى إزالة مظاهر التلوث بالمتوسط والتصدي إلى مصادرها عبر إستراتيجيات وسياسات رشيدة وتشاركية بين مختلف المعنيين بالمنطقة المتوسطية من أجل سيادة بيئة مستدامة. مثلت بحيرة بنزرت أحد المستفدين من هذه المبادرة وذلك عبر برنامج تطهير متكامل لها ولضفافها توازيا مع تأهيلها لتستوعب نفايات أنشطتها وسكانهامن أجل إصلاح منظومتها الإيكولوجية الجزئية المنخرطة بالمنظومة الإيكولوجية الكلية للمتوسط والتي تؤثر فيه وتتأثر به. إن التعاطي النظري للدولة مع إشكاليات بحيرة بنزرت ليدعم أهلية هذا المشروع المحلي-الأوروبي، الذي لا تقتصر رهاناته على تشخيص تلوث البحيرة وتحديد المسؤوليات التي صارت محددة ومعروفة، لتأتي ببرنامج محدد زمنيا وماديا ومفصل حسب أشكال التدخل ومواقعه ونسب نجاحه من أجل حلول جذرية تعالج التلوث وتتلافى عودته.يراهن المشروع على التحكم في النفايات تقنيا ولوجيستيا وربط كل التجمعات السكنية بقنوات التطهير وإعادة هيكلة طرق الإشتغال النسبي للمصانع عبر إيجاد حلول جذرية بتركيز الآليات التقنية الكفيلة برسكلةنفاياتها والتخلص منها بطريقة رشيدة. وقد مثلت تكلفة إعادة تأهيل المؤسسات الصناعية تقنيا لتفادي ملوثاتها 31 % من القيمة الجملية للمشروع مما يدعم مسؤولية الصناعة في تلوث البحيرة. إنبثق عن المشروع ميثاق بحيرة بنزرت وهو إتفاقية تونسية-أوروبية وقعت المصادقة عليها بإمضائها بتونس صلب وزارة البيئة بتاريخ 16 اكتوبر 2012، بمشاركة وزارة البيئة ووزارة الصناعة والتجارة ووزارة التنمية ووالي بنزرت وممثلين عن البنك الأوروبي للإستثمار المعني بتمويل قسم من مشروع تهيئة وتطهير البحيرة. كما تم الإنطلاق الفعلي في المراحل التطبيقية للمقترحات التي وردت خلال السنوات النظرية للمشروع بتاريخ 1 نوفمبر 2016.إن مسألة تطهير البحيرة وإزالة مظاهر التلوث بمختلف أشكالها يعتبر ممكنا لوجيستيا وتقنيا، كما أن مياه البحيرة تتجدد ذاتيا بحكم إرتباطها بالمتوسط، لكن ضمان عدم إصابتها بالتلوث مجددا يبقى رهين إيجاد حلول دائمة لمحيطها الحضري والزراعي ومراقبة ما يلقى بأوديتها التي تصب بالبحيرة.يراهن الفاعلون بمشروع تطهير بحيرة بنزرت على ضمان عدم عودة مظاهر التلوث وهو رهان يستلزم سياسة رشيدة وجدية وخاصة تشاركية بين السلط المركزية والفاعلين المحليين، تكون "بالمرصاد" وغير متسامحة مع أي طرف يبدي "فعلا" منافيا للقوانين البيئية. يقترح مشروع تطهير البحيرة أن يتم الإعتماد على الفاعلين المحليين بمختلف مستوياتهم السياسية والمجالية وتدعيمها باتجاه إعطائهم الصلوحيات القانونية والمادية لتحقيق الإستقلالية اللازمة التي تجعل منهم بعد إنتهاء تنفيذ المشروع وحدة سياسية محلية مستقلة وفاعلة قادرة على تطبيق القوانين والسهر على عدم الإتيان بما من شأنه أن يهدد بتلويث البحيرة مجددا. كما يراهن المشروع على استشراف التغيرات المناخية وقد اعتمد مشروع البحيرة في هذا المنحى على فريق الجمعية الألمانية للتعاون الدولي (GIZ) التي تتمثل مهامها في "مساعدة" الدول النامية على تطبيق مبادئ الحوكمة البيئية وذلك من خلال إستعمال التقنيات المستحدثة عبر منهجية الإثبات المناخي (ClimateProofing) التي تقوم باعتماد آلية المحاكاة (Simulation) لاستشراف ما ستؤول له المنظومة المناخية بمجال معين، وبالتالي التحضيرلإدماج الظروف

المناخية الجديدة مع الإستراتيجيات الإستشرافية التي يجب عليها التأقلم مع ما سيطرأ من تغيرات مناخية. فلا تتبنى الدول سياسات تهيوية واستراتيجيات مجالية بينما تكون مهددة بأن تقوضها عوامل مناخية مستقبلية تبقى مجهولة إذا لم نعتمد هذه التقنيات المتقدمة. وحتى إذا لم تتمكن الدولة من تعميم مثل هذه التقنيات المتطورة و"المكلفة" خاصة، فإنها مطالبة بتكثيف عدد الفاعلين المنخرطين في رهان حماية البيئة مهما كانت أرصدتهم الإقتصادية والإجتماعية. في هذا الإطار،تحاول فئة المتضررين مباشرة من التلوث الصناعي وبعض الجمعيات المدنية المشاركة في مجابهة التلوث أو على الأقل حماية منطقة البحيرة من إمتداد مسبباته. وهو ما تمظهر حين أُعْلن عن الإعداد لمشروع المنطقة الصناعية بالعزيب جنوب منزل جميل شرق البحيرة أواخر 2012 من خلال إحتجاجات محلية رافضة تحويل الأراضي الفلاحية إلى منطقة صناعية لكنها لم تنجح في إبطال مفعول سلسلة منظومية قوية من القوانين والمراسم والقرارات التي سبقت الإعلان الرسمي عن المشروع والتي أقرّت تغيير صبغة المنطقة لصالح الصناعة:

بنزرت : تحركات لإيقاف مشروع إحداث منطقة صناعية على ضفاف البحيرة في العزيب

رافقت اليوم زيارة وزيرة البيئة السيدة أميمة البنا إلى ولاية بنزرت للإطلاع على موقع الفضاء الصناعي بالعزيب أين سيتم إحداث منطقة صناعية تابعة لشركة القطب التنموي ببنزرت تحركات إحتجاجية من قبل عدد من الأشخاص ممثلين عن الجمعيات المعنية بالعناية بالبيئة وحماية المحيط مثل الجمعية التونسية للصحة والبيئة بمنزل بورقيبة في شخص رئيسها السيد بدر الدين جمعة والجمعية التونسية لعلوم البحار من خلال أمين المال المساعد للجمعية السيدة نجوى منيف وممثل عن إتحاد الفلاحين وصاحب مشروع تربية الأحياء المائية بالبحيرة السيد نادر الوريمي ورئيس مصلحة آليات وبرامج إزالة التلوث الصناعي السيدة ذكرى الغربي والسيد "نيك مارتيز" رئيس مشروع أفاق 20/20 وعدد آخر من ممثلين عن المجتمع المدني وبعض الأهالي الذين عبروا جميعا للوزيرة عن رفضهم لإقامة هذا المشروع الذي سيشكل حسب رأيهم خطرا على التوازن البيئي في المنطقة الموجودة على ضفاف بحيرة بنزرت التي تمثل أولا مصدر رزق لعديد من العائلات خصوصا في منزل جميل ومنزل عبد الرحمان والعزيب وجواودة ومغراوة ومنزل بورقيبة وغيرها من المناطق المحيطة بالبحيرة

11/09/2012

رسم رقم 5: مقتطف من مقال الكتروني يخص إحتجاجات ضد اقامة منطقة العزيب الصناعية

المصدر: الجريدة الاكترونية التونسية، 2012

ثالثا:أهم نتائج البحث والتوصيات والمقترحات

تمثل الوضعية البيئية لمدن بحيرة بنزرت نموذجا مصغرا عن الوضعية البيئية الكلية للمدن الساحلية التونسية لما تشترك به من خصائص ديمغرافية واقتصادية وما تسجله من تركز حضري نسبة لمحيطها الجهوي والوطني. بالتالي، فإن مختلف النتائج والتوصيات والمقترحات التي سنقدمها تعبر عن الواقع التونسي الكلي.

1. أهم نتائج البحث

تبرز أهمية هذا العمل في مختلف النتائج التي توصلنا إليها والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تمثل السياسة الإقتصادية-المجالية والتهيوية للبلاد التونسية منذ الإستقلال العامل الرئيسي في خلق وضعية بيئية متدهورة بالمناطق الحضرية الساحلية الشرقية إلى أين وجّهت تركز السكان والأنشطة الحضرية أساسا الصناعات الثقيلة الملوثة، دون أن تؤهل وتهيئ هذه المناطق لتكون قادرة على استيعاب ملقيات سكانها.رغم ذلك، فسياسة الدولة تشخيصية أكثر منها علاجية بالإضافة إلى عدم النجاح فيفرض تطبيق القوانين البيئية على السكان وعلى المستثمرين بمختلف القطاعات.

- لقد استفادت منطقة بحيرة بنزرت من موقعها الساحلي ومن موضعها النافذ وطنيا وإقليميا ومن سياسة الدولة المعولة على المناطق الحضرية الساحلية الشرقية فصارت مجالا جاذبا للإستثمارات الصناعية وهو ما وفر آلاف مواطن الشغل. بيد أنّ هشاشة منظومتها البيئية وغياب سياسة صارمة في تطبيق القوانين وغياب الرّدع "للملوّثين" قد جعل منها منطقة ذات تلوث منظومي "خطير" مثلما وصفه القائمون على المشروع الأوروبي-التونسي لتطهير البحيرة: تلوث مائي للبحيرات وللبحر الأبيض المتوسطوتلوث هوائي-مشهدي حادوتلوث يابسي وتلوث سمعي. تهدد هذه الوضعيةالكائنات الحية والسكان وتقوض الإمكانياتالفلاحية والسياحية لكامل المنطقة.

2. التوصيات والمقترحات

تعول الدولة على المشروع الأوروبي-التونسي لتطهير بحيرة بنزرت وضفافها غير أن ضمان نجاحه وخاصة ضمان عدم عودة مظاهر التلوث يعتبر رهين"تشاركية" فعلية لتقويض المنظومة الكلية المعمول بها بالمنطقة وذلك عبر الأفعال التالية:

- تدعيم نجاعة منظومة التطهير المحلية والجهوية خاصة وأن المنطقة بسبب موضعها الأقل إرتفاعا تعتبر "مصبا" طبيعيا لمختلف المجاري المائية المحيطة بها وما تحمله هذه "الحاويات المتنقلة" من نفايات متنوعة.
- توفير بنية تحتية ملائمة للتركز السكانيوالفلاحي والصناعي حول البحيرة.
- أن تراقبالدولةالسكان والمستثمرين بكل القطاعات والفلاحين والصيادين وتردع كل أشكال التلويث.
- أن تتبع الدولة سياسة صارمة بلا تسامح مع الجميع وتلزم "من لوّث" بأن يتحمل مسؤوليته القانونية وما لها من تبعات مالية.

الخاتمة

لقد تبينا من خلال هذا العمل وعبر نموذج مدن بحيرة بنزرت، دور سياسة الدولة الاقتصادية-المجاليةفي خلق تركزحضري-صناعي ساحلي قد أدّى إلىتلوث منظوميللمدن الساحلية لم تقدر الدولة على معالجته. لقد إستفادت مدن البحيرة من موقعها الساحلي ومن قربها من العاصمة ومن إنفتاحها المباشر على حوض المتوسط وذلك على شكل تركز للسكان والأنشطة الحضرية أساسا الصناعة، نسبة لمحيطها الجهوي. غير أن الترابط الجغرافي المنظومي لكامل السلم الجهوي

والبنية التحتية الضعيفة وطرق إشتغال المؤسسات أساسا الصناعية التي لم تدرج بعد الجانب البيئي في سياساتها الإنتاجية وعدم وعي السكان بمخاطر التلوث وغياب الصرامة في تطبيق القوانين البيئية، قد أفرز وضعية "خطيرة" لم تنجح التدابير التشخيصية في إيجاد حلول جذرية لها. لذلك، تعول الدولة على المشروع الأوروبي-التونسي لتطهير منطقة البحيرة وتأهيلها لاستيعاب نفايات سكانها وأنشطتها. بيد أن ضمان نجاحه بعدم عودة مظاهر التلوث، يعتبر رهين مؤازرة الدولة بمختلف ممثليها عبر مراقبة نجاعة منظومة التطهير المحلية والجهوية وصيانتها دوريا وتفعيل القوانين الردعيةونشر الوعي "وفرضه" قانونيا بين صفوف السكان والمستثمرين والمزارعين من أجل أن يكفوا عن التعامل السلبي مع محيطهم وبالتالي، تحقيق رهان الجودة البيئية.

قائمة المراجع

1. الإدارة الجهوية للتنمية ببنزرت (2015)، التقرير التأليفي للمرحلة الأولى من إعداد المخطط التنموي (2016 – 2020)، تونس.
2. المعهد الوطني للإحصاء(2015)، بنزرت من خلال التعداد العام للسكان والسكنى، تونس.
3. المندوبية العامة للتنمية الجهوية(2016)، دراسة اعداد استراتيجية تنمية لولاية بنزرت بآفاق 2030، تونس.
4. الرياحي بسمة(2018)، تأثير الصناعة على الديناميات المجالية والإقتصادية والإجتماعية بمدن بحيرة بنزرت، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس، تونس.
5. الرياحي بسمة (2019)،تأثير واقع تموضع المدن المتوسطة صلب محيطها على سيرورة إشتغالها: مثال منزل جميل وماطر بولاية بنزرت، في الفازعي ص، المدن المتوسطة أي دور في سياق الحوضرة، مركز النشر الجامعي، تونس.
6. بالهادي عمر(2012)، المجال والتنمية، المركز الوطني لتكوين المكونين بقرطاج، تونس.
7. زارعي فوزي (2006)، التوسع الحضري بإحدى ضواحي تونس العاصمة: مثال أريانة الشمالية", جامعة تونس, تونس.
8. وكالةالنهوض بالصناعة (2015)،إحصائيات صناعية (المؤسسات واليد العاملة حسب القطاعات) حسب معتمديات ولاية بنزرت من 1965 إلى 2015، تونس.
9. وزارة التجهيز والتهيئة الترابية والتنمية المستدامة (2013)، التقرير الوطني حول وضعية البيئة 2012-2013، تونس.
10. وزارة البيئة والتهيئة الترابية (2001)، التقرير الوطني حول الوضعية البيئية، تونس.
11. Agence de protection et d’aménagement du littoral(2012), Nouveaux chiffres sur le Littoral Tunisien, Tunis.
12. Barhoumi Badreddine(2014), Bio surveillance de la pollution de la lagune de Bizerte (Tunisie) par l'analyse comparée des niveaux de

contamination et de l'écotoxicité des sédiments et du biote, thèse de doctorat en Ecologie, Environnement, Universite de Bordeaux,France.
13. Ben Jalloul Mourad (2017), L'aménagement du territoire national et les contraintes de la nouvelle gouvernance dans la Tunisie postrévolutionnaire, L'Année du Maghreb, Frzance.
14. Boutaud Aurélien (2005), Le développement durable: penser le changement ou changer le pansement ?: bilan et analyse des outils d'évaluation des politiques publiques locales en matière de développement durable en France: de l'émergence d'un changement dans les modes de faire au défi d'un changement dans les modes de penser. thèse de doctorat en Sciences de l'environnement. Ecole Nationale Supérieure des Mines de Saint-Etienne; Université Jean Monnet - Saint-Etienne, France.
15. Brahim Mouldi., AtouiAbdelfattah., Bejaoui Bechir(2013), Sedimentary hydrodynamics of Bizerte Lagoon, Institut National des Sciences et Technologies de la Mer, Revue Paralia, France.
16. Etude financé parl'Union européenne(2012), Profil Environnemental de la Tunisie, Tunis.
17. Essid Naceur (2008), Caractérisation de la pollution organique et minérale des sédiments de la lagune de Bizerte et impact écologique sur les peuplements de nématodes libres: Etude à grande échelle et au niveau d'un parc mytilicole, thèse de doctorat, Faculté des SciencesBizerte - Universitéde Carthage,Tunis.
18. Harvey David (2000), Spaces of hope, Edinburgh University,Royaume-Uni.
19. Houdebine Michel (1999), Concentration géographique des activités et spécialisation des départements français. In: Economie et statistique, France.
20. Vincent Herbert, Muriel Maillefert, Olivier Petit et Bertrand Zuindeau (2010), risque environnemental et action collective, Les Éditions en environnement - Vertigo, Canada.
21. Kubrak Claire (2013),Concentration et spécialisation des activités économiques : des outils pour analyser les tissus productifs locaux, Insee, PSAR Études économiques régionales: France.

22. Mediterranean Hot Spot Investment Program (2013), Dépollution intégrée du lac de Bizerte : étude de faisabilité, Tunis.
23. Mdelgi Asma., Fassatoui Chiheb., Moraga Dilan., Romdhane Mohamed Saleh (2007),impact saisonnier de l'environnement sur la structure génétique de trois populations de ruditapes decussatus dans l'écosystème lagunaire de Bizerte, (Tunisie),Mer de Salammbô, Tunis.
24. Ministère de l'Agriculture de l'Environnement et des Ressources hydrauliques (2003),Étude sur la dépollution industrielle dans le bassin versant du lac de Bizerte, Tunis.
25. Ministère des Affaires Locales et del'Environnement (2016), Étude pour l'Élaboration de la Stratégie Nationale Économie Verte en Tunisie, Tunis.
26. Ministère de l'environnement et de l'aménagement du territoire (2001), L'état de l'environnement : Rapport final, Tunis.
27. Ministère de l'environnement (2012), Profil Environnemental de la Tunisie, Tunis.
28. Ministère de l'environnement et du développement durable (2015), Observatoire et indicateurs de l'environnement et du développement durable, Tunisie, Rapport de Synthèse, Tunis.
29. Ministère du développement de l'investissement et de la coopération internationale, Etude d'élaboration d'une stratégie de développement du gouvernorat de Bizerte à l'horizon 2030, Tunis.
30. Lourdel Nathalie (2005), Méthodes pédagogiques et représentation de la compréhension dudéveloppement durable durable: application à la formation des élèves ingénieurs, Ecole Supérieure des Mines de Saint-Etienne, thèse de doctorat, Université Jean Monnet Saint-Etienne, France.

المجتمع ورهان التربية على المواطنة

أ.منذر الطمني، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي، جامعة تونس- تونس

الملخص: يهدف هذا البحث إلى معرفة الرهانات الاجتماعية،الثقافية للتربية على المواطنة باعتماد التحليل السوسيولوجي من خلال فهم الأفعال الاجتماعية المؤدية إلى العيش المشترك عبر التفاعل والتواصل بين الأفراد والمجموعات والمجتمعات.

إن التربية على المواطنة تهدف إلى تحقيق التضامن والمشاركة والتي تتجسد في الرموز والقيم والسلوكات الفردية والجماعية لمختلف الفاعلين الاجتماعيين والمعنى الذي يعطيه هؤلاء الفاعلون – أفراد- مؤسسات لأفعالهم لغاية تجسيد قيم المواطنة من خلال ما يسمى المسؤولية المجتمعية،التي تجسد الفعل المواطني الذي تتقاطع فيه العناصر والمكونات الوظيفية والبنائية التي يسهم من خلالها الأفراد باختلاف مواقعهم وأدوارهم في تحقيق المواطنة الشاملة في أبعادها المختلفة.

التربية على المواطنة رهان سوسيولوجي وثقافي لتكوين قيم مشتركة مقبولة ومفهومة داخل المجتمع وبين المجتمعات الإنسانية ضمن المواطنة المحلية والمواطنة العالمية.التربية على المستقبل تساهم في تحقيق التربية على المواطنة العالمية التي تقتضي التعاون والتسامح والسلام واحترام الثقافات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: المجتمع، المواطنة، الفعل الاجتماعي، المسؤولية المجتمعية، العيش المشترك.

Society and the bet on citizenship education

Munther Al-Tamani, Assistant Professor of Sociology - University of Tunis, Higher Institute of Youth and Cultural Activism in Biralbay.

Abstract: This research aims to identify the social, cultural, and cultural stakes of citizenship education by using sociological analysis and understanding the social actions leading to co-existence through interaction. And communication between individuals, groups and societies

Citizenship education aims to achieve solidarity and participation, which are embodied in the individual and collective symbols, values, and behaviors of the various social actors and the meaning that these actors - individuals - institutions give to their actions in order to symbolize the values of citizenship through what is called social responsibility. In fact, individuals with their different positions and roles contribute to Achieving comprehensive citizenship in its various dimensions.

Therefore, citizenship education is a sociological and cultural object in order to create common values that are accepted and understood within society and among human societies within the context of local citizenship and global citizenship. The principal education goals are to achieve global citizenship, which requires cooperation, tolerance, peace, and respect for other cultures.

Keywords:Society, citizenship, social action, community responsibility, co-existence.

تقديم:

إن البحث في مسالة التربية على المواطنة وراهنيتها بالنسبة للمجتمع. يحيلنا إلى مسالة المواطنة من حيث هي مفهوم له جذوره الابستيمية والمعرفية وتتحدد المواطنة ضمن صيرورة تاريخية وثقافية وحضارية ترتبط بطبيعة المجتمعات٠

أفرزت التجارب التاريخية معاني مختلفة للمواطنة ،بحسب الاتجاهات الفكرية السياسية والاجتماعية التي لا يمكن فهمها بمعزل عن الظروف المحيطة بها،لذلك فأبعاد المواطنة تتغير وتختلف تبعا لمجموعة من المحددات يعيش ضمنها الفرد:التنشئة الاجتماعية ،الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،طبيعة النظام السياسي القائم٠إن استثمار البعد المعرفي الابستيمولوجي والتاريخي للمواطنة يمكننا من معرفة رهاناتها ذات العلاقة بمجتمعاتنا بحيث لا يمكن الاستفادة من مفاهيم المواطنة دون الغوص في هذه الأبعاد.
يتنزل هذا البحث ضمن اهتمام المجتمع بالتربية على المواطنة كرهان اجتماعي-ثقافي لهدف تكوين قيم ومعايير مشتركة عبر عنها عالم الاجتماع الفرنسي أميل دوركايم ب "الوعي الجمعي". فالمواطنة قيمة اجتماعية، ثقافية ومنتج اجتماعي بهذا المعنى فهي وليدة التنشئة الاجتماعية داخل العائلة والمدرسة ومختلف مؤسسات المجتمع من خلال التربية على المواطنة عبر إنتاج ونقل القيم الاجتماعية والثقافية.

الإشكالية الرئيسية لهذا البحث تتمثل في كيفية استثمار وتوظيف قيم المواطنة المعرفية والتاريخية والحضارية ضمن السلوك الفردي والجماعي لغاية تحقيق التواصل والتفاعل والعيش المشترك بين الأفراد والمجموعات والمجتمعات.

لقد أصبح الاقتصار على الاهتمام بالمواطنة والتربية عليها في المؤسسة التربوية- رغم أهميته وصحة هذا الاختيار المجتمعي الاستراتيجي- إلا انه ينم عن نقص وقصور كبيرين في تكريس قيم وثقافة المواطنة مجتمعيا،حيث لا يمكن الاستغناء عن ادوار بقية مؤسسات المجتمع ومختلف الفاعلين الاجتماعيين في رسم ملامح المواطنة وأبعادها في سياق التحولات والتغيرات التي تعيشها المجتمعات.

يتأسس مفهوم المواطنة في سياق حركة المجتمع وتغيره وتحوله. وضمن هذه الحركة تنسج العلاقات ويوجد التواصل وتتبادل المنافع والحاجيات ،وتبرز الحقوق وتتجلى الواجبات والمسؤوليات .ومن تفاعل كل هذه العناصر يتولد موروث مشترك من القيم والسلوكات تسهم في تشكيل شخصية المواطن وتعيد إنتاج واعدة إنتاج صفة المواطنة.

المواطنة ترتكز على أبعاد معرفية – ابستيمية ساهمت في إنتاج هذا المفهوم وكذلك مستوى معيشي عملي يرتبط بحاجة المجتمع للتربية على المواطنة ضمن ما يسمى " المواطنة المحلية " و " المواطنة العالمية ". حيث أن المواطنة كممارسة وسلوك تتأثر وتؤثر في السلوكات والقيم الاجتماعية والثقافية بين الأفراد والمجموعات .وتعد التربية على المواطنة منظومة قيم لها دور وظيفي يساهم في تحقيق تماسك المجتمع بمختلف عناصره وأنساقه.

ينقسم هذا البحث إلى أربعة أقسام- قسم أول يهتم بالإطار النظري والمفاهيمي للبحث وكيفية استثماره. القسم الثاني يتناول رهانات التربية على المواطنة من خلال الأفعال الفردية والجماعية التي ترتبط بقيم " العيش المشترك " ودور مختلف الفاعلين الاجتماعيين في إطار المجتمع الواحد أو ما اصطلح على تسميته " المجتمع المحلي " ويتناول هذا الجزء من البحث الإشكالية التالية – كيف يمكن المساهمة في تحقيق التربية على المواطنة المحلية من خلال الأفعال الاجتماعية ضمن العيش المشترك.

ويهتم القسم الثالث من البحث بادوار الفاعلين الاجتماعيين – الفرد والمؤسسة ضمن تمظهرات المسؤولية المجتمعية من خلال العائلة،المدرسة والجامعة.

ويعالج القسم الثالث من البحث رهانات المجتمع ضمن ما يسمى " المواطنة العالمية " في عالم متعدد ومتنوع في منظومة القيم الاجتماعية- الثقافية .سريع التغير والتحول . وهو ما يطرح تساؤلا حول أبعاد المواطنة العالمية وشروط تحققها خاصة وان هذه الأخيرة أصبحت مقولة اختلاف في المجال الثقافي بالمعنى الانثروبولوجي. وهو ما جعلنا نثير الإشكالية التالية - كيف يمكن من خلال " المواطنة العالمية " تحقيق تواصل ثقافي يجسد " العيش المشترك " بين المجتمعات الإنسانية.

ويهتم القسم الرابع من البحث بادوار الفاعلين الاجتماعيين – الفرد والمؤسسة ضمن تمظهرات المسؤولية المجتمعية من خلال العائلة ،المدرسة والجامعة.

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي من خلال دراسة المواطنة وتحديد مستوياتها باعتماد التحليل السوسيولوجي استنادا إلى مؤشرات ترتبط بالأفعال الاجتماعية ضمن العيش المشترك. واستندنا في هذا البحث على متن نظري يهتم بسوسيولوجيا الفعل عند عالم الاجتماع الألماني" ماكس فيبر" وعالم الاجتماع الأمريكي " تالكوت بارسونز" والسوسيولوجيا التفاعلية كما حددها عالم الاجتماع الألماني "جورج زيمل"، لغاية فهم الأفعال والسلوكيات الفردية والجماعية وعلاقتها بقيم المواطنة.

1-الإطار النظري للبحث والمفاهيم الإجرائية

ا-الإطار النظري

إن الباحث في العلوم الاجتماعية عند دراسة وتحليل تجليات المواطنة في السلوكات الفردية والجماعية من خلال تمظهراتها الاجتماعية والثقافية ملزما بالرجوع إلى الخلفية النظرية لإبراز أهمية المواطنة كقيمة سوسيولوجية وانثروبولوجية.

اعتمدنا في هذا البحث على المقاربة السوسيولوجية لفهم الرهانات الاجتماعية للتربية على المواطنة استنادا إلى المنهج التحليلي من خلال دراسة المواطنة وتحديد مستوياتها باعتماد التحليل السوسيولوجي، وبالتركيز على مؤشرات مثل التطوع والتضامن وهي ترتبط بالأفعال الاجتماعية ضمن العيش المشترك. استندنا في هذا البحث على متن نظري يهتم بسوسيولوجيا الفعل عند عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" وعالم الاجتماع الأمريكي "تالكوت بارسونز" والسوسيولوجيا التفاعلية كما حددها عالم الاجتماع الألماني "جورج زيمل". لغاية فهم الأفعال الفردية والجماعية في التربية على المواطنة،حيث يعتبر علماء الاجتماع المواطنة على أنها علاقة اجتماعية تقوم بين الأفراد والمجتمع السياسي (الدولة)،حيث تقدم الدولة الحماية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للأفراد من خلال اطر قانونية ودستورية تحقق المساواة بينهم ويرتبط الأفراد بالدولة ويحتكمون إلى قانونها للحصول على حقوقهم.

ترتكز المواطنة على محددات نظرية من خلال فهم طبيعة الفعل الاجتماعي الذي يراد من خلاله " العيش المشترك" ويميز "ماكس فيبر" في عملية الفهم بين نمطين .يسمى الأول بالفهم الآني أي الفهم في المعنى المألوف والواضح ويسمى النمط الثاني بالفهم التفسيري والذي يركز على معرفة الأهداف والدوافع لان البحث في ذلك يعطي للفعل معنى. وقد صنف ماكس فيبر الأفعال إلى – الأفعال الموجهة نحو غاية – الأفعال الموجهة عبر الاعتقاد في قيم مطروحة – الأفعال الموجهة عبر الأهواء والعواطف – الأفعال الموجهة عبر العادة(Max weber,1995,p55) والفعل الإنساني يكتسب اجتماعيته لدى فيبر انطلاقا من الدلالة الذاتية التي يضفيها الأفراد على أفعالهم لذلك فان سوسيولوجيا ماكس فيبر تلزمنا على فهم الأفعال الاجتماعية من خلال الفاعلين أي من

زاوية الدلالات الذاتية للفاعلين بحيث لا يمكن فهم أفعالهم – حسب-" فيبر" إلا من خلال أنفسهم (Max weber,1995,p58).يعتبر ماكس فيبر أن مهمة السوسيولوجيا هي فهم الظواهر الاجتماعية وهذا ما يفترض بان الإنسان يضفي معاني ومدلولات على فعله، ومن هنا فمهمة البحث السوسيولوجي هي إعادة بناء هذه المدلولات والمعاني انطلاقا من السلوكيات اليومية وهي سلوكيات موجهة للآخرين ناتجة عن تفاعل الأفراد .فالعلاقات الاجتماعية لدى" ماكس فيبر" هي علاقات قائمة بالأساس على الأخذ والعطاء أي على التبادل بين الأفراد الذين يتفاعلون في ما بينهم وتفاعلهم يؤدي إلى تكوين نسق اجتماعي معين له خاصيات ومميزات معينة،تبرزها مجمل الأفعال (Max weber,1995,p 46).بهذا المعنى تصبح الأفعال والدلالات المصاحبة لها رهينة المعاني التي يعطيها لها الفاعلون الاجتماعيون.

ويعتبر الفعل الاجتماعي عند " تالكوت بارسونز" وحدة تحليل أساسية لفهم أشكال التفاعل الاجتماعي باعتبار أن الفعل الاجتماعي هو سلوك إرادي لتحقيق أهداف محددة يرسمها الفاعل الاجتماعي (Talcott Parsons,1937). فالعيش المشترك وما يرتبط به من أفعال وقيم وسلوكيات مختلف الفاعلين الاجتماعيين يعد نتيجة رغبة وإرادة مشتركة تنبني على روابط يقيمها الفاعلون فيما بينهم. ويتأثر الفعل الاجتماعي بحسب بارسونز بمنظومة القيم الثقافية بما تتضمنه من أخلاق ورموز ومعاني تنطوي عليها الأفعال. حيث يستمد الأفراد المعاني والدلالات التي تنطوي عليها أفعالهم (François Bourricaud ,1955)

نعتمد هذا السند النظري في هذا البحث لفهم طبيعة وشكل الحياة المشتركة وما يرتبط بها من أفعال تحددها المنظومة الثقافية للمجتمع وهو ما يعكس درجة الاختلاف والتجانس بين المجتمعات، في هذا السياق فان التربية على المواطنة ترتبط بالقيم الثقافية السائدة في المجتمع، باعتبار أن الأفعال الاجتماعية توجهها معايير وقيم أساسها ثقافي بالمعنى الانثروبولوجي والسوسيولوجي، والتي تتجسم في الأفعال والسلوكات والمكتسبات المادية وغير المادية الناتجة عن التفاعل المستمر من خلال إنتاج وإعادة إنتاج ونقل المعاني والرموز بين الأفراد والمجموعات والمجتمعات.

ب- المفاهيم الإجرائية

سنهتم في تحليلنا لموضوع المجتمع ورهان التربية على المواطنة بتحديد مدلول المفهومين الإجرائيين الذين تتركب منهما صيغة هذا الموضوع. وهما " المجتمع" و "المواطنة."

المجتمع -اختلف علماء الاجتماع في تحديدهم للمجتمع وفق البارادیغمات النظرية المعتمدة في التحليل.هناك من يعتمد المجتمع كوحدة كلية للتحليل مثل "عبد الرحمان ابن خلدون" و "كارل ماركس" وهناك من يركز على عناصر منفصلة في التحليل مثل عالم الاجتماع الفرنسي "اميل دوركايم".

تشترك هذه الاتجاهات الفكرية في تعريف المجتمع لهدف واحد وهو تحليل نشأته وإبراز نظمه وظواهره الاجتماعية. ويمكننا هذا التحديد المفاهيمي من التمييز بين المجتمع في مستوى محدد وهو ما يعني المجتمع المحلي والمجتمع ككل ويعني المجتمع الإنساني العالمي٠وفي هذا السياق يمكن اعتبار المجتمع مجموعة من الأفراد تجمع بينهم روابط وتفاعلات مختلفة ومصالح وأهداف مشتركة،هذه الروابط والبناءات تجعل المجتمعات مختلفة باختلاف الأسس والعناصر الاجتماعية والثقافية، ويمكن أن تكون مظهرا من مظاهر الخصوصية التي تميز أشكال وطبيعة ونمط التفاعل وكذلك ماهية الحقوق والواجبات بين الأفراد والمجموعات.

تفيدنا هذه المساحة في التعريف في استثمار طبيعة العلاقة الممكنة بين المجتمع بما يتضمنه من ظواهر اجتماعية والمواطنة بما تعنيه من قيم وسلوكيات وأفعال اجتماعية بسبب التفاعل والتواصل بين الفرد والمجموعة مما يساعد على تحليل طبيعة العلاقة الممكنة بين المجتمع والمواطنة ٠

المواطنة – مصطلح يرتبط بالعديد من المفاهيم. من الجانب اللغوي والقانوني ترتبط المواطنة بالإقامة والحماية ومن حيث مفهومها السياسي تعد المواطنة صفة للفرد الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه للوطن. وتعرف المواطنة أيضا بأنها انتماء ومساواة داخل المجتمع بما يترتب عنها من حقوق وواجبات وهو ما يعني أن كل المواطنين يعيشون فوق تراب الوطن سواسية بدون تمييز قائم على أية معايير مثل الدين – اللون –الجنس-مستوى الدخل أو الانتماء السياسي أو الإيديولوجي(دليل الأندية التربوية،2014 ص 14). وفي قاموس علم الاجتماع تعرف المواطنة بأنها علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي أي دولة ووفق هذه العلاقة يقدم المواطن الولاء للدولة التي تتولى تحقيق الحماية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتحدد طبيعة هذه العلاقة وفق نظام الحكم القائم في الدولة والذي ينظمه القانون والدستور.

يعود اكتشاف مبدأ المواطنة لليونانيين القدامى، لذالك يعتبر الفكر اليوناني مصدرا للأشكال المنطقية التي استمد منها مفهوم المواطنة (شريف أمين، 212، ص 21). وقد أثار هذا المفهوم جدلا في الأوساط الفكرية والأكاديمية باعتبار طبيعة وخصوصية الأفعال والرهانات الاجتماعية والثقافية التي تتعلق بالمواطنة ٠ وارتبطت المواطنة تاريخيا بإقرار مبدأ المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمواطن (شريف أمين،2012، ص22). وأفرزت التجارب التاريخية معاني مختلفة للمواطنة فكرا وممارسة و في التاريخ المعاصر تنوعت مضامين المواطنة بحسب التيارات الفكرية الاجتماعية،الثقافية والسياسية والتي لا يمكن فهمها ونقدها بمعزل عن الظروف المحيطة بها.

وقد أعاد الفيلسوف الألماني" يورغن هابرماس " بناء نسق الحقوق ومنظومة المواطنة المعاصرة إذ اعتبر أن المواطنة إفراز للشروط الانثروبولوجية للحياة الاجتماعية والسياسية الديمقراطية. وتضع الحق والأخلاق والسياسة في الواجهة التمهيدية لكل فضاء مجتمعي ,1998

(Jurgen habermas p257) وقد أكد "هابرماس" أن نظرية " النقاش العمومي " أي الانسجام والتواصل بين المواطنين لا يتحقق إلا إذا تمكن المواطنون من الفعل التواصلي العقلاني بشكل جماعي ومشترك أين تصبح الإجراءات والتدابير منظمة وممأسسة بطريقة مشتركة ومعقلنة وفق أهداف مضبوطة(Jurgen habermas,1998,p271)

إن الإشارة إلى المتن النظري الذي اعتمده هابرماس في بناء منظومة المواطنة وخاصة نظرية " النقاش العمومي " يساعد على عقلنة هذا المفهوم وجعله أداة للتواصل بين الأفراد والمجموعات والمؤسسات ضمن " العيش المشترك " داخل المجتمع الواحد وبين المجتمعات.

إن الاعتماد على هذا الإطار النظري يحدد لنا مفهوم المواطنة في أبعادها الفكرية، التاريخية،الاجتماعية والقانونية ويمكننا من استثمار هذا المفهوم باعتبار أن المواطنة إنتاج ثقافي إنساني،وهي تحدد كمجموعة من القواعد والمعايير السلوكية والعلائقية. بهذا المعنى،المواطنة محددا لمنظومة التمثلات والمعاني والعلاقات والقيم الاجتماعية،باعتبار أن الأفعال التي تجسد المواطنة تبرز من خلال تمظهراتها في الحياة اليومية للفرد والمجموعة ومن خلال التعامل والتواصل وتبادل المصالح في شتى مجالات الحياة.لتصبح المواطنة قيمة اجتماعية موجهة لأفعال وسلوكات الأفراد.

2- المجتمع والعيش المشترك ورهان التربية على" المواطنة المحلية"

ترتبط المواطنة المحلية بمجموعة من الخصائص الاجتماعية والثقافية التي تستند عليها قاعدة " العيش المشترك "، فالمجتمع باعتباره مجموعة من الأفراد والمؤسسات يتعايشون مع بعضهم وفق أهداف واستراتيجيات وحاجيات تعكسها أفعال اجتماعية يترجمها الفاعلون الاجتماعيون وفق الظروف والتحولات والتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعرفها المجتمع ٠فالمواطنة المحلية ليست صفة مسقطة بقدر ما هي تعايش واستمرارية ضمن نوع من الالتزام الضمني والمعلن من طرف الجميع بالعيش معا٠وتبرز ملامح الحياة المشتركة بين المواطنين من خلال المشاركة المنظمة في أوجه الحياة الاجتماعية كالصحة والتعليم والبيئة وعادة ما تؤسس هذه الأعمال لغرض تحقيق التواصل الاجتماعي وفق تصور مشترك للمصلحة العامة التي لا تتضارب مع المصالح الفردية (دون إي .ايبرلي، 2006، ص 15) مما يجعل المواطنة قيمة ثقافية اجتماعية ترتبط بالإرادة المشتركة وحيث تساهم في تحديد الروابط بين المواطنين ومؤسسات المجتمع وكذلك بين المواطنين والدولة وفق قوانين وأعراف تقتضيها المصالح المشتركة من خلال المعاني المختلفة التي يعطونها لأفعالهم ضمن الحياة اليومية (Max Weber,1995, p57)

يمكن فهم قاعدة العيش المشترك من خلال مؤشرات تستند إلى التعاون والتضامن بالمعنى الذي حدده "أميل دوركايم" حيث أن الفرد ينصهر في المجموعة وفق التضامن الآلي والعضوي (أميل دوركايم، 1982، ص129) وانصهار الفرد في المجموعة يتحقق من خلال التفاعل

والاستمرارية بين الأفراد والمجموعات باعتبار أن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي يعتمد على المجتمع لتلبية حاجياته كما يبين "عبد الرحمان ابن خلدون".

اهتم عالم الاجتماع الألماني "جورج زيمل" بالوسائل المستخدمة للعيش المشترك حيث موضوع علم الاجتماع عنده هو دراسة أفعال الأفراد في شكلها التفاعلي أو التواصلي أو التبادلي من خلال العيش المشترك، أين تبرز العلاقة التفاعلية الموجودة بين الفرد والمجتمع ضمن وضعيات اجتماعية مختلفة في مجال الحياة اليومية. يقول "زيمل" يتبادل الأفراد النظرات والمصالح ، يغارون من بعضهم. يأكلون سوية. يتبادلون الرسائل. يشعرون تجاه بعضهم بالكراهية أو المحبة. آلاف الأفعال المؤقتة أو الدائمة. الواعية أو اللاواعية ،تربطنا الواحد بالأخر. وهي التي ترعى صلابة الحياة المجتمعية ومرونتها وتنوعها ووحدتها وتماسكها . (Zimmel Georg, 1999, p157) فالعيش المشترك يفرض الالتقاء والتواصل وفق أفعال اجتماعية تنظمها الأنساق و الخصائص الاجتماعية والثقافية للمجتمع، عبر تبادل المصالح والعواطف والأحاسيس من خلال التفاعل الاجتماعي المتبادل بين الأفراد داخل سياق مجتمعي محدد. حيث أن هناك نماذج متنوعة من علاقات التفاعل والتي تتضمن ظواهر الحياة اليومية في تجلياتها (Zimmel Georg, 1986,p33). لذلك فان إرادة التعايش والتواصل والمدنية التي عبر عنها "ابن خلدون" تجعل من التربية على قيم المواطنة تتجسد في التدرب على المشاركة الفردية والجماعية الفاعلة في مختلف شؤون المجتمع بطرق منتظمة ومتواصلة لذلك فان الخاصية الأساسية في التربية على المواطنة هي تغذية التعاطف الاجتماعي بين مختلف الفئات الاجتماعية حيث يستعيد المواطنون مشاركتهم في مجمل الحياة العامة (إي ايبرلي، 2006، ص 33)، وحيث تستند مشاركة المواطن في الشأن العام على التطوع وهو ذلك الجهد الذي يقوم به فرد أو جماعة أو تنظيم معين بصفة طوعية وإرادية لغاية تقديم خدمة للمجتمع. ويتحقق التطوع وفق أهداف معلنة وواضحة وتنظيم محدد بحسب حاجيات وانتظارات المجتمع. التطوع يجسم العيش المشترك من خلال إيجاد علاقات قائمة على التعاون والتضامن وهي قيم تدعم معنى المشاركة بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين أفراد وجمعيات ومنظمات وأحزاب. وبذلك يمكن اعتبار التطوع وخاصة التطوع التعاقدي مؤشرا لتنامي الفعل المواطني حيث تتحقق المشاركة وتنعكس قيم المواطنة وهو ما يجعل إعداد الأفراد ليكونوا مواطنين مسئولين وقادرين على المشاركة المجتمعية وفق الأفعال الاجتماعية التي حددها "ماكس فيبر".

المشاركة عبر التطوع تجعل المواطنة كقيمة اجتماعية ورهان ثقافي مجالا متسعا للإفراد والمجموعات لتحقيق ما يسميها "Jean- Jacques Rousseau" "الإرادة العامة". حيث يعتبر روسو انه لما "يضع كل واحد منا شخصه وكل قدرته موضع اشتراك تحت الإمرة العليا التي للإرادة العامة". فالعيش المشترك يتأسس من منطلق الإرادة الفردية والجماعية والتي يمكن أن تبرز من خلال أفعال اجتماعية ضمن أشكال فردية أو وفق تنظيم مؤسساتي تضبطه وتحدده المصلحة العامة للأفراد والمجموعات داخل المجتمع. التربية على الموطنة تركز على أهمية القيم فالتطوع والتعاقد والتعاون،هي سلوكيات قيمية حاضنة لتماسك الجماعات على اختلافها. وتساهم

في توجيه سلوكات الأفراد وتعمل على إرساء التمثلات التي يبنيها. فالقيم وعاء يستمد منه كل أفراد المجتمع ممارساتهم ويوجهون من خلالها أفعالهم. لذلك فان الحفاظ على هذه القيم وإعادة إنتاجها مسؤولية كل الفاعلين الاجتماعيين، يقول عالم الاجتماع العراقي"علي الوردي" في كتابه "وعاظ السلاطين" "إن البذرة تحتاج إلى رعاية وعطف لكي تنمو وتصبح شجرة باسقة يستظل بها الناس"(الوردي علي، 1954، ص 78). كذلك قيم المواطنة تحتاج إلى دربة وعقلانية لكي تنمو ويقبلها الافراد ويستفيدون منها لتحقيق العيش المشترك.تستثمر قيم المواطنة ويستفيد منها المجتمع بمختلف فئاته العمرية ومواقعهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ويساهمون في إعادة إنتاج قيم المواطنة بحسب هذه المواقع.وتصبح تمثلات الأفراد لمواطنتهم انعكاسا لأساليب التربية على المواطنة وكذلك المواقع التي يحتلونها داخل المجتمع.لذلك فان التربية على المواطنة تساعد الفرد على فهم مواطنته أولا من خلال التجاوب والانسجام مع مجتمعه وثقافته عبر التطوع والمشاركة بأشكالها المختلفة والتي تمكن من مد جسور التواصل الاجتماعي والثقافي.

3-المجتمع ورهان التربية على" المواطنة العالمية"

التربية على "المواطنة العالمية" تهدف إلى تكوين معايير مشتركة في زمن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعرفها المجتمع العالمي.

إن "المواطنة العالمية" تجعل المواطن مهما كانت انتماءاته الجغرافية والثقافية والحضارية يضع هويته مع المجتمع الدولي. بهذا المعنى "المواطنة العالمية" تعني الشعور بالانتماء إلى مجتمع أوسع من الحدود المحلية الوطنية. الشعور بالانتماء إلى وطن عالمي يتقاسم فيه البشر كل ما هو مشترك بينهم.

تأكدت أهمية مفهوم " المواطنة العالمية " من خلال ربطه بالتعليم باعتباره وسيلة لتحقيق التربية على المواطنة .حيث انتهجت منظمة الأمم المتحدة هذا التمشي سنة 2012 عندما رفعت شعار "التعليم أولا" واعتبرت أن المواطنة يمكن دعمها من خلال التعليم.دعت الأمم المتحدة(مؤتمر الأمم المتحدة والمجتمع المدني ماي2016 إلى ضرورة احترام حقوق الإنسان ونشر التسامح والتضامن والآمن على مستوى العالم حيث تدعم مصطلح المواطنة العالمية لدعم السلام والتفاهم الدوليين.

التربية من اجل المواطنة العالمية تتحقق من خلال تعليم السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان والثقافات العالمية. فالتعليم يساهم في تحقيق المواطنة العالمية أين يتحقق الحوار والتواصل الثقافي.

المواطنة العالمية تحقق التفاعل عبر الاتصال والتواصل بين شعوب العالم من خلال التربية والتعليم وعبر تقنيات الاتصال الحديثة، فالمواطن العالمي ينتمي إلى ثقافات متنوعة وحضارات مختلفة ولكن نعيش معا باعتبار الرهانات المشتركة خاصة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية (ايشلبرغ،2016).فالتربية على المواطنة العالمية تساعد على فهم حياة

الإنسان ومساعدة الآخرين والتعايش معهم في إطار حياة إنسانية بجوانبها الأخلاقية واللغوية والأدبية والتاريخية والدينية.

واعتبرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) أن المواطن العالمي هو الفرد الذي يسعى من خلال تفكيره وسلوكه إلى المساهمة في بناء عالم يستند إلى قيم تكتسب من خلال التربية والتعليم اللذان يرسخان لدى المتعلمين – مهما كانت فئاتهم العمرية – احترام حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والتنوع الثقافي والمساواة وكذلك التربية والتعليم من اجل السلام والتفاهم والعيش معا في عالم واحد.

هناك مجموعة من العوامل تؤثر بنسب متفاوتة على المواطنة بشكل عام .ذالك أن تجمع المصالح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية وتشابكها وتزايد ادوار الفاعلين الجدد في الفضاء الدولي من منظمات وشركات كبرى ورأي عام عالمي إلى جانب تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة، كل هذه العوامل ساهمت في تيسير التفاعل بين المجتمعات، وأفرزت ثقافة وانتماء تتجاوز حدود المجتمعات المحلية.

اتسع رهان التربية على المواطنة بين المجتمعات والثقافات المختلفة نتيجة العوامل التي ذكرت سابقا إضافة إلى تعدد مجالات التعاون كالغذاء والبيئة والأمن والتعليم والعمل والصحة. وبقيت العوامل المرتبطة بالتربية والتعليم ثابتة لتحقيق "العيش المشترك" من خلال المواطنة العالمية. فهي ليست مجرد قيمة وإنما هي ممارسة تنعكس في مختلف الأفعال الاجتماعية – كما حددها ماكس فيبر-. حيث أصبحت التربية على المواطنة العالمية كمسار تعلم للتغيير من خلال إيجاد حلول جماعية للمشكلات ذات البعد العالمي وكذلك تصور مستقبل مشترك لعالم أكثر عدلا واستدامة للجميع.التربية من اجل المواطنة العالمية تساهم في إرساء قواعد العيش المشترك من خلال التركيز على ثقافة الشراكة على أساس الحوار والتعاون.

إن موضوع التربية يستحوذ على اهتمام المفكرين والباحثين، ويعد الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي "ادغار موران" من أكثر المفكرين الذين اهتموا بسمات التربية على المستقبل، تفيدنا بعض هذه السمات في هذا التحليل لإبراز أهمية التربية في تحقيق التواصل والانسجام والعيش المشترك في إطار التربية على المواطنة العالمية.في هذا السياق تجدر الإشارة إلى ثلاثة سمات – من جملة سبعة سمات تناولها ادغار موران في تربية المستقبل – (Edgar Morin, 1999) يمكن أن تكون أساسية في التربية على المواطنة العالمية وهي – تعليم الشرط الإنساني ويعني أن التربية تعمق مفهومي الوحدة والتنوع لدى الإنسان – فالإنسان الفرد حسب موران – هو عضو في جماعة تتسع لتشمل الإنسانية كلها، بهذا المعنى المواطن في مجتمع محدد ينتمي حتما إلى المجتمع الإنساني،تجمعه أهداف مشتركة (Edgar Morin , 1999 , p 30). ويؤكد "موران" من خلال السمة الثانية تعليم الهوية الأرضية – أن العالمية تعد المصير المشترك للإنسانية باعتبار أن البشر يعيشون مصيرا مشتركا، والتربية على المستقبل تساعد الإنسان على التواصل مع غيره من البشر وفق هوية مشتركة بالمعنى الانتروبولوجي ويعني الاعتراف بوحدة المجتمع

الإنساني في إطار التعددية الثقافية والاجتماعية فوق كوكب الأرض Edgar Morin, 1999,) p40)

يتحقق التعايش في إطار الاختلاف من خلال الفهم باعتباره وحدة تحليل أساسية وركيزة هامة لتحقيق التفاعل الذي عبر عنه جورج زيمل .الفهم يحقق التواصل والتفاعل والاعتراف بالأخر. اعتبر ادغار موران أن تعليم الفهم– السمة الثالثة في هذا التحليل، يساعد على تحقيق التضامن العقلي والأخلاقي للإنسانية٠من خلال التربية للمستقبل يمكن تعميق الفهم الإنساني ويتم التفاعل بين ثقافات العالم لإثراء ما عبر عنه"ادغار موران" بالخليط الثقافي الكوكبي Edgar Morin) 1999,p57)حيث يمتزج المشترك في الثقافة وتصبح المواطنة العالمية انعكاسا لهذه الثقافة التي تساهم في التقريب بين الثقافات.حيث أن التربية والتعليم تصبحان قاطرة لتحقيق التواصل الثقافي والمثاقفة بين المجتمعات٠

إن التربية على قيم المواطنة تساعد على إدراك الفرد لانتمائه لمجتمعه وقيمه وثقافته وتساعد على نشر القيم الإنسانية لتحقيق التواصل والفهم الإنساني واعتبار التربية والتعلم عملية متواصلة ومستمرة في الزمن وبين المجتمعات الإنسانية لتحقيق التضامن الإنساني المبني على الاتفاق والوفاق ووحدة المصير الكوكبي المشترك (Edgar Morin, 2016, p67)

إن التواصل الذي يتحقق بين الإنسانية من خلال وظيفة التربية على المواطنة العالمية يجد سندا له في السمات البشرية والثقافية المشتركة والتي تمثل انساقا لتماسك البناء الاجتماعي العالمي. يعتبر عالم الاجتماع بارسونز أن القيم تمثل مجموعة قواعد تؤدي وظائفها الاجتماعية ضمن انساق رمزية ترتبط بالحفاظ على تماسك البناء الاجتماعي للمجتمعات، واكتساب القيم من خلال التربية على المواطنة يساعد على عملية التكيف الثقافي بين المجتمعات الإنسانية في عالم متعدد ومتنوع الثقافات،سريع التغير والتحول.إلا إن مقاربة التربية من اجل المواطنة العالمية لا يعني عدم الانتباه للخصوصيات الثقافية بل هو إثراء لها من خلال التواصل والتفاعل الثقافي في ظل ما يعرفه العالم اليوم من استقرار وتغير وتحول."إن الأشياء في حقيقتها لا تتغير بمرور الزمن،إذ هي تملك خصائص ومميزات تبقى ثابتة خلال التغير" (الوردي علي، 1962، ص94) لذلك فان رهانات التربية على المواطنة العالمية ترتبط بمختلف أبعاد هذا الاستقرار والتغير والتحول والثبات٠ وتجعل من المجتمع الإنساني نهاية وهدف للعيش المشترك وليس وسيلة Alain) Touraine, 2005 ,p86) المواطنة العالمية بهذا المعنى تجسيد للمجتمع الإنساني في مجمل الأبعاد الاجتماعية، الثقافية،الاقتصادية والسياسية.والتربية على المواطنة العالمية رهان اجتماعي،ثقافي إنساني لغاية تحقيق التواصل والحوار بين المجتمعات ضمن تفاعل ثقافي يراعي الخصوصيات والاختلافات الاجتماعية والثقافية بالمعنى الانثروبولوجي في عالم متغير ومتحول في البنى والأنساق والنظم الاجتماعية.

4 - التربية على المواطنة والمسؤولية المجتمعية لمؤسسات المجتمع

يكتسي موضوع المسؤولية المجتمعية لمؤسسات المجتمع والتربية على المواطنة أهمية كبرى من حيث راهنيته اليوم – خاصة في ظل التحولات السريعة والعميقة التي تعرفها المجتمعات في مستوى منظومة القيم وجذورها الثقافية والاجتماعية وهو ما جعلنا نطرح من جديد إسهامات مؤسسات المجتمع في ترسيخ قيم المواطنة.

تشير التحولات المختلفة التي تشهدها المجتمعات إلى انه لم يعد بإمكان الأسرة والمدرسة أن تحقق بمفردها التربية على المواطنة. بل أن التكامل بين مؤسسات المجتمع في ما بينها أساسي لتحقيق التنشئة على قيم المواطنة من خلال ما يسمى المسؤولية المجتمعية لكل منهما.

المسؤولية المجتمعية تتضمن عديد المعاني والدلالات بحسب الوظائف والأدوار والأنساق التي تتهيكل وفقها مؤسسات المجتمع .يعتبر مفهوم المسؤولية المجتمعية حديث في مجتمعاتنا العربية، وتعد واحدة من دعائم الحياة الاجتماعية ، حيث تقاس قيم الأفراد والمؤسسات (العائلة – المدرسة – الجامعة – الإعلام – المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية...) بمدى مساهمتها في تنمية قيم المجتمع وتحقيق أدوارها المجتمعية.

وقد عرف البنك الدولي المسؤولية المجتمعية على أنها التزام أصحاب النشاطات التجارية بالمساهمة في التنمية المستدامة من خلال العمل مع موظفيهم وعائلاتهم ومجتمعهم المحلي لتحسين مستوى معيشة الناس، بأسلوب يخدم الأغراض التجارية ويخدم الأبعاد التنموية بالمعنى الشامل.البنك الدولي كمؤسسة عالمية تهتم بمستوى المعيشة للإنسان عموما من خلال تحسين الوضع الاقتصادي. ويعد التعريف الذي اقترحه الاتحاد الأوروبي أكثر استعمالا وتداولا حيث يعتبر المسؤولية المجتمعية الطريقة التي يجب أن تعمل بها المؤسسات لدمج الاهتمامات والقضايا الاجتماعية والبيئية والاقتصادية في صنع القرار واستراتيجيات وسياسات وقيم وثقافة المؤسسة الاتحاد الأوروبي يدمج القضايا الاجتماعية مع المشاغل الاقتصادية والبيئية ذات العلاقة ،حيث تصبح المؤسسة حاضنة للقيم الاجتماعية،الثقافية وكذلك الاقتصادية.

يتدعم التوجه المجتمعي لمسؤولية المنظمات الدولية مع أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر وضعت من قبل منظمة الأمم المتحدة واعتمدتها جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة(أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر، منظمة الأمم،2016) وتعرف بالأهداف العالمية،باعتبارها دعوة عالمية لضمان تمتع جميع الناس بالسلام والازدهار بحلول 2030.ويمكن اعتبار جزء مهم من هذه الأهداف مرتبط بقيم "التنمية المستدامة" والتي لا يمكن أن تتحقق بدون الوعي بأهمية التربية على قيم المواطنة العالمية واستثمارها من اجل تحقيق الرفاه والمساواة.

كيف تساهم مؤسسات المجتمع في تحقيق التنشئة على قيم المواطنة عبر المسؤولية المجتمعية

يمكن تعريف المؤسسة بشكل عام بأنها مجموعة من القواعد والأدوار والمعايير التي تلبي حاجات محددة للأفراد الذين ينتسبون إليها .ونستطيع فهم المؤسسات على أنها كل الهياكل التنظيمية والإجراءات الدائمة التي توجه وتقيد وتراقب سلوكات وتصرفات المواطنين في الدولة - وهي

أيضا الركائز والأسس التي يقوم عليها المجتمع. تتألف المؤسسات بحسب "هربرت سبنسر" من المعايير والتقديرات الاجتماعية التي تفرضها النظم والعادات والسلوكات التي يؤديها الأفراد داخل المؤسسة. ويعتبر"تالكوت بارسونز" أن المؤسسات الاجتماعية لا بد أن ينظر إليها على أنها نماذج مستقرة من المعنى المحمول في أذهان الأفراد . فالمؤسسة بالمعنى الذي حدده سبنسر وبارسونز ترسخ المعايير والقيم التي تنظم المواطنين في مجال أنشطتهم الاجتماعية، لغاية صيانة النظام الكلي للمجتمع من اجل بقائه واستمراره والحفاظ على ديناميكيته التي تستجيب لمقتضيات تطور المجتمع في مختلف حقوله وعبر مؤسساته الاجتماعية الثقافية والتربوية والسياسية والاقتصادية.هذه المؤسسات تساهم في نقل المعارف والسلوكات والمواقف والتصورات بين الأفراد عبر التفاعل والتواصل ضمن التنشئة الاجتماعية.

مؤسسات المجتمع معنية بتنمية قيم المواطنة من خلال نشر ثقافة الانضباط-النظام و والتنظيم وحماية الوطن بالمعنى المادي والرمزي.العائلة مثلا تساهم من خلال التنشئة الاجتماعية لأفرادها في إعادة إنتاج قيم النظام والتواصل والتضامن والعيش المشترك...وهي بذلك تساهم في تحقيق التربية على قيم المواطنة.هذه القيم بما تتضمنه من رموز اجتماعية-ثقافية تساهم في حماية واستقرار وتوازن المجتمع. تسعى المدرسة هي الأخرى ضمن مسؤوليتها المجتمعية الثقافية إلى تثبيت السلوك الحضاري لدى الناشئة من خلال اكتساب المعرفة وإيصال القيم الاجتماعية والثقافية والتربوية. بهذا المعنى تمثل المدرسة مؤسسة اجتماعية وأداة لإعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية والثقافية (ديوي،1971).

يتأكد دور مؤسسات المجتمع في التربية على قيم المواطنة باعتبارها فاعلا اجتماعيا تساهم في تنشئة المواطن حول مفاهيم وقيم إنسانية كالحرية والكرامة والالتزام بالواجبات والمشاركة من خلال السلوكات والممارسات الاجتماعية اليومية,(Leleux Claudine, 2008,p26) يمكن رصد هذه الأفعال أيضا من خلال المؤسسة الجامعية وديناميكيتها في مجال نقل المعرفة وإنتاج البحث العلمي مما جعل الجامعة فضاء لترسيخ القيم الاجتماعية بالمعنى السوسيولوجي والانثروبولوجي حيث نتحدث اليوم عن "الجامعة المواطنية" من خلال أدوارها في إنتاج وإعادة إنتاج قيم المواطنة.

إن تحقيق تكامل مؤسسات المجتمع في مجال التربية على قيم المواطنة،يجعل سلوكات الافراد متقاربة. مما يساهم في رسم وبلورة مبدأ العيش المشترك من خلال المشاركة في إدارة الشأن العام في مجال التربية والتعليم والإنتاج العلمي – الصحة – البيئة..هذه الأشكال من المشاركة ضمن فضاء مؤسساتي يدعم التواصل والتفاعل والتضامن التلقائي الذي عبر عنه "أميل دوركايم".وعندما تنجز هذه الأفعال بطريقة تشاركية مع الأفراد وبقية مؤسسات المجتمع فإنها تساهم في دعم الشعور بالانتماء وثقافة التعايش المشترك ضمن أفعال اجتماعية تراعي انتظارات وحاجيات الأفراد.

إن ما يحدث من تفاعل مستمر بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين في إطار العيش المشترك. هذا التفاعل شديد التأثر بالخصوصيات الاجتماعية-الثقافية المحلية ضمن التنشئة على قيم المواطنة في إطار المجتمع الواحد .وتتأثر الأفعال الاجتماعية لقيم المواطنة بالعوامل الخارجية الثقافية منها والاجتماعية والسياسية ضمن ما يسمى المواطنة العالمية التي تمكن من التقاء الخصوصيات الاجتماعية والثقافية المتنوعة.

نتائج البحث

إن الاهتمام بالمواطنة كقيمة سوسيولوجية والانثروبولوجية يجعل الانتباه إلى جذورها المعرفية والتاريخية والحضارية ضرورة لا مناص منها. أضف إلى أن المواطنة يتمثلها الأفراد والمجموعات وفق نسق اجتماعي وثقافي. هذا النسق يشهد تحولات وتغيرات ترتبط بطبيعة المجتمع الإنساني، الذي عرف مراحل مختلفة أنتج من خلالها أنظمة اجتماعية واقتصادية وسياسية أفرزت أنماطا من السلوكات والأفعال توجهها قيم المواطنة المتضمنة في العادات والتقاليد والقوانين وأساليب التواصل في مختلف مجالات الحياة. المواطنة بهذا المعنى قيمة اجتماعية-ثقافية تتأثر وتؤثر في مختلف أشكال الفعل الاجتماعي.وهي نتاج أشكال التربية والتنشئة الاجتماعية داخل مؤسسات المجتمع وضمن الفضاء العام بالمعنى الذي حدده " يورغن هابرماس" أي المواطنة الفكرية التي تترسخ عبر الحوار والتواصل.

تتجسد الرهانات الاجتماعية والثقافية للمواطنة من خلال ما يرسمه المجتمع من تمثلات ومعاني ورموز تبرز عبر الأفعال والسلوكات، واعتمدنا قيم التطوع والتضامن كأفعال وقيم اجتماعية مجسمة للسلوك المواطني المجتمعي.وبذلك انتقل مفهوم المواطنة من المجال التقليدي للفعل السياسي إلى الحياة العامة والمعيش اليومي والفضاء الاجتماعي عبر ميكانيزمات التربية والتنشئة الاجتماعية، وأصبحت المواطنة من خلال استعمالاتها ودلالاتها تساهم في تشكيل الروابط الاجتماعية .وبهذا المعنى تعتبر المواطنة قيمة اجتماعية - ثقافية منتجة للعيش المشترك بين الأفراد والمجموعات والمجتمعات.لذلك فان التربية على المواطنة رهان يكسبنا مجموعة من السلوكات والأفعال تمكننا من أن نعيش ثقافة عالمية مشتركة يرتبط ويطلع من خلالها الكل على ثقافة الكل. وهي المرحلة التي سميت بالعولمة ،وهي حسب عالم الاجتماع الانجليزي "انتوني غيدنز" يمكن أن تكون مرحلة من مراحل الحداثة تستوعب وتتكثف فيها العلاقات والروابط الاجتماعية ويتناسق المحلي بالعالمي من خلال قيم المواطنة في أبعادها الثقافية والسياسية والاقتصادية.

التربية على المواطنة العالمية يمكن تجسيدها من خلال "تربية المستقبل" التي أكد عليها ادغار موران والتي تساعد على تحقيق الفهم الإنساني.

خاتمة

المقاربة السوسيولوجية لتحليل الرهانات الاجتماعية للتربية على المواطنة تمكننا من تحديد وفهم طبيعة الفعل الاجتماعي من خلال الحقل السوسيولوجي الفيبري حيث الاهتمام بالأفعال الاجتماعية ضمن المشاركة والتفاعل كما حدده جورج زيمل في إطار " العيش المشترك ".

إن التربية على قيم المواطنة تمد المواطن كفاعل اجتماعي بوسائل المشاركة لتحقيق التواصل والعيش المشترك عبر التضامن والتطوع وتحمل المسؤولية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ضمن مؤسسات المجتمع.

الفعل الاجتماعي في مجال التربية على المواطنة يخضع للدلالات التي يصبغها الفاعلون أفراد- مؤسسات على أفعالهم الاجتماعية- الثقافية وهي تتأثر بالظروف المحيطة داخليا في مستوى المجتمع وبين المجتمعات الإنسانية عامة.

تمثل التربية على قيم المواطنة بالنسبة للمجتمع رهانا ثقافيا بالمعنى السوسيولوجي والانتروبولوجي وتبرز وتتجسد من خلال الأفعال والسلوكيات الفردية والجماعية وتوجه وفق مضامين ورموز تنبني على خصوصيات ولكنها حاضنة للتنوع الثقافي.

انه في ظل وضع دولي وعالمي يطبعه التداخل والصراع بين الثقافات والأفكار،تساهم المواطنة العالمية في تحقيق التفاهم والتكامل بين الثقافات الإنسانية من خلال إشاعة ثقافة الحوار والتعايش والتفاهم عن طريق التربية في إطار وحدة المجتمع الإنساني،وحدة في إطار التعدد.وهو ما يجعل المواطنة مجالا وتمظهرا يبرز فيه الاختلاف وتتجسد فيه قيم الاعتراف والتسامح.

المجتمع من خلال التربية على المواطنة يضمن الاستقرار المجتمعي واستمرارية مؤسساته وإحداث التطور ومواكبة التغيرات والتحولات المحلية والإقليمية والدولية مع تحول المجتمع العالمي من الانسنة إلى الرقمنة خاصة في ظل الأزمة التي تعيشها مجتمعاتنا بسبب وباء كوفيد 19.

قائمة المراجع

1.دوركايم أميل (1982). في تقسيم العمل الاجتماعي. ترجمة من الفرنسية إلى العربية – حافظ الجمالي. اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع بيروت. الفصل الثاني / التعاون الآلي أو التعاون عن طريق التشابه.

2. ايبرلي دون إي (2006). بناء مجتمع من المواطنين. المجتمع المدني في القرن الحادي والعشرين. ترجمة – هشام عبد الله. مراجعة فؤاد سروجي. الأهلية للنشر والتوزيع. المملكة الأردنية الهاشمية – عمان. الطبعة العربية الأولى.

3. ابن خلدون عبد الرحمان (بن محمد بن خلدون ولي الدين) (2004) " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر .في أيام العرب والعجم والبربر. ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" - الباب

الأول – في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض./ المحقق عبد الله محمد الدرويش/ الناشر- دار يعرب/سنة النشر.

4. الوردي علي (1954). وعاظ السلاطين،شركة بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع – بغداد (الطبعة الأصلية).

5.الوردي علي (1962). منطق ابن خلدون ،الوراق للنشر والتوزيع- الطبعة الشرعية الأولى للكتاب بغداد (الطبعة الأصلية)

6.روسو جان جاك (2011). في العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي. ترجمة وتقديم وتعليق – عبد العزيز لبيب. المنظمة العربية للترجمة – توزيع مركز دراسات الوحدة العربية / الطبعة الأولى بيروت.

7.ديوي جون (1971).المدرسة والمجتمع. ترجمة احمد حسن الرحيم ، مراجعة محمد ناصر – تصدير محمد حسين أل ياسين. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت لبنان ، الطبعة الثانية.

8.سكوت جون (2009) علم الاجتماع المفاهيم الأساسية. ترجمة محمد عثمان. الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت / الطبعة الأولى.

9. فرج شريف (أمين) (2012)..المواطنة ودورها في تكامل المجتمعات التعددية. دار الكتب القانونية دار شتات للنشر والبرمجيات – مصر/ الإمارات.

10. ايشلبرغ كلارك (2016).الأمم المتحدة في ربع قرن – تعريب عباس العمر / منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت.

11. التربية على المواطنة وحقوق الإنسان – فهم مشترك للمبادئ والمنهجيات. دليل الأندية التربوية (2014) الرباط – المغرب

12. الدليل التطبيقي للتربية من اجل المواطنة العالمية-مفاهيم ومنهجيات للتربية من اجل المواطنة العالمية (2008) إعداد شبكة أسبوع التربية من اجل المواطنة العالمية بالتعاون مع مركز الشمال- الجنوب لمجلس اروبا – تأليف فريق العمل حول –التربية من اجل المواطنة. نشر مركز الشمال –الجنوب لمجلس اروبا – لشبونة. الترجمة للعربية – عفاف مبارك وطارق محضاوي. تنسيق ميغيل كرفاليو داسيلفا. الباب الأول – ماهي التربية من اجل المواطنة العالمية.

13.منظمة الأمم المتحدة،الجمعية العامة للأمم المتحدة (2016) .أهداف التنمية المستدامة لعام 2030

14.مؤتمر الأمم المتحدة والمجتمع المدني (2016) وضع تحت شعار " التعليم من اجل المواطنة العالمية – تحقيق أهداف التنمية المستدامة معا ". ولتقديم اتفاق بين الدول حول أهمية التعليم في تحقيق أجندة 2030 للتنمية المستدامة.

15. François Bourricaud, (1955), Introduction en marge de l'œuvre de Talcott Parsons : la sociologie et la théorie de l'action, dans éléments pour une sociologie de l'action , de Talcott Parsons , trad.fr. BOURRICAUD ,Paris , Pion.

16. François Denord ; Bertrand Reau (2014) ; La Sociologie de Charrles Wright Mills Collection repéres, édition la découverte.Paris.

17.Jean-PierreDurand;RobertWeil,(1997) ;Sociologie Contemporaine. Collection Essentiel – Dirigée par Raymond Thomas / édition Vigot.

18. Jurgen Habermas, (1998) ; L'intègration rèpublicaine , essais de thèorie politique. Edition fayard ;Paris

1 9.Edgar Morin, (2016) ; Enseigner la complexité, Confèrence –Congrès mondial pour la pensée compexe, à L'UNESCO.

20. Edgar Morin, (1999) ; Les sept savoirs nécessaires à l'éducation du future .Publié par l'organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture (UNESCO). Paris.

21. AlainTouraine, (2005) ; Un nouveau paradigme pour comprendre le monde d'aujourd'hui.Fayard. Paris.

22.MaxWeber, (1971,1995) , Economie et société – Les catégories de la sociologie. Librairie plon, Tome1. Poket pour la présente édition.

23.Georg Zimmel,(1986) ; La Sociologie et l'expérience du monde Social. Mèridiens klincksieck.

24. Georg Zimmel,(1999) ;Sociologie, étude sur les formes de la Socialisation. PUF.

المراجع البيبليوغرافية الالكترونية

25. www.un.org/ar/siteindex/

تاريخ وتوقيت الإبحار 15 نوفمبر 2020 الساعة العاشرة صباحا

26 .www.unesco.org/.../education/global-education -first-initiative-gefi/

تاريخ وتوقيت الإبحار 20 نوفمبر 2020 الساعة التاسعة صباحا

Pragmatic Analysis of Request in Aumm Saad Novella

Samar M. AlAbadla

Lecturer

University of Palestine

التحليل البراجماتي (التداولي) للطلب في القصة الطويلة (أم سعد) لغسان كنفاني

Abstract :This study aims at analyzing the pragmatic feature of request in Aumm Saad novella in which the researcher used the descriptive analytical methodology where the researcher designed the content analysis card as an instrument of the study which include the request, kinds of request and strategies of request to answer two questions in order to get the results and suggestions which are as follows:

Both of the two kinds of request, the direct and the indirect has been used one more than the other in favor of the indirect request**.**

The hint strategy has been used (4) times**.**

Questioning Hearer`s Ability of Willingness has been mentioned for only one time and so has been the suggestory formula.

All of the three strategies: Statements of Speaker`s Needs and Demands, Statements Obligations and Necessities, and Performatives were mentioned only one time. On the other side, Imperatives has been texted for three times**.**

Keywords: Pragmatic Analysis, request, Obligations**,** Performatives.

الملخص :تهدف هذه الدراسة إلى تحليل براجماتي (تداولي) لوظيفة الطلب في الرواية القصيرة (أم سعد) للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني. ولتحقيق هدف الدراسة، استخدم الباحث المنهجية

الوصفية التحليلية. كما واستخدم الباحث بطاقة تحليل المحتوى، حيث تكونت الأداة من ركيزتين وهما أنواع الطلب واستراتيجياته. وفي ضوء التحليل، توصل الباحث إلى عدة نتائج منها:

-كلا النوعين من الطلب تم استخدامه، الطلب المباشر والغير مباشر، ولكن تم توظيف الطلب الغير مباشر بشكل متكرر أكثر من الطلب المباشر.
-استخدمت استراتيجية (التلميح) أربع مرات.
-كما واستخدمت كل من استراتيجية (قدرة المستمع للتساؤل) واستراتيجية (صيغة الاقتراح) مرة واحدة فقط.
-وباقي الاستراتيجيات (تحديد حاجات ومطالب المتحدث، وصيغ الضرورات والالزام والصيغة الأدائية) استخدمت مرة واحدة فقط، بينما استراتيجية الأوامر تم استخدامها ثلاث مرات.
الكلمات المفتاحية: تحليل براجماتي (تداولي)، الطلب، صيغ الالزام، الصيغة الأدائية.

1-Introduction

Human beings and language cannot be separated from each other in society. Created as social beings, people need a language to communicate and to build a relationship with each other in social interaction. In this interaction, language becomes the primary means of communication. By using language, they reveal their ideas, express their happiness and sadness, make a joke with others, give information, command someone to do something, and influence someone.

To achieve their goals, people do not only say something but also insert an action embedded in their utterances. For this reason, speech acts cannot be separated from conversation. As stated by Austin via Cutting (2002:16), speech acts are the actions performed in saying something. According to him, the action performed when an utterance is produced can be analyzed on three different levels. They are locutionary act, illocutionary act and perlocutionary act. Speech acts are commonly given more specific labels, such as apology, complaint, compliment, invitation, promise, and request.

Request is an expression or act of asking an addressee to do something for the hearer. Trosborg (1995:187) defines a request

as an illocutionary act whereby a speaker (requester) conveys to a hearer (requestee) that he/she wants the requestee to perform an act which is very beneficial for him/her. The act may be a request for nonverbal activity, i.e a request for good and services; and a request for an object, an action or some kind of services, i.e. a request for information. A request is somehow more polite than an order since a request is believed as asking somebody to do something than telling somebody to do something.

Fahrurrozi (2015) shows that people always make request which shows that they need people`s help in their daily life. People often make request both directly and indirectly to ask something from other people such as asking for help, asking for permission, asking for direction and so forth. In this case, people need to use some strategies in order to make their request successfully delivered to their addressee.

In conducting the research, the researcher chooses a novella for Ghassan Kanafani entitled Aumm Saad as the source of data and the reference of the study. Besides, since novella is the representation of human culture, human traditions and human achievements. The researcher believes it is acceptable to use novella as a literary form to collect data and information. This novella has been chosen as the object of this research because it reflects the social interaction in which people use different forms and means to communicate, request and suggest all of which contextualize the daily Palestinian life. Moreover, the characters in Aumm Saad frequently use speech act of request in their dialogues so that the utterances can be analyzed easily. For this reason, it can provide a good example of the occurrence of speech act of request in society.

2- The importance of study

1. It adds tangible findings for the practical use of pragmatics.

2. It helps linguistics researchers how to utilize the theories of pragmatics practically in literature fields.

3. It assists English Linguistics professors how to explain pragmatics and speech act Theory in practice.
4. This study is regarded a joint study between linguistics and stylistics.

3- Statement of the problem

Communication that happens in society mostly uses language as its primary means. A language consists of grammatical and structural words that can be used to draw meaning of what people utter in communication. The conversation among the characters in the movie usually carry out many aspects of speech acts. In relation to the speech act, the researcher finds some problems which are presented below.

1- The first problem is the context of the utterances.
2- The second problem is the use of language to perform an action or speech acts.
3- The third problem is the request itself.
4- The last problem is dealing with the strategies of making request.

4- Questions of study

1- What are the types of request uttered by the characters in Aumm Saad?
2- What are the strategies applied by the characters in Aumm Saadwhen making a request?

5- Purposes of study

1- To describe the types of request uttered by the characters in Aumm Saad.
2- To explain the strategies applied by the characters in Aumm Saad when making a request.
novella.

6- The objectives of study

1- Identifying the kinds of requests utilised in Umm Salad novella for Ghassan Kanafani.

2- Stating the strategies of requests used in Umm Saad novella.

3- Demonstrating any differences between the strategies of requests utilised in Umm Saad novella.

4- Showing the difference between types of requests used in Umm Saad novella.

7- Significance of the study

The results of the research are expected to give both theoritical and practical significances. Theoritically, the research findings are expected to enrich the comprehension and understanding of pragmatics, especially about speech act of requests to the other linguistic researchers. Practically, the research will give some benefits for certain parties.

1. Students of English Language and Literature Study Program.

The students majoring in linguistics can apply the sentence related to the speech act of request in their dialogues to other people.

2. Linguistic Researchers.

This research can give references in conducting research related to pragmatics.

8- Delimitations of the study

Based on the identification of the problems above, the researcher comes to research delimitation. This research, however, is limited only to the speech act of requests uttered by the characters in Aumm Saad novella. This research only explains the types of

request and the strategies of making request applied by the characters in the novella.

9- Literature view

9.1 Speech act

a- The Definition of Speech Act

Pragmatically, an action that is done through language can be studied under the labels of speech act. Griffith (2006: 17) states that speech act does not refer simply to the act of speaking, but to the whole communicative situation, including context of the utterance (including the situation in which the discourse occurs, the participants and any preceding verbal or physical interaction) and paralinguistic features which may contribute to the meaning of the interaction. Therefore, in order for a speech act to be well formed, certain circumstances must be obtained. These circumstances are known as felicity or appropriacy conditions.

b- The classifications of speech act

Searle via Trosborg (1985:14) divides speech acts into five categories: declaratives, representatives, expressives, directives, and commissives.

a)Declarations

Declarations are kinds of speech acts, which change the world via their utterance. The acts of declaratives are approving, betting, blessing, christening, confirming, cursing, declaring, disapproving, dismissing, naming, resigning, etc, for example, “I quit from this job.” In this example, the speaker tells to the hearer that he/she quits the job.

b)Representatives

Representatives are kinds of speech acts, which state what the speaker believes to be the case or not. The type includes arguing, asserting, boasting, claiming, complaining, criticizing, denying, describing, informing, insisting, reporting, suggesting, swearing, etc, for example, “I met your sister yesterday.” The speaker here does the act of informing by telling the hearer that he/she had met the hearer`s sister yesterday.

c)Expressives

Expressives are kinds of speech acts, which state what the speakers feel. The acts are apologizing, complimenting, condoling, congratulating, deploring, praising, regretting, thanking, etc, for example, “I like your house very much.” By telling so, the speaker shows his/her appreciation to the hearer`s house.

d)Directives

Directives are kinds of speech acts, which the speakers use to get someone else to do something. The acts are ordering, commanding, requesting and suggesting, for example, “Would you like to come to my tea party?” In this sentence, the speaker asks the hearer to come to his/her party.

e)Commissives

Commissives are kinds of speech acts, which the speakers use to commit themselves to some future action. The acts are committing, guaranteeing, offering, promising, refusing, threatening, volunteering, vowing etc, for example, “I will be there at 5 o‟clock.” In doing the act of commisives, the speaker says a promise to the hearer to come at five.

9.2 Request

a- Definitions of request

According to Trosborg (1995:187), a request is an illocutionary act in which a speaker (requester) conveys to hearer (requestee) that he/she wants the hearer to perform a certain act which is beneficial to the speaker. The act may be a request for non-verbal good and services, i.e., request for an object, an action or some kinds of services, or it can be a request for verbal goods and services, such a request for information.

b- The Types of Requests

Direct request is often perceived as being aggressive and demanding and it is often preceded by the use of personal pronouns such as “I..” or “You …” followed by verbs that express the speaker’s wish or desire such as “like”, “want”, and other verbs of action like “give”, “take” and “make.” For example, “I want my apple.” In this example, the speaker declares that he/she asks the hearer to get his/her apple.

2)Indirect Request

The person is making a request to others in implicit way. A person who makes a request indirectly is seen to be diplomatic and tactful. He or she is also perceived more highly than one who makes a direct request. Indirectness displays respect, courtesy and good breeding, for example, “This place is quite hot.” By saying so, the speaker implicitly wants the hearer to turn the air conditioner on.

In this research, the researcher wants to identify the types of request. To analyze the types of request, the second theory commonly used by many researcherz is proposed by Trosborg (1995:192). She suggests that there are four types of requests based on the direction levels. They are unconventionally indirect request, conventionally indirect request (hearer-based), conventionally indirect request (speaker-based), and direct request.

Trosborg adds the term “unconventionally” and “conventionally” to indicate the directness level of a request. “Unconventionally indirect” means that the request is not in the form of utterance. Therefore, it is expected that the hearer pay more attention to the situation i.e. the speech event. In conventionally indirect request, the request is in the form of question or statement based on preparatory condition (hearer-condition) and sincerity condition (speaker-based). Sometimes, the requests are explained in modal verbs, such as can, could, will, would, may and wantsstatement like I need. and I want. Meanwhile, performative verbs conveying requestive intents such as ask, request, demand, command; obligation containing modal verbs such as such as must, have to, should, ought to; and imperative statements are formed with infinitive verb.

c- The Strategies of Requests

Trosborg (1995:192) argues that there are eight strategies of request. They will be presented as follows:

1)Hints

In this strategy, the speaker hides his request and does not mention the request directly in the utterances. By making a statement, for example describing an undesired state of affairs, he or she can imply to the hearer what he or she wants. In this strategy, by asking a question, the requester can imply to his/her listener what he/she wants. When interpreting a hint, it is often necessary to possess intimate knowledge of the other person, to have specific background knowledge, and to be aware of specific situational features, etc., for example, “It`s cold here.” In this sentence speaker complains about bad weather.

2)Questioning Hearer`s Ability/Willingness

He /she wants someone to set the thermostat. However, his/her sentence is delivered indirectly since he/she does not explicitly tell that the hearer should set the thermostat. Another example can be seen in the sentence “The kitchen is a total mess.” By saying that the kitchen is very dirty, the speaker asks implicitly to the hearer to clean the kitchen immediately.

Then this strategy is applied by the speaker, the hearer is expected to understand that the question asked by the speaker is a request. It involves a transition from a question about ability or willingness to requestive illocutionary force.

Therefore, it is up to the hearer whether the request is complied or not, for example,

“Can you reach this jar for me, please?” In the example, the speaker believes that the hearer has the ability to reach jar, yet he/she still asks it. By doing so, the speaker expects the hearer to comply the desired act.

Intensification such as like, kind, mind, and object can enlarge the willingness pre-condition, for example, “Would you like to make a contribution to our charity?” By adding “like” to the

question, the speaker expects more from the hearer to comply the request.

Making a request for permission can also be used to ask hearer`s willingness to comply a request. Switching the hearers` attention explicitly can also be applied instead of mentioning the hearer as the agent of the action, for example, “Can I have the salt, please?” This request involves a shift of focus alluding explicitly to the speaker as the beneficiary or recipient of an activity instead of mentioning the hearer as the agent of the action.

In addition, a request may be embedded in expressions of appreciation, hope, etc.on the behalf the requester, for example, “I`d be grateful if you`d send me a parts list.” The speaker here says that he/she will appreciate if the hearer comply the request.

3)Suggestory Formulae

When employing a suggestory formula, the requester does not feel obliged to question any particular hearer-based condition, rather he/she tests the hearer`s cooperativeness in general by inquiring whether any conditions exist might prevent the hearer from carrying out the action specified by the proposition. By presenting a request by means of suggestory formulae, the speaker makes his/her request more tentative and plays down his/her own interest as a beneficiary of the action, for example, “How about lending me some of your books?” In this example, the speaker gives a suggestion to the hearer. However, it contains a request. In this case, the speaker wants the hearer to lend him/her some books which is not mention directly.

Another example is the sentence “Why don`t you sweep the floor?” By giving a suggestion to the hearer, the speaker actually wants the hearer to sweep the floor in implicit way.

4) Statement of Speaker`s Wishes and Desires

In this strategy, the requesters desire is control. It is usually expressed in a polite way so that the hearer does not feel imposed to comply the desired act, for example, “I would like to have some more tea.” In this example, the speaker puts his desire as a focal point and adds “would” to make the request sounds polite. In other words, the speaker says his request in a polite way. Another example is “I would like you to do the cleaning today.” This request is applied by telling the speaker`s wish.

The speaker says that he would like the hearer to do the cleaning duty.

5) Statements of Speaker`s Need and Demand

The speakers who employ this strategy tend to look impolite since the request contains a high degree of imposition. As a result, the hearers feel imposed by the request. Therefore, the chance of a conflict to occur between the speakers and the hearers is high if the request is not fulfilled, for example, “I need a book.” In this example, the speaker states his need and demand clearly by saying that he/she needs a book.

However, this strategy of request can be made to be more polite by adding

“Please” or other mitigating device, for example, “I want the manuscript ready by noon, please.” In this example the states his/her demand. However, by adding

“Please”, he/she makes his/her demand more polite.

6) Statements of Obligations and Necessities

When employing this strategy, the speaker exerts either his/her authority, or he/she refers to some authority outside the speaker (institution, speaker`s authority, etc.). In this case, compliance is

expected and non-compliance is considered inappropriate behaviour. The use of this strategy employing auxiliary verb such as, ought to, have to and must, marks the utterance as a request. The structures with should and ought to involve moral obligation. Have to may involve some obligation stemming from a source outside the speaker. Must often expresses obligation imposed by the speaker, for example, “You should eat now.” In this sentence, the speaker imposes his/her authority to the hearer since he/she has a higher position that the hearer. By saying so, the speaker asks the hearer to eat immediately. Another example is “You have to leave now.” By saying that the hearer needs to leave immediately, the speaker obliges the hearer to comply the request.

7) Performatives

The inclusion of a performative verb conveying requestive intent, for example, ask, request, order, demand, command, etc, explicitly marks the utterance as request. Performative statements with requestive intention are very direct and usually authoritative, for example, “I order you to submit the assignment.” By saying so, the speaker asks directly to hearer to submit the assignment as soon as possible. The request is lees polite compared to the statements of obligation and necessity.

However, if the requester wants to soften this form, it is possible to hedge the illocutionary force of the utterance. The result is a hedged performative, for example, “I would like to ask you to bring me a drink.” This request is direct, however, by adding “Would”, it sounds more soft and polite.

8) Imperatives

The imperative is the grammatical form directly signaling that the utterance is an order. In its unmodified form it is very authoritative. The hearer needs to do what the speaker wants

since the speaker has the power over the hearer, for example, “Get a car!” This sentence is direct because the speaker says his request in a very direct way. It also sounds authoritative. Therefore, the hearer`s compliance is expected by the speaker.

Imperatives can be softened by adding tags or the marker please and will you, for example, “Open the window, please.” Here, the speaker clearly says his request.

However, he/she adds “Please” to soften it. Therefore, this request sounds less authoritative and blunt.

The request strategies are summarized in Table 1 in the following page (Trosborg, 1995:205) with regard to a situation in which the speaker asks to borrow the hearer`s car. Each of them is presented at level of increasing directness.

9.3 Previous studies

There have been some researchers conducted research that deal with speech act of request.

Fahrurrozi (2015)

This research is a pragmatic study which focuses on the analysis of speech act of requests as reflected in the film entitled Office Space. The objectives of the study are: (1) to investigate the types of request and (2) to identify the strategies of request employed by characters in themovie.

This research was a descriptive qualitative research in which visual analysis was used to interpret and analyze the data. This research was also supported by quantitative analysis in which the researcher used numbers and percentages to count the occurrences of the types and request strategies of request. The data of this research were in the form of lingual units. Meanwhile, the context of the data was dialogues which have speech act of requests. The sources of the data were Office Space

movie and its script. The main instrument of this research was the researcher himself and the secondary instrument was the data sheet. To ensure the trustworthiness of the data, the researcher applied triangulations by conducting peer discussions and routine consultations with his supervisors.

The research reveals two findings. First, there are four types of request used by the characters in Office Space. They are unconventionally indirect request, conventionally indirect request (hearer-oriented condition), conventionally indirect request (speaker-oriented condition), and direct request. In the application of the types of request, the characters in Office Space mostly use conventionally indirect request (hearer-based condition) because the hearer is in the position of controlling whether he/she will comply the request or not. Second, there are seven strategies employed by the characters in Office Space. They are giving hints, questioning hearer`s ability and willingness, giving suggestions, giving statements of speaker`s wishes and desires, giving statements of speaker`s needs and demands, giving statements of obligations and necessities, and giving imperatives. The characters in Office Space mainly use the strategy of questioning hearer`s ability and willingness because they often make their request indirectly in the form of question since the condition of this strategy refers to the hearer`s capacity to perform the desired act. By asking a question as a request, the characters want to show that they do not give any assumption that what they expected should be carried out.

Rabe‟a Shams and Akbar Afghari (2011)

Other previous research is Effects of Culture and Gender in Comprehension of Speech Acts of Indirect Request" by Rabe‟a Shams and Akbar Afghari (2011). The research had an objective to analyze the comprehension of indirect request speech act used by Iranian people in daily communication. The result shows that

the participants in the research try to use indirect request rather than direct form (regardless of culture). It is because people tend to choose indirect forms over direct ones to show politeness since being direct is face-threatening.

Sulistyowati (2012)

Another study related to the topic of this research was “A Pragmatic Analysis on the Speech Act on Request Used by the Main Character in The Pursuit of Happyness” by Nina Sulistyowati (2012). She investigated the types of request and strategies of requst based on Trosborg`s theory and respond to request based on Tsui`s theory. The result shows that there are four types of request by the main character in The Pursuit of Happyness. They are unconventionally indirect request, conventionally indirect request (hearer-based), conventionally indirect request (speaker-based) and direct request. In addition, there are seven strategies of request employed by the character in the movie. They are hints, questioning hearer`s ability or willingness, suggestory formulae, statement of speaker`s need and demand, statement of obligation and necestion and the imperative. Besides, there are three kinds of responses to request uttered by the main character in the movie. They are positive responding act to request, negative responding act to request and temporization.

This study focuses on the speech act of request found in Aumm Saad novella. The data are classified by using Trosborg`s theory of request to find out the types of request and the strategies of making request.

10- Methodology of study

10.1 Approach of study

The research used a descriptive qualitative methodology. A qualitative research refers to a research which produces descriptive data. It deals with the possibilites to solve the problem by collecting, classifying, analyzing, and interpreting data.

10.2 Instrument of study

The main tool of study is the content analysis card which is used to collect the data from the written texts containing request act in Aumm Saad novella.

10.3 Source of data

The data of this study were in the form of words, phrases, clauses and sentences taken from the texts and the transcript by the characters in Aumm Saad novella.

Table 1. The Form of Data Sheet for Types and Strategies of Request Uttered by the Characters in Aumm Saad

Texts	**Type of Request**		**Strategies of Making Request**							
	Indirect Request	**Direct Request**	**Hi**	**Ab**	**S f**	**Wi**	**Ne**	**Ob**	**Pf**	**Im**
Aumm Saad: If Saad wants to go to the war then why doesn't his commander send him? **The narrator:** A man who	v		v	v					v	

joins AL Fedayeen doesn't need his mother to look after him anymore.											

Note:

Hi	: Hints
Ab	: Questioning Hearer`s Ability of Willingness
Sf	: Suggestory Formulae
Wi	: Statements of Speaker`s Wishes and Desires
Ne	: Statements of Speaker`s Needs and Demands
Ob	: Statements Obligations and Necessities
Pf	: Performatives
Im	: Imperatives

9- Findings and Discussion

A request is an illocutionary act whereby a speaker conveys to a hearer that he/she wants the hearer to perform an act which is for the benefit of the speaker (Trosborg, 1995:187). The phenomena of requests happen in Aumm Saad. In accordance with this, the first objective of this research is to identify the types of requests in the characters` conversations. Thus, the identification and analysis are shown in this chapter. The four types of request proposed by Trosborg occur in this novella. They are unconventionally indirect request, conventionally indirect request (hearer-oriented condition), conventionally indirect request (speaker-oriented condition), and direct request. Meanwhile, there are seven strategies of making request occur in Aumm Saad's script. They include hints, questioning hearer`s ability and

willingness, suggestory formulae, statement of speaker`s wishes and desires, statements of speaker`s needs and demands, statement of obligations and necessities, and imperatives. Most of strategies of making request according to Trosborg are found in this film.

Table 2.Types and Strategies of Request Employed by the Characters in Aumm Saad

No	Types of Request	Strategies of Request								TOTAL	GE(PERC
		Hi	Ab	Sf	Wi	Ne	Ob	Pf	Im		
1.	Indirect Request	2	1	0	3	1	1	1	0	9	60
2.	Direct Request	2	0	1	0	0	0	0	3	6	40
TOTAL		4	1	1	3	1	1	1	3	15	100
PERCENTAGE (%)		26.6	6.6	6.6	20	6.6	6.6	6.66	20	100	

In light of the above mentioned data, the indirect request took place more than the direct request by nine times for the former and six times for the latter. Besides, the hint strategy has been used 4 times while the Questioning Hearer`s Ability of Willingness has been mentioned for only one time and so has been the suggestory formula. In a similar way, all of the three strategies: Statements of Speaker`s Needs and Demands, Statements Obligations and Necessities, and Performatives were mentioned only one time. On the other side, Imperatives has been texted for three times all of which indicating the level of tolerance, patience and sacrifice proving that such a community is undoubtly able to climb the mountain of civilization.

9.1 Findings and results for the first question

Both of the two kinds of request, the direct and the indirect has been used one more than the other in favor of the indirect request with a slight difference representing in three situation showing

that the Palestinian society lives in a destructive enteral conflict but the members of that society always prove that they are capable of managing to control, release and hide those pure and escaping feelings just like Saad and his mother.

9.2 Findings and results of the second question

Among the eight various strategies all of them has been used differently and gradually for instance the hint strategy has been used 4 times while the Questioning Hearer`s Ability of Willingness has been mentioned for only one time and so has been the suggestory formula. In a similar way, all of the three strategies: Statements of Speaker`s Needs and Demands, Statements Obligations and Necessities, and Performatives were mentioned only one time. On the other side, Imperatives has been texted for three times all of which indicating the level of tolerance, patience and sacrifice proving that such a community is undoubtly able to climb the mountain of civilization that is full of situations, incidents and events that need a warrior, a lover and a peaceful person.

10- Conclusion

This study aimed at analyzing the pragmatic feature which is request dealing it is different types and strategies in Aumm Saad novella in which all of them found their way into the readers' minds. Both of the two kinds of request, the direct and the indirect has been used one more than the other in favor of the indirect request. the hint strategy has been used 4 times while the Questioning Hearer`s Ability of Willingness has been mentioned for only one time and so has been the suggestory formula. In a similar way, all of the three strategies: Statements of Speaker`s Needs and Demands, Statements Obligataaaions and Necessities, and Performatives were mentioned only one time. On the other side, Imperatives has been texted for three times all of which indicating the level of tolerance, patience and sacrifice proving that such a community is undoubtly able to climb the mountain of

civilization that is full of situations, incidents and events that need a warrior, a lover and a peaceful person.

11- Suggestions

Based on the findings of the research, some suggestions can be stated as follows:

1. To Linguistic Students

The students majoring in linguistic are suggested to learn pragmatics, since they need to know the intended meaning in communication. In addition, by reading the result of this research, students as foreign language learners can learn that performing act via language can be conducted in various ways. They can perform request in different ways such as direct and indirect request.

2. To English Lecturers

A novella which is the representation of human real life can be a good and interesting medium to learn about requests. Moreover, using a novella as the medium in learning activity will be much more enjoyable because the students can enjoy the story and study of requests which are uttered by the characters in the novella as well.

3. To Other Researchers

This research does not cover all of the aspects of speech act of requests. It only focuses on the types of request and request strategies viewed from pragmatic analysis. Other researchers aresuggested to conduct research on requests analyzed from different perspectives, for example socio pragmatic analysis.

References

1- Cutting, J. (2002). Pragmatics and Discourse. London: Routledge.
2- Fahrurrozi, M. 2015.A PRAGMATIC ANALYSIS OF SPEECH ACT OF REQUESTS EXPRESSED BY THE CHARACTERS IN OFFICE SPACE, unpublished Master degree in English linguistics and literature. YOGYAKARTA STATE UNIVERSITY. Indonesia.
3- Griffiths, P. (2006). An Introduction to English Semantics and Pragmatics. British: Edinburg University Press.
4- Shams, R. and Afgahri, A. (2011). Effects of Culture and Gender in Comprehension of Speech Acts of Indirect Request. Journal, 4,4, 279-287.http://www.ccsenet.org/ journal/index.php/elt/article/view/13384. Retrieved on 5 September 2014 at 16:08.
5- Sulistyowati, N. (2012). A Pragmatics Analysis on Speech Act of Requests Used by the Main Character in The Pursuit of Happyness. Undergraduate Thesis. Yogyakarta: State University of Yogyakarta. Unpublished.
6- Trosborg, A. (1995). Interlanguage Pragmatics Request, Complaint and Apologies. New York: Mouton de Gruyter.

Ibn Duufayl's Hayy ibn Yaqthan: A Mission for Certainty

Dr. Yahya Saleh Hasan Dahami – Associate Professor, Faculty of Languages and Human Sciences, Future University – Sana'a Yemen

Currently: English Department –Faculty of Science and Arts, Al Mandaq – Al Baha University, KSA

ABSTRACT: Hayy ibn Yaqthan, as a literary character, has become a very popular and philosophical figure in the Arabic societies and has caught the attention of many reviewers, critics, and thinkers all over the years. Consequently, this study tracks some useful information about a controversial hero who became a legend among a huge number of critics and of literary figures not only Arabs but also universally. It attempts to shed light on the profound philosophical and religious notions of the author represented by his hero. The study gives some connected evidence about the thoughts of both novelist Ibn Duufayl and the character Hayy ibn Yaqthan. The paper applies the analytical-critical-descriptive method as a suitable technique for a literary study. The study commences with an introduction; then, it moves to the first point which deals with the philosophy of the novelist Ibn Duufayl as a thinker and philosopher. After that, the point shifts to the novel and hero Hayy Ibn Yaqthan who tries to quest faith and belief, then it is followed by a brief conclusion.

Keywords: Allah, Arabic Novel, faith, fiction, philosophy, quest, religion.

حيُ بن يقظان لابن طفيل: مهمة البحث عن الحقيقة

د. يحيى صالح حسن دحامي (أستاذ مشارك)
كلية اللغات والعلوم الإنسانية، جامعة المستقبل، صنعاء اليمن
حالياً: قسم اللغة الإنجليزية – كلية العلوم والآداب بالمندق
جامعة الباحة، المملكة العربية السعودية

الملخص: حيُ بن يقظان،كشخصية أدبية، أصبحت مشهورة وفلسفية لدرجة عظيمة في المجتمعات العربية، ولقد لفتت انتباه كثير من النقاد والكتاب والمفكرين على مر السنين، وبناء على هذه المعطيات فإن هذه الدراسة تسعى لتقصي عدد من المعلومات الهامة عن بطل روايةٍ مثير للجدل والذي أصبح أسطورة بين عدد كبير من النقاد ومن الشخصيات الأدبية، ليس فقط الأدباء العرب ولكن أيضًا على المستوى العالمي، تحاول الدراسة إلقاء الضوء على المفاهيم الدينية الفلسفية العميقة للمؤلف والتي يتجسدها بطل روايته، وتسعى الدراسة إلى إعطاء عدد من الأدلة المرتبطة بأفكار كل منالمؤلف ابن طفيل وبطل الرواية حيُ بن يقظان، تنهج الدراسة المنهج الوصفي التحليلي النقدي كأسلوب مناسب للدراسة الأدبية، حيث تبدأ الدراسة بمقدمة؛ ثم تنتقل إلى المحور الأول والذي يتناول فلسفة الروائي ابن طفيل كمفكر وفيلسوف، وبعد ذلك تتحول الدراسة إلى المحور التالي والذي يدور حول الرواية وبطلها حيُ بن يقظان الذي يحاول البحث عن الإيمان والمعتقد، ثم يتبع بخاتمة موجزة.

الكلمات المفتاحية: الله، الايمان، بحث وتقص، الدين، الرواية العربية، رواية، فلسفة.

INTRODUCTION

Hayy Ibn Yaqthan is an Arabic name that means 'the living, son of the awakened. The novel Hayy Ibn Yaqthan by Ibn Duufayl shows the contribution of the Arab Muslims to the renaissance of literature in the late twelfth century in a very crucial location, Andalusia – the connecting civilized Islamic State linking Arab Muslims with Europe. "It is the religious communication tool for the Islamic states and countries. In the course of its evolution, Arabic has become, owing to favor, to several tongues from which it has assimilated a substantial amount of terminology. It, in turn, has made its impacts, effects, involvements, and influences to several Eastern and Western communication tools". (Dahami, 2018a).

Furthermore, the "Arabic-Muslim-speaking people were the major bearers of the torch of culture, knowledge, and civilization throughout the world" (Dahami, 2018b; Dahami, 2015; Hitti, 1989, p.557).The title, Hayy Ibn Yaqthan, the name of the novel and the name of the main character, is very expressive; also, it mentions the name of the protagonist, but can also be understood as a metaphor for the process described in the novel.

The living, son of the awakened, has a deep connotation with the novelist intended to show. It is a philosophical matter in which the author wanted his readers/critics to think about before going further dealing with the story.

Ibn Duufayl describes in this novel the gradual process of knowledge of the protagonist Hayy Ibn Yaqthan, who is found and raised by a gazelle as an infant on a deserted island. Ibn Duufayl follows the technique of experience and inquiry, not only in philosophical difficulties but also in the matters of normal life. There are no books, no parents, no religion to teach him traditional knowledge. Knowledge, originally, is built on sense, then on interpretation and inference as well as theoretical investigation. However, in the last stages, it counts on an inner intuition.

Hayy Ibn Yaqthan comes through his own uninfluenced thoughts to knowledge about the world, the right behaviors, and the conviction of the existence of a creative force outside of the sensible things. From then on, he devoted himself to Allah. One day he met Asal, who had been exposed on the island, which was believed to be uninhabited, for the purpose of religious contemplation. Through this encounter of the protagonist with a person of Islamic faith, Ibn Duufayl illustrates the parallelism of the truth of reason and belief, not without giving subtle preference to reason. Ibn Duufayl used popular lore and transformed it with a master hand to serve his speculative purposes.

In the early Muslim theology, *al kalam*, there was an intensive preoccupation with the reasoning of beliefs in the first centuries of the Islamic era. The examination of the authority of the argument as well as of Aristotelian and Neoplatonic philosophy and their methods led to Islamic philosophy known as *Falsafah*. Al-Farabi, Ibn Sina (Avicenna), Al-Ghazali, or Ibn Rushd (Averroes) are still known for their scientific contributions in that period of Muslim knowledge and scholasticism. In addition to that, "there is no doubt that here the Arabs contributed a number of masterpieces to descriptive art" (Dahami, 2019a; Motoyoshi, 2004, p. 4). "The notion of pure, unadulterated knowledge

that was untainted by traditions is in this way present from the first endeavors of the child Hayy Ibn Yaqzan” (Božović, 2017). However, Ben-Zaken (2011), critically comments that

Al-Ghazzali … traced a historical timeline of the development of knowledge, portraying it as a fall from grace, a decline from pure knowledge into words, characterizing the early stages of Islam as possessing an otherworldly and oral knowledge. Only in the second and third centuries of Islam did this knowledge take written form, and then the jurists (fuqaha) made a science (i'lm) of it that amounted to no more than giving legal rulings (p. 18).

Ibn Duufayl's teaching also stands in this tradition, but little more than the novel Hayy IbnYaqthan has survived. This sort of tradition summarizes the state of the sciences of that time and the different positions in the discussion about the interpretation of the religious content of the Qur’an all the more impressively. It contains Ibn Duufayl's philosophical teaching as a narrative allegory that speaks the word to the authority of human reason. According to A’bed (2012), Ibn Duufaylis unique in the Arabic philosophy with his distinguished narrative style, which shares his predecessors in most of the philosophical, mystical, medical, and astronomical views and perspectives (p. 312). Ben-Zaken (2011), opines that the “human reason can independently access scientific knowledge unaided by religion or society and its conventions, leading not only to the tenets of natural philosophy but also to the attainment of mystical insight, the highest form of human knowledge” (p. 2) which is the central argument of Ibn Duufayl’s Hayy ibn Yaqthan.

It can be said that this new conception of reason overcomes the paradoxes and obstacles of modern enlightenment. The reason could be useful for the further justification of a secularization, which does not have to be in contradiction or contradiction to religiosity, also for the Arab-Islamic context. The authorship of the story of Hayy Ibn Yaqthan in the present form is undoubtedly attributed to the philosopher Ibn Duufayl. However, it can be assumed that Ibn Duufayl made use of existing traditions, legends, and stories in order to provide a narrative framework for the

description of his theory. He himself points out that the protagonists Asal and Salaman received their names from Ibn Sina. As for the two possible beginnings of history, neither the spontaneous genesis of life from clay nor the abandonment of an infant by his mother are inventions of Ibn Duufayl.

There is also a legend from the life of Alexander The Great that in many details resembles the story of Hayy Ibn Yaqthan - the child's abandonment by the mother on the water - the favorable wind that drives the basket to an island, the raising of the infant through a gazelle who lost her baby, etc. M. Emilio Garcia Gómez claimed in 1926 that this Alexander legend was the basis for Ibn Duufayl's story.

THE NOVELIST IBN DUUFAYL

The name of Ibn Duufayl is Abu Bakr Muhammadibn A'bdu Al-Malik ibn Duufayl (إبنُ طُفيل) Al-Qaisi. The foreign name is also spelled as Ibn Tufaiyl, Ibn-Tufayl, Ibn Dofayl or even Ibn Tufail, all such names are used, but the closest articulation of the name according to the Arabic articulation might be Ibn Duufayl which is used in this paper. Ibn Duufayl is an Arabby origin and stemmed from the eminent Arab tribeof Qais, also pronounced as Gaiys, as the last part of his name shows. Ibn Duufayl is a widely recognized name, and itis through this name that is referred to him in this research.

Ibn Duufayl was born in Wadi Ash, more than thirty miles North Eastof Granada. His date of birth is thought to be sometimes between 1100 and 1110. The particulars of hisfirst part of life and education are not completely identified. However, itis certain that he captivated all the scientific, theoretical, andphilosophical knowledge obtainable to that age. Ibn Duufayl got his therapeutic and medical education in Granada. Several critics have stated that he practiced and experienced medicine at Granada for a period of time. Ibn Duufaylwas a poet, and some of his poetry has been well-maintained in some records of the day. He also made distinct studies of mathematics, astronomy medicines, and dominantly philosophy. "The philosophy mentioned here by Ibn Taufayl

is *falsafa* [فلسفة], i.e., philosophy on the Greek model, as opposed to the oriental philosophy (*hikma*) [حكمة]” (Goodman, 2009, p. 179).

His career bears evidence to his resourceful and versatile genius. Ibn Duufayl first acted on behalf of the Secretary to the Governor of Granada; it is said that he also acts on behalf of the Governor of the place at some period of his livelihood. Subsequently, he became the minister of Abu Ya'gub Yusuf and also acted as his Court Physician and philosopher, widely looked upon both for his medical work and for his literary work such as the novel Hayy ibnYaqthan which presents Ibn Duufayl’s spiritual philosophy in an anecdote regarding a solitary who achieves illumination, enlightenment, and insight while living alone on an isolated isle.Ibn Duufayl, as the minister of the Caliph as well as his special friend, had great inspiration overthe Caliph. Ibn Duufayl used to spend the majority of his time conversing on different matters of philosophy with The Caliph. He spent the majority of his time in the full grand library of Abu Ya'qub. Ibn Duufayl was a man of reserved nature, fonder of books than of men. “Its importance to civilisation in a material sense may have been negligible, but among its leading figures the Caliph Abu Ya’qub, not to mention one or two others of his line, is worthy of remembrance for his patronage of philosophy” (Ibn Duufayl, 1929, p. 9).

Ibn Duufayl used his inspiration, impact, and weight with the Caliph in presenting and mentioning men of scholarship and erudition to the favors of the Caliph. Once the Amir articulated the wish to find a thinker who could analyze and elucidate the works of Aristotle, Ibn Duufayl mentioned Ibn Rushd for this determination. It does not only reflect the nobility of his emotion and passion but also his assurance in his own scholarship. A man of shallow learning will never recommend a tangible scholar to the favors of his benefactor and sponsor. Ibn Duufayl remained to enjoy Caliph'sfavors and to maintain his place at the court. In 1185 Ibn Duufayl passed away in Morocco and had been given a great ceremonious burial.

Certainly, Ibn Duufayl was a man of encyclopedicknowledge. He was a many-sided mastermind and virtuoso. He had madewidespread studies in literature, and his design of writingshowed immense literary attractiveness and artistic potentials.He was also notable forhis acquaintance of medicine, and according to several critics, had written two books on medicine. According to Juma’a, (2014), Ibn Duufayl had written a book called *In Inhabited and Uninhabited Spots*, (في البقع المسكونة والغير المسكونة) and had some distinct views about the divinebodies (p. 115). Abu Bakr Ibn Duufayl had discovered a new structure to explain the actions of heavenly bodies and that structure was unlike and greater than that of Ptolemy.

Ibn Duufayl's knowledge of scientific experience and skill is also an established fact. In sketching the progress of Hayy Ibn Yaqthan, he gives adequate glimpses of his acquaintance of Astronomy, Mathematics, Anatomy, Physics, and also Geography. Some of his ideas are outstandingly modern. However, there is a suitable occasion to analyze more on Hayy Ibn Yaqthan in the next section.

As stated by several critics, Ibn Duufayl was a man of peaceful, tranquil, and quiet nature. He was a pious man.Ibn Duufayl liked privacy and solitude and hadbecome more kept away from others towards the later stage of his life. He did not enjoy the bravery to faceopposition or to utter his opinions, views, and visions openly in front of the public. He was a religiousman with a profoundly spiritual personality, which is clearly seen in his masterpiece novel Hayy ibn Yaqthan. The strategy of Ibn Duufayl “is to show how human reason may, by observation and experience, arrive at the knowledge of natural things, and from thence to the supernatural, particularly the knowledge of God [Allah]” (Van Dyck, 1905, p. 6). Maintaining in view the natural and instinctive qualities andtraits of Ibn Duufayl, and the features of theperiod, it is not complicated to understand why he pickedthe medium of an anecdote for the manifestation of his views such as Hayy Ibn Yaqthan.

HAYY IBN YAGTHAN: NOVEL AND CHARACTER

In composing Hayy Ibn Yaqthan, the main attempt of Ibn Duufayl is, so to speak, to combine Greek senseand oriental learning, knowledge, and science into a modern assessment of the realm.In a general way, Ibn Duufayl's philosophical effort indicates his determination in writing Hayy ibn Yaqthan. Accordingly, it is obvious that Hayy ibn Yaqthan is primarily an exposition or a treatise on spirituality, although it includes other features as well. Hayy “learns physical survival and discovers the laws of the universe, eventually achieving a mystical state” (Conrad, 1996, p. 53).

Hayy Ibn-Yaqzan (Alive Son of the Vigilant) is the tale of the quintessential autodidact. A medieval philosophical treatise in literary form, written by the Andalusian philosopher Abu Bakr Ibn-Tufayl in the 1160s, it relates the story of human knowledge as it rises from a blank slate, through practical exploration of nature, to a mystical or direct experience of God. (Ben-Zaken, 2011, p. 2).

No one denies that the “Arab Muslims were the medium through which ancient science and philosophy were revived and put on the stage of life for everyone, supplemented and transmitted in a manner as to make the renaissance of Western Europe possible” (Dahami, 2019b). The novel named Hayy ibn Yaqthan (also written as Yaqdhan, *Yaqzan*) is written by Ibn Duufayl in the 1100s. After fourteen centuries, this innovative novel was translated into various European tongues and made a huge impact and impression in different cultures. The chief “philosophical and religious ideas of Hayy Ibn Yaqzan and to suggest that this twelfth-century Spanish-Arabic book has a far-reaching influence on Modern European Thought, and on the Enlightenment movement in Europe in particular” (Attar,2010, p.38). Probably it was translated to the main European literary language, Latin, in 1671, then to English in 1708. Hayy ibn Yaqthan "is, without doubt, a classic of medieval Arabic philosophical literature. Though its title is taken from that of an earlier work by Ibn Sina (d. 428/1037), the text of Ibn Tufayl represents a clearly distinct, essentially original narrative" (Conrad, 1996, p. 52). Several critics and philosophers such as Leibniz and Spinoza were impressed by

the protagonist Hayy ibn Yaqthan whose author, Ibn Duufayl, was inspired by Ibnu Sina (Avicenna). Ibnu Sina was the most gifted, brilliant, and extraordinary Arabic physician and philosopher who inscribed an analogous story or as it might be stated that Ibn Duufayl has paralleled a story of Ibn Sina. Hayy ibn Yaqthan was translated into various languages with different titles, for instance, 'The Journey of the Soul.'

It is a unique novel, authentically Arabic in origin, a story that is at once philosophy, vision, and literature, representing a way of some philosophers to explain their philosophical ideas through stories, tales, and symbolic visions. Through symbols, mystics express their passionate feelings and how a mystic can say what cannot be said in ordinary language and describe what cannot be described. They rely on sensuous and concrete representations from the outside world, often images from mundane love poetry and the pleasures of life on earth, and use them by elevating them to spiritual experience (Jayyusi, 2010, p. 28).

The main character, Hayy ibn Yaqthan grew up in a remote, isolated isle. On account of an attack on his family's settlement, his mother placed him in a hamper as the same as the story mentioned in the Holy Qur'an when the mother of Prophet Moses put him in a basket and let the water take him. The situation is tangibly mentioned in the two verses of the Holy Qur'an:

"وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (37) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (38) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)" سورة طه

"And indeed, We conferred a favour on you another time (before). When We inspired your mother with that which We inspired. Saying: 'Put him (the child) into the *Tabut* (a box or a case or a chest) and put it into the river (Nile); then the river shall cast it up on the bank, and there, and enemy of Mine and an enemy of his shall take him.' And I endued you with love from Me, in order that you may be brought up under My Eye." Surat TaHA (Al-Hilali, 1419 H., p. 417). Furthermore, in another verse in Surat Al-Qasas Allah Says:

"وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)" سورة القصص.

“And We inspired the mother of Musa (Moses): (telling): ‘Suckle him [Musa (Moses)], but when you fear for him, then cast him into the river and fear not, nor grieve. Verily, We shall bring him back to you, and shall make him one of (Our) Messengers.’ [Tafsir Al-Qurtubi] Surat Al-Qasas (The Narration)” (Al-Hilali, 1419 H., p. 516).

From the analogy between Hayy’s mother and Moses', Ibn Duufayl wanted to send a philosophical notion and allegory that the mother who throws her child into a running river is a strong believer in Allah. There is an indispensable harmony between nature formed by Allah and the words revealed by Him. If there are seeming disagreement and tension, the revelation had better be interpreted in an attempt to remove that discrepancy. The amazing metaphorical comparison is not between Moses and Hayy but between their mothers who represent very strong belief and trust of their creator. The notion is reflexed and returned to the writer, who drew such an amazing abstracted portrait.

The boy, Hayy, soon made distinctions between himself and the other living beings, some of which appeared to belong to the same species. He believes that he is disadvantaged at first but soon finds out that his mind is superior to other living things. On the one hand, he now knows how to help himself by making tools and clothing for himself. On the other hand, he begins to think about the order of the world: he finds unity and multiplicity, alike and different, living and dead, the world and the heavenly spheres. In the course of his thought process, he comes to the necessary insight into the existence of a creative force outside of the sensible things. Thereupon he devoted himself to the Allah show until Asal met him, who let himself be abandoned for the purpose of contemplation on the uninhabited island.

The infant Hayy was left behind crying and possibly all the others died after the dramatic affair against his family and clan. Later an antelope female found him then nursed and raised him. As an infant recognizes nothing, he thought it was his mother. Later the antelope gave birth; Hayy understood that his new seemingly brother does not act like him, but its

moves, appearance, and behaviors are similar to the antelope. He became depressingly perplexed and then started to realize that he himself was unlike the antelope and its baby. He belonged to the special nature of creatures that did not exist nearby. The first reaction or response to the situation is that awareness made him conceal his masculine private parts of the body by leaves of trees, as a reference to the father of human beings Adam and his wife Eve. The indication is clear in the revelation of the Holy Qur'an in different verses such as.

"فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)" سورة طه

"Then they both ate of the tree, and so their private parts became manifest to them, and they began to cover themselves with the leaves of the Paradise for their covering. Thus, did Adam disobey his Lord, so he went astray." Surat TaHa (Al-Hilali, 1419 H., p. 426)

"وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)" سورة الأعراف

"And he [Shaitan (Satan)] sore by Allah to them both (saying): 'Verily, I am one of the sincere well-wishers for you both. So, he misled them with deception. Then when they tasted of the tree, that which was hidden from them of their shame (private parts) became manifest to them and they began to cover themselves with the leaves of Paradise (in order to cover their shame). And their Lord called out to them (saying): 'Did I not forbid you that tree and tell you: Verily, Shaitan (Satan) is an open enemy unto you" Surat Al-A'raf, (Al-Hilali, 1419 H., p. 202)?

When he was around seven, the young Hayy pushed his skills, capabilities, and talents to seem more closely with the other affiliates of the isle. He attempted to fly, but the result was a disaster. At this age, his antelope-mother became old and ailing. Hayy started to pick up how to use the resources that he could attain from the island and watched the antelope with devotion. When the antelope-mother passed away, he was faced with the concept of death. Death is one of the most important elements preoccupied with the author since he was a medical practitioner. The author, Ibn Duufayl, through the hero, presents a real surgery inside

the motionless body of the dead antelope in a quest for a hint of life as well as the desire to find a sort of relationship between life and death.

In the beginning, Hayy assumed that if he makes the body warm enough, the antelope mother might return to life once more; however, the consequence is negative. The proficiency of Ibn Duufayl pears in the next step when Hayy started to do a sort of autopsy and examination to discover what is discharging from the body which made it motionless. He checked all the parts of the body and in conclusion, he opened the heart and found the only vacuity inside it. In this context, we may refer to a kind of metaphor about the soul which is too perplexing to all medical practitioners ancient and modern. Hayy

started to seek after the third emulation and tried hard to attain it by pondering over the attributes of the Necessary Being. He had come to know, during the period of his scientific speculation on the subject before he had entered upon any action that these attributes were of two kinds: positive, such as knowledge, power, and wisdom; and negative, such as His complete freedom from corporeality and from the bodily attributes, and from whatever adheres to these attributes or is related to them even remotely (Lerner, 1963).

Hayy found nothing different or special; the body was the same, but with motionless and some undistinguishable thing left the body that was positioned in the heart according to the inventor of this science fiction. Hayy was not sure what to do with the immobile corpus. Still, appreciatively he saw two crows that were clashing with each other in reference to the event of the elderly two sons of Adam, Habeel, and Qabeel - Abel and Cain, who one killed the other. According to the Holy Qur'an, it was the first crime of killing on earth and the first case to bury a corpus. It is amazingly portrayed in Surat Al-Ma'idah (The Table spread with Food) in which Allah Says:

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا

يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31) سورة المائدة.

"And (O Muhammad صلى الله عليه وسلم) recite to them (the Jews) the story of the two sons of Adam (Habil and Qabil-Abel and Cain) in truth; when each offered a sacrifice (to Allah), it was accepted from the one but not from the other. The latter said to the former: 'I will surely kill you.' The former said: 'Verily, Allah accepts only from those who are *Al-Muttagun* (the pious)" Surat Al-Ma'idah (Al-Hilali, 1419 H., p. 147).

At the end of the combat between the two crows, one kills the other and breaks up the earth making a hole and buries the killed one under the ground. Hayy ibn Yaqthan thought he ought to do the same with the antelope. The comparison in this context is not about the process of the killing crime, but it is about the process of the right way Hayy should do with his dear antelope because it is really the first time for Hayy to find a dead body before him and he is perplexed with what to do. "After the death of the deer, the young boy, who passed his seventh year, dissects her body in search of the vital principle" (Attar, 2019). The vital principle or attitude is not the dead body. He starts a contemplative mission on why death happens. It is the process of death and what is behind it. It is the contemplation of life and the reason behind it.

After this heartbreaking event, Hayy commenced discovering the entire island by himself. He has the ability to communicate with other creatures by imitating their movements and sounds. Analytically, it is a similar comparison with Prophet Solomon's capability to communicate with all creatures which are mentioned in the Holy Qur'an. In a part of Hayy's exploration and quest of life, he lost his way in a vast and long cave in the total dimness. Figuratively, it can be accepted to say that the isle is a small picture of the world, and the cave is the lives of people, especially the inner ecosphere or universe where there are a lot of conflicts and labyrinths where people are commonly lost. Yet without thinking, lacking a consistently developed civilization and a language, Hayy could still achieve a high level of the intellectual mind and discovers Allah that he spoke through using his internal voice. The faultless human intellect does not stand only in demand of the legislations (Ash-Shari'ah) for its

improvement and culture. Such contemplations are kinds of proof about the ability to realize and reorganize Allah in all circumstances and conditions even without a prophet.

According toJayyusi (2010), After a profound dream, Hayy's "utter loss of self, and true spiritual attainment, he witnessed the highest sphere, which had no physical body. … With the highest pleasure and joy, happiness and delight, he viewed the essence of Truth, Glory be to His Majesty (p. 296). Also, see (p. 57). In addition to that (Idris, 2016) supports the idea when Hayy meets Absal, saying that "One day, Absāl leaves his island in pursuit of seclusion, but is shipwrecked on the island where Ḥayy, who had never met another human, was living. Absāl teaches Ḥayy language, and Ḥayy imparts philosophical wisdom to Absāl. They find that Absāl's religion is a lesser image of the pure truth that Ḥayy had discovered through contemplation". At long last, the man from the civilized neighboring island came to the isle in which Hayy lives.

"It is at this point that a second character, named Absāl, arrives from a neighboring island whose inhabitants are 'followers of a certain true religion, based on the teachings of a certain ancient prophet'" (Wood, 2017). The guest, Absal, invited Hayy ibn Yaqthan to visit his ship in which Hayy accepted the invitation that led later on his travel to Absal's land. To start a new dimension of the story of the search in his quest about life, Hayy ibn Yaqthan met with Absal's best companion called Salaman. They had a discourse about their belief and thought of Allah and the creation of the universe that was different from customary beliefs. All the gathering realized that such understanding and appreciation was not for all civilizations, cultures, and societies. After a level of knowledge, the gathering hardly has smooth relations with others intellectually. After confirming the persuasion that their attempts with the people are helpless, they chose to go back to the isolated isle and live together.

ARGUMENT ON SOME PHILOSOPHICAL CONCEPTS

After Hayy got sufficient skill to elucidate his life, he shared his acquaintance, knowledge, and experience that he acquired from his past knowledge. In the novel, Hayy and his new human companions surprised the resemblances of their awareness, familiarity, and experience. The

hero's beliefs and knowledge are deeper and uncontaminated than the other companions. To influence the ordinary apprentices of philosophy, that right knowledge consists of the uneasiness of the truths of the spiritual realm, stranded in the belief in Allah. The idea might be a useful act that sets in motion some course of events for the reader/critic of the book to deeply think about such topics. Furthermore, "Dissecting all kinds of living and dead animals, Hay landed in the first place of naturalists and arrived at the highest degree of knowledge in this kind" (Maftouni, 2017).

Ibn Duufayl's determination in writing Hayy Ibn Yaqthan is a mission searching for certainty and belief. It is motivating to note that diverse critics, readers, and writers **have** read various determinations into the literary workof Ibn Duufayl. The fact that Ibn Duufayl has implemented the form of an account implies that thinking and education should be given to fellows in keeping with their capacities. It habitually happens with eminent thinkers,whose viewpoint, philosophy and beliefs comprise several features that subsequent philosophers pick up this or that portion from hisphilosophy that strikes them as most significant. In the case of Ibn Duufayl, there is a definite motive that leads to different views. His selection of atale as the standard of his philosophy might contribute,in any measure, to this difference of opinion. The novelist might have either the benefit or the difficulty of veiling his real purposes behind the niceties of the plot.

Slightly allied to this view is the assessment of Fulton (1929), who typifies the book of Ibn Duufayl in these argumentative words."It is the pilgrim Soul's upward progress; its returnshome to its 'Father' through a series of ascendingstages. In short, one of the main objects of thismodest little book is nothing less than to dramatisethe process of continuous development from sense-perception up to the beatific vision of the One" (p. 25). This notion categoricallysums up the whole tale of Hayy Ibn Yaqthan but does notinform which portion of the tale is most significant. Furthermore, it needlessly attempts to give a Christian traceto the tale.

Grunebaum (1969), describes the book, Hayy Ibn Yaqthan,as a life history of a public declaration of his own faith, showing that human intellect can pick up the uppermost truths through thinking and contemplation. To somedegree, it can be true; however, it does not bear the whole inklingof the book. Certainly, Ibn Duufayl has caused Hayy Ibn Yaqthan the agent for his personal thoughts and knowledge, butwhy has he designated a lonely man, brought up in segregationfrom Humanity, as his hero? The determination of confessions or declaration of his own faithmight have been better attended by a straight account likethat of Al-Ghazali.

It is rather lucrative that Ibn Duufayl indulged in Mysticism near the close of the narration; however, it probably makes an integral portion of his philosophical viewpoint. This assessment is noticeably appropriate as it goes against the obvious declarations of Ibn Duufayl in the Introduction. It can be said that the most fundamental and chief objective of Ibn Duufayl is to show concord, coherence, and agreement between legislations (Ash-Shari'ah) and philosophy.

All of the assessments mentioned above are, to a great extent, true. Nevertheless, there is no reason to doubt the testament of Ibn Duufayl himself, who unambiguously expresses that the novel has been inscribed to communicate, in an indirect form, his personal mystic knowledge, and to inspire and convince his readers/critics to track the mystic path. It is undeniably the central determination of the fiction. Nonetheless, mysticism itself is an effort at merging philosophy with faith and belief and assigning an allegorical clarification to all spiritual doctrines and precepts. The ultimate aim of knowledge is the knowledge of God. Although reason can prove his existence and establish the structure of his being, it is not discursive. Still, intuitive knowledge, gnosis that leads to the realization by the believer of God's essence and the deepest secrets of the faith (Grunebaum**,** 1969, p. 237).

Consequently, it is normal that shoulder to shoulder with the exposition of his spiritual perspective and judgment, Ibn Duufayl should also go in for

the difficulty of the relation of faith and religious conviction to philosophy. "Since religious philosophy attempts to define religion as an aspect of experience and a branch of human concern, the answer will differ according to what religion is conceived to be" (Goodman, 2009, p. 25). Furthermore,Hayy ibn Yaqthan "tries to access to the religious-philosophical truth in research, its causes without the use of any broker from abroad. This work has been a rapprochement with rational thinking that has prevailed in the West in the eighteenth century" (Alshammari, 2013).Moreover, the difficulty had supposed a special worth in that period and suggested or propounded a challenge to the theorists, philosophers, and thinkers. It can be reserved as the second significant determination of Ibn Duufayl.

CONCLUSION

The novelist and philosopher Ibn Duufayl could illustrate that the hero eventually comes to recognize that the world is separated between a very few who recognize and realize spiritual truths through their unassisted reason or motive. A larger faction conceives truth through mystical, spiritual, and transcendent symbols and the majority of the mass who simply admit the laws that originate from such symbols. There is no justification to doubt the proof of Ibn Duufayl, who unmistakably expresses that the narration has been inscribed to reveal, in an implicit form, his personal spiritual knowledge, and to stimulate and convince the critics to track the spiritual path.

Ibn Duufayl has succeeded in presenting a strategy to show how human reason can be realized by observation and practice. It is a process that commences from the knowledge of natural elements, and from after that comes to supernatural, principally the familiarity with Allah. Then in order to achieve this aim, Ibn Duufayl has supposed an individual brought up by himself, in which he was completely wanting or lacking any instruction. However, he could get his knowledge and experience only from his own thought and contemplation.

It is unquestionably the vital determination of this narrative. Nonetheless, ibn Duufayl could present that spirituality itself is a determination in amalgamating faith and belief with philosophy and assigning a metaphorical clarification to all spiritual doctrines and principles. It can be stated that the ultimate purpose of knowledge, according to the novelist as well as several critics, is the knowledge of Allah. Ibn Duufayl is a pioneer thinker and philosopher of Arabs who greatly contributes to literary heritage not only of Arabs but also of the world verily through his masterpiece Hayy ibn Yaqthan.

REFERENCES

1.A'bed, Ahmad Mahmoud Muhammad. (2012). The Mind (between Islamic teams - past and present), Biuret: Dar Al Kotob Al Ilmiyah

2.Al-Hilali, M. T., Khan, M. M. 1419 H. The Noble Qur'an: English Translation of the Meanings and Commentary. Madinah: King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur'an.

3.Alshammari, Ahmad Kannush (2013). Arab Culture and English Literature: An Affinity, College of Humanities, Al-Jouf University.

4.Attar, S. (2019). The Clashing Religions at Turbulent Political Times. Arab Studies Quarterly, 41(3), 235–250. https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.13169/arabstudquar.41.3.0235

5.Attar, Samar. (2010). The Vital Roots of European Enlightenment: Ibn Tufayl's Influence on Modern Western Thought, New York and other cities: Lexington Books.

6.Ben-Zaken, Avner (2011). Reading Hayy Ibn-Yaqzan: A Cross-Cultural History of autodidacticism, Baltimore: The Johns Hopkins University Press.

7.Božović Mihajlo. (2017). The process of civilization in ibn Tufayl'sHayy ibn Yaqzan. Kom: ČasopisZaReligijskeNauke, 6(2), 77–90.

8.Conrad, Lawrence I. (1996). The World of Ibn Ṭufayl: Interdisciplinary Perspectives on Ḥayy Ibn Yaqẓān, Leiden New York and Koln: E.J. BRILL.

9.Dahami, Y. S. H. (2019a).Hassan ibn Thabit: An Original Arabic Tongue (1), *Journal of social sciences: International, Scientific Peer Reviewed Journal*. Issue No. 8, pp. 540-558.

10.Dahami, Y. S. H. (2019b). The Influence of the Arabic Language: The **Muwashshah** of Ibn Sahl Andalusi, an Example,*American Journal of Humanities and Social Sciences Research (AJHSSR)* 3(1), pp-58-65.

11.Dahami, Y. S. H. (2018a). The Arabic Tongue: A Worthy Language, *European Journal of Language and Literature Studies*, 4(4), pp. 81-90.

12.Dahami, Y. S. H. (2018b). Tarafah ibn Al-A'bd and his Outstanding Arabic Mua'llagah, *International Journal of English Literature and Social Sciences (IJELS).* Vol-3, Issue -6. pp. 939-947.

13.Dahami, Y. S. H. (2015). The Contribution of Arab Muslims to the Provencal Lyrical Poetry: The Troubadours in the Twelfth Century, *Journal of Arts*, Vol. 27, Number (1), King Saud Univ., Riyadh. pp. 1-19.

14.Goodman, LennEvan. (2009). Ibn Tufayl'sHayy Ibn Yaqzan: A Philosophical Tale. Chicago and London: Chicago University Press.

15.Grunebaum, Gustave E. von. (1969). Medieval Islam: A Study in Cultural Orientation, Chicago and London: The University of Chicago.

16.Hitti, P. K. (1989). History of the Arabs: from the Earliest Times to the Present,12th reprint, London: Macmillan & Co. Ltd.

17.Ibn Duufayl, M. (1929)The History of Hayy ibn Yaqzan, Translated by Simon Ockley with an Introduction by A. S. Fulton, New York: Frederick A. Stokes Company.

18.Idris, M. (2016). Producing Islamic philosophy: The life and afterlives of Ibn Ṭufayl'sḤayy ibn Yaqżān in global history, 1882–1947. European Journal of Political Theory, 15(4), 382–403. https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.1177/1474885116666032

19.Jayyusi, Salma Khadra. (2010). Classical Arabic Stories: An Anthology, New York: Columbia University Press.

20.Juma'a, Mohamad Lutfi. (2014). TarikhFalasafat Al Islam (History of the Philosophers of Islam, Cairo: Hindawi Corporation for Learning and Culture.

21.Lerner, R. and Mahdi, eds. (1963). M. Hayy ibn Yaqzan by Ibn Tufayl, Ithaca and New York: Cornell University Press.

22.Maftouni Nadia. (2017). Ibn Tufail as a SciArtist in the Treatise of Hayy Ibn Yaqzan. Philosophical Investigations, 11(21), 81–91.
23.Motoyoshi, S. A. (2004). Description in Classical Arabic Poetry: Wasf, Ekphrasis, and Interarts Theory. BRILL.
24.Van Dyck, Edward Abbott (1905). The Improvement of Human Reason, Exhibited in the Life of Hayy Ibn Yakzan, Cairo: El-Maaref Printing Office.
25.Wilson, L. (2014.). Reading Hayy Ibn Yaqzan: A Cross-cultural History of Autodidacticism. BRITISH JOURNAL FOR THE HISTORY OF SCIENCE, 47(2), 371–372. https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.1017/S0007087414000223
26.Wood, A. (2017). A Beatitude Paradox for Certain Monotheists? The Cases of Ibn Tufayl and Thomas Aquinas. Heythrop Journal, 58(6), 889–898. https://doi-org.sdl.idm.oclc.org/10.1111/heyj.12766

Représentations du « métier d'enseignant» chez les enseignants marocains.

Azzeddine CHARKI, Doctorant chercheur en psychologie, Laboratoire des études psychologiques, sociales et culturelles - Université de Sidi Mohammed Ben Abdellah, Fès, Maroc

Résume: Cette étude s'intéresse aux représentations sociales des enseignants du cycle secondaire au Maroc. Elle vise plus particulièrement à savoir et à saisir la structure des représentations du «métier d'enseignant» chez les enseignants des cycles du collégial et du qualifiant dans le secteur d'enseignement privé. Elle s'inscrit dans l'approche structurale des représentations sociales. Notre échantillon est de 60 participants examinés : 28 enseignants du groupe collégial et 32 enseignants du groupe qualifiant. Les résultats montrent que la nature des représentations sociales chez les enseignants, soit du collégial ou du qualifiant, est positive. Ainsi, ils partagent les mêmes représentations du «métier d'enseignant» qui s'articulent et s'organisent autour des notions : patience et responsabilité. Celles-ci constituent le noyau central des représentations des enseignants, alors que les éléments «éducation, sincérité, respect, humanité, fatigue» composent leur système périphérique.

Mots clés: Représentations sociales; noyau central; Métier d'enseignant; Enseignement privé, Cycle secondaire.

The representations of the profession of teacher with teachers in Moroccan.

Azzeddine CHARKI, Psychological, Sociological and Cultural Studies laboratory- University of Sidi Mohammed Ben Abdellah, Fez, Morocco.

Abstract: This study is interested in the social representations of secondary school teachers, and more precisely deals with representations of the profession of teacher with college teachers and qualifier in

Moroccan education sector. It is a part of the structural approach of social representations in social psychology. A sample of 60 teachers was examined: 28 college and 32 qualifying teachers. The results show that the nature of social representations among teachers, either college or qualifier, is positive. Thus, they share the same representations of the teaching profession which are articulated and organized around patience and responsibility. These are the central core of the social representations of teachers, and the elements «education», «sincerity», «respect», «humanity», «fatigue», etc. are their peripheral systems constituting in fact protectors of the central representations.

Keywords: social representations; teaching profession; private education; secondary education.

تمثلات مهنة التدريس لدى الأساتذة المغاربة

عز الدين الشرقي، مختبر الدراسات النفسية، الاجتماعية والثقافية-جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

الملخص: تناولت هذه الدراسة التمثلات الاجتماعية لدى أساتذة التعليم الثانوي بالمغرب، حيث سعت بالتحديد إلى معرفة واستكشاف بنية وتنظيم التمثلات حول "مهنة التدريس" لدى أساتذة التعليم الثانوي -بسلكيه الإعدادي والتأهيلي-الممارسون في قطاع التعليم الخصوصي. إذ تندرج ضمن إطار المقاربة البنيوية للتمثلات الاجتماعية. شملت عينة الدراسة 60 مشاركا؛ 28 منهمينتمون إلى مجموعة أساتذة التعليمالإعدادي و32 آخرين إلى مجموعة أساتذة التعليم التأهيلي. أظهرت نتائج الدراسة أن طبيعة التمثلات الاجتماعية لـ"مهنة التدريس"؛ سواء لدى أساتذة السلك التعليمي الإعدادي أو التأهيلي، كانت إيجابية. ويشتركون في نفس التمثلات لـ"مهنة التدريس" التي تنتظم حول عنصرين مشتركين:الصبر والمسؤولية،يشكلان النواة المركزية للتمثلات المتقاسمة فيما بينهم، في حين تبقى عناصر "التربية، الوفاء، الاحترام، الإنسانية والتعب" تمثل نظامها المحيطي الذي يشكل في واقع الأمر آلية الدفاع والحماية لمنظومة التمثلات المركزية المرتبطة بمهنة التدريس عند الأساتذة.

الكلمات المفتاحية : التمثلات الاجتماعية، النواة المركزية، مهنة التدريس، التعليم الخصوصي، السلك الثانوي.

Introduction

Actuellement, le Maroc connaît plusieurs changements dans divers domaines de la vie sociale au niveau économique, politique, social et culturel. Ces changements ont créé et contribué à une mutation dans le système éducatifmarocain, caractérisé par une tendance sociale

concernant le choix de l’école privée comme étantune structure socio-éducative alternative dans le système d’enseignement. Par conséquent,nous avons assisté à une modification profonde dans les perceptions, les attitudes et les conceptions du monde chez les marocains et plus particulièrement les acteursdu système éducatif -notamment les enseignants- dans le milieu scolaire.

Le milieu scolaire où se déroule le processus d’enseignement constitue un champ psychosocial très large, qui se caractérise par des spécificités d’échanges et d’interactions où les différents aspects d’influence se jouent entre les acteurs de l’environnement scolaire (enseignants, administrateurs, apprenants, etc.). Ces spécificités d’échanges permettent aux enseignants d’élaborer et de construire des perceptions et des représentations particulières à leur métier et à leur environnement socioprofessionnel, ainsi que de contribuer au façonnement d’une identité sociale et professionnelle spécifiques.

L’objet de cet article est alors d’approcher principalement les représentations sociales du « métier d’enseignant » dans le secteur d’enseignement privé au Maroc. Afin de réaliser cet objectif, nous avons mené cette étude, à Rabat, dans le but d’appréhender le fonctionnement sociocognitif des enseignants concernant le « métier d’enseignant », à travers l’étude de leurs representations sociales.

Aspects théoriques

1.Représentation sociale

La représentation sociale constitue à la fois un concept et une théorie en psychologie sociale, initialisée comme un thème d’étude avec Serge Moscovici depuis les années 1960. Bien que ce concept soit utilisé historiquement, par Emil Durkheim (1897), sous forme de représentations collectives. Plus tard, la représentation sociale est devenue un objet privilégié et central en psychologie sociale, à la différence des représentations collectives de Durkheim.

Dans cette perspective, la représentation sociale désigne « une forme de connaissance du sens commun qui permet l’organisation mentale de l’environnement et l’orientation, tout en concourant à la structuration d’une vision de la réalité qui soit commun à un ensemble social et culturel

» (Abdelkarim Belhaj, 2009, p134). C'est qu'elle constitue un système sociocognitif impliquant « un ensemble d'informations, de croyances, d'opinions et d'attitudes à propos d'un objet donné » (Jean-Claude Abric, 2003, p59). De façon générale, la représentation sociale représente des outils sociocognitifs utilisés mentalement par un sujet, qu'il soit individuel ou collectif, afin de reconnaître, décoder et décrypter la réalité sociale dans sa complexité (Azzeddine Charki, 2019, p156). Elle constitue un ensemble organisé des opinions et des connaissances produites, au moyen des interactions par un individu (ou un groupe) vis-à-vis d'un objet, et partagé par les membres d'une communauté sociale dans un contexte donné.

2.Représentation comme un objet d'étude

Est-ce que le « métier d'enseignant »peut étre étudiécomme un objet de représentation ?

En fait, l'étude d'un objet de représentation,comme un enjeud'étude en psychologie sociale, nécessite des conditions spécifiques,comme elles sont soulignéesparMoliner (1993). Il s'agit de tenir en compteles spécificités de l'objet représenté, les caractéristiques du groupe, les enjeux, la dynamique sociale et l'absence d'orthodoxie.

Dans la vie quotidienne, certains objets discutés acquièrent une importance plus que d'autres. De ce point de vue, Moliner (1993) considère que les spécificités d'un objet de la représentation sont importantes pour les individus. « Cette caractéristique fait référence au fait que l'objet doit s'apparenter à un concept (…) suffisamment abstrait ou générique » (Eve Pouliot, Lucié Camiré & Marie-Christine Saint-Jacques, 2013, p13). Cet objet s'émerge dans les échanges et les communications sociales d'un groupe par des caractéristiques particulières. Autrement dit, « l'étude d'une représentation dans un groupe donné nécessite que l'objet de recherche ait une présente thématique récurrent dans les communications directement ou indirectement entre les membres du groupe » (Claude Flament et Michel-Louis Rouquette, 2003 cite par Eve Pouliot et al., 2013).

Selon Pascal Moliner, un objet de représentation est important pour les membres d'un groupe, comme étant porteur d'un enjeu. Cet enjeu « se

dévoile dans l'interaction du groupe avec d'autres groupes » (Eve Pouliot et al, 2013, p13). Pour cet auteur, l'objet de la représentation est toujours inséré dans une dynamique sociale qui implique plusieurs groupes dans l'absence d'une orthodoxie (Pascal Moliner, Patric Rateau & Valérie Cohen-Scali, 2002, p31). Dans un système orthodoxe, un groupe est soumis à des instances régulatrices, dont il accepte les directives, qui donnent la possibilité de penser au préalable et qui épargnent aux individus toute incertitude (Pascal Moliner et al., 2002; Eve Pouliot et al., 2013).

Sur la base du postulat de Moliner, nous déduisons que toutes ces caractéristiques, qui sont signalées auparavant liées à un objet spécifique d'une représentation sociale, sont présentes, comme des conditions, relatives au « métier d'enseignant ». Et ce dernier mérite d'être un enjeu d'étude sous l'angle de l'approche psychosociale.

3.Approche structurale

L'approche structurale (ou la théorie du noyau central) de représentation sociale est une approche psychosocialequi met l'accent sur la structure, l'organisation et la stabilité de la représentation. La représentation dans cette approche (Jean-Claude Abric 1976, 1994, Claude Flament 1987, Pascal Moliner1988, Christian Guimelli1990, Michel-Louis Rouquette et Patric Rateau1998)est envisagée comme une structure cognitive. Cette dernièreimplique deux systèmes qui fonctionnent comme une unité complémentaire : un système central et un système périphérique (Jean-Claude Abric, 2003).

La représentation sociale constitue un système sociocognitif composéd'un ensemble d'éléments qui sont structurés et hiérarchisés. Elle est «organisé autour et par un noyau central -constituéed'un nombre très limité d'élément- qui lui donne sa signification» (Jean-Claude Abric, 2003, p21), ainsi que sa cohérenced'organisation et d'hiérarchisation**.**Pour cet auteur,le noyau central est l'élément fondamental de la représentation, car c'est par lui que la signification, l'organisation et l'architecture de la représentation se déterminent et s'effectuent.Ainsi qu'il contribue à « fournir un cadre d'interprétation et de catégorisation pour les nouvelles informations » (Jean-Claude Abric, 1987, p66 cité par Grégory Lo

Monaco et Florent Lheureux, 2007). Il correspond au système de valeurs, auquel se réfère l'individu où la marque de la culture et des normes sociales du groupe auquel il appartient.

Selon Abric, le noyau central remplie deux fonctions : une fonction *génératrice* ; c'est par cet élément que se crée et se transforme la signification des autres éléments constitutifs de système représentationnel, et une fonction *organisatrice* ; le noyau central détermine la nature des liens qui unit tous les éléments de la représentation. Il représente « l'élément unificateur et stabilisateur de la représentation » (Jean-Claude Abric, 2003, p22).

Le noyau central constitue l'élément le plus stable de la représentation en assurant la pérennité dans des contextes mouvants et évolutifs, ainsi que le plus résistant au changement (Jean-Claude Abric, 1993, p76). C'est par cette raison, que ce dernier déclare que toute modification du noyau central entraine une transformation et un bouleversement complet de la représentation.

La représentation sociale a également d'autres éléments cognitifs qui prennent un statut secondaire dans son hiérarchisation et son organisation, dénommés : éléments représentatifs de périphérie. Ces derniers s'articulent et s'organisent, directement, autour du système central. Ils constituent l'essentiel du contenu de la représentation et présentent, pour Abric, la partie la plus vivante et la plus concrète. Il s'agit d'éléments périphériques qui « comprennent des informations retenues, sélectionnées et interprétées des jugements formulés à propos de l'objet et de son environnement, des stéréotypes et des croyances ». Ces éléments du système représentationnel, « situés entre l'interface du système central et de la situation concrète dans laquelle s'élabore ou fonctionne la représentation » représentent la face active de la représentation, ainsi qu'«ils permettent la modulation personnalisée des représentations et des conduites qui les sont associées » (Jean-Claude Abric, 2003, p25).

Alors, nous pouvons dire que les représentations des enseignants, en tant que structures et construits sociocognitifs, sont enracinés dans le système des valeurs et des normes des groupes d'enseignants. Ces représentations sont organisées autour des éléments centraux. Ces derniers représentent

l'élément le plus stable de leurs représentations vis-à-vis du métier d'enseignant. Ainsi, les éléments du système périphérique, comme nous l'avons vu précédemment avec Abric, sont plus associés aux caractéristiques et expériences individuelles.

4. Etude du terrain

4.1Problème de l'étude

Dans cette recherche, nous nous intéressons au phénomène de représentations du« métier d'enseignant »chez les enseignants du cycle secondaire(collégial et du qualifiant)au Maroc. De façon générale, les représentations sociales sont devenues, depuis des années, des objets centraux en sciences humaineset plus précisément enpsychologie sociale.

En fait, les représentations comme les identités professionnelles, notamment, du métier d'enseignant constituentdes enjeux psychosociaux et sociaux explicites des politiques d'enseignement qui la considèrent comme des leviers de perfectionnement de la qualité et de l'équité du système éducatif (Branka Cattonar, 2006, p196). Elles sont inscrites dans les vives interrogations d'enseignement dans les sociétés avancées.

Depuis l'indépendance, notre pays a connu des évolutions et des mutations importantes dans le domaine de l'enseignement (Belhaj Abdelkarim, 2012), ce qui affecte profondément les conditions sociales et professionnelles des enseignants dans les divers secteurs d'enseignement soit public, semi public ou privé, ainsi que leur fonctionnement sociocognitif (cognition et représentation sociales), processus de bases d'élaboration de leur identité professionnelle et leur existence sociale.

Ces changements et transformations de système d'enseignement imposent une remise en cause du métier d'enseignant dans le système d'enseignement au contexte marocain. A cet égard, nous sommes amenés à étudier le métier d'enseignant sous l'angle des représentations sociales, car elles constituent des phénomènes psychosociaux pertinents qui nous permettent d'appréhender le sujet enseignant dans le métier d'enseignement et les conditions socioprofessionnelles où ils s'impliquent.

Dans ce cadre, nous situons notre problème de recherche dans les représentations sociales du « métier d'enseignant »chezles enseignants de

cycle secondaire (collégial et qualifiant). Cette étude inclue donc une question générale qui se préoccupe de la nature et de la structure des représentations sociales des enseignants à l'égard du « métier d'enseignant ».

4.2 Hypothèses et Objectifs de l'étude

-Hypothèses

-La nature des représentations que les enseignants du cycle secondaire (collégial et qualifiant) portent à l'égard du « métier enseignant » est négative entrainant une dévalorisation de soi.

-Les enseignants du secondaire (collégial et qualifiant) qui travaillent dans le secteur d'enseignement privé, partagent le même noyau central des représentations sociales propres au « métier d'enseignant ».

-Les représentations que les enseignants du collégial ou du qualifiant construisent à l'égard du « métier enseignant », ont des éléments périphériques divers qui ~~se~~ diffèrent selon le genre et le cycle d'enseignement.

-Objectifs :

La présente étude cherche à savoir et appréhender la nature du fonctionnement sociocognitif des enseignants dans les situations d'enseignement. Dans ce sens, nos sous-objectifs de recherche consistent à saisir la nature de représentations sociales des enseignants du cycle secondaire (collégial et qualifiant) à l'égard du « métier d'enseignant ». Ils visent ainsi à décrire et à déterminer la structure des représentations sociales des enseignants en identifiant leur système central et périphérique.

4.3Procédures Méthodologiques

Pour l'approche structurale (Jean-Claude Abric et al., 2003), l'étude de la représentation sociale demande, en principe, la recherche des éléments constituants de son noyau central, car la connaissance de son contenu n'est pas suffisante. C'est l'organisation de ce dernier qui donne le sens et la stabilité de la représentation. Pour cette raison, « deux contenus identiques peuvent correspondre à deux représentations sociales différentes » (Abric, 2003, p60). Nous cherchons, donc, à savoir et à identifier la structure interne -ou plutôt le noyau central- des

représentations « du métier d'enseignant » chez les enseignants du secondaire, ainsi que leurs éléments périphériques.

Dans cette étude, nous adoptons la méthode d'association libre, élaborée par Vergès (1992) et réadaptée par Abric et Vergés (1994), dans le but d'identifier les représentations sociales des enseignants. En ce sens, notre méthode comprend une enquête composée d'un questionnaire qui permet de recueillir les données concernant les représentations et les connaissances des enseignants. Ces représentations « du métier d'enseignant » sont recueillies au moyen de la technique d'association libre. Cette dernière, en première phase, consiste "à demander, à partir d'un mot inducteur qui est « le métier d'enseignant » au sujet enseignant de produire 5 mots ou expressions qui lui viennent à l'esprit spontanément. Ensuite, chaque sujet est invité à classer ses propres productions en fonction de l'importance qu'il accorde à chaque mot/item pour définir cet objet de représentation. Après la collecte des données (des mots /items), nous nous sommes appuyé sur le logiciel d'évocation hiérarchisée (version 2000), pour analyser les productions verbales ou du discours obtenus afin de mieux connaître la structure (noyau central et les éléments périphériques) des représentations des enseignants. Alors, le schéma sous dessous, sous forme d'un tableau à quatre cases, va décrit les composants fondamentaux des représentations.

Tableau 1: Analyse des évocations hiérarchisées selon la fréquence et l'importance des mots selon Jean Claude Abric(2003) :

Importance / Fréquence	Grande	Faible
Forte	Case 1 *ZONE DU NOYAU.*	Case 2 *1ér PERIPHERIE.*
	Case 3 *ELEMENTS*	Case 4

Faible	*CONTRASTES.*	*2éme PERIPHERIE.*

Cette étude s'appuie sur l'approche structurale des représentations sociales d'Abric et autres (1976, 1994, 2003), qui considère les représentations sociales comme des structures sociocognitives constituant « un ensemble organisé d'informations, d'opinions, d'attitudes et de croyances à propos d'un objet » (Jean Claude Abric, 2003, p59). Ces structures sont composées de deux types d'éléments : des éléments centraux et des éléments périphériques. De ce point de vue théorique, nous traitons et analysons les résultats de cette recherche par le biais d'évocation hiérarchisée en fonction de deux critères : la fréquence et le rang d'importance des mots (items).

Afin de vérifier les hypothèses d'analyse, nous prenons le rang moyen (2,6). Les mots qui sont inférieurs à ce rang constituent les éléments très importants qui vont apparaître dans la case du noyau central et des contrastes, alors que les mots qui sont supérieurs à ce rang représentent les éléments des périphéries (1) et (2). Après ce traitement nous avons comparé ces mots par leurs fréquences d'apparitions et rang d'importances, en vue de savoir les éléments centraux et périphériques de ces représentations.

-Echantillon et lieu d'étude

Notre échantillon se compose de 60 enseignant(e)s de cycle secondaire (collégial et qualifiant), âgés de 20 à 50 ans et plus, constitué par deux groupes : le premier est composé de 28 enseignants du collège, le second, est composé 32 enseignants du qualifiant exerçant dans le secteur d'enseignement privé à Rabat.

Plus de 10 participants sont éliminés à notre étude en raison de ne pas avoir répondu à tous les critères de la recherche et les questions demandées.

5. Résultats :

Sur la base d'un traitement statistique effectué par le logiciel d'évocation hiérarchisée (Evoc), nous exposons les résultats des représentations sociales des enseignants du groupe collégial et du groupe qualifiant à propos du « métier d'enseignant ».

Tableau (2):L'évocation hiérarchisée du noyau central des représentations du « métier d'enseignant » des enseignants de cycle secondaire (qualifiant et collégial).

Fréquence x rang	Forte	
	RM <2,6	
	Les éléments du noyau central des enseignants qualifiants.	Les éléments du noyau central des enseignants collégiaux.
Très fort F> 4	-La patience (15) -la responsabilité (13) -La discipline (11) - Le sérieux (5)	-La patience (19) -La responsabilité (13) -La formation (11) -L'éducation (7) - L'enseignement (5)

Note. RM= Rang moyen, F= fréquence.

Le tableau (2) expose les productions verbales des mots (rang x fréquences) des enseignants à l'égard du « métier d'enseignant ». Celles-ci nous ont permis de saisir les éléments centraux (ou du noyau central) des représentations sociales des deux catégories d'enseignants -les qualifiants et les collégiaux-, selon la fréquence et le rang d'importance des items.

Ce tableau montre que la case du noyau central des représentations du groupe des enseignants qualifiants est composée de six mots qui sont les

suivants : « la patience», « la responsabilité », « la discipline », « le sérieux ». Mais ceux-ci ne représentent pas exactement le noyau central des représentations sociales de ce groupe, comme Abric a proposé que « tout ce qui se trouve dans cette case n'est pas central mais le noyau central est dans cette case » (Jean-Claude Abric, 2003). De ce fait, on remarque que les mots « patience » et « responsabilité » occupent un statut très élevé dans la case du noyau parmi les autres selon leurs fréquences et leurs ordres d'importance, comme des critères de structure et d'organisation de ces représentations. Alors que les autres « discipline », « sérieux », restent secondaires et plus proches aux premiers au niveau de la signification, c'est-à-dire se sont des synonymes.

Du fait, nous pouvons dire que les éléments de « patience » et de « responsabilité » constituent les éléments les plus privilégiés des représentations sociales des enseignants du qualifiant. Alors que la case du noyau central du groupe collégial est composée des cinq mots suivants : « la patience », « la responsabilité », « la formation », « l'éducation », et « l'enseignement ». Chez ce groupe, de même que chez l'autre groupe du qualifiant, nous avons trouvé que les deux mots « patience » et « responsabilité » ont occupé un statut également très fort par rapport à la structure des autres. Les mots « formation », « éducation », « enseignement », que nous pouvons considérer comme des synonymes se limitent au rôle exact de l'enseignant, mais occupent des positions secondaires dans ce système central. Donc, nous pouvons noter aussi, que les éléments de « patience » et de « responsabilité » constituent les éléments les plus privilégiés de ces représentations chez les enseignants du collège.

Dans ce cadre, les résultats nous ont montré que les mots « patience » et « responsabilité » sont plus fréquents chez les enseignants des deux catégories, soit du qualifiant ou du collégial, et occupent les mêmes positions dans la hiérarchie et la structure de leurs représentations selon le critère -fréquence x Rang-, le premier au taux de (15) chez les qualifiants et (19) chez les collégiaux, tant que le deuxième au taux de (13) chez les deux groupes. Donc, nous constatons que notre deuxième hypothèse est plus susceptible de se réaliser.

Tableau (3) : L'évocation hiérarchisée du système périphérique des représentations des enseignants du collégial et du qualifiant selon la fréquence et l'importance desitems.

Les éléments périphériques	Fréquence x Rang.	Faible	
		RM > 2,6	
		Les enseignants du qualifiant	Les enseignants du collégial
La périphérie (1).	Faible F <4	-L'éducation (39) -La sincérité (16)	
La périphérie (2).		-Le contrôle (9) -Le stress (8) -Le dévouement (7) -L'effort (6)	-La sincérité (10) -Le respect (6) -L'humanité (6) -La fatigue (6)

Ce tableau décrit le système périphérique des représentations sociales des groupes d'enseignants du secondaire selon le cycle d'enseignement.

La périphérie (1) du groupe des qualifiants est composée par les éléments de : « l'éducation » et de « la sincérité », où le deuxième appartient à la seconde périphérie du groupe collégial. Tant que la périphérie (1) de ce dernier est vide. Et les mots « contrôle », « stress », « dévouement », « effort » existent en deuxième périphérie des qualifiants. Cependant, « le respect », « l'humanité » et « la fatigue » existent juste en deuxième périphérie du groupe collégial. De là, nous remarquons que les représentations des deux groupes d'enseignants ont des périphériques différents qui dépendent de leur cycle d'enseignement. Ces éléments

périphériques jouent un rôle important dans leurs représentations sociales et permettent au noyau central de ces dernières de s'adapter à la réalité sociale des sujets.

Tableau (4) : L'évocation hiérarchisée du système périphérique des représentations sociales des enseignants du cycle secondaire (selonle genre des enseignants) selon la fréquence et l'importance des items.

Les éléments périphériques		Faible	
		RM > 2,6	
		Les enseignants	Les enseignantes
La périphérie (1).	Faible F <4	-La responsabilité (15)	-La sincérité (22)
La périphérie (1).		-Le stress (12) -Le dévouement (9) -Le professeur(8) -L'aide (7) -La connaissance (6) -La continuité (6)	-La formation (8) -Le respect (6) -L'effort (6)

Ce tableau explicite le système périphérique des représentations sociales du groupe des enseignants collégiaux et du groupe des enseignants qualifiants selon le sexe des sujets.

La périphérie (1) des enseignantsdes deux groupes est composée d'un seul élément qui est «la responsabilité», différemment de « la sincérité » qui est la seule périphérie des enseignantes. Etles mots « stress, dévouement, professeur, aide, connaissance, continuité » n'existent qu'en périphérie (2) des enseignants, tandis que les autres, « formation », « respect », effort » se retrouvent uniquement chez les enseignantes.Nous constatons donc que les représentations des deux groupes d'enseignants ont des périphériques différents qui dépendent de leur sexe.

Les résultats obtenus dans ce cadre, nous ont montré que les enseignants du secondaire des deux groupes ont des périphéries différentes qui dépendent de leur sexe et cycle d'enseignement. Donc, nous pouvons constater que notre troisième hypothèse est susceptiblede seréaliser.

Les résultats obtenus révèlent que les enseignants du collégial et du qualifiant ont des éléments de représentations en communs[« patience », « responsabilité », « éducation » et « sincérité »]. Alors queles éléments sémantiques [« contrôle », «stress», «dévouement », « effort », «le respect», «l'humanité» et «la fatigue» sont différents entre les deux groupes d'enseignants.

En effet, les mots « patience » et « responsabilité » constituent le noyau central des représentations des deux groupes. Il est donc partagé entre la population des enseignants de notre étude. Autrement dit, les représentations du « métier d'enseignant » chez les enseignants se structurent et s'organisent autour de même noyau central constituantles élémentsde patience et de responsabilité.

Nous rappelons que les éléments de représentations « éducation », sincérité en périphérie (1), et « contrôle », « stress », « dévouement », « effort » en périphérie (2) chez les enseignants qualifiants, et « respect », « humanité », « fatigue » en périphérie (2) chez les collégiaux sont apparus différents et souvent contradictoires, et n'ont pas de cohérence par rapport au noyau central. Ces différences et contradictions de ces éléments cognitifs renvoient en effet, aux caractéristiques individuelles

des sujets et à leur existence contextuelle, constituant, à un certain niveau, des représentations sociales individualisées. Cela explique que les enseignants, qu'ils soient masculins ou féminins, de catégorie collégiale ou qualifiante, vivent des expériences et des situations professionnelles spécifiques leur permettant de construire des éléments cognitifs spécifiques qui se trouvent dans les périphéries de leurs représentations.

Lesreprésentations du « métier d'enseignant » chez les enseignants du collège et du lycée se structurent autour d'un même noyau central à deux éléments : la patience et la responsabilité, avec des éléments périphériques différents. En effet, ce construit mental a des significations qui pourraient converger vers le positif ou le négatif. C'est à dire que la patience renvoie à la « qualité de celui qui supporte une situation avec calme, modération » (Larousse, 1998), et la responsabilité signifie « la capacité de prendre une décision sans en référer préalablement à une autorité supérieure » (Larousse, 1998). Alors, un être responsable doit assumer ses actes.

D'après les résultats obtenus par notre étude exploratoire des représentations sociales du métier d'enseignement, nous avons constaté que les deux groupes d'enseignants portent les mêmes représentations sociales à l'égard du « métier d'enseignant ». Celles-ci se structurent et s'organisent autour de même noyau central qui est « la patience » et « la responsabilité » avec des périphéries de « sincérité », d' « éducation » chez les qualifiants, « la sincérité », « le respect », « l'humanité » chez les collégiaux et dépendent du cycle d'enseignement et du sexe des sujets. Ils s'articulent dans le discours des enseignants comme suit: un métier d'un être (enseignant/éducateur) patient et responsable dans son travail.

6. Discussion

Les résultats de notre étude seront discutés à la lumière de nos hypothèses. Nous rappelons que cette étude est guidée par trois hypothèses portant sur les représentations du « métier d'enseignant » chez les enseignants de cycle secondaire.

La première hypothèse : s'attend à savoir la nature des représentations du « métier d'enseignant» chez les enseignants du secondaire.

Nous avons noté que lesreprésentations sociales du « métier d'enseignant » des enseignants, soit du groupe collégial ou du groupe qualifiant, se structurent et s'articulent autour de deux éléments en commun : «Patience» et « Responsabilité ». Toutefois, de l'autre côté, ils ont des éléments périphériques différents qui dépendent du sexe des enseignants et de leur cycle d'enseignement. C'est à travers ces éléments constituants du système représentationnel que nous pouvons connaître les représentations du « métier d'enseignant » des enseignants du qualifiant et du collégial. Ces représentations prennent des significations positives. Cela signifie que la nature des représentations sociales que les enseignants élaborent à propos de leur métier est positive. Ils ont présenté -le métier d'enseignant - comme une profession honorée qui demande un être (enseignant/éducateur) patient et responsable dans sa vie professionnelle.

Il s'agit d'une profession qui exige un sujet très fort face aux différentes sortes de situations d'enseignement[1]. En ce sens, certains participants considèrent que « le métier d'enseignant dans le secteur d'enseignement privé est devenu le métier des êtres forts et solides ». D'autres affichent que c'est une mission de responsabilité qui vise la réalisation de la qualité d'enseignement.

La deuxième hypothèse : s'attend à savoir et à identifier la structure interne - ou noyau central- des représentations sociales du « métier d'enseignant » chez les enseignants collégiaux et qualifiants.

Les résultats obtenus révèlent que les enseignants, soit du collège ou du lycée, ont les mêmes représentations du « métier d'enseignant ». Celles-ci, comme nous avons vu précédemment, renvoient au même noyau central qui est partagé entre les deux groupes. Il s'agit des représentations partagées s'articulant autour de patience et de responsabilité. A ce niveau, c'est par ces éléments que nous pouvons dire que la signification et

[1]Ces notions dans ce cadre, sont interprétées dans le contexte d'enseignement privé par une interview de certains participants de notre population.

l'organisation des autres éléments constituants des représentations, se déterminent et s'effectuent. Ces éléments centraux constituent l'entité la plus résistante au changement et non négociable dans le système représentationnel des enseignants.

Ce noyau qui est « la patience » et « la responsabilité » est cristallisé dans le système des connaissances des deux groupes d'enseignants. A ce point, les enseignants de cycle secondaire (collégial et qualifiant) partagent le même cadre de référence à propos du métier d'enseignant, bien que la différence de leur cycle d'enseignement.

Autrement dit, les enseignants des deux groupes ont une cohérence au niveau de représentations de cet objet, qui est le métier d'enseignant, donc, ils partagent la même grille de lecture de celui-ci, ainsi qu'ils constituent un groupe homogène en s'accordant à ce que montre Claude Flament « l'homogénéité d'une population n'est pas définie par le consensus entre ses membres, mais bien par le fait que leur représentation s'organise autour du même noyau central, du même principe générateur de la signification qu'ils donnent à la situation ou à l'objet auxquels ils sont confrontés » (Jean Claude Abric, 1994, p22).Ces résultats obtenus dans ce cadre, affirment notre deuxième hypothèse.

La troisième hypothèse :

De l'autre côté, notre troisième hypothèse qui a cherché à savoir les éléments périphériques de représentations des enseignants va nous permettre de comprendre les positions individuelles des sujets et des groupes à propos de l'objet représenté : métier d'enseignant. Nous notons qu'ils ont des différences significatives.

Les représentations des enseignants sont constituées également des éléments périphériques, qui sont en rapport direct avec le noyau central et jouent un rôle important dans la concrétisation de la signification de la représentation (Jean Claude Abric, 1994, p25). Ces éléments périphériques sont nourris directement de l'expérience individuelle de sujet (individuel ou collectif).A ce niveau, ils constituent la face active et médiatrice de la représentation avec la réalité. De ce point de vue, Flament considère que « c'est dans la périphérie que se vit une

représentation au quotidien » (Michel-Louis Rouquette & Patric Rateau, 1998, p53).

En fait, les éléments « éducation » et « sincérité » chez le groupe du collégial en périphérie (1) et « respect », « humanité » et « fatigue » chez le groupe du qualifiant en périphérie (2). Les items « responsabilité » et « sincérité » chez les enseignantes des deux groupes sont toujours actifs dans le contexte scolaire des enseignants et fonctionnent comme protecteur du noyau central de leurs représentations du métier en cas de nécessité. Ces éléments périphériques, selon Abric, ont « une détermination plus individualisée beaucoup plus associé aux caractéristiques individuelles et au contexte immédiat et contingent dans lequel sont baignés les individus » (Jean Claude Abric, 1994, p28).

Cette étude a démontré que les périphéries sont différentes sur le plan des représentations entre les deux groupes selon le cycle d'enseignement et le genre des enseignants. En fait, ces différences et contradictions de ces éléments cognitifs renvoient aux positions et caractéristiques individuelles des enseignants, ainsi qu'à leur existence contextuelle. Nous les considérons comme des représentations sociales individualisées. Ces résultats affirment aussi la troisième hypothèse de notre recherche.

En ce sens, nous constatons que l'impact de ces représentations s'opère et se transmet selon les représentations sociales individuelles des enseignants qui se trouvent dans les éléments périphériques de deux groupes, de c'est pour cette raison qu'Abric souligne que les éléments périphériques « génèrent des représentations sociales individualisées »(Jean-Claude Abric, 1994, p25). Pour cette raison, Breakwaell (2001) s'inspire de ce point de vue pour confirmer qu'il existe des représentations personnelles comme des éléments périphériques des représentations sociales (Valérie Cohen-Scali & Pascal Molliner, 2008, p5). Dans le cas de notre recherche les éléments périphériques sont spécifiques à chaque groupe d'enseignants.

Conclusion générale

Cette étude a été réalisée par une enquête illustrant les représentations du « métier d'enseignant » auprès des enseignants marocains de cycle secondaire collégial et du qualifiant.

L'analyse des résultats obtenus sur les représentations du «métier d'enseignant», nous a permis de constater que les enseignants de cycle secondaire, soit du collégial ou du qualifiant, partagent les mêmes représentations du « métier d'enseignant». C'est-à-dire que leurs représentations se structurent et s'organisent autour des mêmes éléments centraux ou plutôt d'un seul noyau central. Elles s'articulent autour de « patience » et de « responsabilité ». Ainsi, autour de ces derniers s'organisent des éléments périphériques qui diffèrent entre les deux groupes d'enseignants. Ces éléments périphériques, en effet, dépendent du cycle d'enseignement et du sexe des sujets.

De ce fait, les deux groupes ont les mêmes valeurs centrales et « vision fonctionnelle du monde » (Jean Claude Abric, 2003; Samuel Fontaine & Jean-François Hamon, 2010) qui encadrent leurs pratiques sociales et professionnelles, ainsi que leurs interactions et relations interpersonnelles. Elles traduisent que le fait de partager des représentations avec d'autres personnes, « signifie partager avec eux des valeurs centrales associés à l'objet concerné ». Et « ce n'est pas le fait de partager un même contenu qui définit l'homogénéité d'un groupe par rapport à un objet de représentation : c'est le fait de se référer aux mêmes valeurs du noyau » (Samuel Fontaine & Jean-François Hamon, 2010, p91). De ce point de vue, ces représentations constituent des guides pour l'action des enseignants dans les pratiques et les situations socioprofessionnelles.

Notre échantillon ne concerne que certains établissements au Maroc, donc, nous avons besoin d'autres études qui pourraient donner des résultats complémentaires, et permettre d'obtenir des résultats plus généraux.

-Références

1. Abric, C.J. (2003). L'étude expérimentale de la représentation sociale. Dans Jodelet, D., Les representations sociales.Paris: PUF, 7 éd.

2.Abric, C. J. (1993). Central system, peripheral system: their functions and the roles in dynamics of social representations. *Texte sur les représentations sociales*, 2(2),75-78.

3.Abric, C. J. (1994). Pratiques sociales et représentations. Paris: PUF.

4.Abric, C. J. (2003). Méthodes d'étude des représentations sociales.Paris : érès.

5.Belhaj, A. (2009). Psychosociologie des représentations et des pratiques quotidiennes. Rabat: BOUREGREG.

6. Cattonar, Branka. (2006). Convergence et diversité de l'identité professionnelle des enseignantes et des enseignants du secondaire en Communauté française de Belgique : tensions entre le vrai travail et le sale boulot. *Revue scientifique de l'Association canadienne d'éducation de langue française*. XXXIV (1). 193- 212. www.acelf.ca

7.Charki, A. (2016). Les représentations du métier d'enseignant et la construction de l'identité professionnelle des enseignants de cycle secondaire(Mémoire du Master non publié). Université Mohammed V Rabat.

8.Charki, A. (2019). Social representations and the mechanisms of cognitive functioning.*Arab Journal of Psychology*, 4(2), 151-163.

9.Cohen-Scali, V., Molliner, P. (2008). Représentations sociales et identités : des relations multiples et complexes. *L'orientation scolaire et professionnelle*37/4/2008: URL : http://osp-.revues.org/1770;doi: 10.4000/ osp.1770.

10.Flament, C. (2003). Structure et dynamique des représentations sociales.Dans Jodelet, D. Les représentations sociales (pp. 224-239). Paris : PUF, 7èd.

11.Fontaine. S., & Hamon. F. J. (2010). La représentation sociale de l'école des parents et des enseignants à La Réunion ».*Les Cahiers Internationaux de Psychologie Sociale* (pp. 69-109).

12.Jodelet, D. (2003). Représentations sociales: un domaine en expansion. DansJodelet, D. Les représentations sociales (pp. 47-78). Paris : Presse Universitaire de France, 7 éd.

13. Larousse, (1998), Paris, 2éd, P. (589).

14. Lo Monaco G.,&Lheureux F.(2007). Représentations sociales : théorie du noyau central et méthodes d'étude (pp. 55-64).*Revue électronique de Psychologie Sociale*.
15.Cohen-Scali, V.(2002).Les représentations sociales: Pratique des études de terrain. Paris : Presses Universitaires de Rennes.
16. Pouliot, I., Camiré, L.,Marie-Christine, S. J. (2013). L'étude de représentation sociale à l'aide d'une diversité des techniques. Québec.
17. Rouquette,M. L.,& Rateau,P. (1998). L'introduction à l'étude des représentations sociales. Paris : Presses universitaires de Grenoble.